

الذخيرة في مجاز أهل الجيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (١٥٤٢)

تقيق
الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة
بيروت - لبنان

الذخيرة في محاسن أهل الجيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢)

القسم الرابع - المجلد الأول

تحقيق
الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة
٤

الطبعة الاولى

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

مقدمة المحقق

جعل ابن بسام هذا القسم الرابع من الذخيرة - وهو آخر الأقسام - في جزئين واضحين دون أن يصرح بذلك ، يتناول الجزء الأول منهما الشعراء الطائرين على الأندلس من المشرق والقيروان وصقلية ، ويشمل الثاني ثلاثة عشر شاعراً من شعراء المشرق والقيروان ، تخيرهم تحكماً ، وقد أحسّ هو بذلك عندما ترجم لابن قاضي ميلاء من شعراء « الأنموذج » دون رفاقه ممن ضمهم ذلك الكتاب فقال : « ولعلّ بعض من يتصفح كتابي هذا يقول إن شعراء الأنموذج مائة شاعر وشاعرة وأكثرهم كان في المائة الخامسة من الهجرة... أفلا ذكرهم عن آخرهم ؟ وماله اقتصر على بعضهم دون سائرهم ؟ » وعاد يعتذر عن ذلك بما قاله في المقدمة وهو أنه احتذى فعل أبي منصور الثعالبي ، في اليتيمة ، مع أن من يدقق في الأمر يجد أن أبا منصور لم يفعل كما فعل ابن بسام ، وإنما وجد بين يديه قطعة من شعر الأندلسيين فأدرجها في كتابه ، وهو لا يدرك تفاوت الزمن بين أصحابها .

ولقد راعيت في نشر هذا القسم تلك التجزئة الطبيعية ، ففي هذا الجزء تراجع الطائرين وفي الجزء التالي ترد تراجم المشاركة المقيمين ، رغم أن الجزءين قد يجمعان لصغر حجمهما في مجلد واحد ، ولما كانا متباعدين في المادة وجدت من المفيد صنع فهرس مستقلة لكل منهما على خلاف ما صنعته في الأقسام الثلاثة السابقة .

وقد اعترضني في تحقيق القسم الرابع هذا صعوبة لم أجد لها حلاً ، أوقفني بين المضي في العمل أو التوقف عنه ، وذلك أنني لم أجد منه سوى مخطوطة

واحدة هي نسخة الخزانة العامة بالرباط ورقم ١٣٥٠ ؛ ومادة هذا القسم فيها تقع بين الصفحة ٣٠ والصفحة ١٩٤ ؛ وفضلاً عن ما يمثلها انفرادها من صعوبة في العمل فانها ليست حسنة الضبط أبداً ، كما أن الترقيم فيها رغم تسلسله وعدم انقطاعه غير صحيح لأنه قد سقط منها ورقة ضاع بسقوطها آخر ترجمة جلال الدولة وأول ترجمة ابن أبي الشخباء ، أقول « ورقة » ، وهذا من حسن الظن ، فربما كان ما سقط يزيد على هذا المقدار . وقد اخترت الماضي في التحقيق ، رغبة في أن أجد الذخيرة قد اكتملت وأن أبلغ بما عزمت عليه آخر الشوط ، بعد اليأس من العثور على مخطوطات أخرى من هذا القسم .

وفي سنة ١٩٤٥ قامت لجنة مؤلفة من الأساتذة عبد العزيز محمد الأهواني وعبد القادر القط ومحمد عبده عزام تحت إشراف الدكتور عبد الوهاب عزام بنشر جانب من هذا القسم شمل حتى نهاية ترجمة عبد الكريم ابن فضال القيرواني المعروف بالحلواني (أي حتى ص ٣٠٠ من هذه الطبعة) اعتماداً على هذه النسخة الوحيدة التي لم أجد لدي أيضاً سواها ؛ وفي مقدمة تلك الطبعة إشارة إلى كثرة التحريف والتصحييف في هذه النسخة ، ولكن الجهد الذي بذله المحققون الفضلاء قد أعانني كثيراً في عملي هذا ، وإن كنت قد خالفتهم في بعض القراءات ، واهتديت إلى حل بعض المشكلات على ضوء مصادر لم تكن متيسرة لديهم حينئذ .

ولست أشك في أن هذا العمل لا يحظى لدي بالرضى الكامل ، وعسى أن تسعفنا الأيام بالعثور على نسخ أخرى تعين على مزيد من الضبط والتدقيق ، والله الموفق .

احسان عباس

بيروت في أول يونيه (حزيران) ١٩٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

ذِكْرُ الْكِتَابِ الْوُزَرَاءِ ، وَالْأَعْيَانِ الْأَدْبَاءِ وَالشُعَرَاءِ ،
الْوَالِدِينَ عَلَى جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَالطَّارِثِينَ عَلَيْهَا ،
مِنْ أَوَّلِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا
الَّذِي هُوَ سَنَةُ الثَّانِيْنِ وَخَمْسَمِائَةٍ ،
وَاجْتِلَابُ مَا بَلَّغْنِي مِنْ نَوَادِرِ أَخْبَارِهِمْ ، وَشَوَارِدِ أَشْعَارِهِمْ ،
مَعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا ، وَيُذَكِّرُ بِسَبَبِهَا

قال علي بن بسّام : قد استوفيتُ في ثلاثةِ الأقسامِ ، جُمْلَةَ ممَّا انتهى
إلَيَّ مِنْ محاسنِ النثرِ والنظامِ ، لِمَنْ نشأ بِالْجَزِيرَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ الْأَعْلَامِ ،
مِنْ أَوَّلِ تَارِيخِ هَذَا الْمَجْمُوعِ إِلَى وَقْتِنَا . وَلِنُعْقِبَ ذَلِكَ بِحَوْلِ اللَّهِ وَتَأْيِيدِهِ
بِذِكْرِ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهَا مِنْ تِلْكَ الْآفَاقِ ، وَطَرَأَ عَلَيْهَا مِنْ شُعَرَاءِ الشَّامِ
وَالْعِiraقِ ، مِمَّنْ تَبَحَّحَ ذَرَاهَا . وَتَسَرَّ بِلِ نَعْمَاهَا ، وَنَجَمَ فِي
أَفْلَاقِهَا . وَخَيَّمَ فِي ظِلَالِ أَمْلَاقِهَا . وَلَمْ آتِ بِهَذِهِ الْفِرْقَةِ مِنْ أَرْبَابِ
هَذَا الْفَنِّ الَّذِي أَنَا فِي إِقَامَةِ أَوْدِهِ . مُتَعَزِّزاً مِنْ ذِلَّةٍ ، وَلَا مُسْتَكْتَرِئاً مِنْ
قِلَّةٍ ، وَلَا لَأَنْتِي لَمْ أَجِدْ مِنْ أَعْيَانِ وَزُرَائِنَا وَكِتَابِنَا مَنْ هُوَ أَبْعَدُ غَايَةٍ ،
وَلَا أَبْهَرُ آيَةٍ ، وَلَكِنَّهُمْ أَسْنَدُوا إِلَى أَعْلَامِهَا . وَتَرَدَّدُوا بَيْنَ جَمِيعِهَا
وَجَمَامِهَا ، فَصَارُوا مِنْ أَهْلِهَا بِالْوِفَادَةِ عَلَيْهَا ، وَخَلَعِ أَوْطَانِهِمْ

إليها ؛ مع أن هذه الطائفة لم يسم إلا بالأندلس ذكرهم ، ولا طارَ
إلا بمدح ملوكنا شعرهم ؛ وكم في شعرائنا ممن عاصرني ولم أسمع
بذكره ، ولا وقع إلي شيء من شعره ، ولعله كان أخلق بأن يُذكر ،
وأحق بأن تُتلى آياته وتُسطر ، لكن يبلغ المرء جهده ، والإحاطة
لله وحده .

وقد أثبت أيضاً آخر هذا القسم طرفاً من كلام أهل المشرق ، وإن
كانوا لم يطرأوا على هذا الأفق ، حدّوا أبي منصور الشعالبي ؛ فإنه ذكر
في يتيمة نقرأ من أهل الأندلس فعارضته أو ناقضته ، والأدب ميسدان
يليق به المتاح ، ويستحسن فيه الجراح .

فصل في ذكر الأديب اللغوي أبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي ١ ،
وإثبات جملة من نظمه ونثره ، مع ما يتعلق من الأخبار السلطانية بذكره

هو صاعد بن الحسن بن عيسى ، البغدادي ثرية ، والطبري أصلاً ،
والزبمي نسباً ، ينتمي في ربعة الفرس ، وكان ٢ طالع على آفاق الجزيرة
في أيام المنصور محمد بن أبي عامر نجماً من المشرق غرب ، ولساناً عن

١ ترجمة صاعد في جذوة المقتبس : ٢٣٣ (بغية الملتبس رقم : ٨٥٢٣) والصلة : ٢٣٢
وإنباء الرواة ٢ : ٨٥ ومعجم الأدباء ١١ : ٢٨١ والمعجب : ٧٥ والوفيات ٢ : ٤٨٨
وشذرات الذهب ٣ : ٢٠٦ ونفع الطيب ٣ : ٧٧ (وصفحات أخرى متفرقة) وروضات
الجنات : ٣٢٣ وبغية الوعاة : ٢٦٧ وللمستشرق بلاشير بحث عنه في مجلة Hesperis
العدد الماشر ١٩٣٠ ص : ٢٨ .

٢ نقل المقرئ بعض هذا في النفع ٣ : ٩٥ .

العَرَبِ أَغْرَبَ . أَبْدَهُ مَنْ رَأَى وَسَمِعَ . وَأَذَكِي مَنْ طَارَ وَوَقَعَ .
فَأَرَادَ الْمَنْصُورُ أَنْ يُعْفِيَ بِهِ آثَارَ أَبِي عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيِّ الْوَافِدِ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ
قَبْلَتِهِ . وَهَزَهُ لِذَلِكَ فَأَلْفَى سَيْفَهُ كَتَمَهَا . وَسَحَابَهُ جَهَامًا : مِنْ رَجُلٍ
يَتَكَلَّمُ بِمَلٍ فِيهِ . وَلَا يُوثِقُ عَلَى مَا يَسْتَدِرُّهُ وَمَا يَأْتِيهِ .

وقد أجرى ابنُ حَيَّانٍ ذِكْرَهُ فَقَالَ : وَلَمَّا دَخَلَ قَرْطَبَةَ دَفَعَهُ
بِالْجُمْلَةِ عَنِ الْعِلْمِ بِالسُّلْطَانَةِ . وَأَبْعَدُوهُ عَنِ الثَّقَةِ فِي عِلْمِهِ وَعَقْلِهِ وَدِينِهِ .
وَلِذَلِكَ مَا رَضِيَهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا أَيَّامَ دُخُولِهِ إِلَيْهَا ، وَلَا رَأَوْهُ أَهْلًا لِلْأَخْذِ
عَنْهُ وَلَا لِلْإِقْتِدَاءِ بِهِ . وَغَرَّقُوا كِتَابَتَهُ الْمُرْجَمَ : « الْفُصُوص » ١ . فَهَا هُوَ
إِلَى الْيَوْمِ فِي نَهْرِهِمْ يَسْغُوصُ .

وقد أتيتُ أَنَا بِالسُّمَحِ مِنْ أَعَاجِيهِ ، وَأُورِدْتُ غَرَائِبَ مِنْ أَكَاذِبِهِ .
وَتَخَلَّلْتُ أَثْنَاءَ ذَلِكَ جُمْلَةً مِنْ نَظْمِهِ وَنَثْرِهِ . مَحْتًا يَشْهَدُ عَلَى ثُبُوتِ
قَدَمِهِ وَشُهْرَةِ تَقْدَمِهِ .

١ كتاب الفصوص فيما ذكره ابن حيان يحتوي على آداب وأشعار وأخبار (وبالقروين
نسخة جيدة منه) . وقد قرأ ابن حيان على مؤلفه في داره سنة ٣٩٩ (بدأ صاعد بتأليفه
سنة ٣٨٥ في ربيع الأول واكماله في شهر رمضان من العام نفسه) وعن ابن حيان اتصلت
روايته بابن حبر (فهرسة ابن حبر : ٣١٦) .

فصول من نثره في أوصاف شتى

اتصل أول دخوله الأندلس بالوزير عبد الله بن مسleme . فلما
نكسب استعطف له الوزير أبا جعفر بن الدب ليشفع له عند الخليفة سليمان
وخطابه في ذلك بعدة رسائل . فكانت رقي لم تنفع ، ووسائل لم تنجع [٣١] .

منها فصل يقول فيه : لما جمع الله طوائف الفضل عليك . وأذلق
بك الألسن ، وأرهف فيك الخواطر . ورفرف عليك طير الآمال ،
ونفضت إليك علائق الرجال . لم أجيد لابن مسleme حين عضه
الثقاف . وضاق به الخناق . وانقطع به الرجاء . وكبا به الدهر . ملجأ
غيرك . فعطفك على واله نبيه النحاس من سينة السعد ، وأيقظته
الآفات من رقدة الغفلة ، ورشقتة سهام الزمان بصنوف الامتهان ،
حتى لتنب المنية أمسية . وسمى الموت فتوتا . ومن لم يكتب له الدهر
سجيلا . ولا عقده أمانا . ولا أشهد على نفسه ثقة ، فليكن منه
على حذر . ومن نبوته على يقين الخبر . وليعلم أن اصطناع المعروف
يكافئ المرء في سمعه وبصره . ويلقاه في طريقه . ويتحول بينه وبين
مُحاربه ، ويجازيه في أهله وولده . ويصحبه في اغترابه عن بلدته .

وفي فصل منها : فحنانك عليه وعليّ فيه ، واذكر تعلق الآمال
به وتعلق أمليه بك . وحاجة الرؤساء إليه وحاجته إليك . وحشدت
لك القول ، والله تعالى خلق الدنيا بحرفين ، وإن الكلمة لتزقأ الدم ،
والرقية لتخرج الحيّة من مكمستها ، فإن خبست من طيلابك نثرا قلت
نظاما :

يا أحمد بن سعيد العليم الذي
أخذ العقباب من ابن مسleme الذي
لم تبق غير حشاشة إن أدركت
بيدك بعد الله فك إساره
فارحم أنين أبي بنات لم يصب
أسف الفراح على كفيل كاسب
فاجعله في يمني يدك فإنها
ما ذنبه إلا الزمان فإنه
كالمرأة الورها تنقض غزلها

أوفى فليحدثان عنه زليل
حكمت القضاء به وغالت غول
خلصت وإن أسلمت فهو قتل
وعليك في استنقاذ التعويل
ليد موعهن على الخدود مثل
أودى فليس لهن بعد كفيل
سور تحوط المستجير وغيل
رخو اليدين بمن يحب مكلول
والشاة تملأ قعبتها وتميل

وله من أخرى إلى مجاهد يصف ظهوره على خيران وأسرته
لجماعة من الصقلاب :

كتابي وأنا مستطار فرحاً ، ومستوفز مراحاً ، بالغادي والرائح علي
من البشائر التي تسمع الصم . وتنطق البكم ، بعدو نجاً بعد ما ظن
أن ليس ناجياً . وخنزواني^٢ أقبل في صفاده عانياً . صعباً من الله أسأله
ضارعاً أن يجعله عندك راسياً ، وعليك مخيماً ، فإن الذي آوي إليه من
تطوليك يبيدي ولوعاً ويغري بالزراع إليك . والنزوع نحوك . [وم] [ما

١ كان مجاهد صاحب دانية والجزائر وغيره صاحب المرية (بعد الفتنة حتى سنة ٤١٩) وقد
كانت تدور بين هذين الفتيين العامريين حروب أعرض عن ذكرها صاحب البيان المغرب
(٣ : ١٦٦) وانظر أعمال الاعلام : ٢١٢ .

٢ الخنزواني : الصلف المتكبر .

أُنشدته باليمن أبو الغزور^١ الأعرابي لنفسه وقد حجّ ابنه فقال يذكر
شوقه إليه :

ألا ليت لي غينان^٢ تطلّعان
على النأي أحياناً وتنصرفان
فإن كان خيراً سرّي وعرفته
وإن كان شراً ظلّتنا تكيفان

: ولما أتتني إحدى خرائطك الجزيلة ، وتبادرت التبشير باحتلال المركب ،
كاد الفرح يقضي عليّ ، وينزعُ التماسك من يدي . ولولا أنني ثبتتُ
التحيرة^٣ ، ومُحصّدُ المريرة ، لكنتُ كأمّ أبي مُزبد ، إذ بعثت إليه
يحيى بن خالد غلاماً ، فقال لها : يا أمه ! وهب لي يحيى « غ » قالت :
وما « غ » ؟ قال : لا قالت : وما « لا » ؟ قال : [« م »] وطبق
الميم على شفتيه ، فضرّطت ، فقال : الحمد لله ، لولا تقطيعُ الحروف
لخرت . فحضرتني إذأ عند ورودِ المال ما كتبتُ به :

أنتك الخريطة والمركب
فقالوا من الواهب المستقل
عقائل يعيا بها الحُسب
فقلت فتى أصفري^٤ التجار
يسروع به المشرق المغرب

... ..

١ كذا هو بالعين المعجمة في الأصل ، والأرجح أنه « الحزور » أو « العزور » - بالعين
المهمل - فهاتان الصورتان تردان في الأعلام .

٢ هذه هي لعة من يقول : « يا ليت عيناها لنا وفاها » .

٣ نحيرة الرجل (بالراء المهمل) : طبيعته .

٤ المشهور مزبد المدني أبو اسحاق صاحب النوادر الحارة (انظار الفوات ٤ : ١٣١ وله نوادر
كثيرة في كتب الأدب كالبيان والحيوان والبصائر ومحاضرات الراغب) .

٥ أصفري : من بني الأصفر ، وهم الروم بوجه عام .

يُحْكَمُكَ^١ أَسِيفَهُ بِالرَّدى
فَلَمَوْلَا شَجَاعَتُهُ مَا نَجَا
بَصِيرٌ بِتَوْسِيعِ سَبِيلِ الْفِرَارِ
إِذَا ضَاقَ بِالْمُرْهَقِ الْمَهْرَبِ

ومنها :

هَنَّاكَ أبا الجيش مَن جِيشُهُ^١
يَرْقُ^٢ عَلَيْهَا السَّنَانُ الْخَقُودُ
وَهُمْ يَخْضِبُونَ صُدُورَ الْقَتَا
وَلَمْ أَرَ مَن قَبْلِهِمْ فَارِسًا
إِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْكَبُوا يَرْكَبُوا
أَسَارَى كَأَنَّهُمْ الرَّبْرَبُ
وَيَرْحَمُهَا الصَّارِمُ الْمُغْضَبُ
وَأَنَّهُمْ بَصَّةٌ تُخْضَبُ
يَلِيْقُ بِهِ الْحَلَنِيُّ وَالْمُنْدَهَبُ
وَأِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْكَبُوا يَرْكَبُوا

ينظر هذا بناظرٍ مُريب . إلى قولِ حبيب^٣ :

قد جاعنا الرِّشَاءَ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ خِرْقًا وَلَوْ شِئْنَا لَقُلْنَا الْمَرْكَبُ

ومن أناشيد الشعالي في معناه^٤ : [٣٢]

ونساءً لمطمئنَّ مُقيمٍ وَرِجَالٌ إِنْ كَانَتْ الْأَسْفَارُ

وقوله « يرقّ عليها السنان » . . . البيت ، كقول بعض أهل العصر :

لعلّك يوماً ذاكري في مُلَمَّةٍ يَلِينُ بِهَا قَلْبُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقِيدِ

١ الهاء : الذي يطلي الجمال بالقطران .

٢ ص : يروق .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ١٤٢ .

٤ التمثيل والمحاضرة : ٢٢٤ .

وأراهُ قلبَ قول أبي الطيّب^١ :

وغيظَ على الأيتام كالنارِ في الحشا ولكنّه غيظُ الأسيرِ على القيّدِ

وأرى أبا الطيّبَ لمْ بعضَ الإمام . بقول أبي تمام^٢ :

يَلمَحُظُهُ في جِدهِ وهزليهِ لحظَ الأسيرِ حلقاتِ كَبَلِهِ

جملة أخبار نوادر ، جرت له مع المنصور بن أبي عامر

اجتمع^٣ عِنْدَ المنصورِ ابنُ أبي عامرٍ أعيانُ الأوان كالزبيديّ والعاصمي وابنِ العَرِيفِ^٤ ومَنْ سِوَاهِم ؛ فقال لهم المنصورُ : هذا الرَّجُلُ الوافِدُ علينا صاعد يزعمُ أَنّه متقدّم في هذه الآداب التي أنتم سُرُجُها الضّاحية ، وأهْلُتُها السّارية . وأحِبّ أن يُمتَحَنَ ما عِنْدَهُ . فوجّه إليه . ودخل المجلسُ قد احتفلَ فمُخِجل . فرفعَ المنصورُ مجلسَهُ وآتَسَهُ . وسأله عن أبي سعيدٍ السّيرافي ، فزعمَ أَنّه لقيَهُ وقرأ عليه كتابَ سيّويهِ . فبادرَهُ العاصميّ بالسّؤالِ عَنّ مسألةٍ من الكتاب ، فلمْ يحضُرْهُ فيها من جواب .

١ ديوان المتنبي : ٥٤٧ .

٢ ديوان أبي تمام : ٥٣٢ .

٣ النفع ٣ : ٧٧ وفيه بعض إيجاز .

٤ أبو بكر الزبيدي اللغوي المشهور صاحب طبقات النحويين ولحن العامة والاستدراك هل العين وغيرها ؛ والعاصمي هو محمد بن عاصم النحوي القرطبي (الجزء : ٧٤ والصلة :

٤٥٣) وابن العريف هو أبو القاسم الحسين بن الوليد (الجزء : ١٨٢) .

واعْتَذَرَ أَنْ النُّحُولِيسَ جُلَّ بَضَاعَتِهِ ، وَلَا رَأْسَ صِنَاعَتِهِ . فَقَالَ لَهُ الزَّيَّيْدِي :
فَمَا تُحَسِّنُ أَيْتَهَا الشَّيْخُ ؟ قَالَ : حِيفُظَ الْغَرِيبِ . قَالَ : فَمَا وَزَنَ أَوْلَتْقُ ؟
فَضَحِكَ صَاعِدٌ وَقَالَ : أَمِثْلِي يُسْأَلُ عَنْ هَذَا ؟ إِنَّمَا يُسْأَلُ عَنْهُ صِبْيَانُ
الْمَكْتَبِ . قَالَ الزَّيَّيْدِي : فَقَدْ سَأَلْنَاكَ ، وَلَا نَشُكُّ أَنَّكَ تَجْهَلُهُ . فَتَغْيَرُ
لَوْثُهُ وَقَالَ : « أَفْعَلْ » . قَالَ الزَّيَّيْدِي : صَاحِبِيكُمْ مُمَخْرِقٌ ! قَالَ لَهُ
صَاعِدٌ : لِإِخَالِ الشَّيْخِ صِنَاعَتُهُ الْأَبْنِيَّةُ ؟ قَالَ لَهُ : أَجَلٌ . قَالَ صَاعِدٌ :
وَبَضَاعَتِي أَنَا حِيفُظُ الْأَشْعَارِ . وَرَوَايَةُ الْأَخْبَارِ ، وَفَلَكَ الْمُعَمَّى . وَعَلِمُ
الْمُوسِيقَى . قَالَ فَنَظَرَهُ ابْنُ الْعَرِيفِ فَظَهَرَ عَلَيْهِ صَاعِدٌ ، وَجَعَلَ لَا يَتَجَرَّى
فِي الْمَجْلِسِ كَلِمَةً إِلَّا أَنْشَدَ عَلَيْهَا شِعْرًا شَاهِدًا ، أَوْ أَتَى بِحِكَايَةٍ تُجَانِسُهَا ،
فَازْدَادَ الْمَنْصُورُ عَجَبًا . ثُمَّ أَرَاهُ كِتَابَ النُّوَادِرِ لِأَبِي عَلِيٍّ فَقَالَ : إِذَا أَرَادَ
الْمَنْصُورُ أَمْلَيْتُ عَلَى مُقَيَّدِي خِدْمَتِهِ وَكُتَّابِ دَوْلَتِهِ كِتَابًا أَرْفَعَ مِنْهُ
قَدْرًا . وَأَجَلَ خَطْرًا . [لَا] أَدْخِلُ فِيهِ خَيْرًا مِمَّا أَدْخَلَهُ أَبُو عَلِيٍّ . فَأَذِنَ
لَهُ الْمَنْصُورُ فِي ذَلِكَ ، وَجَلَسَ بِجَامِعِ مَدِينَةِ الزَّاهِرَةِ يُعْمَلُ كِتَابَهُ الْمُرْجَمَ
: « الْفُصُوصُ » . فَلَمَّا أَكْمَلَهُ وَتَتَبَعَهُ أَدْبَاءُ الْوَقْتِ ، لَمْ تَمَرَّ فِيهِ كَلِمَةٌ زَعَمُوا
صِحَّتَهَا عِنْدَهُمْ . وَلَا خَبَرَ ثَبَتَ لَدَيْهِمْ . فَقَالُوا لِلْمَنْصُورِ : رَجُلٌ
[مُقْتَدِرٌ] عَلَى تَأْلِيفِ الْكُذْبِ . [. . .] مِنْ عِيُونِ الْأَدَبِ ، يُسْنِدُهَا إِلَى شَيْوِخٍ
لَمْ يَرَهُمْ وَلَا أَخَذَ عَنْهُمْ . حَتَّى لَمَّا تَهَمَّ كَلِّفُوا الْمَنْصُورَ أَنْ يَأْمُرَ بِتَسْفِيرِ
كَأَغْدٍ أَبْيَضَ وَتَغْيِيرِ بَهْجَتِهِ لِيَدُلَّ عَلَى الْقِيْدَمِ ، فَفَعَلَ وَتَرْجَمَ عَلَى ظَهْرِ
ذَلِكَ السُّفْرَ بِكِتَابِ « النَّكْتِ »^١ تَأْلِيفِ أَبِي الْغَوْثِ الصَّنْعَانِيِّ . فَتَرَامَى إِلَيْهِ
صَاعِدٌ حِينَ رَأَاهُ ، وَجَعَلَ يُقْلِبُهُ ، وَقَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ قَرَأْتُهُ بِالْبَلَدِ الْقُلَانِيِّ

١ العنبر - هند الاندلسيين والمغاربة - تجليد الكتب .

٢ ص : النكت ؛ وأثبت ما في النفع .

على الشيخ أبي فلان ، وهذا خطبه . فأخذه المنصور من يده خوفاً أن يفتحه . وقال له : إن كنت رأيتك كما تزعمُ فعلامَ يحتوي ؟ قال : ورأسك^١ لقد بعده عهدي به ولا أنص منه شيئاً ، ولكنه يحتوي على لغة منشورة لا يشوبها شعرٌ ولا خبَر . فقال له المنصور : أبعد الله مثلك ! فما رأيت الذي هو أكذب منك . وأمر بإخراجه وأن يُقدف بكتاب « الفصوص » في النهر ، وفي ذلك يقول بعض شعراء العصر^٢ :

قد غاص في البحر كتابُ الفصوص^٣ وهكذا كلُّ ثَقيلٍ يغوص

فجاوبه صاعداً بقوله :

عادَ إلى معدنه إنما تُوجد في قعر البحارِ الفصوص

قال ابن بسام : وما أحسب أن أحداً يجترأ على إخراج تصنيف ، وإبداء تأليف ، يضيق عنه التعديل ، ويدفع في صدره النقد والتحصيل . لا سيما وصاعداً علم أن قُرطبة — حسب ما ذكرنا — ميدانُ جِداد ، وبلدُ جِدادٍ وجِداد ؛ ولكنه اشترط غير المشهور ، فلم يظفروا منه بكثير ، وأعانهم هو على نفسه بما كان يفتق به من تنحليه وكذبه . ولم يكن عند ابن أبي عامر تحرير ولا بصَرٌ بالنقد مشهور ؛ وإلا فليس يخلو كتاب « الفصوص » المذكور من غريبة مسموعة ، ولا من فائدة راقية بديعة . ولكنه خبر وجدناه فنقلناه .

١ النفع : وأبيك .

٢ انظر أيضاً ابن خلكان ٢ : ٤٨٩ والملك السهل : ٢٥٣

٣ ابن خلكان : عنصره إنما يخرج من .

وَأَدْخِلْ^١ عَلَى الْمَنْصُورِ يَوْمًا وَرْدَةً^٢ فِي غَيْرِ أَيْتَامِهَا ، لَمْ تَسْتَتِمَّ^٣
فَتَحَ كَيْمَامِهَا . فَقَالَ فِيهَا صَاعِدٌ عَلَى الْارْتِجَالِ :

أَتَتُّكَ أَبَا عَامِرٍ وَرْدَةً يَتَذَكَّرُكَ الْمِسْكُ أَنْفَاسَهَا
كَعَذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فغَطَّتْ بِأَكْمَامِهَا رَاسَهَا

فُسِّرَ^٤ بِذَلِكَ الْمَنْصُورِ . وَكَانَ ابْنُ الْعَرِيفِ حَاضِرًا . فَحَسَدَهُ^٥ وَجَرَى
إِلَى مُنَاقَضَتِهِ . وَقَالَ لابْنُ أَبِي عَامِرٍ : إِنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَغَيْرِهِ . [٣٣]
وَقَدْ أَتَشَدَّيْتُهُمَا بَعْضُ الْبَغْدَادِيِّينَ بِمَصْرَ لِنَفْسِهِ . وَهُمَا عِنْدِي عَلَى ظَهْرِ
كِتَابٍ بِخَطِّهِ . فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَرْنِيهِ . فَخَرَجَ ابْنُ الْعَرِيفِ وَرَكِيبًا
وَجَعَلَ يَتَحَثَّ حَتَّى أَتَى مَجْلِسَ ابْنِ بَدْرٍ . وَكَانَ أَحْسَنَ أَهْلِ
وَقْتِهِ بَدِيعَةً^٦ . فَوَصَفَ لَهُ مَا جَرَى فَقَالَ :

عَشَوْتُ إِلَى قَصْرِ عَبَّاسَةٍ وَقَدْ جَدَّلَ النَّوْمُ حُرَّاسَهَا
فَأَلْفَيْتُهَا وَهِيَ فِي خَيْرِهَا وَقَدْ صَرَجَ السَّكْرُ أَنْفَاسَهَا
فَقَالَتْ : أَسَارَ عَلَى هَجْعَةٍ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى ، فَرَمَتْ كَاسَهَا
وَمَدَّتْ يَدَيْهَا إِلَى وَرْدَةٍ يُحَاكِي لَكَ الطَّيْبُ أَنْفَاسَهَا
كَعَذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فغَطَّتْ بِأَكْمَامِهَا رَاسَهَا
وَقَالَتْ : خَفِ اللَّهَ لَا تَتَفَضَّحَنَّ^٧ فِي ابْنَةِ عَمِّكَ عَبَّاسَهَا
فَوَلَّيْتُ عَنْهَا عَلَى عِفَّةٍ^٨ وَمَا خُنْتُ نَاسِي وَلَا نَاسَهَا

فَطَارَ ابْنُ الْعَرِيفِ بِهَا ، وَعَلَّقَهَا عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ بِخَطِّ مِصْرِيِّ^٩ ،

١ الخبر في جذوة المقتبس : ١٨٢ - ١٨٣ ونفع الطيب : ٣ : ٧٩ وبدائع البدائع : ٢٩٩
والريحان والريمان ١ : ١٥٤ / والشريشي ١ : ١١٨ - ١٢٠ .
٢ بدائع : مشرق .

وورئى وتحيّل بمداد أشقّر . ودخل بها على المنصور ، فلما رآها اشتدّ غيظاً على صاعيد وقال : غداً أمتهجته . فإن فضحه الامتحان . لم يبق في موضع لي فيه سلطان . فلما أصبح وجهه عنه بمجلس حقل . وقد أعدّ طبقاً فيه سقائيف من ضرّوب النواوير ، وصنع على السقائيف جوارى ياسمين ، وتحت السقائيف بركة ماء حصاها اللؤلؤ . وكان في البركة حيّة تسبح . فلما دخل صاعيد مثل الطبق بين يديه : فقال له المنصور : إن هذا يوم لما أن تسعد فيه معنا ، ولما بالصد عندنا ، لأنه قد زعم قم أن كل ما تأتي به دعوى . وقد وقعت من ذلك على حقيقة . وهذا طبق ما توهمت أنه مثل بين يدي ملك قبلي في شكله . فصيفه بجميع ما فيه . فقال صاعيد بديهة :

أبا عامر هل غير جدواك واكيف	وهل غير من عاداك في الأرض خائف
يسوق إليك الدهر كل عجيبة	وأعجب ما يلقاه عندك واصيف
وشائع نور صاغها هامر الحيات	عليها فمنها عبقر ورعارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت	عليها بأنواع الملاحى الوصائف
كمثل الطباء المستكنة كنساً	تظللها بالياسمين السقائيف
وأعجب منها أنهن نواظير	إلى بركة ضمت إليها الظرائف
حصاها اللآلي ، سابح في عباسها	من الرقش مسموم اللعابين زاحف ^٢
ترى ما تشاء العين في جنباتها	من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة ، وكتبها المنصور بخطه . وكان إلى

١ كذا في ص ، ولعلها « وضع » كما في النسخ .

٢ ص : راجف .

ناحية سقيفة فيها جارية^١ تجذف^٢ بمجاذف ذهب لم يرها صاعدا .
فقال له المنصور : أجدت إلا أنك لم تصيف^٣ هذه الجارية . فقال :

وأعجب منها غادة ^٤ في سفينة	مُكَلَّمَةٌ ^٥ تصبو إليها المهايف ^٦
إذا راعها موج من الماء تتقي	بسُكَّانِها ما أُنذَرَتْهُ العواصِفُ
مَنْ كَانَتْ الحَسَنَاءُ رُبَّانَ مَرْكَبٍ	تُصَرِّفُ ^٧ فِي يَمْنَى يَدَيْهَا ^٨ المَجَازِفُ
فلم تَرَ عَيْنِي فِي الْبِلَادِ حَدِيقَةً	تُنْقَلُّهَا فِي الرَّاحَتَيْنِ الْمَنَاصِفُ ^٩
وَلَا غَرَوُ أَنْ شَاقَتْ مَعَالِيكَ رَوْضَةً	زَهَّتْهَا أَزَاهِيرُ الرُّبَى وَالزَّخَارِفُ
فَأَنْتَ امْرُؤٌ لَوْ رُمْتَ نَقْلَ مُتَالِيعٍ	وَرَضَوَى ذَرَّتْهَا مِنْ سَطَاكِ الْعَوَاصِفُ
إِذَا قُلْتَ قَوْلًا أَوْ بَدَهْتَ ^{١٠} بَدِيهَةً	فَكِلْنِي لَهَا إِنِّي لِمَجْدِكَ وَاصِفُ

. فأمر له المنصورُ بألف دينارٍ ومائةِ ثوبٍ . ما بين غلائلٍ وطيقانٍ
وعماثم . وأجرى عليه المراتبَ من ذلك اليومِ ثلاثينَ ديناراً ، وألحقَ في
ديوان النَّدَاءِ مع زيادةِ الله بنِ مُضَرِّ الطَّبْنِيِّ وابنِ العَرِيفِ وابنِ التِّيَّانِيِّ^٦
وغيرهم . والحسدُ مَوْرُوثٌ ، وقديمٌ لا حديثٌ ، وليس في الحيوانِ ،
أخْبَثُ في ذاته من الإنسانِ .

١ ص : تقذف .

٢ النفخ : المهااتف .

٣ يدافع : تصرف في الكفين منها .

٤ النفخ : الوصائف .

٥ يدافع : طلبت .

٦ قد مر الحديث عن بني الطَّبْنِيِّ في القسم الأول من الذخيرة : ٥٣٥ وأما ابن التِّيَّانِيِّ فقد يكون هو
تمام بن غالب أبو غالب المرسِي اللُّغَوِي (الجذوة : ١٧٢ وأعاد الحميدي ذكر ابن
التِّيَّانِيِّ : ٣٨٠) .

وأذكر بفعلة ابن العريف في صاعدٍ بعض ما مُنيتُ أنا به في خبر
هذا التصنيف مع غير واحدٍ من أهلِ وقتي ، إذ سردتُ في بعضِ قصصه
كلامَ ابنِ حيانٍهيم ، وكان على ما تقدّم وصفه متكلمهم أوانهم ، فلما
أعوزني لفظه في بعض ما سُقت ، ولم أجده في كلِّ حديثٍ نسقت .
رجعتُ إلى تحيزتي ، واستمطرتُ غريزتي . وماؤها جامد ، ورماؤها
هاميد ، كما قال سابق :

أخلقتُ جِدَّتِي وبانَ شَبَابِي واستراحتُ عَوَاذِي من عِتَابِي

وأنا يومئذٍ بإشبيلية ، أنصرفُ مضطراً في بعض الأعمال السلطانية .
والكلامُ إذا لم يحككه قلبُ فارغ . ولم يسببكه لبُّ من ظلماء الشغل
بازغ^١ . لم يترقُ تطريزه . ولم يتفق لبريزه . وعلى ذلك لما اندرجتُ
لي فيه كلمات رائقات ، في أوصافٍ مُختلفات ، وبلغتُ فيه أمدَ المراد ،
بألفاظٍ أعيان ومعانٍ أفراد . انثالَ عليّ فيها الكلام . انثيالَ الغمام ،
قالوا : نعم ما صنّف ابنُ بسّام وأتقن . لو لم يستعين^٢ : وما أحسنَ
ما قصص^٣ ، لو لم يتلصص . ولله درهم [٣٤] فالدماء لا يزيدُ من القري^٤ .
وذُكاءُ لا تُضيء من الدرّي . بل درّ درّ أبي الطيّب من شاعرٍ نطق
بالبدي ، وجري على عيش جده الكندي ، فسبق^٥ : واستولى على الأمد
بقوله إذ صدق^٦ :

أتيتُ بمنطيقِ العربِ الأصيلِ وكان بقدرٍ ما أحسبتُ قيلي

١ ص : فارغ .

٢ الدماء : البحر ، والقري مجرى الماء في الخوض .

٣ ديوان المتنبي : ٣٣٤ .

٤ الديوان : عاينت .

فعارضته كلام^١ كان منه^٢ بمنزلة النساء من البعول
وليس يصح في الأوهام شيء^٣ إذا احتاج النهار إلى دليل

وجع :

وخرج المنصور مع صاعدي يوماً إلى رياض الزاهرة ، فمدّ يده إلى
شيء من الترنجان فعبث به ورماه إليه معرضاً أن يصفه فقال^١ :

لم أدري قبل ترنجان عبث به^٢ أن الزمرد فُضبان^٣ وأوراق^٤
من طبيبه سرق الأترج نكهته^٥ يا قوم حثي من الأشجار سراق^٦
كأنما الحاجب المنصور علمه^٧ فيل الجمل فطابت منه أخلاق^٨
من ليس بقعيد^٩ من سودد قدام^{١٠} ولا تقوم له في سواة ساق^{١١}

وله في الخيري^{١٢} :

بعث إليك من خير داري^١ محزمة كأوراق العقيق^٢
توكّل بالعزوف عن التصابي^٣ وتصطاد الخليج من الطريق^٤

وصاعيد القائل^٥ :

لي من سير بني العبة^١ أس خيل^٢ وجليس^٣
شهاد المتجد عليه^٤ أنه العليق^٥ النقيس^٦
فلذا جالسته^٧ لسم^٨ تدبر من منّا الجليس^٩

١ النفع ٣ : ٩٥ والبيان المغرب ٣ : ١٩ والثريشي ١ : ١٢١ .

٢ النفع : أغصان .

٣ النفع ٣ : ٩٧ والثريشي ١ : ١٢١ .

٤ الثريشي ٣ : ٤٣ .

وهذا كقول ابن زُرارة^١ :

لي صديقٌ . غَلِطْتُ ، بل لي مَوْلى
يُتَلَقَّى التَّقَاءَ رُوحَ رُوحٍ
ليسَ في الأرضِ مَنْ يُمَيِّزُ منا
عاشِقاً في اللِّقَاءِ من مَعْشُوقٍ
بِضُرُوبِ التَّقْيِيلِ والتَّعْنِيقِ

وقال^٢ :

قلتُ له والرقيبُ يُعْجِلُهُ
فمدَّ كَفّاً إلى تَرَائِبِهِ
مُودِعاً للفراقِ : أين أنا ؟
وقال سِرّاً وادِعاً فأنت هنا
وأُشدُّ المنصورُ يوماً قصيدةَ أبي نُؤَاسٍ « أجارة بيتينا أبوكَ غيورٌ »
فعرَّضَ عليه أن يعارضه . فأبى صاعداً من ذلك لإجلالِ لأبي نُؤَاسٍ .
فعرَّضَ عليه المنصورُ فأنشده مُتمِّتاً^٣ :

إنِّي لمستحيٍ عُسلاً لك من ارتجالِ القولِ فيه
مَنْ ليسَ يُدْرِكُ بالروية كَيْفَ يُدْرِكُ بالبدية

فلم ينفعه ذلك عنده . ومكثَ فيه بقيَّةَ يومه وليلته . وجاءه من الغد
فأنشده قصيدته التي أولها :

خِذَالِ البُرى ! إنِّي بكنَّ بصيرُ طوتكنَّ عني خُلُوسةٌ وقتيرُ

[ومنها] :

٢ النفع ٣ : ٩٧ والشريشي ٥ : ٣٧٨ .

١ الشريشي ٣ : ٤٣ .

٣ المصدر السابق .

٤ ص : جذال الشري .

وباتت كما باتت متهاة^١ خميطة
وقد أكلت أشلاؤه^٢ فكأنتها^٣
كما بغمت^٤ من شجوها أم^٥ واحد
للدن غدوة^٦ حتى صغت^٧ شمس يومها
تسوف^٨ ثراه^٩ عن مشق^{١٠} إهابه
لها جؤذر^{١١} عند الصرأة^{١٢} عتيير^{١٣}
مقسمة^{١٤} عند القيداح^{١٥} جزور
أنيح^{١٦} لها مثل^{١٧} الزجاج^{١٨} طريس
وفي أهرينها^{١٩} رنة^{٢٠} وزفير
كان^{٢١} أسابي^{٢٢} الدماء^{٢٣} عتيير^{٢٤}

قال ابن بسام : وصاعد^{٢٥} على تنايعه^{٢٦} في الكذب ، ولحاجته بين
الامتهان^{٢٧} وسوء الأدب ، قد أخذ بطرف من الترفيق ، وخلا بجانب من
لقم^{٢٨} الطريق ؛ ألا تراه كيف صرح^{٢٩} بالياس^{٣٠} ، عن شق^{٣١} غبار أبي نواس ؟
ولكن^{٣٢} ابن أبي عامر حملته على الغرر^{٣٣} ، وعرضه لسوء الخبر ، ولعله
ذهب إلى قول أبي الطيب^{٣٤} :

بلغت^{٣٥} بسيف الدولة^{٣٦} رتبة^{٣٧}
إذا شاء أن يلهو^{٣٨} بلحية^{٣٩} أحمت^{٤٠}
أنرت^{٤١} بها ما بين غرب^{٤٢} ومشرق^{٤٣}
أراه^{٤٤} غباري^{٤٥} ثم^{٤٦} قال له : الحق^{٤٧}

وذكرت^{٤٨} بهذا الخبر ما وُصف^{٤٩} عن أبي عبد الله بن شرف ، وذلك أنه
قال يوماً للمأمون بن ذي النون أيام خدمته^{٥٠} لبيته^{٥١} ، واستشفاه^{٥٢} صباية^{٥٣} عمره

١ ص : فكأنه .

٢ ص : نعمت .

٣ صفت : مالت ؛ ص : صفت .

٤ أسابي الدماء : طرائقها ؛ والعتيرة : أول ما ينتج ، كانت تقدم قرباناً لأصنامهم .

٥ التنايع : التماذي في اللجاجة .

٦ ديوان المتنبي : ٣٣٨ .

في ذراه . وقد أجروا ذكر أبي الطيب . فذهبوا في تأيينه كل مذهب :
 إن رأى المأمون - لا فارق العزّة والعلاء - أن يُشير إلى أي قصيدة شاء .
 من شعر أبي الطيب حتى أعارضه بقصيدة تُنسي اسمه . وتُعقّي رسمه .
 فتناقل ابنُ ذي النون عن جوابه . علماً بضيق جنابه . وإشفاقاً من فضيحتة
 وانتشابه . وألح أبو عبد الله حتى أحرّج ابنُ ذي النون وأغراه ؛ فقال له :
 دونك قوله : « لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي » . فخلا بها ابنُ شرف
 أيتاماً فوجد مركبتها وعراً . ومريرتها شتراً . ولكنه أبلى عذرا . وأرهق
 نفسه من أمرها عسراً . فما قام ولا قعد . ولا حل ولا عقّد . وسُئل
 ابنُ ذي النون بَعْدُ : أيُّ شيء أقصده إلى تلك القصيدة [٣٥] ؟ فقال : لأنَّ
 أبا الطيب يقول فيها : « بلغت بسيف الدولة النور » وأنشد البيتين . وهذه
 غريبة ولو صدرت عن أبي العباس المأمون . فضلاً عن مُتنزع لقبه
 يحيى بن ذي النون . وقيداً كتباً الحُمُوح . وذهبت بالباطل الريح . ولم
 يتندم من بنى على أسسه . ولا هلك من عرف قدر نفسه .

وقد حدثت أيضاً أن أبا علي بن رشيقي ناجى نفسه بمعارضة أبي
 الطيب في بعض أشعاره . وراطن شيطانه بالدخول في مضماره . فأطال
 الفكرة . وأعمل النظرة بعد النظرة . فاخترار من شعره ما لم يتطرّ ذكره
 ولا لحظاً قدره . فأدّاه جهده . وذهب به نقدُه . إلى معارضة
 قوله : « أمين ازديارك في الدجى الرقباء » ٢ . فبثّ عيونه . واستمد
 ملائكته وشياطينه . ولم يدع ثنية إلاّ طلعتها . ولا خبيثة إلاّ أطلعها ،

١ ص : المخط .

٢ ديوان المتنبي : ١١٤ ، وعجز البيت : « إذ حيث أنت من الظلام ضياء » .

ولا رويّةٌ إلاّ اتّسع لها فوسعها ؛ ثم صنع قصيدةً - فيما بلغني - رأى أنّها مادةٌ طيّبه . ومُنتهى طاقةٍ وسعيه ؛ ثم حكّم نقدّه . ورضي بما عنده ، فرأى أنّ قد قصّرت يداه . وقصّرت مداه . وعلم أنّ الإحسانَ كنزٌ لا يوجد بالطلب . وميدانٌ لا يستولي عليه التعصّب . وصان نفسه عن أن يحدث عنه بأن تكون الهرةُ أحزم منه .

وقد ذُكر عن صاعد . أنه افْتُضحَ في سرقة شعرٍ غير واحد من أهل تلك الآفاق ، من شعراء الشام والعراق ؛ إذ كان وردَ بها وهي بغُبارِ السّفَر ، فاشتهرَ بها في غير ما شعرٍ وخبر . منها قوله يصفُ إبريقاً قد ملئَ منه كأسٌ وبقيةٌ في فمه نقطةٌ لم تسقط ¹ :

وقهوةٍ في فمِ الإبريقِ صافيةٍ كدمعٍ مفجوعةٍ بالإلفِ معبارٍ
كأنَّ إبريقنا والراحُ في فمِهِ طيرٌ تناولَ ياقوتاً بمنقارٍ

فكانوا يولّعون بهذا التشبيه ، كما قاله - زعم - على البديع ، وإنما نقل لفظ أبي البركات العلوي ممّا أنشده الثعالبي ² :

كأنّما إبريقنا طائرٌ يحملُ ياقوتاً بمنقارٍ

أو قولَ أبي الفرج البَغْدَادِي من أرجوزةٍ خاطبَ بها الصّابي ³ :

كأنّما الحبةُ في مِنقارِها حَبَابَةٌ تطفو على عُقارِها

١ نفع الطيب ٣ : ٩٦ وبدائع البدائع : ٣٠٢ .

٢ اليتيمة ٤ : ٤٢٠ .

٣ اليتيمة ١ : ٢٧٠ .

وكان صاعداً مع ما قدَّمته من صفته بديع الجواب حاضره . طيَّب
المعاشره . فكبه المجالسة . مُمتعاً مُحسناً للسؤال . حاذقاً في استخراج
الأموال . دخل^١ على المنصور يوم أنس وقد تقدَّم واتخذ قميصاً من
رقاع الخرائط التي وصلت إليه فيها^٢ صلاته ولبسته تحت ثيابه . فلمَّا
خلا المجلس ورأى فُرصةً لما أراد . تجرَّد وبقي في القميص المخيط
من الخرائط . فقال له : ما هذا ؟ قال : هذه رِقايعُ صلاتِ مولانا اتخذتها
شِعاراً . وبكى ، وأتبع ذلك من الشكر بما استوفاه . فأعجيب به المنصور
وقال له : عندي مزيد .

وحكي عنه^٣ أنه لم يتحضر بعد موت المنصور مجلس أنس لأحدٍ
من وكلي بعده . وادَّعى وجعاً لتحقيق ساقته .

وكان صاعداً كثيراً ما يمدحُ بلادَ المشرق بمجلس المنصور ، ويُباهي
بأنخبارها ، ووصفِ أشربتها وأديارها ، فكتب الوزير أبو مروان عبدُ الملك
ابنُ شهيد^٤ إلى المنصور في يوم قرَّ بهذه الأبيات :

أما ترى بردَ يومينا هذا - صيِّرنا للكُمون أفذاذا
قد فُطرتُ صحةُ الكبودِ به - حتى لكادت تعودُ أفلاذا

١ القصة في انباء الرواة ٢ : ٨٦ بإيجاز .

٢ ص : فيه .

٣ انباء الرواة ٢ : ٨٧ .

٤ نفع الطيب ٣ : ٢٦٠ وبدائع البدائع : ٣٥٤ .

٥ هو الوزير عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك ابن شهيد والد الشاعر أبي عامر وأحد شيوخ
الوزراء في الدولة العامرية (الجذوة : ٢٦١) .

فادعُ بنا للشمولِ مُصطلياً نَغِيذٌ سِيراً إليك إغذاذا
 وادعُ المسمّى بها^١ وصاحبه تدعُ نَبِيلاً وتدعُ أستاذا
 لو مَعْبِداً أو غريضةً لحقاً لكان عن ذا وذاك أختاذا
 ولا تُبالِ أبا العلامِ زها بخمرِ قُطْرُبُلٍ واكلواذا
 ما دام من أرميلاطٍ مَشْرِبُنَا مِن^٢ دَيْرٍ عَمّا وطيزنا باذا^٣ ؟

وكان المنصورُ قد عزمَ ذلكَ اليومَ على الانفرادِ بالعيالِ . فأمرَ بإحضارِ
 الأصحابِ . وأحضرَ الوزيرَ أبا مروانَ . وأخذوا في شأنِهِم . فمرَّ لهم
 يومٌ مِمنَ الطَّيِّبِ لم يُشْهَدْ . وألونةٌ^٤ منَ اللّهُو لم تُعْهَدْ . وطما الأمرُ وسما
 حتّى تصايحَ القومُ وتزافنوا^٥ . ودارَ الدورُ . ثم انتهى إلى الوزيرِ ابنِ
 شُهَيْدٍ . وكان لا يُطِيقُ القيامَ لِنَقْصِ كَانِ يَلازِمُهُ . فأقامه الوزيرُ
 أبو عبدِ اللهِ بنُ عِيَّاشٍ ، فارتجلَ الشَّيْخُ أبياتاً جعلَ يَقودُ بها وَيُنشدُ :

.....

١ ص : به ؛ والضميرُ عائدٌ إلى « الشمول » يريدُ ادعُ من سمي بهذا الاسم ، وهو مَن اسمه
 « شمول » كما يتضح من البيت التالي .

٢ النفح : دع .

٣ أرملاط : (Guadimellato) ، يتردد ذكرها في عدة مواطن من البيان المغرب ؛ ولم
 يذكر دِيرَ عَمَى عند ياقوت والبكري والشابقي والروض المعمار . وذكر ياقوت دِيرَ عَمَانَ
 (ومعناه دِيرَ الجماعة) بنواحي حلب ، والتسمية مشبهةً أيضاً لدِيرَ عَمَى ، فإن كان في الاسم
 تحريفٌ فلعله « دِيرَ قَتَى » ؛ وطيزنا باذا : منزلةٌ للهو بين الكوفة والقادسية يتردد ذكرها
 في شعر أبي نواس مع قطربل واكلواذى .

٤ التزافن : الرقص .

٥ النفح ٣ : ٢٦١ وبدائع البدائه : ٣٥٥ واسم الوزير الذي أنهض ابن شهيد : « أبو عبد
 الله بن عباس » وانظر القسم الأول : ٢١٠ .

هالك شيخ قاده عذر^١ لكا
 لم يبطن يرقصها مستشبتاً
 عاقه من هزها معتدلاً^٢
 طرب اللهو وقد حق له
 من وزير فيهم رقاصة
 أنا لو كنت كما تعرفني
 فهقه الإبريق مني ضحكاً
 قام في رقصته مستهليكا
 فأنشئ يرقصها مستمسكا
 نقرس^٣ أنحي عليه فاتكا
 طرباً أرمضه^٤ حتى اشتكى [٣٦]
 قام سين^٥ طيب^٥ يناغي مليكا
 قمت لإجلال^٥ على رأسي لكا
 ورأى ريشة رجلي فبكى

وكان أيضاً في أصحاب ابن شهيد رجل^١ بغدادي يعرف بالككه .
 له نوادر تضحك . فحضر معه في بعض مجالس الأنس . وقد ألح عليه
 وجع النقرس فجعل يصلي الصلوات كلما حانت واحدة بعد أخرى
 جالساً ، وكان عنده ذلك اليوم أحد أصحاب المنصور ممن يعز عليه
 ويكرم لديه . فلما حمي الوطيس . وأنس الخليس . وطاب المجلس .
 ودارت الأكؤس . ونُسييت أوجاع النقرس . وقام ذلك الصاحب
 الخليس يرقص . ودار الدور حتى انتهى إلى ابن شهيد . فقام يرقص
 معتمداً على عادته . فقال له البغدادي : لله درك يا وزير ! تصلي بالقاعدة
 وترقص بالقائمة ! فطاب المجلس بهذا الكلام ، وتم حسنه أكمل تمام ،

.....

١ ص : له .

٢ النفع والبدايع : منفرداً .

٣ ص : أمرضه .

٤ النفع والبدايع : قام للسكر .

٥ النفع : بالفكيك .

وخلع ابن شهيد على الكك ، وانتهى الخبر إلى المنصور ، فذهب به كل مذهب الضحك .

وكان ابن أبي عامر كثيراً ما يرتاح إليه ، ويوالي الإحسان عليه ؛ انصرف مرة من غزوة تختلف عنها ابن شهيد لعذره ، فكتب إليه من جملة أبيات^١ :

أنا شيخٌ والشيخُ يَهْوَى الصبايا فبنفسي أقيك كل الرزايا
ورَسُولُ الإله أسهَمَ في الفِي لمن لم يَحْثَ فيه المطايا

فأجابه ابن أبي عامر :

قد بعثنا بها كشمسِ النهارِ في ثلاثٍ من المتها أبكاري
وامتحننا بعُدَّةِ الغيدِ إن كُنْ تَتَوَخَّي^٢ بَوَادِرِ الاعْداري
فاتنْدُ واجتهد^٣ فلنلكَ شيخُ قد جلا الليل عن بياضِ النهارِ^٤
صانك الله من كلالِكَ فيها فعن العارِ كَلَامَةُ الميسمارِ

فاقتضهن الشيخ من ليلته . وكتب إليه بكرة :

١ الحلقة ١ : ٢٧٦ والنفع ١ : ٤٠٠ ٥٨٥٠٠ والبيان المغرب ٢ : ٣٠٠ وتحفة العروس : ٨٤ (عن اللخيرة) .

٢ النفع : ترجمي .

٣ النفع : فاجتهد وابتدر .

٤ الحلقة : خفي الليل عن بياض النهار .

قد فضّضنا خيتامَ ذاك السوار^١ واصطبغنا مِن النجيع البحاري
وصبّونا في ظيلٍ أطيبٍ عيشٍ^٢ ولعينا بالدُّرِّ أو بالدَّراري
وقضى الشيخُ ما قضى بحُسامٍ ذي مضاءٍ غضبٍ الظُّبا بتار
فاصطنعته فليس يتجزّيك كُفراً واتَّخِذهُ فحلاً على الكفار

وأهدى له ابنُ أبي عامرٍ محفّةَ خيَزُرانٍ إذ نُقِرْسَ ، فقال :

للهِ نفسُكَ فتَهيَ أزْكى الأنفُسِ عقدتُ علاها بالجواري الكُنُوسِ
عُنيتُ بحالي كأنها حتى لقد عُنيتُ مكارمُها بعلّةٍ نِقِرْسِ
فتخَيَّرتُ لي إذ شككتُ قدسي الوَني عليها مطيّةَ رحلةٍ لم تُحبسِ
لا في العِناق ولا الشَّواحجِ تنتهي نَسباً ولا هي بالأمون العِرْمَسِ
إن أهديتُ لم تنبعتُ أو أجهدتُ لم تعتذرْ أو أخرجتُ لم تُشمسِ
محبوكةٌ من خيَزُرانٍ مائسٍ لَدنٍ مهزّته كَرِيمِ المَغْرَسِ
ويتحفّتي فيها إذا استمطّيتُها بيضُ الوجوه هباتُ أرواحِ أشوسِ

ودخلَ صاعداً يوماً على المنصورِ فلما وصلَ إليه ، وجد عوداً بين يديهِ . فقال له المنصورُ : قد تواتر الخبرُ ، وتحدّثَ عنك البشّرُ : أنّك فَرَدْتَ في علمِ الموسيقى . وقد أردتُ غيرَ مرّةٍ الانبساطَ معك سراً في ذلك . فشقَّ الأمرُ على صاعدي هُنالك . ولم يتجيدَ من مَحيدٍ عن أخليّ العود ،

١ هكذا في الأصل والمصادر . وقد تكون قراءته « السوار » وهو وعاء المسك ، كما قدر ذلك محققو الطبعة المصرية .

٢ النفح : وصبرنا على دفاع وحرب ؛ الحلة : ونمنا في ظل أنعم ليل .

فَتَنَاوَلَتْهُ وَجَسَّ أَوْتَارَهُ وَسَوَّى تَسْوِيَةً أَطْرَبَتْ ابْنَ أَبِي عَامِرٍ ، ثُمَّ اندفع
يُنْشِدُهُ بَيْتِي مَجْنُونٍ بَنِي عَامِرٍ :

أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حَبَّتْهَا عَامِرِيَّةٌ لَهَا كُنْيَةٌ عَمَرُو وَلَيْسَ لَهَا عَمَرُو
تَكَادُ يَدَيَّ تَنْدَى إِذَا مَا لَمَسْتُهَا وَيَنْبْتُ فِي أَطْرَافِهَا^٢ الْوَرَقُ الْخُضْرُ

فَغَضِبَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ وَتَسَوَّرَ ، لِتَوَهْمِهِ أَنَّهُ عَرَضَ بَحْثِي ، وَقَالَ لَهُ :
يَا أَبَا الْعَازِدِ ، أَبَا الْإِخْوَةِ عَرَّضْتَ أُمَّ بِالْأَبْنَاءِ ؟ وَهَذِهِ إِشَارَةٌ رَئِيسِ أَنْفٍ
مَنْ أَنْ يَجَابُوهُ ، عَلَى مَغْزَى مَا خَاطَبَهُ ، فَأَخْرَجَ الْجَوَابَ عَلَى التَّذْكِيرِ ،
هَمَّةً لِإِمَامٍ غَيُورٍ .

وَذَكَرْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الرُّوَاةِ عَنِ الْمُعْتَصِمِ أَنَّهُ قَالَ
يَوْمًا لِلْقَاضِي ابْنِ أَبِي دَوَادٍ : أَتَعْلَمُ أَنَّ أَبَا دُلْفٍ^٣ مِنَ الْمُغْتَنِينَ الْأَفْرَادِ ، وَإِنْ
كَانَ مِنَ الشُّجْعَانِ الْأَنْجَادِ ؟ قَالَ الْقَاضِي : فَكَيْفَ بِسَمَاعِهِ ؟ فَأَحْضَرَهُ الْمُعْتَصِمُ ،
وَحَبَأَ ابْنَ أَبِي دَوَادٍ ، وَعَزَمَ عَلَيْهِ فِي الْغِنَاءِ . فَلَمَّا اندَفَعَ يُغْنِي هَتَكَتِ
السَّتَارَةُ . فَخَجِلَ أَبُو دُلْفٍ وَقَالَ : أَجْبِرُونِي أَعَزَّ اللَّهُ الْقَاضِي . قَالَ لَهُ
ابْنُ أَبِي دَوَادٍ : يَا مَاجِنُ ، هَبْنَهُمْ أَجْبِرُوكَ عَلَى أَنْ تُغْنِي فَمَنْ أَجْبَرَكَ عَلَى
الْإِحْسَانِ ، فَقَالَ أَبُو دُلْفٍ : وَيَرِيئُنِي مِنْكَ أَيُّهَا الْقَاضِي مَعْرِفَتُكَ بِمَحَاسِنِ
الْأَلْحَانِ وَتَأْلَافِ الْأَوْزَانِ ! !

١ ديوان المجنون : ١٣٠ ويرد البيتان في قصيدة أبي الصخر الهذلي (الأمازي : ١ : ١٤٨) وورد

الثاني وحده لأبي الصخر في شعر الهذليين ٢ : ٩٥٧ .

٢ ص : أوراقها .

٣ هو القاسم بن عيسى بن إدريس المجلي ، وانظر عن شهرته في الشعر والغناء زهر الآداب :

١٠٦٧ والأغاني ٨ : ٢٤٦ والحكاية فيه ص : ٢٤٩ بالمعنى دون اللفظ .

وكان صاعداً [كثيراً] ما تُستغربُ له الألفاظُ ويُسألُ عنها فيُجيبُ عن ذلك أسرعَ جَواب . على نحوِ ما يُحكى عن أبي عمر^١ الزاهد . ولولا أنه كان كثيرَ المزاحِ لما [٣٧] حُمِلَ إلّا على الصدق . دَخَلَ^٢ يوماً على المنصور وبيده كِتَابٌ وردَّ عليه من عاملٍ له اسمه مَيْدَمَان^٣ بن يزيد من أهل يابُرة ، يذكرُ فيه القلبَ والتزبيل^٤ وما عندهم من مُعَاناةِ الأرضِ قبل زرعها^٥ ، فقال له : يا أبا العلاء . وقعَ إليّ من الكتبِ كتابُ القوالِبِ والزَّوَالِبِ لميدمان بن يزيد . قال : نعم رأيتُه في نُسخةِ أبي بكرٍ بن دُرَيْدٍ بخطِّ كأكْرُجِ النَّمْلِ . في جوانبها علاماتُ الوُضَّاعِ^٦ . فقال له : أما تَسْتَحْيِ مِنْ هذا الكذبِ ! ! هذا كتابُ عامِلينا ببلدِ يابُرةَ ، يُعَلِّمُ بالذي تقدّمَ ذكرُه من صِفَةِ الأرضِ ، وإنما صنعتُ هذا تَجَرُّبَةً لك . فجعلَ يحلِفُ أنه ما كَذَبَ وأنه أمرٌ وافق .

وقال^٧ له المنصور يوماً : ما الخنِشار في اللغة ؟ قال : حَشِيشَةٌ يُعَقَدُ بها اللبُّ بباديةِ الأعراب . وفي ذلك يقول شاعرهم :

.....

١ ص : أبو عامر ؛ أبو عمر الزاهد هو محمد بن عبد الواحد اللغوي غلام ثعلب (- ٣٤٥) وكان جماعة يكذبونه في أكثر رواياته ، وكان الطلبة يسألونه أسئلة مصنوعة ملفقة كتلك التي امتحن بها صاعد (انظر انباء الرواة ٣ : ١٧١ - ١٧٧ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى) .

٢ القصة في الجذوة : ٢٢٤ والنفع ٣ : ٩٨ .

٣ الجذوة والنفع : مبرمان .

٤ ص : والتزبيل .

٥ ص : زراعتها .

٦ زاد في الجذوة : هكذا ، هكذا .

٧ نفع الطيب ٣ : ٨١ .

لقد عَقِدَتْ محبتها بقلبي كما عَقِدَ الحليبُ بخنْشَارِ
وقال له^١ مرّةً وقد قدّمَ طبقٌ فيه تمرٌ : ما التّمسّركلُ في كلامِ العربِ ؟
[فقال] : يُقالُ تَمسّركلَ الرجلُ تمرْكُلاً إذا التّف في كسائه .

وكان مع ذلك عالماً ؛ حدّث العاصميّ النحويّ قال^٢ : لما سألناه مراراً
عن مسائلٍ من النحويّ بحضرةِ المنصورِ فقصرَ فيها ، قال ابن أبي عامرٍ :
فلأنّه من طبّقني في النّحو أنا أناظره . ثمّ سألنا صاعداً يوماً فقال : ما معني
قولِ امرئ القيسِ :

كأنّ دِماءَ الهاديّاتِ بنَحْرِهِ عَصَارَةُ حَنْئَاءٍ بِشَيْبِ مُرْجَلٍ

فقلنا هذا واضح ، وإنّما وصف فرساً أشهبَ عَقُرت عليه الوحشُ
فتطايّرَ دَمُها إلى صدرِهِ فجاء هكذا . فقال صاعداً : سبحان الله ! أنسيتم
قوله قبلَ هذا في صِفَتِهِ :

كَمَيِّتٌ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمَتَنَزَّلِ

قال فبهتنا وكأنا لم نقرأ البيّتَ قطّ ؛ وقد اضطررنا إلى سؤالِهِ ،
فقال : إنّما عني أحدَ وجهين : إمّا أنّه نَضِجَ صدرُهُ بالعرقِ وعرقُ الخيلِ
أبيضُ ، فجاء مع الدم كالشّيبِ ، وإمّا أشياء كانت العربُ تصنعها وذلك

.....

١ الجلوة : ٢٢٥ والنفع ٣ : ٨٢ .

٢ الجلوة : ٢٢٥ .

٣ فانت هذه الملاحظة شراح المعلقة ، فقد قال ابن الأنباري (الصبح الطوال : ٩٢) أراد أنّه
يلحقها فيطمعنا فتصيب دماؤها نحره ، وقوله : بشيب رجل : معناه بشيب قد غسل منه
الحناء فرجل .

أنها كانت تسمُّ باللبنِ الحارِّ في صدرِ الخيلِ فيستمتعُ ذلك الشعرُ ،
ويُنبتُ كأنه شعرٌ أبيضُ ، فأبنا ما عني من أحدِ الوجهين فالوصف مستقيم .

وكان^١ لابن أبي عامرٍ فتيٌ يُسمَّى فاتناً أوحداً لا نظيرَ له في علمِ كلامِ
العربِ ، وكلِّ ما يتعلقُ بالأدبِ ، فناظرَ صاعداً بين يديه ، فظهرَ عليه ،
وبكته حتى أسكتته ، فازداد المنصور به عجباً ؛ وكان فاتنٌ حسنَ الخطِّ ،
واسعَ المعرفةِ ، فصيحَ اللسانِ ، حاضرَ الجوابِ ، إلى عفافِ طمعةٍ ،
ونزاهةِ نفسٍ ، وجمالِ صورةٍ . وكان ممن تُباهي الملوك بخدمتهِ ،
وتستريح إلى حلامه . وتوفي هذا الفتي فاتنٌ سنة اثنتين وأربعمائة ، وبيعت
في تركته قطعةٌ دفاترٍ أدبيةٍ حسنةِ الضبطِ دلَّت على جودَةٍ عنايته . وكان
منقاداً لما نزل به من المُثُلَةِ ، فلم يتخذ النساء ولا كشافنَ له عورةٍ .

وكان في ذلك الزمانِ بقرطبةَ جُملةٌ من الفتيانِ المجابيبِ ، ممن أخذَ
من الأدبِ بأوفرِ نصيب . ورأيتُ تأليفاً لرجلٍ منهم يدعى بحبيبٍ مترجماً
؛ « كتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكرَ فضائل الصقالبة » وذكرَ فيه
جُملةٌ من أشعارهم ونوادر أخبارهم . منهم عمارةُ الصَّقَلبي الفتي
الكبير ، والصَّقَلبي ميسور ، ، ونجمُ الوصيف ، وغيرهم ممن يشتملُ
عليه ذلك التصنيف ، وشعرهم خارجٌ من شرطِنا ، وليس مِن جماعتِنا .

ومن^٢ عجائب الدنيا الغريبةِ الوقوع ، العجيبة المسموع ، أن صاعداً
أهدى إلى المنصور يوماً إيتلا وكتب معه بأبياتٍ يقول فيها :

١ نفع الطيب ٣ : ٨٢ .

٢ الجذوة : ٢٢٦ والنفع ٣ : ٨٢ والأبيات أيضاً في انباه الرواة ٢ : ٨٨ والمعجب : ٨٢
والريحان والريمان ١ : ١٥٤ ب .

يا حيرزَ كلِّ مخوفٍ وأمانَ كلِّ مُشرَّدٍ ومُعِزَّ كلِّ مُذَلَّلٍ
عَبْدٌ جَذَبَتْ بِضَبْعِهِ وَرَفَعَتْ مِينُ مِقْدَارِهِ^١ أَهْدَى إِلَيْكَ بِإِيْلٍ
سَمَّيْتُهُ غَرَسِيَّةً^٢ وَبَعَثْتُهُ فِي حَبْلِهِ لِيُتَنَاحَ فِيهِ تَفَاؤُلِي

فَقَضِي فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ أَنْ غَرَسِيَّةَ بَنِ شَانِجُهُ مِنْ مُلُوكِ
الرُّومِ . وَهُوَ أَمْنَعُ مِنَ النَّجُومِ . أُسِرَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَعْيِنَهُ الَّذِي بَعَثَ فِيهِ صَاعِدٌ^٣
بِالْإِيْلِ وَسَمَّاهُ غَرَسِيَّةً عَلَى التَّفَاؤُلِ بِأَسْرِهِ . وَكَانَ أُسْرُهُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ^٤
سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَهَكَذَا يَكُونُ الْجَدُّ لِلصَّاحِبِ وَالْمُصْحُوبِ .

وَدَخَلَ^٥ يَوْمًا صَاعِدٌ عَلَى الْمَنْصُورِ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ . وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ جُدْدٌ^٦
وَحُفَّتْ طَرِيٌّ ، فَمَشَى عَلَى حَاشِيَةِ الصَّهْرِيحِ لِازْدِحَامِ مَنْ حَضَرَ فَتَزَلَّقَ
وَسَقَطَ فِي الْمَاءِ ، فَضَحَكَ الْمَنْصُورُ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ . وَكَادَ الْبَرْدُ يَأْتِي عَلَيْهِ .
فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ [٣٨] أَمَرَ بِإِخْلَاعِ ثِيَابِهِ لَهُ ، وَأَدْنَى مَجْلِسِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا
الْعَلَاءِ هَلْ قُلْتَ فِي سَقَطَتِكَ شَيْئًا ؟ فَأَطْرَقَ ثُمَّ قَالَ :

شَيْثَانٍ كَانَا فِي الزَّمَانِ غَرِيبَةً^٧ ضَرَطُ ابْنٍ وَهَبٍ ثُمَّ زَلْفَةٌ^٨ صَاعِدٍ
فَاسْتَبْرَدَ مَا أَتَى بِهِ ؛ وَكَانَ الْكَاتِبُ أَبُو مَرْوَانَ الْجَزِيرِيُّ حَاضِرًا ، فَقَالَ
لَهُ : يَا أَبَا الْعَلَاءِ هَلَّا قُلْتَ :

١ المعجب والجدوة : نشلت بضبعه وغرسته في نعمة .

٢ الجدوة : ربيع الآخر .

٣ نفح الطيب ٣ : ٥٩ والمغرب ١ : ٣٢٢ .

٤ النفح : وقعة .

سُروري بغُرَّتكَ المَشْرِقةُ* ودِيمةَ راحتِكَ المَغْدقةُ*
 ثنائيَ نَشْوانٍ حتَّى هَوَيْتُ في لُحْجَةِ البِركةِ المَطْبقةِ*
 لئن ظَلَّ عَبْدُكَ فيها الغَرِيقَ فجوْدُكَ من قَبْلِ ذَا أَغْرَقَتْهُ

فقال له المنصور : لله ذرُّك يا أبا مروان ، قيسناك بأهل العِراق
 ففَضَّلَتْهُمْ فبِمَنْ تُقاس بعد ! فأَمِضْ الجزيريُّ للشرطة .

وقد فرَّق^١ حدائقُ النَّظَرِ بينَ البَدِيةِ والارتجالِ ، فجعلوا الارتجالَ
 ما كان على طريق الانهمارِ والتدفقِ لا يتوقَّفُ فيه قائلُهُ ، كالذي وقع
 للفرزدقِ إذ أمرَه سُلَيْمانُ بن عبدِ الملكِ بضَرْبِ عُنُقِ أُسَيرِ رُومِي ،
 ودَسَّ إليه بعضُ بني عَبَسَ سَيْفًا كَهَامًا فَنَبَا حينَ ضَرْبِ به . وَضَحِكَ
 سُلَيْمانُ . فقالَ الفرزدقُ^٢ :

فإنَّ يَلِكُ سَيْفُ خانٍ أوْ قَدَرُ أبي لتأخِرِ نَفْسٍ حَسْبُهَا^٣ غيرُ شاهدٍ
 فسيفُ بني عَبَسَ وقد ضربوا به نَبَا بِيَدِي وَرِقاءُ^٤ عن رأسِ خالِدٍ
 كذلكَ سيوفُ الهندِ تنبُو ظُبائِها ويَقْطَعْنَ أحيانًا مَساطَ القلائِدِ
 ولو شئتُ قَطَّ السيفُ ما بينَ أنْفِهِ إلى عِلْقِ دونَ الشراسيفِ جاسِدِ

ثم جلس وهو يقول * :

١ متابع للمدة ١ : ١٨٩ .

٢ انظر إلى جانب المدة : طبقات ابن سلام : ٤٠٠ والنقائض : ٣٨٤ .

٣ ابن سلام : حتفها .

٤ هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي ، ضرب خالد بن جعفر بن كلاب فلم تؤثر فيه الضربة .

٥ النقائض : ٣٨٣ وابن سلام : ٤٠٢ .

ولا نَقْتُلُ الأَسْرَى ولكن نَفُكِّهِمْ إِذَا أَثْقَلَ الأَعْنَاقَ حَمْلُ المَغَارِمِ .

ومن غريبِ البَدِيةِ بِخَبَرِ حَبِيبٍ ، مع الكِنْدِيِّ بِعَتَقِ ، وقد
أَنشَدَ أَحْمَدُ بْنُ المَعْتَصِمِ^٢ قَوْلَهُ :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ خَالِدٍ فِي حِلْسِمِ أَحْنَفَ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ

فَقَالَ لَهُ الكِنْدِيُّ : مَا صَنَعْتَ شَيْئاً فَلَنْ الأَمِيرَ أَفْضَلَ مِمَّنْ ذَكَرْتَ ،
وَمَا هَؤُلَاءِ وَقَدَرُهُمْ ؟ فَأُطْرِقَ ثُمَّ قَالَ :

لَا تُشْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَن دُونَهُ مَثَلًا شَرُّو دَا فِي النَّدَى وَالبَاسِ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الأَقْلَ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ العَشِشِ كَاةٍ وَالنَّبِشِ رَاسِ

فَتُعْجِبَ مِنْ بَدِيعَتِهِ يَوْمئِذٍ لِأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا مُصَنَّعًا لَا يَجِبُ أَنْ
يَكُونَ هَذَا فِي طَبْعِهِ . وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الكِنْدِيَّ لَمَّا خَرَجَ حَبِيبٌ قَالَ : أَرَى
هَذَا الْفَتَى يَمُوتُ شَابَتًا لِأَنَّ ذِكَاةَهُ يُنَحِّتُ عُمُرَهُ كَمَا يَأْكُلُ السِّيفُ الصَّقِيلُ
غِيمَتَهُ . فَكَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، مَاتَ وَقَدْ نَيْتَفَ عَلَى الثَّلَاثِينَ . وَكَانَ أَبُو الطَّيِّبِ
كَثِيرَ البَدِيةِ لِأَنَّهُ شِعْرَهُ نَازِلٌ فِيهِ . وَأَهْلُ الشَّعْرِ فِي ذَلِكَ فِي سَعَةِ مِنَ
العُدْرِ . إِذْ هُوَ كَمَا قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ^٣ :

نَارُ الرُّوِيَّةِ نَارٌ جِدَّةٌ مُنْضِجَةٌ وَلِلْبَدِيةِ نَارٌ ذَاتُ تَلْوِيحِ
وَقَدْ يُفْضِلُهَا قَوْمٌ لِسُرْعَتِهَا لَكِنَّهَا سُرْعَةٌ تَحْضِي مَعَ الرِّيحِ

١ العمدة ١ : ١٩٢ وانظر أخبار أبي تمام : ٢٢٠ - ٢٣٢ .

٢ ص : المأمون .

٣ العمدة ١ : ١٩٣ وديوان ابن الرومي : ٥٦٧ وبدائع البدائع : ٩ والشريشي ١ : ١٢٢ .

وقال ابن المعتز^١ :

والقولُ بعدَ الفكرِ يؤمنُ زبغُه شَتانَ بينَ رويّةٍ وبديهِ

ومن الشعراء^٢ مَنْ شعرُه فيهما وعندَ الأَمْنِ والخوفِ سَواءٌ . بمقدارِ
قُدْرَةِ كُلِّ أَحَدٍ ، وسُكُونِ جَأَشِهِ ، وقُوَّةِ غَرِيزَتِهِ . كهُدْبَةِ بنِ
الخَشْرَمِ ، وطَرْفَةِ بنِ العَبْدِ ، ومُزَّةِ بنِ مَحْكَانَ السَّعْدِيِّ ، إذْ يقولُ
وقد أمرَ مُصَنَّبُ بنُ الزُّبَيْرِ بقتله^٣ :

بني أسدٍ إنْ تَقْتُلُونِي تُحَارِبُوا تَمِيمًا إذا الحَرَبُ العَوَانِ اشْمَعَلَتْ
ولستُ وإنْ كَانَتْ إِلَيَّ حَبِيبَةً بِبِسَاكِ عَلَى الدُّنْيَا إذا مَا تَوَلَّتْ

وكعبِندٍ يَغُوثٌ إذْ أُعْطِيَ فِي نَفْسِهِ لِبَنِي تَمِيمٍ أَلْفَ نَاقَةٍ فَأَبَوْا إِلَّا
قَتْلَهُ ، وَكَانُوا قَدْ شَدُّوا لِسَانَهُ خَوْفًا مِنَ الْهَجَاءِ ، فَعَاهَدَهُمْ فَأَطْلَقُوهُ لِيُنَوِّحَ
عَلَى نَفْسِهِ . فَقَالَ الْقَصِيدَةُ الَّتِي أَوَّلَهَا^٤ :

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ أَمْعَشَرَ تَمِيمٍ أَطْلَقُوا عَنْ لِسَانِيَا
فِيَا رَاكِبًا لِمَتَا عَرَضَتْ فَبَاتَخَنُ نَدَامَايَ مِمَّنْ نَجْرَانُ إِلَّا تَلَاقِيَا
وَتَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ السَّدُوسِيُّ^٥ وَكَانَ قَامَ بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ ، وَاجْتَمَعَ

١ الممعة : ١٩٣ وبدائع البدائنه : ٩

٢ لا يزال متابعاً للممعة ١ : ١٩٣ .

٣ الكامل ١ : ١٩٩ .

٤ هي المفضلية رقم : ٣٠ وانظر النقائض ١ : ١٧٣ والبيت الذي أورده ليس مطلقاً لها .

٥ مع أن الإشارة إلى الخبر والأبيات قد وردت في الممعة ١ : ١٩٤ - ١٩٥ إلا أن المؤلف

هنا يتابع زهر الآداب : ٨٧٤ .

إليه الأعرابُ وغلظَ أمرُهُ ، فظُفِرَ به وحُمِلَ إلى بابِ المعتصم ، فلما
 مشَلَ بين يديه ، وكانَ سميماً جميلاً ، فأحبَّ المعتصم أن يَعْلَمَ أينَ
 المنظرُ مِنَ المخبرِ ، قالَ له : تكَلِّمْ ، فقالَ بعدَ أنْ حَمِدَ اللهَ ودعا للمعتصم :
 إِنَّ الدُّنُوبَ تُخْرِسُ الأَلْسِنَةَ ، وتُعَمِّي الأَفئدةَ . ولقد عَظُمَتِ الجُريرةُ
 وانقطعت الحُجَّةُ وساءَ الظنُّ ، ولم يبقَ إلَّا العفو أو الانتقام ، وأرجو أن
 يكونَ أَقربَهُمَا مِنِّي وأسرعُهُمَا إِلَيَّ أَشَبَّهُهُمَا بِكَ ، وأولَاهُمَا بِكَرَمِكَ .
 ثم قالَ وقد كانَ قَدَمَ [٣٩] السيفِ والنِيطعِ لِقَتْلِهِ :

<p>أرى الموتَ بينَ السيفِ والنِيطعِ كامناً وأكبرُ ظني أَنَّكَ اليومَ قاتِلِي وأيُّ امرئٍ يَدُلِّي بَعْدَ رِ وَحُجَّةٍ يَعمِرُ على الأوسِ بنَ تغلبٍ مَوْقِفٌ فما حَزَنِي أَنِّي أَمُوتُ^١ ولانْتِي ولكنَّ خَلْفِي صِيبِيَّةٌ قد تَرَكَتْهُمُ كأَنِّي أَرَاهُمُ حينَ أنْعَمِي إِلَيْهِمْ^٢ فإنْ عَشِيتَ عاشوا خَافِضِينَ^٣ بِنِعْمَةٍ فكم قاتِلٍ لا أبعَدَ اللهُ دارَهُ</p>	<p>يُلاحِظُنِي مِن حَيْثُما أَتَلَفْتُ وأيُّ امرئٍ مِمَّا قَضَى اللهُ يُفَلِّتُ وسيفُ المنايا بينَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتٌ يَهْزُ عَلَيَّ السيفُ فيه واسكُتْ لأَعْلِمُ أَنَّ الموتَ شيءٌ مَوْقَتٌ وأكبادُهُمُ من حَسرةٍ تَتَفَتَّتُ وقد خَمَسُوا تلكَ الوجُوهَ وصوتوا أذودُ الرَّدَى عنهم وإنْ مِتُّ موتوا وآخرَ جَنَدٍ لَأنْ يُسَرَّ وَيَشْمَتُ^٤ !</p>
---	---

فعفا عنه المعتصمُ ، وأحسنَ إليه وقلَّدهُ عملاً . وعلي بنَ الجهم الذي
 قالَ ارتجالاً وقد صُلِبَ عُرْيَاناً^٥ :

-
- ١ زهر الآداب : وما جزمي من أن أموت .
 - ٢ زهر الآداب : سالمين .
 - ٣ المبدعة ١ : ١٩٥ وديوان علي بن الجهم : ١٧١ (وفيه تخريج المصادر) .

لَمْ يَنْصَبُوا بِالشَّاذِيَاخِ عَشِيَّةَ الِإِثْنَيْنِ مَقْلُولًا وَلَا مَجْهُولًا
نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلَّةَ عُيُونِهِمْ حُسْنًا وَمِلَّةَ قُلُوبِهِمْ تَبْجِيلًا
مَا ضَرَّهُ أَنْ بُزَّ عَنْهُ غِطَاؤُهُ فَالسَّيْفُ أَهْوَلُ مَا يُرَى مَسْلُولا
إلى غير ذلك من غرائبِ أهل المشرق .

فَأَمَّا مَا جَاءَ فِي هَذَا الْبَابِ لِأَهْلِ عَصْرِنَا بِهَذَا الْأَفْقِ . فَكَالَّذِي وَقَعَ
لِأَبِي عَامِرِ بْنِ شُهَيْدٍ الْقُرْطُبِيِّ^١ مَعَ لُحْمَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ . فَإِنَّهُ حَكَمِي أَنَّهُمْ
قَالُوا لَهُ : يَا أَبَا عَامِرٍ إِنَّكَ آتٍ بِالْعَجَائِبِ . وَجَازِبٌ بِذَوَائِبِ الْغَرَائِبِ ،
وَلَكِنَّكَ شَدِيدُ الْإِعْجَابِ بِمَا يَأْتِي مِنْكَ لِعَطْفِ الزَّهْوِ عِنْدَ النَّادِرَةِ تَتَّحُ
لَكَ ، وَلَكِنْ نُرِيدُ أَنْ تَصِفَ لَنَا مَجْلِسَنَا هَذَا . وَكَانَ الَّذِي طَلَبُوهُ مِنْهُ
يَوْمَئِذٍ زُبْدَةُ التَّعْنِيتِ ، وَمُحَافَظَةُ بَيْضَةِ التَّبَكُّيْتِ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى الْجَلِيفَ إِذَا
لَمْ يَطْطِبْ عَلَى النَّفْسِ ، وَتَنَاوَلَتْهُ الْمُحْسِنُونَ أَسَاءَ فِيهِ . وَكَانَتْ هَيْئَةُ ذَلِكَ
الْمَجْلِسِ وَصِفَتُهُ مِمَّا يَسْقُتُ لِبَرْدِهِ . وَهَيْئَتُهُ لَا يَسْتَمَكِّنُ فِيهَا كَلَامٌ وَلَا
يَتَرَكِّبُ عَلَيْهَا مَعْنَى : بَابُ غَرِيبٌ مُعَرَّضٌ فِي الْمَجْلِسِ . وَلِبَدٌ أَحْمَرُ
مَبْسُوطٌ عَلَى أَرْضِهِ ، وَصُدُورٌ أَخْفَافُهُمْ عَلَى حَاشِيَتِهِ . وَذَكَرَ أَبُو بَابَةَ وَانْضَمَامَهَا
عَلَى أَرْجُلِهِ فَقَالَ :

وَفَتِيَّةٌ كَالنَّجُومِ حُسْنًا كَأَنَّهُمْ شَاعِرٌ نَبِيلٌ
مُتَّقِدٌ الْجَانِبَيْنِ مَاضٍ كَأَنَّهُ الصَّارِمُ الصَّقِيلُ
رَامُوا انْصِرَافِي عَنِ الْمَعَالِي وَالْغَرَبُ مِيزَانُهَا فَلِيلٌ^٢

١ نقله المقرئ في النفع ٣ : ٢٤٥ وابن ظافر في بدائع البدائع : ٣٠٤ وانظر ديوان ابن شهيد : ١٢٧ . والشريشي ٤ : ١٧٠ .
٢ النفع والبدائع : والغرب من دونها كليل .

فأشْتَدَّ في إثرها مِسْحٌ^١ كلُّ كثير بها قليل
 في مجلس شابه^٢ التصابي وطاردت وصفه العقول
 كأنما بابه أسير^٣ قد عرّضت وسطه نُصُول^٤
 يُرادُ منه المقالُ قسراً وهو على ذاك لا يقول
 ينظرُ من لبسده لدينا بحرُ دمٍ تحنّته يسيل
 كأنَّ أخفّافنا عليه مرّا كيب^٥ ما لها دليل
 ضاكت فلم تدر أين تجري فهي على شطّيه ثَقِيل

واتفق^٤ أن خرّج من عندهم فاجتاز بحانوت بعض معارفه من
 الطرائيفين^٥ وبين يديه رامشة جميلة في زنبيل ملآن حَرَشَفًا ، فجعل
 يده في لِحْجَامِ دَابَّةِ ابنِ شُهَيْدٍ وقال له : صف هذا أبا عامر ،
 فإن صاعداً رام وصف ذلك لابن أبي عامر فلم يأت بشيء غير ذكر
 الحَرَشَفِ . فقال ابنُ شُهَيْدٍ وهو على ظهر دابّته :

هل أبصرت عيناك يا خليلي قنّافيداً ثباع في زنبيل
 من حَرَشَفٍ مُعْتَمِدٍ جليلي ذي إيسر تنفّذ جيلد الفيل
 كأنّها أنيابُ بينت الغنول لو نخست في است امرئ ثَقِيل
 لقفّزته نحو أرض النيل ليست تمرى طي حشا مندِيل

١ في البدائع وأصول النفع : فالشد في أمرها فسيح .

٢ البدائع والنفع : زانه .

٣ البدائع والنفع : تعرض من دونه النصول .

٤ بدائع البدائع : ٣٠٤ ونفع الطيب ٣ : ٢٤٦ وديوان ابن شهيد : ١٤٠ .

٥ ص : الطرائقين ؛ البدائع : الطوافين .

لُثْقُلُ السَّخِيفِ المَائِقِ الجَهُولِ وَأَكْلُ قَوْمٍ نَازِحِي العُقُولِ
أَقْسِمُ لَا أَطْعَمْتُهَا أَكْبَلِي وَلَا طَعِمْتُهَا عَلَيَّ شَمُولِ

وكان^٢ يوماً مع جماعة من أهل الأدب . بمجلس ابن ذكوان ،
فجئ به بباكور باقلى ، فقالوا : لا ينفرد بها إلا^٣ من وصفها^٤ ، فقال ابن
شهيد :

إِنَّ لَأَلِيكَ أَحَدَتْ صَلَفًا فَاتَّخَذَتْ مِنْ زُمُرٍ صَدَفًا
تَسْكُنُ ضَرَاتِهَا الْبُحُورَ وَذِي هَامَتْ بِلُحْفِ الْجِنَانِ فَاتَّخَذَتْ
نَثْقِهَا * بِالثَّغُورِ مِنْ لَطِيفٍ حَسْبُكَ مِينًا فِي بَيْرٍ مِنْ لَطِيفٍ
جَازٍ ابْنُ ذَكْوَانَ فِي مَكَارِمِهِ حُدُودَ كَعْبٍ وَمَا بِهِ وَصَفًا
قَدَّمَ دُرَّ الرِّيَاضِ مُنْتَخِبًا مِينَهُ لَأَفْرَاسٍ مَدَحِيهِ عَلَفًا
أَكْلُ ظَرِيفٍ وَطُعْمُ ذِي أَدَبٍ وَالْقَوْلُ يَهْوَاهُ كُلُّ مَنْ ظَرُفًا
رَخِصَ فِيهِ شَيْخٌ لَهُ قَدَرٌ^٥ فَكَانَ حَسْبِي مِنَ الْعُتَى وَكَفَى [٤٠]

١ اللفظة غير معجمة في ص ٤ وقد وردت كما أثبتت في البدائع والنفع .

٢ بدائع : ٣٠٣ والنفع ٣ : ٢٤٤ وديوان ابن شهيد : ١٢٧ .

٣ ص : وصفه .

٤ ص : دراتها ، وأثبت ما في البدائع والنفع .

٥ البدائع والنفع : شبهتها ٤ ص : بتقبيها .

٦ ص والبدائع : حاز .

٧ البدائع : حسب .

وخرج سعدان المؤدب^١ من قرطبة إلى الحجاز وشيعه جماعة ،
وكان قد باع داره وشدّ جهاز طريقه تحته في خُرجه . فقال فيه يومئذ
مؤمن بن سعيد^٢ :

قد بيعت دارك فأرحل غير مُحْتَقِبٍ زادَ التَّقَى عَن بَنِي الدُّنْيَا إِلَى سَقَرٍ
لما رأيت أذى الأمطارِ مُتَّصِلًا حصَّنتَ دارَكَ في خُرْجٍ عن المطرِ
فلمست تخشني على حيطانِها زَللاً مِن وَاكِفٍ يَهْدِمُ البُنْيَانَ مِنْهُرِ
زودتُكَ اللّعنَ خصوصاً به أبداً لَمَّا عَدَوْتَ بِلَا زَادٍ عَلَى سَفَرِ
فاغترِبْ إلى حيثُ لا ماءٌ ولا شَجَرٌ كما غَنَيْتَ بِلَا ماءٍ ولا شَجَرِ

وساير^٣ ابن عَمَّارٍ في بعض الأسفار غلامين وسيمين من بني جَهْوَرٍ ،
أحدُهما أشقرُّ والآخرُ بعِذارُ أخضَرَ ، فكان يميلُ بحديثه من ظَهْرِ دابتهِ
إلى الذي وصفه منهما حيثُ قال ارتجالاً :

تَعَلَّقَتْهُ جَهْوَرِيَّ النَّجَارِ حُلُوَ اللَّثَى جَوْهَرِيَّ الثَّنَابَا

.....

١ المشهور بهذا الاسم سعدان بن معاوية القرطبي (- ٣٢٧) وقد رحل حاجاً فوافق دخوله
مكة إتيان القرامطة (سنة ٣١٨) فأصيب بضربة شقت خده وعينه (ابن الفرضي ١ : ٢١٤)
ولا يمكن أن يكون هو المقصود هنا لأن مؤمن بن سعيد توفي سنة ٢٦٧ إلا أن يكون
الشعر قد نسب لمؤمن خطأ .

٢ مؤمن بن سعيد (- ٢٦٧) ترجمته في الجذوة : ٣٣٠ والمغرب ١ : ١٣٢ واليتيمة ١ :
٣٧١ وانظر مزيداً من المصادر في دراسة كتبها عنه (تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة
قرطبة : ١٧٠ ط / ١٩٧٣) .

٣ وردت القصة والأبيات في الذخيرة (القسم الثاني : ٣٨٩) وبدائع البدائ : ٣٦٩ - ٣٧٠
ونفح الطيب ٣ : ٣٢٥ - ٣٢٦ .

٤ البدائع والنفح والذخيرة : اللقى .

مِنَ النَّفَرِ الْبَيْضِ جُرُؤًا الزَّمانَ رِقَاقَ الْحَوَاشِي كَرَامَ السَّعَايَا
وَلَا غَرَوْ أَنْ تَغْرُبَ الشَّارِقَاتُ وَتَبْقَى مُحَاسِنُهَا بِالْعَشَايَا
وَلَا وَصَلَ إِلَّا جُمَانُ الْحَدِيثِ نُسَاقِطُهُ مِنْ ظُهُورِ الْمُطَايَا
شَنِئْتُ الْمَثَلَتَ لِلزَّعْفَرَانِ وَمِيلْتُ إِلَى خُضْرَةٍ فِي التَّفَايَا^٢

قال ابن بسّام^٣ : وكان الأستاذ أبو الوليد بن ضابط^٤ قد بدأ عليه
بالقراءة الوزير أبو محمد بن عبدون وهو غلام ابن ثلاث عشرة سنة ،
وكان ابن ضابط المذكور متكسباً بالشعر . فضجيراً يوماً وقال : « الشعْرُ
خُطَّةٌ خَسَفَ » فقال له ابن عبدون :

لِكُلِّ طَالِبٍ عُرْفٍ
لِلشَّيْخِ عَيْبَةٌ عَيْبٍ وَلِلْفَتَى ظَرْفٌ ظَرْفٍ

والبديهة والارتجال في هذه الأشعار الأندلسية وإن لم تلتحق بالأشعار
المشرقية . ولا فيها كبير طائيل ، ولا تقرب مما ألصقته إلیها من
أشعار الأوائل ، فهي تحوي في هذا المجموع الذي انتحيت . وطلعتي

.....

١ البدائع : جرد ؛ النفع : أسد .

٢ التفايا من بسائط الأطعمة عند الأندلسيين ، وهي أنواع منها التفايا البيضاء وتحضر من لحم الضأن
الفتي في قطع صفار ويضاف إليها ملح وفلفل وكزبرة يابس وقليل من ماء بصلصة مدقوقة
ومغرفة من الزيت المذب . . . ويحمل فيها بندق ولوز مقشر مقسوم . فإذا أردتها خضراء
أضفت إليها ماء الكزبرة الرطبة (انظر كتاب الطببخ ٨٥ - ٨٨ ، ١١٨ - ١١٩) .

٣ انظر نفع الطيب ٣ : ٣٩٧ ، ٦٠٩ (وفي الموضع الثاني ذكر أن صانع القسم الأول هو
المتوكل بن الأفطس) وبدائع البدائع : ٨٠ والتكملة : ٤٠٧ .

٤ هو محمد بن علي بن يعيش بن داود سمع من أبوي مروان : الطيني وابن سراج سنة ٤٥٤ .
وسكن بطليوس وقعد فيها لتعليم الآداب واللغات (التكملة : ٤٠٧) .

الذي إليه جريتُ ، ولذلك ما أثبتُ مُذالَّتها ومَصونها ، وكتبتُ غُشَّها وسَمينها ،
والأدبُ طريقُ يسْلُكُها الصَّحيحُ والجَرِبُ ، وسُوقُ يَنْفُتُ فيها الدرُّ
والمخشَلَبُ ، ولأخْرَجَ من جدِّ إلى هَزَلٍ ، وأنتَقِلَ من حَزَنٍ إلى سَهْلٍ .

رجعتُ إلى ما قَطَعْتُ من أخبارِ صاعِدٍ ، وما يَتعلَّقُ بها ويذكرُ بسببها
من الفوائد .

إيجاز الخبر عن أسر غُرسِيَّةَ الذي ذكرُ

قال ابنُ حَيَّانَ : لما قَتَلَ ابنُ أبي عامرٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وثمانينَ عن بلدِ
غُرسِيَّةَ صاحبَ قَشْتِيلَةَ ، حَشَرَ عَدُوَّ اللَّهِ جُمُوعَهُ لَغَزْوِ بلادِ الإسلامِ ،
فاغْتَمَّ المنصورُ لذلك . فبينما هو يُحاوِلُ بعضَ الأمرِ هنالك إذ ورد عليه
كتابُ قَتْنَدِ الوزيرِ صاحبِ مَدِينَةِ سَالمٍ يذكرُ أَنَّهُ أُسِرَ في نُخْبَةٍ أَهْلٍ
ثَغْرِهِ إلى بلدِ غُرسِيَّةَ فقتلَ وَغَنِمَ ، ثم انكَمَشَ فَتَبِعَهُ غُرسِيَّةَ في قِطْعَةٍ
حَسَنَةٍ من نُخْبَةٍ حُمَاتِهِ ، فثَبَّتَ اللَّهُ أَقْدَامَ الإسلامِ ، وأجَلَّتِ الحربُ على
أَسْرِ غُرسِيَّةَ جَرِيحاً ، وسيقَى إلى مَدِينَةِ سَالمٍ ، وأقامَ بيدِ قَتْنَدٍ يعالِجُه مِن
جُرْحِهِ فهاكِ في يَدِهِ ، وحزَّ رأسَهُ وجعلَه في تابوتٍ ، وأنفَذَه إلى حَضْرَةِ
قُتْرُطَبَةَ ، واختَزِنَ جَسَدَهُ إلى أن دُفِعَ مع رأسِهِ إلى وَلَدِهِ شَانِجَهٍ عندَ عَقْدِ
السَّلَمِ بَعْدَ مُدَّةٍ .

- ١ قارن بما أورده ليفي بروثنسال : تاريخ إسبانيا الإسلامية ٢ : ٢٤٤ .
٢ ذكره الفقيه أبو محمد بن حزم في طوق الحمامة وقال : إنه كان صاحب الثغر الأعلى أيام المنصور
ابن أبي عامر وكانت ابنته عاتكة حل غاية من الجمال ، وقد تزوجها أبو بكر أخو الفقيه .

مقتل أبي مروان الجزيري^١

وكان أبو مروان عبدُ الملكِ الجزيري أحدَ شعراءِ الأندلس المجيدين وقتَه
وممن اجتمعَ له بهذا الإقليم نوعا البلاغةِ في المنشورِ والمنظومِ . وتقدّمُ
عصره منعي من ذكره ؛ وفي خبرٍ مقتله طُول . لكنّ نُلَمعُ منه بلمعة ،
بعدَ أن تقدّمَ من نوعي كلامه قطعة .

فمن ذلك أن المنصورَ بن أبي عامرٍ صنّعَ صنيعاً في ذلك الأوان . لتطهير
ابنه عبدِ الرحمن ، وكان عامَ قحطٍ فارتفعَ السعرُ بقرطبةَ . وبلغَ رُبُعُ
الدقيقِ إلى دينارين . فجلا الناس . فلما كان يومُ ذلك الصنيعِ . نشأت في
السماءِ سحابةٌ عمّت الأفقَ ، ثم أتى المطرُ الوابلُ فاستبشر الناسُ وسُرَّ
ابن أبي عامر ، فقال الجزيري بديهةً^٢ :

أما الغمامُ فشاهدُ لك أنه	لا شكَّ صنوكَ بل أخوك الأوثقُ
وافى الصنيعَ فحينَ تمَّ تمامه	في النحوِ أنشأ ودقه يتدفقُ [٤١]
وأظنه يحكيكَ جوداً إذ رأى	في اليومِ بحركَ زائراً يتفهقُ

ومنها :

١ لعبد الملك بن إدريس الجزيري ترجمة في الجذوة : ٢٦١ (البنية رقم : ١٠٥٨) والمطح
١٣ والصلة : ٣٥٠ ، واحتاب الكتاب : ١٩٣ والمغرب : ١ : ٣٢١ والنسخ : ٢ : ١١٩
وله أشعار في البيعة ٢ : ١٠٢ وقطعة في تشبيهات ابن الكثافي رقم : ١٥٦ ومقطعات في
البدیع (انظر الفهرست) وانظر الذخيرة ١ : ١٠٣ .
٢ نفع الطيب ١ : ٥٣٠ .

وتوسّطتها حلّة في قعرها
تنساب من فكّتي هزبر إن يكن
صاغوه من ندّ وختلق صفحي
للياسمين تطلع في عرشه
ونضائد من نرجس وبنفسج
ترنو بسجور عيونها وتكاد من
وعلى يمينك سوسنات أطلعت
نكأتما هي في اختلاف رقومها
في مجلس جمع السرور لأهله
حازت بدولته المغرب عيزة

بنت السلاحف ما تزال تنقني
ثبت الجنان فلان فاه أخرق
هاديه محضر الدر فهو مطوق
مثل المليك عراه زهو مطرق
وجتي خيرى وورد يعبق
طرب إليك بلا لسان تنطق
زهر الربيع فهن حسناً تشرق
رايات نصرك يوم بأسيك تخفق
ملك إذا جمعت قناه يفرق
فغدا ليحسدها عليه المشرق

وعتب^١ عليه المنصور وسجنه في مطبق الزاهرة ، واستعطفه برسائل
وأشعار عدة ، فلم يسمع منه ، ثم صفّح بعد عنه ، فكتب إليه الخزيري :

عجبت من عفو أبي عامر لا بد أن تتبعه منه
كذلك الله إذا ما عفا عن عبده أدخله الجنة

فسر المنصور بذلك ، وصرفته إلى حاله . ورد عليه ما كان اعتقل
من ماله .

ومن شعره أيضاً ، مما اندرج له في أثناء نثره الذي ملّح فيه ، مخاطبته
على السنة أسماء كرائمه بزهور رياضه . من ذلك عن بهار العامرية
قصيدة أولها :

١ نفع الطيب ٤ : ٦٦ ووردا (في ١ : ٤١٩) غير منسوبين له . وانظر المغرب ١ : ٣٢١ .

٢ نفع الطيب ١ : ٥٣١ والبدیع : ٩٩ والشريشي : ١٠٦ .

حَدَقُ الْحَسَانَ تَقِيرَ لِي وَتَغَارُ وَتَضِلَ فِي صَفِي النِّهَى وَتَحَارُ
 طَلَعَتْ عَلَى قُضْبِي عَيُونُ كَثَامِي مِثْلَ الْعَيُونِ تَحْفَتُهَا الْأَشْفَارُ
 وَأَخْصُ شَيْءٍ بِي إِذَا شَبَّهْتَنِي دُرٌّ تَنْطَقُ سِلْكُهَا دِينَارُ
 أَهْدَى لَهُ قُضْبُ الزُّمُرِدِ سَاقَهُ وَحَبَاهُ أَنْفَسَ عَطَرِهِ الْعِطَارُ
 أَنَا نَرْجِسُ حَقًّا بَهْرَتُ عَقُولِهِمْ بَبْدِيعِ تَرْكِيبِي فَقِيلَ بَهَارُ

وَمِنْ أُخْرَى عَلَى لِسَانِ نَرْجِسِ الْعَامِرِيَّةِ ١ :

حَيْثُكَ يَا قَمَرَ الْعُلَا وَالْمَجْلِسِ أَزْكَى تَحِيَّتِهَا عَيُونُ النَّرْجِسِ
 زَهْرًا تُرِيكَ بِحُسْنِهَا وَبِلُونِهَا زُهْرَ النُّجُومِ الْبَحَارِيَّاتِ الْكُنُتْسِ
 يَمْلِكُنْ أَفْتَدَةَ النَّدَامَى كُلَّمَا دَارَتْ بِمَجْلِسِهِمْ مَدَارَ الْأَكُوسِ
 مِثْلُكَ الْهَمَامِ الْعَامِرِيِّ مُحَمَّدٍ لِلْمَكْرُمَاتِ وَلِلنَّهَى وَالْأَنْفُسِ

وَمِنْ أُخْرَى عَنْ بَنَفْسِجِ الْعَامِرِيَّةِ ٢ :

إِذَا تَدَافَعَتِ الْخُصُومُ - أَيْدِ اللَّهِ مُوَلَانَا الْمَنْصُورَ - فِي مَذَاهِبِهَا ،
 وَتَنَافَرَتْ فِي مَفَاخِرِهَا ، فَإِلَيْهِ ٣ مَفْزَعُهَا ، وَهُوَ الْمَقْنَعُ فِي فَصْلِ الْقَضِيَّةِ
 بَيْنِهَا ، لِاسْتِيلَانِهِ عَلَى الْمَفَاخِرِ بِأَسْرِهَا . وَعِلْمِيهِ بِسَرِّهَا وَجَهْرِهَا . وَقَدْ ذَهَبَ
 الْبَهَارُ وَالنَّرْجِسُ فِي وَصْفِ مَحَاسِنِهِمَا . وَالْفَخْرُ بِمِثَابِيهِمَا كُلِّ مَذْهَبٍ .
 وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا ذُو فَضِيلَةٍ ، غَيْرَ أَنَّ فَضْلِي عَلَيْهِمَا أَوْضَحُ مِنَ الشَّمْسِ الَّتِي

١ نَفْحُ الطَّيْبِ ١ : ٥٣١ وَالْبَدِيعُ : ١١٥ - ١١٦ .

٢ نَفْحُ الطَّيْبِ ١ : ٥٣١ وَالْبَدِيعُ : ٧٨ - ٧٩ .

٣ بَنِي الْأَسْلُوبِ فِي الْبَدِيعِ عَلَى الْخُطَابِ : فَإِلَيْكَ . . . وَأَنْتَ . . . لَا سِتِيلَاتِكَ . . . الْخ .

تعلونا ، وأعذب^١ من الغمام الذي يسقينا . فإن كانا قد تشبَّهنا في شعرهما ببعض ما في العالم من جواهر الأرض ومتصاييح السماء ، وهي من الموات الصامت ، فإنني أتشبه بأحسن ما زينت الله به الإنسان وهو الحيوان الناطق^٢ . مع أنني أعطرُ منهما عطرًا ، وأحمدُ خُبْرًا ، وأكرمُ إمتاعاً شاهداً وغائباً . ويانعا وذابلاً . وكلاهما لا يُمتنع^٣ إلا ريشما يمنع^٤ . ثم إذا ذبلت تستذكره الأنوف شممه ، وتستدفع^٥ الأكف ضمه ، وأنا أمتنع رطباً ويابساً . وتذكرني الملوك في خزائنها وسائر الأطباء ، وأصرف في منافع الأعضاء . فإن فخرًا باستقلالهما على ساق هي أقوى من ساق ، فلا غرو أن الوشي ضعيف ، والهواء لطيف ، والمسك خفيف .

« وليس المجد يُدرك بالصراع »

وقد أودعتُ — أيَّد الله مولانا — فتوافي الشعر من وصفٍ مشابهي ما أودعاه ، وحضرتُ بنفسي لثلاً أغيبَ عن حضرتهما ؛ فقد يماً فضَّلَ الحاضر وإن كان مفضولاً ، ولهذا قالوا ألدُّ الطعام ما حضر لوقته ، وأشعرُ الناس من أنت في شعره ؛ فلمولانا أتمَّ الفضل في أن يفصل بحكمه العدل . وأقول :

شَهِدْتُ لِنُورِ الْبَنَفْسِجِ أَلْسَنٌ مِنْ لَوْنِهِ الْأَحْوَى وَمِنْ إِبْنَاعِهِ

١ البديع : وأعرف .

٢ زاد في البديع : من أدوات خلقه وأنفس ما ركب فيه من مواد حياته .

٣ البديع : وكلاهما لا يمنع إلا ريشما يبدو للميون ويسلم من الدبول .

٤ تصرف ابن بسام في العبارة هنا ، بحيث ابتعدت كثيراً عما في البديع .

لمشابه الشعر الأثيث أعاره ال
ولربما جمّد النّجيج من الطلي
فحكاه غير مخالف في لونه
ملك جهلنا قبله سبيل الهدى
في سيفيه قيصراً لطول نيجاده
ذو همّة كالبرق في إشراعه
تلقى الزمان له مطيعاً سامعاً
قمر المنير الطلق نور شعاعه
في صارم المنصور يوم قراعه
لا في روائحه وطيب طباعه
حتى وضحن بتهجيه وشراعه
وتمام ساعده وفسحة باعه
وصريمة كالخين في إيقاعه
وترى الملوك الشم من أنباعه [٤٢]

قال ابن حيتان : وكان عبد الملك بعد أبيه قد فوّض إلى عيسى بن
سعيد القطائع وزيره أمره ، فصار عيسى قيّم الدولة ، فحسده رجال
العامرية ، وحملوا طرقة فنى عبد الملك على منأوأته ، فسمت نفس طرفه
الملك لفضل همّة كانت له ، وحظ أدب ميّزه عن طبقته . فاستخلص
من أعداء عيسى لئمة ، منهم عبد الملك الجزيري وأبو العباس بن
ذكوان^٢ ، فزيّن له التقدم عليه . وعرفه الجزيري ما تهياً لكافور
الأسود مولى محمد بن طنجج صاحب مصر من الملوك باسم مولاه تلك
المدة الطويلة ، وأن محله فوق محل ذلك بابيضاض النفس والجسد ،
واكتمال الفضل والمعرفة . فأصغى له طرفه وتدبّر برأيه ، وحمل مولاه
على أن قدّم عبد الملك الجزيري إلى خطّة الوزارة . فعارض عيسى في
كل أمر حتى كاد يسقطه لولا استخداء^٣ عيسى له . ثم اعتل عبد الملك

١ البديع : الصلت .

٢ هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان ، انظر دراسة لي عنه ومن أسرة بني ذكوان
في كتاب دراسات في الأدب الأندلسي ص : ٣٥ - ٨٣ .

٣ ص : استخدام .

المظفر ، فانفردَ طرفةُ بخدمته . وكشّرَ الإرجافُ به . فجمّلَ له ابنُ
الجزيري بغية وسوء رأيه : وجسّره على أن يضبطَ الأمرَ لنفسه باسمِ الطفلِ
مولاه . على رسمِ كافورٍ الذي ذكرناه .

ثم رأى المظفرُ أن يُخرجَ عسكرياً إلى شرقيّ الأندلسِ لإنفاذ^٢ ما فيه
من الأطمعة . فهشّ فتاهُ طرفةُ لذلك ، وسأل مولاه أن يُخرجَ معه
عيسى الوزيرَ وقد أسرَّ الإيقاعَ به ، فأجابه مولاه لذلك : فأخذ في التجهّزِ
وأسرف فيما أتاه ، ولم يُبقِ من وجوهِ القوادرِ وصنوفِ العُدَدِ والحلّي
وكرائمِ النجائبِ عند مولاه إلّا ما لا قدرَ له حتى صارَ في أبهةِ الملوكِ . وأخذ
الوزيرَ عيسى في الخروجِ معه ، فتناقلَ له ، وأحسَّ بالشرِّ في صحبته
ورامَ الانفردَ بالمظفرِ في ذلك ، فلمْ يُمكنه لضبطِ طرفةِ بابَ مولاه ؛
فألقي عيسى بنفسه إلى مفرّجِ صاحبِ مدينةِ الزاهرةِ ثقةِ المظفرِ واستغاثه
لمحتنّيه . فوصلَ له رقعةٌ إلى المظفرِ شرحَ فيها مُرادَ طرفةِ . عند
ذلك أتى [طرفةُ] من مأمنيه واستعفى الخروجَ جملةً^٣ ، فلمْ يساعفه مولاه .
فنفّذَ لطيفتيه ، والعُجبُ يقوده والحسينُ يسوقه . وخلا وجهُ المظفرِ
لعيسى بعده ، وذكرَ له أشياءَ حنّيقَ بها على طرفةِ . وتعجّلَ المظفرُ
الخروجَ إلى غزواتِهِ لئلاَّ طرفةُ ، فخرجَ معه وزيرُهُ عيسى ، والجزيري
يغالطُهُ في القُدحِ في طرفةِ ، وفي قلبِهِ من عيسى النارُ المتفصّمةُ ، وعيسى
أعلمُ الناسُ بنفاقِهِ ، وأحبّهم في سفكِ دمِهِ . فلما صارَ عبدُ الملِكِ إلى
بعضِ الطريقِ دبّرَ عيسى على ابنِ الجزيري أنْ ينصرفَ إلى الحضرةِ ليحصلَ

١ ص : فحمله .

٢ ص : لانفاق .

٣ ص : معه .

قَبْضَ بَقَايَا الْخَرَاجِ وَالنَّفَقَاتِ ، وَلَمْ يَحْسَ بِمَا دُبِّرَ عَلَيْهِ وَعَلَى صَاحِبِيهِ . فَلَمَّا وَصَلَ الْمَظْفَرُ سَرَقُسْطَةَ ، وَطَرَفَهُ مُرْتَقِبٌ قَدُومَ مَوْلَاهُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهَا ، دَخَلَ فِي أَبْهَتِهِ وَتَعَبْتِهِ وَصَارَ إِلَى قَصْرِ مَوْلَاهُ مُدْلًا بِمَنْزِلَتِهِ ، فَعُدَلَ بِهِ عَنْ مَجْلِسِهِ وَلَمْ تَقَعْ عَيْنُ الْمَظْفَرِ عَلَيْهِ ، وَقِيْدَ لَوْقَتِهِ ، وَأُخْرِجَ إِلَى الْجَزَائِرِ الشَّرْقِيَّةِ . فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ دُخُولِهِ سَرَقُسْطَةَ أَمِيرًا وَخُرُوجِهِ عَنْهَا أُسِيرًا إِلَّا سَاعَةً . وَاتَّخَذَ النَّاسُ حَدِيثَهُ عَجَبًا . ثُمَّ أَنْفَذَ الْمَظْفَرُ إِلَى الْحَضْرَةِ بِضَمِّ عَبْدِ الْمَلِكِ الْجَزِيرِيِّ إِلَى الْمَطْبَقِ بِالزَّاهِرَةِ . وَكَتَبَ عَيْسَى الْوَزِيرُ إِلَى مُفَرِّجِ الْعَامِرِيِّ وَإِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، وَكَانَا مِنْ أَعْدَاءِ ابْنِ الْجَزِيرِيِّ ، وَحَرَضَهُمَا عَلَى إِبَادَتِهِ ؛ فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ فِي مُطَبَّقِهِ قَوْمٌ^١ مِنَ السُّودَانِ وَخَنَقُوهُ ، وَأَشْبَعَ مَوْتَهُ . وَأُخْرِجَ مَيِّتًا بَعْدَ أَيَّامٍ . وَأُسْلِمَ إِلَى أَهْلِهِ وَلَا أَثَرَ بِهِ ، وَدُفِنَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ . فَصُرِعَ مِنْهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَوْمَئِذٍ فَارَسُ نَثْرٍ وَنِظَامٍ ، وَمُزَّقَ بِقَتْلِهِ وَشِي الْكَلَامُ . وَكَانَ يُشَبِّهُ فِي ذِكَايِهِ وَأَدَبِهِ مَعَ عَقْرَبِيَّةِ الطَّبَعِ ، وَكَثْرَةِ الضَّرِّ وَقِلَّةِ النِّفْعِ ، مُحَمَّدَ بْنَ الزِّيَّاتِ فِي ذَلِكَ الصَّبَقِ . أَخْبَرَنِي أَبِي خَلْفُ بْنُ حُسَيْنٍ قَالَ : سَأَلْتُ الَّذِي تَوَلَّى قَتْلَ ابْنِ الْجَزِيرِيِّ فِي حَبْسِهِ فَجَعَلَ يَصِفُ لِي سُهُولَةَ مَا عَانَاهُ مِنْهُ لِقَضَافَتِهِ وَضُعْفِ أَسْرِهِ وَيَقُولُ : مَا كَانَ الشَّقِيُّ إِلَّا كَالْفَرُوجِ فِي يَدِي ، دَقَّتْ رَقَبَتَهُ بِرِكَبَتِي فَمَا زَادَ أَنْ نَفَخَ فِي وَجْهِهِ . فَمَجِبْتُ مَنْ جَهَلَ هَذَا الْأَسْوَدَ .

رجع ما انقطع

وكان صاعداً قد طوَّلبَ في أخرياتِ تلكِ الدَّولةِ ، وانتهتْ به الحال ، إلى أن أغْرِمَ في خبرِ طويلٍ مائةَ مثقالٍ ، فاستغاثَ عليٌّ بنَ وداعةٍ أحدَ الفُرسانِ الأبطالِ ونُبَّهَاءِ الدَّولةِ - كان - في ذلكِ الأوانِ ، وكتبَ إليه رقعةً قال فيها :

إني على وهّني ، وما أخذهُ الدهرُ مني ، ونَحْتَهُ من قيدنحي ، لأربأ بالفضلِ أن ينحطَّ إلّا في مصّابه ، ويُحلَّ رجلَه في غيرِ معانِيهِ . فلم أحومُ على أحدٍ طيّرَ رجائي ، ولا رَمَقْتُ بأُملي إلّا من نَوْهٍ اللهُ باسمِهِ ، وناسَبَ بين أحوالِهِ ، وشابَهَ بين خيالاتِهِ ؛ فسُبْحانَ من جعلَ سَيِّئانَكَ عِدْلَ لسانِكَ ، وبيّانَكَ كَفءَ طِيعانِكَ ، فالألسنُ تُتنادمُ على وَصْفِكَ ، والقلوبُ تُعاقِرُ خمرةَ حُبِّكَ ، خبيثةٌ أذاعتها اللهُ منك ، وذخيرةٌ أبرزها الدهرُ بك . وما زلتُ في الأيامِ التي تعرفُها منقباً عن محاسنِكَ ، بحثاً لآثارِكَ بالعدوةِ وذواتها ، ومُتقارعتِكَ الأهوالِ ، ومُماصعتِكَ الأبطالِ ، عاركاً بجنيبك شوكةَ [٤٣] الأسنّةِ ، ومُناجياً أطرافَ الأعنةِ ، فأذكُرُ بك صِعالِكَ العربِ وذُؤبانِها ، وشُعراءَ الفُرسانِ وغِربانِها ، كعنتِرةِ وزيدِ الخيلِ ، وأنتَ بهمةٍ^٢ السريّةِ وقرنُ الكتيبةِ ؛ وغارةِ قومِكَ من سُلَيْمٍ على فِزارةٍ ونذيرُها يَهْتِفُ : أتيتمُ يا فِزارةُ ! هذه سُلَيْمٌ والموتُ ! وأنا ابنُ عمِّكَ من ربيعةٍ ، إذْ هي وسُلَيْمٌ أحلافُ ، فالعدنانيّةُ تلفننا ،

١ أبو الحسن السلمي ، علي بن وداعة ، وصف إلى جانب البطولة بالأدب البارِع والشعر الرائع ، انظر الجلود : ٢٩٧ وترجم له ابن الأبار في الحلة ١ : ٢٨٢ ونقل بعض ما جاء هنا في الذخيرة .

٢ ص : يمين .

والنسبُ يضمُّ شعبنا . وفي البلدِ من وترني فاستقادةً منه لساني ، وظلمني
فانتصر لي حُماة كلماتي ١ . فأرسلتها فيه شعثاً قباحاً ، موروثةً في الأعقابِ
خالدةً على الأحقاب ، أشردَ من نعمة ، وألزمَ له من طوقِ الحمامة ،
فهو يبعثني الغوائل ، ويبثُّ لي الحبال .

ومن شعره فيه :

أبا حسنٍ ربيعةٌ مِن سُلَيْمٍ	سنانٌ زانَ عاليةَ الرماحِ
ولاني عائدٌ بك مِن هُنا	نَحْتَن دُعائِي نَحْت القِداحِ
فكُرَّ على ابنِ عمِّك وانتشلهُ	فليسَ حميَّ ابنِ عمِّك بالمباحِ
فلنَ الجارَ عندكَ بينَ جنبي	عُقَابِ الدَّجَنِ كاسِيرةَ الجِناحِ

ومنها في المدح :

تُصَدُّ الخيلُ بأسجلك في غديرٍ	على ظملي عن الماءِ القسراحِ
تظنُّكَ طالماً بيني سُلَيْمٍ	عليها عندَ مُفتَضِّحِ الصِّباحِ
إذا ساورتَ قِرنَكَ في مَكْرٍ	جعلتَ له ذِراعَكَ كالوشاحِ

فما انتفع بعلي بن وداعة . ولا كانت له فيه شفاعاة .

وكان خاطبَ أيضاً هشامَ بنَ الحَكَمِ الخليفةَ في ثلاثي خالِه . فما
أصغى له لزُهدِه فيه وفي أمثاله . وعوجلَ عليُّ بنُ وداعةٍ وقُتيلَ في خبرٍ

.....

١ ص : كماتي .

٢ ص : وعولج .

طويل . فانسدَّ بابُ الفَهمِ بِقرطبة يومئذٍ وطَمَسَتْ العبيدَى العاقبون -
له رسمته . وأيسَّ ذوو الأحسابِ منهم . ففترقوا شذَر مذرً ، ولم يبق
بها منهم مَنْ له خَطَر . وتناصرتْ خِلالُ المكروهِ فيما بعدُ على صاعدٍ
بارتجاجِ الفتنة . غلاءَ سِعَرٍ ورِخصَ شِعَرٍ ، حتى اختلَّ وعجزَ عن
ستر ولده وأهله . وبخل هشامٌ على ذلك كله بتسريحه والإذن له في الانطلاق
عن الأندلس فترقأ من خُبثِ لسانه . فخرج مُستخفياً وجاز بشكطيشٍ
على يدِ أبي زيدٍ البكريِّ رئيسِها سنة ثلاث وأربعمائة ، فاتصلَ بصاحب
صقلية ، وفارقَ البؤسَ وراجعَ النعمة . ثم رجع إلى الأندلس لاثراً غلبة
سليمانَ والبرابر على قرطبة مُستخرجاً لمن تخلفَ بها من أهله وولده .
وتعرَّض أيضاً لمديح سليمانَ فما أنجحَ معه ولا أفلح . وقد كان استطرفَ
أوَّل دولته ، فترثمه رثمان العُلوق^١ ولم يَقْرِهِ قَرْضاً لاستحالة عن فعل
الجميلِ جُملة . ثم عجلَّ الانكفاءَ إلى صقلية ، ومات بها رحمه الله سنة
عشر وأربعمائة .

قوله : « جعلت له ذراعك كالوشاح » أخذه من قول أسر يزيد بن
الصَّعْق^٢ :

١ العلوق : هي التي ترام بأنفها وتمنع درتها ؛ أو هي لا ترام الولد جملة ؛ وفي المثل : عاملنا
معاملة العلوق ترام فتشم ، وقال أفزون التغلبي :

أم كيف ينفع ما تأتي العلوق به رثمان أنف إذا ما ضن بالبن

٢ البيتان لقيس بن زهير العبسي ، انظر حماسة الخالدين ١ : ٩١ ووردا دون نسبة في البيان
٣ : ٢٤٦ والحيوان ٦ : ٤٢٥ وشرح ديوان زهير : ٥٤ ونقد الشعر : ٩١ والثاني
في الممددة ١ : ٣٠٢ . وانظر الأخيرة ٣ : ٣٨١

تركتُ الركابَ لأربابها^١ وأكرهتُ نفسي على ابنِ الصَّعقِ^٢
جعلتُ يَدَيَّ وشاحاً له وبعضُ الفوارس لا يُعْتَنَقُ^٣

ونُعَقِبُ أخبارَ صاعدٍ بمصادرٍ ومواردٍ من أخبارِ ابنِ أبي عامرٍ ،
مَسْوَقةَ الأوائلِ والأواخرِ . مقيدةَ العيونِ والنوادرِ . ونُلَمِّعُ بشيْءٍ
من الأسبابِ التي ذَلَّلَتْ له الصَّعابَ . وأخضعتُ له الرقابَ . وإنما نَعْتَمِدُ
من الأخبارِ أشهرَها بُسُوقاً . وأخصرَها طريقاً . وأمستُها بالأدبِ رَحِيماً ،
وأشبهها بغيرِ ضِرِّ هذا الكتابِ أرضاً وسماً . وبحسبنا من دولةِ ابنِ أبي عامرٍ
أن ننقلَ نصَّ ابنِ حيَّانَ : كيف طلعتْ نجومُها ، ومن أينَ تَشَأَتْ غيومُها ،
ونُتِلِّي ذلكَ كيف مالَ ظِلُّها واضطربَ حبابُها ، إذ أَكثُرُ ما يقالُ للحاضرِ
من أينَ طَلَعَ ، وللغابرِ الدابرِ ما صَنَعَ . ونهايةُ المُرادِ . علمُ الكونِ والفسادِ .

تلخيص التعريف بدولة ابن أبي عامر من الأول إلى الآخر^٢

هو أبو عامر^٣ محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عامرٍ بنِ أبي عامرٍ محمد بنِ الوليدِ
ابنِ يزيد بن عبد الملك المَعافِرِيِّ . وعبدُ الملك جَدُّهُ هو الداخلُ بِالْأَنْدَلُسِ
مع طارقٍ مولى موسى بنِ نُصَيْرٍ في أولِ الداخلينَ من المَغْرِبِ . وهو في
قَوْمِهِ وَسَيْطٌ .

١ حساسة الخالدين : النهاب لأربابه .

٢ مصادر ترجمته متعددة : نشير منها إلى المعجب وأعمال الأعلام وابن عذاري ونفع الطيب
والخُدوة : ٧٣ والحلة : ١ - ٢٦٨ - ٢٧٧ وكتب التاريخ العامة كابن الأثير وابن خلدون... الخ
٣ انظر البيان المغرب ٢ : ٢٥٦ وما بعدها .

ونقلتُ من خطِّ ابنِ حيانَ قال^١ : انتهت خِلافةُ بني مروانَ إلى الحَكَمِ تاسعِ الأئمةِ فيها . فتناهت في السَّروِ والجلالةِ والكمال والأبهة ؛ ونظمَ رِوَاةُ الأخبارِ وحَمَلَةُ الآثارِ من مناقِبِهِ ما طارَ كلَّ مَطَارٍ في جميعِ الأقطارِ ، إلَّا أَنَّهُ — تَعَمَّدَ اللهُ خطاياهُ — مع ما وُصِفَ من رجائِيهِ ، كان ممن استهواه حُبُّ الولَدِ وأفرطَ فيه ، وخالفَ الحِزْمَ في توريثِهِ المُلْكَ بعدَهُ في سنِّ الصِّبَا ، دونَ مَشِيخَةِ الإخوةِ وفِتيانِ العِشِيرَةِ [٤٤] ومَن يكْمُلُ للإمامَةِ بلا محاباةٍ ، فَرَطَ هَوًى ووهلةً انتقدَها الناسُ على الحَكَمِ وعدَّوها الجانيةَ على دَوْلَتِهِ . وقد كان يعيبُها على ولدِ العباسِ قبلَهُ ، فأُتاهَا هو مختاراً ولا مردّاً لأمرِ الله . وذلك أَنَّهُ نَفَسَ بِسُلْطَانِهِ على ثلاثةِ رجالٍ من إِخْوَتِهِ ولدِ الناصر : عبدِ العزيزِ شقيقِهِ والأَصْبَحِ والمَغِيرَةِ . مع جماعةٍ من ولدِ الخلفاءِ كهولٍ وشَبَّانٍ ، ما فيهِمُ إلَّا مضطربٌ للأمرِ قويٌّ عليه . فتخطى جماعتَهُم إلى ابنِهِ هشامٍ وهو في الوقتِ طفلٌ ما بلغَ الحُلُمَ .

قال ابنِ بسام^٢ : وحُدِّثْتُ عن أحمدَ بنِ زيادٍ عن محمدِ بنِ وضاحٍ عن رجلٍ يتكلمُ في الحيدُثانِ أَنَّهُ قال : لا يزالُ ملكُ بني أُمَيَّةَ بالأندلسِ في إقبالٍ ودوامٍ ما توارثَهُ الأبناءُ عن الآباءِ ، فإذا انتقلَ إلى الإخوةِ وتوارثوه بينهم فقد أدبرَ وانصرف . فلعلَّ الحَكَمَ بهذا الخبيرِ توهَّم ، فجاذبَهُ عن إِخْوَتِهِ ؛ وإن كان ذُوو اللَّبِّ والنظرُ ، لا يلتفتونَ إلى مثلِ هذا الخبيرِ .

١ نقل المقرئ جانباً منه في نفح الطيب ٣ : ٨٥ .

٢ انظر المصدر السابق ٣ : ٨٦ .

رجع الخبر إلى ابن حبان^١ : وكان جودر^٢ وفائق^٣ فتتيا الحكم قد أخفيا موته . ودبرا على صرف البيعة إلى أخيه المغيرة . وكان قال له فائق : إن هذا لا يتم لنا إلا بقتل جعفر المصحفي . فقال له جودر : ونستفتيح أمرنا بسفك دم شيخ دولة مولانا ؟ ! قال له : هو والله ما أقول لك . ثم بعثا إلى المصحفي ونعيا إليه الحكم . وعرفاه برأيهما في المغيرة ، فقال لهما المصحفي : وهل أنا إلا تتبع لكما وأنتما صاحبا القصر ومدبرا الأمر . ولكما الرأي فيما قبلتما ؛ فأخذا في تدبير ما رآياه . وخرج المصحفي وجمع حاشيته وجنده . ونعى إليهم الحكم وعرفهم مذهب جودر وفائق في المغيرة ، وقال : إن بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا . وإن بدلنا استبدل بنا . فقالوا : الرأي رأيك . فبادر المصحفي ببعثه محمد بن [أبي] عامر مع طائفة من الجند وقتله إلى دار المغيرة لقتله . قال ابن أبي عامر : فألفت المغيرة مطمئناً لا خبر عنده . فنعيت إليه أخاه الحكم فجزع . وعرفته جلوس ابنه هشام في الخلافة . فقال : أنا سامع مطيع . فكتبت إلى جعفر بحاله وبالصورة التي ألفتته عليها من السلامة . فراجعني جعفر المصحفي وهو يقول : غررتنا ، اقض عليه وإلا وجهت غيرك من يقتله ! فقتل رحمه الله خنقاً . وكانت علة الحكم الفاليج ؛ وكان تقدمه عبد العزيز أخوه بمديدة . وتعطل أخوه الأصمغ ببطالة أزالته عنه الرهبة . فذهبت عن جعفر بن عثمان فيهما الحزة^٢ ، وتوفر اهتمامه بعدهما بالمغيرة . وكان فتى القوم كرمًا ورجلة . وممن أشير نحوه بالأمر بأسباب باطنة ، فأخذ له أهبتة ؛ فلما قضى الحكم نحبته ليلة

١ قارن بما أورده ابن عذاري ٢ : ٢٦٠ وما بعدها ، وما جاء في النسخ .

٢ لعل الصواب : الحزة ، إشارة إلى الفيظ على سبيل المجاز .

الأحد الثالثة من صفر سنة ست وستين . بادر بالمغيرة على الصفة المذكورة .

وافتح المصحفي أمره بعد بإيثار النصفة . واطراح الكبر . وكان أول ما أتاه من ذلك صدر تقلده حجابة هشام — وقد رفع فراشه فوق فراش الوزراء أصحابه . وأبدل بالكتان الديباج على سالف العادة — أن قال : إني أستحي من أصحابي أن أتمهد أفضل من فرشهم . مع عجزني عن درك شأوهم . غير أننا نسلّم لأمير المؤمنين اختياره ، فإمّا يساوي بيننا في فرش كرامته . وإمّا أقرنا على الأمر الأول ولا كفران لنعمة . فأفرش للجميع . منذ زال فرش الديباج ، فرش الكتان ، فجرى عليهم الرسم إلى آخر الزمان . واستحسن فعل جعفر يومئذ وعُدّ من [بُعْد] غبوره . وعول جعفر في سائر أوقات دولته على هذا النوع من السياسة . فلزم التواضع للناس . وأطلق لهم البشّر وألان كنفه ووطناً خلّقه . ورأى أنهم بذلك يصلحون له . دون البذل لذات اليد والمواساة في النعمة ، فاستأثر بالأعمال . واحتجج الأموال ولم ينسبهم . وبني المنازل وهدمهم . وشج بالنسب وسخا بهم . وعارضه من محمد بن أبي عامر فتى ماجد أخذ معه بطرقي نقيض : بالبخل جوداً ، وبالاستبداد أثر . [و] باقتناء الضياع اصطناع الرجال . حتى غلبه عمّا قليل . وتحركت حال ابن أبي عامر لأول الدولة . وشارك في التدبير بحق الوزارة . وتقوى على أمره بنظره في الوكالة وخدمته للسيدة صُبْح أم هشام . وكانت حاله عند جميع الحرم أرفع الأحوال . بتقديم الاتصال . وحسن الخدمة . والتصدي لمواقع الإرادة . وطلاقة اليد في باب الإلطاف والهدية . فأخرج له أمر الخليفة هشام إلى حاجبه جعفر في الاستعانة به

في التدبير والمشورة له في الأمور ، والاختصاص به على الجمهور . وكان جعفرٌ لمحمدٍ على بعض ما أريد منه ثقةً به وسكوناً إلى جهته ، فامتثل ما أمير به في ابن أبي عامر لغفلته ، وتزيتد في برّه . وأشركه في سرّه وجهره . وانهمك^١ [٤٥] ابن أبي عامر في مغالطة جعفر ، وأراه أنه صاحبه الخاطئ لخاليه ، وعول جعفر على رأي محمد ، ووصل يده بيده ، واستراح إلى كفايته ، وابن أبي عامر يكثرُ به ويُضرب بين حسدته ، ويناقضه في أكثر ما يعاملُ به الناس ، ويُجعل^٢ إليهم بالبدل وقضاء الخوايج ، ويتقدم من المعالي إلى ما يُحجِّم جعفرُ عنه ؛ يستضمُّ الرجال وجعفرُ يتدفَّعهم . ويزيدُهم وجعفرُ ينقصهم ، يظنُّ أنه كلَّ يحملُه عنه . فيا لك من جامعٍ لمحمدٍ ومُفرِّقٍ عن جعفر ! إلى أن هوى نجمه وزال أمره .

وكان أوَّل اتصال ابن أبي عامر بالحكم أنَّهُ وُصف له فاستخلف على قضاء كورة رية . ثم تصرف في وكالة صُبْح أم هاشم . فاضطلع بكل ما قلَّند ، استهوى هذه المرأة بحسن الخادمة — وهي الغالبة على الحكم — فأزلفته . وولي الشرطة والسكة والموارث ؛ والسكة يومئذ أعلى الخطط في الإفادة . وقبرن له بهذا كله القضاء باشيلية . فعلت حاله وعرضَ جاهه . وعمَّر بابُه في حياة الحكم . وهمته ترتمي به وراء ما يناله من الدنيا أبعدَ مرمى ، وهو في كل ذلك يغدو إلى باب جعفر ويروح . ويختص به ويتحقق نصيحته . إلى أن أحظاه الجحد وساعده القضاء ، فأسقط جعفرًا . فلمَّا انفرد بشأنه وتمكَّن من سلطانه ،

١ ص : وانتَهك .

٢ ص : ويستعمل .

توثقَ لِنَفْسِهِ وَحَصَّنَ حَالَهُ ، وَرَمَى إِلَى الْغَرَضِ الْأَقْصَى مِنْ ضَبْطِ الْمَلِكِ
وَالْحَجْرِ عَلَيْهِ وَالِاسْتِبْدَادِ دُونَهُ . وَامْتَثَلَ رَسْمَ الْمُسْتَغْلَبِينَ عَلَى سُلْطَانٍ وَكَدَرَ
الْعَبَّاسَ بِالْمَشْرِقِ مِنْ أَمْرَاءِ الدَّيْلَمِ فِي عَصَرِهِ ، فَنَالَ بُغْيَتَهُ ، وَتَهَنَأَ بِعَيْشَتِهِ ،
وَأُورِثَهُ عَقِبَتَهُ بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ اقْتِدَارٍ عَلَيْهِ بِجُنْدٍ خَاصٍّ وَلَا صِيَالٍ بِعَشِيرَةٍ ،
وَلَا مُكَاثِرَةٍ بِمَالٍ وَلَا عِدَّةٍ ، بَلْ رَمَى الدَّوْلَةَ مِنْ كَيْفَانَتَيْهَا ، وَعَدَا عَلَيْهَا
بِأَعْضَادِهَا ، وَانْتَضَلَّهَا بِمَشَاقِصِهَا ، وَأَنْفَقَ عَلَى ضَبْطِهَا أَمْوَالَهَا وَعُدَدَهَا ،
حَتَّى حَوَّلَهَا إِلَيْهِ ، وَسَبَّكَهَا فِي قَالِبِهِ ، وَسَلَّخَ رِجَالَهَا بِرِجَالِهِ ، وَعَفَى
رُسُومَهَا بِمَا أَوْضَحَ مِنْ رُسُومِهِ ، وَأَسْقَطَ رِجَالَ الْحَكَمِ مِنْ سَائِرِ الطَّبَقَاتِ :
الْكَتَّابَ وَالْعُمَلَّاءَ وَالْقُضَاةَ وَالْحُكَّامَ وَأَصْحَابَ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ ، وَمَزَقَهُمْ ،
وَأَقَامَ بِإِزَائِهِمْ مِنْ تَخْزِيجهِ وَأَصْطِنَاعِهِ رِجَالًا سَدُّوا مَكَانَهُمْ ، وَمَسَحُوا
ذِكْرَهُمْ ، أَعَانُوهُ عَلَى أَمْرِهِ .

وَأَوَّلُ عُزْرَةٍ فَضَّ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ مِنْ عُزْرِ الْمَلِكِ جَمَاعَةَ الصَّقَلَابِ ،
اسْتَخْرَجَ مِنْهُمْ بِأَسْبَابِ الْمُضَادَّةِ أَمْوَالًا جَمَّةً اسْتَأْثَرَ بِأَكْثَرِهَا ، وَتَتَبَعَ
لِذَلِكَ كَيْتَابَتَهُمْ وَأَسْبَابَتَهُمْ وَقَتًا بَعْدَ آخَرٍ ، وَتَقَسَّطَتْهُمْ أَيْدِي الْقَدَرِ نَفِيًّا
وَقِتْلًا ، صَبْرًا وَغَلَبَةً ، سِرًّا وَعِلَانِيَةً ، حَتَّى هَلَّكَوْا عَنْ آخِرِهِمْ فِي
أَسْرَعِ مُدَّةٍ . وَاخْتَلَفَتْ مَقَاتِلُهُمْ بِحَسَبِ اسْتِيفَائِهِمْ مُدَدَ أَعْمَارِهِمْ ، فَلَمْ
يَبْصَحْ لِي تَارِيخُ ذَلِكَ عَلَى حَقِيقَتِهِ . فَكَانَتْ تِلْكَ الطَّائِفَةُ أَوَّلَ مَنْ ظَهَرَ
إِنْتِقَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِابْنِ أَبِي عَامِرٍ مِنْهَا ؛ فَكَانُوا جَبَّارِينَ قَاسِطِينَ فِي بِلَادِهِ ،
مُتَعَرِّدِينَ عَلَى عِبَادِهِ ، فَأَرْسَلَهُ بِقُدْرَتِهِ عَلَى هَذَا النَّمِطِ مِنْ خَلْقِهِ فَأَبَادَهُمْ ،
وَنَجَّى أَهْلَ السَّلَامَةِ مِنْ سَوْرَتِهِ ، وَتِلْكَ عَادَتُهُ تَعَالَى فِي مَنْ نَكَّبَ عَنْ
سَبِيلِهِ .

ذكر دفاع ابن أبي عامر العدو صدر الدولة وقيامه بالجهاد
دون الجماعة وتوصله بذلك إلى تدبير الملك

قال ابن حبان^١ : وجاشت النصرانية بموت الحكم . وخسروا
على أهل الثغور ، فجاء صرّاخهم إلى باب قرطبة فلم يستجدوا عند جعفر
غناء ولا نصرة . وكان مما غرّب به بلجنيته وعظيم أفتيه أن أمر أهل قلعة
رباح بقطع سدّ نهرهم آنة لغنمته وسوء دجلتيه ، يلتمس بذلك دفاع
العدوّ عن حوزتيه ؛ لم تتسع حيلته لأكثر من ذلك مع وفور جيش السلطان
يومئذ وجُموم أمواله . فكانت من سقطات جعفر المأثورة ، فأنيّف
ابن أبي عامر من تلك الدنيّة . وأشار على جعفر بتجريد الجيش للجهاد .
وخوّفه سوء العاقبة في تركه ، وأجمع الوزراء على ذلك إلا جماعة
خاموا عنه ، فبادر ابن أبي عامر إليه ووعد من نفسه الاستقلال به على
أن يختار الرجال ، ويجهز لغزوته مائة ألف ميثقال . فنهر بالجيش ودخل
على الثغر الخوفي إلى جليقية . فنازل حصن الحامة من أعمال رُدْمير .
فدخل ربضه وأفشى النكابة وغمم . وقتل ووصل الخضره بالسبي
إلى اثنين وخمسين يوماً . فعظم السرور وخلص الجند له ، واستهلكوا
في طاعته لما رأوه من كرمه .

حدثني أبي خلف بن حسين قال^٢ : تذاكرنا جُود ابن أبي عامر [٤٦] يوماً ،

١ انظر نفع الطيب ٣ : ٨٧ .

٢ يتابع المقرئ النقل في النفع ٣ : ٨٨ .

وبالحضرة محمد بن أفلح غلام الحكم ، فقال : عندي من جوده غريبة .
أنكحتُ بنتي على عهد مولانا الحكم . والحالُ بنا ضيقةٌ . فاضطرتُّ لما
أصلحُ به حالَ الجاريةِ إلى بيعِ لجامٍ محلىً ثَقِيلَ الوزنِ رديءِ العيارِ ،
وكان عندي لزيّنتي أيامَ المراكبِ ، وتقاعدَ فيه التجارُ فانقطع بي أُملي ؛
فوقع في نفسي قَصْدُ ابنِ أبي عامر صاحبِ السكّةِ للذائع من كرمِهِ ،
وأعظمُ رغبتي أن يضربَ لي في السكّةِ دراهمٌ ، فقصدته وعرفته رغبتي ،
فسارعَ بأطلقِ وجهٍ وقال : سيرَ إليّ بدارِ الضربِ ؛ فجئتُهُ وأوصلني
إلى نفسه والدراهمُ المطبوعةُ بين يديه . وأومأ إليّ فأخرجتُ اللجامَ وأنا
خائفٌ من صَرفِهِ لسقوطِ عيارِهِ . فوالله ما نظرَ إليه ولا عايرَهُ . وراطلني
والله باللجامِ بحداثته وسُيُورِهِ . فأخذتُ ما لم يتدرُّ في وَهْمِي أنِّي أظفرُ
بمثله . وعظّمَ ابنُ أبي عامرٍ في عيني . وقُصْتُ عنه وحِجْري ملآن ولا
أصدّقُ بما حصَلْتُ عليه ؛ فجهزتُ بنتي وفضلَ لي شيءٌ يكفيني ؛ وقلَّ
مولاي الحكمُ في عيني وأحببتُ ابنَ أبي عامرٍ . حتى لو دعاني إلى متعصيةِ
الحكم - وهو مالِكُ رِقَّتِي وإمامي - لما قعدتُ عنه .

مظاهرة غالب مولى الناصر لمحمد بن أبي عامر
ومظاهراته على المصحفي إلى أن أسقطه ومات في سجنه

قال ابن خيَّان^٢ : وكان بين المصحفيِّ وغالبٍ صاحبِ مدينةِ سالمٍ

١ ص : جل ؛ وأثبت ما في النسخ .

٢ قارن بما في النسخ ٣ : ٨٨ .

شيخ الموالي وفارس الأندلس غير مدافع أشد ما كان بين اثنين من
العداوة والتقاطع . فأهم المصحفي شأنه . وناظر الوزراء في ما بدا من
ثقله في الذب عن الثغر . فأشاروا باستصلاحه . وبادر بذلك ابن
أبي عامر لما أراده من مظهرته . فلم يزل يقوم بشأنه ويخدمه داخل
الدار من قبل الحرم كعادته حتى تم على إرادته . وخرج الإذن أن
ينھض غالب إلى ثغرى الوزارة ويُدبّر جيش الثغر . وابن أبي عامر
جيش الحضرة . ثم خرج ابن أبي عامر إلى غزاته الثانية . واجتمع به
وتعاقدا على الإيقاع بجعفر . وقفل ابن أبي عامر غانماً ، وبعد صيته .
فخرج أمر الخليفة هشام بصرف المصحفي عن المدينة ، وكانت في يده
يومئذ ، فخلف عليها ابنه . فخرج ابن أبي عامر نحو كرسيها في ذلك اليوم
والخيلع عليه . ولا خبّر عند جعفر . وإن ابنته لجالس مجلسها في
أبتهته ، حتى صعد ابن أبي عامر نحوه ، فوّل ولد المصحفي الدبر ناكصاً
على عقبيه ، وأتبع بدابته . وعاد إلى داره . ومَلَكَ محمد بن أبي عامر
الباب بولايته الشرطة ، وأخذ على جعفر وجوه الحيلة ، وخلاه وليس
بيده من الأمر إلا أقله . وكان ذلك - زعموا - بتدبير غالب معه عند اجتماعهما
بالثغر ، وقال له : سيطر لك ذكر بهذا الفتح ويشغل السرور أهله عن
الحوّض فيما تحدّثه من قصّة ، فإيّاك أن تخرج عن الدار حتى يُعزل
جعفر عن المدينة وتقلدّها ، ويزول أمره على الباب والدار ويتم عليه
التدبير حتى يُزال عن الحجابة . ففعل ذلك وضبط المدينة ضبطاً أنسى
به أهل الحضرة من سلف قبل من الكُفافة أولي السياسة .

١ كذا ولعل صوابه « مثنى » كما هو الشائع عند الأندلسيين .

وانهم مكّ ابنُ أبي عامر في صحبةِ غالب ، ففطنَ جعفرٌ لتدبيرِ ابنِ أبي عامر عليه بعدُ من وهلتهِ ، فكاتبَ غالباً يستصلحه وخطبَ أسماءَ بنته لابنه عثمان ، فأجابهُ غالبُ لذلك . وكادت تتمّ مصاهرته له . وبلغ ابنُ أبي عامر فقامت قيامتهُ ، وكاتبَ غالباً يخوفهُ الحيلةَ ويهيجُ منه الحقدَ . وألقى عليه أهلَ الدار وكاتبوه فصرفوا غالباً ، ورجعَ إلى محمد بنِ أبي عامر وأنكحَ ابنته أسماءَ منه ، وتمّ العقدُ له في محرمِ سنةِ سبعٍ وستين ، وأدخلَ السلطانُ تلكَ الإبنةَ إلى قصرِهِ وجهازَها إلى محمد بنِ أبي عامر من قبَلته ، فظهِرَ كلَّ الظهور ، واستوثقَ له التدبير ، وصار عنده جعفرٌ لا شيء . إلاّ أنه غالطهُ زمنهُ إلى أن أحكمَ أسبابَ صَرْفِهِ . واستقدّمَ السلطانُ غالباً وقادتهُ خُطّةَ الحِجَابَةِ مُشْتَرِكاً مع جعفر . ودخلَ ابنُ أبي عامر بأسماءَ بنته ليلةَ نِروزِ العامِ المؤرَّخ ، وكانت أعظمَ ليلةٍ عُرِسَ بالأندلس . ولجعفرُ في ذلكَ رسالةٌ إلى السلطانِ حَسَنَةً في بابها تملّقُ فيها وتَصنّع ، وهو قد أيقنَ بالنكبةِ ؛ وكفَّ عن اعتراضِ ابنِ أبي عامر في شيءٍ من التدبير . وابنُ أبي عامر يُداهنه ولا يكشفه ، وجعفرُ يشكُّ في أمرهِ ، قد استولى عليه الإدبارُ والحيرةُ ، فلم يصبَحْ له رأيٌ ولا رويّةٌ ؛ وانقبضَ الناسُ عنه ، وانثالوا على ابنِ أبي عامر ، إلى أن صار يغدو [٤٧] إلى قصرِ قُرطبةَ ويروحُ وحدهُ وليس في يده من الحِجَابَةِ سوى اسمِها ، وابنُ أبي عامر قائمٌ بشروطها ، ينصبُ الحِبالَ لسقوطِ جعفر ، والأقدارُ السماويّةُ تنجدُهُ . وكانت لله عندَ جعفرِ في إيثاريهِ هشاماً بخلافته ، واتّباعه شهوةُ نفسه وحظٌّ دنياء ، وتسرعهُ إلى قتلِ المغيرةِ لأوّلِ وهلةٍ دونَ قِصاصِ جَرِيرَةٍ استدركتهُ دونَ إِملاء ، فسلّطَ عليه من كانَ قدَرَّ أنّه يتسلّطُ على الناسِ باسمِهِ .

ولما اتفقت على جعفر هذه الأسباب : جدّ المقدارُ به وسخِطَ السلطانُ عليه وعلى ولدِهِ وأنسابه وعلى أخيه هشامٍ وسائر طبقته ، وطولبوا بالأموال وأُخذوا برفع حساب تصرّفوا فيه لأول الزمان . وأخذهم ابنُ أبي عامر بالخروج عنها ، وتوصل بذلك إلى استئصال أموالهم وانتهاك حرمتهم وأبشارهم ، واجتثاث أصولهم . وكان هشام ابن أخِي جعفر قد بلغ من حسادته لابن أبي عامر أن سَرَقَ له في غزّاته الثالثة في طريقه رؤوساً للنصارى كانت تُساقُ للحضرة ، فنَفَسِه فيها وأمر غلمانَه فصبّوها في النهر ، فقامت قيامةُ ابنِ أبي عامر لذلك ، وكاشف آلِ عثمان من ذلك اليوم ؛ وتجردَ لإبادتهم فاستبلغ في مكروه هشام وعاجله بالقتل في المطبق قبل عمّه جعفر ، فلما [قتل] استقصى ابن عامر مالَ جعفر حتى باع داره بالرُصافة ، وكانت من أعظم قصور قرطبة . واستمرت النكبةُ عليه سنين ، مرة يُحبَسُ ومرة يُخلَى ويُقرُّ بالحضرة وتارة يسيّرُ عنها ، ولا يُراح^١ في الحاليتين من المطالبة والأذى . إذا سَتِمْ ابنُ أبي عامر إعناته وكماله إلى غالبِ صهره فيتولى كِبَرَه ، ويُضعِفُ عدايته . والأخبارُ عنهما في ذلك كثيرة . فلما بانَ عجزُ جعفر وضعفه أقرَّ في المطبقِ بالزهراء إلى أن وافاه^٢ هنالك حِمَامُه وأسلمَ مَيتاً إلى أهله ؛ وما ترك الناسُ بعدُ أن عَدُّوه في قتلى ابن أبي عامر ، وزعموا أَنَّهُ دَسَّ له شَرِبَةً سمَّ قُضت عليه . والله أعلم .

أخبرني محمد بن إسماعيل كاتبُ ابنِ أبي عامر قال^٣ : سِرتُ مع محمد ابنِ مسْلَمَة ثَقَة ابنِ أبي عامر إلى الزهراء لنُسلِمَ جسد جعفر بن عثمان

٢ ص : وفاه .

١ النفع : ولا يراح له .

٣ يستمر النص في نفع الطيب ٣ : ٩٠ . وقارن صياغة ابن خاقان لهذا الخبر في المطبع : ٦

إلى أهله ونظر^١ إلى عَيْشِهِ . و سرنا إلى منزله وما غطى جسده إلا كِسَاءٌ خَلَقَ لِبَعْضِ الْبَوَائِنِ أَلْقَاهُ عَلَى سَرِيرِهِ . ودعا له محمد بن مسلمة بغاسلٍ يَغْسِلُهُ عَلَى فَرْدٍ بَابٍ اخْتُلِعَ مِنْ نَاحِيَةِ الدَّارِ . وخرجنا بنعشه وواريناه ، وما جَسَرَ أَحَدٌ شَهْوَدَهُ معنا سوى إمام مسجده المُسْتَدْعَى للصلاة عليه ومن حضره من ولده . فَعَجِبْتُ مِنْ عُدْوَانِ الزَّمانِ بَعْدَ تَصْرِيفِهِ لَهُ . وإنَّ لي بِالاعتبارِ بَشَانَهُ فِي الْحَالَتَيْنِ مَعَ قُرْبِ الْمَدَّةِ لِمَوْعِظَةٍ : وَقَفْتُ لَهُ فِي طَرِيقِهِ مِنْ دَارِهِ وَقْتَ عِلَّةِ الْحُكْمِ . وَقَدْ تَنَاهَى أَمْرُهُ فِي الْجَلَالَةِ أَرْوَمُ أَنْ أَتَوَلَّاهُ قِصَّةً . فوالله ما تَمَكَّنْتُ مِنَ الدُّنْوِ إِلَيْهِ لِكثَافَةِ مَوَكِبِهِ ، وَأَخَذَ النَّاسُ الطَّرِيقَ عَلَيْهِ مُسَلِّمِينَ وَسَائِلِينَ ، فَاثْنَيْتُ حَسِيرًا مَبْهُوتًا . فلم تَطُلِ الْمَدَّةُ حَتَّى سَلَبَهُ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ حَالَهُ وَقَبِضَ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ يَحْمِلُهُ فِي الْغَزَوَاتِ مَعَهُ . وَسَرَتْ فِي صَحْبَةِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ فَاتَّفَقَ لِي أَنْ نَزَلْتُ فِي بَعْضِ الْمَنَازِلِ بِجَلَسِيَّةٍ إِلَى جَنْبِ خِيَابَتِهِ . وَفِي لَيْلَةٍ نَهَى ابْنُ أَبِي عَامِرٍ عَنِ وَقُودِ النَّارِ لِيَسْخَفِيَ عَلَى الْعَدُوِّ مَكَانَهُ . فَرَأَيْتُ وَاللَّهِ عِثْمَانَ بْنَ جَعْفَرٍ يَسْقِي أَبَاهُ جَعْفَرَ دَقِيقًا قَدْ خَلَطَهُ بِالْمَاءِ يُقِيمُ أَوْدَهُ . وَالشَّيْخُ يَحْسُوه وَيَحْرَصُ عَلَيْهِ ، ضَعْفَ حَالٍ وَعُدْمَ زَادٍ ، فَلَا أَنْسَى تِلْكَ الْمَوْعِظَةَ . وَمَا يَغْتَرُّ بِالْأَيَّامِ إِلَّا ضَعِيفُ الْعَقْلِ .

وَكَانَ مَهْلِكُ جَعْفَرٍ فِيمَا أَخْبَرَنِي بِهِ أَبِي خَلْفُ بْنُ حُسَيْنٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ .

وَمِمَّا طُوبِيَ بِهِ جَعْفَرُ مَا لُ الصَّقْلَابِي جَعْفَرُ . كَانَ الْحُكْمُ وَقَفَهُ قَيْسُ خَالِدِ بْنِ هِشَامٍ وَتَوَرَّعَ عَنْهُ وَأَوْصَى أَنْ يُوزَعَ فِي الْكُؤُورِ الَّتِي كَانَتْ

.....

١ ص : والنظر .

إليه وقته : تَحَلَّلًا من مظالم أهلها . فأرجأه عند خالدٍ مُدَّةً إلى أن احتاجَ إليه فقُبِضَ سرًّا . واندفع إلى جعفر وأخذ خالد بن هشام براءته منه ، فسُئِلَ جعفرُ عنه . فقال : كنتُ خادماً للرجل وصاحبَ سرِّه فعمِلْتُ برسمه : وإن رُجِعَ في الاستدلال إلى زِمَامِهِ الماضي الذي كنتُ أقيِّدُ فيه الأموالَ الباطنةَ وَجَدَ فيه ثبَتَهُ . فجيء في ذلك اليوم بذلك الزِمَامَ وقد قُطِعَ منه الدَرَجُ الذي فيه ذكُرُ المالِ الباطنِ ووُصِّلَ ما انقطع بذلك من الكلام بما بعده . وأرشد جعفر إلى هذه الوهلة : وحسبَ أن مع وجودها لا تلزمُ الحجة . فعدلوا به إلى بَيِّدَاءِ مُضَلَّاةٍ .

قال ابن حبان : ولما أمر بضمِّه إلى المُطَبَّقِ بالزُهراء ودَّعَ أهله وولده وداعَ الفُرقة ، وقال : لستم تروني بعدها حيًّا . فقد أتى وقتُ إجابة الدَّعوةِ وأنا أرتقبه منذ أربعين سنة . وذلك أنِّي أسرفتُ على فلان — رجل [٤٨] سَجَنَ بعهدِ الناصر — وما أطلقته إلاَّ برؤيا . قيل لي : أطلق فلاناً فقد أُجِيبَتْ فيك دعوتُهُ ، فأطلقته وأحضرتُهُ وسألته : فقال : نعم . دعوتُ على مَنْ شاركتُ في أمري أن يُسميته اللهُ في أضيقِ السَّجونِ . فعلمتُ أنَّها قد أُجِيبَتْ . وندمتُ بحيثُ لا تُغني الندامة . فأطلقتُ الرجل . قالوا : فما لبثَ في محبسه إلاَّ قليلاً وأُخرج ميتاً : فسُلِّمَ إلى أهله في أقبحِ صورة . وما زلتُ أسمعُ أنَّه قُتِلَ خَنَقاً ، واللهُ أعلمُ بالحقيقة . المُغْضِي على مُحالٍ هذه الخليفة . انتهى ما لخصته من كلام ابن حبان في شأن جعفر بن عثمان .

وكان أحد من اجتمع له في ذلك الوقت نَوْعا البلاغةِ في النظم والنثر : وهو القائل في نكبته :

١ ص : المقضي على مجال .

لا تأمننَّ من الزمانِ تَقَلَّبَــاً إنَّ الزمانَ بأهلِهِ يَتَقَلَّبُ^١
ولقد أُراني والليوثُ تَخَافُنِي وأخافني من بعدِ ذاكَ الثعلبِ
حَسْبُ الكَرِيمِ^٢ مَدَلَّةٌ ونَقِيصَةٌ ألاَّ يَزَالُ إلى لَتِيمٍ يَطْلُبُ
وإذا أُنْتُ أعجوبةٌ فاصْبِرْ لها فالدهرُ يأتي بالذي هو أعجب

وحدث غير واحدٍ أنه استعطف المنصورَ بهذه الأبيات^٣ :

هَبْنِي أَسَأْتُ فَأَيْنَ الْفَضْلُ وَالكَرَمُ إذْ قَادَنِي نَحْوَكِ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ^٤
يا خَيْرَ مَنْ مَدَّتِ الْأَيْدِي إِلَيْهِ أَمَا تَرْنِي لِشَيْخٍ نَعَاهُ عِنْدَكَ الْقَلَمُ
بِالْغَتِ فِي السَّخَطِ فَاصْفَحْ صَفْحَ مُقْتَدِرٍ إِنَّ الْمُسْلُوكَ إِذَا مَا اسْتَرْحَمُوا رَحِمُوا

فأجابه بهذه الأبيات وهي لعبد الملك الخزيري^٥ :

أَلَا نَ يَا جَاهِلًا زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمُ تَبَغْيِي التَّكْرُمَ لَمَّا فَاتَكَ الْكَرَمُ^٦
نَدِمْتَ إِذْ لَمْ تَقْزُ مِنَّا بِطَائِلَةٍ وَقَدْ مَا يَنْفَعُ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ^٧

ومنها :

نَفْسِي إِذَا جَمَحَتْ لَيْسَتْ بِرَاجِعَةٍ^٨ وَلَوْ تَشَفَّعَ فَيْكَ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ^٩

١ الأبيات في النفع ١ : ٤٢١ والمطمح : ٧ والحلة ١ : ٢٦٧ .

٢ ص : اللثيم ٠ وهو سهو .

٣ الأبيات في النفع ١ : ٤٠٧ . ٦٠١ والبيان المغرب ٢ : ٢٨٦ والحلة ١ : ٢٦٥ وقال ابن الأبار : « هذه الأبيات متنازعة ينسبها إلى المصحفي جماعة ، وقد وجدتها منسوبة إلى ابن دراج القسطلي ٠ وذكر الرقيق أنها لكاتب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب » (وانظر البيان المغرب ١ : ١٣١) .

٤ نفع الطيب ١ : ٤٠٨ . ٦٠١ والحلة ١ : ٢٦٧ والبيان المغرب ٢ : ٢٨٦ .

٥ الحلقة : إذا سخطت ليست براعية

وأخبرت أن المصحفي لما بلغ إليه هذا الجواب قال ١ :

لي مُدَّةٌ لا بدَّ أبلغُها فإذا انقضت أيتامُها مُتُّ
لو قابَلتَنِي الأسدُ ضارِيَةً والموتُ لم يَدُنْ ٢ . لما خِيفْتُ
فانظُرْ إليَّ وكنْ على حَذَرٍ فبمثلِ حالِكَ أَمْسٍ قد كُنْتُ

قال ابن بسّام : ومما يُروى للجعفر المصحفي عند ظهور ابن أبي عامر عليه ، وانتزاعه ما كان من الحِجَابَةِ في يديه . وإفضائه به إلى هذه الحال . من الهضم والاعتقال . قوله ٣ :

تندمت والمغرور من قد تَنَدَّمَ وهل ينفع الإنسان أن يتندَّمَ
غَرَسْتُ قَتَضِييًّا خَلَّتْهُ عُدَدَ كَرَمَةٍ وكُنْتُ عليه في الحوادثِ قَيِّمًا
أَكْرَمُهُ دَهْرِي فَيَزِدَادُ خَيْسَةً ٤ ولو كان من عودٍ كريمٍ تَكَرَّمًا

جمل وجوامع من كبار الأحداث بالدولة العامرية *

قال ابن حيّان : أوّلُ ذلك الوحشةُ الحادثةُ بين ابن أبي عامر والخليفة هشام ووالدته صبيح . والذي أثارها أسبابُ الحسد ودواعي المتنافسة بين

١ النفح ١ : ٦٠٣ والحلة ١ : ٢٦٧ .

٢ الحلة : لم يقدر ؛ النفح : لم يقرب .

٣ منها بيتان في النفح ١ : ٦٠٣ .

٤ النفح . فيزداد خبيثه .

٥ نقله المقرئ بإيجاز وتلخيص ٣ : ٩١ .

أهل القصر الهشامي والعامري ؛ وأشاعوا عنه أنه يريد أن يستبد بالأمم ،
فقام ابن أبي عامر في ركائبه لحدم حدثه . وعلم أنه أتى من حاشية
القصر ، وكان به عِدَّةٌ من الخدم ففرقهم ومزقهم . ولم يدع في خدمة
القصر إلا من استشعر له رهبة وهيبة . وأذكى العيون مع ذلك عليهم حتى
ملك نفوسهم . ثم نظر في شدّة الأموال المختزنة فيه منذ عهد الخلفاء .
ووصف أن أيدي الحرم تنبسط عليها .

قال ابن حيان : أخبرني ولد الخال من بعض ما كانت تفعله السيدة
صبح مع أخيهما رائق أنها أخرجت عند تمكن الوحشة بينهما وبين ابن
أبي عامر مائة كوز على أعناق الخدم الصقالية محتومة . قد صيرت
أشطارها مالا عيناً ذهباً وفضة . وموت على ذلك كله بالمري والشهد
وغير ذلك من الأصباغ الرفيعة المتخذة بقصر الخلافة . وكتبت على
رؤوس الكيزان أسماء ذلك . ومرّت بصاحب المدينة فحسبها كما كتبت
عليها . وكان في تلك الكيزان ثمانون ألف دينار . فأحضر ابن أبي عامر
جماعة وأعلمهم أن الخليفة مشغول عن حفظها بأنهما كيه بالعبادة ،
وأن في تضييعها على المسلمين وعلى الدولة أعظم الآفة . فرأت الجماعة
أن كونه الأموال بيد المنصور أسلم . وهو على حفظها أقدر وأقوم .
ثم نالته على ذلك بقيّة عيلة طاولته فأرجفوا به . فانتقل ابنه عبد

١ ص : أوقي .

٢ المري (muria) : أنواع من مستحضرات تتخذ في صنع الأطعمة منها المري النقيع والطيب
ومري الخبز ومري الحوت وبمض أنواعه يصنع من عصير العنب بالأفاويه دون خبز محرق
(انظر صفحات متفرقة من كتاب الطبخ ومفردات ابن البيطار ٤ : ١٤٩ وقاموس دوزي
مادة « مري » والحاشية ٤ ص ٩٢ من النسخ ج ٣) .

الملك إليه بالزاهرة ليُسْقَدَ الأمور عنه . فكشف أعداؤه وجوههم عند
 استحكام الإرجاف به . وراسلوا حاشية الخليفة هشام سرّاً . وجهزوا للقيام
 عليه . فلم يكن فيهم فضلٌ للذهاب أعيانهم [٤٩] . واشتدّ [ذلك] على ابن
 أبي عامر . فتقدّم إلى ابنه عبد الملك أن يعترض ألفي فارس من المُصْطَنَعين
 للدولة والغلمان العامريين . وأن يسيّئوا معه بالزاهرة لإنفاذ العزيمة
 فيما رآه من حمل الأموال إليه . وأحكّم الأمر مع الفقهاء والوزراء .
 فركب ذلك الجيش من بين يديه يوم الثلاثاء الثالث من جمادى
 الأولى سنة ست وثمانين . فأقْبَى قصر الخلافة بقُرْطُبة . وأذن لمن وافى
 من الفقهاء والوزراء بالوصول إلى مجلسه . وشافهم في ذلك . فاعترف
 الملاء بفضل أبيه المنصور . فقال لهم عبد الملك : إنّ قوماً ميسّين يتّصل
 بأسباب الخليفة هشام يؤثّر الفتنة ويكرّهُ الدّعة . فأنكرت الجماعة
 ذلك . وأحبّ عبد الملك الوصول بهم إلى مجلس هشام ليشافهوه بهذه
 الكروب العظام . فكتره هشام ذلك وامتنع منه وتبرأ منه أعداء ابن أبي
 عامر ؛ وانصدع جمعهم على انتقال المال . فنُقل في ثلاثة أيام حتى
 استنفد جميع ما ظهر عليه من بيت المال ، وتعذّر ما كان بجوف القصر
 من بيت مال الخاصة ؛ ودافع عنه أهل الدار لقيام السيّدة أمّ هشام
 دونّه . أخبرني أبي بعظيم ما شاهدته من صرامة تلك المرأة لابن أبي عامر
 وولده ورميها لهما بكلّ عزيمة . وعبد الملك يومئذ ساكتٌ يتجرّع
 غُصَصه . لا يردّ كلمة . فبلغ عبد الملك رغبته ، وانكفأ إلى أبيه بالزاهرة
 بعد أن ثَقَّفَ القصر . فسكن جاش ابن أبي عامر بإحراز تلك الأموال .

وكان جُمْلَةُ ما حُمِّلَ - زعموا - من الورقِ خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفِ دينارٍ
دراهِمٍ قَاسِمِيَّةٍ . ومن الذهبِ سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ جَعْفَرِيَّةٍ .

ثم استبَلَّ المنصورُ ، وَوَصَلَ إلى مجلسِ الخليفةِ هشامٍ مع ابنِهِ عبدِ
الملكِ وسائرِ عُظَمَاءِ الدَوْلَةِ ، فخلَا هشامٌ مع ابنِ أبي عامرٍ واعترفَ له
بالفضلِ والاضْطِلاعِ بالدَوْلَةِ ، فَخَرِسَتْ أَلْسِنَةُ الحَسَدَةِ . وعَلِمَ
المنصورُ ما في نفوسِ الناسِ لظهورِ هشامٍ ورؤيتِهِمْ له ، إذ كان مِنْهُمْ
مَنْ لم يَرَهُ قَطُّ ، فَأَبْرَزَهُ للناسِ وَرَكَّبَ رَكْبَتَهُ المشهُورَةَ ، وقد برزوا
له في خلقٍ عَظِيمٍ لا يَحْصِيهِمْ إِلَّا مَنْ أَحْصَى آجَالَهُمْ ، في بهجةٍ ولبوسٍ
وهيئةٍ . مُعَمَّمًا على الطَّوِيلَةِ ، سادِلًا لِلدُّثَّاءَةِ ، والقَضِيبُ في يَدِهِ ،
زِيَّ الخِلافَةِ ، وإلى جانبِهِ المنصورُ رَاكِبًا يَسَايِرُهُ ، وَقَدَّامَهُ الحاجبُ عبدُ
الملكِ راجِلًا يَمْشِي . ويسيرُ الجَيْشُ أَمَامَهُ ، وَمِنْ المَواكِبِ وطوائِفُ
الجُنْدِ والغِلَمانِ والفَتِيانِ القَصَصِرِيِّينَ والعامريينَ ما عَجِبَ مِنْ كَثَرَتِهِمْ .

وفاة المنصور بن أبي عامر

قال ابنُ حَيَّان^١ : وَخَرَجَ المنصورُ إلى الغَزَاةِ ، وقد وَقَعَ في مَرَضِهِ
الذي ماتَ مِنْهُ في صَفَرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ . واقتَحَمَ أرضَ
جَلِيقِيَّةَ مِينَ تِلْقامِ مَدِينَةِ طُلَيْطَلَةَ . ومَرَضُهُ يُخَفُّ وَقَتًا وَيَثْقُلُ
وَقَتًا . وَنَفَذَ على عَمَلِ بَنِي غُوَمَسَ إلى أرضِ قَشْتِيَلَةَ ، بَلَدٍ شَانِجُهُ

١ قارن بالنفح ٣ : ٩٣ .

بن عرسية . وهو كان مطلوبه الذي ألب عليه الجماعة . فأحل الغارات بأقطاره فقتويت عليه العلة هنالك . فاتخذ له سرير خشب ودع عليه أعضائه ، وسوي مهاده متطاول الشكل يمكنه الاضطجاع عليه متى خارت قواه . وكان يحمل سريره على أعناق الرجال . وسجف منسدل عليه ، وعساكره تحف به وتطيع أمره . وكان يحمل بين يديه شراع خفيف منصوب ينقل على الأيدي ، فإذا حركت الخلفة أنزل سريره إلى جنب الشراع ليقتضي ما به من حاجة ، وتناول وضوءه جاريتان من قواميه كان حملتهما في غزاته ، فكانتا تسيران وسط الفتیان . وما كان بين نزوله واستقلاله إلا الفترة لقوة الخلفة ، بذلك قطع أربعة عشر يوماً حتى وصل إلى مدينة سالم . وكان هجر الأطباء في علية تلك لاختلافهم فيها . واقتصروا على أوصاف كاتبه الجزيري عبد الملك . وأيقن هنالك بالموت ، وكان يقول : إن زمامي يشتميل على عشرين ألف مرتزق ما فيهم أسوأ حالاً مني ، وددت أن أقال زلتي وأنا كبعض هؤلاء السودان الحاملين لسريري . وكان تحمل سريره السودان الرفاصة ليلين مشيهم ، وكان يتأذى بصنان ربحهم مع ما كان حوله من الطيب . فاشتغل ذهنه يومئذ بقسوة وهو بمدينة سالم وقد أيقن بالوفاة . فأمر ابنه عبد الملك بالنفوذ لشدها في طائفة من ثقات غلمانيه بعد أن أوصى كلهم أشتاتاً وجماعة . ثم خلا بولده عبد الملك يوصيه ويودعه ويقبض على يده . وكلما ذهب عنه استردّه مستدرساً بوصيته . وعبد الملك يسبكي فينكر ذلك عليه ويقول : هذا

١ ص : الحلبة ؛ والخلفة : الهیضة ، وهي فساد المعدة من الطعام يقال : أخذته خلفة إذا كثرترده إلى المتوضأ للرب معدته من الهیضة .

أَوَّلُ الْعَجْزِ وَالْفَسَلِ : إلى أن قضى وَطَرَهُ مما بينهُ وبين عبد الملك . وأمرهُ أن يستخلف أخاه عبد الرحمن على العسكر إلى أن يُنفذ حُكْمَهُ فيه . وخرج عبد الملك إلى قُرطُبةَ ومعه القاضي ابن [٥٠] ذكوان فدخلها في صدرِ شوال من العام . فسكنَ الإرجافَ بموتِ والده . وعرفَ الخليفة كيف تركته .

قال ابن حيان ١ : قال لي أبي خلف بن حسين : ووجدَ المنصورُ بعضَ الراحة . وأمرَ أن تدخلَ عليه جماعةُ فدخلتُ في جُمُلتِهِمْ ودنوتُ منه وهو كالخيال لا يُبينُ كلاماً . وأكثرُ عملِهِ بالإشارةِ كالمسلمِ المودع . وخرجنا فكان آخرَ العهدِ به . ومات ليلةَ الإثنين لثلاثِ بقينَ لرمضانَ من العامِ المورخ ، وعلينا في العسكرِ عبدُ الرحمن ابنهُ فعزَّيناه ، وكان أوصى أن يُدفنَ حيثُ يُقبَضُ ولا يُنقلُ تابوتُهُ . فدُفِنَ في قصرِهِ بمدينةِ سالم . ورأوا أَنَّهُ اختارَ اللهُ له . إذ كانت من أطيبِ ما بناه رحمه الله .

وتلوَّمَ ابنهُ عبدُ الرحمنَ بالعسكرِ مدَّةَ الأسبوعِ وهو ينتظرُ رأيَ أخيه عبدِ الملك في القُفُولِ ، والغلمانُ يضطربونَ عليه وطسيعوا في ردِّ الدولة . فقال لهم عبدُ الرحمن : اصبروا . فكشفوا ما في أنفسهم له . وقالوا : ولانما نحن في حِجْرِ آلِ أبي عامرٍ الدهرَ الداهِرَ ؟ ! نلحقُ ببابِ مولانا الخليفة هشامٍ ولا نتدبِّرُ إلَّا بأمرِهِ . فتقدَّمتُ إلى قرطبةَ منهم نحو سبعمائةٍ منهم عبيدُ الله بن بدر . ثم جاءه بعدُ إذنُ أخيه . فتقدَّم هو بسائرِ العسكرِ . وتجددَ يومَ وردِ قرطبةَ من الحُزنِ بابنُ أبي عامرٍ ،

وحرّكته خدّمته ، وقبائنه قد ألبست المسوح والأكسية بعد الوشي
والحبر ، ما لا شيء فوقه .

أخبرني أبي قال : سمعتُ محمد بن أبي عامر يوصي ابنه عبد الملك في
مرصّته تلك ويقولُ في جُمْلَةٍ كلاميه : يا بنيّ . لست تجدُ أنصحَ لك
منيّ فلا تُعدّين مشورتي : قد جرّدتُ لك رأيي ورويتي على حين اجتماع
من ذهني ، فاجعلها مثلاً بين يديك . قد وطّأتُ لك مهادَ الدولة ،
وعدّلتُ لك طبقات أوليائها . وغايرتُ لك بين دخلِ المملكة وخارجها .
واستكثرتُ لك من أطعمتها وعدّها . وخلفتُ جبايةً تزيدُ على ما
ينوبك بحيشك ونفقتك : فلا تُطْلِقْ يدك في الإنفاق . ولا تقيّضْ
لظالمية العمال . فيختلّ أمرُك سريعاً . فكلُّ سرفٍ راجعٌ إلى احتلال
لا محالة . فاقصدْ في أمرِك جهداً . واستثبت فيما يرفعُ أهلُ السعاية
إليك . والرعيّة قد استقصيتُ لك تقويمها . وأعظمُ منها أن تأمنَ البادرة
وتسكنَ إلى لينِ الخنبة . وصاحبُ القصر قد علمتَ مذهبه . وأنه لا
يأتيك من قبله شيءٌ تكرهه . والآفة ممّن يتولاّه ويلتمسُ الوثوبَ باسمه .
فلا تنم عن هذه الطائفة جُملة . ولا ترفعُ عنها سوءَ ظنٍّ وتهمة . وعاجلُ
بها من خيفته على أقلّ بادرة . مع قيامك بأسبابِ صاحبِ القصر على أتمّ
وجه . فليس لك ولا لأصحابك شيءٌ يقيمكم الحينث في يمينِ البيعة إلاّ
ما تُقيمه لوليّها من هذه النفقة . فأما الانفرادُ بالتدبيرِ دونَه مع ما بلوته
من جهالِهِ وعجزِهِ عنه . فإني أرجو أني وإياك منه في سعة ما تمسكنا بالكتاب
والسنة . والمالُ المخزونُ عندَ والدتيك هو ذخيرةُ مملكتيك . وعدةُ
لحاجة تنزلُ بك . فأقمه مقامَ الخارجة من جوارحك التي لا تبدّلها
إلاّ عندَ الشدة تحافُ منها على سائرِ جسدك . ومادّةُ الخراج غيرُ منقطعة

عنك بالحالة المعتدلة . وأخوك عبدُ الرحمنِ قد صيرتُ إليه في حياتي ما رجوتُ أني قد خرجتُ له فيه . عن حقه من ميراثي ، وأخرجته عن ولايةِ الثغرِ لئلا يجدَ العدوُّ مَسَاغاً بينكما في خلافٍ وصيتي فيُسرع ذلك في نَقْضِ أمري ، ويسْجِيبَ الفاقةَ على دولتي . وقد كفيْتُك الخيرة فيه فاكفه الخيفَ منك . وكذلك سائرُ أهليكَ فيما صنعتُ فيهم بحسبِ ما قدَّرتُ به خلاصي من مالِ الله الذي في يدي . وخيلافتُك بعدي أجدي عليهم ممّا صرفته ؛ فلا تُضَيِّعْ أمرَ جميعهم . والحظُّهم بعيني . فإنك أبوهم بعدي . فخرِّجْ ذكورهم باستخدامِكَ ، وألحِفْ لِنائهم جناحَكَ ، جبرَ الله جماعتهم ، وأحسنِ الخلافةَ عليكم . فإن انقادتْ لك الأمورُ بالحضرةِ فهذا وجهُ العملِ ، وسبيلُ السيرةِ ، وإن اعتاصتْ عليك فلا تلقينَ بيدِكَ إلقاءَ الأمةِ ، ولا تطييبكْ ، وأصحابك السلامةُ فتنسوا ما لكم في نفوسِ بني أُمَيَّةٍ وشيعتهم بقرطبة . فإن قاومتَ من توثبَ عليك منهم فلا تذْهَبْ عن الحزمِ فيهم . وإن خيفتَ الضعفَ فانهِزْ بخاصتكِ وغلمانك إلى بعضِ الأطرافِ التي حصنتُها لك . واختبرْ غداً إن أنكرتَ يومك . وإياك أن تضعَ يدَكَ في يدِ مرواني ما طاوَعْتَكَ بنائِكَ ، فلاني أعرفُ ذنبي إليهم .

قال : وسمعتُه يقول لِغلمانِهِ عند هذه الوصيةِ : تنبّهوا لأمركم . واحفظوا نعمةَ الله عليكم : في طاعةِ عبدِ الملكِ أخيكُم ومولاكم . ولا تغرّنكم بوارقُ بني أُمَيَّةٍ ، ومواعيدُ مَنْ يطلبُ منهم شتاتكم . وقدَّروا ما في قلوبهم وقلوبِ شيعتهم بقرطبةَ من الحقدِ عليكم . فليس يرأسُكم

بعدي أشفقُ عليكم من ولدي. وميلاكُ أمركم [٥١] أن تنسوا الأحقادَ وأن تكونَ جماعتُكم كرجلٍ واحدٍ . فإنه لا يُفلُ فيكم . وما زال يُكرّر هذا وشبهه لطائفةٍ بعد أخرى حتى ضَعُفَ وشُغِلَ بنفسه .

قيام عبد الملك ابنه بالدولة

ولما وردَ النّبأُ بمَوتِه ركبَ عبدُ الملكُ إلى هشامٍ ونعى إليه المنصورَ أباه ، فأظهرَ الإشفاقَ . وعرفه بما اضطربَ من أمرِ الفتيانِ وعصيانهم ؛ فخرجَ هشامٌ وأمره بتدبيرِ أمرهم بحسبِ ما يستقيمُ به أمرُ الدولة . وحذّره مُواقعةَ الدماءِ وتلقيحِ الفِتنة . وخلعَ عليه ، وأخرجَ معه كِتَابَه بولايةِ الحِجَابَةِ مكانَ أبيه ، وقُرِئَ على الكافّةِ . وأنشئ به الكُتُبُ إلى الأقطارِ . وعاقبَ بعضَ الفتيانِ العاصينَ . وأخرجَ بعضهم إلى سَبْتَةٍ . فما قَفَلُوا عنها إلّا عندَ وثوبِ المهديّ بنِ عبدِ الجبّارِ على الدولةِ العامريّةِ . ثم وافى العسكرُ الكبيرُ مع أخيه عبدِ الرحمن . واجتمعَ الشملُ ، وتمكّنتِ الطاعةُ . وأيسسَ الأعداءُ من دولةِ بني عامرٍ . وعليهموا أنْتها وِراثة .

وأسقطَ عبدُ الملكِ سُدُسَ الحِجَابَةِ لأوّلَ ولايتهِ في جميعِ أقطارِ الأندلسِ عَن الرعيّةِ . فراقَتْ أَيْامُهُ ، وأحبّه الناسُ سرّاً وعلانيةً . وانصبَّ الإقبالُ والتأييدُ عليه انصباباً لم يُسمعْ بمثلهِ . وسكنَ الناسُ منه إلى عَفَافٍ ونزاهةٍ نفسٍ . فباحُوا بالمتعةِ . وأخذوا في المكاسِبِ والزينةِ من المراكبِ والملابسِ والقيانِ . حتى سَمَتِ أثمانُ هذه الأشياءِ في مُدَّتِهِ . وبلغتِ الأندلسُ في أَيْامِهِ إلى نهايةِ الجَمالِ والكمالِ وسعةِ

الحال . في كَنَفِ مَلِكٍ مُقْتَبِلِ السَّعْدِ . مَيِّمُونَ الطَّائِرَ ، غَافِلٍ عَنِ
 الْإِيَّامِ ، مَسْرُورٍ بِمَا تَنَافَسُ فِيهِ رَعِيَّتُهُ مِنْ زُخْرَفِ دُنْيَاهَا . فَاجْتَمَعَ النَّاسُ
 عَلَى حُبِّهِ ، وَنَجَا مِنَ الْفِتَنِ . وَأَخْبَارُهُ فِي ذَلِكَ مَأْثُورَةٌ . وَكَانَ عَلَى أَهْلِ
 الْأَنْدَلُسِ أَسْعَدُ مَوْلُودٍ وَكَلِيدٍ . بَلَغَنِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ فَارَسٍ الْبَصْرِيِّ الْمُنْجَمِ
 زَعِيمِ الصَّنَاعَةِ بِهَا عَلَى عَهْدِ الْحَكَمِ أَنَّهُ نَظَرَ فِي مَوْلِدِ عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا
 وَهُوَ طِفْلٌ فَأَشَارَ مِنْ بَعْدِ سَعَادَتِهِ إِلَى أَمْرٍ كَبِيرٍ لَمْ يُدْرِكْهُ هُوَ آخِرُهُ .
 فَعَجِبَ مَنْ شَاهَدَهُ مِنْ جَوْدَةِ إِصَابَتِهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ : لَمْ يُوَلَدْ قَطُّ
 بِالْأَنْدَلُسِ مَوْلُودٌ أَسْعَدُ مِنْهُ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى نَفْسِهِ وَحَاشِيَتِهِ ، نَعَمَ . وَعَلَى
 أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ طُرّاً . وَعَلَى أَرْضِهَا فَضْلاً عَنْ نَاسِهَا ، وَأَنْتَهَا لَا تَزَالُ
 بَخِيرَ حَيَاتِهِ . وَإِذَا هَلَكَتْ مَا أَرَاهَا إِلَّا بِالضَّدِّ . قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : سَمِعْتُ
 هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ ابْنِ فَارَسٍ مِمَّنْ غَيْرِ مَا طَرِيقٍ . فَكَانَ كَمَا قَالَ . لَقَدْ حَدَّثَ
 بِالْأَنْدَلُسِ إِبْرَاهِيمَ مَهْلِكِيهِ مَا هُوَ مَشْهُورٌ .

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ أَحْيَا النَّاسِ . فَإِذَا كَانَتْ الْحَرْبُ عُيُونَ مِنْهُ
 الْأَسَدُ الْمُحَرَّبُ فِي بَرَائِنِهِ حَظْماً وَشِدَّةً . مِنْ رَجُلٍ عَدِيمِ الْفَهْمِ
 وَالْمَعْرِفَةِ جُمْلَةً . صِفَرٍ مِنَ الْأَدَبِ وَالتَّعَالِيمِ . حَتَّى مَا كَانَ يُسَايِرُهُ وَيُنَادِمُهُ
 إِلَّا الْعَجَمُ مِنَ الْجَلَالِيَّةِ وَالْبَرَابَرَةِ مَعْنً لَا يَتَهَشُّ لِسَمَاعٍ . وَلَا يَطْرُبُ
 لِإِيْقَاعٍ . فَارْتَفَعَتْ بِذَلِكَ عَنْ مَجَالِسِ لَهْوِهِ طَبَقَةُ الْمَعْرِفَةِ . وَقَوَّضَ عَنْهَا
 كُلُّ فَاضِلٍ وَعَالِمٍ . وَاعْتَاظَ مِنْهُمْ بِجُفَاءِ الْبَرَابَرِ وَالْأَعَاجِمِ . إِلَّا أَنَّهُ
 مَعَ زُهْدِهِ فِي الْأَدَبِ تَمَسَّكَ بِمَنْ كَانَ اسْتَخْلَصَهُ أَبَوُهُ مِنْ طَبَقَاتِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ
 مِنْ خُطِيبٍ وَشَاعِرٍ ، وَنَدِيمٍ وَشَيْطَرَنْجِيٍّ . وَمُعَدَّلٍ وَتَارِيخِيٍّ وَغَيْرِهِمْ ،

حِفْظاً لِّصَنَائِعِ والدِهِ وقِياماً بِرُسُومِهِ^١ . فقررَهم على مَرَاتِبِهِمْ . ولم يَنْقُصْهُمْ سِوَى الفُوزِ بِخُصُوصِيَّتِهِ . وكانت تُرْفَعُ إِلَيْهِ بِطَائِقِ أَهْلِ الشُّعْرِ وَيَصِلُهُمْ عَلَى تَسَاهُلِهِمْ فِي مَدِيحِهِ لِأَمَانِيهِمْ مِمَّنْ نَظَرَهُ فِيهَا . وأَحْرَزَ لَهُمْ مَعَ الْفَائِدَةِ عَفْوُ الْقَرِيحَةِ . وذلكَ بَيِّنٌ لِّمَنْ تَأَمَّلَهُ فِي أَشْعَارِ مَادِحِيهِ لِفُسُورِهَا .

ثم أغرقَ عَبْدُ الْمَلِكِ النَّزْعَ فِي دَوْلَتِهِ ، وانهمكَ فِي طَلَبِ الْآلَاتِ الْمُلُوكِيَّةِ حَتَّى جُلِبَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّ عِلَاقٍ خَطِيرٌ ، وتَأَنَّقَ فِي مَرَاكِبِهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِالْحِلْيَةِ التَّامَةِ بِخَالِصِ اللَّتَجِينَ . عهدِي بِهِ يَوْمَ فُصُولِهِ لِعِزَّتِهِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ الَّتِي احْتَفَلَ فِيهَا لِشَائِجِهِ بْنِ غَرْسِيَّةٍ . واستكثرَ فِيهَا مِنَ الْعُدَّةِ وَالْعَدَدِ . فبرزَ عَلَى جَوَادٍ مِنْ مُقَرَّبَاتِهِ^٢ الْمُنْسُوبَةِ ، بِأَفْخَمِ تِلْكَ الْمَرَاكِبِ الْمُسْتَسْلِمَةِ . وَلِبُوسِ دَرَعٍ فَضِيَّةٍ مِطْرَزةٍ بِالذَّهَبِ . وَعَلَى رَأْسِهِ خُوْذَةٌ^٣ مُثَمَّنَةٌ الشَّكْلِ . مُحَدَّدَةٌ الرَّأْسِ . مُرْصَعَةٌ الطَّرْقِ بِدُرٍّ فَاحِرٍ ، وَاسْطَنَتْهُ حَجَرُ يَاقُوتٍ أَحْمَرٌ مُرْتَفَعُ الْقِيَمَةِ ، قَدْ لَزِمَ وَسَطَ الْجَيْشِ ، وَطُرِحَ الشَّعَاعُ عَلَى سُنَّةِ وَجْهِهِ . فَمَا رَأَى النَّاسُ بَعْدَهُ مَلِكاً يَبْدُلُهُ فِي الْبَهَاءِ وَالْبَهْجَةِ .

وكانت مما راقته به دولته في الجمال ما تلاحقَ فيها [٥٢] [من] غلمان أبيه العامريين الناشئين في دولة المنصور ، وكان قد وفَّرَ عُنَايَتَهُ بِهِمْ . وَجَدَّ فِي تَدْرِيبِهِمْ ، وَوَقَفَ حُدُوقَ الْمُتَأَقِّفِينَ * عَلَى تَخْرِيجِهِمْ . فَأُثْمِرَ

١ ص : لرسومه .

٢ ص : مغرباته .

٣ ص : حزرة .

٤ ص : الناسيين .

• المتأقفون : الذين لديهم مهارة في المناجزة بالسيوف .

غرسهم ، وأمكن جناحهم . وراقت جملتهم في الفُروسية والرماية ،
وبلغوا ألفي غلام .

وانهمك أيضاً في اصطناع البرابرة العُدويين ، ودعا القبائل منهم إلى
الدخول إليه والخدمة له . وكان من أعظم من هاجر إليه منهم زاوي بن زيري
ابن مناد الصنهاجي عم أبي المعز بن باديس بن منصور صاحب إفريقية وصاحب
الفرقة الخارجة عليه من أهل بيته . وكان المنصور أيامه قد التوى في الإذن له
بالدخول إلى الأندلس حذراً من دهمه ومكره وبعد صيته في المغرب . فأضرب
عبد الملك عن الفكر في شأنه^١ وطلب السمعة باستخدام مثله ، فأدخله بمن
معه من إخوته ، وهم من سعة السمعة وبعد الهيم واستصغار الرغائب فيما يكون
عليه أشباههم من أبناء الملوك . فاستقلوا ما وصلهم به عيد الملك على كثرته ،
وما استقر^٢ [وا] الدار إلا على قلعة . ولا [. . .] معروفهم^٣ ، ولا ليسوا
أعالي المراتب السلطانية إلا على ابتدال ومحقرة . ولا قطعوا أمد المقيم
بالأندلس إلا بذكر الرحلة والتماس التسريح بكرة وعشية . جهلاً
وقرط أنفة ، والأقدار موكلة بثني عزم عبد الملك عن إسعافهم
بسراحيهم لئلا كان قدره - عز وجهه - من الفيتنة وتفريق شمل
الأندلس بأشباههم . فلم يخرجوا عنها إلى أن قاموا على الجماعة ، وشغبوا
عليها بعد عبد الملك . وكان شيخهم زاوي أول دخوله الأندلس يظهر
[من] أنواع البير والبشير للناس ما لا شيء فوقه . وكان شأنه في الدهني

١ ص : في الفكر عن شأنه .

٢ الجملة ناقصة ولعلها أن تكون في الأصل : ولا قبلوا معروفهم إلا على نية الرجعة ، أو
شيئاً شبيهاً بذلك .

والمكر والخلافة عجباً . وكان يرجعُ في^١ إقامة ما اعتاده من سعةٍ لإنفاقه إلى ما جاء به من بلده من عقودٍ وذخائر . فيبيعُ من ذلك النفيسَ والخطير . وربما اشترى من ذلك عبدُ الملك فيزيد في حسرته . وكان عبدُ الملك [راغباً] في رفعة منزله . وولاه^٢ الوزارة أرفعَ خططِ أصحابِ السلطان بالأندلس . ووصل إليه الرسولُ بالصَّكِّ في ذلك وطلب أن يصله عليه . فقال : لو جئتنا بمالٍ لأسهمناك ، وإنما [خطبتنا الامارة]^٣ لا الوزارة ، وأقلامنا الرماحُ . وصحائفنا الأجسادُ^٤ . ولم يمتنع عبد الملك مع غطرسة زاوي هذا من إقامة الخلد على مَنْ وجبَ عليه من أهله : عدا ابنُ أخيه على مولى لهم فقتله فأقاده عبد الملك لحينه . وأسلمته أهله السيفَ فضربت عنقه على قتيله ذلك . بمقبرة كلاعٍ بمشهدٍ عظيمٍ من الناس ، وأسلمت جثته إلى أهله . ونبت الأنندلس بعدُ بأخي زيري أبيه فقوَّض عنها أولَ المقوِّضين من صنهاجةٍ بسراجٍ من عبد الملك .

قال ابنُ حبان : وانبسطت حاشيةُ الخليفةِ هشامٍ على عبد الملك طول مدته في جميع أحوالها ، فحملهم على مرادهم . وانهمك هشامٌ طول أيامه فلم يظهر وقتاً فيها ، ولا شهد صلاةً ، واحتجبَ في نَزْهِه الباطنة على رسمه في أيام أبيه المنصور . وبلغه منها عبد الملك بغيتته ، وجعل يُخرجه

١ ص : إل .

٢ ورد جانب من هذا النص في مخطوطة الرباط (رقم : ١٢٧٥) ص : ١٥٤ .

٣ ما بين معقوفين زيادة من مخطوطة الرباط .

٤ زاد في المخطوطة : أحمل قرطاسك لا حاجة لي به ، فبلغ ذلك المظفر فحقدما له ، وقطع عنه الجراية ، فأخرج من ذخائره أعلاماً نفيسة وذخائر عظيمة القدر فباعها وأنفقها على قومه صنهاجة ، وربما اشترى منها المظفر في خفية .

منها مع حُرْمه مستخفياً بعد طرد الناس عن طريقه . فيضربُ به إلى كلِّ ناحيةٍ . ثم يعود إلى قصره . ونال في مدَّة هذا الانهماكِ والدَّعة أهلُ الاحتِيال من الناس عندهم الرغائب النفيسة ، بما ازدلفوا به من أثرِ كريم ، أو زخرفوه من كذبٍ صريح . حتى لقد اجتمع عند نساء القصر ثمانية حوافرٍ عُزِّيَ جميعها إلى حِمَارِ عُزَيْرِ المُسْتَحْيَى بِالآيَةِ الباهرة ، واجتمع عندهنَّ من خشبِ سفينةِ نوح عليه السلام وألواحها قطعة ، وظنَّفِرُن من نَسْلِ غَنَمٍ شُعَيْبٍ عليه السلامُ بثلاث . وكَلِيفُنَ من هذا ومثله لعَفْتَهَنَ وزُهْدِ صاحِبِهَنَ بأشياء توجَّهَتْ على أموالهن من قبلِها أعظم حيلة ، ولتَهَجَنَ مع ذلك بطلبِ ذوي الأسماء الغريبةِ من الناس . الموافقةُ أسماؤهم لمن اجتباهُ الله من خَلْقِه . مثل عبدِ النور وعبدِ السميع وعبدِ اللطيف وعبدِ المؤمن وحزبِ الله ونصرِ الله وفضلِ الله . ومثل ياسينَ واليسعَ ومَن جَانَسَه . يَصِيرُ الرجل من هؤلاء في الحاشية ، ويُسْتَعْمَلُ على وكالةٍ جهة ، ولا يَبْعَدُ أن يتموَّلَ في أقربِ مدَّةٍ ، وإن اتَّفَقَ مع ذلك أن يكون ذا لحيَةٍ عثولِيَّة^١ . وصاحبَ سِيَالٍ وهامةٍ . فقد تَمَّتْ له السعادة ، ولا سيما إن كانت لحيته حمراء قانية . فإنَّها أجدَى عليه من دارِ البطيخِ غلَّةٍ ، ثم لا يُسألُ عمَّا وراء روائه من أصل ولا فضيلةٍ ، ولو كان مُردِّداً في بني اللخناء^٢ ، وعارياً من جميع الخصال ، والأخبار في مثل هذا عنهن كثيرةٌ [٥٣] مأثورة . فباهتُ حُرْمُ هشامٍ بمثلِ^٣ هذه المعاني الشاذَّة ، وبذلنَ [من] الأموال في التماسِها بما لم يُسمع مثلها . ولم تزل الدولة

١ ص : عثولية ؛ ولحية عثولة : ضخمة ، والعثول : الكثير شعر الجسد والرأس .

٢ من قول الشاعر : « مردد في بني اللخناء ترديدا » .

٣ ص : من مثل .

تزدادُ انهماكاً إلى أن ماتَ عبدُ الملك ، وكتبَتُ كُتُوبَهُ لم تستَقِصْها
آخرَ الدهر :

قال ابنُ حَيَّان : وكانت ولايةُ عبد الملك وفِرَقُ النصرانيَّة بأسرِها
منتَقِضَةٌ ، وعهدُها قريبٌ بالاجتماع على المسلمين ، وأطاعها بموت
حتَفِفيها المنصور ثابتة . وكانت الإفرنجةُ في آخر وقت المنصور قد تمسَّكت
بالمُسالمة ، فلمَّا سمِعتُ بموته طمِعتُ . واحتاج عبد الملك إلى التثاقل عنهم
توطيداً للحضرة ، إلى أن اعتدلت فيها الدولة . وأخبار الثغور توافيه كلَّ
وقت بما لا يوافقُه . وكان أهمُّ جُمُوعِ طوائف الطواغيت عليه يومئذٍ
أميراً شيطانُهم الرجيم . ومُغَوِيهم الزعيم . شانجُيه بن غُرسِيه بن فَرْدُ لَسَند
صاحبُ قَسْتِيلَةٍ . وكان يليه في النكاية مَنندس [بن] غُنْدَشَلَبُ قَدُومَس
غليسيَّة . وكافلُ مَلِكِهِم أَذْفُونَش بن بَرْمُنْدُ ٢ : وسائرُ القواميس عندهما
سَقَطٌ وحاشيَّة . فقدم عبد الملك الحذرَ منهما ، فألقى مَولاه واضحاً
الفتى صاحبَ مدينةِ سالم على شائِجِه ، فصالحه واضحٌ سنةً ثلاثٍ وتسعين
ولاطفه إلى أن تمهَّدت قواعد الدولة . وجردَ عبد الملك يومئذٍ إلى ثَغْرِ
قُلُومَرِيَّة قاصيةِ الثغر الجَوْفِي المواجه لأرض غليسيَّة جيشاً كَثِيفاً . وبقي
في وجهِ مَنندس بن غُنْدَشَلَب . وصجدَ عبدُ الملك بلدَ الإفرنجة إذ لم
تَزَلْ عند وِلاَةِ الأندلس مبدأ كلِّ عِلَّة . فاستعدَّ لقصدِهم . واقتحم
أرضهم في جموعه وأوغل في بَسيطِ بَرَشِلاونة . وحطَّم غير ما مدينة ،

١ ص : أمير .

٢ Menendo Gonzalez

٣ Leon Alphonse V

٤ ص : رصد .

وعاد قافلاً سالماً غانماً . فهابته الإفرنجية وأذعنّت إلى السلم ، وجاء رسولها إلى قرطبة ، وقد أعدّ عبدُ الملك لوروده أكلَ العُدّة من ترتيب الجنود ، فكان يوم دخلَ ذلك الرسولُ بقرطبة آخر أيام الزينة ، إذ انتقض الملك على أثره سريعاً ووقعت الفتنة .

قال ابنُ حيتان : سمعتُ بعضَ المشايخ يومئذٍ يقول : إنّه ما كان بالأندلس مثل ذلك في أمد الدولة ، بما اجتمع له من كثرة الجمع والزينة والعزة السلطانية . وأما التجار الغرباء فدخلوا يومئذٍ إلى موضع هيئة التجافيف والأعلام المصورة وسائر القطع العجميّة والقنا الهندية ، وموقف خيل الركاب بالسروج الثقال ، والتّراس المذهبة والمفضّصة ، معها بيغالُ الركاب الرائقة في زيّها المشهور ، وما اتصل بذلك من عدّة غريبة . وتوصل أولئك التجار إلى ذلك المكان قبل إباحته للنظارة بإذن التمسوه من عبد الملك ، فلم يختلفوا في استيساع ما عاينوه ، واتفقوا — وكانوا جملة عراقيين ومصريّين وغيرهم — على أنه ما شاهدوا لأحدٍ من ملوكهم مثله .

ولما أحكم عبدُ الملك الشدّ لفتنِ الفرنجة دبّر قصداً شائجاً ، فخرج نحوه صائفة سنة أربع وتسعين ، وأوغلَ في أرضه وخامَ عنه شائجُهُ ولم يَظهر له . وقفلَ عبدُ الملك إلى قرطبة . فاضطرّ شائجُهُ إلى السلم ووفد بنفسه إلى قرطبة . فأعظمَ عبدُ الملك مَورده ، وضمن أن يغزو معه قومه . فخرج مع عبد الملك سنة خمس وتسعين . فاقتحم جلاّيقية وغادر أعمال بني غومس مُضطلمة^١ . وهدى المسلمين شائجُهُ إلى عورات قومه . وانتهى بهم إلى مدينة ليونه وهي من أمتع المعازل ، ولم يكن المنصور بلغها لصعوبتها ،

١ ص : مصمّلة ؛ وفيها معنى اليبس ، وصوبتها اجتهداً .

وطمع عبد الملك فيها ونازلتها فأعيت عليه . وقفل إلى قرطبة . وبقي شانجه في مسالمة ثلاثة أعوام يستعد لحربه . فأحسَّ عبدُ الملك بغدره . فسابقه بالغزو سنة ستَّ بعدها . وضحتي^١ عبدُ الملك يومئذٍ بمدينة سالم . ووافاه هنالك رسول الروم من القسطنطينية بكتابه إليه . يسأله المواصله على سبيل سكتفه مع ملوك المروانية . وساق له هدية وعدة من أسارى الأندلس طير^٢ عليهم بأطراف جزائره البحرية . فسُرَّ عبدُ الملك بذلك ، وإذا كتابه مكتوبٌ بالذهب على رسم ملوك الروم الذي فات الصنعة . وذكر صاعداً ورودَ ذلك الرسول في شعر قال فيه :

زلزلت بالمرهفات صاحب قسطنطين حتى اتفأك بالكتيب
يطلب فيها رضاك مجتهداً من قبل أن يتفأك بالحرب
فليس بالفات البعيد مع إلا إذا [ما] هممت بالطلب

وتمادى استعداد شانجه سراً لغزو عبد الملك فسابقه [٥٤] سنة سبع وتسعين . وظهر المسلمون عليهم . ثمَّ قفل إلى قرطبة آخرَ ذي الحجة منها . ثمَّ غزا سنة ثمان غزوته الأخيرة في شوال . فاعتلَّ في مدينة سالم . ورجع إلى قرطبة محرَّماً سنة تسع وتسعين . فكانت آخر غزاة نفذت إلى بلاد الحرب لو شكَّ كان موته في صفر منها . وضبط أخوه عبد الرحمن الأمر بعده لنفسه .

١ ضحى : شهد عيد الأضحى .

٢ طير : لعله يعني أنه افلك أولئك الأسرى عن طريق المراسلة السريعة .

فصل في ذكر الوزير أبي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي^١ ، وإثبات جملة من أشعاره مع ما يتشبهت بها من طريف أخباره

بلغني أنه خرج من بغداد إذ مات أبوه . وأساء عشرته أخوه . وسينته
دون العشرين . فلاحق بالأمير محمود^٢ . وشهد حروبه بأرض الهند .
وله فيه غير ما قصيد . إلى أن توفي فولي أكبر ولدته بعده^٣ ، فبقي أبو
الفضل على حاله عنده . إلى أن خرج بعض إخوته عليه . فنهض لحربه .
فدبره وزراؤه في طريقه الفتك به . وشاوروا أبا الفضل في القضية . فأبى
من تلك الدنيئة . وأودع أذن الأمير . ذلك التدبير . فخاف وزراؤه
أن يفتضحوا . وعاجلوه قبل أن يصبخوا . وقتلوه قبل أن يقدم أخوه ،
فسبقهم أبو الفضل إليه ، ونص ما فعلوه بأخيه عليه . فشكر له وفاءه لصاحبه .
وقال : الوفاء حليمة الأحرار . والغدر ثوب الأشرار . ووصل القوم
بعد بأخيه . ففلك عن أغلاله ، وحبسه عند بعض عماله . وضرب أعناق
الغدر . وقرب أبا الفضل واستوزره . إلى أن خرج عنه في خبر طويل

.....

١ محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي (٣٨٨ - ٤٥٤ أو ٤٥٥) له
ترجمة في الجذوة : ٦٨ (البغية رقم : ٢٠٩) ونفح الطيب : ٣ : ١١١ - ١١٦ وله ذكر
عارض في المغرب ٢ : ١٢ وانظر بدائع البداهة : ٣٠٨ - ٣٠٩ ، ٣٦٤ وتتممة البيتمة
١ : ٦٤ والواقي ٤ : ٦٧ .

٢ يعني محموداً الغزنوي (٤٢١ -) .

٣ هو جلال الدولة محمد بن محمود . وقد ثار عليه أخوه مسعود وسمل عينيه وانتزع السلطة
من يده . وفي هذا ما يخالف كلام ابن بسام فيما يني .

٤ ص : فدبروا .

ولحق بشروان شاه^١ . وصحبه إلى أن توفي أيضاً وولتوا أخاه . فكاتب أبو^٢ الفضل الخليفة أبا جعفر^٣ القائم ببغداد في الوصول إليه . فاتفق وورد كتابه إثر وفود رسول المعز بن باديس عليه . فطلب الخليفة رجالاً يسفروا بينهما ، فأرشد إلى أبي الفضل . فوجته عنه وورد . فجهزه وخرج مستتراً من بلد إلى بلد حتى وصل حلب ، فاشتهر خبره وطلب . فمدح معز الدولة بقصيدته التي أولها : « عهود الصبا من بعد عهدك آمل » فأمر له بشباب سرية ، وحمله على فرس عربية . ثم انفصل عنه واجتاز بمرعة النعمان . وبها المعري أحمد بن سليمان . فوصل إليه . وأنشده قصيدته اللامية . فقبل المعري بين عينيه . وقال له : بأبي أنت من ناظم ! ما أراك إلا الرسول إلى المغرب . فوصل مصر ووزيرها يومئذ صدقة ابن يوسف بن علي الملقب بالفلاح^٤ . فقصده مجلس قاضي القضاة بها . وأثبت عقداً على رجل مشهور . كان يومئذ ببلاد المغرب بشهادات زور . ولما ثبت ذلك من الطومار . خرج من مصر في زينة التجار . يؤم بلاد إفريقية ، فوقع على خبره صاحب الإسكندرية . وطلبه فأعجزه . وبلغ

.....

١ ليس هناك ملك بهذا الاسم ، وإنما هذا لقب لحكام شروان ؛ ولعل المقصود هنا هو منوهر ابن يزيد أو علي بن يزيد أو قباد بن يزيد (٤١٨ - ٤٤١) .

٢ ص : أبا .

٣ تولى القائم أبو جعفر الخلافة سنة ٤٢٢ وثار عليه البساسيري سنة ٤٥٠ ثم أعاده السلاجقة وبقي حتى توفي ٤٦٧ .

٤ هو شمال بن صالح المرديني ولي قلعة حلب أول مرة سنة ٤٢٠ ثم أقصي عنها وعاد إليها سنة ٤٢٩ فلم تطل مدته ، وأقصي مرة أخرى ثم عاد إليها سنة ٤٣٤ واعتزل أخيراً سنة ٤٤٩ .

٥ تولى صدقة الوزارة سنة ٤٣٦ وبقي فيها إلى أن اعتقل وقتل سنة ٤٣٩ (الإشارة إلى من قال الوزارة : ٣٧ - ٣٨) .

طرابُلسَ المغربِ أوَّلَ عملِ المعزِّ . فأفشي أمره ، وفُضح سرُّه ، فأمرَ المعزُّ بإشخاصه . فلما وصل سُمعي به عنده وأراد قتله ، فقال له : تأنّ في . واستقصِ عليّ . فإن صدقتُ وإلاّ قُتلتُ . فمشى أبو الفضل بالقيروان مرقباً عليه ، إلى أن ورد كتابُ القائم بصدقه ، فاعتذر إليه ، ورفع منزلته وأكرمه . وبسط يده في مطالبيه وحكّمه^١ . فحملهم أبو الفضل إلى منزله ، وأحسن إليهم . وخلع عليهم . فعجب المعزُّ من كرمه . وقلّده تدبير حشّمه . وكان ورود أبي الفضل بلد القيروان سنة تسع وثلاثين . حكى ذلك أبو عليّ بن رُشيق وقال : انه أول من أدخل كتاب اليتيمة للثعالبي عندهم . وشهِدَ حصار القيروان معهم . فلما كان عامُ ستّة وأربعين صرف المعزُّ خطبته إلى صاحب مصر ، ونبذ العبّاسية^٢ . فخرج أبو الفضل إلى سُوسة . فتطاول عليه أهلها . فخرج عنهم بعد أن أوقع الفتنة بينهم ، وتركهم فرقتين : قيسية وبنية . وأوقع في نفوسهم أن الحرب قائمة بين هاتين القبيلتين إلى يوم القيامة . فاقتتل الفريقان إلى أن تغلب عليهم تميم بنُ المعزِّ . وتردّد أبو الفضل هنالك عدّة سنين ، وشهد الحروب مع بُلُقَيْن^٣ . ثم انتبذ من تلك الناحية . وركب البحر فنزل بدانية ، فبعث إليه أميرها ابنُ مجاهد باحجم وأربع دقيقٍ أولَ فزوله . فصرفها في وجه رسوله . وتعبّلت الارتحالَ عنه إلى بلنسية فلم يبرأ . واستجلبه المأمون ابنُ ذي النون فحسّن بطليطلة مئواه [٥٥] وأجزل قيراه . وتوسّع له ولعبّيده في البير . وأجرى له ستين مثقالاً في الشهر . وكان دخوله طليطلة

١ أي جعل له الحكم في الذين سعوا به إلى السلطان .

٢ يبدو أن ابن يسام ينفرد بهذا الخبر .

٣ هوبلقين بن محمد بن حماد من الحماديين أصحاب القلعة ، تولى سنة ٤٧٤ ؛ (أعمال الأعلام ٣ : ٨٧)

يوم الجمعة لثلاث بَقِينَ لِحِمَادَى الْأَوَّلَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ . وَتَوَفَّتِي بِهَا
رَحِمَهُ اللَّهُ مُنْتَصَفَ شَوَالِ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ .

وَمِنْ غَرِيبٍ وَفَاءِ الْمَأْمُونِ لَهُ — زَعَمُوا — أَنَّهُ اسْتَمَرَّتْ جِرَائِئُهُ عَلَى
حَاشِيَتِهِ ، وَتَجَافَتَى عَنْ مِيرَاثِهِ وَجَعَلَهُ وَصِيَّةً لَهُ إِذْ لَمْ يُؤْصِ لِفَسْجَاةٍ وَفَاتِهِ .
وَرِثَاهُ الْحَكَمُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ خَلِيفَةَ بِشَعْرِ يَقُولُ فِيهِ :

سَقَى اللَّهُ قَبْرًا حَلَّ فِيهِ أَبُو الْفَضْلِ سَحَابًا يَسْجُحُ الْمُزْنَ وَبَلَاءٌ عَلَى وَبَلٍ
وَكَيْفَ يُسْقَى الْمَزْنَ قَبْرًا يَحْلَهُ وَفِي طَيِّبِهِ بَحْرُ الْمَكَارِمِ وَالْفَضْلِ
وَبَدْرُ تَمَامٍ مِنْ تَمِيمٍ نِجَارُهُ مَلُوكٌ لَهُمْ قَامَ الْمُلُوكُ عَلَى رِجْلِ
وَمِنْهَا :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا أَكَلٌ مِنْ نَفْسِنَا وَنَحْنُ لَدَيْهِ فِي الْحَقِيقَةِ كَالْأَكْلِ
وَهَذَا كَقَوْلِ الْمُعَرِّي^١ :

وَمَا الْأَرْضُ إِلَّا مِثْلُنَا الرِّزْقَ تَبْتَغِي وَتَأْكُلُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ وَتَشْرَبُ
وَقَدْ كَرَّرَ الْمُعَرِّي هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعٍ^٢ :

فَشِمٌ صَارِمًا وَارْكُزُ قَنَاةٌ فَلِلرَّدَى يَدٌ هِيَ أَدْرَى بِالطَّعَانِ وَأَدْرَبُ
أَفْضُ لِيَهَامَاتٍ وَأَرْمَتِي بِأَسْهَمٍ وَأَطْعَنُ فِي قَلْبِ الْخَمِيسِ وَأَضْرَبُ

١ اللزوميات ١ : ٦٣ .

٢ اللزوميات ١ : ٥٦ .

ووزير مصر الملقب بالفلاحى المتقدم الذكر . والدّه كان يوسف
ابن عليّ الذي هجاه الواسانيّ بالقصيدة التي أوّناها^١ :

يا أهلَ جَيْرُونِ هل لسا مِرْكم^٢ إذ استقلتْ كواكبُ الحَمَلِ

وهو يومئذٍ مشرفٌ على دمشق في أيام الحاكم . وهي قصيدة في معناها
فريدة^٣ . وقال الحاكم يوماً : أريد سماع هذه القصيدة من رجلٍ حسن
النشيد . فقبل له صوت الذي قيلت فيه ، لا أحد يُجاريه . فأحضر واستعفى
من نشيدها فلم يُعذر : وأنشد إلى أن انتهى إلى قول الواساني فيها :

كنتُ على بابٍ منزلي سَحَرًا	أنتظرُ الشاكري ^٣ يُسرجُ لي
وطال ليلى بحاجةٍ عَرَضَتْ	باكرتُها والنجومُ لم تَمِلِ
فمَرَّ بي [في الظلامِ] أسودٌ كالـ	فيلٍ عريضٍ الأكتافِ ذوعُضَلِ
مُشَقَّقُ الكعبِ أَدْعُ اليدُ والـ	رجلٍ طويلٍ الساقينِ في سَمَلِ
فأهدتِ الريحُ منه لي أرجًا	مثل جنى الروضِ في الندى الخُضَلِ
فصِحتُ من خلفِهِ رُويدَكَ يا	أمودُ مالي بالعدو من قِبَلِ
فكَّرَ نَحْوِي عَجَلانَ يَعْمُرُ في	مِرْطِ كسامٍ مُبرغثٍ قَمِيلِ
وقد مَدَى فالمدى يَقْطُرُ منْ	غُرمولِهِ في الذبولِ كالوشَلِ
وظنَّ أنِّي صَيِّدٌ فأبرَزَ لي	فَيْشَلَةً مثلَ رُكبةِ الجَمَلِ

١ البيتية ١ : ٣٦٥ .

٢ ص : لسا كنكم .

٣ الشاكري : الخادم أو الأجير .

وقال : لَسَجْ دَارَكُمْ لِأَوْلَجَبْهَا
فطالما أَسْهَلْتُ طَبِيعَةَ مَنْ
فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَلِنْ رَأَيْتَ لَهَا
وَحْدُ عَمُودًا غَلَفُهُ شَرَجٌ
قُلْتُ لَهُ : وَالَّذِي يَحْدُ لَكَ الْ
مَا شَتَّى دُبْرِي مُدْقَطَ فَيْشَلَّةً
وَلَا لِهَذَا [دُعَيْتَ] فَاظْلُبْ لَغُرُ
وَهَاتِ قُلْ لِي بِاللَّهِ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُ
فَقَالَ لِي بَيْتٌ عِنْدَ عَامِلِكُمْ
فَصَاكَ بِي طَبِيعُهُ وَصَاكَ بِهِ
تَرْكَتْهُ فِي النَّهَارِ أَخْفَشَ لَا
قُلْتُ تَرَدَّيْتُ ٣ وَاعْتَدَيْتُ عَلَى
لِعَايَةِ غَيْرُهُ ٤ فَصِفْهُ فَمَا
فَقَالَ : يَا سَيِّدِي عَجَلْتَ بِمَكَ
هَذَا الَّذِي بَيْتٌ عِنْدَهُ نَصَفُ
أَدْرُ رِخْوُ الْعِجَانِ مُنْحَرِفُ الْ

فِيكَ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ تَبْلُ فَبْلُ
لَيْسَ بِأَمْثَالِهَا بِمُحْتَمِلِ
شَبَّهَ فَلَا تَدْعُنِي أَبَا الْجُعَلِ
لَمْ يُحْتَمِنْ سَاعَةً وَلَمْ يُدَلْ
عُمَرَ وَيُعْطِيكَ غَايَةَ الْأَمَلِ
وَلَا انْتِخَابُ الْأَيُّورِ مِنْ عَمَلِي
مَوْلِيكَ ٢ مَنْ يَسْتَلِدُّهُ بَدَلِي
تَ وَدَعْنِي مِنْ هَذِهِ الْعَمَلِ
هَذَا أَبِي الْفَضْلِ يَوْسُفَ بْنِ عَلِيٍّ
مَنْ صَنَانٌ فِي حَدَّةِ الْبَصَلِ
يَنْظُرُ فِي خِدْمَةٍ وَلَا عَمَلِ
شَيْخٌ نَبِيلٌ يُنْعَمُ إِلَى نَبِيلِ
تَخْدَعُ مِثْلِي بِهِذِهِ الْحَيْلِ
رَوْحِي وَكَانَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِ
دُونَ مُسِينٍ وَفَوْقَ مُكْتَمَلِ
جَبَعَرِ النُّحَى مُهَيَّجُ السَّفَلِ

١ ص : العجل .

٢ اليتيمة : لميادونك .

٣ اليتيمة : تزديدت .

٤ اليتيمة : لعل ذا غيره .

أَنْتُنْ مِنْ كُلِّ مَا يُقَالُ إِذَا
نَعَم . وَفِي بَابِ سُورِهِ وَضَحُّ
أَخَافُ يُعَدِّي أَيْتِي بِبَرَصَتِهِ
فَقُلْتُ : هَذِي صِفَاتُهُ وَلَقَدْ
بَالَعَ فِي النَّتَنِ ضَارِبُ الْمُثَلِّ
أَبَيْتُ لِيَلِي مِنْهُ عَلَى وَجَعَلِ
فَأَغْتَدِي مُثَلَّةً مِنْ الْمُثَلِّ
شَغَلَتْ قَلْبِي بِذَلِكَ الرَّجُلِ

ومنها في التعريض بمنشا بن ابراهيم :

فَقُلْتُ قُلْ لِي مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُهُ
كُنْتُ أَجِيرًا بَبْدًا^٢ مَعْصَرَةً
فَنَمْتُ يَوْمًا وَكُنْتُ مِنْ سَهَرِ الْ
فَاجْتَازَ الْحَيَيْنِ وَالْقَضَاءِ الَّذِي
وَكَانَ مِنْهُ التَّفَاتَةُ^٣ فَرَأَى
فَاشْتَدَّ تَحْدِيقُهُ^٤ إِلَيَّ كَمَا
وَلَمْ أَبْتَ لَيْلَتِي وَعَيْشِيكَ يَا
فَتَجِثُّهُ خَائِفًا كَمَا يَلْبِسُجُ الْ
فَارْتَعْتُ لَمَّا رَأَيْتُ لَحِيَّتَهُ^٥
فَقَالَ ذَرْنِي^١ مِنْ هَذِهِ الْعَقْلِ
كَانَتْ قَدِيمًا^٢ لِكَاتِبِ الْبَسْجَلِ^٣
لَيْلٍ وَقِيلًا كَالشَّارِبِ الثَّمَلِ
مَنْ مَنَشَا فِي مَوَكِبِ زَجَلِ
ذِيلَ قَمِيصِي قَدْ قُبِدَ مِنْ قُبُلِ
حَدَّقَ ذَنْبٌ طَاوٍ إِلَى حَمَلِ [٥٦]
مَوْلَايَ حَتَّى رُفِعْتُ^٤ بِالرُّسُلِ
مَصْفُورُ مُسْتَكْرَهًا عَلَى الْوَرَلِ
وَكَدْتُ أُخْرِى مِنْ شِدَّةِ الْوَجَلِ

١ ص : زدني ، والتصويب عن اليتيمة .

٢ البد : موضع عصر الزيت في ديار الشام ؛ ص : بيد ، اليتيمة : بيدي .

٣ اليتيمة : بصور كانت (أي كانت بمدينة صور) .

٤ كذا وردت هذه اللفظة أيضاً في اليتيمة ولا أستطيع أن أجزم بما تمنيه فقد تعني بني بجيلة (أو بجلة) وقد تعني جماعة الأعيان ، وقد تكون لفظة شامية محلية .

٥ اليتيمة : دعيت .

وظنّ أنّي استحييتُهُ فغدا
وقال إن كنت مُكرمي ثلّ قد
إنّيف سيبالي واصفّع قفّاي ولا
ولم يزّل دائباً يُشمرخُ شا
فحين أدليتُ كالخيمارِ بدا
وخرّ للوجهِ والجبينِ وقد
طعنتُهُ طعنة بصدقِ الأنا
ثمّ رمى صفحتي بلحيّتيه
فقال أخطأت إذ أسلت دمي
أين النّسجيعُ القاني فديتك من
فقال أيرُ أرى به هوجاً
ياسيدي ما اسمه فقلتُ أبو الـ

يَبْسُطُني¹ بالمزاح والغسزل
ري فبعضُ الهوانِ أرفعُ لي¹
تَنْظُرُ إلى قُدْرَتِي ولا خَوَلِي
قُوْلِي ويَحْتالُ لي على مَهْلٍ
يَرْفَعُ أثوابه على² الكفّل
رَطَّبَ حَوَلَتِي خُصِيصِيهِ بالبلل
بيبِ أصمّ الكعُوبِ مُعتدل
فقلتُ ذا³ السّرم من بني ثعل
فقلتُ كلاً⁴ والله لم يَسِيل
لَطِخَ رَجِيعُ كالورسِ مُنْسَجِل
قد جاز⁵ حدّ الجنونِ والخَبَل
أسودٍ يُكنى وليسَ بالدُّولي

وهي طويلة⁶ ، فلما فرغ قال له الحاكم : ليمَ لِمَ تقطعُ لسانه ؟ والله
لا عملتَ لي عملاً بعد⁷ ، فصرفه .

١ رواية اليتيمة :

إن كنت أكرمتني لترفع من قدرتي فبعض الهوان أرفع لي

٢ اليتيمة : اجلاله من .

٣ اليتيمة : فقلت يا سيدي ويا أملي ، أظن . . .

٤ اليتيمة : وخاض جسمي أير به هوج يجوز .

جملة من أشعار أبي الفضل في أوصاف شتى
النسيب وما يناسبه

كان يوماً مع المعز بن باديس في مجلس أنس . وغلامٌ وسيمٌ
يدورُ بالكأسِ فقال فيه ^١ :

ومُعذِرٍ نقشَ الجمالِ بمسكِه خدَّآله بدمِ القلوبِ مُضَرَّجَا
لَمَّا تيقَّنَ أنَّ سيفَ جُفُونِهِ مِمن نرجسٍ جعلَ النِّجادَ بِنَفْسِجَا

وكان له هوىٌ بغلامٍ في مدينةِ السلامِ . فإذا رآه أنكَرَ حُبِّه . والغلامُ
يعرفُ شدَّةَ وجدِهِ وكلْفِهِ ، فدَمَعَتْ عينا أبي الفضلِ . فقال الغلامُ :
دمعُكَ شاهدٌ عليك . فقال ^٢ :

وهَبَنِي قَدْ أَنْكَرْتُ حُبَّكَ جُمْلَةً وآلَيْتُ أَنِي لَا أُرُومُ مُحِطَهَا^٣
فَمَنْ أَيْنَ لِي فِي الْحَبِّ جَرَحُ شَهَادَةٍ سَقَامِي أَمْلَاهَا وَدَمْعِي خَطَهَا

ودخل يوماً على قَبِيْنَةٍ وهي تَتَبَخَّرُ بِالنَّدِ ، ودُخَانُهُ قَدْ عَلَا وَجْهَهَا فقال ^٤ :

١ بدائع البدائنه : ٣٠٩ والنفع ٣ : ١١٤ وابن خلكان ١ : ١١٠ وتردد في نسبتها .

٢ النفع ٣ : ١١٧ وبدائع البدائنه : ٣٦٤ .

٣ بدائع : وهونت من نفدي المزيّزة سخطها .

٤ النفع ٣ : ١١٤ والثريشي ٢ : ٨٧ .

وَمَحْطُوطَةُ الْمُتَنِينِ مَهْضُومَةٌ الْحِشَا
إِذَا مَا دَخَانُ النَّدِّ مِنْ جِيْبِهَا [عَلَا]
مُسْنَعَمَةٌ الْأُرْدَافُ تَدْمَى مِنَ اللَّمَسِ
عَلَى وَجْهِهَا أَبْصُرَتْ غَيْمًا عَلَى الشَّمْسِ

وهو القائل ٢ :

يَغْرِسُ ٣ وَرَدًّا نَاضِرًا نَاطِرِي
فَلَمْ مَسْنَعَمْ شَفْتِي قَطْفَه
فِي وَجْنَةٍ كَالْقَمَرِ الطَّالِعِ
وَالْحُكْمُ أَنْ الزَّرْعَ لِلزَّرْعِ ٤ !

وقال ٤ :

وَمُسْبِلٌ مِنْ صُدْغِهِ الْعَطِيرِ الَّذِي
وَحْيَاةٌ مَا غَرَسَ الْحَيَاءُ بَخْدَه
لَا غَرَزَنَ بِمُهْجَتِي فِي حُبِّه
وَلَنْ تَعَزَّزَ إِنَّ عِنْدِي ذِلَّةً
أَهْدَى لِي الْبَلْبَالَ دُونَ حِجَابِ
مِنْ وَرْدِهِ بِيَعْتَابِيهِ وَعْتَابِي
غَرَّرًا يُطِيلُ مَعَ الْخَطُوبِ خَطَابِي
تَسْتَعْطِفُ الْأَحْبَابَ ٥ لِلْأَحْبَابِ

وقال ٦ :

يَا لَيْلُ هَلَّا انْجَلَيْتَ عَنْ فَلَاقِ
جَفَّتْ جَفُونِي الْآمَاقَ فَيْكَ فَمَا
طُلْتُ وَلَا صَبَّرَ لِي عَلَى الْقَلَقِ
تُسَبِّلُ أَشْفَارُهَا ٧ عَلَى الْحَدَقِ

١ ص : من جيبيها .

٢ النفع ٣ : ١١٢ .

٣ النفع : يزرع .

٤ منها بيتان في النفع ٣ : ١١٤ .

٥ النفع : الأعداء .

٦ سرور النفس : ٢٨ والنفع ٣ : ١١٢ .

٧ النفع : جفت لحاظي التغميض فيك فما تطوق أجفانها .

كَأَنْتِي صُورَةٌ مُمَثَّلَتَةٌ نَاطِرُهَا الدَّهْرُ غَيْرُ مُنْطَبِقٍ

وإنما أشار في هذا إلى قول بشار^١ :

جَفَقْتُ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جَفَوْنَهَا عَنْهَا قِصَارُ

فنقل لفظه ومعناه ، وقصّر عنه كما تراه . وقد أخذ أيضاً العتّابي هذا المعنى . واجتناه أرياً ، فردّه شرياً ، بقوله^٢ :

فِي مَاقِيٍّ انْقِبَاضٌ عَنْ جَفَوْنِهَا وَفِي الْخَفَوْنِ عَنِ الْآمَاقِ تَقْصِيرُ

وقال أبو الفضل :

بَدُرُ تِسْمٍ عَلِيٍّ لَيْسَ يَلِينُ خَابَ فِيمَا رَجَوْتُ فِيهِ الظَّنُونُ
طَالِبًا لِلْخِلَافِ إِنْ لَمْ أَكُنْ كَمَا ن وَإِنْ كُنْتُ حَاضِرًا لَا يَكُونُ
فَعَلِذَا مَا نَلْتَمِي قَطُّ حَتَّى يَتَلَاقَى الْمُضَافُ وَالتَّنْوِينُ

وقال :

وَضَبْنِي أَرَانِي غُرَّةً مِنْ جَبِينِهِ تَزِيدُ ضِيَاءَ بَيْنِ أَصْدَاغِهِ الدُّهْمُ
تَجَرَّعْتُ بِالْإِسْعَافِ جُرْعَةَ ظَلَمِهِ لِأَنِّي رَأَيْتُ الظُّلْمَ يَدْرَأُ بِالظُّلْمِ
وَكَمْ أَمَكَّنْتَنِي فَرَسَةً فَتَرَكْتُهَا حَيَاءً مِنَ الشَّيْبِ الْمَوْقَرِ بِالْحِلْمِ
وَلَوْ كُنْتُ فِي ثَوْبِ الشَّيْبَةِ رَافِلًا لَصَحَّ عَلَى لِتَيَانِ زَلَّتْهَا عَزْمِي

١ ديوانه ٣ : ٧ وزهر الآداب : ٧٤٧ والمختار : ٧ - ٨ والزهرة ١ : ٢٩٠ .

٢ زهر الآداب : ٧٤٧ وابن بسام يتابعه في الحكم على البيت ، والمختار : ٢٣ .

وهذا كقول الآخر^١ :

دَعْنِي عَيْنَاكَ نَحْوَ الصَّبَا دُعَاءَ تَكَرَّرَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
فَلَوْلَا وَحَقِّكَ عَذْرُ الْمَشِيبِ لَقُلْتُ لِعَيْنَيْكَ سَمْعًا وَطَاعَةً

وهذا مثل قول جرير : [٥٧]

[يقول العاذلات علاك شيبٌ أهذا الشيب يمنعني مراحي]^٢

ومنه أنشد^٣ : [٥٧]

لَوْلَا الْحِيَاءُ وَأَنْتِي مَشْهُورُ وَالْعَيْبُ يَلْحَقُ بِالْكَبِيرِ كَبِيرُ
لَحَلَلْتُ مَتْرَلَكَ الَّذِي تَحْتَلُّهُ وَلَكَانَ مَتْرَلُنَا هُوَ الْمَهْجُورُ

وابن الرقاع هو القائل^٤ :

لَوْلَا الْحِيَاءُ وَأَنْ رَأْسِي قَدْ عَسَا فِيهِ الْمَشِيبُ لَزَرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ

وقال بعض أهل عصرنا :

فَلَوْلَا حِيَاءُ الْمُحِيَّا وَمَا عَرَانِي لِفَقْدِ الصَّبَا مِنْ مُصَابِ

١ أوردهما صاحب النفع ٣ : ١١٥ ولسبهما لأبي الفضل ، وانظر المسلك السهل : ٥٠٠ وهما

في زهر الآداب : ٨٢٧ للصاحب أبي القاسم .

٢ ليس في الأصل بياض ، وزدت بيت جرير إذ البيتان التاليان ليسا له قطعاً .

٣ وردا في زهر الآداب : ٢٧ لمنصور الفقيه ، وقال المؤلف أن أكثر الناس يرونها لإبراهيم

ابن المهدي .

٤ المختار : ٢٧٠ وأما المرتضى ١ : ٥١١ واللكلي : ٥٢١ والحماسة البصرية ٢ : ٨٥ .

لمرغتُ خَدَيَّ وأَلَفْتُ^١ بينَ هشيمِ المشيبِ وروضِ الشبابِ

وقال محمد بنُ هاني^٢ :

والله لولا أن يُسَفِّهني الهوى	ويقولَ بعضُ القائلينَ تصابي
لَكَسَّرتُ دُمْلُجَها بضيقِ عناقِها	ولثمتُ من فيها البرودَ رُضابا
بنتمُ فلولا أن أغَيَّرَ لِمَتِّي	عَبَثاً وألقاكم عليَّ غِضابا
لحَطَطْتُ شيباً في عِذارِي كاذباً	ومَحَوْتُ مَحَوَّ النُقْشِ عنه شِبابا
وخَلَعْتُه خَلَعَ النِجَادِ مُدَمَّما	واعْتَضْتُ من جِلْبَابِهِ جِلْبابا
وخَضَبْتُ مُسَوِّدَ الحِدادِ عليكمُ	لو أنني أجدُ البياضَ خِضابا

وسأله أبو منصور الثعالبيُّ أن يَصِفَ غلاماً صغيراً كان بديعَ الحسنِ
ليُثَبِتَ ذلك في كتابه المترجمِ بألفِ غلام ، فقال^٣ :

لأنِّي عَشِيقْتُ صَغِيراً	قد دَبَّ فيه الجمالُ
وكادَ يُفْشِي حديثَ الـ	فُضُولٍ منه الدَّلَالُ
لو مرَّ في طَرُقِ الهَجِّ	رِ لاعتراهُ ضلالُ
وتاهَ فيه اغتراراً	لو لم يُغَيِّثْهُ الوِصالُ
يُريكَ بَدراً تماماً	في الحُسْنِ وهو هلالُ

وسأله أيضاً أن يَصِفَ غلاماً كاتباً كانَ حَسَنَ الخَطِّينِ خطَّ اليدِ
وخطَّ الوجه ، فقال^٤ :

.....

١ ص : وألقيت .

٢ ديوان ابن هاني : ١٩٨ وزهر الآداب : ٩٠٣ .

٣ هذه القطعة والقلمتان التاليتان في النفع ٣ : ١١٦ وانظر الشريشي ٥ : ٢٥٢ .

٤ الشريشي ٥ : ٢٢١

وكتاب أهديت نفسي له فهي من السوء فيدا نفسه
سلط خديته على مهجتي فاستأصلاها وهي من غرسه
كأنما خطاً على خدة مثل الذي قد خطاً في طيرسه
فلست أدري بعد ما حل بي بمسكه ألفت أم نقصه

وقال فيه ١ :

وشادن أسرف في صدّه وزاد في التيه على عبده
الحسن قد بثّ على خده بنفسجاً يرنو إلى ورده
رأيتُه يكتبُ في طيرسه خطأ يضاهي الدّر في عقده
فخلتُ ما [قد] خطّه كفّه للحسن قد خطّ على خده

والم أبو الفضل في هذا بقول بعض الكتّاب ٢ :

ما أخطأت نوناتُه من صدغِه شيئاً ولا أليفاتُه من قدّه
وكأنما أنفاسُه من شعره وكأنما قيرطاسُه من جيلده

وينظر إلى هذا من طرف خفي ، قول [ابن] أبي سَمُرَةَ الدارمي ٣ قال :

سرابُ الفَيّافِ صادقٌ عند وعدِها وسمُ الأفاعي مبرئٌ عند صدّها
رمتني ولم أسعدْ بأيامٍ وصلِها بعينتي مهارةً أنحستني ببُعدها

١ الشريشي ٥ : ٢٢٢

٢ ينسبان للصنوبري ، انظر تهذيب ابن صاكر ١ : ٤٥٨ ورفع الحجب ١ : ٨٨ والعمدة

٢ : ٣٥ ، ومعاهد التنصيص ٣ : ٩ وديوانه ٤٧٤ وابن بسام يتابع زهر الآداب : ٦٧٦ .

٣ اسمه أحمد بن أبي سمرّة ، وانظر أبياته في زهر الآداب : ٦٧٦ .

تعلّقها قلبي كما قد تعلّقتُ صوالجُ صُدُغَها^١ بتفاحٍ خدّها
فقلبي لَمّا أضعفتُه كخصرِها ودُمعي لَمّا نظمتُه كمِقدّها
وقال أبو الفضل^٢ :

قلت للملكي على الخدين من وردٍ خيمارا
والذي سلّ على العشاق باللحظِ شيفارا
أسبّل الصُدغُ على خدّك من ميسكٍ عذارا
أم أعانَ الليلَ حتى قهرَ الليلُ النهارا ؟
قال مَيدانُ جرى الحُسْنُ نُ عليه فاستدارا
ركضتُ فيه عيونُ فآثارتهُ غُبارا

وقال يتشوّق إلى بلده^٣ :

أهيمُ بذكرِ الشرقِ والغربِ دائماً
ولكنَّ أوطاناً نأتُ وأحبّةً
إذا خطرت ذِكْرهمُ في خَواطري
ولم أنسَ مَنْ ودّعتُ بالشطّ سَحْرةً
ألفانِ هذا سائرٌ نحو غُربةٍ
وما بي شَرَقٌ للبلادِ ولا غربُ
فَنَقَدْتُ مَتى أذكُرُ عهدهمُ أصبُ
تنائرَ من أجفاني اللؤلؤِ الرطبِ
وقد غرَّدَ الحادونَ واستعجلَ الركبِ
وهذا مقيمٌ سارَ عن صدره القلبِ

وقال في مثله^٤ :

١ ص : خديها .

٢ النفع ٣ : ١١٦ والثريشي ٤ : ٢٩٠ - ٢٩١ .

٣ ستّاقٍ منسوبة لعبد الوهاب المالكي ؟ وقد اضطربت نسبة بعض المقطوعات بينه وبين أبي الفضل .

٤ النفع ٣ : ١١٥ .

تَذَكَّرَ نَجْدًا وَالْحِمَى فَبَكَى وَجَدَا
وَحَيْثَهُ أَفْكَاسُ الْخُرَامَى عَشِيَّةً
فَأَظْهَرَ سُلُوانًا وَأَضْمَرَ لَوَاعَةً
وَلَوْ أَنَّهُ أَعْطَى الصَّبَابَةَ حُكْمَهَا
وَلَمْ أُنْسَهُ وَالسُّكْرُ يَفْتِيلُ قَدَّهُ

وقال :

وَمُخْمَوِرِ الْجُنُفُونِ بِلَا خُمَارٍ
فَمَا زَالَتْ بِهِ حَيَّيْلِي إِلَى أَنْ
وَجَادَ بِقُبْلَةٍ فَشَمِيتُ مِسْكَاً
فَكَانَ السُّكْرُ لِي سَبَباً سَقَانِي
فِيَا شَرِيباً وَرَدْتُ فَكَانَ عَذَاباً

وقال :

قَالُوا تَبَدَّى شَعْرُهُ فَأَجَبْتُهُمْ
وَالْبَدْرُ أَهْرُ مَا يَكُونُ ضِيَاؤُهُ

وقال ١ :

ظَبِيٌّ إِذَا حَرَّكَ أَصْدَاغَهُ
غَنَى بِشَعْرِي مُنْشِداً لِيَتْنِي أَلَا

وَقَالَ سَقَى اللَّهُ الْحِمَى وَسَقَى نَجْدَا
فَهَاجَتْ إِلَى الْوَجْدِ الْقَدِيمِ لَهُ وَجْدَا
إِذَا طُمُئِنَّتْ نِيرَانُهَا وَقَدَّتْ وَقْدَا
لِلْأَبْدَى الَّذِي أَخْفَى وَأَخْفَى الَّذِي أَبْدَى
إِذَا مَا تَشَنَّى كَدْتُ أَعْقِدُهُ عَقْدَا

حَكِي بَدْرَ الدُّجَى حُسْنًا وَبُعْدَا
دَنَا وَرَأَى لَدَيَّ الْغَمَى رَشْدَا
وَذَقْتُ مُدَامَةً وَقَطَعْتُ وَرْدَا
عَلَى ظِلِّ الْهَوَى الْعُذْرِيَّ بَرْدَا [٥٨]
وَيَا نَجْمًا لَحِظْتُ فَكَانَ سَعْدَا

لَا بَدَّ مِنْ عَلَمٍ عَلَى الدِّيْبَاجِ
إِذْ كَانَ مَلْتَحِفًا بَلِيلِ دَاجِ

لَمْ يَلْتَفْتُ خَلْقٌ إِلَى الْعِطْرِ
لَمَفْظِ الَّذِي أَوْدَعَتْهُ شَعْرِي

١ النفع ٣ : ١١٧ والشريشي ٥ : ٢٣٨ .

فكَلَّمَا كَرَّرَ إِنْشَادَهُ قَبْلَتُهُ فِيهِ وَلَمْ يَدْرِ
وقال ^١ :

يا ذا الذي خطَّ الجِمالُ بوجهيه سَطَرَيْنِ هاجا لوعةً وبَلابِلا
ما صَحَّ عِنْدِي أَنْ لَحِظْتُكَ صَارِمٌ حَتَّى لَيْسَتْ بَعَارِضُكَ حَمَائِلَا
وهذا كَقَوْلِ ابْنِ رَشِيقٍ ^٢ :

وهل [على] عَارِضِيهِ إِلَّا حَمَائِلٌ قَلَّدَتْ حُسَامَا
وقال أبو الفضل في بعض غِلِمَانِيهِ وَكَانَ لَهُ بِهِ هَوًى :

عَلِيٌّ لَا تَصِلْ وَبَيْنَ	فَقَلْبِي غَيْرُ مُرْتَمِنِ
غَضَبِيَّتَ فَرِدْ وَدُمُ غَضَبًا	فَلَانِي عَنْ رِضَاكَ غَنِي
أَتُخْفِي بِغَضَبِي سِرًّا	وَتُبْدِي الْحَبَّ فِي الْعَلَنِ؟
لَقَدْ غَرَّتَكَ فِي مَيَلِي	إِلَيْكَ كَوَاذِبُ الظَّنِّ
أَتَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ هَوًى	وَوَدُّكَ لِي عَلَى دَخْنِ؟
إِذَا فَسَدَتْ يَدٌ قُطِعَتْ	لَيْسَلَمَ سَائِرُ الْبَدَنِ

فَأَجَابَهُ الْغَلَامُ :

غَلَامُكَ غَيْرُ مُحْتَمِنِ	تُخَوِّتُهُ وَلَمْ يَخُنْ
وَتَطْلُبُ عَتَبَهُ ظُلُمًا	عَلَى غَضَبٍ وَلَمْ يَكُنْ

١ الشريشي ٤ : ٢٩٠ وينسيان لابن عبد ربه ، انظر نفع الطيب ٧ : ٥١ والمطوح ٥٢ : وابن

خلكان ١ : ١١٠ .

٢ ديوان ابن رشيقي : ١٦٩ وابن خلكان ٢ : ٣٦٧ .

وتُوقِعُهُ بما قد قسـه
فقل لي كلَّ طَرْفُكَ أمْ
تَ في بَحْرِ من المحنِ^١
خلا طَرْفِي من الفِتنِ ؟

وقال أبو الفضل^٢ :

وحبيب [قد ضنَّ] بالوصلِ نبيها
أنا أخشى إن دامَ ذا الهجرُ أن يُشـ
فأريحَ الفؤادَ ممّا اعتراهُ
هل تَضِنُّ البدورُ بالإشراقِ
شِطّةً من حبه عِقالَ وثاقِ
وأردّ الهوى على العُشّاقِ

وقال :

سمحتُ بنفسِي غداةَ الرحيلِ
وبتُّ أفضُّ ختامَ الجفونِ
ومن عجب العشق أنَّ القَتيلَ
غراماً على القمرِ الآفلِ
وأبكي على الجسدِ الناحلِ
يَحِينُ ويصهوَ إلى القاتلِ !

وقال :

يا حاديّاً وجمالُ الحَيِّ سائمةٌ
كلفته السَّيرَ من جسمي ففارقته
رفقاً فقد هيجت شوقاً ما استعدّ له
ماذا تريدُ بقلبي أيّسها الحادي ؟
وهل يَسِيرُ أسيرٌ ما له فادٍ ؟
فكيف يَرحلُ مشتاقٌ بلا زادٍ ؟

وقال :

١ ص : الفتن .

٢ منها بيتان في النفع ٣ : ١١٧ .

أيا بَصَرِي عزّاً عليّ ويا سمعي ويا مُسْرِفاً عند التضرع في مَسْعِي
إذا كنتَ مطبوعاً على الحجرِ والجفا فمن أين لي صبرٌ فأجعله طبعي ؟
سَلِّ المطرَ الغمَّسَ الذي عمَّ أرضكم أجاء بمقدارِ الذي فاضَ من دَمْعِي ؟

ما أخرجته من شعره في سائر الأوصاف

كان ليلةً مع بعضِ إخوانِهِ وبين أيديهم شمعَةٌ ، فأفضى حديثُهُم
إلى وصفِها . فجعلَ مَنْ حضرَ يُرِيضُ نفسَهُ ، ويُعملُ في ذلك حِسَّتَهُ ،
فقال أبو الفضل ^١ :

ذَهَبْنَا فَأَذْهَبْنَا الهمومَ بشمعةٍ غَنَيْنَا بِهَا عن طلعةِ الشمسِ والبدرِ
أقولُ وجسمي ذائبٌ مثلَ جسمِها ودمعُها تجري كما دمعتي تجري
كلانا لَعَمري ذوبيانٌ ^٢ من الهوى فنارُك من جَمَرٍ وناري من هَجَرٍ
وأنتِ على ما قد تُقاسين من أذى فصدرُك في نارٍ وناري في صدرِي

وله في وصفِ طيرِف :

حكى فرسي الليلَ في لونه فقابلته البدرُ عند اضطرارِ
فكان له غُرَّةٌ في التمامِ ونعلانٌ لحافيره في السّرارِ

١ بدائع البدائ : ٣٦٤ والنفع ٣ : ١١٧ وانظر القسم الأول من الذخيرة : ٧٨٣ حيث جمع
بين هجر البيت الثالث وعجز البيت الرابع .
٢ البدائع : ذوب نار ؛ النفع : ذائبان .

وقال :

رُبَّ لَيْلٍ أَبْطَا عَلَيَّ فَلَمَسَا مَسَدَّ ضَافِي دُجَاهٍ مَا اسْتَبْطَانِي
جَثْتُ أَسْعَى إِلَيْهِ سَعْيَ زُلَالٍ إِي مَا يَسْتَنُّ فِي حِشَا الظَّمَانِ
ظَلِمْتُ أُسْرِي بِمَثَلِهِ فِيهِ حَقِّي خِيَلْتُنِي قَدْ أَحَاطَ بِي لَيْلَانِ
فَهُوَ طَرَفٌ لَهُ خَضَابِي سَوَادٌ أَنَا فِيهِ كَهَيْئَةِ الْإِنْسَانِ

وأرى السلاميَّ قد نَبَّته على هذا التشبيه ، وإن كان أبو الفضل قد زاد فيه ، وكان السلاميُّ قد ركبَ زورقاً بدجلة فقال ١ :

وميدانٍ تجولُ به خيولُ تقودُ الدارعينَ وما تُقَادُ
ركبتُ به إلى اللذاتِ طيرفاً له جِسْمٌ وليس له فؤادُ
جرى فظننتُ أن الأرضَ وجهٌ ودجلةَ ناظيرٌ وهو السوادُ

وقال عبد الجليل للمعتمد بن عبادٍ من شعرٍ قد تقدّم لإنشاده في صفة جوازٍ البحر ٢ :

فسرتُ فوقَ دِفَاعِ اللَّهِ تَهْصِرُهُ براحةَ الدينِ والتَّقْوَى فينْهَصِرُ
كأنَّما كانَ عَيْنًا أَنْتَ نَاطِرُهَا وكلُّ شَطٍّ بِأَشْخَاصِ الْوَرَى شُفِرُ

وقال أبو الفضل في زامرٍ أسود ٣ : [٥٩]

١ البيتة ٢ : ٣٩٦ - ٣٩٧ والشريشي ٣ : ٤٥ - ٤٦ .

٢ انظر القسم الثاني من الذخيرة : ٥٠٥

٣ الشريشي ٢ : ٣١٠ - ٣١١ .

وحالكِ اللونِ كالليلِ البهيمِ له
تنوب عن نطقه ربح مؤثرة
تخال مجلسنا وجهاً به حسنا
كأنما كفه من زميره سلبت
تراه يحفظ ما يوحى إليه به
يحدو بأنفاسه الأوتار مجتهداً
أهدى الشباب إليه حسن بهجته
وقال :

فضائل مشرق الحُسن كالفلق
في قلب مصطبح أو لب مغتبق
إذ صار فيه كخال معجب لبق
أو زمرة من يديه جيد مسترق
وسيره أبدأ يهوي بمنخرق
فتستقيم^١ به الألحان في الطرق
فناسب المسك في لون وفي عبق

هات اسقني فالعيش شاك جرأة
من قهوة تدع الفتى مستحسناً
مع ناعس الحافظ تخبير أنه
والثلج يحكي في اكتنان سقوطه
ويا بعد ما بين هذا وبين قول بعض أهل عصرنا وهو :

[^٢] والشمس طالعة ولما تغرب
خلت الرذاذ برادة من فيضة
ولأبي الفضل في الشيب^٣ :

١ ص : فتسبهم .

٢ بياض في ص .

٣ الشريشي ٢٩٧ : ٤ .

طاقة^١ نغصت^١ عليّ شباي
فأقامت^٢ عند المكان ونابت^٢
قلت^٣ ماذا هذا لعمر^٣ التصابي
قالنا^٤ قد جرى من الرسم^٤ للسلا
وان ازددت^٥ في الجفاء فلا تن^٥
فتعمدت^٦ نتفمها غير^٦ وان
عند نتفمي من غيرها طاقتان^٦
لشباي وجدتي^٦ محنتان^٦
طان أخذ^٦ البراة قبل^٦ الجان
كير^٦ قدومي عليك مع^٦ أعوان^٦

ألم في البيت الأخير بقول [الآخر] :

[وزائرة للشيب لاحت بعارضي
فبادرتها بالقطف خوفاً من الختف]^٣
[فقلت على ضمهضي استطالت ووحدي]
رويدك حتى يلكحق الجيش من ختلفي

وفي البيت الثاني والثالث بقول كشاجم^٤ :

أخي قسم^٤ فعاوني على شيبة^٤ بنغت^٤
إذا ما مضى المنقاش^٤ يأتي بها أبت^٤
كجان^٤ على السلطان^٤ يحزى بذنبه
وقال أبو الفضل من طردة^٤ :

أنعت^٤ كلباً لم ينصب^٤ مثاله^٤
ميشل^٤ الهزبر^٤ سلبت^٤ أشباله^٤
يطمعه^٤ من حيرصه^٤ خياله^٤
أو كالظالم^٤ ضل^٤ عنه^٤ راله^٤

١ ص : نغصت .

٢ زيادة من الشريشي ٤ : ٢٧٩ .

٣ زهر الآداب : ٨٩٨ والشريشي ٤ : ٢٧٩ .

٤ ص : يطمعه . . . خياله .

يسأم من مطاليه مطاليه وفي وديق فمه جرياله
فكأنا من صيده عياله

وله من قصيد طويل^١ :

كأنا الفصح والنيران تلهيه
أو الزنود براها السيف في رهج
مد الرماد عليه بعد رقدته
أقول للنار والأحزان نائرة
إياك أن تقربي ناراً موججة
أظن أنك ما لاقيت ما لقيت
ولا منيت بتوديع وقد جعلوا
ولا فوجعت بغزلان ألفتهم
سطا الفراق عليهم غفلة فخذوا
فسرت شرراً وأشواقي مسربة
لولا تدارك دمي يوم كاظمة
ياسارق القلب جهراً غير منكثرت
ارمق بعين الرضا تنعش بعاطفة

هنا من الزنج في ثوب من السرقي
من الهنود عليها شطبة العائق
عيناً له حسك من حمرة الشفق
والقلب في غمرات الحب لم يفتق
بلا عسج الشوق في قلبي فتحت
قلوب أهل الهوى من جاحيم القلق
بيض السواعد أطواقاً على العنق
ساروا بقلبك إذ ساروا مع الرقيق
من جوره فراقاً من شدة الفرق
يا بعد ما نزلت من طرقتهم طرقي
لأحرق الركب ما أبدت من حرق
أمنت في الحب من بعدي^٢ على السرقي
قبل المنية ما أوهيت^٣ من رمق

١ منها أبيات في نفح الطيب ٣ : ١١٥ .

٢ ص : يمدي ؛ النفح : أن يمدي .

٣ النفح : أبعيت .

لم يبقَ مني سوى لفظٍ يَبُوحُ بما ألقى فيا عجباً للفظِ كيف بقي
صلي إذ شئتُ أو فاهنجِرُ عَلائيةً فكلُّ ذلكَ محمولٌ على الحدِّقِ

ومنها في وصف الطلِّ والنَّورِ :

كأنَّ قَطْرَاتِهِ من بعدِ ما جَمَعَدَتْ لآلِيءٌ فوقَ أَصْدَافٍ من الورَقِ
فالنَّورُ قَدَرَمِدَتْ بالثلجِ أَعْيُنُهُ فليس يَترنو بِجَفْنٍ غيرِ مُنْطَبِقِ
والغصنُ قد ضَرَبَتْ أَيْدِي الضَّرِيبِ أَوْرَاقِهِ فتراه مائلَ العُنُقِ

قوله : « بيض السواعدِ أطواقاً على العُنُقِ » معنى مشهور ، ومنه قول القائل وهي أبياتٌ يتداولها القَوَّالون ^١ :

مشتاقَةٌ طَرَقَتْ بالليلِ مُشْتِاقاً أهلاً بمن لم يَسْخُنْ عهداً وميثاقاً
يا زائراً زار من قُربٍ على بُعْدٍ آنستَ مُسْتَوْحِشاً لا ذُقْتَ ما ذاقاً
يا ليلُ عَرَّسْ على خِيَلَيْنِ قد جَعَلَا بيضَ السواعدِ للأعناقِ أطواقاً

ومن قصائده المطولات في المدح وما يتعلق به من الصفات
ما أخرجته من مقطوعاته الإخوانيات وغيرها

قال من قصيدة في معز الدولة صاحب حلب :

وقفت على رسم الديار مسألًا وهل يشتفي ^٢ من لوعة الحب سؤالٌ؟

.....

٢ ص : يشفي .

١ الشريشي ٤ : ٣٠ .

فألوى رُسومَ الصبرِ رسمٌ من اللوى
يُحيي بها صوبُ الحياءِ معلماً
فما روضت أرضُ المهادِ ملاحيفُ
وورقاءَ تستملي حنيني بنوحها
ولني إذا ما ازورّ عني منزلُ
أقيمُ إذا ما العزِ وطندَ مفرشي
أنا ابنُ السرى إن ملّني متنٌ سابقُ
كان الفلا طيثرٌ^٣ لها الليل حجلة
تُفوّزُ في قطعِ المفاويزِ جرّائي
إذا البدرُ جلىّ وجهةَ البرّ نورهُ
سقى حلباً والحيّ من آلِ عامرٍ
فكسّمُ أثمرت فيه القنا من مُناقِفِ
إذا خطبوا العلياءَ يومَ كريمةٍ
بيّمنِ معزّ الدولةِ انكشفت لنا
تجافى محيّا المالِ حتى كأنما

وطلّ دموعي بالسّبيبةِ^٤ أطلالُ [٦٠]
خلّعنَ عليهنّ المحاسنَ أنوال
وزهرُ ربّاهما الحسليّ والنورُ خلخال
كيلانا على عهدِ الأحبةِ هدّال
رمى الحلّ في قُطربه شدّ وترحال
وأنبو إذا ما أعقبُ العزّ إذلال
تسلّمني شخّنتُ الجزارةَ مِرقال
تحنّ إليها من ركابي أطفال
إذا كاعَ عن قطعِ المجاهلِ جنّهال^٥
فممدّةٌ ظليّ فوق وجنته خال
هزيمٌ توالى من نشاصك^٦ ميهطال
وكم أتعبت فيه الصوارمَ أبطال
فأسيافهم فيها مهورٌ وأجمال
من الدهرِ أحوالُ مترتّهنْ أحوال
يُقابلُهُ منه وُشاةٌ وعُدّال

١ ص : بالست ، والتصويب تقدير ي .

٢ ص : أعقت .

٣ ص : طير .

٤ ص : طاع . . . جاهل ، وكاع لغة في كع أي أحجم .

٥ النشاص : السحاب .

كَأَنَّ الْوُغَى طَرَفٌ لَهُ الْجَبَلُ مَحْجَرٌ لَهُ النَّقْعُ أَكْحَالٌ لَهُ الزَّانُ ٢ أُمَيَالٌ
وَأَسْمَرَ عَسَّالٌ إِذَا احْتَدَمَ الْوُغَى تَصَدَّقَ مِنْهُ الزَّادَ أَطْلَسَ عَسَّالٌ

وله من أخرى في ابنِ ذي النون المأمون :

لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ مَا لَمْ يُحْنَفْ حَافَتُهُ ٣
وَلَا يَرْدُ الْمُحِيَّتَا الطَّلُقُ بَغْرَتُهُ
مَا بَالُ بَالِي إِذَا سَكَنَتْهُ نَفَرَتْ
أَلْتَبْرِمَ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا
بِهَيْمَةِ الْمَلِكِ الْمَأْمُونِ حِينَ غَدَا
الْوَاهِبِ الْأَلْفَ لَا عَيْنًا وَلَا وَرَقًا
فِي جَحْظٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ مُرْتَكِيمٍ
كَأَنَّمَا نَهَجُ أَنْبُوبِ الرَّمَاكِ بِهِ
قَتُومٌ إِذَا رَكِبُوا سُدُورَ الْفَضَاءِ وَإِنْ
قَدِ صَيَّرُوا الْحَرْبَ كَأَسَا وَالدَّمَاءَ بِهَا

حَتَّى إِذَا قَطَرَتْ أَرْمَاحُهُ شَرِبَا
كَالْقَيْرِ عَنْ بَرَقِ خُلَّتَبِ خُلَيْبَا
عِشَارُهُ وَإِذَا كَفَمَكَفَّتُهُ انْسَرَبَا
أَمْ الْبَعِيدُ مِنَ الْأَمَالِ قَدْ قَرَّبَا
إِفْضَالُهَا لِيَتَنَاوِي هَيْمَتِي سَبَبَا
وَلَا عِشَارًا وَلَكِنْ أَنْعُمًا قُشْبَا
لَكِنْ أَسْنَتُهُ صَارَتْ لَهُ شُهْبَا
مَا قَدْ وَرِثَتْ مِنَ الْعُلَيَّا أَبَا فَا بَا
[حَاوُوا] تَوَهَّمَتْهُمْ فِي الْبَيْدِ رَجُلَ دَبَا
خَمْرًا وَمَا جَوَفَتْ مِنْ بَيْضِهَا حَبَا

وله فيه من أخرى :

.....

١ الجبل : الساحة ، يعني هنا ساحة الوغى .

٢ ص : الزان .

٣ كذا هو ولم أستطع توجيحه .

٤ البفرة : قوة الماء أو الدفعة الشديدة من المطر ، وقد يكون معناها هنا : الشرب دون ارتواء .

٥ ص : حوَفَتْ .

ولم يفهموا ما تكتبُ البيضُ في الوغى ولا السمرُ حتى أعجمما بالخوافِ
تسرَّعَ حتى خيلتُ كلَّ مُقَصِّرٍ مِن الخيلِ محمولاً على ظَهرِ طائرٍ
وحتى توهمنا النجومَ أسيَّنةً وخیلنا الهلالَ بينها إثرَ حافرٍ

وله من مرثية في الملك شروان شاه :

يا موضِعاً^١ عن مُلكِهِ وسريره
طلعتُ^٢ رزيَّته دمي إن لم أدع
يا تاركاً رُسلَ الملوكِ ببابِهِ
أرحلتُ ثم تركتنا ولقبيلَ ذا
أُتري دليلك في السرايا غرَّة
صيرنا نُقبيلُ قهره ولطالما
جدتُ غداً جفنًا لأبصرِ ناظرٍ
يا قبرُ لم نَعْرِفْ تشتتَ شملنا
ظلمنا نشقُ جيوتنا من بعد أن
ونعُبُ كاساتِ الدموعِ كأننا
عُدلَ البكاءَ فظلَّ ينشيدُ نفسهُ

ماذا أضرك لو لبثت قليلاً ؟
دمَ مُقلتي في لحده مطلولا
مَن ذا يردُّ عليهمُ التَّجميلاً ؟
كنا نَحُفُّ^٣ إذا أردتَ رَحِيلاً
خَطأً فسنارَ إلى الحِمَامِ دليلاً ؟
كنا نُبَيِّحُ بِسَاطِطِهِ التَّقْيِيلاً
أَمسى وأصبحَ بالرَّدى مكحولاً
حتى غمَدتِ الصَّارِمَ المصقولاً
كنا نُجَرِّرُ في ذراهُ ذيولاً
في أنسٍ مَجَلِسُهُ نَعْبُ شمولاً
بيتاً يُمَهِّدُ عُذْرَهُ المقبولاً

١ ص : برصعاً ، ولعل الصواب « مزماً » .

٢ ص : طلب .

٣ نحف : لعله يعني نحيط بركابك ، والا فاقراً « نحف » .

٤ ص : لانصر ناصر .

٥ ص : تعرف . . . بعمالنا .

رَدُّ الجَمُوحِ الصَّعْبِ أَيْسَرُ مَطْلَبًا
 ما للرماحِ قَصُورُنَ عن دَرَكِ المَدَى
 وَلَقَبِلُ كُنَّ إِذَا رَأَيْتَكَ عَازِمًا
 لَسَبَسَ الحِدَادَ حديدُهنَّ فما نرى
 تَبْكِيكَ أَقْلَامُ [زَهَتْ] من عَظْمٍ ما
 وبجورُ شعيرِ غاص^٢ مدحُك فانتقى

وله من أخرى في بعض عبيده :

أُعْبِدَتِي قَدْ أُسَارَتَا [في] جَوَانِحِي
 أُسَاتِمُ وَلِلْحَبِّ الْمَبْرَحِ حُجَّةٌ
 لئن بَزَنِي دَهْرِي ببغدادَ ثُرُونِي
 فَيَا لَيْتَنِي لَمْ آتِ بِبَغْدَادِ نَابَهَا
 فَلَوْ كُنْتُ فِيهَا لَمْ تُحَصِّصْ قَوَادِمِي
 فَمَزَقْتُ أَثْوَابَ الْفَلَاحِ بِسَوَابِقِي
 إِذَا [مَا] أُمَلَّتْنِي بِهَا نَشْوَةُ الْكُرَى
 وَإِنْ أَنَا طَلَمْتُ النَّهَارَ بِجَوَازِهَا
 وَمَنْ طَلَبَ الْغَايَاتِ جَرَعَ نَفْسَهُ

من رَدَّ دَمْعٍ قَدْ أَصَابَ سَيْيِلًا
 وَرَأَيْتَ حَمْلَ نُصُوحِهِنَّ فُضُولًا ؟
 عَيْنٌ طُوْلَتِكَ فَاسْتَفْدَنَ الطُّوْلَا
 إِلَّا سِنَانًا مِنْ صَدَاهُ كَلِيلَا
 كَتَبْتَ فَتَوَحَّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلَا
 مِنْهُنَّ دُرًّا فِي النِّتْظَامِ جَزِيلَا

مِنْ الْوَجْدِ دَاءٌ مُسْتَكِينًا وَبَادِيَا
 تُحَسِّنُ فِي عَيْنِي تِلْكَ الْمَسَاوِيَا
 فَمَا زِلْتُ مِنْ كَسْبِ الْمُحَامِدِ كَاسِيَا
 وَأَصْبَحْتُ فِي أَكْنَافِ شِرْوَانِ عَارِيَا
 وَلَا أَحْفَتِ الْأَشْوَاقُ مِنْهَا الْخَوَافِيَا
 تَنْظُلُ بِهَا الْأَنْضَاءُ تَفْطِلُ الْفِيَا فَيَا
 تَرْنَحُ فِي كَفِّي الْمَهْنَدُ صَافِيَا
 خَطَبْتُ خُذَارِيًّا^٣ مِنَ اللَّيْلِ دَاجِيَا
 سَلَفِ السَّرَى وَاسْتَنْهَضَ النِّجْمَ سَاقِيَا [٦١]

١ ص : عن .

٢ ص : عام .

٣ ص : حواري .

ما أخرجته من مقطوعاته الإخوانيات وغيرها في أوصاف مختلفات

له من قصيدة في وصف القيروان وقت فتنة العامة بها يقول فيها :

حالت عليّ القيروانُ بحالِها عمّا عهدتُ العيشَ فهو منقُصُ
فخرابُها في كلِّ يومٍ زائدُ وصُباةُ المعمورِ فيها تنقُصُ

ومنها :

إن كان أرخصني الزمانُ فإنَّه أسدى إليّ بضائعاً لا ترخُصُ
أو كانَ غيّرَ من طِباعي موضعي فالحرُّ إنْ تركتُ وعاءها تقرُصُ
كيف الرجوعُ وطِرفُ حالي عاثرُ وجناحُ آمالي الكسيرُ مُقَصِّصُ

وله من أخرى :

ولمّا أنْ كساني الشَّيبُ ثوباً ولم يكُ وقتَ تغيّرِ الشَّبابِ
أتاني غفلةٌ والنفسُ فيها بقايا من عقابيلِ التَّصابي
وغُصْنُ شبيبتي غُضُّ نضيرُ به ظمأٌ إلى ماءِ الشَّبابِ
ورامَ الناسُ مِنِّي ما يَضاهي مَشْيِي في فيعالي أو خِطابي
ولم أقدمْ على وصلِ التَّصابي مخافةً أنْ أدنّسه بعابِ
فداومتُ المُنْدَامَ فما أبالي ببالي إنْ تخطّيتُ عن صوابِ
فلنْ ظهرَ التَّصابي في يوماً أحلتُ به على فيعلِ الشَّرابِ

وهذا من قول حسّان^١ .

نولّيها الملامة إن ألمّتنا إذا ما كان مغيث أو لحاء

وقال أبو الفضل :

ومُعْتَفٍ لي في المُقامِ ضَرورة
ألقى الهوانَ بها وكم مِن عِزّةٍ
جَهِلوا على الإحسانِ فيها مَوْضِعِي
فكَأَنِّي القُرْآنُ عندَ مُعْطَلٍ
ما الدر يَنْقُصُ فَضْلَهُ في بَحْرِهِ
كَلّا وليسَ المِسْكُ يَبْطُلُ عَرفُهُ
ما عِيبُ ضَوْءِ الشَّمْسِ عندَ بَرُوعِهَا
والليثُ لا يَنْسَى اسْتَطالَةَ بَأْسِهِ
أو ما ترى الدنيا بِفَقْدِ مَلِيكِهَا

وله من أخرى :

وأعْظَمُ من مُصِيباتِ اللَّيالي
يَقابِلُني بَوْدٌ مُسْتَمِيلٍ
إذا عاتَبْتُهُ أبْدى مَجْونا
ومن جَعَلَ السَّموماً لَهُ دَواءً
عَلَيَّ وَصَرَفِيها خَيْلٌ خَوْونُ
وبينَ ضُلُوعِهِ داءٌ دَفِينُ
وعِلَّةُ ذلكَ العَتَبِ المَجُونِ
فيوشكُ أنْ يَفاجِئْهُ المَنُونُ

١ ديوان حسان : ١٧ .

أهْمُ بَأْنُ أَجَازِيَّتِهِ فَيَسْأَلُنِي
أَرَى هَذَا رَأْيَ الْكَلَامِ الْمَحْضِ غَثًّا
وَلَمْ يُزْعِجْ زَيْبُ الْأَسَدِ حِلْمِي
أَيُطْمَعُ أَنْ يَشُقَّ غُبَارَ مُهْرِي
سَلِّ السَّمَرِ الذَّوَابِلَ مَا غَنَائِي
أَلَمْ أَجْعَلْ مُشَارَ النِّقْعِ بَحْرًا

عَلَى الْأَصْلُ وَالْعَرِضُ الْمَهْذُونُ
فَيَرْدَعُنِي عَنِ الْغَثِّ السَّمِينِ
أَيُزْعِجُهُ مِيزَانُ الْبَقِّ الطَّنِينِ ؟
ذَلِيلٌ تَحْتَهُ عَيْثُ حَرُونِ ؟
إِذَا اشْتَجَرَتْ بِهَا الْحَرْبُ الزَّبُونُ
عَلَى أَنْ الْجِيَادَ لَهُ سَفِينُ ؟

وله من أخرى في صاحب الخيل ابن أذين من قصيدة طويلة ، منها قوله :

وَأَعْدَبُ مِيزَانِي بِمِيزَانِ الْعَدِيبِ
وَلَسْتُ بِمَنْ يَسْطَبِيهِ الْغِنَى
وَمَنْ عَبَّيْشَتْ نَفْسُهُ بِالْغِنَى
وَكَمْ طَسَمَ الدَّهْرُ مِنْ جَبَلَاتِي
وَكُنْتُ إِذَا مَا رَمَانِي الزَّمَانُ
عَلَيْقْتُ أبا الْحَسَنِ الْمُرْتَجَى
فَتَى لَوْ رَأَى الْبُخْلُ فِي نَوْمِهِ
وَلَوْ كَانَ طَيْفًا وَكَانَ الْكَرَى
فَمَا لِي أَرَى عِقْدَ إِحْسَانِهِ
وَلَمْ ذَمَّنِي عِنْدَهُ حَامِدُ

سَلَامَتُنَا الْيَوْمَ مِنْ ذِي سَلَمٍ
وَيَرْصُدُ طَيْفًا لَهُ أَنْ يُلَاسِمَ
تَسَاوَى الْغِنَى عِنْدَهُ وَالْعَدَمُ
فَرْدٌ نَضَارَةٌ مَا قَدْ طَسَمَ
أَوْ كَادَ أَوْ هَمَّ بِي أَوْ عَزَمَ
فَأَمْسَيْتُ مِنْ صَرْفِهِ فِي حَرَمٍ
أَوْ ابْلَحَنَ خُلُقًا لَهُ لَمْ يَنْسَمِ
طَرَوْقًا لَغَيْرِ الْعَلَا مَا أَلَمِ
تَبَدَّدَ مِنْ سِلَاحِهِ مَا نَظَّمِ ؟
كَأَنَّ بِهِ جِنَّةً أَوْ لَسَمَ

.....

١ ص : هزم .

بدا وجهه فاشتبهت العمى
وقد كنت ترضع در الصفا
كذا الطفل يرضع حتى إذا
يسألني الناس عما تقول

[وله] :

وكلّمني فاستزرت الصمم
ودادي فما ليودادي فطم؟
ترعرع غيب عنه الحلم
وما قلت لي قط إلا نعم

قالوا مدحت أناساً لا خلاق لهم
فقلت لا تعدلوني لاني رجل

وقال :

ما إن أرى قربكم صائبا
وما جلوسي عندكم أنتي
لكني أجلس [ما] بينكم

وأنتم لي غير أجناس
أعدكم من بعض جلاسي [٦٢]
تعللوا من عدم الناس

وقال في رجل يعرف بابن كثير :

وما الخير مما يرتجى في ابن واحد

فكيف نرجيه من ابن كثير؟

وقال :

وكيف نرجو السحاب الجود من رجل
أصبحت أحلب تيساً لا مدر له

لا يطعم الطير فيه وهو مصلوب
والتيس من ظن أن التيس محلوب

وقال :

١ ص : مالي إن .

يا لائماً عِمرانَ لا تُنْشِدَنَّ عَمْرُو بنَ كُلْثُومٍ «الاهبي»
طَمَعَتْ في كلبٍ فدارَيْتَهُ والكلبُ من يَطْمَعُ في كلبٍ

فصلٌ في ذكر طائفة من الشعراء المقلّين الطارئين على هذا الأفق من بلاد
المشرق ، مع ما يتصل بذكرهم من المعارف المفيدة

منهم :

سليمان بن محمد الصقلي^١ : كان - فيما بلغني - من أهل العلم والأدب
والشعر ، ووفد على هذا القطر سنة أربعين وأربعمائة ، وقصد بمديحه
عيدة من الرؤساء . وتقدّم بفضل أدبه عند الكُبراء . وممّا أنشدته له
في عذول قبيح قوله^٢ :

رأى وجهَ مَنْ أهوى عذولي فقال لي أجِلَّتْكَ عن وجهه أراهُ كريها
فقلتُ له بل وجهُ حبي مِراءةً وأنت ترى [تمثال] وجهيك فيها
ومن شعره^٤ :

١ سليمان بن محمد الصقلي ترجمة في الجذوة : ٢٠٦ (بغية الملتبس رقم : ٧٦٤) وفي الخريدة
(١ : ٩٤) ترجمة لسليمان بن محمد الطرابلسي (اقرأ : الطرابلسي أي من طرابلس بصقلية)
وذكر أنه دخل إفريقية وانتقل إلى الأندلس وتوطنها واتخذها لمخالطة ملوكها سكناً ،
وليس من المقطوع به أن يكون هو نفسه المترجم به عند ابن بسام ، وانظر مسالك الأبحار
١١ : ٤٥٤ والمكتبة الصقلية : ٥٧٧ ، ٥٩٤ ، ٦٥٥ .

٢ الجذوة : ٢٠٨ والشريشي ٤ : ٧٨ .

٣ زيادة من جذوة المقتبس .

٤ الجذوة : ٢٠٨ .

تَقَلَّبَ دهرنا فالصقرُ فيه - يُطالِبُ فضلَ أرزاقِ الحمامِ
على الدنيا العفاءُ فقد تناهى - تسرُّعها إلى أيدي النمامِ
وما النعماءُ للمفضولِ إلا - كمثلِ الحثيِّ للسيِّفِ الكهَمِ
ذَرِّبني أجعلِ الترحالَ سِلْكاً - أنظِّمُ فيه ساحاتِ المِوامي
فلاني كالزُّلالِ العذبِ يُؤذي - صفاهُ وطعمه طولُ المُقامِ

وهذا المعنى مشهور . وقد مرَّ منه في تصاعيفِ هذا التصنيفِ كثير ،
كقولِ بعضِ أهلِ عصرنا^١ :

ماتتُ حِمصَ - وماتني فلو نطقتُ - كما نطقتُ تلاحينا على قَدَرِ
وسوّلتُ ليَ نفسي أن أفارقها - والماء في المِزنِ أصفى منه في الغُدُرِ
وكذلك قوله : « بَلْ وَجْهٌ حَبِيبِي مِرْءاةٌ » معنى مُتداول . منه قول
يوسف بن هارون الرمادي^٢ :

ولمّا أرادَ تنزُّهاً في رَوْضةٍ - أخذَ المِراةَ بكفِّهِ فأدارها
وقال الآخر^٣ :

أنا كالمرآةِ ألقى - كلَّ وجهٍ بمثاليه^٤
وقال العباسُ بنُ الأحنف^٥ :

١ هو الأعمى التطيلي ، انظر ديوانه : ٤٥ .

٢ الشريشي ٤ : ٨٧ .

٣ لابن الرومي في تشبيهات ابن أبي مون : ٢٧٨ .

٤ ديوان العباس : ٢٨٠ والشريشي ١ : ٣٠ .

هَمَّتْ بِاتِيَانِنَا حَتَّى إِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْمِرَاةِ نَهَاها وَجْهُهَا الْحَسَنُ

ولبعض المصريين^١ في غلامٍ كان يَهْوَاهُ ، مما يَنْتَظِرُفُ معناه^٢ :

يَجْرِي النَّسِيمُ عَلَى غِلَالَةٍ^٣ وَجْهِهِ وَأَرْقُ مِنْهُ مَا يَمُرُّ عَلَيْهِ
نَاوَلَتْهُ الْمِرَاةَ يَنْظُرُ وَجْهَهُ فَعَكَسَتْ فَتْنَةً نَاظِرِيَهُ إِلَيْهِ

ورأى أبو الحسن السَّلامِي في يَدِ غلامٍ يَحْمِلُ إِلَيْهِ مِرَاةً فَقَالَ^٤ :

رَأَيْتُهُ وَالْمِرَاةُ فِي يَدِهِ كَأَنَّهَا شَمْسٌ عَلَى مَلِكٍ
فَقُلْتُ لِلصُّورَةِ الَّتِي احْتَجَبَتْ مِنْ غَيْرِ زُهدٍ فِيهَا وَلَا نُسُكٍ
يَا أَشْبَهَ النَّاسِ بِالْحَبِيبِ أَلَا تُخْبِرُنَا عَنْكَ غَيْرَ مُؤْتَفِكٍ
قَالَ أَنَا الْبِدْرُ زُرْتُ بِدَرَكَمٍ وَهَذِهِ قِطْعَةٌ مِنْ الْفَلَكَ
قُلْتُ فَلَمَّا أَرَى بِهَا صَدَأَ فَقَالَ هَذَا بِقِيَّةُ الْحُبِّ

١ ص : أهل المصريون ، وقد صوبته اعتماداً على ما يرد في الحاشية التالية .

٢ البهتان لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى (وجده يونس ابن عبد الأعلى صاحب الفقيه المصري عبد الله بن وهب) وكان عالماً بالنجوم (انظر القفطي :

٢٣٠ وحسن المحاضرة ١ : ٥٣٩) وقد ذكره صاحب زهر الآداب وقال : وكان

لأبي الحسن في الشعر مذهب حسن وطبع صحيح وحوك مليح (٦١٣) وأورد نماذج من

شعره وفيها البهتان (٦١٤) وعند التوطئة لذكره قال : وقال بعض أهل العصر ، ويبدو

أن ابن بسام اضطرب في النقل ، فالشاعر بعض أهل العصر بالنسبة للحصري صاحب زهر

الآداب ، لا بالنسبة لابن بسام ، وبعد أن أدرك ذلك رجع على « أهل » وحول لفظة العصر

إلى « مصر » يمين ، ولا وجه يسوغ أن يقال أهل المصريين ، وانظر الشريشي ٤ : ٧٨ .

٣ زهر الآداب : غلائل .

٤ البيتمة ٢ : ٣٩٧ .

وذكرتُ بذكره المرأة قولَ القراطيسي الكوفي ^١ . وهي أبياتٌ يتداولها
القوَّالون :

ما تنقضي مِن عَجَبٍ فكرتي في خَصَلَةٍ فرطَ فيها الولاهُ
تركِ المحيِّينَ بلا حاكمٍ لم يُقعدوا للعاشقينَ القضاءُ
وقد أتاني خبرٌ ساعني مقالُها في السرِّ : واسوأتاهُ .
أمِثْلُ هذا يبتغي وصلنا أما يرى ذا وجهه في المراهُ !

قال القراطيسي ^٢ : وقلتُ يوماً للعباس بن الأحنف : هل أُلِمَّتْ بهذا
المعنى ؟ فأنشدني لنفسه :

جاريةٌ أعجبها حُسْنُها ومِثْلُها في الناسِ لم يُخلَقِ
خبرْتُها أني مُحِبٌّ لها فأقبلتْ تضحكُ من منطقي
والتفتتْ نحوَ فتاةٍ لها كالرُشِّ الوسنانِ في قُرْطِ
قالتْ لها قولي لهذا الفتي أنظُرْ إلى وجهكِ ثم اعشَقِ

وسُحِثَني الفقيهُ أبو بكرٍ بنِ الوزيرِ الفقيهِ [أبي محمد ابن] العربي ^٣ ؛
قال : حَدَّثْتُ عن الفقيهِ أبي عبد الله الحُمَيْدِيِّ عن سليمان بن محمدٍ

١ هو اسماعيل بن معمر القراطيسي الكوفي وكان يصاحب أبا نواس وأبا العتاهية (انظر ترجمته
في الورقة : ١٩١ - ١٠٢ والأغاني ٢٣ : ٧٢ والأبيات التي ذكرها ابن بسام وردت في
المصدرين المذكورين والثريشي ٤ : ٧٧) .

٢ انظر المصدرين السابقين ، وديوان العباس : ٢٠٣ والثريشي ٤ : ٧٨ .

٣ وردت القصة في الجذوة : ٢٠٦ مع اختلافات يسيرة في العبارة وبدائع البدائع : ٣٤٨ .

الصَّغْلِي . قال : كان بُسُوسَةَ إِفْرِيقِيَّةَ رَجُلٌ أَدِيبٌ ظَرِيفٌ يَتَهَوَّى غِلَامًا جَمِيلًا مِنْ غِلَامَانِهَا . وَاشْتَدَّ كَلْفُهُ بِهِ . فَتَجَنَّى الْغِلَامَ عَلَيْهِ : فَبَيْسَنَاهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَشْرَبُ مُتَنَفِّرِدًا وَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ السَّكْرُ خَطَرَ بِيَالِهِ [٦٣] أَنْ يَأْخُذَ قَتَبَسَ نَارٍ فَيَحْرِقَ بِهِ دَارَهُ . فَفَعَلَ وَجَعَلَهُ عِنْدَ بَابِ الْغِلَامِ فَاشْتَعَلَ نَارًا ، فَاتَّفَقَ أَنْ رَأَاهُ بَعْضُ الْخَيْرَانِ فَأَطْفَأَهُ . فَلَمَّا أَصْبَحَ حُمِّلَ إِلَى الْقَاضِي فَسَأَلَهُ لِمَ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لَمَّا تَمَادَى عَلَى بَعَادِي وَأَضْرَمَ النَّارَ فِي فَوَادِي
وَلَمْ أَجِدْ مِنْ هَوَاهُ بَدَأَ وَلَا مُعِينًا عَلَى السَّهَادِ .
حَمَلْتُ نَفْسِي عَلَى وَقُوفِي بِيَابِهِ حَمَلَةً الْجَوَادِ
وَطَارَ مِنْ بَعْضِ نَارٍ قَلْبِي أَقْلٌ فِي الْوَصْفِ مِنْ زِنَادِ
فَاَحْتَرَقَ الْبَابُ دُونَ عِلْمِي وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ مِنْ مُرَادِي

فَاسْتَظَرَفَهُ قَاضِي الْبَلَدِ . وَتَحَمَّلَ عَنْهُ مَا أَفْسَدَ .

قال الحميدي^١ : وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى مَحْمًى تَفَرَّدَ بِهِ هَذَا الْقَائِلُ حَتَّى أَخْبَرْتُ أَنَّ نَصْرَ بْنَ أَحْمَدَ الْخَبْرَزُرِّيَّ^٢ دَخَلَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ^٣ ابْنِ الْمُنْثَنَّى فِي لَأْثَرِ حَرِيقِ الْمَرْبَدِ ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ قُلْتَ فِي هَذَا شَيْئًا ؟ فَقَالَ : مَا قُلْتُ ، وَلَكِنْ أَنَشِيدُكَ ارْتِجَالَاً ، وَجَعَلَ يَنْشِيدُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

.....

١ انظر الجذوة : ٢٠٧ ، والأبيات في بدائع البدائع : ٣٤٨ .

٢ كان الخبزري (- ٣٢٧) شاعراً أُمياً يخبز خبز الأرز بمربد البصرة في دكانه ، وينشد أشعاره فيحتشد الناس حوله لسماعها (ابن خلكان ٥ : ٣٧٦ وفي الحاشية مصادر أخرى) .

٣ الجذوة : الحسين .

أَتَتَكُمُ شُهُودُ الْوَرَى تَشْهَدُ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَجْهَدُوا
فِيَا مِرْيَدِيَّوْنَ نَاشِدُتُكُمُ عَلَى أَنِّي مِنْكُمُ مُكَمَّدُ ١
جَرَى نَفْسِي صَعْدًا نَحْوَكُمُ فَمِنْ حَرَّةِ احْتِرَقَ الْمِرْيَدُ
وَهَاجَتْ رِيَّاحُ حَنِينِي لَكُمْ فَظَلَّتْ بِهَا نَارُكُمْ تُوقَدُ
وَلَوْلَا دُمُوعِي جَرَّتْ لَمْ يَكُنْ حَرِيقُكُمْ أَبَدًا يَخْنَمَدُ

فصل في ذكر الأديب أبي الفتح ثابت بن محمد الجرجاني ٢

من جُمْلَةِ مَنْ وفد أيضاً على البلدِ في ذلك الأوان . وكان الغالبَ على أدواته علمُ اللسان . وحفظُ الغريبِ والشعرِ الجاهليِّ والإسلامي ، إلى المشاركةِ في أنواعِ المتعاليم . والتصرفِ في حَمْلِ السِّلَاحِ ، والحِذْقِ بِالآلَاتِ الجُنْدِيَّةِ . والنفادِ في معاني الفروسية ؛ فكان الكاملَ في خلالِ جُمُعَةٍ طرأ

١ الجذوة : مجهد .

٢ لثابت الجرجاني ترجمة في الجذوة : ١٧٣ (بغية الملتبس رقم : ٦٠٢) والصلة : ١٢٥ والاحاطة ١ : ٤٦٢ (وفيه نقل عن الذخيرة) . وبغية الوعاة : ٢١٠ ومعجم الأدباء ٧ : ١٤٥ ؛ ولد ثابت سنة ٣٥٠ ودرس به بغداد على عبد السلام البصري والرقي وابن جني ، لقي أوطما به بغداد سنة ٣٧٨ . ثم هجر إلى الأندلس . وأخذ عنه الأندلسيون شرحه بحمل الزجاجي (فهرست ابن خيبر : ٣١٥) ودرس عليه بعضهم حماسة أبي تمام (٣٨٧) ؛ وقد كانت صلة ابن حزم به وثيقة إلا أنه يشير إليه في الفصل (١ : ١٧) باسم « أحد الملحدين » ولعله أثر في ابن حزم بمعرفة المنطقية واثقائه للتعاليم ؛ غير أنه حين التحقق بباديس بن حبوس تورط في شؤون السياسة ولحقته تهمة التدبير ضد باديس مع ابن عمه يدور فقتل سنة ٤٣١ وفي الاحاطة تفصيل واف بمحنه وخبر مقتله نقلا عن كتاب المتين لابن حبان.

على الجانب^١ منذُ صدرِ الفِتنَةِ للدائعِ من كرمه ، فأكرمَ نُزُلته ، ورفعَ من شأنه ، وأصبحته ابنه المرشحَ - كان - لسلطانه . فلم يَزَلْ له بها المكانُ المكينُ إلى أن تَغَيَّرَ عليه بحَيِّ بتغْيِيرِ الزمان ، وتقلَّبَ الليالي والأيام بالإنسان ، ففارقه ولحقَ في غَرناطَةِ بعسكرِ البرابرة ، فحلَّتْ به من أميرهم باديس الفاقِرة .

ووجدتُ بخطَ الفقيهِ أبي محمد بن حزم ، قال^٢ : إن أوَّلَ مَنْ لَتَقِيَ مِن ملوكِ الأندلسِ مجاهدُ العامريِّ المتقدِّمُ الذكر ، فأكرمَ نُزُلته وأنيسَ به ، وسأله يوماً عن رفيقٍ له رآه معه ، فقال الجرجاني :

رفيقانِ شتى ألفَ الدهرُ بيننا وقد يلتقي الشَّتَى فيأتلفانِ

قال أبو محمد بن حَزْم : ثم لقيتُ بعدَ ذلك أبا الفتوحِ فأخبرني عن بعض شَيْئُوخه أنَّ ابنَ الأعرابي رأى في مجلسِهِ رجلينِ يَتحدَّثان ، فقال لأحدهما من أين أنت؟ قال من اسبِيجاب ، وسأل الآخرَ فقال : من الأندلس ، فمعجب ابنُ الأعرابي من ذلك وأنشد البيتَ المتقدم .

ثم أنشدني هذه المقطوعة^٣ :

١ الاحاطة : الحاجب ، والسياق يشير إلى أنه طرأ على علي بن حمود الحسني ، ولم يكن علي حاجباً ، بل خليفة ؛ ثم اتصل بمده بابنه يحيى .

٢ انظر الجذوة ومجمع الأدباء .

٣ لم يرد في ص منها إلا بيتان هما الأول ، والشطر الأول من الثاني والشطر الثاني من الرابع ، وهذا الاضطراب يستدعي تصحيحها ، كما أن قوله « مقطوعة » يعني أنه أورد ما يزيد على بيتين .

نَزَلْنَا عَلَى قَيْسِيَّةَ يَمَنِيَّةٍ لَهَا نَسَبٌ فِي الصَّالِحِينَ هِجَانِ
فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السَّيْرِ دُونَهَا [لَايَةً أَرْضٍ أَمَ مِنْ الرَّجُلَانِ
فَقُلْتُ لَهَا أَمَا رَفِيقِي فَقَوْمَهُ تَحْمِيمَ وَأَمَا أُسْرَتِي فِيمَنْ
رَفِيقَانِ شَتَى أَلْفَ الدَّهْرِ بَيْنَنَا] وَقَدْ يَلْتَقِي الشَّتَى فَيَأْتِلِفَانِ

قال ابن حزم^١ : وأخبرني أبو الفتوح الجرجاني ، قال : أخبرني
علي بن حمزة [ان القصيدة التي أولها « هذي برزت لنا فهجنت رسيما »
قالها المتنبي في محمد بن زريق] وكيل زوامل^٢ ابن الزيئات صاحب طرسوس^٣
وأنه وصله عليها بعشرة دراهم ، فقيل له إن شعرة حسن ، قال : ما أدري
أحسن هو أم قبيح ، ولكنني أزيدُه عشرة أخرى ؛ فكانت صلاته عليها
عشرين درهماً .

فصل في ذكر الأديب عبد العزيز بن محمد السوسي أحد أضياف بن ذي النون

قال ابن بسام : ولم يقع لي من شعر هذا الرجل إلا قصيدة من جملة
قصائد لغير واحد ، أنشئت للمأمون يحيى بن ذي النون ، سنة خمس
 وخمسين في صنع احتفل فيه لإعداد حفيده حسب ما أصفه : وقصيدة
السوسي في ذلك طويلة ، منها قوله :

١ الجذوة ومعجم الأدباء .

٢ الجذوة : الناظر في زوامل .

٣ ص : طرسوس .

لَمَّا بَنَيْتَ مِنَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا مَا جَاوَزَ الْجُوزَاءِ فِي الْإِجْلَالِ
أَعْمَلْتَ رَأْيَكَ فِي بِنَاءِ مُكْتَرَمٍ مَا دَارَ قَطْعَ لَأْمِلٍ فِي بَالِ
لَوْ زَارَهُ كَسْرَتِي أَنْوَ شُرُونٍ لَمْ يَنْصَرِفْ إِلَى الْإِيْوَانِ لِحِطَّةِ مَبَالِ
يَا سَاقِيِي الصَّبْهَاءِ أَيْنَ كِبَارِهَا قَدْ لَدَّ وَرَدُ الْقَهْوَةِ السَّلْسَالِ
لَعْدَارُ يَحْيَى أَبْهَجَ الدُّنْيَا وَبَيَّنَّ عُدْرَتَنَا فِي نَحْوَةِ الْمُخْتَالِ
حَشَدَ السَّرُورِ لَنَا طَهُورٌ مُطَهَّرٍ مِنْ عَائِرِ الْجُبْنَاءِ وَالْبُخْتَالِ
عَرَضُ مِنَ الْأَلَامِ يَجْلِبُ صِحَّةً وَطَفِيفُ نَقْصٍ فِيهِ كُلُّ كَمَالِ

انتهى ما كتبتُه منها .

ونذكر بعقبها ما تعلق بسببها فصلاً لابن حيَّان في وصف ذلك الصنيع الدُّنُويِّ . دلَّ به على [٦٤] براعته ، وأعرب به عن موضعه من صناعته . وسيمرُّ أثناءه ذكرُ شعراء من هذه الطائفة الطارئة وسواها ، لانتظام كلام ابن حيَّان إياها . فمنهم من ذكرْتُ في هذا الموضع بارِعَ أشعاره ؛ وجرَدْتُ فصلاً من كتابي في مُستطَرَفِ أخباره . ومنهم من فاتَ دَرَكي . ولم يعلِّقْ بشرْكي . فاقتصرْتُ في هذا الفصل على ذِكْرِهِ ، وأثبتُها هنا ما وقعَ إليَّ من شعره . وكان غيرُ السَّوسي منهم أحقَّ بالتقديم كحمَّد بن شَرْفٍ وسائرِ طبَقَتِهِ . ممَّن هو أعصفُ^٢ في البيانِ رِيحاً ، وأكثرُ عن الإحسانِ تَصَرُّيحاً ، ولكنَّ وصلانا هذا الفصل بخبر هذا الرجل إذ لم يكن له في سواه آيةٌ تُتلى ، ولا حَسَنَةٌ تُجَنَّتلى .

١ ص : موال .

٢ ص : أصطف .

قال ابنُ حَيَّانَ : كَتَبَ لِيَّ الأَدِيبُ ابنُ جَابِرٍ . قال : احتفلَ المأمونُ ابنُ ذِي النُّونِ في مَدْعَاةٍ لإعذارِ حَفِيدِهِ يحيى فحشدَ أمراءَ البلادِ ، وجُمِلَةُ الوزراءِ والقُودادِ ، فأقبلوا إِلَيْهَا كَالْقَطَا القَارِبِ أُرْسَالاً ، وقد رَسَمَ لَخْدَمَتِهِ في تَوْسِيعِ مَشَارِبِ هَذَا الإِعْذَارِ ، وإِرْغَادِ مَوَائِدِهِ . وتكْمِيلِ وِظَائِفِهِ . ولإِذْكَاءِ مَطَابِحِهِ ، رُسُوماً انْتَهَوْا فِيهَا إِلَى حَدِّهِ . وشَقَّقَ عَلَيْهَا جُيُوبَ أَكْيَاسِهِ ، وأَمَرَ بِالاسْتِكْثَارِ مِنَ الطَّهَاءِ والإِتَاقِ لِلقُدُورِ ، والإِتْرَاعِ لِلجَفَانِ ، والصَّلََّةِ لِأَيَّامِ الطَّعَامِ ، والمِشَاكَلَةِ بَيْنَ مَقَادِيرِ الأَخْبَازِ والآدَامِ . والإِغْرَابِ فِي صَنَعَةِ أَلْوَانِهَا مَعَ شِيَابِ^١ أَبَارِيقِهَا بِالطَّيُوبِ الزَكِيَّةِ ، والقِيرَانِ فِيهَا بَيْنَ الأَضْدَادِ المُخَالِفَةِ مَا بَيْنَ حَارٍّ وَبَارِدٍ . وَحُلِيِّ وَحَامِضٍ ؛ والمِمَّاثِلَةِ بَيْنَ رَائِقِ أَشْخَاصِهَا وَبَيْنَ مَا تُودَعُ فِيهِ مِنْ نَفَائِسِ صِحَافِهَا ؛ والاسْتِكْثَارِ لَهَا مِنْ أَنْوَاعِ الحُلُوءِ المَجِيرَةِ^٢ لِلْمِيعَدِ مِنْ دَائِ الإِتْنَامِ ، وَتَجَاوِزِ عَسَلِيَّتِهَا إِلَى السُّكْرِ . فَجَاءُوا فِي ذَلِكَ كَلَّةً بِأَمْرِ كُبَّارِ أَيْدَتِ لِمَطَابِحِهِ أَمَّ مِنْ الأَنْعَامِ ، جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ المِشَاءِ^٣ وَالتَّيَّارِ وَالعَوَّامِ . وَانْتُسِفَتْ لِمَخَابِرِهِ أَهْرَاءُ مِنَ الطَّعَامِ ، وَأَنْفِقَتْ عَلَى مَجَامِيرِهِ وَمَعَاطِرِهِ جُمْلَةُ^٤ مِنَ الأَمْوَالِ الجِيسَامِ ، فَاغْتَدَى جَمَاعاً؛ لِمَدَاعِي أَهْلِ الإِسْلَامِ العِظَامِ .

وشرَّفَ المأمونُ بالاشتراكِ مَعَ تَطْهِيرِ حَفِيدِهِ يحيى صَبِياناً مِنْ بَنِي أَصْحَابِهِ ، وَبَدَأَ بِحَفِيدِهِ قَبْلَهُمْ ، فَكَانَ أَسْكَنَ مَنْ حُنِفَ مَعَهُ جَاشِئاً ، وَأَقْلَتَهُمْ

١ ص : شَبَابٍ .

٢ ص : المَجِيرَةِ .

٣ ص : الشَّ .

٤ قد تكون صورة اللفظة أقرب إلى « جماداً » .

زَمَعاً^١ ، وإنَّه مشى - زعموا - إلى الحديد مشياً البطل النجيد . ومكَّن الخائن من عضوه فأعانه على إحكام صنعه . وسوى خِتانَه . وخففَ آلامه . وأوشك إفراقَه^٢ ، فخلص من مِحْنَتِه هذه الشرعيَّة ، خلوصَ صادر السَّهام المُصمِّي للرميَّة ، فسُرَّ ابنُ ذي النونِ وشامَ بَرَقَ الأُميَّة ، فعند ذلك أذكى نيرانَه . وأنضجَ أطعمتَه ونصبَ موائدَه ، ودعا الحَقْلَى إليها . ولم يُفْسِحْ لأحدٍ التخلُّفَ عنها . فاكتملت الأُطعمة ، وفُتحت الأبواب . وسُهِلَ الحِجَابُ ، ورُفِعَت السُّتُور . وجُلِيَّتِ المقاصير ، وزُيِّنَت القصور ، وأقيمت المراتب . ووَكِّلَ بكلِّ قسمٍ منها كبير من وجوه الخدَمَة ضُمَّ إليه فريق من الأعوان والوزَّعة . يتصرفون بأمره . ويقفون عند حدِّه . قد أخذوا بخفض الأصوات مع سرعة الحركات وحَثَّ الأقدام . فصار من بديع ذلك الصَّنيع الفَخْمُ أنْ لم يعلُ فيه صوت ، ولا تُشْكِي منه قوت^٣ : فطال العجب من استوائه في مثل ذلك المشهد .

قال ابنُ حَيَّان : ولما بكرتُ أفواجُ عِليَّةِ الناس إلى باب القصر مُسْتَبِقِينَ ، وغَشِيَتْهُ زُمُرُهُم وزرافاتهم مُسْتَبِدْرِينَ . أنزلوا عن دوابهم عند باب المنصب الأول ، فأذن لهم بالدخول على مراتبهم . فمشوا وقد حَفَّتْهم سِراةُ الصَّقَلِ الخَصِيان ، وخَوَّاصُ الحَشَمِ والغِلَمان ، فأجلسوا في الدار الأولى ذات الحائر الرِيَّان . فلما اكتملوا أدخلوا إلى المجلس الكبير . فلما استقرَّ فيه جمعهم خرجتُ تسمية من الأمير المأمون بإدخالِ القضاة

١ حنق : في هذا الموضع بمعنى شتم ؛ والزعم : القلق والجزع .

٢ ص : أقرافه ؛ والافراق : البرء ؛ وكل حليل أفاق من علته فقد أفرق .

٣ ص : قوت (ولها وجه إذا أغفلنا السمع الدقيق) .

والفتة هاء والعُدول ومن يليهم من كبار الناس . دعاهم لذلك ذو الوزارتين أبو [عامر بن] الفرج^١ : فقاموا والسكينة عليهم . يقدمهم قاضي القضاة أبو زيد بن عيسى القرطبي^٢ . فأدخلوا بتكريم على تؤدة ورفق . وجيء بهم إلى الدار الكبرى الثانية ذات الساحة الواسعة الزاهرة ، ثم وصلوا إلى مجلس قد فرش بالديباج التستري المرقوم بالذهب . وسُدت فوق حناياه ستور من جنسه تكاد تلتصق الأبصار بنصاعة ألوانها وإشراق عقيانها . وقد جلس لهم الأمير المأمون في جانب منه ، وحفيده في جانب آخر ، فأكب الناس عليه يهنئونه ، ويلشمون أطرافه ، ويتناغون فيما قد رووا وابتدعوا ، وهو يشملهم بإقبال طرفه ، ويعمّتهم بإجمال رده ، فيبتشون منه إلى حفيده [٦٥] يدعون له . ثم عدل بهم إلى مكان الأظعمة في المجلس الأول — على ذات اليسار من تلك الدار — الواسع القطر الرَّحْبِ الأبواب ، وقد فرش بالوطاء التستري ، وعُلِّقت على أبوابه وحناياه ستور الطميم^٣ المثقلة ذات الصور المقيّدة للألحاظ . وقد مُدَّت فيه صنوف الطعام . فأمنت هذه الطائفة في الأكل ازدقماً وسرطاً ، واختضاماً وقضمًا ، وانتهالاً وعلاً .

١ ص : أبي الفرج ؟ وقد كان أبو عامر بن الفرج وزيراً للمأمون بن ذي النون ثم لابنه القادر (المغرب ٢ : ٣٠٣) وترجم له ابن بسام في الذخيرة ٣ : ١٠٣ ؛ وذكر في المطمح : ١٥-١٦ باسم «أبو الفرج» ، وانتقل هذا الخطأ إلى نفح الطيب ٣ : ٥٤٢-٥٤٣ . واستمر الخطأ في الفهرسة كذلك .

٢ هو عبد الرحمن بن محمد بن عيسى أبو زيد بن الحشا القرطبي الأصل ، استقضى المأمون ابن يحيى بن ذي النون بطليطلة بعد أبي الوليد بن صاعد في الحسين والأربعمائة ، وحمده أهل طليطلة في أحكامه وحسن سيرته ، ثم صرف عنها في سنة ستين وصار إلى طرطوشة واستقضى بها ثم صرف واستقضى بدائية وتوفي فيها سنة ٤٧٣ (الصلة : ٣٢٥) .

٣ الطميم : الثقيل (massif) في معجم دوزي ، ولعل المراد هنا أن يكون نوعاً من القماش الثقيل .

ووصفاء الموائد الخافتون من حولهم يطردون الأذبة عن مجلسهم بطول المذابّ البديعة الصنعة ، المُقَمَّعة الأطراف بفاخر الحليّة . ولما مضى لهم صدرٌ من أكلهم ، نجمَ لهم الأمير المأمون قائماً فوق رؤوسهم . مُتَهَمِّماً بشأنهم ، مُبالِغاً في تكريمهم . قد حَفَّ به أذواء الوزارة وأهلُ الخدمة وأكابرُ الفتيان وأعاضمُ القوَّاد قائمين بقيامه . ولما قضى وطراً من القيام بمُكارمتهم صدرَ راجعاً إلى مرتبته .

ولما فرغت تلك الطائفة جيء بهم إلى المجلس المرسوم لوضوئهم . وقد فرش أيضاً بوطاء الوشي المرقوم بالذهب ، وعُلِّقت فيه ستورٌ مثقَّلةٌ ممائلةٌ^١ ، فأخذوا مجالسهم منه ، وناولهم الوُصفاء الطائفون بهم رفيعَ النقاويّات^٢ والذرائرِ المُطَيَّبات في الأقداح والأشناندانات^٣ الفِضِيّات المُحكَّمة الصناعات ، كادت تُغنيهم بطيها عن الغَسَل . ثم أدنىَ إليهم إثرَ ذلك الوضوء في أباريق الفضة المُحكَّمة الصنعة ، يتصبَّون على أيديهم في طُسُوس الفضة المُمائلة لأباريقها في الحسن والجلالة . فاستوعبوا الوضوء وأدنت من أيديهم مناديلٌ يتضايل لها ما عليهم من سنيّ الكُسوة . ثم نُقلوا إلى مجلس التطييب أفخم تلك المجالس ، وهو المجلس المُطل على النهر العالي البُناء ، السامي السناء ، فشُرع في تطييبهم في مجامر الفضة البديعة بفلقِ العُودِ الهندي ، المشوبة بقطع العنبر الفُستقي ، بعد أن نُديت أعراض

١ إعجام هذه اللفظة مضطرب في ص ؛ والسياق يدل على أنواع من الأدوات التي تتخذ لفصل الأيدي كالصابون وغيره . وعند دوزي أن « نقاي » تعني منشقة ولكن يبدو أنها ليست من استعمال الاندلسيين .

٢ ص : والأشنان ، وهو مادة مطيبة لفصل الأيدي بعد الطعام ، ولكن المقصود هنا هو الأوعية التي تحتوي الأشنان وهي الأشناندانات .

فياهم بشأبيب ماء الورد البخوري ، يُصَبُّ فوق رؤوسهم من أواني الزجاج
المجدود^١ ، وفيآشات^٢ الباتور المحفور ، ثم أدنّى إليهم قوارير المها^٣
المحكمة الصنعة ، الرائقة الهيئة ، قد أترعت بالغوالي الذكيّة ، النّامة
يسرّها قبل الخبرة ، المتخذة من خالص المسك التّبّيّ ، ومحض العنبر
المغربيّ ، لاعم بينها رشح البانِ البرمكي^٤ ، فتناولوا من ذلك حتى لأقطرت
سبأهم ذوبآنا ، وأعادت شيبهم شبنانا . فلمّا استمّ هؤلاء الخالصة نعيم
يومهم ، من طعمهم وطيبهم ، أقيموا للدخولِ على المأمون ، فسلّموا
عليه ، ودعّوا له . فأقبل عليهم أحسن قبول ، وردّ أجمل ردّ ، وأمر
بإدخالهم إلى سيّد مجالسه المسمّى المُكرّم ، نتيج همّته ، وبديع حكمتته ،
السائر خبره ، الطائر ذكره ، المعلوم نظره^٥ ، ليُمتعوا أبصارهم بالنزّهة ،
ولم يكن أكثرهم رآه إلى يومهم ذلك مع علوق^٦ وصفه بخواطرهم ، فلما
رآوه صغّر عندهم ما كانوا يستكبرونه من وصفه ، ورجّعوا أبصارهم
فيه ، ونبه بعضهم بعضاً على دقائق معانيه .

قال ابن حيان ، قال ابن جابر : وكنت ممن أذهلته فتنة ذلك

١ من معاني « المجدود » : المقطوع (فلعله يعني زجاجاً مغروطاً على أشكال) أو زجاجاً ملوناً
لأن فيه جدداً (طرائق) من الألوان .

٢ الفياشات (في الأندلس والمغرب) : جمع فياشة وهي القنينة *bouteille, flacon* ، قاله دوزي .
٣ المها : البلور .

٤ عند دوزي : البخور البرمكي ، ولكنه لم يملل هذه التسمية ، وعند ابن الحشاش (١٧)
بان : شجر معروف بالشرق ويحلب ثمره ودهنه . ولعل وصفه بأنه برمكي مبالغ في
تقدير جودته .

٥ ص : ذكره ؛ والنظر والتظير بمعنى .

٦ ص : علو .

المجلس ، وأغرب ما قيّدَ لحظي من بهيّ زُخرفه الذي كاد يحبس عيني عن الترقى عنه إلى ما فوقه إزاره الرائع الدائر بأسه حيث دار ، وهو متّخذٌ من رفيع المرمر الأبيض المسنون ، الزارية صفحاته بالعاج في صدق الملاسة ونصاعة التلّوين ، قد خُصّمت في جُثمانه صورٌ لبهائم وأطيّار وأشجار ذات ثمار ، وقد تعلّق كثيرٌ من تلك التماثيل المصوّرة بما يليها من أفنان أشجار وأشكال الثمر ما بين جان وعابث ، وعلمق بعضها بعضاً بين ملاعب ومثاقف ، تَرنو إلى مَنْ تأملها بالحاذق عاطف ، كأنها مُقبلةٌ عليه ، أو مُشيرةٌ إليه : وكلُّ صورةٍ منها مُنفردةٌ عن صاحبها ، مُتميّزةٌ [من] شيكائها ، تكادُ تُقيّدُ البصرَ عن التعالي إلى ما فوقها . قد فصل هذا الإزارَ عما فوقه كتابٌ نقش عريضُ التقدير ، مُخرّمٌ محفور ، دائرٌ بالمجلس الخليل من داخله ، قد خطّه المنقارُ أبين من خطّ التزوير ، قائمٌ الحروف بديعُ الشكّل ، مُستبينٌ على البُعْد ، مرقومٌ كَلَمَةً بأشعارٍ حسان ، قد تُخيّرت في أماديحٍ مُختارٍ المأمون . وفوقَ هذا الكتابِ الفاصل في هذا المجلس بحورٌ مُنتظمةٌ من الزجاج الملون المُلبّس بالذهب الإبريز ، وقد أُجريت فيه أشكالُ حيوانٍ وأطيّار ، وصورُ أنعامٍ وأشجار ، يُذهل^٢ الألباب [٦٦] ويُقيّدُ الأبصار . وأرضُ هذه البحارِ مدحوةٌ من أوراقِ الذهب الإبريز ، مُصوّرةٌ بأمثال تلك التصاوير من الحيوانِ والأشجارِ بأنقشٍ تصويرٍ وأبداعٍ تقدير .

قال : ولهذه الدار بُحيرَتان : قد نُصّت على أركانيهما^٣ صورُ أسودٍ

.....

١ ص : ذلك .

٢ ص : يذهل .

٣ ص : أركانها .

متصوغة^١ من الذهب الإبريز أحكم صياغة . تتخيّل انما ملها كالحة الوجوه
فاغرة الشدوق ، ينساب من أفواهها نحو البحيرتين الماء هوناً كترشيش
القطر أو سُحالة اللّجين . وقد وُضع في قعر كل بحيرة منهما حوض
رخام يُسمّى المدّبح ، متحفور من رفيع المرمر ، كبير الجيرم ، غريب
الشكل ، بديع النقش ؛ قد أبرزت في جنباتِه صور حيوان وأطيّار وأشجار ،
ويَنحصر ماؤها^٢ في شجرتي فيضة عاليّتي الأصلين ، غريبتيّ الشكل ،
مُحكمتيّ الصنعة ، قد غُرزت كل شجرة منها وسط كل مدّبح بأدق
صناعة ، يترقى فيهما الماء من المذبحين فينصب من أعالي أفنانيهما انصباب
رذاذ المطر أو رشاش التندية ، فتحدث لمخرجه نغمات تُصبي النفوس ،
ويترفع بلرونها عمود ماء ضخّم مُنضغط الاندفاع ، ينساب
من أفواهها ويُبَلّل أشخاص أطيّارها^٣ وثمارها ، بالسنّة كالمبارد الصقيانة ،
يُقَيّد حسنها الألاحظ الثاقبة ، ويدع الأذهان الحادة كسليّة .

قال ابن حيتان : إلى هذا المكان انتهى تلخيصي ووصفي ، وهو
جائل عند قبرانيه بموصوفاته . ووُشِل عند إضافته إلى مغموضاته^٣ .
وأبرأ من عهدة التقصير فيه . وأنهيجه لمن تعاطى الاقتدار على الإبداع
في وصفه :

قال : وتوالى لإطعام أفواج الناس في ذلك الإعدار ، مجلساً بعد آخر ،

١ يعني ماء حوضي المذبحين ، وفي ص : منها .

٢ ص : أشخاصها طيارها .

٣ كذا في ص ، ولعل مغموضاته هنا تعني أسرارها فيكون كلامه وشلا بالنسبة إلى أسرار ذلك
الصرح العظيم .

أياماً متوالية . حتى استدعِيَ له من بقايا أصنافِ الناسِ وأدُونهم حتى
الْخَفَلَى ، وأزْعَجُوا إلى النعيمِ الذي لا عهدَ لهم به . دخلوا على التَّطْلِيْقِ ،
وحَفِظُوا من ضَنْكِ المَضِيْقِ ، وأوسِعتْ مأكْلُهُم مِن غَلِيظِ ورقِيْقِ ،
فالتهموا وازدروما^١ ، ونهّلوا وعلّثوا ، ووضّثوا وطبّبوا .

مجلسُ الأَنسِ

قال ابن حيان : وذهب المأمونُ إلى تَتَمِيمِ تَكْرِيمِ زُؤَارِهِ من رجال
الأمراء الذين استحضَرَهُم يومئذٍ لشُهُودِ فرَحَتِهِ ، بمشاهدةِ مجلسِ خَلْوَتِهِ ،
وتَتَمِيمِ أَسْمَاعِهِم بِلَذَّاتِ أَغَانِيهِ ، وقد علم أنَ فيهِم مَن يُرَخِّصُ في
التَّبِيدِ ولا يسوغُ له نعيمُ دُونِهِ ، فاحتمَلَ حَرَجَ ذلك مُبالِغَةً في تَأْنِيسِهِم ،
فاحتفلَ لَهُم في مجلسٍ قد نُضِدَ ، وأحضِرَ فيه جميعُ آلاتِ الأَنسِ . فلمّا
استَوَى بالقومِ مجلسُهُم ، وأشرأَبُوا إلى الأَخْذِ في شَأْنِهِم ، قَرَّبَ إليهِم
أَطْعَمَةً طَيُورِيَّةً^٢ جَوَامِدَ وَبارِدَةً ، وصنُوفاً من المَصُوصِ^٣ والأَشْرَبِ
والطَبَاهِجِ^٤ ، مَوَائِدَ مَرَعَةً اتخذوها بَسْطاً لِنَيْيذِهِم . ثم انثنوا إلى الشَّرَابِ
ونُفُوسُهُم به صَبَّةٌ ، وقد مُدَّتْ سِتَارَةُ الْغِنَاءِ لِأَهْلِ الْحِجَابِ ، ونُظِّمَتْ
نُوبَةُ الْمَغْنَنِ زُمَرًا ، فهاجوا الأَطْرَابَ ، واستخفَّوا الأَلْبَابَ ، ونقلوا
الطَّبَاعَ فجاءوا بِأَمْرِ عُجْبَابٍ ، بَدَلَهُم فيه سَابِقُ حَلَّتَبَتِهِم ، الْمُحَسِّنُ مِن

١ ازدروما : ابتلعوا ، وفي اللسان الازدرام : الابتلاع (إلا أنه جاء في مادة : زردم) .

٢ ص : طنورية ، واستبعد أن تكون لغة في « تنورية » إلا أن يكون ذلك وهماً من الناسخ .
ثم إن الأَطْعَمَةَ التَّنُورِيَّةَ لا تكون جوامد أو باردة ، ولعلها أن تقرأ « طيغورية » أي
موضوعة في أطباق غير مسطحة .

٣ المصوص : طعام قيل إنه لحم ينقع في الخل ويعطبخ .

٤ الطباهج : أنواع من الطعام أساسها اللحم المقلو (انظر كتاب الطبخ : ١٢٣) .

جماعتِهِمْ ، الإِسْرَائِيلِيّ ذِيّ ، الزائِدُ إحسانُهُ على إبراهيم الموصليّ ،
صديقُ إبليس ، الظريفُ في^١ فِتْنَتِهِ ، وتخيّله بالماخوريّ المكنون^٢ ، الذي
اغتندى في باطلِهِ نسيجَ وحده ، يزدهي العيدانَ جَسَسَهُ ، ويُخرسُ الأُطيارَ
شَجْوَهُ . قاتله اللهُ مِنْ آخِذٍ بِالْقُلُوبِ ! فطربوا وطربَ المأمونُ ليلتئذٍ
على وفورِ حِلْمِهِ . وكان الذي غَنّاه فيها ذِيّ صوتاً شجياً ، لحنه من خفيف
الرَّمَلِ ، مُطَلِّقٍ بِالْحِنَصَرِ ، في مقطوعةٍ نَظَمَها عبدُ اللهِ بنُ الخَلِيفَةِ
الملقبُ بالمصري ، وهي :

باكِيرُ لِبِكْرِ الدَّفَانِ إِنّ هِدَامَ العَرُوسِ في السَّحَرِ
واشربْ عُقَّاراً^٣ تَخالُ حُمُرُهَا تَحرقُ أَيْدِي السَّقَاةِ بالشَّرِّ
فإِنَّ يَحْيى أَحْيَا بِلَوْلَتِهِ ما قد مَحاهُ تَهَصُّفُ القَدَرِ
مَلِكُ هُوَ الدَّهْرُ في عَزِيمَتِهِ يَطْلُعُ فينا بِطَلْعَةِ القَمَرِ

فطمح بَابنِ ذِي النُّونِ الإطراب ، حتى حنَّ حنينَ النَّابِ ، وخلعَ
لوقتِهِ عليه ثوباً من التَّسْتَرِي الأخضرِ مُطرزاً بالذهب ، ووصلته بمائتي
دينارِ ذهباً ، ثم فَصَّ الصَّلَاتِ والخِلَعِ في سائرِ الطبقاتِ .

هذا آخرُ خطابِ ابنِ جابرٍ إليّ بوصفِ ذلك الإِعْذار ، وجُمْلَتِهِ التي
بَسَطْتُها من إدماجِهِ ، وسَبَكْتُها من بَقْدِهِ . خلا أَنه سامَني ذِكْرَ مقطوعاتٍ

١ ص : من .

٢ ص : وعجابه بالماخور في المكنون ؛ والماخوري لون من النعم ، وتعد الأنعام الماخوريات
من خفائف الثقليل الثاني .

٣ ص : عمارا .

حشا بها كتابته إليّ ، من صنعة صديقه عبد الله بن خليفة المصري^١ ،
تعاور المغنون في تلك الليلة الغناء بها ، وجميعها عندي في نهاية من الضعف [٦٧]
والتخالف والتبرؤ من صنعة الشعر . ينبغي بها توشيح هذا المشهد
الجليل الذي قيلت فيه^٢ ، ينظمها في عقده . فلم أسعده على ذلك ترفيعاً
به عن هجنتها ، وتبرئة لنقدي على استجادة سبكها ، ومقدمة لزم
غفل أقحم قائلها في زمرة الشعراء ، وجسره على إنشاد جياة الأمراء .
وطالما عتاني هذا الرجل بذكر ابن خليفة هذا وإنما إلى النسبة المصرية ،
وعزوه له إلى المعارف الحكيمة ، وأنا أحسبه مصري التربة ، مستطرح
الغربة ، مستطيراً على بُعد النجعة ، مَرَهَفَ الحَدِّ ، مُحْتَنَكَ التجربة ،
أرتاح لذكره وأودُّ لُقياه والأخذ عنه . فأبرزه الفحص لي قُرطبي التربة ،
محالي الحومة ، سوقي الحرفة ، ابن جار لي من تجار الخفافين يُسمي
خليفة ، عجمي نَبَزَ الأب : « المورثة » مفجوء الميته^٣ منذ سنوات قليلة .
لم أعهد ابنه هذا يترسم بأدب ، ولا يسعى لطالب ، إلى أن رمت به النوى
قريباً إلى بلاد العُدوة ؛ لابتغاء المعيشة ، فأطال بها الشواء ، ولقي الفُهاء ، وتَقَيَّلَ
البحسراء ، فكَرَّرَ إلينا على زعمه مصرياً صليبةً . وأديباً باقرة^٤ ، وشاعراً
باقعةً ، وحكيماً نطيساً ، وظريفاً مُمتعاً . كلُّ ذلك من غير طُولِ رياضة ،
ولا تقدمة معرفة . وما إن يُستنكر لقاسم الفضائل بين خلائقه أن يجمع
منها لواحد ما فترَّق في جماعة ، له القدرة البالغة والحكمة القاهرة .

١ سيترجم له ابن بسام في ما يلي (الورقة : ١٢٠) .

٢ ص : قوبلت به .

٣ ص : مفجوا الممة : والمعنى أن ميته أدركته فجأة (منذ سنوات قليلة) .

٤ سيذكر ابن بسام في ترجمته أنه رحل إلى مصر ثم عاد إلى الأندلس « وقد نشأ خلقاً جديداً » .

٥ ص : باقرة .

وفي فصل له في ذكر الشعراء

قال ابن حيتان : وصار من متاكيد ذلك الصنيع الملحقة به عيب التقصير عُدْمُهُ لِحُدَاقٍ من الشعراء يُجيدون القول فيه ، ويُحسنون وصفه ، فيوفون المبدع له حقه . إذ ألوى ببقاياهم الزمن العَصيفُ المطاويلُ للفِتنة ، وجاء بأشباه له من شعراء متكلفين مثل الخازباز المضروب مُثْلَةً^١ ، يُهينمون بما لا ودق له من سمائهم^٢ ، ويُفريغون في قبواليب تضيق عن إفراغهم ، ويجهدون في حشو قوافيهم دون إرهاف للفظ ولا استنباط لمعنى ، فلا يسرّون ناقيداً ، ولا يهزون مُمتري^٣ ، ولا ينشطون راوياً . وأشق ما على الخائز لهم غلظهم في أنفُسِهِمْ ، واستيقصارهم لمن امتدحوه في إخلاله وقعوده بهم ، وهي لو عقلوا أقعدوا وأضيقوا وأقصر وأعكس . فيأويحهم ماذا عليهم في الإنصاف من أنفُسِهِمْ والاعتراف بتقصيرهم ، أليس ذلك كان أولى بهم ؟ فما أحسن قول « لا أدري » بمن يتدري فضلاً بمن هو بضدّها تصاب مقَاتِلُهُ . فلو قلدوا الزمن دؤولهم ، وولّوه نقصهم ، واعترفوا لبلواه ، لكان أعدلّ لهم . فجلس لهم المأمون مُتَخِذُ تلك المدعاة الفخمة في مرتبته بـرطيل^٤ المجلس الموصوف في أبهة

١ يشير إلى قول المتنبي :

ومن الناس من يجوز عليه شعراء كانوا الخازباز

والخازباز : حكاية صوت الذباب .

٢ ص : ورق . . أسمائهم .

٣ ص : ممترياً ، وقد تقرأ « متدحاً » .

٤ المشهور في الاستعمال « برطل = Portal » .

فخمة ورثبة^١ كاملة مع كبار أهل مملكته من أذواء الوزارات المثنية^٢ والمفردة ، ومن أصحاب الخطط العليات ، وأذن لتلك الحلبية من من شعراء [الخضرة]^٣ من طاري وقاطن ، وهم نفر غير منوّه بهم ولا بأسمائهم ، ولا تجانس^٤ برواتهم ، فدخّوا إليه على هيئتهم بتقديمهم شيخهم المقدم من جماعتهم ذلك اليوم ، محمد بن شرف القيرواني القريب عهدُه بالهجرة ، بعد خبطه سمرات ملوك الأندلس بمحجته ، واعتصارهم بقصعته ، فأذن لهم بالأنشاد بحسب تطبيقهم ، فتقدّمهم ابن شرف فأنشد قصيدة أولها : « يريني الهوى أن الهوى ليس سهلاً » ، ما إن هي لأحقّة^٥ بعيون شعره ، أطال فيها التشبيب فخلص إلى التهينة ، وقد استفرغ القريحة وطولَ فما أتى بباطل . ثم تقدّم بعده البائس عبدُ الله بن خليفة الأندلسي المتصمّر بزعمه ، فباؤسى لسابق صلتى بعده ! فأنشد قصيدة ملفقة ، ذات طنين وقعقة ، كثر أبياتها ، وقلل أقواتها ، أولها : « أرى أثلاث الجزع بالوصل تورق » تركه المأمون أيضاً يتصرف بها ، ما إن هزت منه عطفاً ، ولا أبدت له بسماً . وقام بعده محمد بن زكي الأشبوني ، فأنشده شعراً أوله : « اليوم أبهج منبر وسرير » ركب فيها ستّن من قبله . ولحق ابن ذي النون سامة من كلّف يومه ، فأمر بأخذ بطائق جميع من حضّره من الشعراء ، وأسلمها إلى

١ لها وجه مقبول ، ويمكن أن تقرأ « وزينة » .

٢ الأصوب أن يقال : المثناة .

٣ بياض في الأصل ، وما بين مقفين زيادة تقديرية .

٤ اللفظة غير معجمة في ص .

٥ ص : همت .

وزيره الأثير يومئذ عبد الرحمن بن مثنى^١ كي يتصفّحها بفضل أدبه ،
ويطبّق قائلها بحسب معرفته ، فيأمرهم بما يجدّه . فبدأ على [٦٨] الشعر
يومئذ انكسار ، ولحق^٢ أحفاهه انهيار ، وأصمّ به الناعي مسمعا يندب
شجوة^٣ بـابن اليماني ، متنادياً ينادي : يا إدريساه ، ولا إدريس^٤ يومئذ
للقوافي ، وكل شيء له حتف مؤافي .

قال ابن حيان : وأكثب^٥ إثر هذا الفصل بعض ما اخترته من قصائد
هؤلاء الشعراء على ما خيلت لثلا يخلو جيد التأليف من مخشباتها .

فمن قصيدة ابن شرف في ذكر وطنه وحنينه قوله :

تذكرتها واليم^٦ بيّني وبينها وموصولة فيح^٧ ومهجورة غفل^٨
ومن دونها حرب^٩ عوان^{١٠} وفارض^{١١} ولود^{١٢} لها من نفسها أبداً بعل^{١٣}

ومنها في ذكر قصيدته :

يقرأ مرو القيس^{١٤} بن حجير لفضائلها ويظهر عنها العجز علقمة^{١٥} الفحل^{١٦}
فلو وصلت عمري الليالي لوقت^{١٧} لقلت [له] الأشعار ما قالت النمل^{١٨}

.....

١ وردت ترجمة أبي المطرف بن مثنى في القسم الثالث : ٤٠٩ ، يضاف إلى مصادر ترجمته
هناك إعتاب الكتاب : ٢١٥ وفيه أن أبا المطرف كتب أولاً للمنصور أبي الحسن عبد العزيز
ابن عبد الرحمن بن أبي عامر صاحب بلنسية ثم انفصل عنه إلى طليطلة فاستوزره المأمون
ابن ذي النون وألقى عليه بأمره كلها .

٢ ص : ولحقت .

٣ قد مرت ترجمة إدريس بن اليماني في القسم الثالث : ٣٣٦ .

٤ وقع البيت قبل سابقه في ص ، ويعني أن علقمة لو أدرك زمانه لقلت له الأشعار « يا أيها
النمل ادخلوا مساكنكم » .

قال ابن بسّام : وأثبت ابن حيان في كتابه لتلك الطائفة المنشيدة يومئذ عدة قصائد ، ولم يتسلك فيها سبيل ناقد . قال : وأما المتكلم المصري فُسْكُلُ^١ الحلبة ، فكان أبطالهم جراء وأناهم عن الغاية ، لما اجتهد في المتشح فجاء بقليل ماء ، فوق ظمأه بخمسين بيتاً سُدَى ، لفقها قصيدة متخاذلة لم يفتق فيها معنى حسناً ، ولا قافية حرة ، بل ما زاد على أن صرّف النسب في سبت من الخللات مُسميات ، ففصل فيهن^٢ لإمام المحدثين أبا تمام بزيادة اثنتين^٣ ، ثم قطع^٤ المديح توسعاً مع ما وجدته هناك من أجبر وجيص^٥ ، فهدف منها فيما لم يُعنه عليه طبع ، ولا أسعدته صنعة ، فكان الذي أبدى كير نفخه^٦ من خالص سبكه قوله^٧ :

وقد كان لي [في] مصر دار كرامة ولكن إلى المأمون كنت أشوق^٨
حلبت عليه والمكارم جمّة وسحب العطايا برقها يتألق^٩

انتهى ما لخصته من كلام ابن حيان .

١ لم يظهر منها في ض إلا « كل » .

٢ يريد أن ابن خليفة تغزل في قصيدته بست نساء ففاق أبا تمام الذي تغزل بأربع في قوله :

لسلمى سلامان وعمرة عامر وهند بني هند وسعدى بني سعد

٣ ص : قطيع .

٤ ص : كبير نفحة .

٥ البيتان في المغرب ١ : ١٢٩ .

٦ المغرب : كان التشوق .

جملة من أخبار بني ذي النون وذكر أولية أمرهم

قال ابنُ بسام : وفتلوا هذا الفصلَ بنُبْدِ لها بهذا الموضعَ مَوْقِعِ ، من أخبارِ طُلَيْطِلَةَ البائِثَةِ ، وَشَرَحَ الحالَ التي أَبادَتْ مَصانِعَها ، وَطَيَّرَتْ واقِعَها ، وما آلَ لَإِليهِ أمرُ المملَكَةِ القابِضَةِ للأَنامِ ، المَبْنِيَّةِ على هَدَمِ دَعائِمِ الإِسلامِ ، المَجمُوعَةِ من افتِراقِ الجِماعَةِ ، المَغالِبِ عليها أُمَمَةُ السَّمْعِ والطَّاعَةِ . وَنَذَكُرُ طَرَفًا من حَدِيثِ مآلِ أَميرِها المَشْرِفِ المَسْرُوفِ ، المَلَقَّبِ — كانَ — من الألقابِ السِّلْطانيَةِ بالقادرِ باللهِ ، جَهِلاً مِنْهُ بِحَقِيقَتِهِ ، وَتَهاوَنًا بِاللَّهِ وَخَلائِقَتِهِ . خُطَّةٌ ذادَهُ المَقْدارُ عَن مُسْتَقَرِّها ، وَدَعَوَى دَفْعَ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ في صَدْرِها . وَنَأْتِي أَوَّلًا بِفَصلِ جَوَدِهِ ابنِ حَيَّانَ في ذِكرِ جَدِّهِ إِسماعيلَ المَلَقَّبِ — كانَ — بِالظَّافِرِ ، رَئيسِ الخِلافِ ، وَرَأْسِ الانحِرافِ ، وَجَمْهُورِ الجُورِ وَالإِسْرافِ .

قال ابنُ حَيَّانَ : وَكانَتْ أَوَّلِيَّةُ نِباهاةِ بَني ذِي النُّونِ مِنْ جَدِّهِمْ ذِي النُّونِ ، في أَيَّامِ الأَميرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ . وَقدِ اعْتَلَّ لَهُ خَصَمِيٌّ في طَرِيقِ قَفولِهِ مِنَ الشَّغْرِ فَتَرَكَهُ عِنْدَهُ بِحِصْنِ أَقْلِيَشَ يُمْرِضُهُ ، فَلَمَّا أَفاقَ لَحِقَ بِالْحَضْرَةِ مَعَ الخَصَمِيِّ ، فَأَخَذَ لَهُ تَوَقِيفًا بِتَقْدِيمِهِ على حِصْنِهِ . ثُمَّ تَدَارَلَ تِلْكَ الخُطَّةَ وَلَدَهُ إِلى أَيَّامِ الحِكمِ . فَلَمَّا اضْطَلَعَ بالدولَةِ ابنُ أَبِي عَامِرٍ ، تَعَلَّقَ بِهِ المَضراسُ بْنُ ذِي النُّونِ وَإِسماعيلُ ابْنُهُ مَعَهُ ، فَلَمَّا انْقَرَضَتِ الدَّولَةُ العَامِرِيَّةُ لَحِقَ بِالشَّغْرِ وَجَمَعَ لَإِليهِ بَني عَمَّتِهِ ، وَخَطَبَ مِنْ سُلَيمانَ وَلايَةَ أَقْلِيَشَ فَوَلَّاهُ إِياها ، ثُمَّ تَهيَّأَتْ لَهُ قَلْعَةُ كُؤُنْكَه ، وَكانَتْ بَيدَ واضِحِ العَامِرِيِّ ، فَلَمَّا ماتَ ضَبَطَها إِسماعيلُ مُنتَظِرًا بِزَعَمِهِ

مَنْ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ النَّاسُ ، وَتَحْتَ ذَيْلِهِ مِنْ غُلُولٍ وَاضِحٍ كَثِيرٍ ، حِينَ لَمْ يَتْرَكْ إِلَّا أَطْفَالَ وَأَمْثَهُمْ حُرَّتَهُ . أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا إِلَيْهِ : مُعْتَنِقَةً بِأَمَانَةٍ ، فَحَصَلَ لِإِسْمَاعِيلَ الْبَلَدُ . وَسَطًا عَلَى مُجَاوِرِيهِ مِنْ قَبُورِ الثُّغُورِ ، فَاسْتَقَامَتْ لَهُ الْأُمُورُ . وَنَسِيَ لَهُ الْوِزَارَةُ سُلَيْمَانُ وَسَمَّاهُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ . فَاسْتَقَلَّ ذَلِكَ كَلْتَهُ ، وَآثَرَ الْفُرْقَةَ ، وَاقْتَطَعَ جَانِبَهُ ، فَكَانَ أَوَّلَ الثُّوَارِ لِلْفَارِقَةِ الْجَمَاعَةُ ، وَفَرَطَهُمْ فِي نَقْضِ الطَّاعَةِ . ثُمَّ اتَّفَقَتْ لَهُ أُمُورٌ اتَّسَعَ بِهَا عَمَلُهُ ، وَكَثُرَتْ جَبَابِيَتُهُ وَجَمْعُهُ . وَكَانَ مِنَ الْبُخْلِ بِالْمَالِ ، وَالْكَتْفِ بِالْإِمْسَاكِ . وَالتَّقْتِيرِ فِي الْإِنْفَاقِ ، بِمَنْزَلَةٍ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ عَصْرِهِ . لَمْ يَرْغَبْ فِي صَنِيعَةٍ ، وَلَا سَارَعَ إِلَى حَسَنَةٍ ، وَلَا جَادَ بِمَعْرُوفٍ ، فَمَا أُعْزِمَتْ إِلَيْهِ مَطِيَّةٌ . وَلَا حَمَلَتْ أَحَدًا نَحْوَهُ نَاقَةً ، وَلَا عَرَّجَ عَلَيْهِ أَدِيبٌ وَلَا شَاعِرٌ ، وَلَا امْتَدَحَهُ نَازِمٌ وَلَا نَاقِرٌ ، وَلَا اسْتَخْرَجَ مِنْ يَدِهِ دِرْهَمٌ فِي حَقِّ وَلَا بَاطِلٍ ، وَلَا حَظِييَ أَحَدٌ مِنْهُ بِطَائِلٍ : وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ سَعِيدَ الْجَدِّ ، تَنْقَادَ إِلَيْهِ دُثْيَاهُ . وَتَصَحَّحَتْ سَعَادَتُهُ فَيُنَالُ صِيَابَ الْأُمُورِ بِأَهْوَنِ سَعْيِهِ . وَهُوَ كَانَ فَرَطَ الْمُلُوكِ فِي إِثَارِ [٦٩] الْفُرْقَةِ ، فَاقْتَدَى بِهِ مَنْ بَعْدَهُ ، وَأَمْوَا فِي الْخِلَافِ نَهَجَهُ . فَصَارَ جُرْثُومَةُ النِّفَاقِ ، وَأَوَّلَ مَنْ اسْتَنَى سُنَّةَ الْعِصْيَانِ وَالشَّقَاقِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرَ يَنْبُوعُ الْفِتَنِ وَالْمِحْنِ . فَتَبَارَكَ مَنْ أَمَلَى لَهُ ، وَلَمْ يَرْضَ لَهُ عُقُوبَةُ الدُّنْيَا مُثُوبَةً .

فَقَدْ كَانَ أَصْحَابُهُ حَفِظُوا عَنْهُ كَلِمَاتٍ فِي سَبِيلِ ذِكْرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ زِيَادَةً إِلَى مَسَاوِيهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ نُوْظِرَ فِي شَأْنِ التَّأْمِيرِ لِبَنِي أُمَيَّةٍ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ نَازَعَنِي سُلْطَانِي هَذَا الصَّدِيقُ لِقَاتَلْتُهُ وَلَمَّا سَلِمْتُ لَهُ ، فَكَيْفَ أَسْلَمْتُ سُلْطَانًا . لَمْ يَدْعَى إِلَيْهِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ ، مِمَّنْ لَا يُوجِبُ اللَّهُ طَاعَتَهُمْ ، عِتْرَةٌ

مَرَوَانٌ خَيْطٌ باطل^١ ، الذين لم يَسْبِقْ لهم صُحبة ، ولا أدخلهم السَّلف
في شُورى الإمامة ؟

قال ابنُ حَيَّانَ : ومِنَ أشهرِ حكاياتِهِ في ذلك ، ما أُخْبِرَ عَنْهُ أَبُو
أَبِي الْعَبَّاسِ السَّكْرِيُّ الإسْكَندَرِيُّ - رَجُلٌ مُتَمَتِعٌ الْحَدِيثِ طَيِّبُ الْمَجَالِسَةِ -
وَحَضَرَ مَجْلِسَ ابْنِ حَمَّودٍ بِمَالَقَةِ ، فَسَأَلَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ ذِي النُّونِ عَنْ
مَجْلِسِهِ مَعَهُ ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ ، فَقَالَ أَتُفْنِي عَلَى أَدْعِيَاءٍ ؟ فَعَلَّ اللَّهُ بِهِمْ وَصَنَعَ ،
فَبُهِتَ الإسْكَندَرِيُّ وَقَالَ : مَعْدَرَةٌ إِلَيْكَ أَيُّدَكَ اللَّهُ ، فَإِنِّي جَهِيلٌ
رَأَيْتَكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ مَعَ أَنِّي أَلْزَمْتُ نَفْسِي إِلَّا أَذَمَّ ذَا سُلْطَانِ الْبَيْتَةِ ،
وَأَنْتَ غَيْرُ مُنَازَعٍ فِي أَثْمَتِكَ الْمَرْوَانِيَّةِ ، وَهُمْ أَهْلُ ذَلِكَ مَعِنِكَ ، أَقَادِمُ
الْمُلُوكِ ، وَذَوُو الْعَدْلِ وَالسِّيَاسَةِ . [وَمَضَى] ^٢ الإسْكَندَرِيُّ فِي لِطَرَائِهِمْ
ظَنًّا أَنَّهُ يَسْرُهُ ، إِذْ كَانَ يَقُولُ بِيَدَعْوَتِهِمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . فَقَطَعَ
عَلَيْهِ ابْنُ ذِي النُّونِ بِأَسْنَوٍ مِّنْ قِطْعِهِ عَلَى الْهَاشِمِيِّينَ ، وَأَمَحَى عَلَى ذِمِّ
بَنِي أُمَيَّةٍ فَلَمْ يُبْقَ ، وَوَصَلَ كَلَامُهُ بِأَن قَالَ : تَوَارَثُوا هَذِهِ الْإِمَارَةَ مَخْزُوقَةً
وَضَعُوهَا قَرِيشٌ لَّاسْتِعْمَالِ^٣ النَّاسِ ، وَالنَّاسُ لِأَبٍ وَأُمٍّ ، وَالْفَخَارُ بِاطِيلٍ ،
أَحَقُّهُمْ بِالْمُلْكِ مَنَ اسْتَقَلَّ بِهِ . وَاللَّهُ مَا أَوْلَى غَيْرَ نَفْسِي ، وَلَا أَقَوْمُ إِلَّا
بِسُلْطَانِي ، وَلَوْ نَازَعَنِيهِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ - وَذَكَرَ السَّلَفَ الصَّالِحَ الَّذِينَ كَرَّمُ^٤

١ في المثل : أدق من خيط باطل ، قليل هو الهباء وقليل هو الذي يخرج من فم المنكبوت ، وسمي
مروان خيط باطل لطوله واضطرابه (اللسان : خيط ، وجمهرة السكري ١ : ٥٤ : تحقيق
أبو الفضل والميداني ١ : ١٨٣)

٢ موضعها يباغض في ص .

٣ ص : لاستكمال .

٤ ص : كرمهم .

اللَّهُ ذِكْرَهُمْ - لَنَضْرِبَنَّهُمْ دُونَهُ بِسَيْفِي مَا اسْتَمْسَكَ بِيَدِي . فقام عنه الإسكندراني مهوئاً وأفشاهُ في غير أرضيه . وأخباره في ميشل هذا كثيرة .

انتهى كلام ابن حيان .

فقلت أنا : ولَيْتَ إسماعيلَ هذا بَقِيَ وَوَقِيَ ، على فظاظَةِ جانبِهِ ، واختلافِ مذاهِبِهِ . وطولِ إعراضِهِ عن عَوَاقِبِهِ ، فلقد كانت عليه وقتُهُ قَلِيلُ رِقَبَةٍ ، وعِنْدَهُ بعضُ أَهْبَةٍ ، لِقُرْبِ عَهْدِهِ بِأَيَّامِ الجُمَاعَةِ ، واستشعارِهِ عَوْدَةَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ . ولوفورِ مَنْ كان قَبْلَهُ يَوْمئِذٍ من مَشِيعَةِ ذَوِي المِثْثَاتِ ، وزُعْمَاءِ سَائِرِ الطَّبَقَاتِ . ولقد أساءَ مَنْ جاءَ بَعْدَهُ ، ذَهَاباً في الكِبَرِ ، وتهاوُناً بالأمرِ ، وقعوداً عن النَّصْرِ ، واستِظْهَاراً بأحزابِ الكُفْرِ ، سَلَمَهُ بِاطِّيلٍ وبِطَالَةٍ ، وحرَّبه غَوَايَةً وجَهَالَةً ، في المَشْرُكِينَ نُجُومَهُ وِدِيَمَهُ ، ولَهُمْ مَوَائِقُهُ وذِمَمُهُ ، وفي المُسْلِمِينَ مُنُومُهُ وهِمَمُهُ ، وعندهم بِمَوَائِقِهِ وَنِقَمُهُ .

بلغني أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ الظَّافِرُ إسماعيلُ ، كان حَمَلَةُ دَوْلَتِهِ ورؤوسُ جَمَلَتِهِ ، الحاجُّ ابنُ مَحْقُورٍ وابنُ لَبْثُونٍ وابنُ سَعِيدٍ بنِ الفَرَجِ . وكان آكَدَ ما عَهْدَهُ إِلَى ابْنِهِ يَحْيَى المُنْقَلَبِ بَعْدَهُ بِالْمَأْمُونِ الاقْتِدَاءُ بِهَدْيِهِمْ ، والانتِهَاءُ إِلَى رَأْيِهِمْ . قال بَعْضُهُمْ : فدَخَلْنَا عَلَيْهِ لِأَيَّامِ يَسِيرَةٍ مِنْ مَهَالِكِ أَبِيهِ ، وهو [في] إِيوَانٍ كَبِيرٍ قَدْ مَلَأَهُ بِنُقُورِ الفِضَّةِ حَتَّى لَا فَضْلَ فِيهِ عَنِ مَجْلِسِهِ ، فَأَمَرْنَا بِالذُّنُورِ ، فَبَعْدَ لَأَيٍّ مَا خَلَصْنَا إِلَيْهِ ، لِكُرَّةٍ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَدْ امْتَلَأَتْ صُدُورُنَا عَجَباً ، وَتَقَيَّدَتْ أَلْهَافُنَا فَمَا تَجِدُ مُتَقَلِّباً ، لِهَذَا الاتِّفَاقِ كَيْفَ وَقَعَ ، وَلِهَذَا السَّحْطِ مِنْ أَيْنِ

جَمِيع . فَأَخَذَ يُفْقِئِلَ رَأْيَ أَبِيهِ فِي اخْتِرَانِهِ ، وَيُعَرِّضُ بِمَجْدُودٍ كَانَ فِي بَنَانِهِ ، وَنَحْنُ نَقُولُ : لَعَلَّهُ قَدْ أَنْفَلَ لَضِياعِ ثُغُورِهِ ، وَتَشَعَّتْ أُمُورُهُ ، وَانْتَشَرَ الشَّرْكُ بِإِزَائِهِ وَظُهُورِهِ . وَكَأَنَّهُ فَتَهُيمٌ مَا نُحْجِرُ ، وَعَلِمَ إِلَى أَيْنَ نُشِيرُ ، فَأَظْلَمَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، وَازْوَرَّ اِزْوَرَارَةً أَنْكُرْنَا بِهَا أَثَرَهُ وَعَيْنَهُ ، [وَقَالَ :] مِنْ حَقِّ مِثْلٍ هَذَا أَنْ يُصْرَفَ فِي مِثْلِ ضُرُوبِ الْحَلِيَةِ الرَّائِقَةِ ، وَأَنْوَاعِ الْآتِيَةِ الْمُؤَانِقَةِ ٢ . وَأَيُّ مَعْنَى فِي كَوْنِهَا نَقَرٌ ؟ مَا أَعْجَبَ هَذَا وَمَا أَنْكَرَ ! هَذِهِ بِالْحِجَارَةِ أَشْبَهُ مِنْهَا بِآلَاتِ الْإِمَارَةِ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ مُحَقِّقٍ ، وَكَانَ أَشَدَّهُمْ جَرَأَةً ، وَأَثْقَلَهُمْ وَطْأَةً ، لِعِزَّةِ رُكْنِهِ ، وَإِدْلالِهِ بِفَضْلِ سِنِّهِ : إِنَّ هَذِهِ — أَيْتُكَ اللَّهُ — إِذَا كَانَتْ نَقَرًا بَقِيَتْ ذَخِيرَةً زَمَانٍ ، وَعِدَّةٌ لِحَدَثٍ إِنْ كَانَ ، وَلَا تَحْوَلُ آلَاتُ إِلَّا بَعْدَ نَفَقَةٍ ، وَتَحْيَفُ مِنْ كُلِّ طَبَقَةٍ ، ثُمَّ لَا تَزَالُ تُنْصَبُ عَيْنٌ مِنْ يَرِيدٍ مِنْ رَسُولٍ ، وَيَنْتَابُ مِنْ ابْنِ سَبِيلٍ ، وَيَنْتَمِي خَبَرُهَا إِلَى الطَّاعِيَةِ فَرِذْلَتِنَا فَتَدْعُو السِّيَاسَةَ إِلَى أَنْ يَخْصَّ مِنْهَا بِقِسْمٍ ، وَيُضْرَبَ لَهُ فِي أَنْفَسِهَا بِسَهْمٍ . فَزَوَى عَنْهُمْ وَجْهَهُ ، وَلَمْ يَأْمَنُوا نَجْمَتَهُ ، وَثَقَلُوا بَعْدُ عَلَيْهِ ، وَيَتَمَسَّوْا مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْفَلَاحِ يَتَجَرَّى عَلَى يَدَيْهِ . وَخَالَفَهُمْ إِلَى مَا أَرَادَ ، فَأَبْدَى فِيهِ وَأَعَادَ ، وَآلَتْ حَالَهُ إِلَى مَا قَالَ الشَّيْخُ : مَا لِنَقْصٍ وَلَا زَادٍ [٧٠] .

١ ص : بِمَجْدُودٍ .

٢ ص : الرَّائِقَةُ .

ذكر الخبر عن بعض ما تنهى إليه المأمون من تشييد البنيان بقصور طليطلة

قال ابنُ بسام : ثمَّ أخذ المأمونُ في بناءِ مَجْلِسِهِ الكَبير المَكْرَمِ بناءً باءَ ياءِ ثَمِيهِ . وخلا سريعا من اسمِهِ ، لم يُخَلِّدْهُ في عَتِيب ، ولا قَضَى من لَدُنْهُ به كَبير أَرَب . وكان الذي تولى له رَصَفَ بدائِعِهِ ، وإِحْكامَ مَصانِعِهِ ، رجلٌ من مَهْرَةِ الفَعْلَةِ ، أَكْثَرُ خَلْقِ اللَّهِ صِلَفًا ، وأَشَدُّهُمْ تَتَابُعًا وسَرَفًا . وكان المأمونُ لَعْدَمِ نَظِيرِهِ ، بِحَتْمِلٍ من اعتدائه وتغريبِهِ ، وتهاوُنِهِ بِجَمِيعِ أُمُورِهِ ، ما لا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، ولا انْتِهَاءَ لِأَحَدٍ إِلَيْهِ . واتفقَ لَهُ مع ذلك الصانعُ أنْ وَعَدَهُ بِتَحْمَامِ مَجْلِسِهِ المُشَيَّدِ قَبْلَ إِبْطالِ العِيدِ ، فَرشَحَ ابنُ ذِي النُونِ لِلجُلُوسِ في صَدْرِهِ ، والاستظهارِ على زِينَةِ عِيدِهِ بالفِراغِ مِنْ أَمْرِهِ : وتقدَّمَ إلى مَنْ كانَ بِحَضْرَتِهِ مِنَ الشُّعْراءِ ، على قِلَّتِهِمْ بِيابِيهِ ، وَنِيفارِهِمْ عَن جَنابِهِ ، لِقَلَّةِ نائِلِيهِ ، وَنِفاهِةِ طائِلِيهِ ، في وَصْفِ مَجْلِسِهِ ذلكَ وتَقْرِيطِ مَبانِيهِ ، والثناءِ على مُخْتَرَعِهِ وَبانيهِ . ثمَّ لَمَّا كانَ ذلكَ الصانعُ اسْتَمَرَّ على دِيْدَتِهِ مِنَ الخِلافِ ، وَعَمِلَ على شاكِلَتِهِ مِنَ التَّهاوُنِ والإِخْلافِ . واتفقَ أَثناءَ ذلكَ أنْ ضَرَبَتْ خَيْلُ الطاغِيَةِ فَرْدُلْنَدَ على بِلادِ المَظْفَرِ بْنِ الأَفْطُسِ ؛ وَطِثَّتْها وَطأةً مَحَتْ رُسُومَها ، واستباحَتْ حَرِيمَها ، واجتاحتْ حَدِيثَها وَقَدِيمَها ، وَأَنَسَتْ ما كانَ قَبْلَها مِنَ جَبِّ الدَّرْوَةِ ، وانصداعِ المِروَةِ ، وَأَيَّاسَتْ مِنَ البقاءِ ، وآذَنْتْ

١ ص : تتابعا .

بشمولِ البلاءِ . فأخبرتُ عن وزيره أبي المطرف بن مُشَنَّى أَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ
بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْوُجُومِ وَالْإِطْرَاقِ ، وَعَلَى نَهَايَةِ الْخُلْدِ وَالْإِشْفَاقِ ، إِذْ وَرَدَتْ
رُسُلُ الْمَأْمُونِ عَنْهُ تَتَرَى ، وَهَجَمَتْ عَلَيْهِ زُمَرَةٌ بَعْدَ أُخْرَى . فَدْخَلَ
عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ قَدْ اسْتَشَاطَ حَنْقًا ، حَتَّى كَادَ يَتَمَيَّزُ شِقَاقًا . فَظَنَّ أَنَّ
ذَلِكَ الصَّبَّاحَ ، لَمَّا كَانَ وَرَدَ بِهِ الْخَبْرُ مِنْ خَضْرُبِ الْخَيْلِ عَلَى بَلَدِ الْمُظْفَرِ ،
وَلِإِخْفَارِ الذَّمِّ ، وَزَكَاةِ الْقَدَمِ ، وَانْهَتَاكِ الْحَرَمِ . فَطَلَّقَ ابْنَ مُشَنَّى يَبْسُطُهُ
وَيَقْبِضُهُ ، تَارَةً يُسَالِيهِ وَتَارَةً يَحْرُضُهُ ، وَطَوْرًا يَقُولُ لَهُ : فَيْكَ الْخُلْفُ
مِمَّا فَاتَ ، وَمَرَّةً يَقُولُ : قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تُنْكِرَ عَلَى الطَّاغِيَةِ هَذَا الْاِفْتِيَاتِ .
فَلَمَّا فَهِمَ مَسْنَحَى ابْنَ مُشَنَّى مِنْهُ ، أَعْرَضَ^١ عَنْهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَلَا تَرَى
هَذَا الضَّالَعَ^٢ الْفَاعِلِيَّ الصَّانِعَ - يَعْنِي عَرِيفَ بُنْيَانِهِ - صَبَرْتُ لَهُ وَأَغْضَيْتُ ،
وَفَعَلْتُ بِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ . فَمَا زَادَ إِلَّا تَغْيِصًا لِلذَّيِّ ، وَاسْتِخْفَافًا بِأَمْرِي ،
وَتَصْغِيرًا لَشَانِي ، وَاجْتِرَاءً عَلَى سُلْطَانِي . وَهَبْتُ رِيحَهُ الْعَقِيمَ ، تُنْقَعِدُ
فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَتُتْقِمُ ، فَسَقَطَ فِي يَدِ ابْنِ مُشَنَّى وَانْكَسَرَ انْكَسَارَةً تَبَيَّنَتْهَا
ابْنُ ذِي النُّونِ فِيهِ . وَلَمْ يَتَجَدَّ بَدَأَ مِنْ أَنْ قَالَ لَهُ : هَوْنٌ عَلَيْكَ ، وَالْكَلُّ
طَوْعُ يَدَيْكَ ، وَنَاهِيكَ ، وَأَنَا أَكْفِيكَ ، وَخَرَجَ وَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ
الصَّانِعِ يَعِيدُهُ وَيَمْنِيهِ ، وَيُدَاوِرُهُ^٣ وَيُدَارِيهِ : وَالصَّانِعُ مُقْبِلٌ عَلَى شَأْنِهِ ،
مَا أَمْرُهُ بِالْخُلُوسِ ، وَلَا زَادُهُ عَلَى التَّجْهِمِ^٤ ، وَالْعَبُوسُ : فَيَبْعَدُ لَأَيِّ
مَا خَضَرَبَ لَهُ مَثَلَ الْعَامَّةِ وَهُوَ قَوْلُهُمْ : مَا أَفْرَسَ الْجَالِيسُ . ثُمَّ قَالَ :

١ ص : وَأَعْرَضَ .

٢ الضالغ : الخائر ؛ ص : الصانع .

٣ ص : وَيُدَاوِيهِ .

٤ ص : التَّجْهِمُ .

وبالحريّ والله أن يتمّ إلى عيدٍ آخر ، فليتجهّد جهده ، وليأتِ بكلّ ما عنده . فرجع ابنُ مثنّى إلى ابنِ ذي النون وهونَ عليه الشأن ، وخفّفَ لديه ما كان . ونخرج لا يدري من أيّ الثلاثة يَعْجَبُ : أمن اغترارِ [ابن] ذي النون وجهليه ، أم إفضاءِ الضرورةِ بنفسه إلى خدمةٍ مثليه ، أم من جرأةِ ذلك الصانعِ القصيرِ اليد ، النَزيرِ العدد ، على ذلِّ [ابن] ذي النون وذلكه .

قال ابنُ بسّام : فتبارك من أحاط بالأشياء ، ولم يخف^١ عليه شيء في الأرض ولا في السّماء ، ومن جعلَ اليومَ ذلك القصرَ العجيبَ بنيانه^٢ . الهادِمَ - كان - للدّين والدُّنيا شأنه^٣ ، مربطاً للأفراس ، ومعلباً للأعلاجِ الأرجاسِ ، مِّن رجالِ الطّاغيةِ أذفونش^٤ بن فرذلند ، بددَ الله شيعته .

ذكر الخبر عن مآل حفيده المتلقب بالقادر مع (ما) يتشبث به من خبر نادر

قد ذكرتُ في القسمِ الثاني^٤ مِين هذا المجموعِ مُلكَ جدّه المأمونِ بقرطبةَ ، ويعودُ بنا القولُ إلى ما بدأتُ به من ذِكرِ حفيده المتّخذِ له

١ ص : يختلف .

٢ ص : بهيانه .

٣ ص : بهيانه .

٤ انظر القسم الثاني : ٢٦٢

ذلك الصنيعُ المَعْدُودُ على الأَيَّامِ ذَنْبُهُ ، الباقي في صفحةِ الإسلامِ نَدْبُهُ .
وقد ذكرتُ أيضاً في القسمِ الثالثِ^١ منه مَهْلِكُ حَفِيدِهِ بِلانْسِيَةِ ، وأَوْضَحْتُ
صُبْحَهُ ، واستوفيتُ شَرْحَهُ . وأجَرَدُها هنا القولَ في أخذِ طُلَيْطَلَةَ مِنْ
يَدَيْهِ ، ودَوَّارِ الدَّائِرَةِ السَّوْمِ بها على المسلمينِ وعليه ، وما تعلَّقَ
بأذيالِ ذلك مِنْ غَرِيبَةٍ ، وانخرطَ في سِلْكِهِ من أعجوبة .

كان يحمي حَفِيدُ ابنِ ذِي النُّونِ رَكِيزَ المَجْلِسِ ، ثَرِيَّ المَغْرِبِ ،
حُلُوَ الحِوَارِ ، لِيَتَنَ التصرفِ بينَ الإِيرادِ والإِصدارِ ، مَتَلِيحُ شِبا الخَطِّ [٧١]
هذه كانتَ فَضَائِلُهُ فَقَطْ . لم يَكُنْ لَهُ وَلِيسَلِفُهُ قَبْلَهُ باعٌ في الطَّلَبِ .
ولا حَظٌّ في الأَدَبِ ؛ وكانَ — زَعَمُوا — آيَةً في قُربِ غَوْرِهِ . وَسُكُونِ
فَوْرِهِ^٢ . والخورِ بعدَ كَوْرِهِ^٣ ، لِمَعَةِ إِمْرَةٍ^٤ ، أَجَبَنَ مِنْ قُبْرَةٍ^٥ : إنْ
حَزَمَ لم يَعَزِمَ ، وإنْ سَدَى لم يُلْحِمِ ، إلى ما كانَ يَتَغَرَّضُهُ من غَرَضٍ^٦ .
ويَتَلَزَمُهُ أَكْثَرُ مدَّتِهِ من مَرَضٍ ، مِنْ ذَرَبٍ لازمٍ — زَعَمُوا — كانَ لِمَعِدَّتِهِ ،
واستحْرارِ حاسَمِ لِمَرَّتِهِ^٧ ، وقد كانَ جَدُّهُ المَأْمُونُ قَسَمَ الخُضْرَةَ قِسْمَيْنِ ،

١ انظر القسم الثالث : ٩٢ - ٩٦ .

٢ ص : قوده .

٣ انظر في هذا المثل : « الخور بعد الكور » فصل المقال : ١٧٥ وجمهرة ابن دريد ٢ : ٤١٣
وهو يعني النقصان بعد الزيادة .

٤ رجل إمعة إمرة : ضعيف لا رأي له .

٥ لم يورده حمزة في الدرة الفاخرة . وأقرب الأمثلة إليه « أجبن من صافر » وهو يشمل القبرة .

٦ يورده : يعرض له من ضجر وقلق .

٧ صر . - لحدته . - لمدته .

وأدار سياستها على رجلين ، فجعل تدير الأجناد ، والنظر في طبقات القواد ، إلى سائر الشئون السلطانية ، والأعمال الديوانية إلى ابن الفرج ، وبقية الإصدار والإيراد ، والنظر لجماهير الناس وكواف البلاد ، والرأي والمشورة . والصغيرة والكبيرة . إلى الفقيه أبي بكر بن الحديدي^١ ، رجل كان له قدم وإقدام ، وعنده نقض وإبرام . وكان قد عهد لحفيده هذا المرشح لأمره متى ورث سلطانه ، وتبوأ مكانه ، أن يشد على ابن الحديدي كلتا يديه . ولا يفتات بأمر من الأمور عليه . وأخذ الموثق الغليظ على ابن الحديدي ليسبلغن كل مبلغ في شد أزره ، وثبت أمره علماً باستقلاله ، واستنامة إلى يمن مناقبه وخلاله ، وحفظاً لما كان عنده من يده في إقامة أوده . ومما أتته على أهل بلده . وقد كان أكثرهم فيما سلف نفروا عنه ، وهموا بالاستبدال منه . فنكت أبو بكر هذا قوى مكرهم . وخاطب المأمون يومئذ إلى بكسية بجاية أمرهم ، خوفاً من الفتنة . وتفادياً من المحنة . فانكدر المأمون من حينه إلى طليطلة وقد ضاق ذراعاً . وكادت نفسه تذهب شعاعاً . وأدار الحيلة على مشيخة طليطلة في خبر طويل حتى سجن عامةهم بمطبق حصن [وبدة]^٢ ، أخرى قلاع المنيع . ولم يزالوا بها حتى شاب الشباب ، وبليت الأحقاب ، وتلك اليد كان المأمون يراعي لابن الحديدي ، فوضع في حياته زمامه بيده . واستخلفه بعد وفاته على بلده وولده .

١ هو تميم بن الحديدي ، عيسى بن الحديدي من أهل طليطلة ، كان متقناً فصيحاً فطناً

..... ، انظر المغرب ٢ : ١٣ .

٢ حصن

٣ زبدة

مقتل الفقيه أبي بكر بن الحديدي

فلما هلك المأمون بقرطبة ونُعي بطليطلة وماج بعضها في بعضها ، وانطبقت سماؤها على أرضها . احتوشت إلى حفيده . اللابس لبُروديه . جُملةٌ ممن كان يتعلّقُ بسببيه . ويُنسبُ إلى وطءِ عقبه . وطفقوا يُغرّونه بأبي بكره ، جماعِ أمره ، ومظنّةِ تأييده ونصره ، لما كانوا يُدبّرون من الثقلبِ عليه . ويتوهّمون من ضعفه على ما في يديه . وخوفوه غوائلَ ختلِهِ . وزعموا أن سلطانَه لا يتمُّ إلا بعدَ الفراغِ من قتلِهِ . وقد كان أثيرُهُ أبو سعيد بنُ الفَرَجِ يَنهاه عن إحتفارِ الدّمام . ويخوّفه سوءَ عواقبِ الأيّام . فركبَ هواه . وخالف ناصيته وعصاه . وجرّدَ قِطعةً من جُنْدِهِ ، وأمرها باستقبالِ تابوتِ جدّه في طريقِهِم من قرطبة ، وأنهى إليهم سرّاً قتلَ ابنِ الحديديّ المستقلِّ بحِمْلِهِ ، النّاظِم لأشتاتِ فِلمَلِه . وقال لهم : إذا التقيتموه فكونوا حذولَه ، وعظّموا قولَه ، فإذا أمكنَ تَستَكِيمُ^١ غِيرَتِهِ . وبدأتْ لكم تُغرّته ، فاقتلوه كيف أمكن ، وعلى ما ظهرَ وبَطَنَ . ونما الخبرُ إلى ابنِ الحديديّ فكفّرَ بطاغوتهم . ونفّضَ يَدَيَه من تابوتهم . ونكّسَ إلى بعضِ ضياعِهِ . في لُئمةٍ من شيعته وأتباعه . فاضطربتْ الصُّدُور . وبطلَ ذلك التدبير . ثم وافى البلدَ ليلةً وقد استوحش من أنسيه . وأوجسَ خيفةً في نَفْسِيهِ . أصبحَ في المدينة خائفاً يترقب . ونادماً يتتبعُ ويتعقبُ ، يعرضُ يديه .

١ ص : أمكنتم .

ويحسب كل صيحة عليه : وطلق أصحاب ابن ذي النون بزعميه يقولون :
 قد حذرَكَ ، وتيقنَ خبَرَكَ ، ولا يتصلحُ لك أبداً ، ولا يتردُّ عن
 مكروهيك بدا . ومشت بينهما الرسل ، وأعملت في اجتماعهما الخيل :
 فركب إليه ذات يوم ، وقد أخذ حذرَه ، وحشدَ عُرْفَه ونُكْرَه ، واستبطنَ
 من كان تبعه يومئذٍ من الدَّهْماء : وتعلّقَ بِرِكابِهِ لمُشْهَدِ أمرِهِ مِن
 الغَوَغاء . فملأوا أفنية القصرِ أسرعَ من الماء إلى الصَّبَب ، وأهلَ من
 النارِ في الحطَب : فحينَ ارتفعت الأصوات . وغصّت بهم العَرَصات ،
 ارتاع ابنُ ذي النون ، فأمرَ ابنَ الحديدِ بالخروج . فخرج والدولةُ
 متعلّقة بأذيالِهِ ، وطبقات أعيانها عن يمينه وشمالِهِ ، والعامّةُ بين يديه
 ومن خلفه ، يتمسّحون بآثارِهِ ، ويرفلونَ في غُبَارِهِ ، وهو يشكرُ
 منيعهم . ويغنمُ بالثناءِ جميعهم . وكان عندما أذكى عيونه ، وحسّرَ
 شاطئيه . قد أوقع شهيدَهُ على شيوخين من شيوخِ الخدمةِ يُدعيانِ
 أملاً وابنَ صرّوم . فأغرى العامّةُ باستئصالِهما ، وتحبّبَ إليهم [٧٢]
 شهيدَهُ أُمُوالِهما ، فكانتُ الفتنَةُ ، وبأكورة الميمنة .

وقد حدثتُ أن أراه أشارَ عليه يومئذٍ بالفراغِ من شيعَةِ ابنِ ذي
 النونِ فقبلَ رأيَه . واستسرَّ سعيَه ، وبوَدَّ طُلُيْطَانَةَ البائِسةِ لو أنه
 فعل . ولو أمضاهما ما استأثرتَ بها اثنان ، ولا انتطخَّ فيها عثران .

وريتُ هذا الحيزبَ المأثورَ بشرّه ، من شيعَةِ ابنِ ذي النونِ المغلوبِ
 من أمرِهِ ، لصاحبهم اللججَ في غدرِهِ ، والتمادي على غلوائِ مكْرِهِ :

س : أباغ .

وَأَرْتَهُ أَنْ ذَلِكَ مِنْ سَعْيِهَا لَا يَسْتَوِي عَلَى سُوقِهِ ، وَلَا يَخْلُو بِسِوَا^١ طَرِيقِهِ ، إِلَّا^٢ [بِإِطْلَاقِ] تِلْكَ الطَّائِفَةِ الْمُعْتَرِبَةِ بِمُطَبَّقِ وَبَدَةِ ، الْمُحْتَرِقَةِ أَفْلَازُ أَكْبَادِهِمْ ، بَنِيرَانِ دَمِيهِمْ وَأَحْقَادِهِمْ : دَاءٌ دَفِينٌ ، وَشَرٌّ مَضْمُونٌ . وَسَوَّلُوا لَهُ أَنَّهُ إِذَا فَتَكَ أَغْلَالَهُمْ ، وَوَصَلَ بِحِجْلِ الْحَيَاةِ حَبَالَهُمْ ، غَسَلَ جِوَانِحَهُمْ ، وَتَأَلَّفَ نَصَائِحَهُمْ ، وَشَارَكَهُمْ فِي ذَوَاتِ صُدُورِهِمْ ، وَاعْتَدَّ عَلَيْهِمْ مِينَةَ نُشُورِهِمْ ، وَالْبَعْثَةَ مِنْ قُبُورِهِمْ . فَأَثَارَ مِنْهُمْ مَدَى وَشَفَارَا ، [أَعَدَّ] ^٣ بِهِمْ لِحَرَابِ مُلْكِهِ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا . فَأَدْخَلَتْهُمْ الْبَلَدَ سِرًّا مِنْ بَعْضِ مَدَاخِلِهِ الْخَفِيَّةِ ، وَقَدْ سَتَرَهُم بِاللَّيْلِ ، وَأَوْهَمَ أَنَّهُمْ بَعْضُ الْحُرِّمِ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَيْهِ ، وَمَثَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ لِعَشْرِ خَلَّتْ لِمَحَرَّمِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ .

وَكَانَ الَّذِي مَالًا ابْنُ ذِي النُّونِ عَلَى ذَلِكَ ، وَسَهَّلَ لَهُ — زَعَمُوا — تِلْكَ الْمَتَاهِجَ الْخَبِيثَةَ وَالْمَسَالِكَ ، الْفَقِيهُ ابْنُ الْمَشَاطِ مُتَوَلِّي الْقَضَاءِ كَانَ يَوْمَئِذٍ بِقُونُكَّةَ . وَكَانَ أَبُو بَكْرُ بْنُ الْحَدِيدِيِّ [يَأْلَفُهُ] وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ قَدِيمًا ، فَاسْتَدْرَجَهُ بِالْأَمَانِ ، وَاسْتَفْزَهُ إِلَى مَصْرَعِهِ يَوْمَئِذٍ بِمَزُورَاتِ الْإِيمَانِ ، حَتَّى جَرَّعَهُ رَدَاهُ ، وَأَسْلَمَهُ إِلَى عِيْدَاهُ . وَدَخَلَ ابْنُ الْحَدِيدِيِّ يَوْمَئِذٍ الْقَصْرَ ، وَالْمَقْدَارُ يُزْعِجُهُ ، وَالْخَائِنُ الْغَدَّارُ ابْنُ الْمَشَاطِ يَسْتَدْرِجُهُ : فَلَمَّا أَفْضَى إِلَى مَجْلِسِ ابْنِ ذِي النُّونِ رَأَى وَجُوهًا قَدْ أَمِنَتْهَا مِمَّا تَخَوَّفَهَا .

.....

١ ص : بسوء .

٢ بياض في ص .

٣ بياض في ص بقدر كلمة .

٤ بياض بقدر كلمة .

٥ ص : السقاط .

وأنكرها من طول ما عترفها : فأيقنَ بالشرِّ لا خلاص : ولاتَ حينَ مناص . ثمَّ وطنَ لمحتبِهِ ، وانتكأَ فَضْلَ مُنتَبِهِ ، فجاذبهم أطرافَ الخِصام ، وطلَعَ عليهم من ثنايا النُقُص والإبرام . فقامَ ابنُ ذي النونِ مِن موضِعِهِ وابنُ الحديدِ مُتَمَلِّقٌ بأذيالِهِ ، مُسْتَجِيرٌ به من أفتالِهِ . فَشَغَبُوا عليه وشَغَلُوهُ : وأحاطوا به حتى قَتَلُوهُ . ففُضِيَ الأمرُ : وانقضى العَجْزُ والصُّدْرُ : ولَمَّا أَحسَّتِ العامَّةُ بقتلِهِ ، وهَمَّتْ بسِلاحِها مِن أجلِهِ ، ثارَ أولئك المُخْرَجون في وجوهِهِم : أطلالٌ في أسْمال . فأخذ كلُّ واحدٍ مِنهم بطَرَفٍ من الطريق : وذَهَبَ مَمَّنْ كان هُناك مِن العامَّةِ بِفَرِيقٍ ، بين صَدِيقٍ لهم يُسَرُّ ، وعدوٍّ يَتَفَرُّ . وتشاغَلوا بنهبِ دورِ بني الحديدِ حينَ عجزوا عَن نُصْرَتِهِ : وعَلِمُوا أنَّ لا سَبِيلَ إلى كَرَّتِهِ . ولمْ يكن إلَّا كـ « لا » حتى أَصْبَحَتْ حَبَلًا رُثًا ، وهَبَاءً مُنِثًا .

وظنَّ ابنُ ذي النونِ [أنَّهُ] قد راحَ أحْشَاءُ الأَيامِ بِفَتَكَةِ بَرَأضِيَّة ، وهتَكَ أَسْتارَ الخُطوبِ عن حِيلَةِ عِمْرِيَّة . ولَعَمْرِي لقد راحَ ولكن آمِنَ سِرْبِهِ ، ولقد هتَكَ ولكن حِجَابَ قَلْبِهِ . أَخْلَى وَجْهَهُ لِشِرَارِ أَعْمَار . لم تَكُنْ لهم أَحْلامٌ تَحْجَرُهم . ولا حُلُومٌ تَوْقِرُهم : أَذْبَقَ ٣ شَهَوَاتٍ : وفراشِ ضَلالاتٍ ، أغضَى الزمانُ لهم هُنَيْئَةً فظَنُّوا أَنَّهُم قد أعْجَزُوهُ وانتَهَزُوهُ ، فوجدَهم مُغْتَرِّينَ لَيْسَ لهم سِلاحٌ إلَّا مَقَاتِلُهُم . ولا بهم حَوِيلٌ إلَّا تَدَابُرُهُم وتخاذُلُهُم . وَلَقِيتَ على نَفْسِهِ مِن أولئك

١ ص : خيلا .

٢ ص : أحشاع .

٣ ص : أدبه .

المُخْرِجِينَ شَرَارَ زِنَادٍ ، وَأَسْرَارَ غَدَاوَاتٍ وَأَحْقَادٍ ، أَحْلَاسَ السَّجُونِ^١
وَالْأَهْوَالِ ، وَبَقَايَا الْقَيْوُودِ وَالْأَغْلَالِ . فَلَمْ يَزِدْ بِمَوْتِ ابْنِ الْحَدِيدِيِّ
وَحَيَاتِهِمْ عَلَى أَنْ كَانَ الشَّرُّ سَبَبًا فَأَصْبَحَ أَسْبَابًا ، وَالنَّاسُ حِزْبًا فَتَفَرَّقُوا
أَحْزَابًا . وَانْتَبَذَ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَتِلْكَ الْوَهْلَةَ بِبَلَنَسِيَّةٍ مِنْ جَمَاعَتِهِ ،
وَحَلَّعَ يَدَهُ مِنْ طَاعَتِهِ . إِلَّا هُدْنَةً عَلَى دَخْنٍ ، يَتَطَارَدُ لَهُ بِصَيْدِهَا ،
وَيُنْشَدُ عَنْ كَيْدِهَا :

أَحْبَبْتُ فِي الْبَتُولِ فِي أَبِيهَا وَلَكَيْتِي أَحْبَبْتُ مِنْ بَعِيدٍ^٢

وَفَغَرَ الطَّاعِيَةَ أَذْفُونُشُ بْنُ فَرْدَلَنْدُ فَمَتَّ عَلَى ثُغُورِهِ الْمَشْغُورَةِ ، فَجَعَلَ
وَقْتَهُ يَطْوِيهَا طَيَّ السَّجَلِ لِلْكِتَابِ . وَيَنْهَضُ فِيهَا نَهْضَةُ الشَّيْبِ فِي
شَبَابٍ . وَابْنُ ذِي النُّونِ يُلْقِمُهُ أَفْلَاحَ كَبِدِهِ ، وَيَرْجِمُهُ بِسَيْدِهِ وَلِبْدِهِ ،
أَذْفُونُشُ لَعَنَهُ اللَّهُ لَا يَقْنَعُ مِنْهُ بِصَيْدِ الْعَنْقَاءِ ، وَلَا بَبِيضِ الْأَنْوَقِ ، بَلْ
كَتَفَهُ^٣ إِحْضَارَ الْأَبْلَقِ الْعَقُوقِ ، وَيَسْوُمُهُ دَرَكَ الشَّمْسِ . وَيَطْلِبُهُ بَرْدَ أَمْسٍ^٤ ،
مَتَا أَكَلَ الْإِنْفَاقُ تَبَيَّجَ^٥ مَالَهُ . وَأَخَذَ الْإِنْفَاقُ بِكُظْمِ احْتِيَالِهِ ، وَأَحْسَنَ
بِدَوِّ الْمُشَاقِّ بِذَلِكَ مِنْ حَالِهِ . سَمَا إِلَى مَسَاقِلِهِ الْمُنِيْعَةِ . وَذُرَى أَمْلَاكِهِ
بِقِيْعَةٍ ، عُدَدَ الْأَنَامِ ، وَدُرُوبِ الْإِسْلَامِ ، فَانْهَضَتْ مِنْهَا عَلَيْهِ غَمَلِيْقٌ ،
مَا رَامَ أَخْذَهُ مِنْ يَدَيْهِ لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى مُزِقَ [١٧٣] .

١ ص : خلاص السجون .

٢ أورده العميدي في الإبانة : ١٢٥ وذكر أنه لصاحب العلوي . انسي بطبرستان .

٣ ص : يكله .

٤ ص : أنس .

٥ ص : تبيح .

فرار حفيد ابن ذي النون من طليطلة ودخول المتوكل

وانجمرت الحالُ بينه وبين أولئك الشيوخ المُخرجين من المنطبق بمقدار^١ ما رَقَعُوا خروقاتهم ، وجمعوا فريقهم ؛ فلما استوثق أمرهم ، وثابَ إليهم شرُّهم ، دَلَفُوا لحزبه الدُّنُوِّيَّ البَسيِسَ^٢ ، تحتَ إحدى ليالي جَدَيْسَ ، أرَعَتْ عليهم سُقُوبُ السماء ، وتمخَّضتْ لهم بالداهيةِ الدَّهْياءُ ، ورؤوسهم بأيدي الولدانِ لُعباً . وأتى ابنَ ذي النون صريخُهم تلكَ الليلةَ فصادفَ منه رأياً مغلوباً ، وقلباً مَنخوباً ، طارَ به الذُّعْرُ ففرَّ ودونه من عبيده أسدُ الشَّرى ، والأسوارُ شامخة الذُّرى ، كأنما ناجتَه القتالَ أضغاثُ حلُمه ، أو رأى وجوه الأقتالِ في وجوه حُرْمه ، تجفَلَ الظِّلِم ، لا يحفِلُ بالعارِ المُقيم ، ولا يُصيحُ إلى الصديقِ الحميم . حُدَّتْ أن زوجه بنتَ المظفرِ بن أبي عامر ، طريد جدّه — كان — من بلنسية ، وابنته منها تبعته يومئذٍ راجلتين نَيِّفًا على فرسَختين ، حتى أدركتا بمركوب ، وقد أخذ الجهدُ منهما بأوفر نصيب : واجتمع مشيخةُ طَلَيْطَلَة بفناء القصر ، مرتبكين بين اللّجاج والذُّعر ، عامتُهم تتطاوَل بزعمها إليه ، وخاصَّتُهم تتحيّل المشولَ بين يديه ، وهم يظنُّونه بحيثُ يرى ويسمع ، ويتوهّمون أنه سيفعل ويصنع . فوجدوه قد أذعن للدنيّة ، وخرج من بعض تلك

١ ص : بمقدام .

٢ من معاني البسيس : المختلط . ولعلها : « البئيس » .

المخارج الخفية . ومشى القهقري ، قبل عير وما جرى^١ ، فاستأمدت
كلابهم لأكل لحم ليس له ناصر ، وهزج ذُبابُهم أثناء روض ليس [له]
وارد ولا صادر . ولقوا يومئذٍ في سؤر الطاغية أذفونش من تلك الجواهر
المكنونة ، والذخائر المصونة .

وتلاحق بابل ذي النون بقيقة سيريه المنفر ، وفل^٢ عسكره المدبر ،
بحصن من حصونه . وأقام أهل طليطلة بعده أيتاماً ولا كالسائمة المهمة
نام راعيها ، وأكبثت^٣ مراعيها ، يتهادون لحماً بين قديد ومُجمل ،
ويرتمون بشحم كهذاب الدمقس المفتل^٤ ، في هياط ومياط ، ولتجب
واختلاط ، ليس عليهم أمير ، ولا فيهم إلى الصواب مُشير . وتشاوروا
في أيّ مئاوك الطوائف يُحكمونه فيهم ، ويلتقون إليه بأينديهم ، فطار
طائرهم ، واختلقت بواطنهم وظواهرهم ، واشرب^٥ من كان يتليهم
منهم للملكة لم يُحكموا إليها أسبابا ، وغنيمة لم يُوجفوا عليها خيلا
ولا ركابا^٦ .

وكان عندهم يومئذٍ أبو محمد يوسف بن القلاس البطلانيّ أحدُ

١ من قول الشاعر : « وتعدو القبى قبل عير وما جرى » وهو للشماخ (اللسان : عير ومجالس
ثعلب ٢٠٧ وفصل المقال : ٣٠٠) والعير هنا فيما يقال هو المثال الذي في حدقة العين ،
يريدون قبل أن يطرف الإنسان عينه يعني بأقصى سرعة .
٢ أكبثت : كثر فيها الكباش ، وهو الناضج من ثمر الأراك .
٣ من قول امرئ القيس :

ففل العذاري يرتمين بلحمها وشحم كهذاب الدمقس المفتل
٤ ص : ركباناً .

عَفَارِيَتِ الضَّلَالِ ، وَأَكْلَةِ الْأَمْوَالِ ، مِّن رَّجُلٍ أَجْرًا خَلَقَ اللَّهُ عَلَى دَمٍ وَهُوَ أَجْبَنُ مِّن صَافِرٍ^١ . وَأَجْسَرِهِمْ عَلَى رُكُوبِ ثَبَجٍ^٢ عَرْمٌ وَهُوَ أَوْعَفُ مِّن لَّحْظٍ فَاتِرٍ . نَبَّهَتْ^٣ تِلْكَ الْفِتْنَةُ عَلَى قَدْرِهِ ، وَرَفَعَ عُدْمُ الرِّجَالِ صَوْتَهُ بِذِكْرِهِ ، فَهَبَتْ رِيحُهُ شِمَالًا وَصَبَا ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ عَجَبًا ، فَعَرَّضَ عَلَيْهِم بِصَاحِبِهِ الْمُتَوَكِّلِ عُمَرَ بْنَ الْمُظَفَّرِ ابْنَ الْأَفْطُسِ ، وَأَعْرَبَ لَهُمْ عَنْ لَيْنِ مَكْسَرِهِ . وَضَبِقَ مَسَافَةً نَّظَرُهُ ، وَاشْتَغَالِيهِ بِاللَّدَاتِ عَنْ أَكْثَرِهِ ، فَقَالُوا: بُرْدٌ كَبُرْدٌ . مَا أَشْبَهَ سَعْدًا بِسَعْدٍ ! فَأَتَاهُ سَفِيرُهُمْ . وَخَفَّ إِلَيْهِ عَيْرُهُمْ وَنَفِيرُهُمْ . فَجَاءَهُمْ يَنْظُرُ مِّنْ خَفَاءٍ . وَيَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ . كَدَوْدَنَا سَامُوهُ خُطَّةَ سَبَاقٍ ، وَحُبَيْسَنَةُ أَقَامُوهَا عَلَى سَاقٍ . فَدَخَلَ طَلِيظُهَا عَقِيبَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ . وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ نَحْوَ مِائَةِ عَشْرَةِ أَشْهُرٍ . أَضْلََّ مَن يَدِي فِي رَحِمٍ ، وَأَذْلََّ مَن لَّحِمٍ عَلَى وَضَمٍ^٤ .

[و] قَدْ كَانَ ابْنُ ذِي النُّونِ حِينَ انْفَلَتَ مِنْ يَدِ الْمُقْتَنَصِ ، انْفِلَاتَ الْحَمَامَةِ مِمَّنِ الْقَتْفَصِ . تَهَيَّأَ لَهُ دُخُولُ كُنُوزِهَا فِي خَيْرِ طَوِيلٍ ، فَثَابَ إِلَيْهِ حِسَّةً . وَرَجَعَتْ قَلِيلًا نَفْسُهُ ، وَرَاسَلَ الطَّاعِيَةَ أَذْفُونُشَ ، وَهُوَ بِحَيْثُ يَنْتَهَزُ الْفَرَسَةَ^٥ ، وَيَسْمَعُ الْقِصَّةَ . فَذَكَرَهُ ابْنُ ذِي النُّونِ سَالِفَ

١ انظر الدرة الفاخرة : ١١١ وفصل المقال : ٤٩٩ والميداني : ١ : ١٢٤ والمسكري : ٢١٧

٢ ص : تيج .

٣ ص : بهت .

٤ ناظر إلى الآية : ٦٣ من سورة الكهف .

٥ ناظر إلى الآية : ٢٥ من سورة القصص .

٦ هذان مثلان ، انظر الدرة الفاخرة : ١ : ٢٨٢ ، ٢٠٣ .

٧ كذا ولعلها : « الفرصة » .

عَهْدِهِ . وشَهِدَ عِنْدَهُ أَنْعُمَ جَدِّهِ . فَبِالزَّيَادِ الدَّنُونِيَّةِ - زَعَمُوا - وَرَبِّتْ
نَارُهُ . وَمِنْ التَّلَاعِ الْمَأْمُونِيَّةِ ^١ تَدَفَّقَتْ تَبَيَّارُهُ . أَيَّامَ كَانَ اسْمُ هَذَا الطَّاغِيَةِ
مُحْمُولًا ^٢ . وَصَعْبُهُ ذَلُولًا . بَتَغْلَبَ أَخَوِيهِ شَانُجُهُ وَغَرَسِيَّةَ عَلَيْهِ .
وَأَخَذَ هُمَا طَرَفِي سَيْلِكِيهِ مِنْ يَدَيْهِ . فَأَوَاهُ الْمَأْمُونُ ابْنُ ذِي النُّونِ وَنَصْرَهُ ،
وَاسْتَقْلَّ بِسُلْطَانِ طَاغُوْتِهِ حَتَّى أَظْهَرَهُ ^٣ . وَعِنْدَ اللَّهِ جَزَاءٌ مُوفُورٌ ، وَلِإِلَهِهِ
مُنْقَابٌ وَمَصِيرٌ . فَلَبَّى دَعْوَاهُ ، وَسَمِعَ شِكْوَاهُ ، وَأَظْهَرَ الْإِرْتِمَاضَ لَمَّا
عَزَّهَ وَعَرَّاهُ . وَأَقْبَلَ مَعَهُ إِلَى طَلِيْطَلَةِ يَتَرْدُ مَاءٌ بِمَاءٍ ^٤ . وَيُسِيرُ حَسَنًا
فِي ارْتِفَاءٍ ^٥ ، يُؤَرِّدُ وَرْدًا إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَحْلُبُ حَلِيبًا لَهُ أَكْثَرُهُ . وَالْمَتَوَكِّلُ
بِهَا طَلِيحُ جَيْفَانٍ ، طَرِيحُ أَكْوَابٍ وَدِنَانٍ ، مُكَبِّأٌ عَلَى قَيْمَشٍ مَا لَحْتَهُ ^٦
الْمِحْنَةُ ، وَتَجَافَتْ عَنِ انْتِهَابِهِ الْفَيْتَنَةِ . مِنْ فَرَشٍ فَخْخَمٍ . وَسُرَادِقٍ
ضَخْمٍ ، وَأَنْيَةِ وَكْتَبٍ ، وَصَعْدٍ مِنْ آلَةِ الْمُلْكِ وَصَبَبٍ ، حَتَّى اجْتَمَعَ عِنْدَهُ
مِنْ خَبَبَتْ زُبُرَتِيهَا ، وَغُثَاءٍ غَمَرَتِيهَا ، مَعَ مَا أَذَابُوا لَهُ صَدْرَ مَقْدَمِهِ
مِنْ شَحْمٍ سَتَامِيهَا ، وَأَفَاضُوا مِنْ بَرْدِهَا وَسَلَامِهَا ، جُمْلَةً عَلِمَتْهُ الْخُلُوسُ
فِي الصَّدْرِ ، وَأَرَتْهُ الْفَرْقَ بَيْنَ الْخَلِّ [٧٤] وَالْخَمْرِ ، وَأَهْلَ طَلِيْطَلَةِ الْمَمْتَحِنُونَ ،
فِي غَمَرَتِهِمْ سَاهُونَ ، وَعَلَى أَعْقَابِهِمْ يَنْكُصُونَ ، يَخْوضُونَ وَيَلْعَبُونَ ،
وَيُخَرَّبُونَ بِيَوْتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ^٧ .

١ ص : المأمنة .

٢ ص : محمولا ، وربما قرئت « مجهولا » .

٣ ص : أظهر .

٤ من قولهم : « ان ترد الماء بماء أوفق » وهو علامة على الحيلة والحدز .

٥ انظر المثل في فصل المقال : ٧٦ والميداني ٢ : ٢٥١ .

٦ ص : بخته .

٧ ناظر إلى الآية : ٢ من سورة الحشر .

خروج المتوكل من طليطلة ، ورجوع ابن ذي النون إليها

فلما تمكن المتوكل من الرّي والشّيع ، تذكّر عواقب الطمع ، ورأى أنّه إن زاد على ملء بطنه . كان كالسراج المنغمس في دهنه ؛ فكأيدهم بغيراره ، وأجلى مبادراً إلى بطليوس دار قراره ، يُنشدُ :

إن الله يُرجعني من الغزو لا أرى وإن قلّ مالي طالباً ما وراثياً

ومن غريب تأويل الأحلام ، أن رجلاً رأى المتوكل قبل دخوله طليطلة بأعوام . كأنه يأكل فيها طعاماً فيه سائق مع رجل يُسمى يوسف ، ففسّرهما الأديب أبو عمر ففتح المعروف بابن برلوصه^٢ ، وقال : إن المتوكل سيدخلها على يدي رجل يُسمى يوسف ، ويبتالان من مالها^٣ وذخائرها ، لكنهما يُسلقان بالأسنة فيها : ويقبُح الحديث عنهما ، فخرجت الرؤيا كما فسّر .

ولما دخلها وحصل إليه منها ما حصل فتر وتركهم كالسفينة خانتها الرياح ، والجدد بان عنه الروح ، بين ناب الطاغية أذفونش وظفّيره ،

.....

١ البيت للملك بن الرّيب التميمي ، انظر ذيل أمالي القالي : ١٣٦ .

٢ ترجم له ابن بسام في القسم الثاني : ٨٠٥ وانظر مسالك الأبصار ١١ : ٤٤٢ ، وقد ورد اسمه في هذا الموطن من الذخيرة « برلوصة » بالضاد المعجمة ؛ وفي الأصل أيضاً أبو عمر ابن فتح .

٣ ص : عماها .

يَتَقَدَّحُ لَهُمْ نَارَ الْفِتْنَةِ عَنْ حَجَرِهِ . وَيُرِيهِمُ الْمَوْتَ فِي أَهْوَلِ صُورِهِ ،
مُقْسِماً لَا يَبْرَحُ الْعَرَصَةَ حَتَّى يَنْفِيَ ابْنَ ذِي النُّونِ بِضَمَانِهِ ، وَيُكَافِئُهُ
عَلَى سَالِفِ إِحْسَانِهِ . وَكَانَ عَاقِبَتَهُ ابْنُ ذِي النُّونِ أَنَّهُ إِذَا ضَرَحَ قَدَاهَا ،
وَأَمَاطَ أَذَاهَا ، وَاقْتَضَى دَيْئَتَهَا . خَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا . هَذَا [مَا] أَضْعَفَ .
فَأَمَّا الَّذِي أَظْهَرَ ، فَإِنَّهُ وَعْدُهُ أَداءُ جُمْلَةٍ مِنَ الْمَالِ ، لَا تَنْفِي بِهِ مُدَّةُ الْإِقْبَالِ .
وَلَا إِرْخَاءُ الْحَالِ ، رَاهِنَتُهُ بِهَا أَبْنَاءُ الْأَمْجَادِ ، وَبَقَايَا مَعَاقِلِهِ الْأَفْرَادِ ، وَالْقَى
أَهْلُ طَلِيلَةِ بَأْيَدِي الصَّغَارِ ، عَلَى حِينِ أَيْقَنُوا بِالْبَيَّارِ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ
أَنْشُوطَةُ الْحِصَارِ . فَجَاءَ ابْنُ ذِي النُّونِ يَتَقَدَّمُهُ أَذْفُونُش ، وَهُوَ يُظْهِرُ
مِنَ التَّزَامِ بِيَرِّهِ ، وَإِعْزَازِ نَصْرِهِ ، مَا بَهَّرَ الْعُقُولَ . وَكَثَّرَ الْقَالَ وَالْقِيلَ .
حَتَّى زَعَمُوا أَنَّهُ رَفَعَ صَوْتَهُ يَدْعُو إِلَيْهِ ، وَتَرَجَّلَ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَصَارَ
أَعْجَبَ مِنْ تَوَرُّطِ فِي حَبَائِلِ كَيْدِهِ ، وَجَعَلَ الضَّرْغَامَ بَازَاً لِيَصِيدَهُ^١ .
وَكَمْ رَامَ أَهْلُ طَلِيلَةِ قَتْلِ ابْنِ ذِي النُّونِ فِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْوَشَلَاتِ^٢ مِرَاراً ،
وَلَكِنَّهُ بَلَغَ مَدَاهُ ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ فَأَبْقَاهُ ، وَكَانَتْ لَلَّهِ فِيهِ مَشِئَةٌ^٣ أَمْضَاهَا ،
وَقَضِيَّةٌ^٤ أَنْظَرَ بِهِ إِنْهَا^٥ ، لِذَلِكَ مَا خَبَّاتُهُ صُرُوفُ الْأَيَّامِ ، وَسَلِّمَ مِنْ
الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ^٦ : فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النُّحْرِ سَنَةً أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ ، نَهَدُوا لَهُ

١ من قول المتنبي :

وَمَنْ جَعَلَ الضَّرْغَامَ بَازَاً لِيَصِيدَهُ تَصِيدُهُ الضَّرْغَامُ فِي مَنْ تَصِيدُهَا

وَفِي ص : الضَّرْغَمُ بَازِيًا .

٢ ص : الْوَسَلَاتُ ، وَالْوَشَلَاتُ : حَالَاتُ الضَّعْفِ .

٣ نَظَرَ إِلَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ « إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ لِإِنَاءِ » (الْأَحْزَابِ) .

٤ من قول المتنبي أيضاً :

وَأَنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْحَمَامِ إِلَى الْحَمَامِ

في عَدَدَهم وعَدِيدهم . وزحفوا إليه بحدّهم وحتدّ يدهم ، فتجاولوا عامّة يومهم في شوارعها ، يترامون بدّوامخ الختوفِ وقوارِعها ؛ فأجلّت الحربُ عنهم قد شَرِقُوا بغُصَّتْها ، وخلّوا بينه وبين عَرَصَتِها . وتساقطوا على أذفونش يشكون ابنَ ذي النّونِ إليه ويستصرِخونه عليه . فرماهم بحجر ، ولتيسّ لهم جلدةَ نَمِر . فتفرّقوا بكلّ سبيل ، وطاروا على كلّ صعبٍ وذلول ، حتى مات ابنُ مُغيثٍ كبيرُهم الذي علمهم السّحر ، وطاغوتُهم الذي شرّع لهم الكُفْر ، بشيمتور^١ من أرضِ قَشْتِيلَة بين الدّنان والصّلبان ، فسار وإلى الله إيابُه ، وعليه حسابُه . ورجعَ بنوه أخيراً فانتزّوا بمدينةَ مَجْريط ، وانحسّرَ إليهم ذُوبانُ الوقائع ، وأذبتُ المطامِيع ، فكانتْ بين ابنِ ذي النّونِ وبينهم أيامٌ عدّةٌ لهم له عدداً ، وساقَتْهم إليه ورّداً ، حتى بادَ جُهورُهم ، وتلاحقتْ أعجازُهم وصُدُورُهم : وبلّغَ ابنُ ذي النّونِ مِن هَدَمِ رُبوّهم ، وصلّيتهم على جدوعهم ، ما يُبرّدُ صدرَ المَوْتور ، ويُضحكُ سِنَّ الموتِ المُبِير .

بقية الحديث عن شؤون ابن ذي النون بطليطلة وإسلامها لظهيره الطاغية أذفونش ، وما انطوى في ذلك من خبر ، والتف به من قبيح أثر

قال ابن بَسّام : وأخذ ابنُ ذي النّونِ أهلَ طُليطلةَ لجَينِ استقراره فيها يَفْكَ تلكَ المعاقيل ، وأداء ما كان ضَمِنَ لأذفونش مِن الأموال

١ التاء غير معجمة في ص .

الجلال ، فضرب مُدبِرَهُم بِمُقبِلِهِم ، وَلَتَى آخِرُهُم كِبِيرُ أَوَّلِهِم ، حَقَّ طَمِيعَ فقِيرُهُم فِي غَنِيهِم ، واجترأ ضَعِيفُهُم عَلَى قَوِيَّتِهِم ، وَأَصْبَحَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَتَرَتَّعُ مِيزَانَهُ ، وَيَلْتَفِتُ وَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ أَهْلِيهِ : وَانْكَدَرُ أَذْفُونُش عَلَى طُلَيْطَلَةَ يَنْتَسِفُ مَرَّاقَتُهَا ، وَيَقْعَدُ لِحَالِيَةِ أَهْلِهَا ثَنَابَاها وَمَضَابِقُهَا ، بِأَسِيرُ وَيَقْتُلُ ، وَيَحْرَقُ وَيُحْتَبِلُ وَسَمَا السَّمْعَر ، وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ ، وَأَنْكَرَتِ الْمَوَارِدُ وَالْمَصَادِرُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرُ .

وكان من غريب ما اتَّفَقَ [٧٥] وعجيب ما انتظم من ذلك واتسق ، أن البُرَّ كان على زعمهم يَكُتُّ عندهم أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً لَا يُوَثَّرُ فِيهِ طَوْلُ الْقَدَمِ ، وَلَا يُخَافُ عَلَيْهِ آفَةُ الْعَدَمِ ، وَلَمْ يُرْفَعْ مُدَّةُ الْفِتْنَةِ مِنْ الْبِيَادِرِ — عَلَى تَعَذُّرِ بَدْرِهِ ، وَضِيقِ الْحِيلَةِ عَنْ مَحَاوِلَةِ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ — إِلَّا وَقَدْ بَدَأَ الْبَلَى عَلَيْهِ ، وَأَسْرَعَتِ الْآفَةُ إِلَيْهِ ، أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَرَدٌّ ، وَلَا مِنْهُ بُدٌّ . وَلَمَّا شَمَلَ الْبَلَاءُ ، وَفَدَحَتِ الْبِأْسَاءُ ، وَأَتَى عَلَى أَكْثَرِ أَهْلِ طُلَيْطَلَةَ الْقَتْلُ وَالْحَلَاءُ ، وَقَضَى الطَّاعِيَةُ أَذْفُونُش — قَصَمَهُ اللَّهُ — قَضَاءَهُ مِنْ اسْتِبَاحَةِ الْحَرِيمِ ، وَاسْتِثْصَالِ الرَّاحِلِ وَالْمُتَّقِمِ ، وَإِتْلَافِ الْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ . أُسْرِى تَحْتَ اللَّيْلِ ، فِي قِطْعَةٍ غَیْبِرٍ وَافِرَةٍ مِنَ الْخَيْلِ ، فَتَزَلَّ الْمُنْيَةُ الْمَصُورَةُ الَّتِي كَانَ الْمَأْمُونُ يُحْشِدُ لَهَا كُلَّ حُسْنٍ ، وَيُسَاهِي بِهَا جَنَّةَ عَدْنٍ ، وَيُقَلِّبُ الْحَوِيرَ فِي جَيْدِ بَنِيَانِهَا ، وَالْإِشَادَةَ بِشَانِهَا ، ظَهَرَ لِبَطْنٍ ، فَاتَّخَذَ عُرُوشَهَا مَرَابِطَ لَأَفْرَاسِهِ ، وَلِأَيْوَانَاتِهَا مَلَاعِبَ لَأَرَاذِلَتِهِ وَأَرْجَاسِهِ . وَهَجَمَ الشِّتَاءُ فَمَنَعَهُ مِنْ مِيرَةٍ تَأْتِيهِ ،

١ ص : الجور .

٢ ص : وأيوانتها .

أومدّد يؤافيه ، فأقام نبيّفاً على شهرين لا يسبغ الشراب ، ولا يملك
المجيء ولا الذهاب ، ليس له شؤكة إلاّ ظلّ لوائه . ولا مدّد إلاّ
ضعف من كان بإزائه . ولولا اهتبال مأوك الطوائف بإقامة مرافقه ،
ولإصغاؤهم إلى هدّ شقاشقه ، لطار شعاعاً ، وذهب ضياءاً . وطفق
أهل طليطلة يستصرخون من حولهم ، ويعملون في ذلك فعلتهم وقوتهم ،
فيعكفون على طلل بائد ، ويتضربون في حديد بارد . فلمّا نأى الشتاء
بجانبه ، وختلّ بين كلّ ذاهب ومداهبه . سأل بأهل طليطلة سيّـل
لا يقوم له سهّل ولا وعر ، وطالع عليهم لينل لا يلوّح لهم فيه صبح
ولا فجر . واضطرّ من أخطأته الحوادث ، ونخطئته تلك الخطوب الكوارث ،
من أشدها ضيق الحصار ، وكتّـب البوار ، وإبطاء المرافق والأنصار—
إلى مداخلة الطاغية أذفونش ، فشرعوا في ذلك غير مظهرين للاستسلام ،
ولا متبرّتين من الصبر على ضنك ذلك المقام . طمّعا في أن يغروه ولو
باغلاء سؤم ، ويتخدعوه على أذماء نفوسهم ولو ببياض يوم . إشارة
الغريق إلى الساحل . واستراحة المحتصر إلى الطبيب الجاهل ؛ فأبى أذفونش
إلاّ عرضة الدار . وأمّ الأوطار ، ولجأ بين التّـمادي والاستمرار ،
لهلمه أين ينتهي طلقهم . وتقديره لما عسى أن يقي به رمقهم . فخرج
من أعيانهم جئمة إلى مضرب أذفونش في بعض تلك الأيام . وقد ضاق
المجال ، وتلّـمظت الآجال . وأقبلت الحتوف تحتال^٢ . فقام الحجاب
دونّه ، وقالوا : هو نائم فكيف توقظونه ؟ فمدّلوا إلى مضرب شيشنند ،

١ ص : من ائلهـا .

٢ ص : تحتل .

شره العتيد ، وشيطانه المتريد . وهامانه الذي أوقد له على الطين ،
وعلمه الدفح بالشك في صدر اليقين ، أحد أعلام ابن عبّاد - كان -
من رجل مثوقد جمره الذكاء ، بعيد المذهب بين الخرافة والنكراء ،
سفر بين المعتضد والطايع فترذلت ، فعتقد وحلاً ، ونهض بما حمل
من ذلك واستقل . ثم خاف المعتضد على نفسه ، فنزع به عرق
الدوم ، إلى المقر المذموم . واستقرت قدمه بحليقة ، فاضطاع بالدروب
والشغور . وغلب على سائر السياسة والتدبير . وصار بعد قصارى
ملوك الطوائف بالجزيرة نظرة من اهتاله ، وأدنى خطرة من باله .
فأدخل على أذفونش يومئذ منهم جماعة فوجدوه يمسخ الكرى من عينيه ،
ثائر الرأس . خبيث النفس . وجعلوا ينظرون إليه وهو يضغث ثغامة
رأسه . فما نسوا دفر أظماره . ودرن أظفاره . ثم أقبل عليهم بوجه
كره ، ولحظ لا يشكون أن الشر فيه ، وقال لهم : إلى متى تتخاذعون ،
وبأي شيء تطعمون ؟ قالوا : بنا بغية . [ولنا] في فلان وفلان أمانة ،
وسموا له بعض ملوك الطوائف . فصفت بيديته . وتهاقت حتى فحص
برجله . ثم قال : أين رسل ابن عبّاد ؟ فجاء بهم يرفلون في ثياب
الخناعة ، وينسبون بالسنه السمع والطاعة . فقال لهم : منذ كم تحومون
علي . وترومون الوصول إلي ؟ ومتى عهدكم بفلان ، وأين ما جئتم
به لا كنتم ولا كان ؟ فجاءوا بحملة ميرة . وأحضروا بين يديه كل
ذخيرة خطيرة . ثم ما زاد على أن ركل ذلك برجله . وأمر بانتهايه
كله . ولم يبق ملك من ملوك الطوائف إلا أحضر يومئذ رأسه ،
وكانت حاله حال من كان قبله . وجعل أعلامه يدفون في ظهورهم ،
وأهل طائفة يعجبون من ذلك مقامهم ومصيرهم . فخرج مشيخة لها
من عنده وقد سقط في أيديهم . وطمع كل شيء فيهم . وخلصوا بينه

وبين البلد ، ثلاثة أيامٍ من ذلك المشهد . ودخل طليطلة على حكمه ، وأثبت في عرصتها قدام ظلمه . حكمهم من الله [٧٦] سبقت به القدر ، فلم يكن منه وزر .

وخرج ابنُ ذي النون خائباً مما تمنّاه . شرقاً ببعقيّ ما جناهُ ، والأرضُ تَصْصِجُ من مُقامه . وتستأذِنُ في انتقامه . والسّماءُ تودُّ لو لم تُطْلَعْ نَجْماً إلاّ كدَرْتَهُ عليه حَتَفاً مُبِيداً ، ولم تُنْشِءْ عارضاً إلاّ مَطَرْتَهُ عذاباً فيه شديداً . واستقرَّ بِمَحَلَّةٍ أَذْفُونَشٍ مخفورة الدّمة ، مُذالَ الحرمة ، ليس دونه باب ، ولا دونَ حُرْمِهِ سِتْرٌ ولا حِجَابٌ . حدثني مَنْ رآه يومئذٍ بتلك الحال وبیده اصْطِرْلَابٌ يرصدُ فيه أي وقتٍ يَرحلُ ، وعلى أيّ شيءٍ يعوّل ، وأيّ سبيلٍ يتمشّل ، وقد أطافَ به النّصارى والمسلمون ، أولئك يَضْعُكونَ من فيعله ، وهؤلاء يتعجبونَ من جهله .

وعتاً الطاغية أَذْفُونَشُ - قصمه الله - حين استقراره بطليطلة واستكبر ، وأحلَّ بملوك الطوائف في الجزيرة وقصّر ، وأخذَ يتجنّى ويتعتّب . وطفقَ يتشوّفُ إلى انتزاعِ سُلْطَانِهِم والفراغِ من شأنهم ويتسبّب . ورأى أنهم قد وقفوا دون مَدَاهِ ، ودخلوا بأجمعِهِم تحت عصاه .

وولّى شِيشِنْدَ المذكور تدبير طليطلة ، فهوّنَ عليهم الرزية ، وحسّبَ لِيهِمَ إعطاءَ الدنيّة ، بما أراهم من سهولةٍ مراميه . وبَسَطَ فيهم من عدلٍ أحكاميه . حتّى استمال قُلُوبَ أعلامها ، وحسّبَ التّصعّبَ إلى عامةِ طغاميها ، وفجأ المسلمين من اختلافِ أهوائِهِم . وتنصّرَ سفهائِهِم . ما ضاقتْ عنه صدورُ الأيامِ . واضطربتْ له قواعدُ الإسلام . وقد كان من رأي شِيشِنْدَ الإبقاءُ على أهلِ طليطلة ، وقال لأذْفُونَشَ : لست

تجدُّ بِمَنْ تَعْمُرُهَا ، ولا تَظْفَرُ بِعَاملٍ أَطوَعَ مِن ابنِ ذِي النُّونِ يَدَ بَرِّهَا ،
فَأَبَى أَذْفُونَشَ إِلَّا لِحَاجاً فِي سَفْهِهِ . وانحطاطاً فِي حَبَلِ شَرِّهِ . فلمَّا تَهَيَّأَ
لَهُ مُلْكُهَا . وانتَثَرَ فِي يَدَيْهِ سِلَاسُكُهَا . قال لَهُ شَيْشَنْتُنْدُ : اخْفِضْ جَنَاحَكَ
لِأَهْلِهَا . واستَجَلِبْ جَالِيَتِهَا بِمَا تَمُدُّ مِنْ ظِلِّهَا . ولا تُسَلِّحْ عَلَى مَلُوكِ
الْجَزِيرَةِ فَلَسْتَ تَسْتَغْنِي عَنْهُمْ ، ولا تَجِدُ عُدَّةً إِلَّا أَطوَعَ مِنْهُمْ ، فَإِنَّكَ
لَنْ أَبِيتَ إِلَّا الْإِلْحَاحَ عَلَيْهِمْ ، والتَّسْرِعَ بِالْمَكْرُوهِ إِلَيْهِمْ ، نَفَرْتُمْ عَنْ ذِرَاكَ ،
وَأَحْوَجْتُمْ إِلَى مَدَاخِلَةِ سِوَاكَ . فكانَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ أَنْ اتَّهَمَ أَذْفُونَشَ
يَوْمَئِذٍ مَنْحَاهُ ، وخَالَفَهُ إِلَى رُكُوبِ هَوَاهُ ، وشَرَعَ لَوَقَّتِهِ فِي تَغْيِيرِ الْمَسْجِدِ
الْجَامِعِ بِهَا ، خَاتِمَةُ النَّوَائِبِ ، وَنَكْبَةُ الشَّاهِدِ وَالْغَائِبِ . فقال لَهُ شَيْشَنْتُنْدُ :
إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ أَوَّغَرْتَ الصَّدُورَ ، وَأَبْطَلْتَ التَّدْبِيرَ ، وَسَكَنْتَ مَنْ
نَشَطَ . وَقَبَضْتَ مَنْ انْبَسَطَ ، فَشَمَخَ أَذْفُونَشَ — لَعْنَهُ اللَّهُ — بِأَنْفِهِ ،
وَفَنَى مِنْ عِطْفِهِ ، وَأَصْغَى إِلَى طَنَانَةِ جَنُونِهِ وَسَخَفِهِ . وأَمَرَ بِتَغْيِيرِ الْمَسْجِدِ
الْجَامِعِ يَوْمَ [. . . .] لِرَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .
وحَدَّثَنِي مِنْ شَهِيدِ طَوَاعِيَّتِهِ تَبَتُّدْرُهُ ، فِي يَوْمٍ أَعْمَى الْبَصَائِرَ وَالْأَبْصَارَ
مَنْظَرُهُ ، وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا الشَّيْخُ الْأَسْتَاذُ الْمَغَامِي آخِرُ مَنْ صَدَرَ عَنْهُ ، واعْتَمَدَهُ
فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِيَتَزَوَّدَ مِنْهُ . وَقَدْ أَطَافَ بِهِ مَرْدَةُ عَفَارِيَّتِهِ ، وَسَرَّعَانَ طَوَاعِيَّتِهِ ،
وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَحَدَ التَّلَامِذَةِ يَقْرَأُ ، فَكَلَّمَا قَالُوا لَهُ عَجَلْ ، أَشَارَ هُوَ إِلَى تِلْمِيزِهِ
بِأَنْ أَكْمَلْ ، ثُمَّ قَامَ مَا طَاشَ وَلَا تَهَيَّسَ ، فَسَجَدَ بِهِ وَاقْتَرَبَ ، وَبَكَى عَلَيْهِ
مَتَايَا وَانْتَحَبَ ، وَالنَّصَارَى يَعِظُّونَ شَانَهُ ، وَيَتَهَايُونَ مَكَانَهُ ، لَمْ تَعُدْ
إِلَيْهِ يَدٌ ، وَلَا عَرَضَ لَهُ بِمَكْرُوهٍ أَحَدٌ .

وقد حَدَّثْتُ أَنَّ شَيْعَةَ أَذْفُونَشَ — لَعْنَهُ اللَّهُ وَبَدَّهَا — أَشَارُوا عَلَيْهِ
يَوْمَئِذٍ بِلَبْسِ التَّاجِ ، وَزَيَّنُوا لَهُ زِيَّ مِنْ سَلَفٍ بِالْجَزِيرَةِ قَبْلَ فَتْحِ الْمُسْلِمِينَ

إيّاها من أعلّاج . فقال : لا . حتى أطأ ذرّوة المُلْك . وأخذَ قُرْطُبيتهِم واسِطة السِّلْك . وكان أعدَّ لمسجديها الجامع — حمى الله ساحته مِن الخطوبِ الروائع — ناقوساً تأتق في إبداعه . وتجاوزَ الحدَّ في استنباطه واختراعِه . فالحمد لله مُوهِن أَيْده ، ومُبطِل كَيْدِه ، وجزى الله أميرَ المسلمين ، وناصرَ الدِّين . أبا يعقوبَ يوسفَ بنَ تاشفين ، أَفْضَلَ جِزاءِ المحسنين . بما بَلََّ من رماق . ونفَسَ مِن خِناق . ووَصَلَ هذه الجزيرةَ من حَبْل ، وتَجشَّم إلى تلبية دعائها واستنقاذ ما بها من حزنٍ وسَهْل ، حتى [ثل] عروشَ المُشركين . وظهرَ أمرُ اللهِ وهُم كَارِهونَ ، والحمدُ لله ربَّ العالمين .

فصلٌ في ذكر الأديب الكامل أبي عبد الله محمد بن شرف^١ وسياقةُ جملةِ وافرةٍ من نظمه ونثره

قال ابن بسّام : كان أبو عبد الله بن شرفٍ بالقَیروان . مِن فرسان

١ له ترجمة في الصلة : ٥٤٥ والمطرب : ٦٦ ومعالم الإيمان : ٣ : ٣٩ والخريدة (قسم المغرب)
٢ : ٢٢٤ ومعجم الأديباء : ١٩ : ٣٧ والوافي : ٣ : ٩٧ والفوات : ٣ : ٣٥٩ والزرکشي :
٢٧٨ ومسالك الأبصار : ١١ : ٢٣٨ وبغية الوعاة : ٧ : ٤ وصفحات متفرقة في ج ٣ ، ٤
من نفع الطيب ، وعنوان الأريب : ١ : ٥٦ وقد جمع الأستاذ الميمني بعض شعره في « التنف من
شعر ابن رشيق وابن شرف » (القاهرة : ١٣٤٣) ونشرت له رساله بعنوان اعلام الكلام
(الرسائل النادرة — القاهرة ١٩٢٦) وهي نفسها بعنوان مسائل الانتقاد في رسائل البلغاء
مع مقدمة ابن شرف : ٣٠٢ — ٣٤٣ (القاهرة : ١٩٤٦) وقد نشرها الأستاذ شارل
بلا ومعهما ترجمة فرنسية (الجزائر : ١٩٥٣) وذكر ابن دحية (المطرب : ٩٦)
أن شعره في خمس مجلدات ، وانظر القسم الأول من الذخيرة : ٩١ (الحاشية : ٣)
حيث أشير إلى بعض مصادر ترجمته .

هذا الشأن ، وأحد من نظم قلائد الآداب ، وجمع أشات الصواب ،
وتلاعب بالمنظوم والموزون . [تلاعب^١ الرياح بأعطاف الغصون ،
وبينه وبين أبي علي ابن رشيح ماج بحر البراعة ودام^٢ ، ورجع نجم هذه
الصناعة واستقام ، وذهبا من المناقضة مذهبا تنازعا شراً طويلاً ، وخلده
ذكراً محمولاً ، واحتملاه - إن لم يسمح الله - وزراً ثقيلاً . وكان أبو
علي^٣ أوسعهما نفساً ، وأقربهما ملتصقاً ، ولابن شرف أصالة^٤ منزعه ،
وجلاله [٧٧] مقطعيه ، ومثانة لفظيه ، وسعة حيفيه ، فتسمع بشعره
ملاً من وعوة وجعجة ، ولكن ما أبعد ما يرومه وأبدعه !
وسال سبيل فتنة القيروان ، اللاعب بأحرارها ، المعفّي على آثارها ،
فتردد على ملوك الطوائف بالأندلس ، بعد مقارعة أهوال ، ومباشرة
خطوب طوال ، وقد نبت شفرته ، وطُفئت جمرته . وقد
قلت فيما تقدّم إنه انتحى منحى القسطل^٥ في شكوى الزمن ،
والحديث عن الفتن . كان معه كمن تصدى الرياح^٦ بجناح ، وقابل
الصباح بمصباح . واستقر أخيراً عند المأمون بن ذي النون ، فعليه خلت
آخر لبوسه ، ونثر بقيّة كيسه .

وكانت لعباد هيمّة في اصطحاب الأحرار ، واستجلاب ذوي الأخطار ،
ينصب لذلك الجائل ، ويعمل فيه الحق والباطل ، حتى إذا عشوا إلى
سرجه ، واغترؤا بزبرجه ، سامهم ردّ أبي قبّيس^٧ على أبيه ، وأخذهم

١ زيادة من المسالك .

٢ يعني ابن دراج ، انظر القسم الأول : ٥٩

٣ المسالك : للرياح .

٤ كذلك هو أيضاً في المسالك ، والأصوب أن يكون بحذف « أبي » .

بالسعاية بين الفرقَدِ وأخيه ، فَمَنْ أعياء منهم ركوبُ الصَّعَابِ ، وَعِصَّةُ التَّقَلُّبِ بين المضائقِ والرحابِ ، عِزَّةٌ في الخطابِ : وأطاعَ به سُلطان الارتيابِ . ﴿ أَيُسَمِّيكُهُ على هُونٍ أم يَدَسِّسُهُ في الترابِ ﴾ (النحل : ٥٩) وقد ذكرت في أخبار ابن عبد البرِّ الكاتب^١ أنه انسلَّ مِنْ يدِ عبَادِ انسِلالِ الطَّيِّفِ . ونَجَّا منه واسأله كَتِيفٌ : وكان ابنُ شَرَفٍ هذا مَحْمَنَ فَهِيمٍ مَنَحَاهُ . وصَمَّ عن رُقَاهُ : فلم يَجْتَمِعْ مع عبَادِ في صعيدٍ ، ولا أهدى له السلام^٢ إلَّا مِنْ بَعِيدٍ . وستأتي أخبارُهُ معه ومع سواه ، مُحَرَّرَةً النِّقْدِ . مُقَدَّرَةً السَّرْدِ .

ولأبي عبدِ اللهِ عِدَّةُ تَوَالِيْفٍ^٣ أفاضها بحاراً ، وأطلعها شمساً وأقماراً ، منها كِتَابُهُ الموسومُ بـ « اعلَامُ الكَلَامِ » وكتاب « أَبْكَارُ الْاَفْكَارِ » وقَلَّبَ له هذه الترجمة بإشبيلية بعضُ الوزراءِ الكُتَّابِ ، فجاءَ في ذلك بالعَجَبِ العُجَابِ . وقد أثبتُ في هذا الفصلِ مِنْ كَلَامِ ابنِ شَرَفٍ ما يَشْهَدُ بذكائه ، وَيُغْنِي عن إطرائه .

جملة من نثره مع ما يتشبت به من شعره

بلغني أَنَّهُ استَتَهَضَ صاحبه ابنَ رَشِيْقٍ^٤ — مع منافرةٍ كانت بينهما

١ انظر القسم الثالث : ١٢٥ وما بعدها .

٢ المسالك : ولا سلم عليه .

٣ يستفاد من كلام ياقوت (١٩ : ٤٣) أن أبكار الافكار يحتوي مختارات من شعر ابن شرف مع أن بسام سيورد قول ابن شرف (ص : ١٧٩) إنه يحتوي على مائة نوع من مواعظ وأمثال وحكايات قصار وطوال . وأن أعلام الكلام فيه فوائد لطائف وملح متنخبة ، وأن رسالة الانتقاد مقامة نقدية . وذكرت له المصادر مؤلفات أخرى منها : رسالة ساجور الكلب ورسالة نحيح الطلب ورسالة قطع الأنفاس وغير ذلك (انظر الوافي والغوات) .

٤ ص : ابن شريق .

— في أن يجتمع العنودان بالطريق ، ويجوزا معاً إلى الأندلس : فأنشده ابن رُشيق^١ :

مما يبعثني في أرضِ أندلسِ سماعٌ مقتدرٍ فيها ومعتضدٍ
ألقابُ مملكةٍ في غيرِ موضعها كاهراً يحكي انتفاخاً صورة الأسدِ

فأنشد ابنُ شرف :

إن ترميك الغربةُ في معشَرٍ قد جُبِلَ الطبعُ على بُغْضِهِمْ
فقد أريهم ما دُمْتَ في دارِهِمْ وأرضيهم ما دُمْتَ في أرضِهِمْ

وتصرَّف ابنُ شرفٍ في هذا المعنى فقال^٢ :

يا خائفاً منْ معشَرٍ لا يُصْطَلَى بنا رِهِيمٌ
[إن تُبْئِلَ من شرارِهِمْ على يَدَيِ شرارِهِمْ^٣
أو تُزِمَ من أبحارِهِمْ وأنتَ في أبحارِهِمْ
فما بقيتَ جارَهُمْ ففي هواهِمْ جارِهِمْ
وأرضيهم في أرضِهِمْ ودارِهِمْ في دارِهِمْ

وكان أوَّلَ ما بعثَ إلى المعتضدِ بإشبيلية خمسُ قصائدَ من شعرِهِ مع
رقعةٍ خاطبَ بها وزيرَهُ أبا الوليد بن زيدون ، يقول في فصلٍ منها :

١ مجمع الأدباء ١٩ : ٣٨ وبيتا ابن شرف في المطرب والخريدة وانظر التتف : ١٠٣ والشريشي

٢ : ٢٥٨ ونسباً في الخريدة ١ : ٢٨٩ لملي بن فضال وفي الوافي (١ : ١٢٥) لأبي نصر

محمد بن محمد الرامشي وانظر الريحان والريمان : ١٤١

٢ منها ثلاثة في الخريدة وخمسة عند الصغدِي ، وانظر التتف : ١٠٠ - ١٠١ .

٣ بياض بالأصل وزدته اعتماداً على المصادر .

الآدابُ - أعزَّكَ اللهُ - لأربابها ، كالمحارمِ الذوي أنسابها ، تبدي
 البِنتُ زينتها لأبيها ، وتُرفِ الأختُ لأخيها ، ولمنْ كان له في المحترَمِ
 شبيها ، وكذلك حُكْمُ ذوي الآدابِ فيها ، يَرفَعونَ بينهم حُجْبَ التحفِ
 بيدِ الاسترسالِ ، ويدفعونَ سترَ التقبُضِ بأَكْفِ البِشْرِ والإقبالِ . وقد
 رَفَعْتُ إلى حَضْرَتِهِ الرَّفِيعَةِ خَمْسَ أَبْكَارٍ عُرُبَ ، تَخْدِمُهُنَّ وَلِيدَةٌ ذاتُ
 حُسْنٍ وأدبٍ ، خَصَّصْتُ بِالْخَمْسِ الْقَرَائِصَ خَيْرَ المملوكِ ، وبالوليدةِ
 برًّا لِحُرِّ المملوكِ . وهنَّ وإن زدنَ على أربَعِ الشَّرْعِ واحدة ، فليست
 في دينِ الشَّعْرِ بزائدة ، ولَمَّا جازَ أَكْثَرُ من أربعٍ لخيرِ الأنامِ ، اقتدينا بذلك
 في خيرِ الكرامِ .

ولَمَّا كُنْتُ - أعزَّكَ اللهُ - حَسَّانَهُ المَقْدَمَ ، رأينا ما رآه صلى الله عليه في
 سِيرين^١ . وقد كانت النِّيَّةُ ، لو تَمَّتْ الأَمْنِيَّةُ ، حُضُورِي بذاتي ، لَزَفَافِ
 بُنْيَاتِي ، فَمَتَّعَ من العُتْرَادِ ما نَسِيعَ ، ودَفَعَ بيدِ الأَقْدَارِ دافِيعَ . ولَمَّا صارَ
 الفِعلُ المَاضِي مُسْتَقْبَلًا ، وبَقِيَتْ لِلْحَاقِ مَوْمَلًا ، وكَلْتُ بَهْنًا ذَا مَحَرَمِيَهْنَ ،
 وَاثْمَنْتُ عَلِيَهْنَ ابن [. .]^٢ وهو الشَّيْخُ أَبُو فُلانٍ . فَلَمَّا زِيرَ الأَجَلَ
 علُوُّ الرأْيِ في قَبُولِ ما عَرَضَهُ وَلِيَّتُهُ المَدَلُّ على إِكْرَامِهِ ومُكَارِمِ أَخْلَاقِهِ ،
 بما يَنُمُّ عَلَيْهِ من طِيبِ أَعْرَاقِهِ ، وَيَتَقَوَّمُ بِعُذْرِي إن وَهَيْتُ ، وبِشُكْرِي
 إن فَتَهَيْتُ . فهو بَدْرِي إِذَا لَيْلِي عَسْعَسَ ، وشَمْسِي إِذَا صَبَحِي تَنَفَّسَ .
 وأنا وإن بَعَثْتُ بِالْأَقْمَارِ في الأَطْمَارِ ، وبِالشَّوْسِ في خَشَنِ المَلْبُوسِ ،
 فهو بِرِفْقِهِ ودَقِيقِ حَذْقِهِ يُلَطِّفُ الهَجْنَ ، وَيُحَسِّنُ الخَشْنَ ، وَيَقْدَمُ

١ يشير إلى أن الرسول (ص) أعطى الجارية سيرين لسان بن ثابت .

٢ بياض يقدر كلمة .

في الغيبة ، ما يُنعين عند القيام على الهيبة ، بقويّ مُنتهيه ، وعظيم
مِثْنَه ، إن شاء الله .

فأجيب ابنُ شرفٍ برقعةٍ من إنشاءِ الوزيرِ الكاتبِ أبي محمد بن
عبدِ البرّ قال فيها : [٧٨]

رُبَّ أُمْنِيَةٍ شَطَطَ ، قد أتاحها قَدَرٌ ، ونَجِيَّةٌ فَرَطَ ، قد أراحها ظَفَرُ .
وقد تقرب الأمانى ما يظنّه المرءُ ١ نازحاً بعيداً ، كما تُفِيْتُ ما يَعتدُّهُ
حاضِراً عتيداً . وكانت أخبارُك — أبقاك الله — تردُّ علينا أَرْجَةً النسيم ،
عَطْرَةَ الشميم ، شَهِيَّةَ المسموعِ ، رَفِيعَةَ المحمولِ والموضوعِ ؛ وأشعارُك
تَزِفُّ إلينا عرائسَ الألبابِ ، ونفائسَ الآدابِ . فنُفْديكَ على البُعدِ بالأنفُسِ
والأقاربِ . ونُسْتَدْنِيكَ بالأمانى ونَحْسِبُهَا من الكَوَازِبِ ؛ حتّى أسمعَ
الخبرُ باغترابك ، وطَلَعَ البشيرُ بارتقابك ٢ ، ووافَتْ ورَّادُ خِطابك ، وقَهَقَهُ
مُجَلِّجُ سحابك ، وتصدَّتْ بحارُ الطلْبِ لسُقْيَاك ، ونَمَّتْ رِياضُ
الأدبِ برِياك ، وهزَّ الكرمُ عِطْفَهُ للقبالك ، ووَصَلَ المجدُّ الأطرفَ طَرَفَهُ
بيرعياك ، وجُلِّيتْ عليك ٣ عرائسُ الحالِيةُ في مَعَارِضِ الشَّدْوِ والإنشادِ ،
فَسَعِيدَتْ من أكرمِ الأكفامِ بالقبولِ والودادِ ؛ وحَظَّيتْ عنده بالتَرْفِيعِ
والإِعْزازِ . ووُضِعَ ثوبها الأنفُسُ في يَدَيَّ بِزَّازٍ . وقد استعملتُ معك
في اسمِ المَعْتَضِدِ باللهِ مُفَضِّلِكَ — أيْدهُ الله — مَدَّهًا من مذاهبِ رُواةِ
الحديثِ يُسمّونه بالتَدْلِيسِ ، ويكادُ يُنسبُ إلى الإشكالِ والتَلْبِيسِ ،

١ ص : الأمر .

٢ ص : بارتعابك .

٣ ص : عليه .

العلیم^١ المحيط أن الکرم من أسمائه وصفاته، والمجد من ألقابه وسماته: وسترد، فتستقصير وصفي بما تجيد. فاقصده قصده، تحلل بظائل الإفادة، وأمه وحده، تحظ بنائل الرفادة: ولا تبسغ في سوق الكساد فالنفاق^٢ أمامك، ولا تسم ببضاعتك فالسوق قد أمك. واذكر ما أنكره ابن الزيات على حبيب، وأنت المكتفي بحالك عن الضمير، وبما خولك الله عن المشير. فلذاتك أنفع شفعائك، وأدواتك أرجح سفرائك. وقد خاطبك مستقداً، وجداً معتزماً، ووجه نحوك شيئاً يكون من زادك إلیه، ويعین على مؤنة طریقك في قدومك علیه، وذلك ثلاثون مثقالاً من ضرب السكة قبله، ولم يرد بها غير ما أعلمك، حتى توافي إن شاء الله فتستوفي. وعسى أن يكون وصولك إسفار الفجر الذي صدعته إلينا، وحلولك نهار الصبح الذي أطلعتته علينا: وكان من البر أن أراجع عن الشعر، لكن لا أخطو في ميدانك ولو كنت جريراً، ولا أرجح في ميزانك ولو احتضنت ثبيراً.

قال ابن بسام: والذي ذكر ابن عبد البر مما أنكر ابن الزيات على أبي تمام لمّا مدحه بقصيدته التي أولها^٣:

• هان علينا أن نقول وتفعلاً •

١ ص: لعلم.

٢ ص: فالنفاق.

٣ ديوان أبي تمام ٣: ٩٨ وعجز البيت: «ولذكر بعض الفضل منك وتفضلا» وانظر أخبار أبي تمام: ١١٩ وابن بسام يتابع زهر الآداب: ٣٣٦ - ٣٣٧.

وهي من أحسن شعره ، وقّع له على ظهرها ١ :

رأيتك سهلَ البيعِ سمحاً وإنّما يُغالي إذا ما ضنّ بالشئِ بائعُهُ
فأما إذا هانتْ بضائعُ بيعِهِ فيوشكُ أنْ تبقى عليه بضائعُهُ
هو الماءُ إنْ أجمعتَهُ طابَ ورْدُهُ ويُفسدُ منه أنْ تُباحَ شرائعُهُ

فاعتذرَ إليه أبو تمام في قصيدته التي يقول فيها ٢ :

أما القواني فقد حصّنتَ غرتها ٣ فلا يُصابُ دمٌ منها ولا سَلَبُ
ولو عضّلتَ عن الأكفاءِ أيتّمها ولم يكنْ لك في أطهارِها أربُ
كانتْ بناتٌ نُصيبُ حينَ ضنّ بها على الموالي ولم تحفيل بها العربُ

وقد قيلَ إنَّ أبا تمام أجابه بقوله :

أبا جعفرٍ إن كنتُ أصبحتُ شاعراً أسامحُ في بيعي له من أبايعُهُ
فقد كنتَ قبلي شاعراً تاجراً به تُساهلُ من عادتْ عليك مَنافعُهُ
فصرتَ وزيراً والوزارةُ مكرّجٌ يتخصّصُ به بعدَ اللَذَاذَةِ كارِعُهُ
وكنتم من وزيرٍ قد رأينا مُسلطاً فعاد وقد سُدتْ عليه مَطالِعُهُ
ولله قوسٌ لا تطيشُ سيّهامُها ولله سيفٌ لا تُفلسُ مَقاطِعُهُ

١ أخبار أبي تمام : ١٢٠ وزهر الآداب (حتى نهاية الخبر) .

٢ انظر الديوان ١ : ٢٥٨ .

٣ هذه الرواية ثابتة في الديوان وزهر الآداب ؛ ويروى أيضاً « عذرتها » .

٤ كان لنصيب - وهو شاعر أسود - بنات فكان يشح بهن على الموالي وتكره العرب أن تزوجهن (شرح ديوان أبي تمام ١ : ٢٥٩ والمضائق والمنسوب : ٢٢٢) .

• ص : سوق .

وقيل إن هذه الأبيات منحولة لحبيب . وقيل قالها ولم تظهر إلا بعد موته .

رجع

فتوقف ابن شرف عن القدوم بيقدميه ، وكلف ذلك سين قلميه .
وطرزا تأليفه « ألكار الأفكار » باسم عبّاد ، وبعث به إليه على البعد . وقد
كان وسعه قبل باسم باديس بن حبّوس في خطبة طويلة قال فيها : ما
ظننتُ الابتداع إلا ببلغ ، ولا حسبت الاختراع إلا فترغ ، حتى إذا استأثرت
بنيات صدري ، ولطائف فيكري ، بيت واحد الجنسية ، ومعنى غريب
البنية ، قلت لنفسي : هيتهات ! لاشك أنك سبقت إلى هذه الغاية ، وعملتك
قيلة الرواية . وكثير سباق الرواد ، وفراط الوراد ، فما تركوا للمتأخرين
من الرياض زهرة ، ولا من الحياض قطرة ؛ كما أن جيش الكرم
قد انهزم ، وزائر الشرف قد انصرف ، ومركوب المجد قد نلّ فعشت
أظن هذا الظن ، حتى سافرت إلينا رفاق الأخبار بشهادات زكّاها
مرور الأيام ، ودؤوب الدوام ، تشهد بسودد بان عن السودد العيصامي ،
وحزم فاق الحزم الهشامي ، وجود جاوز الجود الكعي . وبأس أنسى
البأس المصعبي . ثم سقر لي الدهر عن سقر إلى مغرب [٧٩] الدنيا
ومشرق العلسيا ، والبقة المباركة الباديسية ، والدولة المظفرية ،
والمملكة الشاخة الحميرية ، والحضرة الشريفة المنيفة الغرناطية .
فعاينت عالما في عالم . قد شركوه في النسبة إلى آدم ، وانفردت من
مناسبتهم ، وشدّ عن مجانستهم ، بحميل طرائق . وحديد خلائق ،

١ طرز : (بالهملة) أي جعل اسمه طرة ، وقد يمكن أن تقرأ « وطرز » .

انفردت انفراداً سهيلاً ، وجمعت في المرأى والمسموع ما زاد على زيّد الخيّل . مغرّى بالأدب المتهجّور بطل المطرود ، ساليّاً عن المال المعشوق بطل المعبود ، منفيّاً للحميد الدفين^١ المرسوس إلى صنوف من الفضائل ، وأنواع من الجلائل ، لا يحيط بها الوصف ، ولا يجمّعها الرّصف ، يغني النقل الكافي والتواتر الإجماعي عن تنائيتها على ألسنة الأقلام إلى أفهام الأنام . وقد قدحت زند الفكر فأورى شرراً ، وامتنحت^٢ قلب القلب فأجرى نهراً ، فرقمت في هذا المجموع من الكلام المنشور المسجّع الأوساط والأطراف ، والمنظوم المسكّل بتيجان القوافي ، ما استنبطته من ذوات صدرى ، واستنتجته من بنات فيكري : فيقرأ ابتدعتها وسجعتها ، ومعاني حكايات اخترعتها ، تطرّزها الأقلام ، وترقّم بها أردية الكلام ، وأنا استغني بقراءة القارئ أصنافها ، عن أن أقدم أوصافها . وهي بنات مؤلفها ، وأسجاع مصنفها ، وليست كالأسجاع المنسوبة لابن أبي الزّلازل^٣ ، وهي بنات شتى قبائل ، لم يزد على أن يترّح حكاياتها : وطمس معاليم آياتها . ليصح له ما شرط في السجع من الأعداد ، فأضاع ما يراد لصون ما لا يراد . وقد تجمّل بغير ثيابه ، وأنفق من غير اكتسابه ، وأنا أنشد قول أبي النجم^٤ :

١ ص : الدقيق .

٢ ص : وامتنحت .

٣ هو الحسين بن عبد الرحيم بن الوليد الكلبي أبو عبد الله (- ٣٥٤) كان كاتباً شاعراً وله مصنفات منها « أنواع الأسجاع » ابتداء بتأليفه في دمشق سنة ٣٤٣ وروى فيه عن شيوخه وغيرهم (معجم الأدباء ١٠ : ١١٨ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٠٦) .

٤ هو أبو النجم العجلي الرازي واسمه الفضل بن قدامة (انظر ترجمته في الأغاني ١٠ : ١٥٧ -

• أنا أبو النجم وشِعْري وشِعْري •

وعلى أي حال كان مَجْمُوعُنَا هذا ، فَيَشْرَفُهُ شَرَفُ مَنْ لَهُ يُجْمَعُ ،
وإلى يَدِهِ الْعَلِيَّةُ يَرْفَعُ ، فَمَسَّيْتُهُ يُمْنَاهُ ، وَلَحَظْتُهُ عَيْنَاهُ . فلو كان
صَمْتًا عَمْرٍو لِسِوَاهُ ، مَا انْتَهَى مِنَ الذِّكْرِ مُنْتَهَاهُ ؛ وَلَوْ لَا حَاجِبُ
ابْنِ زُرَّارَةَ مَا ذُكِرَتْ قَوْنُسُهُ ، وَلَوْ لَا حَبِيبُ مَا عُرِفَ أَوْسُهُ ، وَإِنَّمَا عُرِفَ
الطُّورُ بِالكَتَائِمِ ، وَشَرَفَ الْمَقَامُ بِإِبْرَاهِيمِ .

ومِنَ كَلَامِهِ فِي صَدْرِ كِتَابِهِ الْمُتَرْجِمِ : « أَعْلَامُ الْكَلَامِ » فَصَلُّ
يَقُولُ فِيهِ : قَدْ أَطَلْتُ^١ الْوُقُوفَ بِالْعُكُوفِ ، عَلَى غَيْرِ مَا تَصْنِيفُ ، فِي شَتَّى
الْأَنْوَاعِ ، فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا وَلَدًا عَنِ الْوَالِدِ ، وَطَارِفًا عَنِ تَالِدٍ ، فَلَا تَكَادُ تُرِيكَ
غَرِيبَةً وَلَا شَارِدَةً إِلَّا مَنَقُولَةً : « حَدَّثَنِي فُلَانٌ ، وَسَمِعْتُ عَنْ فُلَانٍ » ،
وَالْمَوْلُفُونَ قُصَاصٌ بِأَقْلَامِهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَتَقَصَّوْا بِكَلَامِهِمْ ، وَقَدْ تَكَرَّرَتْ
تَوَالِيْفُهُمْ عَلَى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ ، وَالْمُكْرَّرُ مَمْلُوكٌ بِالْإِجْمَاعِ ، وَالنَّفْسُ
صَبَابَةٌ بِالْغَرَائِبِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْأَطْيَابِ ، لَانْفَرَادِهَا عَمَّا سَمَّيْتُهُ الْقَلُوبَ ،
وَتَجَافَيْتُ بِهِ الْجَنُوبَ ؛ إِلَّا أَنْ الْإِبْتِدَاعَ وَالْإِخْتِرَاعَ عَلَيْهِمَا [بَابٌ ، بَيْنَهُ] وَبَيْنَ
الْإِسْتِطَاعَةِ حِجَابٌ . وَقَدْ كُنْتُ حَاوَلْتُ مِنْهُ مَا لَمْ أَسْبِقْ لَهُ ، وَلَمْ أَجْعَلْ
سِوَى نَظَائِرِي مُعَيِّنِي عَلَيْهِ ، فَصَنَفْتُ الْكِتَابَ الْمُلَقَّبَ بِـ « أَبْكَارِ الْأَفْكَارِ » ،
يَشْتَمِلُ عَلَى مَائَةِ نَوْعٍ مِنْ مَوَاعِظَ وَأَمْثَالٍ ، وَحِكَايَاتٍ قِصَارٍ وَطَوَالٍ ، مِمَّا
عَزَوْتُهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَحْكُمْهَا ، وَأَضَفْتُ نَسْجَهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَحْكُمْهَا ، قَدْ طُرِّزَتْ

== والخزانة ١ : ٤٨ والشعر والشعراء : ٥٠٢ ومجمع المرزباني : ٣١٠ والسطح : ٣٢٧ ،

وانظر هذا الشطر في الأغاني ٢١ : ٣٧١) .

١ ص : أطلب .

يُلَمِّحُ الجِدَّةَ والهَزْلَ ، وَحُسِّنَتْ بِمُقَابَلَةِ الضَّدِّ لِلْمِثْلِ ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ كَلَامُهُ [رَوَايَةٌ] رَوَيْتُهَا عَنْ قَدِيمٍ وَلَا جَدِيدٍ ، وَلَا حَدَّثْتُ بِهَا عَنْ قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ . وَقَدْ رَفَعْتُ إِلَيْهِ الْبَيْكُرَ ، ابْنَةَ الْفَيْكُرِ ، فِي هَوْدَجِهَا الْفَرَجِ ، وَجِلْبَابِهَا الْأَرْجِ ، وَأَنْتَ الْكُفْنُ الْكَرِيمُ ، وَأَشْرَفُ مَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ الْحَرِيمُ ، الَّذِي لَا يَتَشَوَّبُهُ التَّحْرِيمُ ، وَعَلَى كَرَمِكَ الْقَبُولُ ، وَمَا أَهْدَاهُ الْوُدُّ فَمَقْبُولُ : فَلَمَّا وَضَعْتُ الْكِتَابَ وَالْخِطَابُ إِلَى الْمُعْتَصِدِ لَمْ يَتَّجِدْ بُدْأً مِنْ إِنْفَازِ صِدْقِهِ إِلَيْهِ عَلَى الْبُعْدِ ، وَرَاجَعَ ابْنُ شَرْفٍ بِرُقْعَةٍ مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ أَيْضاً ، قَالَ فِيهَا : وَرَدَّ كِتَابُكَ الْأَثِيرَ ، فَاقْتَضَبْتَ مِنَ الشَّرِّ الْبَدِيعَ ، وَالنَّظْمَ الرَّفِيعَ ، مَا يَهْزُ أَعْطَافَ الضَّمَامِ ، وَيَسْرِي فِي حَوَاشِي الْخَوَاطِرِ ، وَتَتَلَقَّاهُ النَّفُوسُ تَلَقِّيَ ارْتِيَاحٍ إِلَى بَدَائِعِهِ ، وَفَتْنَةٍ بِمَبَادِيهِ وَمَقَاطِعِهِ ، وَلَا غَرَوُ ، فَلِئِنَّكَ عَلِمْتَ الْعِلْمَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَتَحَوَّى قَصَبَ السَّبْقِ فِي مَبَادِيهِ ، وَيُهْدِي الْيَانِعَ الْغَضَّ مِنْ رِيَاحِيهِ . وَقَدْ كَانَ لِي نَزَاعٌ إِلَيْكَ ، وَحِرْصٌ عَلَيْكَ ، وَتَصَوُّرٌ لِلْأُنْسِ بِكَ ، لَوْلَا مَنْ جَلَا لَكَ الْغِيْشُ فِي بَعْضِ النَّصِيحَةِ إِذْ حَسَدْتُ ، وَلَمْ يَشْكُ فِيمَا تَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ صِلَاحِ الْحَالِ فَلَمْ يَأَلُ أَنْ أَفْسَدَ . وَلَا بَدَأَ لِعُقَارِبِ الْحَسَدَةِ مِنْ دَبِيبٍ « وَمَا كُلُّ مُؤْتٍ نُصَحِهِ بِإِلَاقَةِ دَبِيبٍ »^١ وَلَكِنْ — مَعَ تَوَقُّفِكَ ، وَأَنِّي سَلَكَتُ بِكَ مَقَاصِدُ تَصَرُّفِكَ — لَدَيْ الْمَحَلِّ الْكَرِيمِ ، فَلَذِكْرُكَ فِي نَفْسِي الشَّاهِدُ الْمُقِيمُ .

وَتَأْدَى مِنْ قِبَلِ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ التَّأْلِيفُ الرَّائِقُ ، وَالتَّصْنِيفُ الْفَائِقُ ، فَأَجَلْتُ نَظْرِي مِنْهُ فِي سِحْرِ إِلَّا أَنَّهُ حَلَالٌ ، وَفَتَنْتُ بِهِ ثَبَاجَ بَحْرِ إِلَّا

١ عجز بيت لأبي الأسود، ديوانه: ٣٣ (ط / ١٩٧٤ تحقيق آل ياسين) والمقد: ٥ : ٤٤٤ (وانظر تحريجه في الديوان) وصدرة: فما كل ذي لب (أو: نصح) بمؤتيك نصحه .

أنه زلال . ورأيتُ كيف تزحتم في العالم بالمنكبِ العمم ، وتأخذ^١ من
 البلاغة في المذهبِ الأمم . فما شئت من مثل سائر ، وبئت [٨٠]
 نادر ، وفقر محدوة^٢ بأمثالها ، ونكتة غريبة مضافة إلى أشكالها ،
 مما اتصلت به يد الإحاطة بصيحة البراعة ، وتزينت ديباجة الطبع
 برقم الصناعة ، فهو مؤنسي ، وشغل مجلسي . وقد وجهت إليك
 مع الوزير المتقدم الذكر ، ما أحب أن تضع عليه يد الستر ، مكان
 لسان الشكر ، فإني أعلم أنه عدد يتقصر عن قدرك ، ويتل في جنب
 اللازم لك ، وذلك مائة مئة من ضرب السكة قبلي . ففضل بقبولها ،
 والإعلام بوصفها .

قال ابن بسام : ومع وصول هذه الصلة إلى ابن شرف ، لم يزل على
 ملوك الطوائف يومئذ يتطوف ويتنقل في الدول من منزل إلى
 منزل ، ومن بلد إلى بلد ، إلا حضرة المعتضد ، فإنه كان يخطيبه^٣
 وينشده :

أحبك في البتول وفي أبيها ولكني أحبك من بعيد^٤

وتوهم جملة أن بوادي إشبيلية تمساحاً من تماسيح النيل . وجعل
 هجيره بيتي أبي نواس حيث يقول^٤ :

١ ص : تزدهم . . . ويوجد .

٢ ص : محدودة .

٣ قد مر تحريجه في هذا القسم ص : ١٥٦ .

٤ ديوان أبي نواس ٢ : ٩٩ (تحقيق فاجر) .

أَضْمَرْتُ لِلنَّيْلِ هِجْرَانًا وَمَقْلِيَّةً^١ إِذْ قِيلَ لِي إِنَّمَا التَّمْسَاحُ بِالنَّيْلِ
فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ مِنْ كَتَبِ^٢ فَلَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبَوَاقِيلِ^٣

وقد حُدِّثَتْ أَيْضاً أَنَّهُ خَاطَبَ الْمُعْتَصِدَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ^٤ :

أَنْ تَصِيدْتَ غَيْرِي صَيْدَ طَائِرٍ أَوْ سَعَتَهَا الْحَبَّ حَتَّى ضَمِنَهَا الْقَتْفَصُ^٥
حَسِبْتَنِي فُرْصَةً أُخْرَى ظَفِرْتَ بِهَا هَيَّاهُ مَا كُلَّ حِينَ تُمْكِنُ الْفُرْصِ
وظَاهِرٌ حَسَنٌ أَيْضاً لِقِصَّتِهَا لَكِنْ لَهَا بَاطِنٌ فِي طَائِفِهِ قِصَصُ^٦
لَكَ الْمَوَائِدُ لِلْقُصَادِ مُتَرَعَّةٌ تُرْوِي وَتُشْبِعُ لَكِنْ بَعْدَهَا غُصَصُ^٧
وَلَسْتُ أُعْجِبُ مِنْ قَوْمٍ بِهَا انْتَشَبُوا لَكِنَّمَا عَجَبِي مِنْ مَعَشَرٍ خَسَا نَصَبُوا
وَلَمْ يَطِيبْ قَطُّ لِي مَنْ يَتَلَذُّ وَلَا سَلَوَى إِذَا كَانَ فِي عُقْبَاهُمَا مَغْصُ^٨

قَالَ هَذَا لِتَوَاتُرِ الْخَبَرِ عَنِ الْمُعْتَصِدِ بِازْوِرَّارِ رُكْنِهِ ، وَخُشُونَةِ
حَزْنِهِ ، فَأَضْرَبَ عَنْ ضَرْبِهِ ، وَلَمْ يَتَّعِزْ لِلنَّشْبَةِ فِي حَبَائِلِ نَشْبِهِ .
خَوْفًا أَنْ يَوْرِطَهُ الْهَوَى فِي هَوَانٍ ، وَيَسْقُطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ^٩ ،
وَيَطِيحَ فِي جَمْلَةٍ مِّنْ طَاحَ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْخُطَايَا وَالنَّدَامَانِ^{١٠} .

١ البواقيل : الجرار بلفظ القبط ، واحداً باقلة (الديوان) ؛ وفي شفاء الغليل « براقيل »
- بالراء - ونقل عن الصولي أن البراقيل سفن صغار ؛ قال : وقال علم الهدى في الدرر
(أمالي المرتضى ١ : ٥٩٦) إنما هو جمع براقيل وهو كوز من الزجاج وما ذكره الصولي
وهم منه ؛ قلت : وفي أمالي المرتضى : بواقيل - بالواو - ومفردا « بوقال » وتعريفه « آلة
على هيئة الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيره » . وعلى هذا فإن وروده بالراء المهمل
في شفاء الغليل تصحيف . وعند دوزي « Cruche » وهي جرة ذات عروة ، واللفظة
مأخوذة من الاغريقية « Baucalis » ؛ وانظر الشريشي ٢ : ٣٨٤ .

٢ ورد منها أربعة أبيات في المسالك ١١ : ٢٣٩ .

٣ قد مر هذا المثل كثيراً في الأقسام السابقة ، انظر مثلاً ١ : ٤٩٠ ، ٣ : ١٢٥ .

٤ ص : والنَّدَامَاء .

فصول من نثره في أوصاف شتى

فصل : جَرَى بِكَوْدَيْهِ إِلَى غَايَةِ تَتَبَاطُأ عَنْهَا السَّوَابِقُ ، وَتَتَطَاوَأ عَنْ سُمُوتِهَا السَّوَامِقُ . فَلَمْ يُحِطْ بِوَصْفِهَا ^١ ابْنُ صَفْوَانَ ، وَلَا سَحَبَ فِيهَا لِسَانَهُ ^٢ سَحْبَانُ . وَأَيْنَ لِسَانُ بَاقِلٍ ، مِمَّنْ سَحْبَانٍ وَأَيْلٍ ؟ فَالْفُصْحَاءُ فِي الْعَجَزِ عَنْهَا مَعْدُورُونَ ، فَكَيْفَ الْمَعْدُورُونَ ؟

فصل : كَمْ حَاوَلَ دَفْنَ الشَّمْسِ فِي الرَّمَيْسِ ، وَرَدَّ الْأَمْسَ بِالْخَمْسِ ، وَنَيْلَ النَّجْمِ بِاللَّمْسِ .

فصل : أَوْضَحُ مِمَّنْ جِبَالُ تِهَامَةٍ . لِيَعْنِي زَرْقَاءُ الْيَمَامَةِ . أَشْهُرُ مِمَّنِ النَّارِ عَلَى الْمَنَارِ ، وَاللَّيْلُ كَالْقَنَارِ . أَبْيَنُ مِمَّنِ الْكَعْبَةُ لِلطَّائِفِينَ . وَمِمَّنِ الْمَسَاجِدِ لِلْعَاكِفِينَ . أَشْهُرُ مِمَّنِ الزَّبْرِقَانِ عِنْدَ جَرَوَلٍ . وَمِمَّنِ الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ عِنْدَ السَّمُوَالِ . أَظْهَرُ فِي الْعَيْنَيْنِ مِمَّنِ الْهَرَمَيْنِ . أَشْهُرُ فِي الْعَطَاءِ مِنَ الطَّائِي ، وَفِي الْإِيَادِي مِمَّنِ الْإِيَادِي . أَشْهُرُ مِنَ الْآسِ فِي الْأَعْرَاسِ . أَوْضَحُ مِمَّنِ النُّجُومِ لِبَطْلِيمُوسَ ، وَالطَّبَّ بِالْخَالِينُوسَ ، وَالْعَاجِ فِي الْآبَنُوسَ .

فصل في ضده : هُوَ أَخْفَى مِمَّنْ نَقْطَةُ الْجَحِيمِ . وَمِمَّنْ بِيَاضُ الْمِيمِ . أَخْفَى مِمَّنِ الْأَسْرَارِ عِنْدَ الْإِحْرَارِ . أَخْفَى مِنَ السَّمْهَى ، وَمِمَّنْ دِلُّ الرُّهَى - الرُّهَى مَدِينَةٌ

١ م : يصفوها .

٢ م : لسان .

بالشام وكان أهلُ الإنجيل يخفون هذا المنديلَ في كَتَيْسَتِهَا وَيَزَعُمُونَ أَنَّهُ
مِنْدِيلُ عِيسَى ثُمَّ سَرَقَ وَاشْتَرَى فَعُدِمَتْ بَرَكَتُهُ — . أَخْفَى مِنْ نَفْسِ
الْجَبَّانِ [إِذَا التَّقَتْ] ^١ حَلَقَتَا الْبِطْطَانِ . أَخْفَى مِنْ بَيْضَتِي الْخَائِفِ ، وَقَدْ
أَحْسَنَ بِالطَّائِفِ . أَخْفَى مِنْ تَفْسِيرِ شَيْعَرٍ لَيْبِيدٍ ، عَلَى فَهْمِ الْبَلِيدِ : أَخْفَى
مِنْ عُطَارِدٍ عَلَى الْمُطَارِدِ . أَخْفَى مِنَ السُّوسَةِ فِي الْعُودِ ، وَمِنْ السَّرِّ فِي
الرُّعُودِ .

فصل : قِيدْنُحُهُ ^٢ مُجَلَّتِي ، وَسَيْفُهُ مُجَلَّتِي ، وَرِيَاضُهُ أَرْجَةِ ، وَحُلُّهُ
مَدْبَجَةٌ ، وَطِبَاعُهُ مُهَذَّبَةٌ ، وَخِلَاقُهُ مُؤَدَّبَةٌ ، وَعُقْدُهُ مُؤَرَّبَةٌ ، وَأَرْضُهُ
مُعْشِيَّةٌ ، وَأَلْفَاظُهُ رَائِقَةٌ مُعْجِبَةٌ . لَا يَسْمَلُهُ جَلْبَيْسُهُ ، وَلَا يَجْفُوهُ أُنَيْسُهُ .
عَقْلُهُ أَحْنَفِي ، وَعِلْمُهُ سُرِّيْجِي ، وَذِكَاؤُهُ لِيَّاسِي ، وَأَدَبُهُ خَلِيلِي .

فصل : يُقَدِّمُ الْحَزْمَ ، وَيُسْنِي بِالْعَزْمِ . يُوَاكِبُ الْكَوَاكِبَ ، وَيَتَعَقَّبُ
الْعَوَاقِبَ ، يُشَاوِرُ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، عَلَى أَنَّ رَأْيَهُ لُبَّابٌ ، يَتَشَبَّهُ وَثُوبَ
اللَّيْثِ ، وَيَتَدَفَّقُ دَفْنُوقُ ^٣ الْغَيْثِ ، وَيُرَاحُ بَيْنَ الْعَجَلِ وَالرَّيْثِ :
نَوْمُهُ غِرَارٌ وَاضْطِرَارٌ ، وَحَاجَاتُهُ سِرَارٌ ثُمَّ اقْتِدَارٌ . لَا تُشَبِّطُهُ الظُّلُمُ وَلَا
الظُّلَالُ ، وَلَا تَطْطِبُهُ الْكِبَالُ وَلَا يَشْنِيهِ الْكَلَالُ . عَزَمَاتُهُ شِهَابِيَّةٌ ، وَلِاضْبَابَاتِهِ
عُقَابِيَّةٌ . رَأْيُهُ قَبَسُهُ ، وَعَزْمُهُ فَرَسُهُ . بَصِيرَتُهُ بَصَرُهُ . وَصَدْرُهُ وَرْدُهُ
وَصَدْرُهُ .

١ بياض في ص .

٢ ص : قد حمل .

٣ ص : ويتوقف وقوف .

٤ ص : ويراث .

فصل : هَرِمُ الجود ، على العِلَّاتِ والوجود . كَفَّهْ غَيْث . لا يَبَالِي من حَيْث . مالهُ أَكْثَرُ جودِهِ . على جُنُودِهِ . أغْنَى جيشه ١ . لذَّاتِهِ في الإكْثَار والإيثار . والأخذِ بالثَّار . يَزِيحُ الأغْلال . ويَبْلَغُ الآمال . يَحْدُثُ بِمَكَارِمِهِ الرِّكْب . وَيُنْسِي بِفِرْطٍ مَسَاحِيهِ حَاتِمٌ وَكَعْب .

فصل [٨١] : أَسَدٌ وَحْدَهُ ، وَدَعَجٌ جُنْدَهُ . قَلْبُهُ يَخْرِجُهُ عَنِ الْقَلْبِ ، وَضَرَابُهُ تَقْتَادُهُ إِلَى مَكَانِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ . يَحْمِلُ إِذَا مَالُوا ، وَيَثْبُتُ إِذَا جَالُوا . تَارَةٌ هِيَ لِلْمَيْسِرَةِ يَمِينٌ ، وَتَارَةٌ لِلْمَيْمَنَةِ كَمِيزٌ . وَتَارَةٌ لِلْقَلْبِ حِصْنٌ حَصِينٌ . تَسْتَأْسِدُ بِهِ الذُّؤَبَانُ ، وَيَتَشَجَعُ بِقُرْبِهِ الْبَلْبَانُ . عِيُونُ عَسْكَرِهِ ، إِلَى مِغْفَرِهِ ، تُعَالِي السَّهَامَ . عَبَسِيَّ الْإِقْدَامَ ، بِسَطَامِي الْمِرْبَاعِ ، عَامِرِي الطَّيْبِاعِ ، عِصَامِي السِّيَادَةِ ، مُصْعَبِي الْحَلَالَةِ .

فصل : عَادِلٌ وَلَا مُجَادِلٌ ، مُنْصَفٌ مُنْتَصَفٌ . سُلْطَانُهُ رَحْمَةٌ ، وَسِيرَتُهُ نِعْمَةٌ . يَأْخُذُ الْحَقَّ وَيُعْطِيهِ ، وَيُرْمِي الْغَرَضَ فَلَا يَخْطِيهِ . يُنْصَفُ الْمَمْلُوكُ مِنَ الْمَمْلُوكِ ، وَيَأْخُذُ لِلرَّئِيسِ مِنَ الصَّعْلُوكِ . مَرْفُوعُ الْحِجَابِ ، مَنْزُوعُ رِءَاءِ الْإِعْجَابِ . يُقِيمُ الْحَقَّ عَلَى شَقِيقِهِ ، وَيَحْكُمُ بِالْعَدْلِ لِعَدُوِّهِ عَلَى صَدِيقِهِ ، مُوَادٌّ عِنْدَهُ الْبَعِيدُ وَالْدَانِي . وَالْقَحْطَانِيُّ وَالْعَدْنَانِيُّ ، سَيِّئَانِ عِنْدَهُ الْقُرْشِيُّ فِي الْحَقِّ وَالْعُكْلِيُّ ، وَالْعَنْسِيُّ وَالسَّلُولِيُّ ، لَا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَ مُضَرٍّ فِي الْحَقِّ ، وَحِمِيٍّ وَسَائِرِ الْخَلْقِ . الْغُرْبَةُ عِنْدَهُ قَرِيبَةٌ قَرِيبَةٌ . مَا لَمْ تَصَحِّبْهَا رِيبةٌ . لَا يَغْلُو فِي الْهَاشِمِيَّةِ . وَلَا يَعْدُو عَلَى الْأُمَوِيَّةِ ، وَلَا يَكْتَفُتُ

.....

١ كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ لَعَلَّهَا : مَلِكٌ : أَكْثَرُ جُودِهِ ، عَلَى جُنُودِهِ ، أَغْنَى جَيْشِهِ [وَمَلِكُ عَيْشِهِ] .

إلى الأهاجي الباهليّة . (سلول وعَنَس وعُكُل وباهليّة الأمُ قبائل العرب .
وقيل إنّ سبب ذلك أن الشعراء هَجَّتْها ولم يَكُنْ لهم شُعراءٌ يذبُّون
عنها فتابسهم الذمُّ وأكلهم الهجاء .)

فصل : أمير يأمره حليمه فيطيع ، ويحمّله ما لا يُستطاع فيستطيع :
كم أعطي الظفّرَ فغفّر ، وجرّع الصبرَ فصبر . له حليمٌ معاوية ، على
الأعداء العادية . له ثباتٌ يلمسُ ، وتحنُّكٌ الجذعِ الأزليم^١ . قلبه
قليبٌ واسع ، وغوره بعيدٌ شاسع .

فصل : وزيرٌ يُنسيمُ أميره ، مستوطناً سريّره . متحرّكٌ وهو قارٌّ ،
ويُرى جالساً وهو مارٌّ ، كالنجمِ يرى وهو ساكن . وقد تحرّكت به أماكن .

فصل : كاتب ، فضله راتب ، وحقّه واجب . أقلامه رِماح ، ورسائله
صفاح ، وألفاظه فيصاح ، وأخلاقه فيساح . إن قترطسَ أصاب ، وإن سئل
أجاب . وأصاب عين الصواب . لسانه لسانُ المُلِك ، ومكانه واسطة السُلْك .

فصل : قائدٌ عليه عبءُ التعويل ، في أوّل الرّغيل ، إذا الصبرُ عيل ،
لا يُبان ما حتمى ، ولا يُشوي إذا رمى . عودٌ إذا زحف . وطودٌ إذا
وقف ، وسيلٌ إذا حمل ، وكتيبةٌ إذا اعتزل . حُسامه إمام^٢ ، يهدي
في ظُلُمَةِ القتّام ، ويهتدي إلى مسالكِ الحمام . لا تردّعه لامعةُ السيوف ،
ولا تُفزعُه مُصارعةُ الختوف . رِماحُه نجومٌ ظلامِ القتّام . ونجومُه

١ ص : الالزم .

٢ ص : أمامه .

رُجُومُ شياطين الأَنام . لا تُرد حاجات مواضيه . ولا تخطئه عند تقاضيه ،
المغافرُ المتينة ، ولا الدُّروعُ الموضونة .

فصل : قاضٍ يشهدُ له عدلُهُ ، أنَّ غيلته سَريعُ حلته . يتقسمُ نظرُهُ
بالقِسْطاس . بين جميع الناس . حَفِظَ رسالةَ عُمَرُ ، وعَمَلَ فيها بما نهي
وأمر . لا يَبِيعُ القضايا بالهدايا . به عشا ، عن الرُّشا . ينام الخصمان ،
وهو يَتَقَنُّظان . إنَّ عَجِلَ فعن استبدال ، وإنَّ عَجَزَ فليَتَأَمَّلْ إشكال .
سُريجي الإجابة . عِمراني الإصابة .

فصل : زُهَّادٌ تَرَكَوا العَرَضَ ، وأصابوا الغَرَضَ . اقترحوا الغَناءَ .
واطَّرحوا الغِنى . رَفَضُوا المُزايِلَ ، وطلبوا الطَّايِلَ ، وأعرضوا عما
يَبِيدُ ، وأقبلوا على ما يُفِيدُ^١ . لم يُزاحِمُوا على البَحِيثِ ، ولا استخدَمُوا
بُطُونَهُمْ في تَعْمِيرِ الكُنُفِ . تَرَكَوا ذلك لِمَن تَرَكَوا ، وقَتَعُوا بِأَقْلٍ^٢
ما مَلَكَوا ، وجَعَلُوا الزَّادَ إلى البَنَةِ ، الأَنَّةَ بَعْدَ الأَنَّةِ ، وظَمَأَ الهَيَّاجِرُ ،
في شَهْرِ نَاجِرٍ . فَكَثَرُوا فَكَثَرُوا . عَلِمُوا فَتَسَلَّمُوا مِنَ الْعِقَالِ ، وتَرَكَوا
الأَعناقَ^٣ لِحِمْلِ الأَثقالِ . رَجَوْا فَتَنَجَّوْا . وَبَسَّوْا فَعَلَّوْا ، ومَهَّدُوا
فَتَرَقَّدُوا ، وَعَمِلُوا فَيَوَّجَدُوا .

وذكرتُ بهذا المعصِلَ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ . قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَا أُرِيكَ الدُّنْيَا جَمْعَ بَعَاءَ بِمَا فِيهَا ؟ قُلْتُ : بَلَى

١٠

١ ص : ان عجز . . . وان عجل .

٢ ص : يعميد .

٣ ص : اعناق .

٤ الشريشي ٥ : ١٦ .

يا رسول الله : فأخذ بيدي ، وأتى وادياً من أودية المدينة ، فإذا مَرْبَلَةٌ فيها رؤوسٌ وعَدِرَاتٌ في خِرْقٍ وعِظَامٍ ، ثم قال : يا أبا هريرة ، هذه الرؤوس كانت تحرّص كحريصكم ، وتأملُ آمالكُم ، ثم هي اليوم عِظامٌ بلا جِلْدٍ ، ثم هي صائِرَةٌ رَمَاداً . وهذه العَدِرَاتُ ألوانٌ أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ، ثم قدفوها من بطونهم ، فأضحّت والناسُ يتحامونها . وهذه الخِرْقُ الباليةُ كانت رِياستهم ولباستهم ، أصبحت والرياحُ تُصَفِّقُها . وهذه العِظَامُ عِظَامُ دَوَابِّهِم التي كانوا يَنتجعون عليها أطرافَ اليلاد . فمن كان باكياً على الدنيا فليتبك . قال : فما برحنا حتى اشتدَّ بُكاؤنا .

ووقفت سُقراط على كَسَّاحٍ وقد خرّج من الحُشِّ بكُساسةً فقال : يا أهل أثينا ، هذا الذي كنتم تغلقون عليه الأبواب ، وتقيمون لحِفْظِهِ الخُزَّانَ ، وكانت شهواتكم تستخدمُ عقولكم في إعداده ، واليوم نفوسكم آئفةٌ منه [٨٢] وطباعكم نافرةٌ عنه .

فصول له في الدم ونقض ما تقدم

فصل : فُلان غَوْرُهُ أَقْرَبُ قَرِيبٍ ، وَقَلْبُهُ مَوْرُودُ الْقَلِيبِ ؛ فسائرُهُ مَكْشُوفَةٌ ، ودَخِيلَتُهُ مَعْرُوفَةٌ ، كِتْمَانُهُ إِخْبَارٌ ، وتَدْبِيرُهُ إِدْبَارٌ ، رَأْيُهُ وَرَاءٌ ، وساحَتُهُ عَرَاءٌ . حِسِّهَ هَامِدٌ ، وفَهْمُهُ جَامِدٌ . لا يَعْرِفُ

الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ التَّقْبِيلِ وَالْكَيْ . طَلَّلَ^١ بَال ، لَا يَخْطُرُ
عَلَى بَال . الشَّمْسُ عِنْدَهُ سَهْوٌ ، وَالْحُمُتُ نَهْيٌ . لَا يَعْلَمُ رَأْسُهُ ، مِمَّنْ
أَيْنَ أَنْفَاسُهُ ، وَلَا يَتَدْرِي دِمَاعُهُ ، أَيْنَ أَصْدَاعُهُ .

فصل : هَمَّةُ جَوَازِ يَوْمِيهِ ، وَحِلَاوَةُ نَوْمِيهِ . أَعْلَى هِمَّتِيهِ ، لِأَرْجَالِ
جُمَّتِيهِ ، وَاعْتِدَالُ عِمَّتِيهِ ، وَأَسْرُ سُرُورِهِ ، تَنَاهِي قُدُورِهِ^١ ، وَتَرَوُّيقُ
خُمُورِهِ . أَعْدَاؤُهُ سَيِّمَانٌ ، فِي أَمَانٍ ، وَأَوَّلِيَاؤُهُ فِي هُزَالٍ . وَانْتِظَارِ
النِّكَالِ . حَسَنُ الظَّنِّ بِالزَّمَانِ ، وَضُرُوبُ الْحَدَثَانِ . رَائِحُ الْقَرَائِحِ ،
سَاكِنُ الْخَوَارِجِ ، مَسْرُورٌ مَغْرُورٌ ، ثَانِي الْعِطْفِ عَنِ النَّاصِیحِ ، مُتَعَامٍ
عَنِ الْأَمْرِ الْوَاضِحِ . مُسْتَعْنٍ بِعَبْدِهِ ، عَنْ جُنْدِهِ . مُتَشَاغِلٌ بِالْأَنْيَابِ
الطَّاحِنَةِ فِي فَمِهِ ، عَنِ الْأَنْيَابِ الْوَالِغَةِ فِي دَمِهِ . يَتَنَامُ عَنْ مُسْهِرَاتِ
الْأَنَامِ ، وَعَنْ جَسَبِ الْغَارِبِ وَالسَّنَامِ . فَيَكْرَهُ سَاهِيَةً ، وَخِيَاطِرَهُ لَاهِيَةً ،
وَقَوَاعِيدَهُ وَاهِيَةً ، حَتَّى تَبْغِيَتْهُ الدَّاهِيَةُ .

فصل : يَتَجَوَّدُ الْجَلْمُودُ ، وَلَا يَتَجَوَّدُ ، وَيَعُودُ إِلَى إِثْمَارِهِ يَابِسُ الْعُودُ ،
وَهُوَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ . كَيْسُهُ مُخْلَقٌ^٢ ، وَبَنَائُهُ مُطْبَقٌ ، وَدَارُهُ سَحَابٌ ،
وَجَيْشُهُ مُخْلَقٌ ، وَمِيزَانُهُ حَبِيسٌ^٣ لَا يُطْلَقُ . كَيْفَتَاهُ^٣ كَكْفِيَّتِهِ لَا
تُذَيِّبُهُمَا النَّارُ ، وَلَا يَعْرِفَانِ الدَّرْهَمَ وَلَا الدِّينَارَ . وَأَكْيَاسُهُ كَالنَّقْدِ ،
قَدْ خَنَقَتْهَا الْعُقْدُ . يَدُهُ حَافِرٌ وَقِتَاحٌ ، وَقِفْلُهُ لَيْسَ لَهُ مِفْتَاحٌ . تَعَرَّ

١ ص : قُدُورِهِ .

٢ ص : مَخْلُوقٌ .

٣ ص : كَفْتِيَّتِهِ .

٤ ص : تَذَيُّبُهَا .

الأيام . ولا يُشْمُ له طعام . لو مَلَكَ طوفانُ نوح ، لم يَسْمَعْ منه بشربةٍ
لظمانٍ متَجروح .

فصل : هوَ يومَ المُطاعنة ، وَلَدُ الملاعنَةِ . لا حَسَبَ يُقاتِلُ عنه ،
ولا نَسَبَ يَسْتَحْيِي منه . يراعةٌ تَرْعَدُ ، وتقوم وتَقْعُدُ . إذا الحَرْبُ
دَعَتْ أبطالها ، وزُلْزِلَتِ الأحشاءُ زِلْزالها ، نَحَبٌ ما بينَ جَنْبَيْهِ ، وغاب
السوادُ^١ من عَيْنَيْهِ : مَهْزَمَةٌ بِلُحْزُودِهِ ، ومَهْدَةٌ لِعُدَّتِهِ وَعَدِيدِهِ : يوسعُ
أَعْداءَ الفِرارِ ، ولا يَرى على الجُبْناءِ مِن عارٍ . بَيْتُناهُ في أوَّلِ الرَّعيلِ
ضاربٍ^٢ ، إذا به وراءَ الساقةِ هارِبٍ . يَزْحَفُ عندَ الزَّحْفِ ، إلى
خَلْفٍ ، ويَرَوْعُهُ الواحدُ وهو في أَلْفٍ . لو كان سُورَ مدينةٍ لَسارٍ ،
ولو رُبِطَ لِيهِ الطُّورُ لطار . إنَّ هذا في الحربِ من بَنِي العَنْبَرِ ، وأَذْهَشُ
من مُسْتَطْعِمِ الماءِ على المِنْبَرِ . إذا ثارَ القَتامُ ، سَقَطَ من كَفِّهِ الحسامُ .

وَحَبَرُ بَنِي العَنْبَرِ ، أشهرُ مِن أنْ يُذكرَ ، وقُرَيْطُ منهم ، ولَمَّا
اسْتَنْجَدَهُمْ فلم يُسْجِدُوهُ قال^٣ :

لَكِنَّ قَتَوْنِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
يَجْزُونَ مِن ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلَمِ مَغْفَرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا
كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِي خَشْيَتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانًا

وَمُسْتَطْعِمُ الماءِ عَلَى الْمِنْبَرِ خَالِدُ الْقَسْرِيِّ عَامِلُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ

١ ص : السودان .

٢ ص : يضرب .

٣ هو قريظ بن أنيف ، وقصيدته هي الأولى في ديوان الحماسة .

الملك على العراق . دَهْشَ - يومَ الجمعةِ في حَرْبِ الخوارج وهو على المنبر ، فقال : أَطِيعُونِي مَاءً^١ ! فَقِيلَ فيه :

هَتَفْتِ بِكُلِّ صَوْتِكَ أَطِيعُونِي شَرَاباً ثُمَّ بُلْتُ عَلَى السَّرِيرِ

فصل : أَضَرَّهَا عَلَى الْأَنَامِ . على قَدِيمِ الْإِيَّامِ : الْعَصَبِيَّةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ . فما لهذا السُّلْطَانِ ، وَخِرَابِ الْأَوْطَانِ ؟ وَالْعَصَبِيَّةُ تُفْسِدُ بَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَتَكْثُرُ فِي الْأَدْعِيَاءِ . وَأَبُو نُوَاسٍ كَانَ أَشَدَّهُمْ فِيهَا قَوْلًا ، وَهُوَ قَيْنٌ مَوَلِيٌّ ، تَعَصَّبَ لِلْيَمَنِ عَلَى مُضَرَ لِكَوْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ مِنْ الْيَمَنِ وَهُمْ مِنْ مَوَالِيهِ ، فَهَجَا قِبَائِلَ مُضَرَ ، وَغَضَّ مِنْ قُرَيْشٍ ، هَذَا وَهُوَ مَوَلِيٌّ مُلْصَقٌ ، وَلَيْسَتْ سَعْدُ الْعَشِيرَةِ لَهُ بَعَشِيرَةٌ ، بَلْ لَهَا مِنْهُ الْجَهْرِيَّةُ .

سُلْطَانٌ يَشْتَرِي بِدِينِهِ وَدَمِهِ ، رِضَى ابْنِ عَمَتِهِ . خَاسِرُ التَّجَرُّ ، مَحْرُومُ الْأَجْرِ ، لَا يُسَاوِي بَيْنَ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ وَهُمْ سَوَاءٌ ، وَلَا يَتَكَافَأُ عِنْدَهُ الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ عِنْدَ [اللَّهِ] ^٢ أَكْفَاءٌ . وَجِبِلَّةُ التَّفَاوُتِ أَفَاتَتْ جِبِلَّةَ الرُّشْدِ . وَحِمِيَّتُهُ أَحْمَتُ عَايِهِ دَارَ الْخُلْدِ . تَعَصَّبُ جَاشَتْ لَهُ صُدُورُ الْجَيْشِ ، وَتَكَدَّرَ بِهِ صَفَاءُ الْعَيْشِ . وَلِلْمُسَاعَدَةِ فِي الْعَصَبِيَّةِ طَارَتْ الرُّؤُوسُ وَالسَّوَاعِدُ ، وَتَهَدَّمَتْ الدُّرَى وَالْقَوَاعِدُ : وَحَالَفَتْ رَبِيعَةُ الْأَبَاعِدُ .

فصل : قَدِيمَتَهُ سَمِي بُوَزَيْرٍ ، مَنْ شَغَلَهُ الْبَسْمُ وَالزَّرِيرُ . يُعْجِبُهُ اللَّهُ ،

١ الأغانى ٢٢ : ٢٠ .

٢ ص : وهم عنده .

وَيَغْلِبُهُ السُّهُو . دَمَارُ مَنْ [أوى] لِهيه ، وَبَوَارُ مَنْ عَدُولَ عَلَيْهِ . إِنْ
دَبَّرَ أَدَبَر . وَإِنْ تَرَكَ هَلَاكَ . خَيْدُنُ لَوَاعِبٍ ، وَزِيرُ كَوَاعِبٍ .
لَيْلُهُ نَاعِيسٌ ، وَنَهَارُهُ بَالِيسٌ . لَمْ يَعْطَقْ بِهِ مِينَ الْوَزَارَةِ ، إِلَّا أَحْسَنُ
الشَّارَةِ ، وَرَكُوبُ الْمَهَالِيجِ ٢ الْمِيسَارَةِ ، وَشِدَّةُ الْإِعْجَابِ ، وَالِدُخُولِ
عَلَى سُلْطَانِهِ بِلَا حِجَابٍ ، وَالْأَكْلُ بِمَلْمٍ فِيهِ ، هَذَا جَمِيعُ مَا فِيهِ ، حَقٌّ
إِذَا طَرَقَتِ السَّرَايَا [٨٣] وَسِيقَتِ السَّبَايَا ، وَنَقَرَ النَّسَافَرُ ، وَضَجَّ الْبَادِي وَالْحَاضِرُ ،
وَنَزَعَ ثِقَاتُ ٣ الْأَجْنَادِ ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ ، فُزِعَ إِلَى الْوَزِيرِ ، فِي وَجْهِ
التَّنْدِيرِ ، فَكَانَ جَوَابُهُ دُمُوعُهُ ، وَصَوَابُهُ هُلُوعُهُ ، فَحِينَئِذٍ دَارَتْ
الدَّائِرَةُ ، وَاضْطَرَمَّتِ النَّائِرَةُ ، وَانْصَرَمَّتِ الدُّوَلُ ، وَتَبَدَّلَتِ الْحُلُلُ .

فصل : كَاتِبٌ مَا عَرَفَ قَطَّ ، كَيْفَ الْبَرِّيَّةُ وَالْقَطَّ ، وَلَا نَسَخَ
قَطَّ سَطَرًا ، إِلَّا مَسَخَ مِنْهُ شَطْرًا . أَلْفَاظُهُ مَلْمَحُونَةٌ ، وَمَعَانِيهِ مَلْمَقُونَةٌ ،
وَمَقَاصِدُهُ خَفِيَّةٌ مَكْنُونَةٌ ، وَحُرُوفُهُ مَطْمُونَةٌ ٤ . إِنْ تَهَجَّجْتَنِي هَجَا ،
وَلِنْ تَكَلَّمْ شَجَّ وَشَجِي . أَلِفَاتُهُ سُنْجُودٌ ، وَلامَاتُهُ رَقُودٌ ، وَمِيمَاتُهُ
عُقْدٌ لَا عُقُودٌ ، وَقَافَاتُهُ وَاوَاتٌ ، وَنُونَاتُهُ رَاءَاتٌ . يَرْفَعُ بِالنَّوَاصِبِ ،
وَيُكْثِرُ [مِنْ] النَّقْطِ الْكَوَاذِبِ ، وَيُعْمِي عَيْنَ الْمَعْنَى الْخَلْطِيَّ ، وَيُخَاطِبُ
الْعَدُوَّ مُخَاطَبَةَ الْوَلِيِّ . وَتَقِيرُ كُتُبُهُ بِمَا فِيهَا مِنْ الْفَسَادِ ، بِأَنَّهُ قُرَّةُ
عُيُونِ الْأَعْدَاءِ وَالْحُسُودِ .

١ ص : إله .

٢ ص : المهاليج .

٣ ص : ثقب .

٤ كذا ولعل صوابها : « مضمونة » أي مصابة بالضمانة ؛ أو مطبونة أي مدفونة .

فصل : ولايتهُ القضاء ، مِمَّنْ سُوءُ القضاء . جائرٌ حائر : إن جازَ
فَمَعَنَ تَعَمُّدٌ ، وإن حاراً فَمَعَنَ قِيْلَةً تَعَمُّدٌ . لَيْسَ لَهُ مُنْتَشِشٌ ، ونهارُهُ
مُزْتَشِشٌ . تَعَجُّبُهُ الْعَيْنُ فِي النِّقَابِ ، ولا يُفَكِّرُ فِي الْعِقَابِ . إذا رأى
الأمردَ تَمَرَّدَ على خَصْمِهِ ، ومال عليه بِحُكْمِهِ ، يُزْرِي بِاخْتِيَارِ
سُلْطَانِهِ ، وَيَسْتَخِفُّ بِفُقْهَائِ زَمَانِهِ . يَجُورُ فِي نَظَرِهِ الْمُتَقَسِّمُ ، وَيَبْصُقُ
فِي وَجْهِ الْخُصُومِ ، وَيَرُكُّهُمْ بِرِجْلِهِ ، وَيَلْطِمُهُمْ بِنَعْلِهِ .

فصل : إخوانٌ أَخَوْنُ مِنَ السَّرَابِ لِلْعَيْنِ ، وَمِمَّنْ أَهْلُ الْكُوفَةِ
لِلْحُسَيْنِ ، وَأَشَدُّ مِمَّنْ طَالِبِ دَيْنٍ ، على صِفْرِ الْيَدَيْنِ : ليسَ فِيهِمْ
نَفْعٌ وَلَا دَفْعٌ ، إن اسْتَنْصَرْتَهُمْ خَدَلُوكَ ، وإن سَأَلُوا الْإِسْلَامَكَ بَدَلُوكَ .

فصل : تَبَسَّمَ لِلْعَدُوِّ الْعَابِسِ ، وَلَيْنَ لَيْتُخْلَقَ الْيَابِسُ . عامِلٌ
ظَالِمَكَ بِالصَّبْرِ ، واجعلْ صَدْرَكَ لَهُ كَالْقَبْرِ ، لا يَدْرِي مَا فِيهِ رَحْمَةٌ
أَمْ نِقْمَةٌ ، وبلاءٌ أَمْ نِعْمَةٌ ، حتى تُمَكِّنَكَ الْوَقْبَةُ عَلَيْهِ ، فَتَلْتَمِسَ
لِحَبِينِهِ وَيَدَّيْنَهُ .

ومن ترسيله

فصل له من رقعة خاطب بها المظفر بن الأفطس : كتبتُ وشوقُ
إلى شَرْفِ لُقْيَاهُ ، وشبهِ سُقْيَاهُ ، شوقُ القارظينِ^٢ إلى سكونِ

١ ص : خان .

٢ القارظان كلاهما من عنزة - في رأي ابن الكلبي - فالأكبر منهما يذكر بن عنزة والأصغر
رهم بن عامر بن عنزة ، كل منهما خرج يطلب القرظ ولم يعد ، وفيهما يغرب المثل « حتى
يؤوب القارظان » قال أبو ذؤيب الهذلي :

وحى يؤوب القارظان كلاهما ويشير في الموق كليب لوائل

وسكني ، والقَيسِيَّين إلى لَيْلَى ولُجْنَى ، واعتلاقي بِذِكْرِهِ اعتلاقُ
مالكٍ بِعَقِيلٍ^١ ، وقِفَا نَبْكَ بِالْمَلِكِ الضَّلِيل ، وبلالٌ بِشامةٍ
وطَفِيلٍ^٢ ، واللهُ بِبُلُوغِ الْأَمَلِ خَيْرٌ كَعَقِيل . وحالُ وَلِيَّةٍ بِالنَّاحِيَةِ
التي استقذرتُها حالُ مَنْ ذَهَبَتْ مِنْهُ التَّلَازُذَةُ . والفتاءُ ، والشيخُ
يَهْدِمُهُ الشَّتَاءُ^٣ . وقد رأيتُ طُوفانَ قُرْطُبَةَ يُقِيمُ دَهْرًا ، ولَمَّا أَقَامَ
طُوفانُ نوحٍ شهرًا . وأمَّا صيفُها فكما قال :

لَمْ أَسْتَسِيمَ عِناقَهُ لِقُدُومِهِ حَتَّى ابْتَدَأَتْ عِناقَهُ لِيَوْداعِهِ

وله من أخرى :

لي رَغْبَةٌ إلى مفاخيرِهِ ، وتَطَارُحٌ بَيْنَ يَدَيِّ مآثِرِهِ ، وإِدْلالٌ على
سَمَاحَةٍ سَجَايَاهُ ، وتَحَامُلٌ على احْتِمَالِ عُلَيَّاهُ . وذلك أَنَّ شَيْخًا يَفْنَأُ
قَصْدَ فَنائِي^٤ ، فبَكَى حَتَّى بَلَّ بِفَضْلِ دُمُوعِهِ رِدَائِي ، وَمَنَعَهُ الشَّقُّوقُ
بَشَجَاهُ ، مِينَ الْكَلَامِ على ما ارتجَاهُ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ كَامِسِبُ نُسَيَّاتٍ ،
وَأَبُو بَنِينَ وَبَنِيَّاتٍ ، فَنَسَبَتْهُ فَقَالَ : أَنَا أَبُو جَعْدَةَ نَهْشَلٍ ، وَذَكَرَ

١ مالك وعقيل نديما جديمة ، وفيهما يقول أبو خراش :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل

٢ عندما هاجر المسلمون إلى المدينة كان بلال يحن إلى معاهد مكة فاذا أخذته الحمى تمنى :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفج وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

وشامة وطفيل : جبلان (معجم البكري مادة : هرشي) .

٣ حذر بيت من الشعر صدره : إذا جاء الشتاء فزملوني فان الشيخ . . .

٤ ص : قبائلي .

مولانا المظفر فوصف خيراً كثيراً هو أكثر منه ، ودعا بخير أجابه الله عنه ، ووصف أن بغاة بغوه ، وجسدة آذوه ، وتنصل من ذنوب قرفوه بها ، ومولاي أعلم بصدقها من كذبها . ولم يظهر حيصاً إلا في الميتة الأهلية والتربة الوطنية . فبكي — علم الله — مع باك ، وشكا مني إلى شاك ، وذو الشكوى يرحم الشكوى ، لعلمه بمرارة البلوى . ولا شك أنه سبيلغه تفضل المظفر بالالتفات إلى ذكرى ، والعناية ببعض أمري ؛ فلا يظن أن ذلك باستحقاق ، وإن رقتني من الشرف هذه المراقي . ومن يسمع بخل^١ ، وما كل ذي سلاح بطل . وقد تلطف له بإذن الله في القول ، وبرئت إليه تعالى من القوة والحول . ووقفته على رأي المظفر الموفق ، وحكمه العدل المحقق . وبودّي لو تكفّلت^٢ بآماله ، وجمعت بينه وبين أطفاله ، فهو في قعد^٣ لبّد ، وهامة اليوم أو الغد ؛ إلا أني — أيده الله — لا أؤثر مرادي على مراده ، ولا أشاركه في العلم بأهل بلاده ، إلا أن يتفضل بالأحسن الأجمل ، عليّ وعلى أبي جعدة نهشل ، فيعود — أيده الله — بفضيلة الإيثار ، ويكسبني في الناس أطيب الأخبار والآثار . ولقد هجمت في العناية بما لا أعلم ثقة بما أعلم ، وهو المتطول إن شفع ، والمعلوم إن دفع . والجواب على هذه السطور المحتوية على هذه الأمور ، بالأقوال والأفعال ، من كمال الإحسان والإفضال .

١ معناه أن من يسمع الشيء ربما ظن صحته ، انظر جمهرة العسكري ٢ : ٢٦٣ (أبو الفهّل)
واللسان (خيل) وفصل المقال : ٤١٢ والميداني ٢ : ١٦٩ .

٢ ص : تكلفت .

٣ ص : عقد ؛ والقعد : القريب النسب من الجد الأكبر ، يريد أنه يكاد يكون من لدات
لهد وهو آخر نسور لقمان .

فأجابته المظفر برقة من إنشاء الوزير أبي مروان بن قزمان ، قال فيها :
ورد كتابك المبتدأ خطابه من الشعر بما هو السحر الحلال ، والمُصدّر
من القريض بما شهد لك بالحلال . لو قصّد الطائيان قصده لأجبلا ،
أو حلذا الحمتادان حلوه لأدبرا فيه وما أقبلا . لم تدع فيه فتناً من الحكمة
إلاّ أهديته [٨٤] ولا معنى لطيفاً إلاّ أبديته ، ولا نوعاً من الأدب إلاّ جلتبته ؛
ولا غريباً من المثل إلاّ ضربتّه : فله بلادٌ غذاك هواؤها ، ورؤساءُ
تطابقت عليك أهواؤها . لقد بان فضلهم على أهل الزمان ، كما ظهر
تبريزك في هذا الميدان . ومن انتحل الأبيات ، فبمثل شعرك فليات ،
وهيهات ، ما أبعد الأرض من السموات !

ورأيتك قد شفعت القريض بشفاعه ، وقرنته برغبة أعطتك مقاليد
البلاغة والبراعة . وأسعفتك في الشيخ اليفن ، والأشيب البدن ، نهشل .
فليسرع بالإقبال إلى بستانه ، وليتلحق بأهليه وولديه ، وليأت إليهم ذألانا ،
وليشكرنا سراً وإعلاناً . والله المأّن بك برده إلى وطنه وأهليه ٣ . يبلغك
ما ترجمه ، ويعيدُ حالك إلى عهدهما ، والجمع بينك وبين الطبقة التي
كنت واسطة عيقدما :

ولابن شرف مقامات عارض بها البديع في باب ٣ ، وصبّ فيها على
قالبه ، منها مقامة فيها بعض طول ، لكنّه غير مملول ، آخذة بطرف

١ ص : السماء .

٢ الدالان : العذر المقارب أو السرعة .

٣ ص : وأهله .

٤ ص : باله .

مُسْتَطَرَفٍ مِنْ أَخْبَارِ الْأَدْبَاءِ ، وَذَكَرِ الشُّعْرَ وَالشُّعْرَاءَ ، قَالَ ^١ :

جَارَيْتُ أَبَا الرِّيَّانَ فِي ذِكْرِ أَهْلِ النَّظَامِ ، وَمَنَازِلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ،
فَقَالَ ^٢ : عَدَدَ الشُّعْرَاءِ أَكْثَرَ مِنَ الْإِحْصَاءِ ، وَأَشْعَارُهُمْ أَبْعَدُ مِنْ شَقَةِ الْإِسْتِقْصَاءِ .
قُلْتُ : لَا أَعْنِيكَ بِأَكْثَرِ مِنَ الْمَشْهُورِينَ مِثْلَ الضَّالِّينِ وَالْقَتِيلِ ، وَلَيْدِ
وَعَبِيدِ ، وَالتَّوَابِغِ وَالْعُشِيِّ ، وَالْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرٍ ^٣ وَمَنْ سِوَاهُ مِنَ الْعُمَمِيِّ ^٤ ،
وَابْنِ الصَّمَّةِ دُرَيْدِ ، وَالرَّاعِي عُسَيْدِ ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ ، وَعَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ ،
وَالْفَرَزْدَقِ وَجَرِيرِ ، وَجَمِيلِ وَكَثِيرِ ، وَابْنِ جَنْدَلٍ وَابْنِ مُقْبِلِ ، وَجَرَوَلِ
وَالْأَخْطَلِ ، وَحُسَيْنِ فِي أَهْجِيهِ ^٥ وَمِدْحِهِ ، وَغَيْلَانَ فِي مِيتِهِ وَصَيْدِيهِ ،
وَالْهَذَلِيِّ أَبِي ذُؤَيْبِ ، وَسُحَيْمِ وَنُصَيْبِ ، وَابْنِ حِلَازَةَ الْوَالِيِّ ، وَابْنِ
الرَّقَاجِ الْعَامِلِيِّ ، وَعَنْتَرَةَ الْعَبْسِيِّ ، وَزَهْرَةَ الْمَرْيِ ، وَشُعْرَاءَ فَرَازَةَ ، وَمُفْلَقِي
بَنِي زُرَّارَةَ ، وَشُعْرَاءَ تَبَغْلَبَ وَيَثْرِبَ ، وَأَمْثَالَ هَذَا النَّمَطِ الْأَوْسَطِ ،
كَالرَّمَّاحِ وَالطَّرْمَاحِ ، وَالطُّثَرِيِّ وَالْدُّمَيْنِيِّ ، وَالْكُثَيْمِ الْأَسَدِيِّ ، وَصَرِيحِ
الْأَنْصَارِيِّ ، وَدِعْبَلِ الْخَزَاعِيِّ ، وَابْنِ الْجَهْمِ الْقُرَشِيِّ ، وَحَبِيبِ الطَّائِي ،

١ قد أشرت إلى أنها نشرت بعنوانين مختلفين ، وهي في حقيقتها رسائل الانتقاد (أو
جزء منها) وسأعرضها بالنص الموجود في رسائل البلغاء ؛ (ورمزها : ل) ويبدو أن
ابن بسام يوجز في النقل .

٢ ل : وجاريت أبا الريان في الشعر والشعراء ومنازلهم في جاهليتهم وإسلامهم وامتدحهم عن
مذهبهم فيهم ، ومذهب طبقته في قديمهم وحديثهم فقال . . . الخ .

٣ ص : يعفور .

٤ ل : والأسود بن يعفر وصخر النقي .

٥ ل : هجائه .

٦ زاد في ل : وحاميد الهذلي وبنار العقيلي وابن أبي حفصة الأموي والبة الأسدي وابن جبلة
الحسلي وأبي نواس الحكمي .

والوليد البُحترِّي ، وابنِ المعتزِّ العباسيِّ ، وأبي نواس وابن الرومي^١ .

ومن الطبقة المتأخرة في الزمان : المتقدمة في الإحسان . كأبي فراس
ابن حمّدان ، والمتنبّي بن عيّدان^٢ ، وابن جدار^٣ المصريّ ، وابن الأحنفِ
الحنفيّ ، وكُشّاجم الفارسيّ ، والصنوبريّ الحلبيّ ، ونصّرت الخبزُرُزيّ .
وابن عبّديّ ربّه القرطبيّ . وابن هانيء الأندلسيّ ، وعليّ بن العباس الإياديّ
التونسيّ ، والقسطليّ .

قال أبو الرّيان : لقد سمّيت المشاهير . وأبقيت الكثير . قالت : بلى
ولكن ما عندك فيمن ذكرت ؟

قال : الضّالّيلُ مؤسّس الأساس . وبُشَيّانه عليه الناس . كانوا يقولون
« أسيلة الخلد » حتّى قال « أسيلة مجرى الدّمع » . وكانوا يقولون : « تامّة
القامة وطويلة القامة . وجيّداء . وتامّة العنق » . حتّى قال « بعيدة مهوى
القرط » . وكانوا يقولون في الفرس السابق « يلحقُ الغزال والظّليم »
وشبّهه . حتّى قال « قيّد الأوابد » . ولم يَكُنْ قبيله من فِطِينِ هذه الإشارات
والاستعارات غيره فامثّلوه بعده . وكانت الأشعار قبلُ سواذج . فبقيتُ
هذه جندداً وتلك نواهج ؛ وكلُّ شعريّ بعدُ ما خيّلها فغيرُ رائقِ التّسجيع ،
وان كان مُستقيمَ التّنهج .

وأما طرفة فلو طالَ عمرُه ، لطالَ شِعْرُه ، وعلا ذِكْرُه . ولقد خُصّ

١ زاد في ل : وابن رغبان الحمصي .

٢ ص : عبّدان .

٣ ص : جدار .

بأوفر نصيب من الشعر . على أيسر نصيب من العمر . فملاً أرجاء ذلك
النصيب بصنوف من الحكمة . وأوصاف من علو الممة . والطبع معلم
صادق . وجواد سابق .

وأما الشيخ أبو عتقيل فشعره ينطقُ بلسان الجزالة . عن جنان
الأصالة . فلا تسمع له إلاّ كلاماً فصيحاً . ومعنى مبيناً صريحاً ؛ وإن كان
الشتيخ والوقار . والشرف والمخار . لهاديات في شعره . وهي دلائله ،
قبل أن يعلم قائله .

وأما العبي فتمجيد في أشعاره . ولا كملقته . فقد انفرد بها
انفراد سهيل . وغبر في وجوه الخيل . وجمع فيها بين الحلاوة والجزالة ،
وزقة الغزل وغلظة البسالة . وأطال واستطال . وأمن السامة والكلال .

وأما زهير : فأبى زهير بين لهوات زهير . حيكتم فارس . ومقامات
الفوارس . ومواعظ الزهاد . ومعتبرات العباد . وميدح تكسب الفخار ،
وتبقى بقاء الأعصار . ومعاتبات مرة تحسن . ومرة تخشن . وتارة
تكون هجواً* . وطوراً تكادُ تعودُ شكوى .

وأما ابن حنزة : فسهل الحزون . قام خطيباً بالموزون . والعادة
أن يسهل شرح الشعر بالنثر . وهذا سهل السهل بالوعر . وذلك مثل قوله :

أبرموا أمرهم عشاءً فلما أصبحوا أصبحت لهم ضواء
مين منادٍ ومين مجيبٍ ومين نصيرٍ هالٍ خيلٍ خلال ذاك رغاء

فلما اجتمع [٨٥] كل خطيبٍ نائر ، مین أول وآخر . يصفون سقراً نهضوا

بالأسحار ، وعسكرأ تنادى بالتهوؤص إلى طلبِ الثار ، ما زادوا على هذا إن لم ينقصوا منه . ولم ينقصروا عنه . وسائر قصيدته في هذا السلك : شكايه^١ وطيلاب^٢ نصفه ، وعيناب^٣ في عزه وأنفة ، وهو من شعراء وائل ، وأحد أسنّة هاتيك القبائل .

وأما ابن كلثوم : فصاحب واحدة ، فلا زائدة^١ ، أنطقت^٢ بها عز^٣ الظفر ، وهزه^٤ فيها جن الأشر ، قعقت^٥ رعوده في أرجائها ، وجمعت^٦ رحاه في أثنائها ، وجعلتها تغلب^٧ قبلتها التي تُصلي إليها ، وميلتها التي تعتمد^٨ عليها ، فلم يتركوا إعادتها ، ولا خلعوا عبادتها ، إلا بعد قول القائل : ألهي بني تغلب عن كل مكرمة^٩ قصيدة^{١٠} قالها عمرو بن كلثوم .

على أنها من القصائد المحققات : وإحدى الملاحظات .

وأما النابغة^١ زياد : فأشعاره الجياد لم تخرج عن نار^٢ جوانحه حتى تناهى^٣ نضجها ، ولا قطعت من مینوال^٤ خواطره حتى تكاثف^٥ نسجها ، لم تهلهل^٦ لها ميعه^٧ الشباب ، ولا وهي الأسباب ، ولا لؤم^٨ الاكتساب ، فشعره وسائط سلوك^٩ ، وتيجان^{١٠} ملوك .

وأما النابغة^١ الجعدي : فنقي^٢ الكلام ، شاعر الجاهلية والإسلام ، واستحسن^٣ شعره أفصح^٤ الناطقين ، ودعا له أصدق^٥ الصادقين ؛ وكان شاعراً

١ ل : بلا زيادة .

٢ ص : وهذه .

في الافتخار والثناء ، قصير الباع لشرفه عن تناول المهجاء . وكان مغلوباً فيه في الجاهلية . وطويّد ليلي الأخيلية .

وأما العُشي بأجمعهم : فكلّهم شاعرٌ ، ولا كميون بن قيس ، شاعر المدح والهجاء ، والبأس والرخاء ، والتصرف في الفنون ، والسّعي في السّهول والحزون . نفقّ مدحُه بنات المحلّق ، وكان في فقر ابن المذلق^٢ ، وأبكى هجوه علقمة^٣ ، كما تبكي الأمة .

وأما الأسود بن يعفر : فأشعرُ الناس إذا ندب دولة زالت ، أو بكى حالة حالت ، أو وصف رعباً خلا بعد عمران ، أو دار أدست بعد سكتان ، فإذا سلك [غير] هذه السبيل . فهو من حشوي هذا القبيل ، كعمرو وزيد ، وسعد وسعيد^٤ .

وأما حسّان ، فقد اجتنأ بواكر غسّان ، ثم جاء الإسلام ، وانكشف الإظلام ، فجاحش عن الدّين ، وناضل عن خاتم النّبیین ، فشعر وزاد ، وحسن وأجاد ، إلا أن الفضل في ذلك لرب العالمين ، وتسديد الروح الأمين .

وأما دريد بن الصمّة : فصمّة صمّم ، وشاعر جشّم ، وغزل

.....

١ ص : فقراء .

٢ ابن المذلق من عبد شمس ، يضرب به المثل في الفقر والافلاس (الميذاني ٢ : ٢٠ وجمهرة العسكري ٢ : ١٠٧ / أبو الفضل) .

٣ يعني علقمة بن علاثة ، وقد أبكاه قول الأعشى :

تبيتون في المشق ملاء بطونكم وجاراتكم غرقى يبتن خمائصا
٤ ص ، وسعيد وسعد .

هَرَم^١ ، وأوّلُ من تغزّلَ في رثاء . وهبّزل في حزنٍ وبكاء ، فقال في
مَعبدٍ أخيه ، قصيدته المشهورة يرثيه :

• أرثُ جديداً الحبلِ من أمّ مَعبدٍ •

وهي من شاجيات النّوائج ، وباقيات المدائح .

وأما الراعي عُبَيْد : فَتَجَبَّلَ على وصفِ الإبل ، فصار بالراعي
يُعرف ، ونُسِيَ ما له من الشرف .

وأما زيدُ الخيل : فَخَطَّيبٌ سَجَاعَةٌ ، وفارسٌ شَجَاعَةٌ ، مشغولٌ
بذلك ، عما سواه من المسالك .

وأما عامرُ بنُ الطفيل : فشاعرهُم في الفَخَّار ، وفي حمايةِ الجار ،
وأوصفهم للكريمة ، وأنعتهم لحميدٍ شَيِّمة .

وأما ابنُ مُقبل^٢ : فَتَقَدَّمَ شِعْرُهُ ، وصَلَبَ نَجْرُهُ ، ومُعَلَّى مَدْحُهُ ،
ومُعَلَّى قِيدْحُهُ .

وأما جرول^٣ : فَخَبِثَ هَجَاؤُهُ . شَرِيفٌ ثَنَاؤُهُ ، صَحِيحٌ بِنَاؤُهُ ، رَفَعَ
شِعْرَهُ مِنَ الشَّرِّ ، وحطَّ مِنَ الشَّرِّ . وأعادَ بِلَطَافَةٍ فِكْرَهُ ، ومَتَانَةً
شِعْرَهُ ، قَبَّحَ الألقابَ ، فَخَرَّأَ يَبْقَى على الأحقاب ، وَيُسْتَوَارِثُ في الأعقاب .

.....

١ ص : وعزل ؛ ل : وغزل عرم .

٢ ص : أبو .

وأما أبو ذؤيب : فشديدُ أسْرِ الشعرِ حَكِيمُهُ ، شغله فيه التجريب
حديثُهُ وقديمُهُ . وله المراثيةُ النقيّةُ السَّبك . المتينةُ الحبْلُك ، بكى فيها
بَنِيهِ^١ السَّبعة . ووصَفَ الحمارَ فطوّل . وهي التي أوّلها :
• أَمِنْ المَنونِ ورِيْبِهِ تتوجّعُ •

وأما الأخطلُ : فسعدٌ من سُعودِ بني مروان ، صَفَتْ لهم مرآة
فِكْرِه ، وظفروا بالبديعِ من شِعْرِهِ ، وكان باقِعةً من حاجاه ، وصاعِقةً
مَنْ حاجاه .

وأما الدَّارميُّ هَمَّام : فجوهرُ كلامِهِ ، وأغراضُ سِيهامِهِ ، إذا
افتخر بمالكِ بنِ حنظَلَة ، وبدارمٍ في شَرَفِ المنزلة ، وأطولُ ما يكون
مدى إذا تطاولَ اختيالُ^٢ جرير عليه بقليلِهِ على كثيرِهِ . وبصغيرِهِ على كبيرِهِ ،
فلأنّه يُصادمُهُ حينئذٍ ببحرٍ مادٍّ ، ويُقاومُهُ بسيفٍ حادٍّ .

وأما ابنُ الخطَمي : فزهْدٌ في غَزَل ، وحِجْرٌ في جَدَل ، يَسْبَحُ
"أولاً" في ماءِ عَذْب ، وَيَطِيحُ^٣ آخرًا في صَخْرٍ صُلْب . كَلَبُ مُنَابَعَةٍ ،
وكِبَشُ مُنَاطِحَةٍ ، لا تَفُكُّ غَرْبَ لسانِهِ مُطاولَةً الكَفاحِ ، ولا تُدْمِي
هامته^٤ مُداومةَ النِّطاحِ ، جارى السَّوابقِ بِمُطَيَّةٍ ، وفاخرَ غالِباً بِعُطَيَّةٍ ،

١ ص : يَنوّه .

٢ ص ل : اختِيار .

٣ ل : ويَطِيح .

٤ ص : هاد .

وَبَلَغَتْهُ بِلَاغَتُهُ إِلَى الْمَسَاوَاةِ^١ ، وَحَمَلَتْهُ جِرَائَتُهُ عَلَى الْمَجَارَاةِ^٢ . وَالنَّاسُ فِيهِمَا
فَتْرِيْقَانِ ، وَبَيْنَهُمَا عِنْدَ قَوْمٍ فُتْرَقَانِ .

وَأَمَّا الْقِيْسَانِ وَطَبَقْتُهُمَا : فَطَبَقَةُ عَشَقَةٍ تَوْقِيَّةٍ ، اسْتَحْوَذَتْ الصَّبَابَةَ
عَلَى أَفْكَارِهِمْ ، وَاسْتَفْرَغَتْ دَوَاعِيَ الْحُبِّ مَعَانِيَ أَشْعَارِهِمْ ، فَكَلَّتْهُمْ
[٨٦] مَشْغُولٌ بِهَوَاهِ ، لَا يَتَعَدَّاهُ إِلَى سِوَاهِ .

وَأَمَّا كُتَيْبَرٌ : فَحَسَنُ النَّسِيبِ فَصِيحُهُ ، لَطِيفُ^٣ الْعِتَابِ مَلِيحُهُ ،
شَجِي^٤ الْإِغْتِرَابِ قَرِيحُهُ ، جَامِعٌ إِلَى ذَلِكَ رِقَائِقُ الظَّرْفَاءِ ، وَجَزَالَةُ مَدَحِ الْخُلَفَاءِ .

وَأَمَّا الْكُئِمِيْتُ وَالرَّمَّاحُ ، وَنَصِيبُ^٥ وَالطَّرْمَاحُ ، فَشِعْرَاءُ مُعَاَصِرَةٍ ،
وَمُنَاقِضَاتُ وَمُنْفَاخِرَةٍ ، فَنَصِيبٌ أَمْدَحُ الْقَوْمِ ، وَالطَّرْمَاحُ أَهْجَاهُمْ ، وَالرَّمَّاحُ
أَنْسَبُهُمْ نَسِيبًا ، وَالْكَئِمِيْتُ أَشَبَّهُهُمْ تَشْبِيهَا .

وَأَمَّا بِشَّارُ بْنُ بُرْدٍ : فَأَوَّلُ الْمُحَدِّثِينَ ، وَآخِرُ^٦ الْمُخَضَّرَمِينَ ، وَمَمْسَنُ
لُحْقِ الدَّوْلَتَيْنِ ، عَاشِقُ سَمْعٍ ، وَشَاعِرُ جَمْعٍ ، شِعْرُهُ يَتَفَقَّحُ عِنْدَ رَبَّاتِ
الْحِجَالِ ، وَعِنْدَ فُحُولِ الرِّجَالِ ، فَهُوَ يَلِينُ سَخًى يَسْتَعِطِفُ ، وَيَقْوَى حَقًى
يَسْتَنْكِفُ^٧ ، وَقَدْ طَالَ عَمْرُهُ ، وَكَثُرَ شِعْرُهُ ، وَطَمَأَ بِحَرْهُ ، وَثَقَبَ فِي
الْبِلَادِ ذِكْرُهُ .

وَأَمَّا ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ ، فَمِنْ شِعْرَاءِ الدَّوْلَتَيْنِ ، وَمَمْسَنُ حِظِي بِالنَّعْمَتَيْنِ ،

١ ص : المِجَارَاةِ .

٢ ل : نَظِيفٌ .

٣ ص : وَاحِدٌ .

٤ ص : يَنْكُفُّ .

ووصل إلى الغنى بالصّلتين ، وكان دَرِبَ المعول ، ذَرِبَ المقنول ، والدَّ شُعراء ، ومنجَبَ فصحاء .

وأما أبو نواس ، فأول الناس في خرم القياس ، وذلك أنه ترك السيِّرة الأولى ، وتكَّبَ عن الطَّريقة المثلى ، وجعل الجِدَّ هزلًا ، والصَّعبَ سهلاً ، فهلك المسرَّد ، ولبَّلَ المنضَّد ، وخلخل المنجَّد ، وترك الدَّعائم ، وبنى على الطامي والعائم^١ ، وصادف الأفهامَ قد تكلَّتْ ، وأسبابَ العريَّة قد تخلخلتْ وانحلتْ ، والفصاحات الصحيحة قد سُئمت ومُتلت ، فمال الناسُ إلى ما عرفوه ، وعَلِقت نفوسهم بما أَلِفوه ، فتَهَادَوْا شِعْرَه ، وأغلَوْا سِعْرَه ، وشُخِّفُوا بِأَسْخِيفَه ، وكَلِيفُوا بِأَضْعَفِيَه . وكان ساعده أقوى ، وسيراجه أضوى ، لكنه عرضَ الأنفَقَ ، وأهدى الأوفَقَ ، وخالفَ فَشْهْرَ وعَرِيفَ ، وأغربَ فدُكْرَ واستطرف . والعوام تختارُ هذه الأعلاق ، وأسواقهم أوسع الأسواق ، فشعرُ أبي نواس ، نافقٌ عند هذه الأجناس ، كاسدٌ عند أنقد الناس . وقد فطن إلى استضعافه ، وخاف من استخفافه ، فاستدركَ بفصيح طرده ، طرفاً [من] سحدَ اللسان وجدّه^٢ ، وهو محدود^٣ في كثرةِ المتظاهر ، على من غَضَّ منه بالحقِّ الظاهر ، ليس إلاَّ لخفة روح المجون ، وسهولة الكلامِ الضَّعيفِ الملحون ، على جمهورِ العوام ، لا على خصائصِ الأنام .

وأما صَرِيع : فكلامُهُ مُرْصِعٌ ، ونِظامُهُ مُصَنِّعٌ ؛ وجُمْلَةُ شِعْرِهِ

١ ص : والقائم .

٢ ل : طرفاً حد اللسان وحدوده .

٣ ص ل : محدود .

صحيحةُ الأصول ، مُنصَّعةُ الفُصول ، قليلةُ الفضول .

وأما العباسُ بن الأحنف فمعتزل بهواه ، وبمعتزلٍ عما سواه : رَفَعَ نفسه عن المدحِ والهجاء ، ووضَعَهَا بين يَدَي هَوَاهِ مِنَ النِّسَاءِ . قد رَفَّقَ الشَّغَفُ كَلَامَهُ ، وَتَقَنَّتْ قُوَّةُ الطَّبَعِ نِظَامَهُ ، فَلَهُ رِقَّةُ الْعِشَاقِ ، وَحَيَوُكُ الْحُذَّاقِ .

وأما دِعْبَلُ : فمُتَدَبِّرٌ مُقْبِلٌ ، الْيَوْمَ مَدْحٌ ، وَغَدًا قَدْحٌ ، يُجِيدُ فِي الطَّرِيقَتَيْنِ ، وَيُسَيِّدُ فِي الْخَلِيقَتَيْنِ . وَلَهُ أَشْعَارٌ فِي الْعَصَبِيَّةِ . وَكَانَ شَاعِرَ عُلَمَاءَ ، وَعَالِمَ شُعَرَاءَ .

وأما علي بن الجهم : فَرَشِيقُ الْفَهْمِ ، رَاشِقُ السَّهْمِ ، اسْتَوْصَلَ شِعْرَهُ الشَّرَفَاءَ ، وَنَادَمَ الْخُلَفَاءَ ، وَلَهُ فِي الْغَزَلِ الرُّصَافِيَّةُ ٢ ، وَفِي الْعِتَابِ الدَّالِيَّةُ ٣ ، وَلَوْلَمْ يَكُنْ لَهُ سَوَاهِمَا ، لَكَانَ أَشْعَرَ النَّاسِ بِهِمَا .

وأما الطَّائِيُّ حَبِيبٌ : فمُتَكَلِّفٌ إِلَّا أَنَّهُ يُصِيبُ ، وَمُنْتَعِبٌ لَكِنْ لَهُ مِنَ الرَّاحَةِ نَصِيبٌ . وَشُغْلُهُ الْمُطَابَقَةُ وَالتَّجَنُّيسُ ، جِدٌّ ذَلِكَ أَوْ بَيْسٌ ، جَزَلٌ الْمَعَانِي ، مَرْصُوصٌ الْمَتَابِيُّ ٥ . مَدْنَحُهُ وَرِثَاؤُهُ ، لَا غَزْلُهُ

١ ل : وجودة .

٢ يعني قصيدته « عيون المها بين الرصافة والجر » .

٣ الدالية :

قالوا حبست فقلت ليس بضائري حبيبي وأي مهند لا يفسد

٤ ل : وحذا .

٥ ص : الهائي ؛ ل : المغاني .

ومجازوه ، طَرَفًا نَقِيز ، وَخُطَّتَا سَمَاءٍ وَحَضِيضٍ . وفي شِعْرِهِ
عِلْمٌ جَمٌّ مِينَ النَّسَبِ ، وَجُمْلَةٌ وَافِرَةٌ مِنْ أَيْتَامِ الْعَرَبِ . وَطَارَتْ
لَهُ أَمْثَالُ ، وَحُفِظَتْ لَهُ أَقْوَالُ ، وَدِيَوَانُهُ مَقْرُوءٌ ، وَشِعْرُهُ مَتْلُوءٌ .

قال ابن بَسَّام : أَمَّا صِفَتُهُ هَذِهِ لِأَبِي نَعْمَانَ ، فَصِفَةٌ لَمْ يَتَّخِذْ عِيْلَافَهَا
حَمِيَّةً ، وَلَا تَعَلَّقَتْ بِذِيْلِهَا عَصَبِيَّةً ، حَتَّى لَوْ سَمِعَهَا حَبِيبٌ
لَا تَخَذَهَا قِبْلَةً ، وَاعْتَمَدَهَا مِلَّةً . فَمَا آلَمَ^٢ مِنْ أَدَبٍ وَإِنْ أَوْجَعَ ،
وَلَا سَبَّ مِنْ صَدَقٍ وَإِنْ أَقْلَعَ :

رَجْع :

وَأَمَّا الْبُحْرِيُّ : فَلَقَطَفَهُ مَاءٌ ثَجَاجٌ ، وَدُرٌّ رَجْرَاجٌ ، وَمَعْنَاهُ
سِرَاجٌ وَهَاجٌ ، عَلَى أَهْلِي مِنْهَاجٍ . يَسْبِقُهُ شِعْرُهُ ، إِلَى مَا يَتَجَشَّأُ بِهِ
صَدْرُهُ ، يُسَرُّ مُرَادٌ ، وَلَيْنَ قِيَادٍ . إِنْ شَرِبَتْهُ أُرْوَاكُ ، وَإِنْ قَدَحَتْهُ
أُورَاكُ . طَبَعَ لَا تَكَلَّفَ يَغْيِيهِ^٣ ، وَلَا الْعِيَادُ يَكْنِيهِ ، لَا يُحْمَلُ كَثِيرُهُ ،
وَلَا يُسْتَكْفَ غَزِيرُهُ ، لَمْ يَهْتَفْ أَيْتَامَ الْحُلُمِ ، وَلَمْ يَصِفْ زَمَنَ الْهَرَمِ .

وَأَمَّا ابْنُ الْمُعْتَزِّ : فَمَلِكُ النِّظَامِ ، كَمَا هُوَ مَلِكُ الْأَنْامِ ، لَهُ التَّشْبِيهَاتُ
الْمَثَلِيَّةُ ، وَالِاسْتِعَارَاتُ الشَّكْلِيَّةُ ، وَالْإِشَارَاتُ السَّحَرِيَّةُ ، وَالْعِبَارَاتُ
الْجَهْرِيَّةُ ، وَالتَّصَارِيفُ الصَّنُوفِيَّةُ ، وَالطَّرَائِقُ الْفَنُونِيَّةُ ، وَالِافْتِخَارَاتُ

١ ص : وَغَطَا ؛ ل : وَخَطَب .

٢ ص : أَلَام ؛ ل : لَام .

٣ ص : يَغْيِيهِ .

المُلوكِيَّة ، والهَيْمَاتُ العُلويَّة ، والعَزَلُ الرَّائِقُ ، والغَيْتَابُ الشَّائِقُ ، وَوَصَفُ
الحُسْنِ الفَائِقِ :

وخَيْرُ الشَّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالاً^١ وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ^٢

وَأَمَّا ابْنُ الرُّومِي : فَتَشَجَّرَةٌ [٨٧] الْإِخْتِرَاعُ ، وَثَمَرَةٌ الْإِبْتِدَاعُ .
وَلَهُ فِي الْهِجَاءِ ، مَا لَيْسَ لَهُ فِي الْإِطْرَاءِ ، فَتَحَّ فِيهِ أَبْوَابُ ، وَوَصَلَ فِيهِ أَسْبَابُ ،
وَخَلَعَ مِنْهُ أَثْوَابُ ، وَطَوَّقَ فِيهِ رِقَابُ ، تَبَقَّى^٣ أَعْمَارُ وَأَحْقَابُ ، يَطُولُ
عَلَيْهَا حِسَابُ ، وَيُثْمَحَقُّ بِهَا ثَوَابُ . وَلَقَدْ كَانَ وَاسِعَ الْعَطْنِ ، لَطِيفَ
الْفِطْنِ ، إِلَّا أَنَّ الْغَالِبَ عَلَيْهِ ضَعْفُ الْمَرِيرَةِ وَقُوَّةُ الْمِرَّةِ .

وَأَمَّا كُشَاجِمُ : فَحَكِيمٌ شَاعِرٌ ، وَكَاتِبٌ مَاهِرٌ ، لَهُ فِي التَّشْبِيهَاتِ
غَرَائِبُ ، وَفِي التَّأْلِيفَاتِ عَجَائِبُ ، يُجِيدُ الْوَصْفَ وَيُحَقِّقُهُ ، وَيَسْتَنِيكُ
الْمَعْنَى فَيُرَفِّقُهُ وَيُرَوِّقُهُ .

وَأَمَّا الصَّنَوْبَرِيُّ : فَتَقْصِيحُ الْكَلَامِ غَرِيبُهُ ، مَلِيحُ التَّشْبِيهِ عَجِيبُهُ ،
مُسْتَعْمِلُ لَشَوَازِ الْقَوَافِي ، يَغْسِلُ كُنُوزَهَا بِمِيَاهِ فَهْنِهِ الصَّوَافِي ،
فِيَجِلُّ وَيَدِقُّ ، وَيَعْدُبُ وَيَرْقُ . وَهُوَ وَحِيدُ جِنْسِهِ فِي صِفَةِ
الْأَزْهَارِ ، وَأَنْوَاعِ الْأَنْوَارِ . وَكَانَ فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ يَتَخَالَعُ ، وَفِي بَعْضِهَا
يَتَشَاجَعُ : وَقَدْ مَدَحَ وَهَجَا ، وَسَرَّ وَشَجَا ، وَأَعْجَبَ شِعْرُهُ وَأَطْرَبَ ،

١ البيت لفرزدق في هجاء نصيب ، انظر زهر الآداب : ٣٣٦ .

٢ ل : يبقين .

وشرَّقَ وغَرَّبَ . ومَدَحَ من أهل إفريقية أمير الزَّاب جعفر بن علي^١ ،
مُتَّفِقٌ سَلَعَ الأدب ، فوصلته بألف دينار^٢ .

وأما الخُبْرُزَرِّي : فَخَلِيعُ الشَّعْرِ مَاجِيْنُهُ ، رَاقٍ اللفظِ بانه ،
كثيرةٌ مَحَاسِنُهُ ، صحيحةٌ أصولُهُ ومعادِنُهُ . رائقة البِزَّة ، [مائلة]^٣
إلى العِزَّة . تُسَلِّيه عن الحبِّ الخِيَانَةَ ، ويربِّقُهُ^٤ الوفاء والصِّيَانَةَ . وله
على خُشُونَةٍ خَلْقِيهِ ، وصُعُوبَةٍ خُلُقِيهِ ، اختراعاتٌ لطيفةٌ ، وابتداعاتٌ
طريفةٌ ، في ألفاظٍ كثيفةٌ ، وفصولٌ قليلةٌ الفصولِ نظيفةٌ . حتى إن
بعضَ كُبراءِ الشعراءِ اهتمَّ أشياءَ مِن مَبَانِيهِ ، واهتَضَمَ تَطَرُّفًا مِن
مَعَانِيهِ ، وهو مِن مُعَاصِرِيهِ ، فَقَلَّ مَن فَطِنَ لِحِرَامِيهِ .

وأما أبو فِرَاسِ بنُ خَمْدَانَ : ففَارِسُ هَذَا المِيدَانِ . إِنْ شئتَ ضَرَبًا
وطعنا ، أَوْ لفظًا ومعنى ، مَلِكَ زَمَانَا ، وَمُلِكِ أَوَانَا ، أَشْعَرُ النَّاسِ
فِي المَمْلَكَةِ ، وَأشْعَرُهُمْ فِي ذُلِّ المَلَكَةِ^٥ . وله الفخريَّاتُ الَّتِي لَا تُعَارِضُ ،
وَالأَسْرِيَّاتُ الَّتِي لَا تُسَاهِضُ .

١ انظر ديوان الصنوبري : ٢٨ وجعفر بن علي هو ممدوح ابن هانيه أيضاً ، إذ كان موالياً
للعبيدين ثم تحول إلى موالاة أمويي الأندلس (انظر أخباره في المقتبس لابن حيان تحقيق الدكتور
عبدالرحمن الحجي ، ط . بيروت) .

٢ زاد في ل : بعثها إليه مع ثقات التجار .

٣ زيادة من ل .

٤ ص : ويريقه ؛ ل : ويروقه .

٥ يعني المتنبئ ، وهذه تهمة ساقها نقاد المشاركة مثل ابن وكيع وغيره .

٦ ص : الملك .

وأما المُتَنَبِّي : فقد شَغِلَتْ به الألسُن ، وسَهَّيَتْ في أشعاره الأعيُن . وكَثُرَ النَّاسِيخُ لِشِعْرِهِ ، وَالْأَخِيذُ لِذِكْرِهِ ، وَالْغَايِصُ فِي بَحْرِهِ ، وَالْمُفْتَتَشُ فِي قَعْرِهِ ، عَنْ جُمَانِهِ وَدُرِّهِ . وَقَدْ طَالَ فِيهِ الْخِلَافُ ، وَكَثُرَ عَنْهُ الْكَشْفُ ، وَلَهُ شِيعَةٌ تَغْلُو فِي مَدْحِهِ ، وَعَلَيْهِ خِدَوَارِجُ تَتَعَايَا فِي جَرَحِهِ ؛ وَالَّذِي أَقُولُ إِنَّ لَهُ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ ، وَحَسَنَاتُهُ أَكْثَرُ عِدْدًا ، وَأَقْوَى مَدَدًا . وَغَرَائِبُهُ طَائِرَةٌ ، وَأَمْثَالُهُ سَائِرَةٌ ، وَعِلْمُهُ فَسِيحٌ . وَمَيِّزُهُ صَحِيحٌ ، يَتَرُومُ فِيَتَقْدِرُ ، وَيَتَدْرِي مَا يُورِدُ وَيُصْدِرُ^١ .

وأما ابنُ عَبِيدِ رَبِّهِ الْقُرْطُبِيُّ : وَإِنْ بَعُدَتْ عَنَّا دِيَارُهُ ، فَقَدْ صَاقَبَتْنَا أَشْعَارُهُ ، وَوَقَّفْنَا عَلَى أَشْعَارِ صَبَوْتِهِ الْأَنِيْقَةِ ، وَمُكْفَرَاتِ^٢ تَوْبَتِهِ الصَّدُوقَةِ ، وَمَدَائِحِهِ المُرَوَانِيَّةِ ، وَمَطَاعِينِهِ فِي الْعَبَّاسِيَّةِ . وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ فَارِسٌ مُعَارِسٌ ، وَطَاعِنٌ مُدَاعِيسٌ . وَاطْلَعْنَا فِي شِعْرِهِ عَلَى عِلْمٍ وَاسِعٍ ، وَمَادَةٍ فَهَنَهُمْ مُضِيءٌ نَاصِعٌ . وَمِنْ تِلْكَ الْجَوَاهِرِ نَظَمَ عِقْدَهُ ، وَتَرَكَهْ لِمَنْ تَجَمَّلَ بَعْدَهُ .

وأما ابنُ هَانِءٍ مُحَمَّدُ الْأَنْدَلُسِيُّ وَلِادَةِ ، الْقَيْرَوَانِيُّ وَغَادَةُ وَإِفَادَةُ ، فَرَعْدِيُّ الْكَلَامِ ، سَرْدِيُّ النِّظَامِ^٣ ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا ظَهَرَتْ مَعَانِيهِ ، فِي جَزَائِلِ مَبَانِيهِ ، رَمَى عَنْ مَتَجَنِّيقٍ ، يُوَثِّرُ فِي النَّيِّقِ . وَلَهُ غَزَلٌ قَفَرِيٌّ لَا عُنْدَرِيٌّ ،

١ زاد هنا في ل ما ينبيء أن أبا الريان انتهى من تقييم شعراء المشرق .

٢ ص : وتكفريات ، ل : وتكفيرات .

٣ زاد في ل : متين المباني ، غير مكين المشائي ، تجفو بمعناها من الاوهام ، حتى تكون كنقطة النظام .

لا يَقْنَعُ فِيهِ بِالطَّيِّفِ ، وَلَا يَشْفَعُ بِغَيْرِ السَّيْفِ . وَقَدْ نَوَّهَ بِهِ مَلِكُ الزَّابِ .
وَعَظَّمْ شَأْنَهُ بِأَجْزَلِ الثَّوَابِ . وَكَانَ سَيْفُ دَوْلَتِهِ ، فِي إِعْلَاءِ مَنْزِلَتِهِ ،
مِنْ رَجُلٍ يَسْتَعِينُ عَلَى صَلَاحِ دُنْيَاهُ بِفَسَادٍ أَخْرَاهُ ، لِرَدَاءَةِ عَقْلِهِ ، وَوَقْتِ
دِينِهِ ، وَضَعْفِ يَقِينِهِ ، وَلَوْ عَقَلَ لَمْ تَضِيقْ عَلَيْهِ مَعَانِي الشَّعْرِ ، حَتَّى يَسْتَعِينُ
عَلَيْهَا بِالْكَفْرِ .

وَأَمَّا الْقَسْطُ طَلَّتِي : فَشَاعِرٌ مَاهِرٌ عَالِمٌ بِمَا يَقُولُ ، تَشْهَدُهُ لَهُ الْعُقُولُ ، بِأَنَّهُ
الْمُوَخَّرُ بِالْعَصْرِ ، الْمُتَقَدِّمُ فِي الشَّعْرِ . حَازِقٌ بِوَضْعِ الْكَلَامِ فِي مَوْضِعِهِ ،
لَا سِيْمَا إِذَا ذَكَرَ مَا أَصَابَهُ فِي الْفِتْنَةِ ، وَشَكَا مَا دَهَاهُ فِي أَيَّامِ الْمِحْنَةِ : وَبِالْحِمْلَةِ
فَهُوَ أَشْعَرُ أَهْلِ مَغْرِبِهِ ، فِي أَبْعَدِ الزَّمَانِ وَأَقْرَبِهِ .

وَأَمَّا عَلِيُّ التَّنُونِسِيِّ : فَشِعْرُهُ الْمُوْرِدُ^١ الْعَذَبُ ، وَلَفْظُهُ اللَّوْلُو الرُّطْبُ ،
وَهُوَ بِحَثَرِي الْغَرْبِ ، يَصِفُ الْحَمَامَ ، فَيُرَوِّقُ الْأَنَامَ ، وَيُشَبِّبُ ، فَيُعَشِّقُ
وَيُحَبِّبُ ، وَيَمْدَحُ ، فَيَمْنَحُ^٢ أَكْثَرَ مِمَّا يُسْمَحُ .

هَذَا مَا عِنْدِي فِي الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ، عَلَى احْتِقَارِ الْمَعَاصِيرِ ، وَاسْتِصْغَارِ
الْمَجَاوِرِ ، فَحَاشَى لِّلَّهِ مِنَ الْإِنْتِصَافِ ، بِقَلَّةِ الْإِنْتِصَافِ ، لِلْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ ، وَالْعَلُوِّ
وَالْحَبِيبِ .

قُلْتُ يَا أَبَا الرِّيَّانِ ، وَكَيْتَ مُرُورَ الْحَدَثَانِ ، فَلَقَدْ سُبِّكَتَ فَهَمَّا ،
وَحُشِّيتَ عِلْمًا .

١ ص : المورود .

٢ ص : فتمنح .

مقامة له أخرى

جدتني الجرجاني قال : كان فتىً بجرجان من أبناء الأقيال ، قد جمع إلى النهاية في المال الغاية في الجمال . وكان مألفاً للأدباء^١ ، وماوى للغرباء ، ورزقاً للفقراء ، فلا يخلو منزله من أهل الإعدام . فلاني لئعندة في بعض الليالي إذ استؤذن عليه لضريح فقير فأمر بإكرامه وإطعامه . فلما فترغ من شأنه ، استدعاه إلى إيوانه . فدخل علينا رجل شيخ وافر السبال [٨٨] ، قد عمته البياض بالكمال ، مطموس العينين ، مسترخي الحاجبين ، قد صلبت هامته ، وركعت قامته ، وقصرت مسافة خطاه ، وثقل جسمه على عصابه ، فسلم بصوت ضئيل ، ودعا بلسان ثقيل . وأقبل يذكر شبابيه ، ويتذكر أحبائه ، وينوح على سالف زمانه ، ويندب ثقات إخوانه . فرق له الفتى فادناه ، حتى أجلسه على يمناه ، وصبره وسلاة . ثم سمرنا إلى وقت النوم ، فرقد سائر القوم ، ونام الفتى في مكانه ، مراعاة لحق ضيفانيه .

وكنْتُ أدنى من الفتى مرقدًا ، كما كنت أدنى منه مقعدًا ، ولي عين أخف العيون متجعة ، وأقربها إلى الانتباه رجعة . فأيقظتني نبسة لم أكن عهدت من الفتى مثلها ، ولا أجراها مع ضيف قبلها . فعجبت من خرق العادة ، وأصغيت ألتبس [استزادة] : فسمعت الأعمى

يقول : يا سيدي أنا صرورة ، وثم ضرورة ، وقد طالت الغربة ، واضطرتني العزبة . فقال الفتي له : فما وجدت لضرورتك سيواي ، ولا لعزبتك جاشاي ؟ قال له : فإن أبيت إلا أن تمنع ، فدئتني على ما أصنع . قال له الفتي : أرى لك أن تتسرى . قال : ومن للصعلوك بللملوك ؟ قال : فتتزوج . قال : والمخوِّج كيف يتزوج ؟ قال له الفتي : فإنك لو خضخضت ، لكان أشبه مما إليه تعرّضت . قال الأعمى : والله يا مولاي لا يتسعه خفتي ، فكيف كفّتي ؟ فصاح الفتي : السلاح السلاح : « ألا أيتها النّوامُ ويحكمُ هُنُونا » قال الجرجاني فقلت : « فللشيخ زُبّ ليس يشبهه زُبّ » . فقال الفتي : أسمعت العجّاب العُجاب ؟ قلت : نعم ، وحفّظت العتاب : وجعلت أقول : ما سألك الشيخُ في عسير ، ولا حَمَلَك على خطير . فهلاً قضيتَه فأرضيتَه ؟ قال : فحسب الأعمى كلامي ردّاً ، وظنّه جيّداً ، فقال : فتديتُك أيتها الناصير ، حين خدّلتني الأواصير ، واحتققتني المعاصير ، ثم تنهّد وقال : آه واهرماه ! بقمينا حتى شقمينا ، آه . طاح أهل البدل والسّماح ، وبقي أهل البخل والجحاح . انظر أيّ أجناس : بعد أيّ ناس ، لكنّ الفقير حقير : قتل المال ، وذهب الرجال . سمعنا فطمعنا ، يا فتي . أخبرنا عنك خبراً ، ما رأينا له أثراً ، وربّ منسوب إلى حال : مترجوعها إلى مُحال : أين الكرم الذي ذُكر ، والخلق الذي شكّر ؟ هبّ ما سألناك يشقّ . أين الحق الذي يَحَقُّ ؟ كذّاب رائدنا . وقلّت فتوائدنا . فقال له الفتي : وبُححت ! اتق الله خاليتك ، فقد آن أن تتترك خلافتك .

١ كذا في ص ، ولعلها « واحتقرتني » .

فقال : يا مَولاي ، لو تركتني الشهوة لتركك ، لكن حررتني
فتركك . إني وإن سبقني جمهور الأتراك إلى التراب ، فلي قلباً للهبي ،
وجسمٌ ذهبي ، لا يغيرهما إدمان الزمان ، ولا يؤودهما حديث الحدثنان .
ولو عادت إلي ساعة من أيامي ، أو حصلت في يدي لبرة من حسامي ،
لسبقت كلومي فيكم كلامي . وسأجهدُ بهذه العصا ، فأجاهدُ من
عصا . ثم اهتز كأنه نسر متفصوص ، أو حمار مرهوص ، فقمنا
وتركنا جانبته ، وجعل يتضرب بعصاه ما قاربته . فتركانه وشاته ، وأدمننا
عيانه ، نصعد فيه ونصوب ، ونعجب ونعجب . فلم تزل شيقشيقته
تهدير ، وعصاه تتكسر ، حتى كلت يدها ، وانحلت قواه . ولاح
وجه الصباح . وجئنا إليه بالمصباح ، فإذا هو كالخيدار المهذوم ، والخيدر
المهشوم ، قد فارق النفس التمرودية . ومات الميتة الجاهليّة . فدفتنه
الفتى في أطماره ، وسألنا كتمان أخباره ، وأفن لعمري أي أفن ، أن
يُطمع لخبر هذا في دفن ، بل هو منشور ، إلى يوم النشور .

ما أخرجته من شعر ابن شرف في أوصاف شتى
النسيب وما يناسبه

[قال ٢:]

قد كنت في وعد العذار فأنجزا وقضى لحسنك بالكمال فأوجزا

~~~~~

١ ص : فلبني .

٢ هي في الشريشي ٢ : ٢٦٥ ( ٥ : ٢٤٠ ) وانظر التفت : ١٠٢ .

وافى لنصرِ الحُسْنِ إلا أنه  
عطفَ تعلّم منك عِطْفُكَ عطفه  
لم يتكف وجهك حُسْنُه وبهاؤه  
سُبْحان مَنْ أعطاك حُسناً ثانياً

وقال :

ولّى إلى ففةِ الهوى مُتَحَبِّراً  
وجدَ الفؤادُ بهِ السبيلَ إلى العزا  
حتى اكتسى ثوبَ الجَمالِ مُطَرِّزاً  
وبثالثٍ من فِعْلِ حُسْنِكَ عَزَّزاً

تَصَعَّدُ نَفْسٍ لا صُعودُ تَنْفَسٍ  
فلا القُرْبُ يُحْيِيَنِي ولا البعدُ قَاتِلِي  
وأصبحتُ ذا ضرٍّ ولُفْيَاك مُبْرَى

وقال :

وترديدُ روحٍ في حُشاشةٍ مَكْرُوبٍ  
ولا الهَجْرُ يُسْلِيَنِي ولا الصَّبْرُ يُلَوِي بي  
لضُرِّي ولكنْ أينَ عَيْسَى مِنْ أَيْتُوبِ؟

بين أجفانيك سِحْرُ  
جَرَدَتْ عَيْنَاكَ سَتِيفِ  
فعلى خدك مِينَ نَهْ  
ومن الكُثْبَانِ شَطْرُ  
وسواءٌ قلتُ دُرٌّ  
وبماذا أَصِفُ الخَصْـ  
بك شُغْلِي واشتغالي

وعلى غُصْنِكَ بَدْرُ  
ن لَمَّا أَمَرَكَ أَمْرُ  
رِ دَمِ العِشاقِ أَثَرُ  
لك والأَغْصَانُ شَطْرُ  
ما أرى أو قلتُ ثَغْرُ  
روما إنْ لك خَصْرُ [٨٩]  
ومضى زَيْدٌ وعَمْرُو

١ ص : وعمل الأغصان .

وقال :

وَشَمْسٌ تَرَاخَتْ أَنْ تَغِيبَ لِقَبْلِي  
فِيَا قَاطِعاً وَصَلِي وَيَا وَاصِلاً غَدِي  
صَرَفْتَ رَجَائِي عَنْ لَعْلٍ وَعَنْ عَسَى  
أَعْنَتِي بِإِطْمَاعِ الْوَصَالِ عَلَى النَّوَى  
لَدَيْكَ فَوَادٌ مَا لَهْ مِنْ مُطَالِبٍ  
وَدَيْعَةٌ مَيِّتٌ أَنْتَ فِيهَا مُحَكَّمٌ  
أَرَى مُهْجَاتٍ فِي يَدَيْكَ فَمَا تَرَى

قوله : « إِذَا لَمْ تُقَاتِلْ يَا جَبَانَ فَشَجَعِ » مثلٌ من أمثالهم ، وإليه  
شار أبو نؤاس بقوله <sup>١</sup> :

فَكَأَنِّي وَمَا أَزِينُ مِنْهَا قَعْدِي يُزِينُ التَّحْكِيمَا

وقال <sup>٢</sup> :

وَإِذْ كُرُّ لِبَالَيْكَ الَّتِي ذَهَبَتْ لَنَا  
يُسْعِدُكَ وَأَبْلٌ أَذْمَعٌ فِي أَرْسِي  
أَيَّامَ شَمْسٍ الْمَشْرِقَيْنِ ضَجَّجَهُ  
وَنَجْوَمُ كَاسَاتِي طَوَالِغُ بَالِي

١ ديوان أبي نؤاس : ٣٢٥ .

٢ البيت الرابع منها في التنتف : ٢ . ولم يذكر مصدره ، وقد ورد في القسم الأول : ٤٧٧ .

محمود عيش جاد لي دهري به ثم استرد فكان فيه خصيمي  
ولتي وختلي جمره مشبوبة نذكي على الأحشاء نار سحوم  
فإذا رأيت لهيبها وسلامي فاذكر بذلك نار إبراهيم

يَنظُرُ مَعْنَى الْبَيْتِ الرَّابِعِ مِنْ هَذِهِ إِلَى قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ ١ :

تُرُّ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يَوَدُّهُ وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يَنْجُمُ

ولأبي [الحسن] أحمد البصري ٢ من أناشيد الثعالبي :

كنت إذا ما سرت في حاجة أطالع ٣ التقويم والزيج  
فصار لي ٤ الزيج كتصحيفه وعاد لي ٥ التقويم تعويجا

وقال بعض أهل عصرنا وهو أبو بكر الداني ٦ :

وبمُهْجتي نجم له في مُهْجتي مَسْرَى ولي في نُورِهِ تَعْدِيلُ  
حوَلْتُ عَهْدَ مُنَاخِهِ بِمُنَاخِهِ فَقَضَى بِتَحْوِيلِي لَهُ التَّحْوِيلُ

١ ديوان المتنبي : ٢٩٢ ، واستشهد به ابن بسام أيضاً في القسم الأول : ٤٧٦ .

٢ هو أحمد بن أيوب البصري ، أبو الحسن المعروف بالنامي ، انظر اليتيمة ٤ : ٣٨٣ — ٣٨٤ وقد ورد البيتان في ترجمته .

٣ اليتيمة : استعمل .

٤ اليتيمة : فأصبح .

٥ اليتيمة : وأصبح .

٦ شعر ابن اللبابة : ٨٣ والذخيرة ٣ : ٩٦٠ .

وقوله : « محمودُ عيش جادٍ لي دهري به » من مُتداولاتِ المعاني ،  
منها قولُ محمد بن هاني ١ :

وهَبَ الدهرُ نفيساً فاستردَّ رُبما جاد لثيمٌ فحَسَدُ

وأخذه بعضُ أهلِ عصري فقال :

يَهَبُ القليلَ وقد يرى استرجاعه بهيئةَ اللثيمِ أَقلُّ منه وأنزَرُ

ومن قصائده المطولة في المدح وما يتشبه به  
من سائر الأوصاف

قال في المنصور حفيدِ ابن أبي عامر :

|                               |                                |
|-------------------------------|--------------------------------|
| مرَّ بي عُصْنٌ عليه قَمَرٌ    | مُتَجَلِّ نوره لا يَنجُلي      |
| هَزَّ عِطْفِيهِ فقلُّنا إنَّه | ذو الفِئارِ اهتزَّ في كفِّ علي |
| ورأيتُ الناسَ صرعى حوله       | فكأنَّ اليومَ يومُ الحمل       |
| نلك أخبارُ زمانٍ قد مضى       | وأمرٌ في السنينِ الأوَّل       |
| زَمَنُ المنصورِ قوَّى منِّي   | وسرى همِّي وأحيا جدلي          |
| وسرورُ النفسِ مِن بعد الصِّبا | ناشِرٌ عَصْرَ الصِّبا والغَزَل |
| فاستطِيبَ العيشُ في بِلادِهِ  | فكأنَّ الناسَ في قُطْرُبِل     |
| وكانَ الشمسُ مِن يَهْجَتِها   | أبدأَ فيها بِبِرْجِ الحَمَل    |

١ ديوان ابن هاني : ٣٦٧ .

وله من أخرى في عباد :

فما جشأت نفسي عشيّة مشرف  
ولا ليغرابي دمنة الدار ظلتُ ذا  
مقام زمان مات عروّة حَسرة<sup>١</sup>  
فلو نال حظاً منه غيلان<sup>٢</sup> لالتقت<sup>٣</sup>  
ولا احتلبت عينيّ حزوي وفياء<sup>١</sup>  
سؤال وما عند الغرابين أنباء<sup>٢</sup>  
عليه وظلتُ تسفح الدمع عَفراء<sup>٣</sup>  
له صيدح فيه وميّ ودهناء

ومنها في ذكر طِفْلَيْن له :

أجشمتهم ليل القفار وظلمة الـ  
ولي منهما سهمان هذا ابن أربع<sup>١</sup>  
أضمتها والليل داج كأنهما  
فطوراً يخشيهما على ذكر الكرى  
وطوراً يمجّون الدجى ومطالـ<sup>٢</sup>  
فتضجرُ منهم أنفس ربما بكت<sup>٣</sup>  
بِحارٍ وكم ريعوا ولست يد إرخاء<sup>١</sup>  
وهذا ابن سِتّ كلما كان إغفاء<sup>٢</sup>  
هما نقطتا ياءٍ وجسمي هو الياء  
فتصبح أضواء عليهم ولألاء<sup>٣</sup>  
وما كان للغايات مطل وإرجاء<sup>١</sup>  
بكاء هو للصمّ الجلاميد لبكاء<sup>٢</sup>

ومنها :

فإن أفحمتنا هبة عُمريّة<sup>١</sup>  
بذلت انبساطات لنا عكويّة<sup>٢</sup>  
لديك لها في الشعر كسر وإقواء<sup>١</sup>  
لها بعد مومات المهاميه أفياء<sup>٢</sup>

١ يشير إلى قول ذي الرمة (غيلان) :

لقد جشأت نفسي عشيّة مشرف

٢ فيه إشارة إلى قول قيس لبنى ، وسيوضحه ابن بسام فيما يلي .

٣ ص : العشر .

صَبَدَحَ الَّتِي ذَكَرَهَا ذَاقَةُ غِيلَانَ ، والدَّهْنَاءُ وَطَنَهُ ، وَمِيَّ صَاحِبَتُهُ ، وَكَانَ  
ذُو الرِّمَّةِ يُلْهِجُ بِذِكْرِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فِي شِعْرِهِ . وَقَوْلُهُ [ ٩٠ ] « وَلَا لَغْرَابِي دِمْنَةَ الدَّارِ »  
... الْبَيْتُ ، أَشَارَ إِلَى قَوْلِ عُرْوَةَ بْنِ حِزَامٍ الْعُدْرِيِّ فِي عَتَفَرَاءَ بِنْتِ مَالِكِ  
الْعُدْرِيِّ ، وَتُنَشِّدُ الْآيَاتُ لِحُسْنِهَا ، وَلَكُونِ الْمَعْنَى فِرْعَاً مِنْ غُصْنِهَا :

أَلَا يَا غْرَابِي دِمْنَةَ الدَّارِ خَبَّرَا      أَبَاهُجِرٍ مِنْ عَتَفَرَاءَ تَنْتَحِبَانِ ؟  
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولَانِ فَانْهَضَا      بِلَحْمِي إِلَى وَكْرِيكَمَا فَكُلَا نِي  
وَلَا يَعْلَمَنَّ النَّاسُ مَا كَانَ مِيتِي      وَلَا يَأْكُلَنَّ الطَّيْرُ مَا تَنْدَرَانِ  
جَعَلْتَ لِعِرَافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ      وَعِرَافِ حَجَرٍ إِنْ هُمَا شَفِيَانِي  
فَقَالَا : شَفَاكَ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا لَنَا      بِمَا ضَمَنْتَ مِنْكَ الضَّلَاوُعُ يَدَانِ

وَضَرَبَ الْمَثَلَ بِهَيْبَةِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ مَشْهُورًا بِهَا ، وَبِإِنْبَاطِ  
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِي ابْنِ طَاهِرٍ<sup>٢</sup> أَمِيرٍ مَرْسِيَّةً وَقَتْبِيَّةً :

وَعَاجُوا عَلَى عُسْفَانَ وَاللَّيْلُ أَلَيْلٌ      وَمَرَّوًا<sup>٣</sup> بِذَاتِ الْبَيْنِ وَالصَّبْحُ مُسْفَرٌ  
وَحَازَتَهُمْ حَزْوَى ضُحَى وَتَرَوَّحُوا      بِمَنْعِجٍ وَاسْتَعْلَوْا أَبَانًا فَتَوَرَّوَا  
وَلَمَّا تَوَاقَفْنَا بِذِي سَلَامٍ      سَلَامٌ لِسَلَامِي ظِلٌّ يَخْفَى وَيَظْهَرُ  
شَعَرْتُ لَهُ وَالرَّكْبَ حَيْرَانُ غَافِلٌ      وَمَا شَاعَرُ أَمْرًا كَمَنْ لَيْسَ يَشْعُرُ

١ ديوان عروة : ١٦ ، ١٤ .

٢ يعني أبا عبد الرحمن بن طاهر ، وقد وردت ترجمته في القسم الثالث : ٤٤ — ٩٢ .

٣ ص : وهزوا .



رأتَ ظبيّةَ الرَّعساءِ عينيَ فهِتَجْتُ  
 سأبكي طُلُولاَ كُنتِ فيها مَطْلَعَةً  
 تَصَرَّمَ ذاكَ العيشُ إلّا لِدَكَارِهِ  
 فَنِيَّ طَاهِرِيَّ طَاهِرُ الثُّوبِ ذَكَرُهُ  
 لها ذَكَرَهُمُ وَالشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُدَكَّرُ  
 عليها وَكُلَّ اللَّيْلِ تَحْتَكِ مُقَمَّرُ  
 وإِلّا كَذُوباً فِي المَنَامِ تُزَوَّرُ  
 مِنَ المَسكِ أَذْكَى أَوْ مِنَ المَاءِ أَطْهَرُ

وله من أخرى في المعتضد<sup>١</sup> :

لَوْلَاهُمُ لَحَجَجْتُ أَوَّلَ حَسِجَةٍ  
 وَلَزَرْتُ حَمَصَ الْغَرْبِ أَغْرَبَ زَائِرٍ  
 وَزَحَمْتُ وادِيَهَا بِمِثْلِ عُبَابِهِ  
 وَأَرَيْتُهُ بَحْرًا يَفْساخِرُ قَعْرَهُ  
 حَرَّمَ الكَرَامِ وَطَالَ فِيهِ طَوَافِي  
 بِغَرَائِبِ كَالْحَلَّةِ الْأَفْوَافِ  
 مِنْ سَتَسْبِيلٍ فِي الْقُلُوبِ سُلَافِ  
 بِلَاغِي فِيهِ بِلَا أَصْدَافِ

ومنها في مدحه :

يَا حَاسِدِيهِ عَلَى عِلَا خُطَّتْ لَهُ  
 يَخْلِي الدِّيَارَ مِنَ الْجِسُومِ وَيَجْتَنِي  
 فَكَأَنَّمَا الْأَجْسَامُ بَعْدَ رُؤُوسِهَا  
 سَبَقَ الْقَضَا بِالنُّونِ<sup>٢</sup> بَعْدَ الْكَافِ  
 ثَمَرَ الرُّؤُوسِ وَطَرَفَةَ الْأَطْرَافِ  
 أَبْيَاتُ شَعْرِ مَا لَهَا قَوَافِ

قال ابن بسّام : أظنُّ ابنَ شَرَفٍ ، فيما وصفَ ، شبهَ الأجسامَ دونَ  
 رؤوسها بأبياتِ شعره في هذه القصيدة ، فليستَ لها مبادئ ولا قوافي ،

١ منها بيتان في المسالك ١١ : ٢٣٩ ، كما أن الأخير منها ورد في القسم الأول : ٢٨٣ .

٢ ص : القضاء النون .

وما أمتري أنَّ الغربةَ فَلَنتَ غربَ طَبْعِهِ ، وَغَسَلْتَ عن جَوَانِحِهِ ،  
وأطفأت نَارَ قَرَائِحِهِ .

ومن أشبه مدائحه قوله في عليّ بن أبي الرجال<sup>١</sup> بعض أمراء القيروان  
من قصيدة<sup>٢</sup> :

|                                          |                                        |
|------------------------------------------|----------------------------------------|
| جاورُ علياً ولا تحفل بحادثةٍ             | إذا ادّرتَ فلا تسألُ عن الأسَلِ        |
| لِسَمِّ حَكَاةِ المسمَى في الفَعَالِ فقد | حازَ العليّينِ من قولٍ ومن عَمَلِ      |
| فالماجدُ السيّدُ الحرُّ الكريمُ له       | كالنَّعْتِ والعَطْفِ والتوكيدِ والبدلِ |
| زَانَ العُلا وسواهُ شأها وكذا            | للشمسِ حالانِ في الميزانِ والحمَلِ     |
| وربما عابه ما يفخرونَ به                 | يُشْنَا من الخصرِ ما يُهوى من الكفَلِ  |
| سَلَّ عنه وانطِقَ به وانظرُ إليه تتجيدُ  | ملءَ المسامعِ والأفواهِ والمَقَلِ      |

وله من أخرى<sup>٣</sup> :

|                                       |                                     |
|---------------------------------------|-------------------------------------|
| ما لي كذا كلَّ ما طابَّ بَهْ عَسِيرُ  | وقد أخذتُ بحبِّ المطلبِ العَسِيرِ ؟ |
| مالي أجاذِبُ ذي الدُّنيا مُوَلِّيَّةُ | فكلُّ ثوبٍ عليها قدَّ من دُبُرِ     |

---

١ ص : الرجال ؛ وعلي بن أبي الرجال عالم شاعر كان راعي الأدب والأدباء في القيروان أيام  
المعز بن باديس ، وباسمه طرز ابن رشيّ كتاب العمدة ، وهو مؤلف كتاب البارع في أحكام  
النجوم وفي ترجمة ابنه محمود قال ابن الأبار (اعتاب الكتاب : ٢١٤) أنه كان هو وأبوه  
وأهل بيته برامكة إفريقية . (وانظر الفصل الخامس من كتابي : ملامح يونانية في الأدب  
العربي : ٧٥ - ٧٩) .

٢ وردت أبيات منها في ياقوت والصفدي والفوات والمسالك واعتاب الكتاب . وانظر السف

١٠٨ - ١١٠ والشريشي ٤ : ٢٢٣ - ٢٢٤ .

٣ منها بيتان في الشريشي ٢ : ١٠٠ (٤ : ٨٨) والتف : ١٠١ - ١٠٢ .

ومنها :

يُعْطِي الْجَزِيلَ مِنَ التَّنْوِيلِ مُعْتَذِرًا      وَرَبِّ مُعْطِي قَلِيلٍ غَيْرِ مُعْتَذِرٍ  
أَتَى الزَّمَانَ عَلَى يَأْسٍ بِهِ لِبَنِي الدُّ      نِيَا كَبْشَرَى بِمَوْلُودٍ عَلَى الْكِبَرِ  
إِنِّي وَجَدِكَ صَيَّرْتُ الْوَرَى نَهْرًا      وَقُلْتُ مَا قَالَه طَالُوتُ فِي النَّهْرِ<sup>١</sup>  
فَأَنْتَ عِنْدِي مِنْهُمْ غَرْفَةٌ<sup>٢</sup> بِيَدِي      حَلَّتْ وَحَرَّمَ بَاقِيَ النَّهْرِ فِي الزُّبُرِ

ومعنى البيت الرابع من هذه كقول أبي تمام، ونقص فيه عن التمام<sup>٣</sup> :

بُشْرَى الْغَنِيِّ<sup>٤</sup> أَبِي الْبَنَاتِ تَتَابَعْتُ      بِشْرَاوَهُ<sup>٥</sup> بِالْفَارِسِ الْمَوْلُودِ

وذكرت بقوله : « فكلُّ ثوبٍ عليها قدَّ من دُبُرٍ » قول القائل :

قَمِيصُ يَوْسُفَ لَمَّا قَدَّ مِنْ دُبُرٍ      كَانَتْ بَرَاءَتُهُ فِيهَا مِنَ الْكَذِبِ  
وَفِي قَمِيصِكَ لَمَّا قَدَّ مِنْ دُبُرٍ      مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الْفَحْشَاءِ وَالرَّيْبِ

وفي الحسن بن وهب يقول القائل :

إِذَا لَقِيتَ بَنِي وَهَبٍ بِمَنْزِلَةٍ      لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا الْأَنْثَى مِنَ الذَّكَرِ  
مُؤَدَّبُونَ عَلَى الْفَحْشَاءِ مِنْ صِغَرٍ      مَدْرَبُونَ عَلَى النُّكْرَاءِ فِي الْكِبَرِ  
يَحْتَكُونَ وَلَمْ تَقْطَعْ سَرَائِرَهُمْ      بَيْنَ الْخَوَاضِ وَالْدَايَاتِ بِالْكَسْرِ  
قَمِيصُ أَنْشَاهُمْ يُنَشِّقُ مِنْ قُبُلٍ      وَقَمِيصُ ذَكَرَانِهِمْ تَنْقُدُ مِنْ دُبُرٍ [٩١]

١ انظر الآية : ٢٤٩ من سورة البقرة .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ٤٠٤ .

## سائر مقطوعات له في أوصاف شتى

قال ١ :

لعل الله يفتك المعنى الـ  
وإن أرجو التخلص من عظيم  
لقد أنفذت من جلتدي دروعاً  
وصبراً لو نجسم لي ميجناً  
وأفقد ما طلبت فلم أجده  
فأصبح وهو للعنقاء ثان  
صحت بهذه الدنيا أناساً  
ولم أصحابهم وداً ولكن  
أسير فيغتيدي وهو الطليق  
فقد ينجو من اللجج الغريق  
زرين على الذي نسجت سلق  
كفاني ما رمته المنجنيق  
رفيق في صحابته رفيق  
وثاوي حيث فرخت الأنوق  
إذا غدروا فغدرهم وثيق  
كما جمع العدوين الطريق

لعله ذهب في هذا إلى قول أبي الطيب ٢ :

ومين نكث الدنيا على الحر أن يرى  
عدواً له ما مين صداقته بد

وقال :

بعيشك ناد أيامي وقئل هل  
لديك إلى مَرَد من سبيل

١ منها بيتان في المسالك ١١ : ٢٣٩ - ٢٤٠

٢ ديوان المتنبي : ١٨٤ .

أراك كما يرى المحتاجُ مالا . وقد مَلَكَبَتْ عليه يدُ البخيل  
أراحِلَة وما أبقيت مني سوى لحظٍ يترجمُ عن قميل  
وقد عاقبتِ بالعبراتِ عيني بلا ذنبٍ وما ذنبُ الرسول  
وجدتُ الناسَ كأنهمُ طُلُولا فلمْ أطيلِ الوقوفَ على الطُلُول  
وتسمعُ منهمُ ما لا تراه كسامعٍ ضربةِ السيفِ الصَّقِيلِ  
فمنْ بسواك باعك فاعنْ عنه كما استغنى علي عن عقيل

عقيلُ أخو عليّ بن أبي طالب كان وُلدَ معه توأماً . ولذلك قال :  
زوحِمتُ حتى في الرَّحِمِ . ولما كان يومُ صفّينَ هرب إلى معاوية وفارق  
أخاه علياً .

وقوله : « أراك كما يرى المحتاجُ مالا » . . . البيت . أراه توارد فيه  
مع ليدته وابن بلدته أبي عليّ بنِ رشيق حيث يقول <sup>١</sup> :

والصبحُ قد مَطَّلَ الليلُ العيونَ به كأنه حاجة في كفٍّ ضنينِ

وقال ابنُ شرف <sup>٣</sup> :

وما بلوغُ الأمانِ في مَواعِدِها إلا كأشعَبَ يَرْجو وَعندَ عُرُقوبِ  
وقد يخالفُ مكتوبُ القضاء يدي فكيف [لي] بقضاءٍ غيرِ مكتوبٍ ؟

١ ديوان ابن رشيق : ٢٢١ ( عن اللخيرة ) .

٢ ص : يد ؛ وصوبته بما يعني عن ارتكاب الضرورة .

٣ البيتان في معجم الأدباء ١٩ : ٤٣ ، والشريشي ٣ : ٣١٦ .

٤ ص : يقضا .

وقال ١ :

سَلَّ عَنْ رِضَايَ عَنِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ      كَرِضَى الْفُرْزْدَقِ عَنْ بَنِي يَرْبُوعِ  
لِلَّهِ حَالٌ قَدْ تَنَقَّلَ عَهْدُهَا      بِخِلَافِ نَقْلِ الدَّهْرِ حَالِ صَرِيحِ  
دَارَتْ دَرَارِيَّ الْخَطُوبِ قَوَاصِدَا      حَتَّى نَظَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ تَرْبِيعِ  
كَانَ صَرِيحُ الْغَوَانِي خَامِلًا فَوَلَاهُ بَنُو سَهْلٍ جُنْرَجَانِ فَشَرُفَ .

وقال :

أَهْلَ الصَّفَاءِ نَأَيْتُمْ بَعْدَ قُرْبِكُمْ      فَمَا انْتَفَعْتُ بِعَيْشٍ بَعْدَكُمْ صَافٍ  
وَقَدْ قَصِدْتَ نَدَى مَنْ لَا يُوَافِقُنِي      فَكَانَ سَهْمِي عَنْهُ الطَّائِشَ الْهَافِي  
أَرَدْتُ عَمْرًا وَشَاءَ اللَّهُ خَارِجَةً      أَمَا كَفَى الدَّهْرَ مَنْ خُلْفِي وَإِخْلَافِي ؟

وقال ٢ :

يَقُولُونَ سَادَ الْأَرْدَلُونَ بَعْصِرْنَا      وَصَارَ لَهُمْ قَدْرٌ وَخَيْلٌ سَوَابِقُ  
فَقُلْتُ لَهُمْ وَلِيَ الزَّمَانِ وَلَمْ تَزَلْ      تُفَرِّزُنِي فِي أُخْرَى الْبُيُوتِ الْبِيَادِقُ

وقال ٣ :

قَالُوا تَصَاهَلْتَ الْحَمِي      وَ فَقُلْتُ إِذْ عُدِمَ السَّوَابِقُ  
خَلَّتِ الْبُيُوتُ مِنَ الرِّخَا      فَتَفَرَّزْتَ فِيهَا الْبِيَادِقُ

١ الأبيات في الشريشي ٢ : ١٠٠ ( ٤ : ٨٨ ) والتتف : ١٠٤ .

٢ ورد البيتان في كتاب المقترح في جوامع الملح - باب الأشعار - (مخطوطة جامعة برنستون )  
وكتاب الآداب : ١٠٤ .

٣ البيتان في ياقوت والصفدي والفوات والتتف : ١٠٦ والغيث ٢ : ١٢ .

وقال :

شَمَكُوتُ حُزْنِي وَبَيْتِي إِلَى الْقَرِيبِ الْمَجِيبِ  
فَكَانَ عَقْبَايَ عَقْبِي نَبِيَّةَ يَعْقُوبِ

وقال <sup>١</sup> :

لَكَ مَنَزَلٌ <sup>٢</sup> كَمَلْتَ سِتَارَتَهُ لَنَا  
غَنَتِي الذَّبَابُ وَظَلَمَ يَزْمُرُ حَوْلَهُ  
لِيَلْسَهُوَ لَكِنْ تَحْتَ ذَلِكَ حَدِيثُ  
فِيهِ الْبَعُوضُ وَيَتَرَقُّصُ الْبَرْغُوثُ

وهذا كقول السَّمِيسِرِ <sup>٣</sup> :

ضَاقَتْ بِلَنْسِيَةِ بِي وَذَاذَ غَنِي غَمُوضِي  
رَقَصُ الْبَرَاغِيثِ فِيهَا عَلَى غَنَاءِ الْبَعُوضِ

ما أخرجته من مراثيه لأهل القيروان بلده

قال من قصيدة وصف فيها إذلال أهل سوسة جالية القيروان ،  
وهي طويلة قطفتُ عيونها :

أَهَ لِلْقَيْرَوَانِ أَنَّةَ شَجَسُو عَنْ فَوَادِ بِجَاحِمِ الْحَنْزُونِ يَصَلِي  
حِينَ عَادَتْ بِهِ الدِّيَارُ قُبُوراً بَلْ أَقُولُ الدِّيَارُ مِنْهُمْ أَخْلَى

١ البيهقي في ياقوت والمطرب والنفع ٣ : ٣٢٩ وبدائع البداهة : ٣٩٤ ( ونسبها فيه لابن  
رشيق ) والتنف : ٩٤ .

٢ البدائع والمطرب : لك مجلس .

٣ وردا غير منسوبين في القسم الأول : ٨٨٨ وهما للحصري في بدائع البداهة : ٣٩٣ .

ثُمَّ لَا شَمْعَةٌ سِوَى أَنْجَمٍ تَخُ طَوْعًا عَلَى أَفْقِهَا نَوَاعِيسَ كَسَلَى .  
 بَعْدَ زُهْرِ الشَّمَاعِ تُوَقَّدُ وَقَدْ أَمِيتَانِ الذُّبَالِ تُوَقَّدُ فِتْلًا  
 وَالْجُوهِ الْحِسانِ أَشْرَقَ مِنْهُنَّ م وَيَفْضُلْنَ مِنْهُنَّ مَعْنَى وَشَكْلًا  
 لَوْ رَأَيْتَ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ سَهْوُ الْمَلِكِ وَعَرَأَقْدَ صَبَّروا الْوَعْرَ سَهْلًا

ومنها :

بَعْدَ يَوْمٍ كَأَنَّمَا حُشِرَ الْحَلَاءُ قُ حُفَاةٌ بِعِ عَوَارِي رَجُلِي  
 وَلَهُمْ زَحْمَةٌ هُنَاكَ تَحْكِي زَحْمَةَ الْحَشْرِ وَالصَّحَافُ تُتْلَى  
 وَعَجِيجٌ وَضَجَةٌ كَضَجِيجِ الْخَلْقِ يَبْكُونَ وَالسَّرَائِرُ تُبْلَى  
 مِنْ أَيْامِي وَرَاءَهُنَّ ١ يَتَامَى مَلُثُوا حَسْرَةً وَشَجَوْا وَثُكُلًا [٩٢]  
 وَثُكُلَى أَرَامِلًا حَامِلَاتٍ طِفْلَةٌ تَحْمِلُ الرِّضَاعَ وَطِفْلًا  
 وَحَصَانٍ كَأَنَّهَا الشَّمْسُ حُسْنًا كَفَتَتْهَا الْأَطْمَارُ نَجْلَاءَ كَحَلَا  
 فَاتَ كَرْسِيَّهَا الْجِلَاءُ ٢ فَأَضْحَتْ فِي ثِيَابٍ ٣ الْجِلَاءَ لِلنَّاسِ تُجَلَى  
 جَارَ فِيهِمْ زَمَانُهُمْ وَأُولُو الْأُمَمِ رِفَافَةً رَوَايَةُ رَجُونَ فِي الْأَرْضِ عَدَلًا  
 تَرَكُوا الرِّيعَ وَالْأَثَاثَ ٤ وَمَا يَبَى قَتْلُ لَا حَامِلٍ ٥ مِنَ النَّاسِ ثِقْلًا  
 لَيَسِسُوا الْبَالِيَاتِ مِنْ خَشِينِ الصُّو فَيَغْلُو النَّبِيَهُ فِي النَّاسِ غُفْلًا ٥

١ ص : وراءهم ، ولعلها « وراءهم ويتامى » .

٢ ص : ثياب . ٣ الذخيرة ١ : ٩١ .

٤ ص : والآثاث .

٥ ص : لتمدوا البنية . . . غفلا .



نادبات ، عَفْرَاءُ تُسْعِدُ سَعْدِي  
 ليس منهنَّ مَنْ يُودَّعُ جَاراً  
 كلهنَّ اعتلى الفراقُ عليه  
 فإذا القَفَرُ ضمَّهم فوق الدَّهْ  
 مِينِ ثَعَابِينَ حَامِلِينَ نِيوباً<sup>١</sup>  
 وشياطينَ راحينَ يُلاقو  
 فترى للظهور<sup>٢</sup> تُعْتَلُ عَتَمَلَاً  
 فإذا مَطْمَعٌ أَصابوه في أَحَدٍ  
 فإذا نَجَّتِ<sup>٣</sup> المقاديرُ مِنْهُمْ  
 لَتَقِيَّ الهونَ في المذلَّةِ أَنتَى  
 ليس يلقى إلا أُمراً مُسْتَطِيلاً  
 فترى أَشرفَ البريةِ نَفْساً  
 فهمُ كَلَمَا نَبَتَ بِهِمْ أُرْ  
 مُزَّقُوا في البلادِ شَرْقاً وَغَرْباً  
 لا يلاقي النسيبُ منهم نَسِيباً  
 ليت شعري هل عَوْدَةٌ لِي فِي الغَيَّةِ

وسُعَادُ تُجِيبُ بِالنَّوْحِ جُمَلَا  
 لا ولا حُرْمَةً تُشِيْعُ أَهْلَا  
 فاقننهمنَ الجلاءَ حَفَلَا فَمَحَفَلَا  
 رُطُمٌ غَيْرَ ذَلِكَ النَّبِيلِ نَبِلَا  
 عُصَلَا : ذَابِلَا وَنَبِلَا وَنَصَلَا  
 نَ بِحَوْنِ الفلا مساكينَ عَزَلَا  
 وتُشَقُّ البطونُ تُغسلُ غَسَلَا  
 شاءَ قَدُومٍ عَمَّوَا بِذَلِكَ كُتَلَا  
 راحِلَا بِالْخِلَاصِ يَتَحَمَّلُ رَحَلَا  
 كانَ مِنْ سَائِرِ البلادِ وَحَلَا  
 طَالِبَا عِنْدَهُ حَقُودَا وَذَحَلَا  
 نَاكِسَا رَأْسَهُ يُثْلَاطِفُ نَذَلَا  
 ضُ مطايا الفِراقِ خَيْتَلَا وَرَجَلَا  
 يَسْكُبُونَ الدَّمُوعَ هَطَلَا وَوَبَلَا  
 يَتَعَزَّى بِهِ وَلَا الخَيْلُ خِيَلَا  
 بَ إِلَى مَا أَطَالَ شَجْوِي أَمْ لَا ؟

١ ص : فرق .

٢ ص : ليوثاً .

٣ ص : الظهور .

٤ ص : أحشأ قد .

٥ ص : خبث .

قوله « حين عادت به الديار قبوراً » يشبه من وجه قول أبي تمام <sup>١</sup> :  
وما القفر بالبيلد القواء بل التي      نبتت بي وفيها ساكنوها هي القفر  
وأخذه بعض أهل عصري وزاد فقال :  
ثاور بحمص كأنما هي قبره      لو لم يقاس بها صروف زمانه  
وقوله « ثم لا شمعنة سوى أنجم » ينظر إلى قول محمد بن هانيء  
الأندلسي <sup>٢</sup> :  
وبات لنا ساق يقوم على الدجى      بشمعة صبح لا تقط ولا تطفأ  
ويروى « بشمعة ليل » ، وإنما أخذه من قول أبي الحسن سليمان  
ابن حسان النصيبي <sup>٣</sup> :  
ولن يك ليلاً في نهاراً      فشمعة بددته ليست تقط  
وربما توارد معه لأنه كان معاصره ، إلا أن ابن هانيء أقدم موتاً ،  
حكى أبو علي في رسالة « قراصة الذهب » <sup>٤</sup> أنه مات سنة اثنين  
وستين وثلاثمائة .

١ ديوان أبي تمام ٤ : ٥٧٠ .

٢ ديوان ابن هانيء : ٢٣٨ .

٣ سليمان بن حسان النصيبي : أحد شعراء اليتيمة ( ١ : ٤٢٥ ) وهذا البيت لم يرد هناك .

٤ لم أجد هذا في قراصة الذهب ، فلعل ابن بسام وهم أولعل ما بين أيدينا من قراصة الذهب ناقص ؛ عل أن كل المصادر التي ترجمت لابن هانيء جعلت وفاته سنة ٣٦٢ .

وقال ابنُ شَرَفٍ من قصيدةٍ وَصَفَ ما كان من صِيَانَةِ الحَرَمِ في  
أوطانها ، ثم ما صارتُ إليه من الانكشافِ في الحِلِّ والترحال ، ورُكوبِ  
ظهورِ الخِيطوبِ والأهوال ، يقول فيها <sup>١</sup> :

|                                      |                                           |
|--------------------------------------|-------------------------------------------|
| بعدَ خُطوبٍ خَطَبَتْ مُنْهَجِي       | وكانَ وَشْكُ البَيْنِ إِمَارَهَا          |
| ذَا كَبِيدِ أَفْلَازُهَا حَوَلَتِهَا | قَسَمَتِ الغُرْبَةُ أَعْشَارَهَا          |
| أَطَافِلٌ مَا سَمِعَتْ بِالْفَلا     | قَطُّ فَعَايَنْتُ الْفَلا دَارَهَا        |
| وَلَا رَأَتْ أَبْصَارُهَا شَاطِئًا   | ثُمَّ جَلَّتْ بِاللَّجِ أَبْصَارَهَا      |
| وَكَانَتْ الْأَسْتَارُ آفَاقَهَا     | فَعَادَتِ الْآفَاقُ أُسْتَارَهَا          |
| وَلَمْ تَكُنْ تَعْلُو سَرِيرًا عَلا  | إِلَّا إِذَا وَافَقَ مِقْدَارَهَا         |
| ثُمَّ عَلَّتْ كُلَّ عَثْوٍ الْخُطَا  | يَرْمِي بِهَا الْأَرْضَ وَأَحْجَارَهَا    |
| وَلَمْ تَكُنْ تَلْحَظُهَا مُقْلَةً   | لَوْ كَتَحَلَّتْ بِالشَّمْسِ أَشْفَارَهَا |
| فَأَصْبَحَتْ لَا تَتَّقِي لِحَظَةً   | إِلَّا بِأَنْ تَجْمَعَ أَطْمَارَهَا       |

قوله « وكانت الأستارُ آفاقها » من الكلام الفصيح ، والقلب الملتح .  
ويُسَبِّحُه مَنَحَاهُ ، وإن لم يكنْ في معناه ، قَوْلُ الأوَّلِ <sup>٢</sup> :

١ مي في التنف : ٩٩ نقلا عن معالم الإيمان .  
٢ البيت لعبد الله بن الزبير الأسدي في الحماسة (شرح المروني : ٩٤١) وزهر الآداب :  
٤٠٥ ونسب في أمالي القاضي ٣ : ١١٥ للكميت بن معروف ، وانظر اللسان (سد) والعموني  
٢ : ٤١٧ كما نسب في أنساب الأشراف (٤ / ١ : ١٣٤) لأيمن بن خريم (وفي ص :  
60 من المصدر الأخير تحريجات كثيرة أخرجه يتضح منها أنه ينسب في بعض المصادر  
لفضالة بن شريك) .

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السَّوَدَ بِيَضًا      وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سَوْدًا

وكقول الآخر :

نَدِيمِي جَارِيَّةٌ سَاقِيَّةٌ      وَنُزْهَتِي سَاقِيَّةٌ جَارِيَّةٌ

وله من أخرى <sup>١</sup> :

كَأَنِّي وَأَفْرَاحِي إِذَا اللَّيْلُ جَنَّتَا      وَبَاتَ الْكَرَى يَجْفُو جَفُونًا وَيَطْرُقُ  
حَمَائِمُ أَضْلَلْنِ الْوَكُورَ فَضَعَّهَا      تَعَجَّأْنَسُهَا حَتَّى تَرَايَ الْمَفْرُقُ  
إِذَا أَفْزَعَتْهُمْ <sup>٢</sup> نَبْؤُهُ زَاحِمُوا لَهَا      ضُلُوعِي حَتَّى وَدُّهُمْ لَوْ تَفَافَتْ  
وَيَصْغُرُ جِسْمِي عَنْ جَمِيعِ احْتِضَانِهِمْ      فَيَثْبُتُ ذَا فِيهِ وَذَا عَنْهُ يَزْهَقُ  
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَتَسَكَّنُوا ظِلَّ نِعْمَةٍ      لَهَا بِهَجْجَةٍ مِثْلُ الْعَيُونِ وَرَوْنَقِ  
إِلَى أَنْ غَدَوْا قَتِيءَ الْفَيَافِي فَتَارَةً      تَبَاعُ وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَاءِ تَعْتَقُ  
وَطُورًا عَلَى مَوْجِ الْبِحَارِ كَأَنَّنَا      قَدْ بَيَّ قَدْ وَثِقْنَا أَنَّا لَيْسَ نَغْرَقُ [٩٣]  
وَنَحْنُ نَفُوسٌ تِسْعَةٌ لَيْسَ بَيْنَنَا      وَبَيْنَ الرَّدَى إِلَّا عُوْدٌ مُلْتَفِقُ

نظم هذا من قول الفيلسوف <sup>٣</sup> وقد ركب ستمينة فقال للملاح :  
كَمْ غِلْظُ لَوْحِ سَتْمِينَتِكَ ؟ قال : لصبعان . قال فلنما بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَوْتِ  
لصبعان .

١ الأبيات في المسالك ١١ : ٢٤٠ .

٢ المسالك : قرعته .

٣ ينسب هذا القول إلى أناخريس في صوان الحكمة : ٢٤٧ ( ط ، طهران ) .

وقوله « إذا أفرغتهم نبوة » . ن . البيهقي ، بناءً على قول امرئ القيس ،  
 إلا أن الوجد لَدَعَهُ لَدَعَةً أنطقته بالخال . وقولته السَّحَرُ الحلال ،  
 فعلمته كيف يُفَتَّتُ الأكباد ، ويَفُتُّ في الأعضاء . وهو قوله ١ :

إذا أخذتها هِزَّةَ الرُّوعِ أَمْسَكَتْ بِمَشْكَبِ مِقْدَامٍ عَلَى الْهَوْلِ أَرْوَعَا

وقال من أخرى ٢ :

|                                  |                                   |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| يا قيروانُ ودِدْتُ أُنِي طائرُ   | فأراكِ رُؤيةَ باحثٍ مُتأملٍ       |
| أهاً وأيّةُ آهةٍ تشنفي جوى       | قلبٍ بنيرانِ الصَّباةِ مُضطلي     |
| أبدتْ مَفاتيحُ الخطوبِ عجائباً   | كانت كوامينَ تحت غيبٍ مُقفلٍ      |
| زعموا ابن آوى فيك يعوي والصدى    | بذراكِ يصرُخُ كالحزينِ المشكّلِ   |
| يا بيدَ روضةٍ ٣ والشوارعُ حولها  | معمورةٌ أبداً تغص وتتملي          |
| يا أربعي في القُطْبِ منها كيف لي | بمعادٍ يومٍ فيك لي ومن أين لي ؟   |
| يا لوشهدتِ ، إذا رأيتكِ في الكرى | كيف ارتجاع صباي بعد تكهّل         |
| لا كثرةُ الإحسان تنسي حسرةً      | هيهات تذهبُ علّةُ بتعلّل          |
| وإذا تجددتْ لي أخٌ ومُتّادِمٌ    | جددتُ ذكر إخاءٍ خلّ أوّل          |
| « لو كنتُ أعلمُ أن آخرَ عهدهم    | يومُ الرحيلِ فعلتُ ما لم أفعَلِ » |

١ ديوان امرئ القيس : ٢٤٢ .

٢ منها خمسة أبيات في التثنية : ١١٠ عن معالم الإيمان .

٣ روضة بالأندلس ، والشاعر يندب معاهده بالقيروان ، فلعل فيه تصحيحاً .

وهذا البيتُ بلخير ، وإنما تضمّنه ، وبعده قولُ جرير ١ :

لو كنتُ أحذرُ وشكَّ بينِ عاجِلٍ لَقَمَنْتُ أو لَسَأَلْتُ ما لم يُسألِ

وقوله « واذا تجددَ لي أخٌ ومُنَادِمٌ » من قول أبي تمام :

نَقَلْتُ فُؤادَكَ حَيْثُ شَتَّ مِنَ الْهَوَى ما الْقَلْبُ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

وقال أبو الحسنِ الرضويّ ٢ :

ما سَاعَدْتَنِي اللَّيَالِي بَعْدَ بَيِّنَتِكُمْ إِلَّا ذَكَرْتُ لِيَالِينَا بِذِي سَلَمٍ

وقال ابنُ شرفٍ من قصيدة ٣ :

كَأَنَّ الدِّيارَ الْخَالِيَاتِ عَرَائِسُ  
وَتُنَكِّرُ بِقِيَاهَا الْأَسِيرَةَ حُسْرًا  
إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ تَمَكَّنَتْ  
وَلَا سُرْجٌ إِلَّا النُّجُومُ وَرَبَّمَا  
يَمُرُّ عَلَيْهَا الْمَوْرُ يُسْحَبُ لُحْفُهُ  
وَيَمْتَدُّ عَمْرُ الصَّوْتِ فِيهَا وَرَبَّمَا  
فَلَوْ نَطَقَتْ مَا كَانَ أَكْثَرُ نَطْقِهَا  
إِلَّا قَمَرٌ إِلَّا الْمُقَنَّعُ فِي الدُّجَى  
كَوَأَسَدٌ قَدْ أَزْرَتْ بَيْنَ الضَّرَائِرِ  
عَوَاطِلَ لَا تَفْشِي لَهْنَ السَّرَائِرِ  
بِهَا وَحْشَةٌ مِنْهَا الْقُلُوبُ نَوَافِرِ  
تَغَطَّتْ فَسَدَتْ جَانِبَيْهَا الدَّيَاجِرِ  
وَلَا كَانَسٌ إِلَّا الرِّيحُ الْغَدَائِرِ  
تَجُودُ مَرَارًا بِالْكَلامِ الْمُقَابِرِ  
سِوَى قَوْلِهَا أَيْنَ الْخَلِيطُ الْمَعَاشِرِ ؟  
فَأَيْنَ اللَّوَاتِي لَيْلَهُنَّ الْمَعَاجِرِ ؟

١ ديوان جرير : ٩٤٠ .

٢ ديوان الرضوي ٢ : ٢٧٥ .

٣ منها ثلاثة أبيات في معجم الأدباء ١٩ : ٤٢ وأحد عشر بيتاً في التنف : ٩٨ عن معالم الإيمان .

ألا منزلٌ فيه أنيسٌ مغالطٌ      ألا منزلٌ فيه أنيسٌ مجاورٌ ؟  
تُرى سيئات القيروانِ تعاطمتُ      ألم تكُ قدماً في البلادِ الكبائرُ ؟  
ضجَرَ أبو عبد الله - عفا الله عنه ؛ وفيها يقول :

ترحلَ عنها قاطنوها فلا ترى      سوى سائرٍ أو قاطنٍ وهو سائرُ  
تكشفتِ الأستارُ عنهم وربما<sup>١</sup>      أقيمتُ ستورٌ دونهم وستائرُ  
إذا جاذبتُ أستارها تبتغي بها      لأقدامِها سترًا تَبَدَّتْ غدايرُ  
تبيتُ على فُرُشِ الحصى وغِطاؤها      دوارسُ أسمالٍ زَوَارٍ<sup>٢</sup> حقايرُ  
فيا ليتَ شعرَ القيروانِ مواطني      أعائدةٌ فيها الليالي القصائرُ ؟  
ويا روحتي بالقيروانِ وبكرتي      أراجِعةٌ روحاتها<sup>٣</sup> والبواكرُ ؟  
كأن لم تكنْ أيماناً فيكِ طَلْقَةً<sup>٤</sup>      وأوجهُ أيامِ السُرورِ - سوافرُ  
كأن لم يكنْ كلٌّ ولا كان بعضُه      سيمضي به عصرٌ ويمضي المعاصيرُ<sup>٥</sup>

قوله « كأنَّ الديار الخاليات » ينظرُ من وجهٍ إلى قولِ أبي تمام :  
وكذاك لم تُفْرِطْ كآبةٌ عاطلٍ      حتَّى يُجاورَها الزَّمانُ بحالي  
وقال ابن شرفٍ من أخرى :

١ يا قوت : من أهلها وكم .

٢ التفت : عليها

٣ التفت : روحاتها .

٤ التفت : وتمضي المعاصير .

٥ ديوان أبي تمام ٣ : ١٣٢

سقى القصرَ فالميدانَ أخلاقاً مزنة  
على أنه مرمى<sup>١</sup> نبتت عنه أسهجي  
أناديه والبحرُ المحيطُ مجاوي  
وقرطبة ضمت إليها جوانحي  
نزلنا [بها] لا نبتغي السوق عندها  
وأحيا ابنُ يحيى ميّتاتِ خواطري  
أبا حسن أحسنت بدءاً وعودة<sup>٢</sup>  
فلم يرَ بؤس<sup>٣</sup> إذ وليتَ أمورَها  
وكم لقيت حربَ الأزارقِ منهم<sup>٤</sup>  
وراحت على الروحامِ منها ألفاويق<sup>٥</sup>  
فلا حَزَّ لي في الأفقِ منه ولا فوق  
ودوني خليج<sup>٦</sup> منه أفيحُ مخروق  
كما ضم<sup>٧</sup> من عفراءِ عروّة تعنيق  
فما كان بدءاً أن أقيمت لنا سوق  
وفسّحَ آمالي وكان بها ضيق  
وللفصنِ إثماراً إذا كان توريق  
ولا كسدت سوق<sup>٨</sup> إذا التفتت السوق  
وكم زرقت في جانبيها المزاريق

قال ابن بسّام : وكثيراً ما يذكرُ ابنُ شرفٍ في شعره أحياءَ الأعرابِ  
التي أخرجتهم من القيروان كبنّي هلالٍ [٩٤] وقرة وزُغَبَة وهم الذين تولّوا  
حرب بلدِهِ في التاريخ المتقدم الذكر ؛ فمن ذلك قصيدة<sup>٩</sup> أوّلها ٣ :

جُسومٌ على حُكْمِ العيونِ صحاحُ      وفي طيِّ أحناءِ الضلوعِ جراحُ  
يقول فيها :

إذا كان للأحبابِ رسلٌ فرُسلنا      بروقٌ إلى أحبابنا ورياح  
ومن دونِ تلك الرُّسلِ أخضرُ زاهرٌ      أجاجٌ ومهجورُ الفجاجِ فتياح

١ ص : مرعى .

٢ ص : إلا

٣ منها بيتان في معجم الأدباء ١٩ : ٤٢ وثلاثة في التنف عن معالم الإيمان .



وللسهمِ دون القبروانِ تسهّمُ  
وقرّةٌ قد قرّتْ هناكَ عيُونُها  
كأن لم يكنْ لي أمْسٍ في عَرَصاتها  
يخيّلها زورُ الكرى لي في الدُّجى  
كُسيّتْ قنّاعَ الشَّيْبِ قَبْلَ أوانه  
ويا ربَّ وجهٍ فيه للعَيْنِ مَنزَرةٌ  
وأهجره وهو اقتراحي من الورى  
وما شوكتُه إلّا ظبا ورماح  
وزُغْبَةٌ ريشَت زُغْبُها ورياح  
من العيشِ جدّ طيّبٌ ومُزاح  
فأرغبُ في ألا يلوّحَ صباحُ  
وجسّمي عليه للشبابِ وشاح  
أمانعُ عيني منه وهو مُباحُ  
وقد تهجّرُ الأمواهُ وهي قَرّاحُ

وهذا مصراعُ بيتِ المعريّ ١ :

« والعذبُ يهجرُ للإفراطِ في الخَصَرِ »

وقوله : « يخيّلُها زورُ الكرى » ألمّ فيه ابنُ شرف بقولِ العباسِ ابن  
الأحنف ٢ :

حتى أقول إذا استيقظتُ من أسفٍ يا ليتني كنتُ دهري راقداً أبداً

وله من أخرى يمدحُ الأمينَ ابنَ السَّقاء :

فيا أخويّ من أسدٍ وسعدٍ أحيّ حيّ زُغْبَةَ أم دفينُ  
فلا اشتملتُ مساكنها بشملٍ ولا هدأَ القرارَ به سُكونُ

١ شروح السقط : ١٢٠ وصدّره : لو اختصرتم من الاحسان زدتكم ؛ وقد كرر ابن بسام  
الاستشهاد به في مواطن .

٢ لم يرد في ديوان العباس .

ولا سَرَّتِ الرِّيحُ على رِيَّاحٍ      لو اَقْبَحَ مَزْنَةٌ أَنَّى تَكُونُ  
 فَقَدْ دَارَتْ عَلَيْنَا مِنْ رَحَاهَا      طَحُونُ" كُلَّمَا لَاقَتْ زَبُونُ  
 فَلَا وَطَنُ لَنَا إِلَّا الْمَطَايَا      وَإِلَّا الْمَاءُ طَوْرًا وَالسَّفِينُ  
 لَعَلَّكَ أَيُّهَا الْبَرْقُ الْيَمَانِي      إِذَا كَشَفْتَ عَنْ خَبْرٍ تَبِينُ  
 أَفِي وَكُنَّا هِيَ عُقْبَانُ قَوْمِ      كَعَهْدِي أَمْ خَلَّاتْ مِنْهَا الْوُكُونُ  
 وَبَيْنَ قِبَابِ صَبْرَةٍ وَالْمُصَلَّى      نَهَى وَمَهَا وَأَسَادُ وَعَيْنُ  
 وَأَجْبَالُ تَمُورُ بِهَا الْمَذَاكِي      وَأَقْمَارُ تَمِيسُ بِهَا الْغُصُونُ  
 وَقَرْطُبَةٌ أَعِيدَتْ قَيْرَوَانًا      لَنَا لَمَّا دَهَتْ تِلْكَ الْفَتُونُ  
 وَكَيْفَ يَضِيعُ مِثْلِي فِي مَكَانٍ      يَكُونُ بِهِ أَبُو الْحَسَنِ الْأَمِينُ  
 أَيَّامُنُ أَنْ تَكُونَ النَّوْنُ رَأَى      وَقَدْ وَجِبْتُ لَهُ رَأَى وَنُونُ

انتهى ما أخرجه من أخبار ابن شَرَف ، ونقلوا ذلك بطرف من أخبار  
 ابن السَّقاء مدبِّر الدولة الجُهورية بقَرْطُبَةٍ ، ونُشِيرُ إلى مَقْتَلِهِ ، ونُلَمِّعُ  
 بذكرِ أولِهِ ، وكيف ارتقى من الخُضِيِّضِ ، إلى ذُرْوَةِ الْجَاهِ الْعَرِيفِ ،  
 حتَّى زاحَمَ نَجْمَ الْإِفْلَاقِ ، ومَلَأَ صُدُورَ الْأَمْلَاقِ ، وسارت عنه في السَّياسَةِ  
 أخبار ، مَحَّتْ أَضْوَاءَ الْأَسْحَارِ ، وَعَطَّرَتْ أَنْفَاسَ الْأَزْهَارِ .

جملة من أخبار ابن السقاء القرطبي ، مدبر الملك الجهوري

قال ابن حَيَّان : كان أبو الحسن إبراهيم بن محمد بن يحيى المعروف  
 بابن السَّقاء قد كابد من شَطَطِ الْمَعِيشَةِ فِي فِتْنَةِ سَنَتِهِ مَا لَا شَيْءَ فَوْقَهُ ، إِذْ

كان يعالجُ السَّقَطَ بِسُويقةِ ابنِ أبي سُنَيانَ في قُرطبةَ ببضاعةِ نَزرةَ ، وأعلى ما انتقل إليه عند إكدامِ تلكِ الحُرقةِ الاستخراجُ في جهةِ الأحباسِ ، وراثتهُ<sup>١</sup> عن والدهِ محمدَ السَّقَاءِ : وبأسبابها خدَمَ القضاةَ وتمرَّنَ مع الفقهاء ، وهو يقتاتُ معيشتهُ مياومةً ، ويأوي ليله إلى بيتٍ في دويرةِ والدهِ محمدٍ بجوفِ المسجدِ الجامعِ ، يحاضرُ فيه جماعةً إخوةً لا يجدُ بينهم إلى مدتهِ ساقيةً سبيلًا . وما هو إلا أن حَمَلَ الأمانةَ على كاهله ، فوضعها أسفلَ رجله ، وتذكَّرَ عَضَّ الكلابِ لعَصاه ، فتحوَّلَ جُرْدًا للسرِّ والخبائنةِ ، وابتنى القصورَ المنيعَةَ ، واقتنى الضياعَ المُغليَّةَ ، إلى أملاكٍ لا تُحصى كثرةً .

قال ابنِ بسَّامٍ : وقد رأيتُ ابنَ حَيَّانَ مَدَحَ ابنِ السَّقَاءِ في غيرِ ما مَوَّضِعٍ مِنْ كتابه ، فقال فيه في فصل :

وصار مِنْ المناجحِ لِلدَّولَةِ الجَهورِيَّةِ أن استعانَ فيها الوزيرُ الرَّئيسُ أبو الوليدِ جَهورٌ على أمرِهِ بالأَمينِ أبي الحسنِ إبراهيمَ بنِ محمدٍ ، مُتَوَلِي النَّظَرِ في المسجدِ الجامعِ على قديمِ الأَيَّامِ . خادِمِهِ الكافي المُنْقَطعُ إليه ، وَتَصْبِيحِهِ المُتَهَالِكِ<sup>٢</sup> في طاعته . فتفرَّسَ فيه فِراسةً مِثْلِيَّةً ، فَقَلَّدَهُ القِيَامَ بِأَعْبَاءِ دَوْلَتِهِ ، فَأَصَابَ نَقَافًا يَخْدِمُ<sup>٣</sup> ، وَنَقَلَدَ فيما يُرِيدُ عَنْهُ كَالسَّنَنِ اللَّهْنَمِ ، لِحُدُودِ اسْتِقْلَالِهِ ، وَرَجَاحَةِ وَزْنِهِ .

ثم ذَكَرَهُ بعدَ مَقْتَلِهِ فقال : وهذه عَصْفَةٌ مِنْ عَصَفَاتِ الدَّهْرِ الخَوَّونِ ، الَّذِي هُوَ لِمَنْ أَصْغَى إِلَيْهِ أَنْصَحُ الواعِظِينَ [٩٥] . قَصَفَتْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ

٢ ص ، وتصبغه التهلك .

١ ص : وارثه .

٣ ص : يحدث .

الظالم — كان — لنفسيه ، الغاشم المصطنعيه ، سرحة نؤارة أطال الباطل مُرَعَهَا  
 مِن غِيْرَاسٍ أودع خضرَاءَ دِيْنَنَةٍ : فَمَوَّهَ عَلَى أَهْلِ وَقْتِهِ بِلِيَانَةٍ كَانَتْ  
 فِيهِ سَوْقِيَّةٌ ، وَخِلَابَةٌ جَبِيلِيَّةٌ ، عَصَدَهَا جَدٌّ صَاعِدٌ رَقَاهُ مِنَ الْحَضِيضِ  
 إِلَى السَّهْمَا ، وَحَرَسَتْهُ إِلَى مُدَّةٍ اجْتَدَبَتْهُ عِنْدَ تَوْفِيْهَا أَعْرَاقُهُ اللَّثِيْمَةُ ،  
 فَتَوَلَّى ذَمِيْمًا لِسُوءِ أَفْعَالِيهِ ، فَلَا سَمَاوُهُ بِكَتُّ عَلَيْهِ وَلَا أَرْضُهُ . وَقَدْ كُنْتُ  
 كَتَبْتُ مِنْ وَصْفِ ظَاهِرِ مُحَاسِنِهِ أَوَّانَ اعْتِلَاقِهِ بِقَهْرَمَةٍ أَمِيرِنَا مُحَمَّدِ بْنِ  
 جَهَنوَرٍ ، وَعَدَدْتُ مِنْ حِسَانِ خِيصَالِيهِ مَا لَمْ يَبْعُدْ عَنِ الصِّدْقِ عَنْهُ ،  
 لِأَخِذْنَا بِظَاهِرِ مَا تَمَوَّهَ فِي الْعِيُونِ وَقَتَ بَنَائِهِ لِنَفْسِيهِ ، وَتَنْفِيْقِيهِ لِكِسَادِهِ ،  
 مِنْ طَيَّاتِ الْخُلُقِ ، وَحُسْنِ الْإِحْتِمَالِ ، وَلِيْنِ الْحِيْجَابِ ، وَخِفَةِ الْمَوَاطَاةِ ،  
 وَجَوْدَةِ الْوَسَاطَةِ ، مُعْرِضِيْنَ فِيهِ عَنِ ذِكْرِ مَا لَمْ يُمْكِنَ لَنَا النَّمِثُ عَنْهُ مِمَّا فِي  
 بَاطِنِهِ مِنْ نَذَالَةِ الْخِيْمِ ، وَنَطْفِ الصُّحْبَةِ ، وَتُهْمَةِ الْخُلُوعِ . وَإِذَا بِهِ  
 مُتَخَلِّقٌ لِيَسْمُوَ إِلَى مُرَادِ أُنَالِهِ الْمِقْدَارُ إِيَّاهُ ، فَتَنَّةٌ مِنَ اللَّهِ . فَلَمْ يَلْبِثْ  
 أَنْ أَدْرَكَهُ عَيْرِقُ السَّوْءِ ، وَاجْتَذَبَهُ إِلَى نَصْرِ طَبَاعِيهِ ، فَاسْتَحَالَ وَتَغَيَّرَ ،  
 وَعَنَّا وَاسْتَكْبَرَ ، وَخَانَ وَغَدَرَ ، فَاسْتَخَفَّ الْمَظْلَمَ ، وَاسْتَهَانَ الْكِبَائِرَ ،  
 وَاطَّرَحَ الْفُرُوضَ ، وَاحْتَقَرَ الْحُقُوقَ ، وَاغْتَرَى بِذَوِي الْهَيْثَاتِ ، وَحَمَلَةَ  
 الْمُرَوَّاتِ ، فَأَذَالَ صَوْنَهُمْ ، وَأَغْرَى غَاشِيَتَهُ مِنْ سَيْفَلَةِ النَّاسِ وَأَوْغَادِهِمْ  
 بِهِمْ ، فَأَضْرَعَ خُدُودَهُمْ ، وَحَطَّ أَقْدَارَهُمْ ، وَأَشْعَرَ الْأَعْيَزَةَ الذَّلَّةَ ،  
 وَالصَّنْقَ أَنْوَفَهَا بِالرَّغَامِ ، وَأَصْمَتَهَا عَنِ الْكَلَامِ . فَارْتَفَعَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ  
 جُمْلَةً ، وَوَسَعَ أَهْلَ السَّلَامَةِ الدُّخُولُ تَحْتَ التَّقِيَّةِ . فَصِيرْنَا مِمَّنْ  
 أَخَذَ بِذَلِكَ فِي ذِكْرِهِ ، فِيمَا كَتَبْنَا لَهُ مِنْ ظَاهِرِ أَخْبَارِهِ مُدَّةَ سِتْرِ اللَّهِ  
 عَلَيْهِ ، إِلَى أَنْ ارْتَفَعَتْ بِزَوَالِ سُلْطَانِيهِ ، وَأَمَانَ عُدُوَانِيهِ ، فَفَارَقْنَا

الحَزْمُ<sup>١</sup> . في ذكره ، وَلِزِمْنَا الْعُذْرُ عَنْهُ بِالنَّقْضِ لما أسلفناه مِنْ تَقْرِيطِهِ .

قال ابن حَيَّان : وَلَمَّا<sup>٢</sup> رآه وَلَدُ ابْنِ جَهْوَرٍ أَخَذَهُ بِخُطَطِ الْمُلْكِ أَجْمَعِهَا ، وَمَرَّاتِ الرِّئَاسَةِ بِكَلِيَّتَيْهَا ، وَتَرَكْتَهُمْ أَعْطَالاً ، وَبَسَّطَ يَدَهُ إِلَى مَالِ الْخِرَاجِ وَاحْتَوَى عَلَيْهِ . يَأْخُذُهُ كَيْفَ شَاءَ ، وَيُسْفِكُهُ فِيمَا يُرِيدُ ، وَاصْطَنَعَ الرِّجَالَ ، وَاتَّخَذَ الْأَصْحَابَ وَالْغِلْمَانَ ، فَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ ، وَسَمِعَتْ إِلَيْهِ الْأَمَالُ . فَتَوَقَّلَ ذِرْوَةَ الْإِمَارَةِ حَالاً حَالاً . حَتَّى ثَنَى الْخُنْدَ وَالرَّعِيَّةَ لِنَفْسِهِ ، وَصَدَّتْهُمْ عَنْ لِقَاءِ أَمِيرِهِمْ ابْنِ جَهْوَرٍ . وَلَمْ يَسْتَحْيِ مِنْ اللَّهِ وَلَا مِنْ عِبَادِهِ فِي خَوْنِ أَمَانَتِهِ ، وَلَا تَسْتَرَّ عَنِ الْإِعْلَانِ بِغُلُولٍ وَدِيْعَتِهِ ، وَقَدْ تَوَلَّى أَمْرَ السَّلْطَانِ وَهُوَ فَقِيرٌ فَلَمْ يَسْتَرَّ فِي الْاِكْتِسَابِ ، بَلْ جَاهَرَ فِي التَّحَامُلِ عَلَى الْجِيرَةِ وَالْإِكْرَاهِ لِلْمُسْتَضْعِفِينَ مِمَّنْ يُصَاقِبُهُ مِنْ ذَوِي خُطَّةٍ أَوْ سُهْمَةٍ . لَهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ أُمُورٌ لَا تُحْصَى كَثْرَةً . ثُمَّ خَلَّطَ لِأَوَّلِ تَرْقِيَةٍ فِي الرِّئَاسَةِ بِأَنْ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ جُنْدَ سَوْءٍ ، مَالٌ بِهِ طَبَعُهُ الرَّذْلُ إِلَى الْاِسْتِظْهَارِ بِهِمْ عَلَى أَقَادِمِ الْجُنْدِ بِقَرْطَبَةٍ مِمَّنْ مَرَّنَ عَلَى الْاِسْتِقَامَةِ ، فَتَخَيَّرَ هُوَ مِنْ أَرَاذِلِ الطَّبَقَاتِ وَمُنْصَاصِ شِرَارِ النَّاسِ ، وَانْتَقَاهُمْ مِنْ أَصْنَافِ الدَّعْوَةِ وَالْدَائِرَةِ وَالْأَسَاوِدِ وَالرَّقَاصَةِ ، نَحَلَ مِنْ كُلِّ طَبَقَةٍ مَرْفُوضَةً مَا بَعَثَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُمْ ذِتَاباً عَادِيَةً ، وَأَعَدَّهُمْ لِيَوْمِ الْكُرْبَةِ فَلَمْ يُغْنُوا عَنْهُ شَيْئاً لَمَّا حَاقَ بِهِ قِضَاؤُهُ . وَكَانَ قَدْ أَقْفَرَ دَارَ الْخِدْمَةِ بِقَرْطَبَةٍ وَنَقَلَهَا إِلَى دَارِهِ ، فَجَعَلَتْ الْمَوَاقِبُ تَزْدَحِمُ عَلَى بَابِهِ ، وَلَمْ

١ كذا في ص .

٢ لم يأت جواب « لما » .

يوفقه الله<sup>١</sup> لاختيار حاجب لتبب يعلو<sup>٢</sup> جماعة حجابيه ، فيحميل<sup>٣</sup> له وجوه الناس ويرتب<sup>٤</sup> قعودهم بدليله فيطمعهم بخروجه أو يعتذر<sup>٥</sup> إليهم عنه بما يؤيسهم منه ، فيذهبون لسبيلهم معافين من سوء غلمانيه ؛ وما كانوا يلقونه إلا<sup>٦</sup> [في] أفصيل<sup>٧</sup> فيه أقدام<sup>٨</sup> الرجال لسوء أدب حجيته في حملهم على الناس بعنف الرد . ولربما دقوا الأنوف ورتفوا الشوارب غير مميزين لطبقة الناس ؛ فحققوا عليه ، إلى اشتات<sup>٩</sup> من المساوى نظمتها ، وأنواع من المخازي جمعتها . وألقي له على قلوب الناس رهبة<sup>١٠</sup> مع أضغان<sup>١١</sup> شبتوا بها أصبغة مساويه<sup>١٢</sup> ، والأقدار تدفع عنه ، إلى أن حاقت به فكبا<sup>١٣</sup> لفيه . ولم يزل يرجع<sup>١٤</sup> في مراتع الباطل ، ويلبس<sup>١٥</sup> على الناس أمرهم ، وصدّهم عن أميرهم ، وأخذ الله<sup>١٦</sup> بسمعيهم وبصرهم ، وتمثل<sup>١٧</sup> لهم بالحسد<sup>١٨</sup> الملقى على كرسي سليمان ، فعارت<sup>١٩</sup> البابهم فيه ، وتاهت منه ، من وزير في قعود أمير ، وقاض في مسلاخ<sup>٢٠</sup> جندي ، وفقه على دين يحيى بالقول ويقتل بالفعل . فسبحان من سواه من الأمم<sup>٢١</sup> طينة<sup>٢٢</sup> فأملهه مندة<sup>٢٣</sup> . من رجل عهبر<sup>٢٤</sup> الخلوة لزهد<sup>٢٥</sup> في النساء وكلفه بالغلman . واتخذ<sup>٢٦</sup> داراً آخر<sup>٢٧</sup> مندة<sup>٢٨</sup> للخلوة بهم ، فكان لا

١ ص : يفلوا

٢ ص : أقدام .

٣ ص : الا اشتاتاً .

٤ ص : اضطغان .

٥ قد يفهم المعنى مجازاً ، بأن مساويه كانت مخضوبة فشبتها أضغانهم أي أظهرتها بقوة التضاد .

٦ يرجع : يتردد ، وقد تقرأ : « يرتقم » .

٧ ص : ألم .

يَتَّخِذُ مِنْهُ فِيهَا [٩٦] وَلَا يَحْتَفُّ بِهِ غَيْرُ خَاصَّةٍ غُلَامَانِهِ ، وَلَا يَأْذَنُ لِأَحَدٍ مِنْ طَبَقَاتِ النَّاسِ بِالْدُّخُولِ إِلَيْهِ فِيهَا . فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْقَوْلَ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَسَمَّوْهَا « دَارُ اللَّذَّةِ » لِأَنَّهُ كَانَ يَسْجِيْثُهَا فِي أَكْثَرِ النَّهَارِ عِنْدَ فِرَاقِهِ مِنْ أَحْكَامِهِ فَيَقْضِيْ بِهَا رَاحَتَهُ . فَلِذَا جَاءَ اللَّيْلُ عَادَ إِلَى دَارِ سُكْنَاهُ الَّتِي فِيهَا أَهْلُهُ . وَمِنْ تَمَامِ الْعَجَبِ فِي شَأْنِهِ أَنَّهُ لَمْ يَبْكَشِفْهُ وَلَا نَبَشَّ صَدَاهُ إِلَّا تِلْكَ الطَّائِفَةُ مِنْ بِيْطَانَتِهِ الَّتِي اخْتَارَهُمْ لِنَفْسِهِ مِنْ أَرَادِلِ الطَّبَقَاتِ ، وَذَلِكَ مَعَ هُودٍ فِي أَمْثَالِهِمْ : فَالْصَّنِيعَةُ لَا تَزْكُو إِلَّا عِنْدَ ذِي حِسَبٍ أَوْ دِينٍ :

قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : فَلَمَّا قَطَعَ أَمْوَالَ النَّاسِ جُمْلَةً عَنْ بَنِي جَهْوَرٍ ، وَأَخْلَى أَبْوَابَهُمْ مِنْ جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ ، وَلَمْ يَدْعُ لَابْنَ جَهْوَرٍ مِنْ سُلْطَانِيَّةٍ غَيْرِ التَّوْقِيعِ وَحْدَهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِ وَحُجَّابِيهِ أَنْ يُدْعَى بِالسُّلْطَانِ ، فَكَانَ إِذَا رَكِبَ إِلَى دَارِ أَمِيرِهِ ابْنَ جَهْوَرٍ سَأَلَ سَائِلٌ : أَيْنَ يَكُونُ السُّلْطَانُ ؟ قَالَ حُجَّابُهُ : فِي دَارِ الْوَزِيرِ ، فَيَجِثُونَ بِمَعْكَوسٍ مِنْ الْقَوْلِ يَمَجِّجُهُ السَّمْعُ ، دَانَ لَهُ النَّاسُ بِذَلِكَ عَنُودًا ، وَخَاطَبُوهُ بِالتَّهْوِيلِ دَعَاءً وَمُكَاتَبَةً ، إِلَّا قَلِيلًا تَمَسَّكُوا بِالْمَرْوَةِ فَاسْتَبَسَّوْا لَدَيْهِ مَقْتًا ١ : فَظَلَّ يَزْدَادُ مَعَ الْأَيَّامِ اسْتِكْبَارًا ، وَيُسَبِّطِينَ تَدْبِيرًا ، وَيُسَيِّئُ تَفْكِيرًا ٢ . أَخْبَرْتُ أَنَّهُ قَالَ [لَهُ] يَوْمًا بَعْضُ بِيْطَانَتِهِ عِنْدَمَا رَأَاهُ يَسْرُكِبُ مِنَ الْفَوَاحِشِ : خَفْتُصًا عَلَيْكَ ، فَقَالَ لَهُ : وَمَا عَلَيْنَا ؟ وَاللَّهِ مَا بَهَا كَتَلَبُّ يَنْبَحُ فَيُجْتَمَعُ إِلَيْهِ : وَمَا عَلِمَ الْخَائِنُ ٣ الشَّقِيَّ أَنَّ هُنَاكَ شَيْبَلَ أَسَدٍ جَهْوَرِيٍّ قَدْ لَبَّدَ لِبَطْشٍ

١ ص : معنى .

٢ ص : تفطيرا .

٣ ص : الخائن .

به وهو عبدُ الملكِ الأصغرِ مِن إخوتِهِ ، لم يَسْتَشِيرْ فِي الْفَتْكِ بِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ ١ .  
 فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِسَبْعٍ بِقَيْنَ لِرَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ أَعَدَّ  
 لَهُ رَجَالًا فِي فَصِيلِ أَبِيهِ ، وَأَقَامَ هُوَ يَسْتَنْظِرُهُ ، وَأَرْسَلَ عَنْهُ رَسُولًا كَانَ  
 أَبُوهُ يُوَجِّهُهُ عَنْهُ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَابِ ابْنِ جَهْوَرٍ وَمَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ  
 النَّاشِئِينَ مَعَهُ نَزَرُوا يَسِيرًا ، وَأَرَادَ النُّزُولَ عَلَى حَجَرٍ لَاصِقٍ بِالْبَابِ ، وَإِذَا  
 بَعْدَ الْمَلِكِ قَدْ قَامَ عَلَيْهِ بِخَنْجَرٍ أَعَدَّهُ لَهُ فَضْرَبَهُ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ الرِّجَالُ الْمُتَعَدُّونَ  
 لَهُ وَابْتَدَرُوهُ كَالصُّقُورَةِ بِالسِّيُوفِ وَحَزَوْا رَأْسَهُ . وَرَكِبَ مِنْ حَيْثُ  
 عَبْدُ الْمَلِكِ وَجَعَلَ رَأْسَهُ عَلَى رُحْمِهِ وَطِيفَ بِهِ الْبَلَدُ كُلَّهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى دَارِهِ  
 « دَارِ اللَّذَّةِ » وَرَمَى رَأْسَهُ لِلْعَامَةِ ، فَعَائَتْ فِيهِ ، وَكَسَرُوا أُنْيَابَهُ وَتَفَقَّوْا  
 لِحَيْتَتِهِ ، فَأَصْبَحَ شَأْنُهُ عَجَبًا . وَاحْتَوَى عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى تِلْكَ الدَّارِ وَحَازَهَا  
 بِمَا فِيهَا ، وَعَلَى أَصَاغِيرِ غُلَمَانِيهِ : وَاجْتَاثَ عَلَى السَّجَنِ وَأُطْلِقَ مَنْ فِيهِ .  
 وَسَمِعَ أَبُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَهْوَرٍ خَبَرَ الْوَاقِعَةِ فَمَخْرَجَ دَهِيْشًا ، وَرَأَاهُ مُجْدَلًا  
 فَارْتَاعَ وَتَلَهَّفَ ، وَانْتَهَرَ ابْنَهُ وَهُوَ يُنْهَوِلُ تَطْوِيفَ الرَّأْسِ وَلَمْ يَقِفْ عَلَى  
 أَبِيهِ . وَأَمَرَ ابْنُ جَهْوَرٍ بِسِتْرِ جَسَدِهِ فِي دِهْلِيزِ الْإِصْطَبِلِ . وَتَقَدَّمَ بِإِصْلَاحِ  
 أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ ، وَرَكِبَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فِي السَّلَاحِ  
 وَجَاشُوا جَيْشًا عَظِيمًا ، وَأَبْدَوْا بِقَتْلِ ابْنِ السَّقَّاءِ سُرُورًا عَظِيمًا ،  
 وَأَعْلَنُوا بِالشَّمَاتِ بِهِ وَإِقْدَاحِ الْقَوْلِ فِيهِ .

وَقَعَدَ ابْنُ جَهْوَرٍ بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ عَلَى كُرْسِيِّ الْمُصْحَفِ ، وَبَادَرَ  
 الْمَجِيءَ إِلَيْهِ لِأَوَّلِ الْهَيْئَةِ الْوَزِيرُ الزَّمِينُ ، بِبَقِيَّةِ وَزَرَاءِ الْفِتْنَةِ ، أَبُو إِسْحَاقَ

١ من قول الشاعر :

فلم يستشر في أمره غير نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحبها



ابن حمام عدو ابن السقاء كأنما أنشيط من عقال . وقتل ذلك اليوم  
 من حاشيته نحو مِئتين عشرين رجلاً . واعتصم أخوه بمنار المسجد  
 الجامع فنجا . وانطلقت أيدي الناس على [أتباعه] ١ فنُهبت دورهم .  
 ثم أمر ابن جهور بسوق رأسه وضم إلى جسده ، ووُري في أخدود  
 خُذ له بباب مسجد ابن السقاء في أطماره ، وهيل عليه التراب هَيْلاً .  
 وسُلبت كسوة المسجد وثرياته ، وعُطلت فيه الصلاة ، فصار  
 ثوباً ٢ لثاوي .

### فصل في ذكر الأديب الأستاذ أبي الحسن علي بن عبد الغني الكفيف المعروف بالحُصري ٣ واجتلابُ جملة من نظمه ونثره

وأبو الحسن هذا ممتنٌ لتحقيقه أيضاً بعُصري ، وأنشدني شِعْره  
 غير واحدٍ من أهل عصري . وكان بحرَ بَراعة ، ورأس صناعة ، وزعيم

١ بياض في ص .

٢ ص : ثاوي ؛ والثوي : البيت .

٣ الحصري ترجمة في الجذوة : ٢٩٦ ( بغية الملتبس رقم ١٢٢٩ ) والصلة : ٤١٠ والسلفي  
 ٦٣ ، ١١٠ ، ١١١ والخريدة ٢ : ١٨٦ ومجمع الأدباء ١٤ : ٣٩ والوفيات ٣ : ٣٣١  
 وغاية النهاية ١ : ٥٥٠ ونكت الحميان : ٢١٣ وعبر الذهب ٣ : ٣٢١ والشذرات ٣ :  
 ٣٨٥ وقد ترجم له في المسالك ثلاث مرات ١١ : ٣٧٥ ، ٤٥٥ ، ٤٦٨ ( والأخيرة منها  
 خطأ باسم علي بن عبد العزيز ) ولم يأت في ترجماته بشيء ، وله شعر في نفع الطيب والمطرب  
 والحلة ٢ : ٥٤ وذكر خبره في الحلة ٢ : ٦٧ مع المعتمد وهو ينقل عن الأخيرة - وقد =

جماعة . طراً على جزيرة الأندلس مُستَصَفَّ المائةِ الخامسةِ من الهجرة<sup>١</sup> بعد خرابِ وطنه بالقبروان . والأدبُ يومئذٍ بأفئتنا نافقُ السُّوقِ ، معمورُ الطريقِ . فتهادتهُ مَلوكُ طَوَائِفِهَا تَهَادِيَ الرِّياضِ النِّسيمِ ، وتنافسوا فيه تنافُسَ الدِّيَارِ فِي الأَنْسِ المُتَقِيمِ ، على أَنَّهُ كَانَ فِيما بَلَغَنِي ضَيِّقَ [٩٧] العَطَنِ ، مشهورَ النَّلسَنِ . يَتَلَفَّتُ إِلَى الهِجَاءِ تَلَفَّتَ الظَّمآنُ إِلَى الماءِ . ولكنه طُويَ على غَرَّةٍ<sup>٢</sup> ، واحتُمِلَ<sup>٣</sup> بينَ زمانتهِ وَبُعْدِ قُطْرِهِ . ولَمَّا خُلِّعَ مَلوكُ الطَوَائِفِ بِأَفئتنا — حسبما شَرَحْتُ فيمَا تَقَدَّمَ من هَذَا المَجْمُوعِ وأَوْضَحْتُ — وَأَخَوْتُ تِلْكَ النُّجُومِ . وَطُمِيسَتْ من الشَّعْرِ الرُّسُومِ . اشتملتْ عليه مَدِينَةُ طَنْجَةِ ، وَقَدْ ضَاقَ ذَرْعُهُ ، وَتَرَاجَعَ طَبَعُهُ . وله على ذَلِكَ سَجْعٌ ، يَتِمُّجُ أَكْثَرَهُ السَّمْعُ ، لَمْ يَسْمَعْ نَقْدِي أَنْ أَكْتَبْتَهُ . ولا رَأَيْتَنِي أَنْ أُرْوِيَهُ<sup>٤</sup> . وما أَرَاهُ يَسْأَلُكَ<sup>٥</sup> إِلَّا سَبِيلَ المَعْرِي فيمَا انتَحَاهُ . وكان هو وإِيَّاهُ كَمَا وَصَفَ العَبَّاسُ<sup>٦</sup> بنَ الأَحْنَفِ :

= تقدم — . وتكرر هذا الخبر في المعجب : ٢٠٥ ، وكانت وفاة الحصري سنة ٤٨٨ ( ووقع خطأ في غاية النهاية إذ كتب ٤٦٨ ) ومن الغريب أن ابن عسكراً حين ترجم له ( ادباء مالقة : ١٥٧ ) عده من أهل سبتة . وقد قام الاستاذان محمد المرزوقي والحيلاني بن الحاج يحيى بدراسة عنه مرفقة بما وجد من رسائله وأشعاره وديوانه المعثرات واقتراح القرين ( تونس : ١٩٦٣ )

- ١ ذكر الحميري أن الحصري دخل الأندلس بعد ٤٥٠ هـ .
- ٢ ص : عره . والتصويب عن ابن خلكان ؟ وطويت فلاناً على غره أي لبسته على ذحل .
- ٣ ص : واحتفل . والتصويب عن ابن خلكان .
- ٤ ص : ولا . . . أن أدربه .
- ٥ ص : أن يسلك .
- ٦ ديوان العباس : ٢٢١ ورعر الأداب : ١٠٣٣ .

هي الشمس مَسْكَنُهَا في السماء      فعزُّ - الفؤادَ عزاءُ جميلا  
فلنْ تَسْتَطِيعَ إليها الصُّعودَ      ولنْ تَسْتَطِيعَ إليك النُّزولَ  
أو كما قال ابنُ الرومي<sup>١</sup> :

دَعُوا الْأَسَدَ [ تَرْبُضُ ] فِي غَابِهَا      وَلَا تَدْخُلُوا بَيْنَ أَنْيَابِهَا  
ومِهَاتٍ فِي قُدْرَةِ الْعَمَى ، أَنْ يَتَجَمَعَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَلَا  
بِتَقَارُبِ الصِّفَاتِ . تَقْتَرِنُ مَنَازِلُ الْمُوصُوفَاتِ :  
أَكْلُ أَبِي ذُوئَيْبٍ مِّنْ هُنْدَيْلٍ      وَكُلُّ أَبِي دَوَادٍ مِنْ إِيَادٍ ؟

جملة ما أخرجته من نثر الحصري المكفوف<sup>٢</sup>

فصل له من رقعة : السلامُ عليك أيُّهَا الْقَلَسْبُ الثَّانِي : وَالْبَعِيدُ الدَّانِي ،  
الرَّاقِي فِي سَمَاءِ الْمَعَالِي ، الْوَاقِي مِيزَانِ اللَّيَالِي . أَوَّلُ مَنْ عَدَدْتُ ،  
وَأَفْضَلُ مَنْ أَعَدَدْتُ . وَمَنْ لَا زَالَ النَّسِيمُ فِي الْبُكَرِ وَالْعَشِيَّاتِ ،  
يَهْدِي إِلَيْهِ طَيِّبَ التَّحِيَّاتِ . وَمَنْ جُعِلَتْ وَقَاهُ . وَلَا عَدِمْتُ لِقَاءَهُ ،  
فَإِذَا كَانَ الْكَرِيمُ سَالِمًا . كَانَ الزَّمَانُ مُسَالِمًا .

.....

- ١ ديوان ابن الرومي ١ : ٣٥٢ (عن الذخيرة) .
- ٢ أدرج الأستاذان المرزوقي والجيلاني هذه الرسائل من الذخيرة في كتابهما : ٩٣ - ٩٩ ولم يعتمدا أصلا آخر . ولذلك اكتفي بهذه الإشارة إليها .

وله من أخرى : وصل كتابك أبهى من الحلي والحلّل ، وأشهى  
من القبول والقبّل . وشي " مرقوم ، ودُرّ منظوم ، وأنفاس " عراقية <sup>١</sup> ،  
ومياه <sup>٢</sup> دجلية لا زعاقية :

فلو أني استطعتُ من ارتياحٍ      لَطَرْتُ ببعضِ أجنحةِ الرياحِ  
وكنْتُ أطيّرُ لولا قصُّ ريشي      وكيف يطير مقصوصُ الجناحِ

كتابٌ كأخلا قيكَ لولا سوادهُ ، الهدبُ حروفُهُ والحدقُ ميدادهُ .  
فاستقبلتُ منه قبلةَ الحسنِ ، وقبَلتهُ تقبيلَ الركنِ ، وقلتُ لصحبي : اقرأوه  
عليّ . فلما نظروه عجبوا من خطّه ، وتعجّبتُ أنا من لفظه وضبطه .  
فتمتّزّها بالنواظر ، ونزّهوني بالسمعِ والخواطر ، فكنتُ الأظفر ، وكان حظي  
الأوفر ، إذُ بصرتُ بما لم يبصروا به ، من فنونِ العلمِ وضروبه .

قوله : « فتمتّزّها بالنواظر ، وتزّهتُ بالسمعِ والخواطر » معنى  
مُتداولٌ منقول ، وكأنّه محلولٌ من قول الرّضي حيثُ يقول <sup>٢</sup> :

فاتني أن أرى الديارَ بعيني      فلعلّي أرى الديارَ بسمعي

وله فصلٌ من أخرى : والعيلمُ منهاج ، وسراجٌ وهّاج ، ما صديّ من  
سقاءه صوبَ صفائه ، ولا عريّ من كساه ثوبَ عرائه . ولا حاف عن الحقّ  
لسانٌ من يرويه ، ولا خاف من الخلقِ جنانٌ من يحويه . هو الجوهرُ

١ ظن الأستاذان المذكوران قبل أن هذه الرسالة (لذكر الانفاس المراقية) موجهة إلى صديق  
هراقي ، وهو ظن مستبعد ، لضعف الدلالة .

٢ ديوان الرضي ١ : ٦٥٨ .

استخرجته<sup>١</sup> أفكار الليالي من بُحورها ، فالتقطته أبكارُ المعالي لُنُحورها ،  
وجَميعُ العلومِ كمال ، والأدبُ منها جمال ، هو لسانُ النبِّي العربي ، صلى الله  
عليه : فُتِيهٌ يَلْحَن ، حِمَارٌ يَطْحَن ، وكاتبٌ غيرُ أديب ، أشبهَ الحيوانِ  
بذيِّب ، وشاعرٌ غيرَ معرِب ، أشبهَ من بانٍ بمخرَّب ، ربٌّ وزيرٌ يعجِبُ  
الناسَ وهو صامِت ، فإذا نَطَقَ فكلُّ حاسِدٍ به شامت :

وله من رقعةٍ طويلةٍ خاطبَ بها أبا الحسين بن الطراوة<sup>٢</sup> ، وجرت  
بينهما هينات<sup>٣</sup> . قال في أولها<sup>٤</sup> :

يموتُ من في البلادِ طُرّاً من طيّبٍ كان أو خبيثٍ  
فمُستريحٌ ومُستراحٌ منه كذا جاء في الحديثِ

ما حيائي بين الحيات ، وثباتي في الجميع أو الشيات ، وقد حانت وفاةُ  
الوفاء ، وخانت صفاتُ الصفاء ، وأرداني الزمانُ بأردائه ، وأعياني بتقلبِ

.....

١ ص : استخرجته .

٢ هو سليمان بن محمد بن الطراوة المالقي النحوي درس على أبي الحجاج الأعلم وأبي مروان بن  
سراج وتبوّل في بلاد الاندلس معلماً ، وله كتاب « المقدمات على سيبويه » وكانت وفاته سنة  
٥٢٨ ( التكملة رقم : ١٩٧٩ والذيل والتكملة ٤ : ٧٩ - ٨١ وتحفة القادم : ١١ والمغرب  
٢ : ١٠٨ وبغية الملتبس رقم : ٧٧٩ وبغية الوعاة : ٢٦٣ ونفح الطيب ، وله أخبار وشعر في  
معجم السلفي : ١٧ ، ٤٦ ، ٦٣ وأدباء مالقة : ١٨٨ وعيون التواريخ : ١٢ : ٢٨٤ .  
٣ هنالك صورة من هذه الخصومة بين ابن الطراوة والحصري في كتاب السلفي : ٦٣ وروى  
السلفي عن أحد المالقيين قوله : « كانت بينهما منافرة ومناقرة ويهجو كل منهما الآخر » .  
وقال ابن عبد الملك : « وكانت بينه وبين الأستاذ أبي الحسن الحصري مخاطبات نال كل  
واحد منهما فيها من صاحبه » .

٤ البيتان في التكملة : ٤١٩ والنفح ٢ : ١٥٤ .

أعيانه ؟ الجاهل هو الحاذي ، والعالم مَبْخُوسُ الأحاذي ، والغاوي مَقْبُولُ الدَّعاوي . وما أبعد الخير من العير ، والكيس من التيس ، والفضل من الفسل ! إذا كان الجاهل للجاهل ، والباس على الباسل ، والمنافق هو النافق ، وصوّحت المراعي ، وقتل المساعد والمراعي ، فيا دهر ما أسهاك . ويا موت ما أسهاك ، المنيّة هي الأمنيّة . فالبر بائر ، والحر حائر . بين أخون<sup>١</sup> وإخوان ، وأجور جيران ، إن وصلّهم صرموه ، أو سألهم حرموه . وإن أجاب بالصواب : قالوا أخطأ في الجواب [ ٩٨ ] .

ومما أضحكني ملء في ، وأطاشني وليس الطيش في ، هذا المتنحوي المتنحوي : سقط إلى دانيّة ، وطمع في الأجادل ، وإن كان أضعف من العنادل ، فعاد ذمرا ، وإن كان زمرا ، وبعث رسوله لي يقول : كيف تكتف نقري<sup>٢</sup> ؟ فقلت : إن كان الجنون داء فالكي يُبري . ونظمت قصيدة سمّيتها سهم الشهم ، وضمتتها مسائل لا تخفى على أولي الفهم : فما بدّغته حتى دمعته ، وألقاها كأنّها حيّة لدغته .

وفي فصل منها : وأما زعمه أني لم أدر اسم سيدي فممن مضحكات الدهر ، أما كفاه خطاه في الآيات والأبيات حتى تعرّض لعرضي غروراً : ﴿ إن هذا إلاّ لافك ﴾ افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ﴿ ( الفرقان : ٤ ) ، فقد جاءوا ظلماً وزوراً . أنا الذي سبقت الشعراء ، وفصّحت في المحافل الوزراء . فلو لاذ بسور حلبي لحميّة ، ولو غاذ بنور علمي لهديته : أيّها المموّه بجهله ، والمدعي العلم وليس من أهله ، سكرت فصحك لا يجديك<sup>٣</sup> .

٢ لم أعتد لمعنى هذه العبارة .

١ ص : أخوين .

٣ ص : يحومك .

اعترف بذنبك قبل صرْعك على جنبك ، فيدحض<sup>١</sup> حجاجك ، وتطمس  
محاجتك ، لإلام تلجأ فتاوي ، إذا نفذت فيك الفتاوي ؟ ! وكأني بمن ضمك  
قد ضامك ، وبمن لمك قد لامك ، وبمن خلّاك ، قد خلّاك ! الحقائق واضحة ،  
والمخارق فاضحة . تشبّه بالخصي<sup>٢</sup> ، أما يُدرى الفحل من الخصي ؟ !  
مثّل العالم والجاهل ، مثل الناهق والصاهل :

وليس يصح في الأفهام شيء<sup>٣</sup> إذا احتاج النهار إلى دليل<sup>٤</sup>

وزعم هذا الأهوج الأعوج أنه لم يعرف رسمي . ولا سمع باسمي ،  
كأنّما ولد بالأمس ، أو بُعث من الرّمس ، أو عمي عن الشمس ، لو  
علم قدر نفسه لم يجهل العليم . ولو أراد السلامة لألقى السّلم .

وفي فصل منها : يا مهْموس ، أنا الطاء وأنت الهواء ، فلست من طباق ،  
كم بين همسك وإطباقي ! لو زرت نقران<sup>٥</sup> ونجران<sup>٦</sup> ، لألفيت ذكري  
قد علا . وشِعري قد غلا . ما اغتابني في غيب ، إلاّ ذو عيب وخيم ، مع  
لؤم معلوم<sup>٧</sup> . ولولا بدؤك بالنّجّه ، لما كبّبتك على الوجه . وكنت فيما  
تظن نوراً فكشفتك ، ومستوراً فكشفتك : وما استوعبت خطأك ولا امتقصيته ،

١ ص : فندحض .

٢ ص : بالخاصي ؛ والخصي : الحصيف الشديد العقل .

٣ بيت للمتنبي ، انظر شرح المكبري ٣ : ٩٢ .

٤ ص : نقدان ؛ ونقران في ديار بني تميم ؛ وإذا كانت نعوان فهي في ديار غطفان ، وإذا

كانت قران فهي في اليمامة ( وأرجح الأخيرة لأنها أشهر ) .

٥ ما اغتابني . . . معلوم : هذه العبارة وردت في إحكام صنعة الكلام : ٢٥٠ وكتبت هنالك :

« ما اغتابني في عيب إلاّ ذو عيب وخيم مقيم مع لؤم معلوم » .

ولو رمتُ عدده ما أحصيته ، وهل شعرك إلا كنحوك ؟ ١ وما أبردة الهواء  
من نحوك ، ألسن المنشد في الحاجب أبي حاكم ٢ :

أبا حاكم فئتُ الملوك جلالة فكلتهم فاسن المخافة عالكُ

لو زدت الباء في فاسك ، لكان أشبه بأنفاسك ؟

وله من أخرى إلى الأديب غانم ٣ بمالقنة ٤ : أبي صرف القضاء ، وشبيه  
لسانك في المضاء ، ونظير ٥ صدرك ويديك ، في سعة المعروف والعلوم  
لديك ، أن أكون من زوَّارك ، فأقبس من أنوارك ، وأقطف من أنوارك ،  
يا لباب أولي الألباب ، يا سلسبيل أبناء السبيل :

فارتعتني وأنا والشوق ألفان فاسأل رسولك عني كيف ألفاني  
قبلتُ كتبك من فطرط الهوى قبلاً أقلهن إذا عددت ألفان

ولما شققتني بفرك الأثيرة ، ورقنتني بدرك النثيرة ، ذممتُ عبد  
الحميد ، ومحمد بن الحميد ، وأنشدت :

لقد فات في نثره غانم بديع الزمان وقابوسه  
وروى الظماء بماء النعيم فلا عيش إلا وقى بوسه

١ ورد البيت في القسم الأول : ٨٤٢ .

٢ هو غانم بن وليد المخزومي ، ترجم له ابن بسام في القسم الأول : ٨٥٣ وأورد له رسالة  
إلى الحصري أيضاً ص : ٨٥٦ .

٣ ص : ويضير .



وكنْتُ — أبغاك الله منهلًا عَذْبًا لأودَّ أهلك ، ومُنْصَلًا عَضْبًا على  
أعدائك — صَنَعْتُ قَصِيدًا يُحْيِي الطَّرِبَ إذ كان [ميتًا] ، فيه تسعة<sup>١</sup>  
وتسعون بيتًا ، وكنْتُ كَتَبْتُهُ ، فلم أجِدْهُ إذ طَلَبْتُهُ ، وفكَّرْتُ الآن فيه ،  
فلم أحفظُ غيرَ قَوَائِيهِ ، وهذين البيتين :

تحيَّتي وسلامي على الأديبِ البليغِ  
المُرْتَدِي بالمعالي والحليمِ قبلَ البُلُوغِ

وأنا ربُّ القريضِ الحيِّدِ ، لأنِّي أقولُ في الأديبِ السيِّدِ<sup>٢</sup> :

مِنْ طِينِ طُوبَى خُلِقْتَ فَدَّآ فَأَنْتَ فِي ذَا الْوَرَى غَرِيبُ  
بُدِّلْتَ النُّونُ فِيكَ بَاءً فَالنَّاسُ طِينٌ وَأَنْتَ طَيْبُ

وله من أخرى إلى أبي الفضل بن حسنداوي<sup>٣</sup> شاكيًا بصيهره ابن عيَّاش<sup>٤</sup>  
اليهودي : سيِّدي الذي حُتِمَتْ عليه المِنْع ، فَخُتِمَتْ به المِدْح .  
حَفِظَ اللهُ عَلاك حِفْظَ سَمَائِهِ ، وَأَعَاذَكَ مِنَ الْعَيْنِ بِأَسْمَائِهِ . بِحُسْنِ  
أَوْصَافِكَ ، احْكُمُ بِإِنصَافِكَ [٩٩] أَتَرْضَى لِصِيْهِرِكَ الْمُشْرِفِ ، بِأَخْلَاقِ  
الْبَخِيلِ الْمُشْرِفِ ؟ قَصَدْتَ بِالرَّهَانِ لِلسِّلَفِ ، فَعَدَبْتَ بِالذَّهَانِ وَالصَّافِ ،  
وَسَأَلْتُ فِي الزَّمَانِ ، فَأَعْطَيْتُ عَطَاءَ الزَّمَانِ ، وَأَنَا شَاعِرُ الزَّمَانِ ، فَأَحْطَ ،  
فَمَا رَفَعُ<sup>٥</sup> أَوْ حَطَّ ، وَلَا بَدَّ أَنْ أُنْشِدَهُ لِأَرْشِدِهِ :

١ ورد البيتان في إحكام صنعة الكلام : ٢٤٦ .

٢ وردت ترجمته في القسم الثالث : ٤٥٧ .

٣ ص : عباس .

٤ ص : ختمت .

٥ ص : فارفع .

|                                    |                             |
|------------------------------------|-----------------------------|
| أَيْتَهَا الْمُشْرِفُ حَاشَا       | لأولي الرأي الخطاءُ         |
| لَا تَنْقُلْ مَا بِيَدِي مَا       | لَ " وَلَا عِنْدِي عَطَاءُ  |
| بَيِّتُ أَمْوَالِكَ بَحْرٌ         | مَا عَلَى الْبَحْرِ غِطَاءُ |
| أَحْمَدٌ غَيْرُ عَلِيٍّ            | حِينَ يَشْتَدُّ الْوَصَاءُ  |
| هَلْ هُمَا فِي الْهَمْسِ وَالْإِطْ | بَاقٍ إِلَّا مَا وَطَاءُ    |
| وَكَذَلِكَ الْخَيْلُ مِنْ          | هَنْ سَرَّاحٌ وَبَطَاءُ     |

وصديقك إن لم ياتِ ، فابسطْ عُدْرَه بهذه الأبيات :

|                                     |                               |
|-------------------------------------|-------------------------------|
| عِرْفَانُ عَرَفَكَ شَاقِي           | فَلَوْ اسْتَطَعْتُ لِسَاقِي   |
| مَا بَالُ صِهْرِكَ صَدَّقِي         | وَلِي سِنَاكَ أَتَاقِي        |
| وَأَنَا الرَّحِيقُ سَقَيْتَهُ       | فَاسْأَلْنَهُ كَيْفَ أَرَاقِي |
| وَلَقَدْ حَلَوْتُ وَلَيْتَنِي       | أَمَرَرْتُ لَمَّا ذَاقِي      |
| قَدْ كُنْتُ رَحْبَ الصَّدْرِ حَتَّى | ي غَاطَسَنِي فَأَذَاقِي       |
| هُوَ عَمَّقَنِي وَبَرَّرَنِي        | هُوَ عَنِ لِقَائِكَ عَاقِي    |
| لَئِنِّي أَخَفْتُ عَلَى [الْوَزِي]  | ر [وَلَوْ ثَقُلْتُ لَطَاقِي   |
| نَفْسِي فَيَدَاؤُكَ يَا أَبَا       | مُضِلِّ الَّذِي قَدْ رَاقِي   |
| أَحَبَّبْتُهُ وَأَحْبَبَنِي         | فَاشْتَقَّتْهُ وَاشْتَاقِي    |
| مَنْ سَأَلَ عَنْكَ أَجَبْتُهُ       | مَا فُتِّقْتُهُ بَلْ فَاقِي   |

## ما أخرجته من شعره في أوصاف شتى النسيب وما يتشبه به

أُعِيْدُ رِيَّانُ بِمَاءِ النَّعِيمِ      أَلْبَسَنِي السَّقَمَ بَلَحَظٍ سَقِيمِ  
قَدْ خَطَّ بِالْمِسْكِ عَلَى خَدِّهِ      مَا الْحُسْنُ إِلَّا لِأَدِيمِي أَدِيمِ  
يَا عَاذِلًا يَحْسَبُنِي مِثْلَهُ      لَا تَحْسَبِ السَّالِمَ مِثْلَ السَّلِيمِ

وقال :

وهِبْتُ قَدَوَايَ لِلْحَدَقِ الضَّعَافِ      وَإِنْ كَانَتْ بِسُفْكِ دَمِي تُكَافِي  
فَكَانَ الضَّعْفُ قُوَّتَهَا عَلَيْنَا      وَهَلْ ذَا الطَّبَعُ إِلَّا فِي السَّلَافِ ؟  
شَغِلْنَا عَنْ مُسَاعَدَةِ اللِّوَا حِي      بِشَاغِلَةِ الْحَجِيجِ عَنْ الطُّوَافِ  
خَضِبْتُ الشَّيْبَ أَخَذَعَهَا فَقَالَتْ      تَشَبَّهَتْ الْحَمَامَةُ بِالْغُدَافِ  
فَقُلْتُ صَدَقْتَ لِمَ أَنْكَرْتَ مِنِّي      وَأَنْتِ عَقِيفَةٌ نَبَتِ الْعَفَافِ ؟  
فَقَالَتْ بَيْنَا فِي الشَّيْبِ خُلْفٌ      وَيُفْتِنَا بِمَسْأَلَةِ الْخِلَافِ  
وَلَمَّا أَيْتَعَتْ رُمَانَتَاهَا      وَنَادَى الْوَصْلُ حَتَّى عَلَى الْقِطَافِ  
تَأَذَّتْ فِيهِمَا بِقَمِي فَقَالَتْ      شَمَائِلُ عَاشِقٍ وَفَعَالُ جَافِ

١ ص : سبت ؛ وقد تقرأ « نسب » .

قوله : « تَشَبَّهَتْ الحِمامَةُ بالغِدا فِ » كقول القائل ١ :

يا أيتها الرجلُ المُسَوَّدُ شَعْرَهُ ٢  
أَقْصِرْ فلو سَوَدَتْ كُلَّ حِمامَةٍ  
كَيْما يُعَدَّ بِهِ مِنَ الشَّيْبَانِ  
بَيْضاءَ ما عُدَّتْ مِنَ الْغُرَبَانِ

وما أُمَاحَ قول أبي بكر الخالدي ٣ :

ما كان يَنْفَعُهُ لَدَيَّ شَبَابُهُ  
فَعَلَّامٌ يَنْجَهِدُ نَفْسَهُ بِخِضابِهِ ٤

وقال الحصري :

مَنْ لِي بِظُجِّي جَنَاهُ مَعْسُولُ  
أَقْرَأُ فِي خَدِّهِ كِتَابَ هَوَى  
دُمِي بِدُمْعِي عَلَيْهِ مَغْسُولُ  
حُسَامُ عَيْنِكَ مِنْ فُتُورِهِمَا  
أَنْ دَمَ الْعَاشِقِينَ مَطْلُولُ  
أَغْمَدُ وَسُلَّ لَيْسَ لِي وَزَرُ  
كَأَنَّهُ مُحَمَّدٌ وَمَسْنُولُ  
أَنَا عَلَى الْحَالَتَيْنِ مَقْتُولُ

وقال :

رُدِّي حُشاشَةَ عاشِقٍ مَهْجُورِ  
لِلْوَلْوِ الْمَنْظُومِ فِي فَمِكَ انْبَرَتْ  
بَيْنَ الْمَلُومِ عَلَيْكَ وَالْمَعْدُورِ  
عَبْرَاتُهُ كَالْوَلْوِ الْمَنْشُورِ

١ نسباً لابن الرومي في أمالي القاضي ٢ : ٢٨٢ والشرطي ٢ : ٣٤ وقال ابن رشيق في القراصة :

٤٦ - ٤٧ البيت الأول لابن الرومي والثاني لعبد الملك بن صالح ، ارتجل ابن الرومي بيته واستجازه .

٢ القراصة : يا من يسود بالخضاب مثيبه .

٣ لم يرد البيت في ديوان الخالدين الذي جمعه سامي الدمان .

٤ ص : وزراً .

ذَكَرَ الْفِرَاقَ فَمَاتَ إِلَّا شَوْقَهُ      وَأَوَّلُوا الْهَوَى مَوْتَى بِغَيْرِ قُبُورِ  
وَدَّعَتْ مَنْ أَهْوَى بِلِ اسْتَوْدَعْتُهَا      قَلْبِي وَسِرٌّ مَدَامَعِي وَزَقِيرِي  
فَبَكَتْ بِنَرْجِسَتَيْنِ خَفْتُ عَلَيْهِمَا      نَفْسِي فَلَمْ أَلَمْ بِغَيْرِ ضَمِيرِي  
قَالَتْ : أُنْرَحِلُ وَالْأَحِبَّةُ هَاهُنَا      قُلْتُ : الْقَضَاءُ كَمَا عَلِمْتَ ضَرُورِي  
قَالَتْ : مَتَى الرَّجْعِي فَقُلْتُ : إِذَا انْتَهَى      مَقْدُورُ رَبِّي ، مَقْدَرِ الْمَقْدُورِ  
وَعَسَى مُفْرَقَنَا سَيَجْمَعُ بَيْنَنَا      إِنَّ الْعَسِيرَ عَلَيْهِ غَيْرُ عَسِيرِ  
وَلَيْنُ أَبَى مَن تَعْلَمِينَ فَرُبَّمَا      حَدَّثْتُ أُمُورٌ لَانْتِقَاضِ أُمُورِ  
لَا تَسْجَزَعِي مِنْ نَكْبَةِ الدُّنْيَا وَإِنْ      سَاعَتْ فَرُبَّ مَسَافَةٍ لِسُرُورِ

وله في غلام كان يُسمَّى هارون<sup>٢</sup> :

يَا غَزَالًا فَتَنَ النَّاسَ      سَ بَعَيْنِيهِ فُتُونَا  
أَنْتَ هَارُوتُ وَلَكِنْ      صَحَّفُوا تَامَكَ لُونَا

وقال ممثلاً ذَهَبَ بِهِ مَذْهَبَ أَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِي صَاحِبِ الطَّرِيقَةِ الْأَنِيقَةِ  
فِي تَجْنِيسِ الْقَوَافِي :

أَصْبَحْتُ مَفْتُونًا بِكُمْ مُدْنَفًا      وَإِنَّمَا بُرْنِي لَمِي فَاتِنِي  
يَا أَمْلَحَ النَّاسِ وَحَقَّ الْهَوَى      لَوْ كَانَ لِي الْحُكْمُ لَمَّا فَاتِنِي

١ ص : مقدور من يقدر للمقدور .

٢ البيهقي في المسالك ١١ : ٤٥٥ والمطرب : ٧٥ والخريدة ٢ : ١٨٦ ومختارات ابن الصيرفي

وقال : [١٠٠]

رأبته عيلتي ضنّى فأتاني      عائدآ في يديه<sup>١</sup> [لي] ياسمين<sup>٢</sup>  
فتفأملتُ أنه قد تهتدي      لهزالي فقال لي يا سمين<sup>٢</sup>

وقال<sup>٢</sup> :

رُبَّ ظنبي هويته      يستحي للهوازيته<sup>٢</sup>  
قلتُ ما أثقل الهوى      قال ما للهوى زنته<sup>٢</sup>

وقال :

إن كتمتُ الهوى فقد      صار سيري علانيته<sup>٢</sup>  
لستقام أذابني      وشحوب علانيته<sup>٢</sup>

وقال :

فكرتُ في خلقِ الورى فاستوى      عندي عبيدٌ وسلاطينُ  
أصلُ الفريقين - ومن أجلِ ذا      قلبي عن الهمّ سلا - طينُ  
وكان سأل بعضَ الملوكِ أن يكسوه      ومطله ثم أعطاه قمحاً منسوساً ،  
فقال فيه :

يُريدُ سياسةً من لا يسمي      وطبعٌ فيه بأبى أن يسوسا  
سألتُ كسّى فعتاني بقمحٍ      وأعطاني مكانَ القمّحِ سُوسا

١ البيت مضطرب في ص : رأبه على ضنى فأق . . . يده ياسمين .

٢ هذه القطعة والتالية في الشريشي ٥ : ٢٤٠ .

وقال أول جوازه إلى الأندلس<sup>١</sup> :

في كل أرضٍ مَوطُنٌ      يُعرَفُ فيه جَاهُنَا  
ولنمّا ألجأنا نسا      إلى هنا إلتهُنسا

وقال :

يا مَنْ تكحلّ طَرَفُهَا      بالسحرِ لا بالإميدِ  
نَفْسِي كما عَدَّ بَشِيهَا      وقتلتِها بالإثمِ دِي

وأفشد يوماً بيتَ المعرّي :

يا قُوتُ يا قوتِ رُوحِي      رُوحِي براحِ براحِ

وفيه ستُكلماتٍ مُتجانساتٍ على قِصرِ عَرُوضِهِ . وكُلّفَ تَدْيِيلُهُ

فقال :

أوفاكِ أوفاكِ رِقَتِي      رِقَتِي بِطاحِ بِطاحِ

فقليل له لو ذَيَّلَتْهُ ببيتٍ فيه ياء النداء ، كما في بيت أبي العلاء ، فقال :

يا زَوْرُ يا زَوْرُ فيها      فيها نُوَاحِي نُوَاحِي

وقد قلتُ فيما تقدّم من تأخيص التعريف بخبر الحُصْري إنّه اتّبع  
المعرّي في سُلُوكِ هذه المسالك ، فضلً عنها هنالك . على أنّه لا يتفق  
لأحدٍ لضيقِ هذا الباب ، أكثر من الوزن والإعراب .

١ وردا في الرعيان والريمان ١ : ١٤١ / أ السمتد وكذلك في النفع ٤ : ٢١٢ (مع اختلاف  
في الرواية) وانظر الشريشي • : ٢٨٠ .

## وله في المديح

قال :

ولا حَتَمَ لِي إِلَّا عَلَى وَرْدٍ حَتَمٍ  
مَتَغَانِي الْفَوَاقِي<sup>١</sup> كَالرَّدَاءِ الْمُسْلَسَلِ  
وَيَا جُمْلُ وَالْأَكْ الْجَمَالَ فَأَجْمَلِي  
فَمُ الصَّبِّ مِنْ وَرْدِ الْخُدُودِ الْمُقْبَلِ  
وَأَفْطَرَ مِنْ رِدْفٍ لَهْنٌ مُثْقَلِ  
وَمَا خَلَخَلْتُ مِنْ أَضْلَعِي بِمَخْلَخَلِ  
أَسِيلٍ عَلَى خَدِّ أَسِيلٍ بِمَاسَلِ  
وَأَطْيَبُ لِلظَّمَانِ مِنْ كُلِّ سَكْسَلِ  
فَإِنَّ عَلِيّاً خَيْرُ مَوْلَى وَمُوَيْلِ  
عَزِيمَتُهُ نَاعَتْ بَرَضَوَى وَيَذْهَبُ

ظَلَمْتُ<sup>٢</sup> وَمُنْهَلُ<sup>٢</sup> الْمَدَامِعِ مِنْهَلِي  
عَلَى سَلْسَلٍ مِنْ ذِي غُرُوبٍ وَإِنْ غَدَتْ  
فِيَا نَعْمُ وَاغَاكِ النَّعِيمُ فَأَنْعِمِي  
مَحَلَّتْ لِرَبَّاتِ الْخُدُودِ<sup>٢</sup> بِمَا جَنَّتِي  
وَمَا صَامَ مِنْ خَصْرِ لَهْنٌ مُخَفَّفِ  
وَمَا وَرَدَتْ مِنْ أَدْمُعِي بِمُورَدِ  
وَمَا شَاقَنِي مِنْ شَقِّ جَيْبٍ وَمَدْمَعِ  
لَا تَنْتُنِ أَشْفَى لِلْسَّلِيمِ مِنْ الرُّقْمِ  
وَإِنْ يَكُ دَهْرِي ضَمَّتِي ثُمَّ ضَامَنِي  
هُمَامٌ إِذَا [ مَا ] هُمْ بِالْأَمْرِ فَاْمَتَطَى

وقال من أخرى :

سَلَامٌ غَرِيبٍ لَا يَتَوَوَّبُ فَيَزْدَارُ  
لَنْ بَاتَ مِثْلِي لَا حَبِيبٌ وَلَا جَارُ

عَلَى الْعُدْوَةِ الْقُصُورَى وَإِنْ عَفَتْ الدَّارُ  
وَحَقُّ بُكَاءِ الْعَيْنِ وَالْقَلْبُ مُسْعَدُ

١ ص : معالي القوافي .

٢ ص : الخدود .



أَعَادَى عَلَى فَضْلِي وَأَسْتَصْحَبُ الْعَدَا  
مَدِيحِي هَجَاءٌ وَابْتِسَامِي تَجَبُّهٌ  
وَلَمْ أَرَ مِثْلِي فَاضِلاً يَنْقُصُونَنَّهُ  
عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نُقِيمَ بِذِلَّةٍ  
شَفَى اللَّهُ دَاءَ الْقَيَرَوَانَيْنِ بَعْدَنَا  
وَكَيْفَ غَنَاءُ الطَّيْرِ فِي غَيْرِ أَيْكِيهَا  
وَلِأَنِّي لَأَوَّلَى بِالْبِكَاءِ لِأَنَّهُمَا  
أَلَا يَا بُرُوقاً لُحْنٌ مِنْ نَحْوِ صَبْرَةٍ  
عَسَى فَيْكٍ مِنْ مَاءِ الْحَنِيَّاتِ شَرْبَةٌ<sup>١</sup>

وَلِي حَسَنَاتٌ عِنْدَهُمْ هِيَ<sup>١</sup> أَوْزَارُ  
وَشَكَاوِي كُفْرٌ وَاعْتِرَافِي لِنُكَارِ  
بَلَى قَلَمًا يَخْلُو مِنَ الْقَرَضِ دِينَارُ  
فَلَيْتَ حَشَايَاَنَا الْوَطِئَةَ أَكْوَارُ  
فَقَدْ مَرِضْتُ لِلْقَيَرَوَانَيْنِ أَبْصَارُ  
وَقَدْ بَعُدْتُ مِنْهَا فِرَاحٌ وَأَوْكَارُ ؟  
تَطِيرُ إِذَا اشْتَاقَتْ وَمَا أَنَا طَيَّارُ  
وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا دُمُوعِي أَمْطَارُ  
وَلَوْ مِثْلَ مَا يُوعِي مِنَ الْمَاءِ مِيقَارُ

ومنها يعتذرُ ممَّا كَانَ قُرِفَ بِهِ :

أَصِيبَ قَصِيدٍ فِيهِ كُفْرٌ فَنِيْطَ بِي  
وَمِنْ كُلِّ كَفٍّ قَدْ رُمِيتُ بِصَخْرَةٍ  
وَكَمْ شَاعِرٍ قِيلَتْ عَلَى فِيهِ أَشْعَارُ  
وَفِي رَاحَتِي لَوْ أَمَكْنَ الرَّأْيُ أَحْجَارُ

ولهُ مِنْ أُخْرَى فِي الْمَعْتَمِدِ :

أَعَنَّ الْإِغْرِضِ أَمِ الْبَرَدِ  
ضَحَكَ الْمَتَعَجِّبُ مِنْ جَلْدِي

يَقُولُ فِيهَا :

١ ص : وَهْي .

٢ ص : الْحَبِيَّات .

يا هاروتي الطير في تروى  
 قطعنت الأسد بلا أسل  
 رشاً يصطاد الأسد وكم  
 واهاً بلحدي منك وهى  
 رُضت الأيتام جواميحها  
 ويلتوت الناس فليست أرى  
 القوم بحسار مسجورا  
 لم يعدم واردها درر ال  
 أبني عباد ما حسنت  
 نقد الكرماء الدهر معي  
 وقضى لكم بالفضل على  
 دانت بغداد لقرطبة  
 سمعوا برشاد فتى لخصم  
 قرأوا شعر اللخمي فلم  
 يا فترع المنذر والتعدي  
 طفيشت أنوار أمية في  
 نافست بقصرهم إرمأ  
 مرز وافتح باقي أندلس

نفتت [الحاظك] في العقدي  
 عبثاً وقتلت بلا قود  
 رامته الأسد فلم تصيد  
 وشباب بان فلم يعد  
 وكفت اللد عن اللد  
 كبني عباد مين أحد  
 ت<sup>١</sup> محفوفات بالزبد  
 آداب ولا درر الصفدي [١٠١]  
 إلا بكم الدنيا فتقصد  
 فتخبركم في المستقد  
 من في أدنى أو في البعد  
 وخلائفها للمعتد  
 فنقوا هارون عن الرشيد  
 يرض المعتز عن الوليد<sup>٢</sup>  
 ن بلغت النجم فطل وزد  
 قصر الخلفاء فقلت قيد  
 فكان أمية لم تشيد  
 ما في صبيب أو في صعد

١ ص : مسجورات الجود .

٢ اللخمي هو المعتد نفسه ، والشاعر هنا يشير إلى أنه أشعر من ابن المعتز العباسي .

عبد الرحمن<sup>١</sup> ولي خمسين وأنت تزيد على العَدَدِ  
لو أن الأرضَ بلا جبلٍ وعليها حِلْمُكَ لم تَمِيدِ  
بشارُ أمتك مُمْتَدِحاً فأنسُ بغرائبه الشُّرْدِ  
يَكْبُو عِبُودٌ في خَبَبي فالعيرُ وراءَ المنجَرِدِ<sup>٢</sup>  
ولعلَّ بلادَكَ لي وِطَنٌ فأحطَّ الرَّحْلَ عن الأجدِ  
وأقابلَ منك سَنًا قَمَرٍ لو قابلتهُ الأعمى لهُدِي

وله من أخرى : وهي من أعلى حُجَجِهِ ، وأجلى سرجِهِ ، أنشدها  
أحمد بن سليمان بن هُود الملقَّب - كان - من الألقاب السلطانية  
بالمقتدر حين غلب عليّ بن مُجاهدٍ على دانية<sup>٣</sup> :

كذا تَقْتَضِ<sup>٤</sup> أبكارَ البلادِ ولا مَهْرٌ سوى البيضِ الحِدادِ  
هَدَيْتَ العسكرَ الجَرَّارَ ليلاً فأهدَيْتَ الظُّبَاةَ إلى الهوادي  
مَلَأْتَ به الفَضَاءَ فضاءَ ليلٍ مَحَتْ فيه الظُّبَا شَكلَ السَّوادِ

١ عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموي بالأندلس ولي خمسين سنة (٣٠٠ - ٣٥٠) .  
٢ عبود : قد يكون اسم فرس (وفي خيل العرب عبيد ) والأرجح أنه اسم رجل ، والاندلسيون  
- كما يقول أبو حيان الجياني في التفهيم - يسمون عبد الله عبوداً كما يسمون محمداً « عبوداً »  
( بغية الوعاة ١ : ١٤٧ تحقيق الأستاذ أبو الفضل إبراهيم ) ، والحب ، نوع من السير ،  
كما أنه اسم البحر الذي استعمله الحصري في هذه القصيدة ، فهو يقول إن عبوداً لا يستطيع  
أن يجاريه في هذا البحر ، بل يقصر عنه كما يقصر العير ( الحمار ) عن الفرس العتيق (منجرد  
قيد الاوابد ) .

٣ منها أربعة أبيات في أدباء مالقة : ١٥٨ .

٤ ص : يقتص ، والتصويب عن ابن عسكر .

وما أقبلتَ إلاَّ بعدَ ما قد  
وكان مرامُ دانيةٍ عزيزاً  
فأثَّرتِ العوالي في المعالي  
كانَ سيوفُك الأقدارُ تجري  
ومثلُك ممَّن جنى ثمرَ الأمانِ  
تشاغلتِ الملوكُ بمن دهاها  
بناك اللهُ للإسلامِ حصناً  
وتنهَضُ والثَّقیلُ عليك خيفَ  
وكيف يُنافسونك في المعالي  
فتحتَ معاقلاً لو أبصروها  
وفي سرِّ قُسطِةٍ لك دارُ مُلكٍ  
ورأيتُك في الإدارةِ لو رآهُ  
لقد أربتُ<sup>٢</sup> سيوفُك يومَ سَلَّتْ

سَقَيْتَ الثَّغْرَ من ثَغْرِ الأعادي  
فهانَ على المُسَوِّمةِ الجيادِ  
وأثَّرتِ الصَّلادِمُ في الصَّلادِ  
بما شاء الإلهُ على العبادِ  
وأتى حقُّهُ يَوْمَ الحَصَادِ  
وشغلتُك في جهاتِكَ بالجهادِ  
وعلمك التجلُّدَ للجِیْلادِ  
وتنظرُ والخفيُّ إليك بادِ  
وأنت سبقتهم سَبَقَ الجِوَادِ؟  
لقالوا أنت لُقمانُ [بنُ] عادِ  
زَرَّيْتَ بها على ذاتِ العِمَادِ  
مُعَاوِيَةَ لأغني عن زيادِ  
على قُسِّ بنِ ساعدةِ الإيادي

١ ابن مسكر : شفيت .

٢ ص : رابت .

## ذكر الخبر عن دانية وكيف تغلب عليها يومئذ المقتدر

قال ابنُ بسّام : قد قدّمتُ في أوّل القسم الثالث من هذا المجموع ذكرَ مُجاهدِ العامريّ المُستزّي - كان وقته - على دانية ، وشرّح الأسباب التي أنشأت سحابه ، ورضتْ<sup>١</sup> على دانية وهِصابه .

وغلبت الروم في بعض أيام سلطانه على جزيرة سردانية . التي كانت من فتوحه قبل<sup>٢</sup> . ففلتْ شَبانته ، ونهنتْ شدائته . وأسرت ابنته عليّاً هذا<sup>٣</sup> ، فنشأ عِلجاً مُتجهّماً ، وأعجماً طِمطيماً<sup>٤</sup> ، إلى أن افتكّه أحدُ آلِ حَمّادِ أمراء بني مَنّاد ، فأسدّى البيضاء فيه ، وخلع على عِطْفِيهِ بُرْدِيهِ<sup>٥</sup> . فلمّا خفقَ علمُه ، وتمكّن في مقام أبيه قدّمه ، ألقى السلمَ ، وأغمدَ السهفَ وشامَ القلَمَ : هِمَّتُهُ كانت في خراجِ يَسْجِيهِ ، لا في مَعْقِلِ يَسْجَتِيهِ ، وهمّة المَسْجَرِ يُسْمِيهِ ، لا المَسْفَحَرُ يَحْمِيهِ . أصبَّ خَلَقَ الله بلبوس ومطعم . وأصباه إلى دينار ودرهم . حتى ولاَّه البرُّ حِلَّ<sup>٦</sup> عَقْدِهِ ،

١ كذا في ص ، ولعل صوابه « ورصت » أو « ريفت » بمعنى ألقت .

٢ انظر الخبر عن وقوع علي أسيراً في يد الألمانين ، وكيف بذل فيه والده عشرة آلاف غلام يقبل أسره الغدية في أعمال الاعلام : ٢١٩ ( ثم تيسر فكاهه سنة ٤٢٣ )

٣ عند عودة علي من الأسر عرض عليه والده الاسلام فقبله ، ثم أصبح عليه معوله في الأمور ( أعمال الاعلام : ٢٢١ ) .

٤ ص : بردائه .

٥ ص : حلى .

ورماه البحر بأفلاذ كبديه : ورزق عدة بنات أحسن من الشموس ،  
وأفتن من الطواويس ، فتبارى ملوك الطوائف بأفقينا في نكاحهن ،  
وتنافسوا في غدوهم إليهم ورواحهن . واغتم هو ذلك منهم وأذكاهن  
عليهم عيوناً ، وبناهن بينه وبينهم دُروباً وحُصوناً ، مُعتقداً أن الصَّهرَ  
رَحِيمٌ لا تُجفَى ، وطريقٌ إلى رَعي الدَّم لا تَخفى . فقتل مَلِكٌ  
منهم إلّا وقد علقَ له به حبل ، واتصل بينه وبينه نسل . فسما إليه  
منهم ابنُ هُودٍ المذكورُ سنة سبعٍ وستين يُريه أن الناسَ مأكولٌ وآكلٌ ،  
وأنَّ القياسَ أكثره باطل . من رجل لا يَسْتَظِلُّ إلّا أعلامه . ولا يَرْضَى  
[١٠٢] إلّا أحكامه . ولا يَسْتَشِيرُ إلّا حُسامه . فجراً إليه الهضابُ  
كثائب ، وملاً عليه الشَّعَابُ مُرداً أحاجب ، وجرداً نجائب .

أخبرني غيرُ واحد أنه لم يبقَ ملكٌ من ملوك أفقينا سمع بمخرج ابن  
هُودٍ يومئذٍ إلّا توقَّعه وتوقَّاه ، وظنَّ أنه لا يريد سواه . وإنَّما كان  
يُريدُه ، زعموا ، على قِلاعٍ كانت تتصلُّ ببلده ، ليضمَّتها إلى أميرِ  
طرطوشة ، وقتَه ، من ولده . فلم يرُع ابنُ مُجاهدٍ إلّا مجرى الجيادِ  
بحيث يرى ويسمع ، ولا نَبَّهته إلّا مَجَرُّ الصَّعاد ، بحيث لا يُعطي  
ولا يمنع . فاستطيرَ فرقا ، وقام وقَعَدَ تلدّآ<sup>٢</sup> ونزقا . وحين علم  
المُراد ، وفهِمَ الجليّةَ أو كاد : أعطى فضلَ القياد : وكتب إلى عمّاله  
بإخلاء تلك البلاد .

فلما أخذ ابنُ هُودٍ في إِيابه ، وخلا ابنُ مُجاهدٍ بطوائفه وأحزابه ،

١ ص : وأكيل .

٢ ص : تلدّآ .

عنّفوه بما فعل ، وزبّنوا له الغدرَ به وقد رحل . وأُتي ابنُ هودٍ ، وقد سارَ غيرَ بعيد . بكَتُبَ طيْرَها ابنُ مُجاهدٍ إلى عمّال تلك المعازل ، يأمرهم بالتحصّن والاحتياط ، ويحضّهم على الجِدِّ في القتال : فكَرَّ المقتدر ، ولم يَرُحْ أهلَ دانيةٍ إلّا تَصْهالُ الخيل ، وقد انصَبَّت عليها انصبابُ السَّيلِ اللَّيْلِ . واضطربَ<sup>١</sup> أبنيتُه بحيثُ يُسمَعُ الحيّوار ، ويُحمَدُ الحيّوار ، فاستولى الجَزَعُ ، وضاق المتّسع . وأخرج إليه لحينه ابنَه الذي كان قد سمّاه مُعزَّ الدولة ، ورشّحه بحرّ أذيالِها<sup>٢</sup> ، وعلّمه مُمايَلَةَ ظِلَالِها : فجاء إلى ابنِ هودٍ مُدِلًّا بِقَدِيمِ صِهْرِهِ ، عاتراً في إدبارِ أمره وانقطاعِ ذِكْرِهِ ، من رجلٍ فليلِ الطّيع ، ثَقِيلِ السَّمْع ، ضَيْقِ الدَّرْع ، قد غُذِيَ بالترَفِ واللّين ، ونشأ في الحليّة وهو في الخِصام غيرُ مُبِينٍ<sup>٣</sup> . فطَفِقَ ابنُ هودٍ يَتَقَرَّعُ له عصا الوعيد ، ويرمي به مُضَلَّاتِ البُيْد ، وهو يقول : أيّ عمّ ، تبلغُ رِضاكَ ! ومتى اختلفنا عليك أو خالفناكَ ؟ فقال له ابنُ هودٍ فيما قال : واللّهِ لا أريـمُ العَرَصَةَ حتّى يَسْهَلَ مَرَامُها ، ويُخْلَى في يدي زِمَامُها — يعني تلك المعازل — فقال له معزُّ الدولة الجبان البَهاول ، وظنّنه يريدُ دانية : أي عمّ ! وأينَ تنقلُنا ، وإلى مَنْ تَكِلُنا ؟ ولم يَمَظُنْ ابنُ هودٍ لما قَصَدَ ، وكان إلى جنبه وزيرُه ابنُ أحمد\* ، فغمز يده وقال له : غيرةٌ فاهتَبَلِها ، وعسرةٌ فلا تُقِيلِها ، قد ألقى

١ اضطرب هنا بمعنى ضرب .

٢ أذيالها يعني أذيال الدولة ، أي كان قد جعله ولي عهد .

٣ من الآية : أو من ينشأ في الحلية وهو في الخِصام غير مبين (الزخرف : ١٨) .

٤ ص : أديم .

٥ يعني أبا المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن مثنى .

الرجل بيده ، وختلى ببيتك وبين بلده . فعمل ابن هود على ذلك ، وأخذ في إحكام ما هنالك ، فما متع النهار إلا وأشرقت إياؤها ، واهتزت في يحن يديه قناتها . ورجع بابن منجاهد غنيمة باردة ، وأمنية على الأيام شاردة <sup>١</sup> . تعالى من لا يروعه الزمان ، ولا يغير مسلماته الحدّان .

## مقطوعات للحصري في أوصاف شتى

قال <sup>٢</sup> :

كم من خليلٍ كان عندي شهدةً      حتى بلوتُ المرَّ من أخلاقه  
كالمِلحٍ يُحسَّبُ سُكَّرًا في لونه      أو حجمه ويحول عند مذاقه

وقال :

نَصَبْتُ الفَخَّ ثُمَّ قَعَدْتُ عنه      بعيداً كي أرى فيه فتاحاً  
إذا قِرْدِي مُقِيمٌ عند رأسي      يقولُ لِمُقْبِلَاتِ الطَّيْرِ حَاحاً  
واجتاز على قومٍ فسمعهم يتقدحون فيه وفي ابن خَلَصَة <sup>٣</sup> فقصده

١ قام ابن هود بنقل ابن مجاهد ومن معه إلى سرقسطة وأقطعهم أقطاعاً يمونه ( أعمال الاعلام : ٢٢٢ ) .

٢ مختارات ابن الصيرفي : ١٣١ والخريدة : ١٨٧ وكتاب الآداب : ٩١ .

٣ يعني محمد بن خلصة الشلوني النحوي وكنيته أبو عبد الله ، وقد وردت ترجمته في الذخيرة

٣ : ٣٢٢ وذكرت هناك مصادر ترجمته ، ويضاف إليها أيضاً : المحمدون : ٣٩٩

وانباء الرواة ٣ : ١٢٥ والوافي ٣ : ٤٢ .



وأنشده<sup>١</sup> :

يا أديباً ملكتني في يديهِ المَكْرُماتُ  
ليتَ قَوْمًا دَابُّهُمْ في (م) وفيك المَكْرُ ماتوا

وقال<sup>٢</sup> :

خَضِبَتْ يَدَيْهَا لَوْنًا فَاحْمِيهَا فَمَا نَقَصَ الْبَيَاضُ مَلَاَحَةً بَلْ زَادَا  
مَا بِالْ شَيْبِي تُنْكِرِينَ<sup>٣</sup> خَضَابَهُ وَأُرَاكِ صَابِغَةَ الْبَيَاضِ سَوَادَا  
قَالَتُ نَجِيعُكَ فِي يَدَيَّ وَإِنَّمَا بَدَّلْتُهُ أَسْفَاً عَلَيْكَ حِدَادَا

ومن أحسن ما قيل في التطاريف السّود قول ابن المعتز :

وكفّ كأنّ الشّمسَ مدّتْ بَنَانَهَا إِلَى اللَّيْلِ تَجْلُوهُ فَقَبَّلَهَا اللَّيْلُ

وله أيضاً في التطاريف الحُمْرُ :

أَشَارَتْ بِأَطْرَافِ رِطَابٍ كَأَنَّهَا أَنَابِيْبُ ذُرٍّ قُمِعَتْ بِعَفِيقِ

١ الشريشي ٥ : ٢٤٠ .

٢ الأبيات في المطرب : ٧٩ .

٣ ص : تنكرون .

٤ ص : قال .

٥ ديوان ابن المعتز ٤ : ١٠٨ .

## ما أخرجته من مراثيه مع ما يتشبه بها

قال يرثي أباه وقد ودّع قبره وقت جوازه إلى الأندلس :

أبي نَيْيَّرُ الأَيْتَامِ بَعْدَكَ أَظْلَمَا      وَبُنْيَانُ مَجْدِي يَوْمَ مَيِّتٍ تَهْدَمَا  
وَجِسْمِي الَّذِي أَبْلَاهُ فَقْدَكَ إِنْ أَكُنْ      رَحَلْتُ بِهِ فَالْقَلْبُ عِنْدَكَ خَيِّمًا  
وَقَى اللَّهُ عَيْنِي مَنْ تَعَمَّدَ وَقْفَةً      بِقَبْرِكَ فَاسْتَسْقَى لَهُ وَتَرَحَّمَا  
وَقَالَ سَلَامٌ ، وَالثَّوَابُ جَزَاءُ مَنْ      أَلَمَّ عَلَى قَبْرِ الْغَرِيبِ فَسَلَّمَا

وأخذ من تراثه فقال : [١٠٣]

رَحَلْتُ وَهَا هُنَا مَتَوَى الْحَبِيبِ      فَمَنْ يَبْكِيكَ يَا قَبْرَ الْغَرِيبِ ؟  
سَاحْمِيلٌ مِّنْ تُرَابِكَ فِي رِحَالِي      لَكِي أَغْنَى بِهِ عَنْ كُلِّ طَيبِ

وقال من مَرثية له في المقتدر بن هود :

نَعُدُّ حُصُونًا كُلَّ دِرْعٍ وَمِغْفَرٍ<sup>١</sup>      وَتَعْدُو المَنَايَا فِي عَرِينِ الْغَضَنَفَرِ  
وَلِاحِدَى بَنَاتِ الدَّهْرِ تَنْسِفُ أَحَدَهُ<sup>٢</sup>      وَتَهْدِمُ بِالتَّدْمِيرِ بُنْيَانَ تَدْمُرُ  
نَبَا فَابٍ<sup>٣</sup> عَادٍ وَهُوَ كَاللَّيْلِ عَادِيًا      وَمَاتَتْ مَنَى كَسْرَى المُلُوكِ وَقِيَصِرُ

١ ص : سقى الله ميتاً .

٢ ص : ومقفر .

٣ ص : باب .

وما درأت<sup>١</sup> عن تَبَعٍ تَبَعٌ له  
أَصَمٌّ وَأَصَمَى ثَغْرَةَ الشَّغْرِ حَادِثٌ  
هو البحرُ في ذا الخطبِ أعطاك دُرَّةً<sup>٢</sup>  
أجدكَ بَزَّ<sup>٣</sup> الدهرُ شُهْبَ بَزَاتِهِ  
أعزَّ مَنْ اقتاد الحميسَ إلى الوغى  
تلثمُ حياءٌ يا زمانُ من العلا  
مضيتَ فما للأرضِ بعدكَ لم تَمِدْ  
بعثتُ بها مشقوقةَ الحبيبِ ثاكِلاً<sup>٤</sup>

وله من أخرى :

فاجأتنا<sup>٥</sup> والمنونُ مُنتظِرُهُ  
أَصَمٌ سَمِعِي حَدِيثَ حَادِثَةٍ  
مُتَوَجٌّ مِنْ جُدَامٍ مَاتَ لَهُ  
ثَلَاثَةٌ لَا خِلَافَ أَنْتَهُمْ  
ما نَفَعَ الْمُشْتَرِي وَلَا زُحْلًا<sup>٦</sup>

صُرُوفَ الرَّحَى الجاري على كل قسور  
تُحَدِّثُنَا عَنْهُ الثَّقَاتُ فَنَمْتَرِي  
فَقُلْ لِلَّسَانِ انْظِيمٌ وَلِلدَمْعِ فَاثْنَرِي  
وعزَّ مُعَزَّ الدَّوْلَةِ ابنُ المظفرِ  
وأكرمَ مَنْ يُدْعَى لَهُ فَوْقَ مَنِيرِ  
مَضِيَّتْ بِمَعْرُوفٍ وَجِثَتْ بِمُنْكَرِ  
وما لِسَمَاءِ المجدِ لم تَنْفَطِرِ<sup>٧</sup>  
وإنْ فَتَقَتْ رِيحَ الغَزَاءِ بِعَنْبَرِ<sup>٨</sup>

مِنْ جَامِعِ الطَّيِّبَاتِ مُخْتَصَرُهُ<sup>٩</sup>  
فَلِ السِّيُوفِ الذِّكُورِ مِنْ ذِكْرِهِ  
ثَلَاثَةٌ فَلْيَعِشْ لَهُ عَشْرُهُ  
خَيْرٌ مِنَ الْفِرْقَدَيْنِ وَالزُّمَرِ  
ضَوْءٌ بَلِ اللَّهِ مُنْفِذُ قَدَرِهِ

١ ص : دارت .

٢ ص : رده .

٣ ص : ير .

٤ فيه اعتماد على قول ابن هانيه : « فتقت لكم ريح الجلال بعنبر » .

٥ ص : حاتنا .

٦ ص : مخمرة .

٧ ص : زحل .

ومنها ، وهو من طريق الاستطراد للاستجداء ، وطلب الحياء ،  
وكان الحُصْرِيّ مَشْحُوذَ المُدِيَّةِ ، في أبواب الكُدِيَّةِ :

بَيَّضَ كُلَّ وَلَا بَيَّاضَ مَعِيَ إِلَّا بَيَّاضُ المَشِيبِ والبَشَرَةِ  
فَضِيبْتُ عَنْ مَجْلَسِ العِزَاءِ عَلَى رَغْمِي<sup>١</sup> وَإِنْ كَانَ مِقْوَلِي حَضَرَهُ  
يَا أَهْلَ هُودٍ إِذَا الْوَرَى حُسِبُوا<sup>٢</sup> مِنْ صَدَفِ الْبَحْرِ كُنْتُمْ دُرَرَهُ  
يَا كُرَّمَاءَ الزَّمَانِ لَسْتُ أَرَى حُجُولَهُ غَيْرَكُمْ وَلَا غُرْرَهُ

ومن قبيحِ استجداء الحُصْرِيّ مَا فَعَلَهُ بِالْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَادٍ ، تصدَّى  
له في طريقه بالعدوة على حاله مِنْ<sup>٣</sup> اعتيقاله ، ولم ياقه باكياً على  
خلفه من ملكيه ، ولا تأدَّب معه في وَصَفِ مَا انْتَثَرَ مِنْ سِلْسِكِهِ ، بل  
بأشعارٍ قديمةٍ له ، صَدَرُهَا فِي الرَّبَابِ وَفَرَّتْنِي ، وَعَسَجُهَا فِي طَلَّابِ  
اللَّهِ . وعلى تلك الحال ، وما يُنَاجِي بِالْمُعْتَمِدِ مِنَ الْبَلْبَالِ ، قَاسَمَهُ<sup>٤</sup>  
فِيمَا كَانَ بِيَدِهِ مِمَّا كَانَ بِهِ زُودٌ ، حَسِبَا وَصَفْتُ لَهُ فِي أَخْبَارِهِ مِنْ  
هَذَا المَجْمُوعِ<sup>٥</sup> .

وله من أخرى في المُقْتَدِرِ بْنِ هُودٍ :

نُفِرْتُ فِي الْعُمْرِ الذَّاهِبِ وَنَغَرْتُ بِالْأَمَلِ الْكَاذِبِ

١ ص : زمني .

٢ ص : حبسوا .

٣ ص : على .

٤ انظر القسم الثاني : ٦٦ .

٥ ص : القمر .

يقول فيها :

تنزّه عن تبعات الملوك      فخفّ على الملتك الكاتب  
فققدنا الربيع أبا جعفر      فلا درّ خليف على حالب  
لبست البياض ولولا الخلاف      لسودت ثوبي كالرّاهب

ومنها :

نقدت القريض على ربّه      وفصل الخطاب على الخاطب  
بتديك أرى بعد الحميد      وبابن العميد وبالصاحب  
ففضلك من لي بإحصائه      وفي بعضه علة الحاسب

وله في مَوْتِ المعتضدِ وولاية المعتمد<sup>١</sup> :

مات عبّادٌ ولكنّ بقيّ الفزعُ الكريمُ  
فكانَ الميتَ حيّ غيرَ أنّ الضادَ ميمُ

ومات للحصريّ ابنٌ بلغَ من جرّعه عليه النّهاية ، وتجاوز في ذلك  
الغاية ، وصنع فيه مرثي على حُرُوفِ المُعْجَم<sup>٢</sup> ، منها<sup>٣</sup> :

---

١ انظر ياقوت ١٤ : ٤٠ والخريدة ٢ : ١٨٧ والنفع ٤ : ٢٤٦ ومختارات ابن الصيرفي :

١٣١ والغيث ٢ : ٢١٩ والوافي في نظم القواني ، الورقة : ٤٣٦ .

٢ هذه هي القصائد التي تضمنها ديوانه اقتراح القريب واجترّاح الجريح وقد نشره الأستاذان

المرزوقي والجيلاني في كتابهما عن الحصري : ٢٤٣ - ٤٩٠ وسأشير إليه فيما يلي باسم

« اقتراح » .

٣ اقتراح : ٢٧٥ .

عرضت له تَفْاحَةٌ تَفْاحَةٌ  
ولو استطاع القول قال مُشافِهاً  
فُزْ مَطْمِنٌ القلب لا مستوفزاً  
عبد الغني لك المسرة غائباً  
لما غدوا<sup>١</sup> بك جائزين كأنما  
وقال فيه<sup>٢</sup> :

لست أنسى مقامه ومقامي  
أنفه ينثر العقيق وعيني  
وقال فيه<sup>٤</sup> :

ذوى ربحاني الأريج  
ذبيح طل منه دم  
رأيت دماءه وديما  
ترفتق يا ستقام به  
صدعت بما أميرت وما  
فأين غرار ميقوله  
وضاق بخليتي الفرج  
ولم يقطع له ودج  
عيني كيف تمنتزج  
أبعد المستوى عوج ؟  
عليك مع القضا حرج  
وأين حيجناه والحنجج ؟ [١٠٤]

١ ص : غدونا ؛ اقتراح : أدوا .

٢ اقتراح : ٢٧٨ .

٤ اقتراح : ٢٩٦ .

٥ اقتراح : محلي .

شأي ابن الأربعين وما اذ  
عروقُ الناسِ كلَّهمُ  
بنو الدنيا كأنَّهمُ  
وَهَلْ هِيَ غَيْرُ دَارٍ أَذَى  
تأملُ كيف تَأْكُلُهُمُ  
شَهَتْ عَشْرًا به الحِجَجُ  
إلى عِرْقِ الثرى تَشِيجُ<sup>١</sup>  
لِقِيلَةٍ هَمَّهِمْ هَمَجُ  
إذا دخلوا بها خَرَجُوا  
وَهُمْ وَلَدٌ<sup>٢</sup> لها نَتِجُ

وقال له<sup>٣</sup> :

على تَعْمِيرِ نُوحٍ مَاتَ نُوحُ  
وكيف الصَّبْرُ أمْ كيف التَّعَزِّي  
فناثحةٌ لأمرٍ ما تَنُوحُ  
ومِنْ عِرْنِينِهِ<sup>٤</sup> وَلَدِي ذَبِيعُ

وقال فيه<sup>٥</sup> :

أنا فردٌ بلا خَلِيٍّ  
أنا كالأورقِ اشْتَكَى  
أنا كالزَّرْعِ والعِيدَا  
لِي ولا ابنٍ ولا أَخٍ  
بُعْدَ وَكْرِ<sup>٦</sup> وَأفْرُخٍ  
كالجرادِ المسخِخِ<sup>٧</sup>

١ من قول امرئ القيس :

إلى عرق الثرى وشجت عروقي  
وقيل في تفسير عرق الثرى إنه إبراهيم .

٢ ص : ولدها

٣ اقتراح : ٣٠١ .

٤ ص : غريبته .

٥ اقتراح : ٣٠٦ .

٦ اقتراح : فقد ألف .

٧ ص : المسرخ ؛ اقتراح : المصوخ ؛ والمسوخ : الذي يغرز ذنبه في الأرض .

قُرَّةُ الْعَيْنِ ١ دُونَهُ  
صَاحِبَ الصُّورِ أَنِفًا  
عَلَّتِي ٣ مِنْهُ أَشْتَفِي  
كُلُّ عُمْرٍ مُوقَّتٌ  
بَرْزَخٌ أَيُّ بَرْزَخٍ  
حَضَرَ الْمَوْتَ ٢ فَاَنْفُخِ  
بِالنَّسِيمِ  
فِي كِتَابٍ مُؤَرَّخٍ

وقال ٤ :

تَنَافَرْتُ مِنْ مَدَامَعِي ذُرَّرٌ  
إِنْ دِيَارًا حَلَلْتُهَا لَفَلًا  
أَثَرَى بِهَا ، وَافْتَقَرْتُ ، مَنْ لَقَطَا  
وَلِنْ سِرْبًا بَكَى مَعِي لَقَطَا

وقال فيه ٥ :

بِنَفْسِي نَجْمٌ أَظْلَمَ الْأَفْقُ إِذْ هَوَى  
أَحِينَ شَأَى مِنْ فَضْلِهِ كُلِّ سَابِقٍ  
وَهَزَّ قَنَاقَةَ الْقَصْدِ ٦ لِلطَّعْنِ فِي الْعِيدَا  
رَمَتْهُ فَأَصْبَحَتْهُ السَّهَامِ وَلَئِنَّ  
وَكَادَ يُعْزِيئِي بِهِ الْقَحَرَانِ  
وَعَنَى شَامٌ بِاسْمِهِ وَيَحْمَانِ  
وَرِاشَ جَنَاحِ الْعِزِّ لِلطَّيْرَانِ  
لَتَفِي زَرْدٍ مِنْ دَعْوَتِي وَكِتَانِ

وفيه يقول ٧ :

- ١ ص : عين .  
٢ اقتراح : الوقت (وهو أصوب) .  
٣ ص : علتي .  
٤ اقتراح : ٣٤٤ .  
٥ اقتراح : ٣٧٥ .  
٦ اقتراح : وجر . . . النصر .  
٧ يهدو أنهما لم يردا في اقتراح القريح .



عبدُ الغنى بُنيّتي      كَلَاهُ بِالْحِفْظِ رَبُّهُ  
يقولُ قلبي كُلُّهُ      واشربْهُ مِنَّا أَحِبُّهُ

ونه من قصيدة يَتَدُبُّ وطنه بالقيروان ، ويتذكرُ من كان هنالك  
مِن الإخوان :

مَوْتُ الكرامِ حياةٌ في مواطنهم  
يا أهلَ ودي لا والله ما انتكثتُ  
لنَّيْنٍ بعدُ تسمُ وحالَ البحرِ دونكمُ  
ما نيمتُ إلا لكي ألقى خيالكُمُ  
إذا اعتلنا تعللنا بذكريكُمُ  
ماذا على الريحِ لو أهدتُ تحيتها  
أصبحتُ في غربي لولا مكائمي  
كأنني لم أذُقْ بالقيروانِ جنى  
ولم تشقني الحدودُ الحمرُ في بقتي  
أبعدَ أيامنا البيضِ التي سَلَفَتْ  
أمنرُ بالبحرِ مُرتاحاً إلى بلدٍ  
وأسالُ السَّفنَ عن أخباره طمَعاً  
هل مِن رِسالةٍ حبٍّ أَسْتَعِينُ بها  
ألا سَقَى الله أرضَ القيروانِ حياً  
فلأنها ليدَةُ الجناتِ تُربَّتُها  
إلا تكن في رباها روضةٌ أنثفُ

فلإن [هَمْ] اغتربوا ماتوا وما ماتوا  
عندي عهودٌ ولا ضاقتُ موداتُ  
لَسَبَيْنَ أرواحينا في النومِ زوراتُ  
وَأين من نازحِ الأوطانِ نوماتُ؟  
لو أحسنتُ برءَ عيلاتِ تَعيلاتُ  
إليكُمُ مثلُ ما تُهدى التحياتُ؟  
بَكْتَنِي الأرضُ فيها والسمواتُ  
ولم أقلْ ها لأحبابي ولا هاتوا  
ولا العيونُ الميراضُ الباهلياتُ  
تَرَوْقُنِي غَدَوَاتُ أو عَشِيَّاتُ؟  
تَمَوْتُ نفسي وفيها منه حاجاتُ  
وَأنتني وبقلي منه لَوَعَاتُ  
على سَقامي فقد تَشْفِي الرسائلُ؟  
كَأَنَّهُ عَبْرَاتِي المُستهلاتُ  
مِسْكِيَّةٌ وحصاها جَوهراتُ  
فلإنما أوجهُ الأحبابِ روضاتُ

أَوْ لَا يَتَكُنْ نَهَرٌ عَذْبٌ يَسِيلُ بِهَا  
أَرْضٌ أَرِيضَةٌ أَقْطَارُ مَبَارَكَةٍ  
لَا يَشْمَعَتْنَ بِهَا الْأَعْدَاءُ إِنَّ رُزِيتُ  
وَلَمْ يَزَلْ قَابِضُ الدُّنْيَا وَبَاسِطُهَا  
هَلْ مَطْمَعٌ أَنْ تُرَدَّ الْقَيَرَوَانُ لَنَا  
مَا إِنْ سَجَا اللَّيْلُ إِلَّا زَادَنِي شَجَنًا  
وَلَا تَسْنَفَسْتُ أَنْفَاسَ<sup>٢</sup> الرِّيَاضِ ضُحَى  
هَذَا وَلَمْ تَشْجُقْ قَلْبِي لِلرَّبَابِ رُبَى  
وَكَمْ دُعِيتُ لِبُسْتَانٍ فَجَدَّدَ لِي  
وَلَوْ تَرَانِي إِذَا غَمَّتْ بَلَابِلُهُ  
أَنِّي لِأَظْمَأُ وَالْأَنْهَارُ جَارِيَةٌ  
وَمَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا بِأَسْطَأَ يَدَهُ

ومنها في المدح :

بَلِيغٌ أَحْبَبْتَنَا الْبَاكِينَ مِنْ جِيهَتِي  
مِنْ الضَّرَاعِيمِ إِلَّا أَنْ غَابَتْهُمْ  
فَعَمَّ يَكُنْ فِيهِ بَيْنَ اثْنَيْنِ مُخْتَلَفٌ

فَلِنْ أَنْهَارَهَا أَبْدَى كَرِيمَاتِ  
لِلَّهِ فِيهَا بَرَاهِينَ وَأَيَّاتِ  
إِنَّ الْكُفُوفَ لَهُ فِي الشَّمْسِ أَوْقَاتِ  
فِيَمَا يَشَاءُ لَهُ مَحَوٌّ وَإِثْبَاتِ  
وَصَبْرَةٌ وَالْمَعْلَى فَالْحَنِيَّاتِ؟  
فَأَتَبَعْتُ زَفَرَاتِي فِيهِ أَنْتِ  
إِلَّا بَدَلْتُ حَسَرَاتِي الْمُسْتَكْنَاتِ  
وَلَا تَقْضَيْتَهُ<sup>٤</sup> مِنْ لُبْنَى لُبَانَاتِ  
وَجَدَّاءُ وَإِنْ كَانَ فِي مَعْنَاهُ سَلَوَاتِ  
أَشْكُو الْبَلَابِلَ لَوْ تُغْنِي الشَّتَكِيَّاتِ  
حَتَوِي وَأَضْحَى وَدُونَ الشَّمْسِ دَوَّاحَاتِ  
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُمْكِنَ الْمَأْسُورَ إِفْلَاتِ

أَنِّي حَمَتْنِي أَسُودُ حِمِيمَرِيَّاتِ  
بَيْضُ حِدَادٍ وَحُمُرُ سَمَهَرِيَّاتِ  
فَذَا الَّذِي اتَّفَقَتْ فِيهِ الْبَرِيَّاتِ

١ ص : أبدا .

٢ ص : أن ترى أرض .

٣ ص : أنفا في .

٤ ص : تقضيته .

ومن شعره مما خاطب به الفقيه القاضي أبا المطرف الشعبي<sup>١</sup> بمالقة  
من جملة قصيدة :

سَرَيْتُ وَخَلَّيْتُ السَّرِيَّ مُصَاحِبِي<sup>٢</sup>      فهذا الهوى يُصْبي وهذا الهوى يُنْضِي<sup>٣</sup>  
فَتَوْبِكَ مَنِي سُلَّ يَا أَسَدَ الشَّرَى      وطرفك عني يامهاة النقاغي [١٠٥]  
تَفَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَفِي غُرْبَتِي بِهَا      فضأقت علي الأرض في الطول والعرض  
لَقَدْ شَعَبَ الشَّعْبِي قَلْبًا صَدَعَتْهُ      كما تصدع المظلومة الخيل بالركض  
نَهَوْضُ لِامْرِئٍ آمَرْتَهُ خَوَارِجُ<sup>٤</sup>      نهوض بأعباء العلاء أيما نهوض  
جَلَا عَدْلُهُ لِمَظْلَمٍ كُلِّ ظُلَامَةٍ      وحاطة قناة الدين حيفظاً من الخفض

١ هو أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي المالقي (٤٠٢ - ٤٩٧ هـ) كان فقيه مالقة في عصره ، وعليه كانت الفتيا تدور ، وكان حافظاً من الحفاظ المشاهير ، يحفظ المدونة وغيرها ، أخذ عن شيوخ جلة كأبي أيوب (أبي العباس) أحمد بن أبي الربيع اللبيري وعن أبي محمد قاسم بن محمد المأموني السبتي وغيرهما ؛ وقال فيه الفقيه أبو العباس أصبغ بن أبي العباس : « عصرة أهل العلم الرقيقة ، ومضبته العبقة البديعة ، بذفيه الجموع والأفراد ، وأرْبَى نظره على النفاذ والنفاذ . وبورك له فيما منح من الاستيلاء والاستحواذ . . . » (وقد جرى التعريف به في القسم الأول : ٨٤٨ الحاشية : ٢ اعتماداً على أدباء مالقة والصلة ، ولكنني زدت التعريف به هنا بياناً ) .

٢ ص : لصاحبي .

٣ كذا ورد هذا البيت في ص ؛ ومعناه فيما أرى : أني سريت واتخذت الحمل السري (المختار) مصاحباً لي ، فهوأي يصْبي ، أما هوى الحمل فانه ينضِي ، أي يسبب له النحول .

٤ المظلومة : الأرض .

٥ كذا ؛ ولعله « نقوض لامر » أي أنه ينقض ما اجتمعت عليه الخوارج من رأي وكيد ؛ والامر - بكسر الهمزة - الأمر العظيم الشنيع .

كففت أكف الظلم عن كل مسلم  
تنيم برية جنة الخلد رية<sup>١</sup>  
كانت منها مالك وهي طيبة  
وإن أنشيدت في دار حكيم مدحي  
لشمت حصى مغناك لمتا وطئت  
غدا عيسنا بالبيد شدو وحداتنا  
عرضن لمال منه أو دم أو عرض  
لن قطف الأزهار من روضك الغض  
فما جمع أهل العلم عنك بمنفض  
لقد جليت بكرة على خير منفض  
وقلت اللآلي كيف تظلم بالرض  
بذ كرك فاستغنيت عن الماء والحمض

وقدم من الشرق فأنزلته في داره وأكرمه ، فقال فيه من جملة قصيدة :

أمولى شرفت به أم صديق  
تحتكتني ومنى ملكه<sup>٢</sup>  
سقاني وأخلاقه جنة  
حلت وأحلت<sup>٣</sup> كريق الحبيب  
وزاد على الزاد ما قاتني  
يواصلني حين يجفو الشقيق  
فحسب متعالي أنا رقيق  
فمنها الرياض ومنها الرقيق  
فطاب الصبح بها والغبوق  
زماناً وإن طال ذاك الطريق

وخرج تميم<sup>٤</sup> عن مالقة معزولاً فقال :

١ رية هو الاسم القديم لمالقة .

٢ ص : ملك .

٣ ص : وحلت .

٤ هو تميم بن بلقين صاحب مالقة ، الملقب بالمستنصر وكان أحد الذين استنفرهم يوسف بن تاشفين في جوازه الثاني لحصار حصن لبيط ، ثم ان المرابطين نحوه وأخاه عبد الله بن بلقين وأرسلوهما إلى المدوة وأسكننا بأغوات ( انظر الحلل الموشية : ٥٨ ومذكرات الأمير عبد الله ) .

أَهْوَاكُمْ جَدًّا مَارِحُهُ<sup>١</sup> وَالْحِمَى لَمْ يَدْنُ نَارِحُهُ؟  
 مَارَسَتْ مِنِّي الْعِدَا رَجُلًا أَسْمَعَ الصَّهَاءَ صَائِحُهُ  
 إِنَّ زَجَرْتُ<sup>٢</sup> الطَّيْرَ فِي سَقَرِي عَنْ يَمِينِي مَرًّا سَائِحُهُ  
 عَجِبْتُ أَسْمَاءَ مِنْ جَلَدِي يَوْمَ أَصْمَى الْقَلْبَ جَارِحُهُ

ومِنْهَا :

لَا يَتَضَقُّ مَن صَدْرُهُ حَرَجٌ<sup>٢</sup> شَيْخُنَا الشَّعْبِيُّ شَارِحُهُ  
 إِنَّمَا أَخْلَاقُهُ زَهْرٌ عَطَّرَ الْآفَاقَ فَائِحُهُ  
 إِنَّمَا أَقْلَامُهُ أَسَلٌ هَابَهَا فِي الْجَوِّ رَامِحُهُ  
 قُبِيلَ الشَّعْبِيُّ حِينَ دَعَا فَكَبَا بِاللَّيْلِ سَائِحُهُ  
 بِتَمِيمٍ حِينَ حَانَ بِهِ الْحَمِيمُ<sup>٣</sup> وَانْقَادَتْ جَوَامِحُهُ  
 ضَعُفَتْ مِنْهُ الْقُوَى فَغَدَتْ مِنْ قَوَارِيرٍ قَوَارِحُهُ  
 وَاجْلَسَتْ عَنْ حُسْنِ مَالِقَةٍ بِفَقِيهِهَا<sup>٣</sup> قَبَائِحُهُ  
 وَصَفَا الْبَحْرَانِ مِنْ كَدَرٍ فَارْتَوَى بِالْمَاءِ مَائِحُهُ  
 ذِكْرُهُ غَنَّى الزَّمَانُ بِهِ وَأَنَا فِيهِ أَطَارِحُهُ

١ ص : ان جر .

٢ ص : في صدره حرجاً .

٣ الفقيهان هما الشعبي وابن حنون .

وله من أخرى [ يمدحه و ] يمدحُ القاضيَ أبا مروانَ بنَ حسّون<sup>١</sup> :

سهلُ الأباطحِ من عُلّاكَ يَتَفَاعُ      والنَّجْمُ      أنتَ وكفّكَ الميربَاعُ  
بل أنتَ شَحْنَسٌ لا تَزَالُ ولم [ يَزَلْ ]      في سائرِ الآفاقِ [ منك ] شُعاعُ  
مَن يَسْتَخْلِفُ كلُّ الوَرَى في حُبِّهِ      فأبو المطرفِ حُبُّهُ لإجماعِ  
شَهِدَتْ عَقُولُ العالَمينَ بفضليهِ      فسواءُ الأعداءُ والأشِياعِ  
مِصْبَاحُ مالِقَةِ أرادَ خُمودَهُ      قَوْمٌ ليرتَفِعُوا وهم أَوْضاعُ  
فالعامُ لم يَكْمُلْ لِعَزَلَتِهِ بها      حتّى عِلَّتْ يَدُهُ وطالَ الباعُ<sup>٢</sup>  
انظُرْ لِيهِ [ اليوم ] كيفَ أَصابَهُ      صرْفُ الزَّمانِ وليسَ عنه دِفَاعُ  
لولا إِساءَتُهُ إِلَيْكَ وظُلُمُهُ      لغدا وأنتَ لَهُ يدٌ وذِرَاعُ  
بينَ ابنِ حسّونٍ وشُعْبِيّ الهُدَى      مَن قَدَدِي خالِصَةَ الإخاءِ رِضَاعُ

١ بنو حسون من الأسر المشهورة بمالقة ، وكان منهم أبو علي الحسن بن حسون قاضي مالقة في مدة المالقي بن يحيى بن حمود (المغرب ١ : ٤٣٠ ) وأبو الحكم ابن حسون الذي تول أمر مالقة فترة من الزمن (النباهي : ١٠٤ ) وذكر ابن الأبار أبا عامر بن حسون (التحفة : ٩٦ ) وأنه كان والياً على مالقة ؛ أما أبو مروان هذا فهو عبيد الله بن عيسى (أو ابن حسين بن عيسى) الكلبي المالقي ، ولي قضاء مالقة وكان أبوه (الشهير بحسون) قد وليها لبني حمود ( انظر ما تقدم قبل قليل فلعله هو الذي ذكره ابن سعيد باسم الحسن ، وذكره ابن الأبار باسم الحسين ) ، وتوفي يوم الاثنين لأربع خلون لربيع الآخر من سنة ٥٠٥ وقد كان ابنه محمد من الفقهاء المشاورين في بلده ( أدباء مالقة : ١٥٢ - ١٥٣ والتكملة : ٩٢١ - ٩٢٢ ) .

٢ يبدو أن تميم بن بلقين كان قد عزل أبا المطرف الشعبي ، فلما عزل تميم عاد أبو المطرف إلى منصبه ، وهذا ما يفسره البيت التالي الذي يصور الشماعة بتميم ؛ وانظر القصيدة السابقة ففيها تصريح بسوء العلاقة بين تميم من ناحية والشعبي وابن حسون من ناحية أخرى .

حَسَّنَتْ وَجوهَ مِنْهَا وَطَبَّاعَ  
تَلْتَذُّهُ الْأَبْصَارُ وَالْأَسْمَاعُ  
تَخْضَرُّ مِنْهُ بَسِيطَةٌ وَتِيلَاعُ  
تَنْبُو الطُّبَا وَكِلَاهُمَا قَطَّاعُ

يَا مَا أَجَلَّتَهُمَا وَأَشْبَهَ ذَا بِلَا  
مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا بِحَسْنِهَا الَّذِي  
خُلِقَتْ لِنَصْرِ الدِّينِ وَالْكَرَمِ الَّذِي  
كَمَهْتَدِينَ مُجَرَّدِينَ بَرِيَّةَ

وَلَهُ فِيهِمَا مِنْ أُخْرَى أَوْلَاهَا :

بِهَا عَلَّمَا عِلْمٍ وَأَعْدَلُ قَاضٍ  
وَرَأَيْتُهُمَا فِي الْمَشْرِفَةِ مَاضٍ  
كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ غَيْرُ عِرَاضٍ  
وَيَسُودُ مِنْ فَوْدِيَّ<sup>٢</sup> كُلُّ بَيَاضٍ  
هِدَايَةَ عُمَيَّانٍ وَبُرْءَ مِرَاضٍ  
وَأَنْتِ ابْنَةُ<sup>٣</sup> فِي عِصْمَةِ ابْنِ عِيَاضٍ

بَرِيَّةَ [ رِيَا ] رَوْضَةٍ وَرِيَاضٍ  
مَعَالِيَهُمَا فَوْقَ النُّجُومِ مُنِيفَةً  
سَكَمْتُ حَيَاتِي وَالْمَقَامَ بَطْنُجَةٍ  
سَيُورِقُ عُوْدِي إِنْ سَكَنْتُ بَرِيَّةَ  
لَدَى قَمَرِيَّهَا إِنْ فِي غُرَّتَيْهِمَا  
أَرِيَّةَ مَرَّعَايَ الْمَرِيْعُ وَأَيْنُقِي

وَقَالَ :

كَلِيلُهَا الْيَوْمَ وَمَاضِيهَا  
فَقِيْهُهَا الشَّعْبِي قَاضِيهَا  
وَاللَّهُ بَعْدَ الْخُلُقِ رَاضِيهَا  
لَقَدْ مَتَّنُهُ عَنْ تَرَاضِيهَا  
قَضَى لَنَا قَبْلَ تَقَاضِيهَا

يَا عَجَبًا لِلسَّيُوفِ اسْتَوَى  
وَقَدْ رَأَيْتُ الْعَدْلَ فِي بِلْدَةِ  
أَحْكَامِهِ بِالْحَقِّ مَرْضِيَّةَ  
لَوْ شِوَرَّتْ فِيهِ بَنُو هَاشِمٍ  
كَمْ حُنْجَةً أَوْضَحَ ، كَمْ حَاجَةً

١ ص : فَمَا .

٢ ص : فَوَادِي .

٣ ص : ابْنَهُ فِي حَقِّهِ .

ذكر الأديب أبي الحسن عبد الكريم بن فضال القيرواني  
واشتهرت معرفته بألفنا بالحلواني<sup>١</sup>  
وسياقة جملة من شعره

وله كلامٌ في التسيبِ رائق ، ومتأخيراً سابق ، ومتديحهُ أيضاً عليه  
طلاوة ، وبالجملة ففي ألفاظِ الحلواني حلاوة . ومن خطّه نقلتُ ، جملة  
ما ها هنا له أخرجتُ .

النسيب وما يناسبه

قال ٢ :

ولمّا تنادوا للرّحيلِ وقُربتُ كرام<sup>٣</sup> المطايا والركابُ تسيرُ

١ هناك اثنان يعرفان بابن فضال وكلاهما يكنى بأبي الحسن : علي بن فضال القيرواني المجاشعي النحوي وقد شرق ، ومدح نظام الملك وزير الدولة السلجوقية ( وله ترجمة في الخريدة ١ : ٢٨٧ والمنتظم ٩ : ٣٣ ومعجم الأدباء ١٤ : ٩٠ وانباء الرواة ٢ : ٢٩٩ وانظر مزيداً من مصادر ترجمته في الخريدة ٣ : ٦٩٤ وكانت وفاته سنة ٤٧٩ هـ ) ٤ والثاني هو عبد الكريم ابن فضال القيرواني الحلواني - وله ذكر في المطرب : ٧٥٠، ٥٩ ورايات المبرزين : ١٠٧ ( غ ) ومسالك الأبصار : ٤٥٦ والخريدة ٢ : ١٨٨ وهذا هو الذي غرب فدخل صقلية والأندلس ، وقد مر ذكره في القسم الأول ١ : ٥٠٦ وأنشد له بيتين في لبس البياض وهو شعار الحداد عند الأندلسيين .

٢ انظرها في المسالك والخريدة والمطرب ومختارات ابن الصيرفي : ١٣١ .

٣ في أكثر المصادر : عتاق .



جَعَلْتُ عَلَى قَلْبِي يَدَيَّ مَبَادِرًا      فَقَالَوا مُحِبًُّا لِلْعِنَاقِ يُشِيرُ  
فَقُلْتُ وَمَنْ لِي بِالْعِنَاقِ وَإِنَّمَا      تَدَارَكْتُ قَلْبِي حِينَ كَادَ يَطِيرُ  
وقال الحلواني<sup>١</sup> :

قالوا التحى فامَّحَتْ بالشَّعْرِ جَهَنَّمُ      فقلتُ لولا الدجى لم يَحْسُنِ الْقَمَرُ  
مَنْ كَانَ مُنْتَظِرًا لِلصَّبْرِ عَنْهُ بِهِ      فإِنِّي لَغَرَامِي كُنْتُ أَنْتَظِرُ  
خَطَّتْ يَدُ الْحُسْنِ مِنْهُ فَوْقَ وَجَنَّتِهِ      هَلْ هِيَ مُحَاسِنٌ يَا أَهْلَ الْهَوَىٰ أُخَرُ

ومعنى هذا البيتِ يَتَطَرَّفُ قولَ ابنِ شرف<sup>٢</sup> :  
سُبْحَانَ مَنْ أَعْطَاكَ حُسْنًا ثَانِيًا      وَبِثَالِثٍ مِنْ حُسْنٍ فِعْلِيكَ عَزْرًا  
وقال الحلواني<sup>٣</sup> :

لي حبيبٌ إِذَا شَكُوتُ لِهَيْبِ      فِي الْهَوَىٰ سَامِي عَذَابًا شَدِيدًا  
لَسْتُ أَدْعُو عَلَيْهِ بِالشَّعْرِ [غَيْظًا]      خَيفَةً أَنْ يَكُونَ حُسْنًا جَدِيدًا  
غَيْرَ أَنِّي أَدْعُو بِقَلْبٍ قَرِيبِ      أَنْ أَرَاهُ مِثْلِي مُحِبًّا عَمِيدًا  
كَأَنَّهُ عَكْسَ قولِ الْبُحْتَرِيِّ<sup>٤</sup> :

أَعِيذُكَ أَنْ تُحْسِنِي بِشَكْوَى صَبَابَةٍ      وَإِنْ اكْتَسَبَتْ نَأْمُكَ عَطْفًا عَلَى الْعَبِّ  
وَيَحْزُنُنِي أَنْ تَعْرِفِي الْحُبَّ بِالْهَوَىٰ      وَإِنْ نَفَعَتْ نَأْمُ فَيْكِ مَعْرِفَةُ الْحُبِّ

١ الشريشي ١ : ٤١٤ .

٢ انظر التنف : ١٠٣ وما تقدم من : ٢١٥ .

٣ الشريشي ١ : ٤١٤ .

٤ ديوان البحتري : ١٠٥ .

وقال ١ :

رُبَّ خَيْطٍ فُتِنْتُ بِهِ      فِتْنَةً أَفْنَتْ قُبُورِي جَلَدِي  
لَاعِبٌ بِالْخَيْطِ يَفْتِلُهُ      أَتْرَاهُ ظَنَّهُ جَسَدِي  
لَيْتَ أَنِّي كُنْتُهُ فَأَرَى      بَيْنَ ذَلِكَ الْوَرْدِ وَالْبَرْدِ  
فَعَلْتُ بِالشُّوبِ لِإِسْرَتِهِ      فِعْلَ سَهْمِ الشُّوقِ فِي خَلَدِي  
وَجَرَى الْمِقْرَاضُ فِي يَدِهِ      جَرَى عَيْنِيهِ عَلَى كَبَدِي

وذكرتُ بذِكْرِه الخياطَ قولَ أبي محمد عبدِ اللهِ بن القابِلَةِ السَّبْطِيِّ ٢  
في غُلامٍ وسيمٍ يرفو في السوقِ ثوباً :

يَا رَافِئاً قَطَعَ كُلَّ ثُوبٍ      وَيَا رَشاً حُبَّهُ اعْتِقَادِي  
عَسَى بِكَفِّ الْوِصَالِ تَرْفُو      مَا قَطَعَ [الهَجْرُ] مِنْ فَوَادِي

وهذا من اللفظ الطيَّار الخفيفِ الرُّوح . ومن الكلامِ الفجَّ الثَّقِيلِ ،  
قولُ عبدِ الجليل :

بِسُوقِ الْحَيَاةِ مُسْتَمِرَّدٌ      تَوَدُّ لِمَنْ نَاكَهَ أَلْفَ خَمِيرٍ  
وَأَشْهَدُ أَنَّ الْفَتَى صَانِعٌ      لَطُوقِ عِجَاجٍ عَلَى عُنُقِ أَيْرٍ

وما أحلى لفظَ الحُلُوتَانِي هذا في غلامٍ وسيمٍ أراد الشَّهْوَضَ إِلَى  
الحَجِّ ٣ :

١ الشريشي ١ : ٣١٧ .

٢ سترجم له ابن بسام في هذا القسم ، وله ذكر في رايات المبرزين : ٩٩ - ١٠٠ وبهتاه في

الشريشي ١ : ٣١٧ .

٣ وردت في المسالك ١١ : ٤٥٦ والمسلک السهل : ٤٩٦ والشريشي ٤ : ١٨ .

يا طالبَ الحجِّ وهو ذو صِغَرٍ      عَجِلْتَ فاستأنَّيهِ إلى الكِبَرِ  
 إنْ كنتَ تَبْغِي مَعْرُوبَةً فَعَسَى      تَحْمِلُ لِي قُبْلَةً إلى الحَجَرِ  
 وإنْ رَمَيْتَ الجِمَارَ فارْمِ به      كلَّ فؤادٍ عَلَيْكَ لم يَطِيرِ  
 فقال دَعْنِي وَزَمَزَمًا فَعَسَى      اغْسِلُ مِنْ مِقْلِي دَمَ البَشَرِ

وعلى ذكرِ قَوْلِهِ « تَحْمِلُ لِي قُبْلَةً إلى الحَجَرِ » ، قال الحَسَنُ لَعْلَامٍ  
 رآه بالمَكْتَبِ ، فأشارَ لتَقْبِيلِ يَدِهِ ، فَقَبَّلَهُ ١ :

ظَفِرْتُ بِقُبْلَةٍ مِنْهُ      على عَيْنِي مُعَلِّمِهِ  
 أَشَرْتُ بِهَا إِلَى يَدِهِ      فوصلَها إلى قَمِيهِ

وقال الحُلُوتَانِي :

تَعَرَّضْتُ مَنْ شَقَنِي هَجْرُهُ      بِيَدِهِ سَلَامٍ عَلَيْهِ شَفَاها  
 وَقُلْتُ عَسَاهُ يَرُدُّ السَّلَامَ      فَتَبْلُغُ نَفْسِي مِنْهُ مَنَاهَا  
 فجادَ عَلَيَّ بِتَقْبِيلِهِ      وقد كانَ أَعْرَضَ عَنِّي وَتَاهَا  
 فَكُنْتُ كَمَوْسَى أَتَى للضِيَاءِ      لِيَقْيِسَ نَاراً فَتَاجَى الإِلهَا

وقال :

يا صاحِ خُذْها نَصِيحَةً لِيَبْكِكَ      بالوُدِّ إنْ كُنْتَ فَاتِكَ الفَتَكَةُ  
 اسفِكَ دَمَ المُرْدِ إنْ وَجَدْتَهُمْ      فليس يَلْقَى العَذَابَ مَنْ سَفَكَه  
 واتركْ هَوَاهِمَ إِذَا هُمْ تَرَكَوا      قد يَتْرُكُ الحَبَّ حُبًّا مَنْ تَرَكَه

١ انظر البيهقي وأبيات الحلواني بعدها في الشريشي ٥ : ٢٥٣ .

وقُلْ لمن خان في محبته لي هيمة عن هواك مُمتسكة  
 كان بفراط الغرام يملكني فأصبح الدهر عازلاً مَلِكَةً  
 وكان ستر عليه من مَلَح لولا نبات بخده هتكة<sup>١</sup>  
 والله لا صادني له شرك فمذ بدا الشعرُ قطعَ الشركة  
 أفلت من بعد نشف ذنبي ولست طيراً يعودُ للشركة

وذكره نشف ذنبه من اللفظ الرث ، والمستهجى الغث :

وكان أبو محمد المهندوي المعروف بابن الطلاء أحد الشعراء [١٠٧]  
 الطائرين على الأندلس<sup>٢</sup> كثيراً ما يأتي بالاستعارة التي تُضحك كقوله :

ليحى جراباتي منشفة ومرة دهر وهي لم تُنشف

وقد ألفت بلُحى من هذا الباب، في أخبار ابن شماس من هذا الكتاب<sup>٣</sup>.

وقال الحلواني :

قد حل في سوق الكساد منذُ لاح في خدك السواد  
 كأنما الشعرُ فيه زرع والنشف منه له حصاد

وقال :

صَدَّ فما يُصنعي لشاكٍ إليه وراح والألبابُ في راحتيه

١ ص : فتكه .

٢ سجي . ترجمته في هذا القسم : ٣٦٠ .

٣ انظر القسم الأول : ٨٤٢ . ٤ نسه لغيره في الشريفي ١ : ٤١٤ .

مُتَوَقُّ ١! السهمِ إِذَا مَا رَمَى  
يَدُودُ سَيْفُ الْهِنْدِ لَوْ أَنَّهُ  
ذُو وَفْرَةٍ زَادَ بِهَا هَيْبَةً  
عِنْدِي لَهُ مِنْ خُدَعِي رُقِيَّةٌ  
لَا يَدْعِي السُّقْمَ بِالْحَاطِيهِ  
انْظُرْ لِحَالِيهِ فَقَدْ أَقْسَمَا  
انْظُرْ لِحَالِيهِ ٢ فَقَدْ أَقْسَمَا  
رَبِّحَانَةٌ تَحْنَعُ مِنْ شَمَّهَا  
تَاهَ بَوَجْهِ كَادَ مِنْ رُقِيَّةٍ  
رُقِيَّةٌ مِنْ فِرْطٍ ظَنَّ بِهِ

وقال :

يَا حَامِلَ السَّكِينِ فِي وَسْطِهِ  
هَلْ يَتَحَمَّلُ السَّكِينِ مَنْ لَحْظُهُ

وقال :

رَضَابُ ثَغْرِكَ يُضْنِي وَيَشْنِفُنِي

رَمَى وَلَا قَوْسَ سِوَى حَاجِبِيهِ  
تَعَلَّمِ الْفَتَاكَةَ مِنْ نَاطِرِيهِ  
وَقَدْ يَهَابُ اللَّيْثُ فِي لِبْدَتِهِ  
لَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ عَلَى مِسْمَعِيهِ  
فَمُهِجَّتِي أَسْقَمُ مِنْ مَقْلَاتِيهِ  
أَنْ لَيْسَ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْ يَدِيهِ  
بَسِيفِ عَيْنِيهِ عَلَى وَجْهَتِيهِ  
وغيرُهَا تُنْفَضُ فِي مِدرَعِيهِ ٣  
يَقْطُرُ مَاءُ الْحُسْنِ مِنْ صَبْحَتِيهِ  
لشخصِهِ الزَّمُ مِنْ حَافِظَتِيهِ ٤

لَيْسَ بِهَذَا تُعْرَفُ الْعَيْنُ  
فِي مُهَجِّ الْعِشَاقِ سَكِينٌ ؟ !

وَسِحْرُ عَيْنَيْكَ يُغْوِينِي وَيُغْرِينِي

١ ص : مفرق .

٢ ص : لحاليه ؛ وهذا الشعر يبدو تكراراً لما سبقه من طريق السهر .

٣ ص : وغيره . . . مدرعه .

٤ ص : الدم من خافضيه .

وفي نَعْنَيْكَ معنى لا يقومُ به ما في الغُصُونِ من الإرهافِ واللينِ

وهذا كقول أبي الفرجِ الوأواءِ<sup>١</sup> :

مِنْ أَيْنَ اللَّبْدِرِ حُسْنُ صُورَتِهِ وَقَدَّهُ<sup>٢</sup> لِلْقَضِيبِ مِنْ أَيْنِ ؟

وما أَحْسَنَ قولَ بعضِ أهلِ عصرِنا :

ما قَدَرُ نَعْمَانِ إِذَا ما مَشَى وما عسى تَبْلُغُهُ عَالِجُ ؟

وفي هذه القصيدةِ يَقُولُ الحلواني :

|                                                      |                                                    |
|------------------------------------------------------|----------------------------------------------------|
| إذا وصفْتُكَ بِاللَّحْظِ الْفَتُورِ فَمَنْ           | قَدَّ الْقُلُوبَ بِأَطْرَافِ السَّكَاكِينِ ؟       |
| وإنْ نَعْنُتُكَ بِالْغُصْنِ الرُّطِيبِ فما           | في الغُصْنِ ما فيكَ مِنْ كلِّ الْأَفَانِينِ        |
| جِسْمٌ من الماءِ لَكِنْ قَلْبُهُ حَجَرٌ              | أَسْتَغْفِرُ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ مِنْ الطِّينِ     |
| وما سَمِعْنَا بَغُصْنٍ مُثْمَرٍ قَمَرًا              | تَجَمَّعَتْ فِيهِ أَشْجَاتُ الرِّياحِينِ           |
| الوردُ والآسُ والتَّسْرِينُ مجتمعا                   | فيه وفيه بَنِيَّاتُ الزَّرَّاجِينِ                 |
| لم يَرْضَ عَنِّي فَوَادِي مِنْ ضَنَّائِهِ            | حَتَّى مَسَّحَتْ بِهِ فِي كَفِّ ضَمْنَيْنِ         |
| في حُبِّ مَنْ لَوْرَآئِي مِيتٌ مِنْ عَطَشٍ           | والتَّيْلُ في يَدِهِ ما كان يَسْقِينِي             |
| طَمِعْتُ فِيهِ وَغَرَّتْنِي لَوَاحِظُهُ              | لأنَّ المَطامِعَ أسبابُ الشَّيَاطِينِ              |
| قُلْ لابْنِ عَشْرِ وَخُمْسِيَّهِما مِنْ آيِنِ جَرَتْ | سِيَّاهُ عَيْنَيْكَ فِي قَلْبِ ابْنِ سَبْعِينَ ؟   |
| ما حُجِّجْتِي عِنْدَ مَنْ فِي الْحُبِّ يَعْذُلُنِي   | وَأَيُّي <sup>٢</sup> فِي نُبُوءَاتِ الْمُجَانِينِ |

١ ديوان الوأواء : ٢٢٢ .

٢ ص : وآيات .

لأن كنت في الحب سلطاناً على كبدي      فخفت عتوبة سلطان السلاطين  
أو كان عندك للمسكين مَرَحمةٌ      فإن عبدك مسكين المساكين  
وأراه عارضَ هذه قصيدة ابنِ رشيق ، فضلٌ عن الطريق . هذا وقد  
قلتُ إنَّ له في النسب ، أوفر نصيب . فأما إذا وصف أو مدح ، فقلما  
رأيتُه في ذلك نجح ولا أفلح .

### ما أخرجته من قصائده المطولة في المديح وما يتثبت به من الأوصاف

قال يمدحُ الشيخَ صاحبَ الخمسِ أبا عبد الله محمد بن إبراهيم<sup>١</sup>  
الكِنَانِي الشامي بصقلية من قصيدة يقولُ فيها :

|                                         |                                            |
|-----------------------------------------|--------------------------------------------|
| شدُّوا الحدَّوجَ وزرُّوها على قَمَرٍ    | في الحُسْنِ تَنجَابُ عن أنوارِ الظلمِ      |
| دُرَانِ مِينَ فَمِيهِ شَفَا مُحَدَّثُهُ | للتَّشْرِ والتَّظْمِ مَسْمُوعٌ ومُلْتَشَمٌ |
| فليت شِعْرِي لِمَنْ أَنهِي ظِلَامَتَهُ  | وغيرُ مُنتَصِفٍ مَنْ خَصَمَهُ الحَكَمُ     |
| قد قلتُ لو قَبِيلَ الوَعظِ المُبِينِ له | خَفِ المُهَيِّمِينَ فِينَا إِنَّا نَسَمُ   |
| فقال مَنْ ضَرَّجَتْ خَدَّيْ نَظَرَتُهُ  | فإنَّ سِيفَ جُفُونِي مِنْهُ يَسْتَقِمُ     |

ومنها :

١ أرجح أن يكون اسمه « إبراهيم بن محمد » ويسميه إبراهيم في غير موضع في قصائده ،  
وبشير إليه أحياناً بابن محمد .

لَقَدْ مَنَزَلْتُهُ بِالْقِيَرَوَانِ<sup>١</sup> مَعَا  
بَشَقَقْتُ جَيْبَ شَبَابِي بَعْدَ فُرْقَتِيهَا  
إِنْ فُرِقَ الدَّهْرُ عَنْهَا شَمَلْنَا فَلْنَا

وَلَهُ فِيهِ أُخْرَى<sup>٢</sup> :

لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ حَرَفُتُ تَمَنُّ<sup>٣</sup>  
كَيْفَ يَا قِيَرَوَانُ حَالُكَ لَمَّا  
كُنْتَ أَمَّ الْبِلَادِ شَرْقًا وَغَرْبًا  
نَحْنُ أَبْنَاؤُهَا وَلَكِنْ غَنِينَا<sup>٤</sup>  
دِمْنُ<sup>٥</sup> كَانَتْ الْبُرُوجُ وَكُنَّا

وَمِنْهَا :

وَأَنَا قَدْ أَخَذْتُ إِنْ عَبَيْتَ الدَّهْرَ

وَقَالَ مِنْ أُخْرَى<sup>٦</sup> :

نَطَقْتُ بِسِرِّ ضَمِيرِهِ عِبْرَاتُهُ<sup>٧</sup>  
بِأَبِي وَأُمِّي بِدَرُ تِيمٍ<sup>٨</sup> تَحْتَهُ  
يَمْشِي فَيَعْشُرُ<sup>٩</sup> فِي ذُبُولِ شَبَابِهِ

وَمِنْهَا :

أَيَّامَهَا الْبَيِّنُ لَا الْأَيَّامُ وَالْقَيْدَمُ<sup>١٠</sup>  
حُزْنًا عَلَيْهَا وَلَا شَيْبُ وَلَا هَرَمُ  
بِصَاحِبِ الْخَمْسِ إِبْرَاهِيمَ<sup>١١</sup> مَعْتَصِمَ

رَبِّمَا عَتَلَّ الْفُؤَادَ السَّقِيمَا<sup>١٢</sup>  
نَثَرَ الْبَيْنُ سِلْكَكَ الْمَنْظُومَا<sup>١٣</sup>  
فَمَعَا الدَّهْرُ وَشَيْبُكَ الْحَرَقُومَا<sup>١٤</sup>  
بَعْدَ أَنْ لَمْ نُنْطِقْ بِهَا أَنْ نَقِيمَا<sup>١٥</sup>  
أَقْمُرًا فِي قِيَابِيهَا وَنَجُومَا<sup>١٦</sup>

رُ ذِمَامًا مِنْ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَا

وَبَدَّتْ بَنَارِ فُؤَادِهِ زَفَرَاتُهُ<sup>١٧</sup>  
غُصْنُ<sup>١٨</sup> كَثُرْنَ لَشِقْوَتِي ثَمَرَاتُهُ  
مَشَى<sup>١٩</sup> التَّزْيِيفِ وَخَمَرَةُ<sup>٢٠</sup> رَشَفَاتُهُ<sup>٢١</sup>

١ الشريشي ٣ : ٤٤٢ .

٢ الشريشي ١ : ١٢٨ .



ولربَّ باكيةٍ رأتُ في لِحَتِي      بعضُ العَشيبِ تَأَلَّفَتْ ضَحِكَانِهِ  
[قالت]: أَغْصَنُكَ قَدْ عَلَاهُ كَأَرَى      زَهْرُ الرِّياضِ وما بَدَتْ رِقائِهِ  
فَأَجَبْتُهَا : قَارَعْتُ فِي جَنْبِ الهوى      صَرَفَ الزَّمانِ وَهذه نَكباتُهُ

ومن المديح :

شَيْخُ القَبيلةِ في الجَزيرةِ والذي      سَبَقَتْ ظَنونَ الحاسدينَ أَنائِهِ  
ما تَفْعَلُ الأيَّامُ غيرَ مُرادِهِ      فكأَنَّمَا حَرَكَاتُها أَدوائُهُ  
هذا الثَّناءُ عَلَيْكَ يَتَعَبَقُ طيبُهُ      يا ابنَ الكَرامِ وحاسدوكَ رِوائُهُ

قَوْلُهُ في الشَّيبِ « صَرَفَ الزَّمانِ وَهذه نَكباتُهُ » كَقَوْلِ ابنِ المَعْتزِّ ٢ :  
قالتُ كَبيرَتَ وشيبتَ قَلْتُ لها      هذا غُبارُ وقائعِ الدَّهْرِ

وقال أحمدُ بنُ أبي طاهِرٍ ٣ :

قالتُ غُبارُ قَدْ عَسَلَا      لَكَ فَقَلْتُ بَلْ غيرُ الغُبارِ  
هذا الذي نَقَلَ المُلوكَ      إلى القُبورِ مِن الدَّيارِ

وقال ابنُ لَئِنكَ ٤ ، في مِثْلِ هذا المِسلَكِ :

١ ص : بعد ؛ الشريشي : وخز .

٢ ديوان ابن المعتز ٤ : ٢١٠ .

٣ زهر الآداب : ٨٩٣ والمختار : ٣٣٦ والذخيرة ١ : ٩١٠ .

٤ هو محمد بن محمد بن جعفر البصري أبو الحسن ، أكثره شعره في شكوى الزمان وهجاء شعراء عصره كالمتنبي وغيره (اليتيمة ٢ : ٣٤٨ ومعجم الأدباء ١٩ : ٦) . وبهذه هذا في الشريشي ١ : ١٢٩ منسوب لابن الجدي .

وتَعَجَّيْتُ لِلشَّيْبِ ، لَا تَتَعَجَّبِي هَذَا غُبَارُ وَقَائِعِ الْأَيَّامِ

وقوله « حاسِدوك رُوَّاهُ » كقول البَحْرِي ١ :

لَيْسَ بِرَنَّاكَ ٢ رَكْنُ شِعْرِ سَائِرٍ يَرْوِيهِ فَيْكَ لِحُسْنِهِ الْأَعْدَاءُ

وأخذه من قول حبيب ٣ :

فَإِنْ أَنَا لَمْ يَحْمَدَكَ عَنِّي صَاحِرًا عَدُوَّكَ فَاعْلَمْ أَنِّي غَيْرُ حَامِدٍ

وقال الحلواني من أخرى :

وإذا أردتَ ترى فضيلةَ صاحبٍ فانظُرْ بعَيْنِ الْبَحْثِ مِنْ نُدْمَانُهُ

فالمرءُ مَطْوِيٌّ عَلَى عِلَاتِهِ طَيِّ الْكِتَابِ وَصَحْبُهُ عَنْوَانُهُ

وكذا دليلُ الجوديِّ فِي ابْنِ مُحَمَّدٍ بَادٍ بِصَفْحِ جَبِينِهِ بِرْهَانُهُ

وترى اللياليَ فاعلاتٍ أَمْرَهُ حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهَا أَعْوَانُهُ

ومعنى البيتِ الأوَّلِ من هذه كقول الآخر :

• واعتبرِ الصَّاحِبَ بِالصَّاحِبِ •

وقول الآخر ٤ :

١ ديوان البَحْرِي : ٢٢ .

٢ الديوان : ليواصلتك .

٣ ديوان أبي تمام ٢ : ٧٧ .

٤ من قصيدة تنسب لمدي بن زيد العبَّادى ، انظر ديوانه : ١٠٦ ( وتخرجه ص : ٢٢٣ )

عن المرء لا تسأل وسلّ عن قَربينه فكلّ قَترينِ بالمُقارنِ مُقتدِرِ

ومعنى البيت الأخير لفظُ أبي الطيّب<sup>١</sup> :

وأراكَ دهرُك ما تحاولُ في العِدا [ حتى ] كأنَّ صروفَه أنصارُ

وقال :

هل بعدَ [ سنّ ] الأربعينَ تصابي هل يستفَعنك<sup>٢</sup> بعدَ شيبك في الهوى  
ذهبَ الشَّبابُ ولاتَ حينَ شَبَابٍ توفيرُ مُكتسبٍ وحُسنُ ثياب ؟  
بِحُلِيّ غِمدٍ فوقه وقِرابٍ هيهاتَ ما فُخِضَ المَهْدُ في الوغى

وهذا كقولِ المعري<sup>٣</sup> :

ولأنَّ كانَ في لبسِ الفتي شَرَفٌ له فما السيفُ إلّا غِمدُه والحماثلُ

وقال<sup>٤</sup> :

أنت الذي قَسَمَ الزَّمانَ لنفسِه أعطى لمرتبَةٍ العَلامِ نهارَه  
قَامَتِ على أَسِّ الفِخارِ عِمادُها قَسَمَ بَيْنَ رِياسَةٍ ومَنابِ  
سَهَلَتْ مَدَاحِلُها لَطالِبِ حاجَةٍ منها وجُنُحُ اللَّيلِ للمِحرابِ  
فكَأَنَّمَا بُنِيَتْ بِلا أبوابٍ وتَزَيَّنَتْ بِتَأدِّبِ الحُجَّابِ

١ ديوان المتنبي : ٢٦٨ .

٢ ص : ينظمك .

٣ شروح السقط : ٥٢٦ .

٤ منها بيتان في الشريشي ٣ : ٣٥٦ .

ووجدتُ بخطه<sup>١</sup> ، وقد<sup>٢</sup> مدَحَ هذا الشيخَ الكِنَانِيَّ رجلٌ من الأندلس  
بشعرِ آتَمِه<sup>٣</sup> فيه وجرى في مجلسه بصقلية :

|                                                       |                                                          |
|-------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------|
| يا شاعِرَ العَصْرِ قد كَلَفْتَنِي شَطَطًا             | فاصْرِفْ عَيْنَاكَ عَنَّا ، أَوْثَانٌ خَطَا              |
| حَمَلْتَنِي ذَنْبَ غَيْرِي ظَالِمًا وَأَنَا           | قد كُنْتُ أَقْسِطُ فِي إِنْصَافٍ مَن قَسَطَا             |
| وَمَا حَسَدْتُكَ فِي شِعْرِ آتَيْتَ بِهِ              | وَمَن يَحَاوُلُ لِنِسَاءٍ لِّلْسَهَى سَقَطَا             |
| يَا فَارِسَ الشَّعْرِ إِن كَلَّتْ فَوَارِسُهُ         | يَوْمًا وَسَابِقُهَا <sup>٤</sup> إِن أَعْلَمْتُ مَرَطَا |
| إِن ابْنَ دَرَّاجِيكُمْ لَوْ قَامَ مِن جَدَثٍ         | وَصِيحْتُ يَوْمًا بِهِ مِنْ خَلْفِهِ ضَرَطَا             |
| وَلَيْسَ بِحَسَدٍ طَبَعِي أَجْنِيْسُكُمْ <sup>٥</sup> | فَكَيْفَ أَنْتَ . لَقَدْ جَشَمْتَنِي شَطَطَا             |
| فَخُذْ « قَفَانَبِكَ » وَانْسُبْهَا لِنَفْسِكَ مَا    | فِي الْخَلْقِ مِنْ كَاشِفٍ بِالْبَحْثِ عَنْكَ غَطَا      |
| وَلَا تَقْظَنْ أَنَّ الشَّعْرَ مَكْرُمَةٌ             | فَالْحُرُّ إِن رَامَ أَنْ يَعْلُو بِهِ هَبَطَا           |

قلتُ أنا - صاحبَ الكِتَابِ : - نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ يَا أَبَا الْحَسَنِ إِلَّا مَا  
رَفَقْتَ بِأَسِيرِيكَ ! فَانْتَهَمَا شَيْخَا الْعَشِيرَةِ ، وَلِيسَانَا الْجَزِيرَةِ ؛ فَلَمَّا كَانَ  
وَلَا بَدْءًا فَالْرَّمَادِيُّ ، فَلَمَّا كَانَ أَقْلٌ طَيْشًا ، وَأَوْدَعَ عَيْشًا : وَأَمَّا ابْنُ  
دَرَّاجٍ فَمَتَخَوِبُ الْقَلْبِ ، مُشْتَرِكُ اللَّبِّ ، يَكْفِيكَ مِنْهُ هَوَلُ الْإِتْهَامِ  
وَالْإِنْجَادِ ، وَبَيْعُ الشَّعْرِ فِي سَوَاقِ الْكَسَادِ :

وَقَالَ مِنْ أُخْرَى \* : [ ١٠٩ ]

١ ص : حل

٢ يعني آتم ابن فضال .

٣ ص : ومناجها .

٤ أب جنيس : أبو جنيس وهي كنية الرمادي بمعجمة الاندلس ( جنيش = الرماد ) .

٥ منها بيتان في المسالك .

طَرَقْتَهُمْ بِبَيْضِ الْهِنْدِ لَيْسَلاً  
أُطِرَتْ فَوَادُهَا فِي الْجَوِّ ذُعْرًا  
بَنَيْتَ الْأَرْضَ فَوْقَهُمْ سَمَاءً  
فَلَيْسَ تَرَكَ الْحَاطُّ الدَّرَارِي  
فَعَادَ اللَّيْلُ عِنْدَهُمْ نَهَارًا  
لِبَرْقٍ فِي يَدَيْكَ قَدْ اسْتَطَارَا  
وَقَدْ أَجْرَيْتَ مِنْ عُلُقٍ بِحَارَا  
وَأَنْتَ حَشَشْتَ أَعْيُنَهَا غَبَارَا

ومعنى هذا البيت والذي قبله كقول التهامي<sup>١</sup> :

فَدَحَوْا فَوْقَ الْأَرْضِ أَرْضًا مِنْ دَمٍ      ثُمَّ ابْتَنَوْا [دُونَ] السَّمَاءِ سَمَاءًا

وقال من أخرى في الوزير أبي بكر بن عبد العزيز<sup>٢</sup> بَيْتَانِيسِيَّة :

أَغَالِبُ فَيْكَ الشُّكَّ أَيْ حَالِمْ  
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْكُرَى كَيْفَ يَحْلُمُ

ومن المدح :

وَقَعْتُ بِهَا بَيْنَ السَّمَاطِينَ مُنْشِدًا  
بِمَدْحِ أَمْرٍ كُلُّ أَمْرٍ مِنْ عَفَاتِهِ  
كَأَنَّ الَّذِي سَوَّاهُ قَالَ لِكُفِّهِ  
لَقَدْ عَلِمَ الْمَأْمُونُ<sup>٣</sup> أَنَّكَ صَارِمٌ  
كَمَا يَتَغْنَى الشَّارِبُ الْمَتْرَنَمُ  
يُخَيَّرُ فِيمَا عِنْدَهُ وَيُحْكَمُ  
عَلَيْكَ هَذَا الْخَلْقُ رِزْقٌ مُقَسَّمٌ  
يُعْنَاهُ لَا يَنْبُو وَلَا يَنْتَلِمُ  
وَرَأَيْتُكَ أَمْضَى فِي الْبِلَادِ وَأَحْزَمُ  
وَلَا كُلُّ مَصْقُولٍ الصَّفِيحَةِ مَحْدَمُ  
يَقُولُونَ لِي إِنَّ الْمُلُوكَ كَثِيرَةٌ  
فَقُلْتُ لَهُمْ مَا كُلُّ بَيْضَاءَ شَحْمَةٍ

١ لم يرد البيت في ديوانه ، والقافية في ( ص ) : غبارا .

٢ مرت ترجمته في القسم الثالث : ٤٠ .

٣ ص : المأموم .

٤ ص : فقل .

وله من أخرى يستعطفه لأمر وقع ، والكلام عليه رفيع :

أَتَسْمَعُ فِي مَقَالِ الْوُشَاةِ      وَإِنْ جِئْتُ بِالْعُذْرِ لَا تَسْمَعُ ؟  
تَقْشَعُ غَيْمٌ بِكَفِّيَّ مِنْكَ      وَصَوَّحَ فِي سَاحَتِي مُنْشَرَعُ  
فَلَوْلَا اعْتِلَاقِي بِحَبْلِ الرَّجَاءِ      لِمَا حَمَلْتُ قَلْبِي الْأَضْلَعُ  
فَلِنْ كَانَ قَدْ مَاتَ حَظِّي لَدَيْكَ      وَحَاشَاكَ بَلْ أَنْتَ لِي أَرْفَعُ  
فَدَعْنِي أَبِيتُضُّ بِشَيْبِي عَلَيْكَ      فَلْيُبْسِ الْمَشِيبَ لَهُ أَفْجَعُ

وقد كرر الخلواني هذا المعنى في شعرٍ قد تقدّم إنشاده .

وقال من أخرى ١ :

نَجْمٌ تَوَلَدَ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ      وَأَيْنَ مِنْ أَبْوَيْهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ؟  
شَمْسُ الْعَفَافِ وَبَدْرُ الْمَجْدِ بَيْنَهُمَا      تَوَلَدَ النُّورُ إِلَّا أَنَّهُ بَشَرُ

وهذا كقول ابن عمّار يهني<sup>٢</sup> المعتمد وقد وُلِدَ له مولودان :

أَهْنَا بَنَجَلَيْكَ مِنْ أُنْثَى وَمِنْ ذَكَرٍ      لَا تَعْدَمُ الضُّوْءَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

وهو من قول ابن الرومي<sup>٣</sup> :

شَمْسٌ وَبَدْرٌ وَلَدَا كَتُوكِبَا      أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَقَدْ أُجْتَبَا

وقد تقدّم إنشاده .

١ الشريشي ٤ : ٣١٤ .

٢ ديوان ابن الرومي : ٢٣٢ وزهر الآداب : ٢٩٤ وهذه القصيدة في مدح أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن بشر المرثدي .

ومن قصيدة الحلواني :

لا أقضيكَ مَواعيداً بدأتَ بها      كما تنفَس مِن أكمامِها الزَّهرُ  
ولا ألوِّمُكَ في تأخِيرِ عاجِلِها      من بعدِ عِلْمِي بما يجري به القدرُ  
أما ترى الله وهو الله مَوْعِدُهُ      مُؤخَّرٌ بنعيمِ الخُلْدِ مُتَظَرُّ ؟

وقال :

وما كنتُ أدري قبل لؤلؤ تغره      بأنَّ اللآلِي من نَباتِ المباسمِ

ومنها :

مَتَادِيَّةٌ أنسابُهُ حَمِيرِيَّةٌ      مُتَوَجَّةٌ بالمجدِ قبلَ العمائمِ  
فما انبَسَطَتْ إلَّا بِلُحُودِ أَكْفِهِمْ      ولا انقبَضَتْ إلَّا لَضَبِّ القوائمِ  
يجرُّونَ أطرافَ الرِّماحِ إلى الوغى      كما جَرَّتْ العِقبانُ سُودَ الأرقامِ

ومعنى البيتِ منها كقولِ الآخر :

وما خُلِقْتَ كَفَالِكَ إلَّا لأربَعِ      عَقَائِلَ لم تُخَلِّقْ لِمَنْ يَدانِ  
لِثَقِيلٍ<sup>١</sup> هِنْدِيٍّ ولِعَطاءِ نائِلِ      وَثَقِيلِ أَفْوَهِ وَقَبَسِ هِنانِ

وقال الحلواني<sup>٢</sup> :

يا نفسُ ويحكِ في التَّغَرُّبِ ذِلَّةٌ      فَتَجَرَّعِي كَأَسَى أَذَى وهوانِ  
وإذا نَزَلْتَ بِدارِ قومِ دارِهِمِ      فَلَهُمْ عَلَيْكَ تَعَزُّزُ الأوطانِ

١ ص : لتقيل .

٢ الشريشي ٢ : ٢٥٨ .

فالشَّمْسُ أَشْرَفُ مَا تَكُونُ بِكَيْشِهَا      وسقوطُها في كَيْفَةِ المِيزانِ

وصدُرَ هذا البيت الأخير كقول الآخر<sup>١</sup> :

إذا غدا مَلِكٌ باللهوِ مُشْتَغِلًا      فاحْكُمْ على مُلكِهِ بالوَيْلِ والْحَرَبِ  
أما ترى الشَّمْسَ في المِيزانِ هابِطَةً      لما غدا وهو بُرْجُ اللّهُوِ والطَّرَبِ؟

وزارَ بعضَ إخوانِهِ فحجَبَهُ فخطَبَهُ بِرُقْعَةٍ يَقولُ في فصلٍ مِنْها :

تصدَّيْتُ لِقَاءَ سَيِّدِي تَصَدِّيَ المَحَبِّ الكَثِيبِ ، لِقَاءِ رَسولِ الحَبِيبِ ،  
وطفُتُ بِبابِهِ الكَرِيمِ ، طوافَ الحَجِيجِ بِالْبَيْتِ العَظِيمِ ، فحالَ عُثُورِ  
الْجَدِّ ، عن مُطالعةِ القَمَرِ السَّعْدِ ، وَمَنَعَ سِوَا البَحْتِ ، عن لِقَاءِ الكَرَمِ  
الْبَحْتِ ، فحدَّسْتُ أَنَّ سَيِّدِي - وَوَقْتَهُ - ظَفِيرَتُ يَدَاهِ بِنِ يَهوَاهِ ، فغابَ مَغِيبَ  
القَمَرِ ، تحتَ غِمامِ الظَّفَرِ ، وتعاطيا بِكَأْسِ الوِصالِ ، مُدَامَتِي السَّرورِ  
والبُحْرِيالِ ، وَضَيَّقَ بِضِيقِ العِناقِ ، مجرى الوِشاحِ والأَطواقِ : هَتَأَهُ اللهُ  
بِبلوغِ أَمانيهِ ، وهَتَأَنَا فِيهِ بما يُرْضِيهِ . فحياتُنَا بِسرورِهِ مُرتَبطةٌ ، ونفوسُنَا  
بما يَشْتَهِيهِ مُغْتَبطةٌ .

١ هو أبو الفتح البستي ، والبيتان في اليتيمة ٤ : ٣١٥ وزهر الآداب : ٣٩٧ .

٢ اليتيمة والزهر : يرج نجم اللهو .



## فصل في ذكر الأديب أبي العرب الصقلي<sup>١</sup>

وكان لساناً بهذا الأفقِ عن العرب أعرب ، وكوكباً من المشرق غرب ،  
ولم يقع لي عند إكمال هذا الديوان ، وإخراجه من الخبر [١١٩] إلى العيان ،  
من شعره ، إلا ما لا يكاد يُعربُ عن قدره . ومن أشهر خبر بلغني عنه<sup>٢</sup> أنه  
حضر يوماً مجلساً المعتمد وقد أدخل إليه جملةً وافرةً من ذنابر الفضة ،  
فأمر له بخريطتين منها ، وبين يديه تصاوير عنبر من جملةتها صورة جمل  
مرصع بنفيس الجواهر ، فقال له أبو العرب على البديهة معرضاً : ما يحمل  
هذه الذنابر — أيدك الله — إلا جمل ، فتبسم المعتمد وأمر له به ، فقال  
أبو العرب على البديهة :

.....

١ مصعب بن محمد بن أبي الفرات بن زرارة القرشي العبدي ، أبو العرب : ولد بصقلية  
سنة ٤٢٣ هـ وخرج عنها لما تغلب الروم عليها سنة ٤٦٤ قاصداً المعتمد ، فدخل إشبيلية في شهر  
ربيع الأول من السنة التالية (٤٦٥ هـ) وكان إلى شهرته بالشرعاً بالأدب ، روى عنه بمض  
الأندلسيين كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة ، وبعد أن سجن المعتمد لحق بناصر الدولة صاحب  
ميورقة وبقي فيها إلى أن توفي . ويذكر ابن الأبار أنه توفي سنة ٥٠٦ هـ إلا أن ابن الصيرفي  
يقول : وبلغني في سنة سبع وخمسمائة أنه سمي بالأندلس ، وقبره وقبر ابن اللبانة بميورقة  
كانا متجاورين ، وكان هو رجلاً طويلاً بينما كان ابن اللبانة دسداً (التكملة : ٤١١)  
(انظر ترجمته في التكملة : ٧٠٣ والخريدة ٢ : ٢١٩ والسلفي : ٦٨ ، ١٣٨ والمسالك :  
٤٥٦ وابن خلكان ٣ : ٣٣٤ وعيون التواريخ ١٢ : ١٦ (نقلاً عن الذخيرة)  
ورايات المبرزين : ١١١ والمغرب (قسم صقلية) وله ذكر في النفع وبدائع البداه  
والمنازل والديار : ١٢٨/أ ، وعنوان الأريب ١ : ١٢٣ وقد أشرت إلى بعض مصادر  
ترجمته في القسم الأول : ٩٠ .

٢ وردت هذه القصة والأبيات في المسالك والرايات وبدائع البداه : ٣٧٣ والنفع ٣ : ٥٦٩  
٤ : ٢٦٠ ، ٢٦١ وعيون التواريخ .

أَجْدُ يَنْتَنِي أَجْمَلًا جَوْنًا<sup>١</sup> شَفَعَتْ بِهِ      حَمَلًا مِنْ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ لَوْ حَمَلًا  
 سَمَاحٌ<sup>٢</sup> جُودِكَ فِي أَعْطَانِ مَكْرَمَةٍ      لَا قَيْدَ يَتَعَرِّفُ<sup>٣</sup> مِنْ مَنَعٍ وَلَا عُقْلًا  
 فَاَعْجَبْ لَشَانِي فَشَانِي كُلَّهُ عَجَبٌ      رَفَهْتَنِي فَحَمَلْتُ الْحَمْلَ وَالْحَمَلًا  
 فطارت يومئذٍ بهذا الخبر الركائب ، وتهادته المشارق والمغارب ،  
 وذكرته شعراء الوقت ، ورأيتُ في ذلك عدَّةَ قصائدٍ لغيرِ واحدٍ ، ولم  
 أحفظُ منها إلا قولَ بعضهم ممن وفد أيضاً على المعتمد ، من جملة قصيدة  
 استُبرِدتْ بِجَمَلَتِهَا ، قال فيها :

يَا مَنْ بِجُودِ يَدَيْهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ      وَمَنْ مَوَاهِبِ الْأَمْصَارِ وَالْدُّوَلُ  
 بِحَدِّ جُودِكَ فِي جَنْبِ اللَّهِ أَبَدًا      يَا خَاتَمَ الْجُودِ جُرْحٌ لَيْسَ يَنْدَمِلُ  
 عِنْدَ ابْنِ حَمَادٍ فِي ذَالِ الْمَكَانِ عَلَى      بُعْدِ الْمَسَافَةِ وَالْأَخْبَارُ تَنْتَقِلُ  
 جَرَى حَدِيثُ الصَّقْلِيِّ الثَّابِتِ عَلَى      شَعْرِ فِصَارٍ إِلَيْهِ الْحَمْلُ وَالْحَمَلُ

ومن شعر أبي العرب في المعتمد قصيدة أولها :

لَوْلَا السَّرَى فِي ذِمَامِ الصَّارِمِ الذَّكْرِ      لَمْ أَطْرُقِ الْحَيَّ فِي أَمْرِ عَلَى خَطَرٍ  
 مَا الْبَارِدُ الْعَذْبُ مَرُودًا عَلَى ظِلْمٍ      أَشْهَى إِلَى الصَّبِّ مِنْ وَصْلِ عَلَى حَذَرٍ  
 قَالَتْ تَجَشَّعَتْ فِي سُبُلِ الْهَوَى غَرَرًا      قَلَّتِ الْمَتَيْمُ مَقْدَامٌ عَلَى الْغَرَرِ

١ النفع : أعطيتني ، أهديتني ؛ عيون : أهديتني .

٢ ص : أحورا .

٣ النفع والعيون : نتاج ؛ البدائع : يتناخ .

٤ النفع : تصرف .

٥ ص : غرر .

لا كالحَيَّوبِ حَمَاهُ الْخُوفُ بَغِيَّتُهُ  
نَوْقٌ رَقِبَةٌ أَعْدَاءُ عِيُونُهُمْ  
قُلْتُ الْيَمَانِي حَلِيفِي مَا يُفَارِقُنِي  
رَضِيَّتُهُ دُونَ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ أَخَا  
لَا حَ السَّنَا فَاذْبَرْتُ مِنْ سَاعِدِي فَرَقَا  
صَدَتْ كَوَحْشِيَّةٌ هُمْ الْأَيْسُ بِهَا  
تَكْفُ بِالْفَرْعِ مِنْ لَأَلَاءِ غُرَّتِهَا  
حُثُّوا الْمُطَيَّ [ . . . ] إِنَّ لَهَا  
حَتَّى تُسَيِّجَ بَرَبَ الْمَجْدِ مِنْ يَحْمَنِ

تَهَيَّبَ الْوَرْدَ حَتَّى عَادَ بِالصَّدَرِ  
أَذَكَّى مِنَ الزُّرْقِ فِي الْخُلْطِيَّةِ السَّمَرِ  
[إِلَى] بَغِيرِ الْيَمَانِي غَيْرُ مُنْتَصِرِ  
مَا غَيَّرَتْهُ صُرُوفُ جَمَّةٍ الْغَيْرِ  
تَجَرُّ ذَيْلًا يَعْنِي شَاهِدَ الْأَثَرِ  
إِلَّا الثِّفَاتَا بِجِدِ الْخَائِفِ الْحَسَدِ  
كَيْ لَا تَمُدَّ بِيَاضَ الصَّبْحِ بِالْقَمَرِ  
عَقَبَى الْإِقَالَةَ مِنْ أَيْنِ وَمَنْ ضَمَرِ  
فِي قُبَّةِ الْمَلِكِ رَبِّ الشَّعْرِ مِنْ مَضَرِ

ومنها في ذكر جواز المعتمد البحر :

ما كَانَ عِنْدَكَ هَوْلُ الْبَحْرِ تَرْكِبُهُ  
جُودًا بِنَفْسِكَ إِلَّا جَرِيَّةَ النَّهْرِ  
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى<sup>١</sup> :

أَحَادِيثَنَا هَذَا الرَّبِيعُ فَخِيمِ وَأَمْنِيَّةُ الْمُرْتَادِ وَالْمُنْتَوَسِمِ<sup>٢</sup>  
وَحِطَّ بَنَا عَنْ فَاجِيَّاتٍ كَانَتْهَا قَسِيَّ رَمَتْ بَنَا الْبِلَادَ بِأَسْهَمِ

وقد قلتمت من هذا المعنى جملة في ما مرَّ من الكتاب<sup>٣</sup> ؛ ومنه قول الطنبي<sup>٤</sup>

١ يقول ابن الصيرفي ان هذه القصيدة أول قصيدة أنشدها أبو العرب للمعتد ؛ ومنها في

الخريدة خمسة أبيات وستة في عيون التواريخ : ١٩ .

٢ الخريدة ؛ والمتيسم .

٣ الذخيرة ١ : ٨٩ - ٩٠ . ٤ ص : الطنبي .

شاعر الحكم ، مما أنشده ابن عبد الرؤوف <sup>١</sup> :

قد نصّبنا من الوجيف وأنضيت  
فكان الركاب والركب للضم  
نا قِلاصاً سياطهنّ الكلام  
ر قسيّ من فوقهنّ سهام

وفي هذه القصيدة يقول :

وقد يبلغ التأويب أقصاهُ والسرى  
وما طَلَّبتْ إلاّ فِناءَ مُحَمَّدٍ  
جعلتُ إليه همّتي وعزيمتي  
فقال ليّ الفالُ الصدوقُ مُبَشِّراً  
وأقبلتْ بابَ الإذنِ فاستأذِنِ الندى  
فَرَفَعَ <sup>٢</sup> عن ذاك البهائمِ حِجابُهُ  
فقبِلْتُ يمينَ راحتيهِ كأنني  
نظرتُ إليه والمهابةُ دونهُ  
بلى ورأيتُ الشمسَ والبدْرَ والعلا  
فأغضيتُ عنه العينَ أوّلَ نظرةٍ  
كانَ حيائي كانَ غيرَ حقيقةٍ  
فما تَشْتَكِي عينا ولا تَتَفَلَّحِي <sup>٣</sup>  
وهلْ دونه للركبِ من متلٍ ومِ  
فناولتاهُ بَعْدَ حَوَلٍ مجرّمٍ  
قدمتْ على التوفيقِ أيمنَ مَقْدَمٍ  
على ملكٍ واني الجلالِ معظمٍ  
وقيلَ استلمَ أُنْدَى بَنانٍ وسلّمَ  
أقبلُ ركنَ البيتِ سيرةً مُحْرَمٍ  
فقسّمتُ لحظي بينَ بدرٍ وضِيغمٍ  
مجسّمةً في جوهرٍ متجسّمٍ  
ومن يرّ عينَ الشمسِ لا يتوسّمُ  
فلم ألقه إلاّ بعينِ التوهمِ

١ هو محمد بن عبد الرؤوف بن محمد بن عبد الحميد الأزدي - مولا هم - أبو عبد الله ، كان

عالماً باللغة والأخبار والتواريخ وألف كتاباً في شعراء الأندلس وتوفي سنة ٣٤٣ .

٢ ص : يشتكي عينا . . . يتظلم .

٣ ص : ترفع .

وفي المعتمد أيضاً يقول من أخرى<sup>١</sup> :

وقد أزار . ولزوار حكمهم  
وأفضلُ البرِّ برُّ يقتضي طرباً  
والدَّجنُ يبعثُ همّي من مكانه  
والسُّحبُ للأرضِ بالسقياء مواصله  
سحٌّ وهطلٌ وجودٌ صوبُ درهما  
إني أعاطيك في الشكوى مفاكهة  
والنفسُ . ما انفردت بالجدِّ ، متعبة  
بَرَمْتُ باثنين ضاقَ الصدرُ بينهما  
وكلُّ ربيعٍ وإن حلَّ الجميعُ به  
وقد حللتُ كناساً لا أروغُ به  
كالليثِ عاد كسيراً لا افتراس به

عندي من البرِّ والإيناسِ والأدبِ  
وأعوزتني أمُّ اللهو والطربِ  
والشمسُ ما أخلفتها الريح لم تغب  
حتى ارتوت فاستكفمت أبيض السحب  
فسحَّ أنت بها واهطل وجدٌ وصُب  
كما تعاطت أكفُّ الشَّربِ بالنَّخبِ  
حتى تراوحَ بين الجدِّ واللعبِ  
فقدتُ المدامةَ واستيحاشُ مغترب  
قفراً إذا لم تكن فيه ابنةُ العنبِ  
حورَ الظباء وإن أعرضن من كئبِ  
يطوي على زفراتٍ نفسَ مكتئبِ

وقال في الزهد<sup>٢</sup> :

أرى الدنيا الدنيّة لا تواقِي  
ولا يتغررك منها حُسنٌ بتردِ  
فأوله رجاءٌ من سرابِ

فعالج في التصرّفِ والطلابِ  
له علّمان<sup>٣</sup> من ذهبِ الذهابِ  
وآخره رداءٌ من ترابِ

١ منها سبعة أبيات في عيون التواريخ : ١٨ .

٢ منها بيتان في طراز المجالس : ١٢٨ والشريشي ٣ : ٩٨ وهي في العيون : ١٩ .

٣ ص : بردان ، والتصويب عن الشريشي .

ولما نفذت الأقدار ، بالقبض على ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار ،  
بشقورة ، على الصورة المذكورة . حسب ما شرحته في أخباره <sup>١</sup> ، قال أبو  
العرب للمعتمد من جملة قصيد <sup>٢</sup> :

كأنَّ بلادَ الله كفكَّ إن يسير<sup>٣</sup> بها هارب<sup>٤</sup> ، تجمع عليه الأناملا  
فأين<sup>٥</sup> يفرُّ المرءُ عنكَ بجرمه . إذا كان يطوي في يديك المراحل

وهذا المعنى قد تداولته جماعة من الجاهليين والمخضرمين ، والمحدثين  
والمولدين ، وأرى أن أولَ مَنْ أثاره ، ورفع مناره ، النابغة حيث يقول <sup>٦</sup> :

فانك كالليل الذي هو مدركي . وإن خلتُ أنَّ المنتأى عنك واسع  
خطاطيفُ حجن<sup>٧</sup> في حبالٍ متينة . تمدُّ بها أيدي إليكَ نوازع

وأخذه أشجع السلمي فقال لإدريس بن عبد الله العلوي ، وقد بعث  
إليه الرشيد من غمته بالمغرب <sup>٨</sup> :

أتظنُّ يا إدريسُ أنَّكَ مُفْلِتٌ كيدَ الخلافةِ أو يقيكَ حذارُ  
إنَّ السيوفَ إذا انتضاها عزَّزْهُ طالتْ وتقصُرُ دونها الأعمار

---

١ انظر القسم الثاني : ١٥ وما بعدها .

٢ البيتان في الخريدة ٢ : ٢٢١ والريحان والريمان ١ : ١٥٦ ب والشريشي ٣ : ١٧١ والعيون : ١٦ .

٣ الخريدة : كأن فجاج الأرض يملك .

٤ الخريدة : خائف .

٥ الخريدة : فأنى .

٦ ديوان النابغة : ٥٢ وزهر الآداب : ١٠٣١ والمؤلف يتابعه ، والشريشي ٣ : ١٧ والعيون : ١٦ .

٧ زهر الآداب ، نفسه والشريشي ٣ : ١٧١ والعيون : ١٦ .

هيهاتَ إلاَّ أن تكونَ ببلدةٍ لا يهتدي فيها إليك نهار  
وقال البحرّي<sup>١</sup> :

سُلبوا وأُشرقَتِ الدماءُ عليهمُ  
ولو أنهم ركبوا الكواكبَ لم يكن  
محمرةً فكأنهم لم يسلبوا  
ليجبرهم من حدٍّ<sup>٢</sup> بأسك مهرب  
وقال عبيد الله بن طاهر<sup>٣</sup> :

ولاني وإن حدثتُ نفسي بأنني  
لأنك لي مثلُ المكانِ المحيطِ بي  
أفوتك إن الرأي مني لعازبُ  
من الأرضِ أنى استنهضتني المذاهبُ  
وقال سعيد بن حميد<sup>٤</sup> :

يا باخلين علينا في حكومتهم  
لسنا إلى غيركم منكم نفرًا إذا  
والبحورُ أقيحُ ما يؤتى ويرتكبُ  
جُرتم ولكن إليكم منكم الهرب  
وقال المتنبي<sup>٥</sup> :

فلأنك كالدنيا إليَّ حبيبةٌ  
فما منك لي إلاَّ إليك ذهابُ  
والذي هو أشبه وأقرب ، بقول أبي العرب ، ومنه أراه نقل ، وعليه

١ زهر الآداب : ١٠٣٢ والعيون : ١٧ وديوان البحرّي : ٧٦ .

٢ الديوان : لمجدهم من أخذ .

٣ زهر الآداب : ١٠٣٢ والعمدة ٢ : ١٧٩ والعيون : ١٧ .

٤ عيون التواريخ : ١٧ .

٥ العمدة ٢ : ١٧٩ وديوان المتنبي : ٤٨٢ والعيون : ١٧ .

عول ، قول الأول ١ :

كأن بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل  
تؤدي إليه أن كل ثنية تيمتها ترمي إليه بقاتل

واستقصاء المناسبة والملاحظة في كل معنى حبل ممدود ، يحل لنا الشرط  
المعقود ، من إيثار الاختصار ، وقد مر منه في تضاعيف هذا التأليف جملة وافرة .

### في ذكر الأديب الكاتب أبي عبد الله محمد بن الصباغ الصقلي<sup>٢</sup>

أحد أدباء وقته المشاهير ، وكلامه يُعرب له عن أدب كثير ، وحفظ غزير ،  
فصل له من رقعة خاطب بها الأديب أبا حفص القعيني الأندلسي يعزيه  
في هرة نفقت له ، وجلس للعزاء عنها تماجناً ، قال فيه :

[الحياة] لبني الدنيا مراحل ، والمنايا لجميعهم مناهل ، والأعمار كالأسفار ،  
منها القريب الوصول ، العاجل الحلول ، ومنها البعيد الشقة ، الشديد المشقة ،

١ وردا في الأغاني ١٣ : ١٦٣ منسوبين لعبد الله بن حجاج وهما في الكامل ٣ : ١٣١ والحيوان  
٥ : ٢٤٠ - ٢٤١ وحماسة البحتري : ٢٦٠ ومجموعة المعاني : ١٣٨ وينسب أحياناً  
للقتال الكلابي ( انظر ديوانه : ٩٩ ) وهيون التواريخ : ١٧ .  
٢ لعله هو محمد بن أحمد بن عبد الله الصباغ الصقلي الذي وردت ترجمته في المحمدون : ٦٨  
نقلا عن الدرة الخطيرة لابن القطاع .



أنفاسٌ معدودة ، وآجالٌ معدودة ، وليس بناجٍ من محتومها أحد ، ولا لمخلوقٍ منها مُلْتَحَدٌ ، وانتهى إلى<sup>١</sup> - سهل<sup>١</sup> الله الصبر الجميل سبيلك ، وأطفاً ببردِ السَّلْوانِ غليلك - نبأً جَلِيلٌ ، وخطبٌ مُعْضِلٌ ، وهو مصابُك بشقيقة نفسك ، وموضعِ راحتك وأنسِك ، وربيةٌ حِجْرَكَ وحجرتك ، وآلةٌ حَيْطَتِكَ<sup>٢</sup> على حنطتك ، وكالثةٌ ذخائرك وقُنْيَتِكَ<sup>٣</sup> ، واستحواذ فجميعتها على لَبَتِكَ ، وما عاجلتها به من ذرورٍ وحنوط ، وإشفاقك من تعجيل إسلامها إلى التراب ، وإبقائك لياها طويلاً في المحراب . وأليمتك عليها لتدعون<sup>٤</sup> إلى [١١٢] جنازتها مأتماً يَشْقُقْنَ عليها جيوبَ المدارع ، ويُفْضِنَ من الوجدِ بها غروبَ المدامع ، ويُعْوِلْنَ عليها بالصراخ والنياح . ويُنْذِرْنَ لمصرعها شعورهن<sup>٥</sup> مع الرياح .

وفي فصل : ولستُ بناسٍ ذكر تلكَ المَلَحَ التي كتبتَ تصف من أخلاقها وآدابها ، والمدحِ التي<sup>٦</sup> ٣ تورد في أعراقها وأنسابها ، والغرائب التي تذكرُ عن قوتها وأيديها ، وحيلها وكيدها ، ومكرها بالفارِ وصيدها ، ولعمري ما أفرطتَ في نعتها بل فرطتَ ، وما صرّحتَ بجميع محاسنها بل لوّحت ، فلقد كانت لبؤةً إلاّ أنها تدعى هيرةً ، ونمرةً إلاّ أنها أكثرُ منها شيرةً ، ذات نابٍ مطلول ، وساعدٍ مفتول ، وخصرٍ مجدول ، ريانة الكاهل . ظمآنة الأسافل ، تطير من قوائمها بأسرع من الجناح . وتستضيء من عينيها بأنور من المصباح ، وتعتدُّ من مخالبتها بأمضى من السلاح ، وتسطو من

١ لعل الصواب : جمل .

٢ س : حنطتك .

٣ ص : الذي .

٤ ص : ونسبها .

جرأتها بمثلِ القدرِ المتاح ، لينةُ الوبرِ كالسَّمور . سوداءُ الشعرِ كالديجور .  
مأمونة الجيب ، بظهرِ الغيب ، عظيمةُ النفس ، لطيفةُ الحس . أمينةٌ على  
اللحم الموضوع . ولو شفتها فرطُ الجوع . وما خانت قطُّ أمانة . ولا رضيت  
يوماً خيانة ، فهي عُوذة الدار ، من الفار ، وعهدُ الأمان . من الجرذان .

قال ابن بسام : وكانت للأديب القعيني هذا جاريةٌ سوداء كلفَ بها  
ثم باعها ، وندم فحاول استرجاعها ، فزعم المبتاع أنها حامل – وللقعيني في  
ذلك أشعارٌ كثيرة – فكتب أبو عبد الله هذا رقعةً قال فيها : كشف الله عن  
قلبك أيها الأديب الحسيب زين الشهوة . ومحا من لبتك شَيْنَ الهفوة . فعلى  
رأيتك يعتمد من اختلفت آراؤه . وبهديك يهتدي من أضلَّ القصد . وبه  
يقتدي من عُدِم الرشد . ونقل إليَّ بعض من يعرف أحوالك ، ويشارفُ  
فعالك . خبراً يصمُّ السمع . ويضيقُ الذرع . وذلك أنك نبذت من  
يدك كُرتك المتكفشة ، فتلقاها من أحمدت صولحانته . وأخرجت عن  
ملكك ضفدعتك المريعة . فتناولها من استحسنت غدرانها <sup>١</sup> . وبلغك من  
إقبالها عليه ، وانصرافها بكليتها إليه ، ما أضرم قلبك شوقاً لا تخبو ناره .  
وسلَّ الوجدُ بها عضباً لا ينبو غراره ، فأنشِرت للناس من نفسك قيسَ  
الأخيلية <sup>٢</sup> . وأحييت لهم منك مجنون العامرية ، وعضضت على بيعتها  
أنايلك ، وأنصيت في طلبها زواملك ، وأطلت في وصف شوقك لها وأوجزت .  
وقصدت في ذكر الأسف عليها ورجزت <sup>٣</sup> ، وجمعت لها من المحاسن ما

١ ص : غدرانها .

٢ حقه أن يقول : توبة الأخيلية .

٣ ص : وقصرت . . . وذخرت .

افترق . وفتحت من البدائع فيها ما انغلق ، وجعلتها نبض<sup>١</sup> حياتك ، وموضع  
شككاتك ، وسُعة<sup>٢</sup> أوطارك ، وجونة عطارك :

ففيها عنبرُ الهندِ وفيها مسكُ دارينِ  
وفيها قصبُ نَعَمَانِ وفيها كُثْبُ يبرينِ  
وفيها قامتِ الحربُ كما كانتِ بصفينِ

فأصبحتَ والظنونُ بك مُرَجِّمة . والألسنةُ عنك مُتَرَجِّمة ، والأقوالُ  
فيك كثيرة . والأيدي إليك مشيرة ؛ ويا عجباً منك كيف لم تُبَصِّرْ بصيرتُكَ  
هذا العوار وشهابها ثاقب ، ولم تعفْ نفسُكَ الساميةُ هذه الأقدار وإباؤها  
واجب . شدَّ ما ملكتك سورةُ الغرارةِ وأنت كهلٌ أمين ، وهَمَّتْ  
بلبتِكَ هَمَّاتُ الهوى وعندك عقلٌ رصين ؛ أفي الحق أن أستفرغَ قلبك  
فلا يخلو ، وأنشدك فلا تسلو :

ندمتَ ندامةَ الكُسميِّ لما تَبَطَّنْها يباضعها سواكا  
رأتُ ما سدَّ كعشها وأودى بِغُلَامَتِها فَلَمَجَّتْ في جفاما  
فلا تذهبْ بلبتِكَ طائشاتُ من الصَّبَّاتِ واسترجعْ مهاكا

ما لك وللتماذي في غلَّوائك ، والزيادةِ في بُرحائك . نهنيه قلبك ،  
وراجعْ لبتك ، واذكر خَلْقَها وخُلُقَها ، وتأملْ وجهها وعُشْقَها ،  
وانظر خَدَّها وقَدَّها ، وهل شيء مما يُسْتَمْلَحُ عندها ؛ والله ما رأيتُ

١ ص : يبيض .

٢ ص : وحصنة ؛ والسعة : القرية ينبذ فيها ، وربما وضعت فيها المرأة غزلها وقطنها .

شخصها قطّ إلا تخيلتُ الشيطان ، ولا مَقَلْتُ مُقَلَّتَها إلا ذكرتُ السرطان .  
وأيةُ ضفدعةٍ ماء تعشّقتْ ، وقرنبي بها تعلّقتْ ، لقد وريَ زَنْدُ مَنْ  
خرجت من يديه ، وتعيّسَ جدُّ من صارت إليه .

وفي فصل منها : فهنيئاً أبا حفص راحةُ بصرك من شخصها المقيت ،  
وفراغُ قلبك من الكسْبِ بـخُلُقِها المميت ، لو غَسَلْتَهَا بكلِّ ماءٍ في البحر ،  
وطيبتها بكلِّ عنبرٍ في الشحر ، وضمَّختها بملابِ كلِّ عطّار ، وفنتَ عليها  
من المسك ألفَ قنطار ، ما ازدادت مع الطيب [١١٣] إلا دَفَرًا ، ومع الغسل إلا  
وَضَرًا ؛ وكأني بك قد أنشدت بيتَ ابنِ الروميِّ في من لا يشبهها الا في  
سوادِ الجلد ، ولا يَشْرَكُها إلا في النسبةِ إلى الجلد ، يقول ١ :

أَكْسَبَهَا الْحَبَّ أَنهَا صُبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ

وقال الآخر :

مشبهاتُ الشبابِ والمسكِ تفديهنَّ نفسي من الردى والكروبِ  
كيف يهوى الفتى الأديبُ وصالَ البيضِ والبيضُ مشبهاتُ المشيبِ

هيهات ! هنا يقال : ظُنُّ ٢ تَخِيبُ ، وأقلبُ تُصِيبُ ، ما كلُّ بيضاءٍ  
شحمة ، ولا كلُّ سوداءٍ تمرّة . فأمسك عنها فقد سَلَتْ عنك ، وابرأ منها  
فقد بَرِئْتَ منك ، واستصغرت آلتك ٣ ، واعتاضت منك بزعمها أكبر

١ زهر الآداب : ٢٣٠ وقد استشهد به ابن بسام من قبل في القسم الأول : ١٥٠ .

٢ ص : ظنون .

٣ ص : واستصغر إليك .

أيرا وأكثر خيرا : ووصفت عنه من نشاط العُدَّة ، وإفراط العِدة ،  
ما شُرِّحت به صدرا . وأوسعت عليه شِكرا .

وفي فصل منها : وأما قولك : ما الذي أعجبها من دمامته ، وقصر  
قامته . وعِظَمِ هامته . ووسخ عمامته : حتى شغفها حبًّا ، وأصبح فؤادها  
به صبا . فنعم :

أعجبها من خلقه قُمْدٌ عُجَّارٌ ضَخْمُ الْقَذالِ نَهْدُ  
ماملُمِ الْأَقطارِ عَبَلٌ جلدٌ مثلُ ذراعِ الْبَكْرِ أو أشدُّ

ولو كنت ممن يُرْبِعُ بالنهار ، وَيُشْبِعُ بالليل . كما حكى عنه .  
لما واجهتك بما لا تريد ، وباعت صُحْبَتَكَ في من يزيد<sup>٢</sup> . فانقضَّ غَزْلُ  
حبِّك لها أنكاثًا . وطَلَقَ علاقةَ قلبك بها ثلاثا .

فراجعهُ القعيني برقعةٍ طويلةٍ انتصر فيها لنفسه هنالك ، وأقام حججاً  
على صواب ذلك .

فأجابه الصقلي برقعة أخرى يقول في فصل منها : زعمت أنك شديدُ  
الغرام : بشقيقةِ الظلام . وأني أخطأتُ في عَتَبِكَ على حبِّها . وظلمتُ  
في نهيك عن قربها . وجعلتُ أشعارَكَ في النسيبِ بها حجةً لتمييزك . وإنكارَ  
التأنيبِ عليها عذراً من تعجيزك ، وطفقتُ تنشُدُ رافعاً عقيرتك ، مستصغراً  
كبيرتك :

١ ص : العدل

٢ ص : تريد .

أستودعُ اللهَ مولىً مُلكَتهُ يدي      ودَّعتُ إلا شجونى إذ أودَّعهُ  
جسمٌ من المسكِ أقصته النوى فمضى      وفي ذوابته عندي تَضوُّعه  
وبدر تمَّ تقاضاهُ الأفولُ فيا      ويلى طويلاً وعندي كان مطلعُه  
عَدِمتهُ ذهباً لوناً وفائدةً      واذلَّ من ليستِ الآدابُ ترفعه  
يا قطعةً من فؤادي جذَّها قَدَرٌ      حتَّامَ تجفوه عدواناً وتقطعه  
أهوى الأصيلِ إليها من ملابسةٍ      ثوباً بهياً ولكن ليس تخلعه

فجعلتها مسكاً فتيقاً ، وذهباً عتيقاً ، وقطعةً من فؤادك ، ومَضِنَّةً  
لودادك ، وسبباً لانقيادك ، وألبستها من الأصيلِ ثوباً لا يُخلع ، ودِرْعاً  
لا يُنزع ، وزعمتَ أنك اخترعتَ في هذا النسيب معنى لم يُسمَعْ ، فانتصرتَ  
لذهبيك ، وحليَّتَ عاظمَ مركبك . وما أدري ما أقبلُ من شِعْرَيْكَ .  
ولا ما آخذ من قوليك ، أهذا الأولُ الذي زعمتَ أنك قلتَهُ في عُنْفوانِ  
الصَّبابة ، وإفراطِ الكآبة ، أم حين ٢ جلَّى الله [عن] بصيرتك غَيَايَتَها ،  
وكشف ٣ عنها عمايتها — حين قلت :

ياسوءَ ما اخترتُها في الحبِّ ضفدعةً      جحوظَ عينٍ وقدأ مفرطَ القصرِ  
إذا أردتُ نكاحاً وهي جَمرةٌ ٤      عطرأُ أرتَ خَلَقَ إبراهيمَ من قدرِ  
الحمدُ لله جلَّى في الغرامِ بها      بصيرتي فرأى أقدارها بصري

فحتى عادتِ الضفدعةُ غزالاً ، وصار هذا النقصُ كمالاً ؟ ! وشدَّ ما عَمِيَّتْ

١ ص : وتبقى في .

٢ ص : جبل .

٤ ص : مجعدة .

٣ ص : وكشفت .

بصيرتُكَ بعد جلائها ، وتساحت<sup>١</sup> سيادتُك بعد إبانها ، وظمئت إلى سؤر هذا الحازر . وهو من لبن حازر . أتراها بعد أن اختبرت عَرْدَه ، وبكّست زَوْجَتَه وفردَه ، وذاقَتْ صابَه وشهدَه ، ورأتُ كلَّ ما يسرها عنده ، تصبرُ على دِقَّةِ مِسْبارِكَ ، وترضى مَلَّةَ خُشْكارِكَ ، وهيهات ما سَوَّلْتُ لك الأحلام . والله لو عادتِ إلى ملكك ، ما ملتُ من فَرْكَك . ولا رجعت عن تركك . ولو جعلتِ السندسَ لها بُسْطًا ، والثريّا في أذنيها قرطًا ، وصيرتَ بني حام كلَّهم لها خَوَلًا ، وحشرتَ عليها كلَّ شيء قُبُلًا ، ما كانت لتُقْبِلَ عليك ، ولا لتصرف وجه محبتها إليك .

وفي فصل : وأما ما ذكرت من خُلَيْدَة<sup>٢</sup> التي ادعيتَ عشقَها عليّ ، ونسبتَ حبَّها إليّ ، فقد أذكرُني الطعنَ وكنتَ ناسيا ، قد كنتَ رأيتها في المعرض ، وعندي من الارتياحِ إلى الملاح ، ما عند الغصونِ لهيف الرياح ، ومن الشغفِ<sup>٣</sup> في أمثالها إلى اللقيا ، ما بالرياض إلى السقيا [١١٤] فرأيتُ لثامها قد حُطَّ عن بدر كمال ، وإزارها قد غصَّ بردفِ ريتان ، وسرّحت طرفي منها في روضة حُسْنِ أريضة ، وحديقة جمالٍ أنيقة ، وأعطيتُ مولاهما فيها السَّوْلَ ، وبلَّغْتُه في ثمنها المأمول ، وسألها بعض التجار ، عن الدار وعن النِّجار ، فترجمتُ عن منصبها ، وأعربتُ عن نسبها ، بغرائبِ ألفاظ ، عزيز سماعٍ مثاليها بسوقِ عكاظ ، مسخت القاف كافا<sup>٤</sup> ، وردّت الأوصاف « أوسافا » ، فقبّحتُ بذلك الكلام حُسْنَهَا ، ورجمتُ الأسماعَ بِلغةٍ كأنّها :

١ ص : وتشاغت .

٢ ص : جليدة .

٣ ص : السفن .

٤ ص : الكاف قافا .

• بَرَدٌ تَحْدَرُ مِنْ مَتُونِ غَمَامٍ •

فَعَادَ مُبْرَمٌ حَبِي لَهَا سَحِيلًا ، وَلَمْ تَسْنَوْ عِنْدِي لَذَلِكَ فَتِيلًا . وَمَا عَجِبْتُ  
كَمَعَجِي مِنْ وَصْفِهَا بِقِصَرِ الْخَطَا ، وَتَشْبِيهِهَا بِإِبْهَامِ الْقَطَا ، فَإِنْ كَانَ  
نَقْدُكَ فِي الشَّعْرِ وَمِرَامِيهِ ، وَاقْتِضَابُكَ لَغَرِيبِ مَعَانِيهِ ، بِهِذِهِ الْقَرِيحَةِ الصَّافِيَةِ ،  
وَالْبَصِيرَةِ النَّافِذَةِ الْمُنْتَهِمَةِ ، فَقَدْ فُتَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ سَبَقًا ، وَبَرَزْتَ  
عَلَى الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ صَدَقًا . كَيْفَ جَازَ عَلَيْكَ هَذَا الْغَلَطُ وَأَنْتَ صِيرُفِي  
الْكَلَامِ . مَعْنَوِيَّ النِّظَامِ ، وَغَيْرُكَ بِذَلِكَ التَّشْبِيهِ كَانَ أَلْيَقَ ، وَهُوَ بِهِ أَعْلَقَ ،  
تِلْكَ بِيضَاءُ قَصِيرَةٍ بَزَعَمَكَ ، وَهَذِهِ سُودَاءُ دَحْدَاحَةٍ بَزَعَمَكَ :

قَرِيبَةُ الْأَقْطَارِ مَلْهُومَةٌ      مَغْمُوسَةٌ فِي خُضْرَةِ جَوْنٍ  
لَا تَخْطِئُ الْبَقَّةُ أَوْصَافَهَا      فِي النَّتْنِ وَالْقَامَةِ وَاللَّوْنِ

وَأَمَّا مَا عَيْبَتَهُ مِنْ زُرْقَتِهَا — وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ ، وَكَانَتْ الشَّهْلَاءُ فِي  
نَعْتِكَ — فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ أُولَئِكَ الْقَائِلِ :

وَأَزْرَقِ الْعَيْنِ فَاتِرِ الْغَسَجِ      زُرْقَةُ عَيْنِيهِ آفَةُ الْمُهْجِ  
قَالُوا بِهِ زُرْقَةُ فَقُلْتُ لَهُمْ      تَمَّ بِهَا حُسْنُ وَجْهِهِ الْبَهْجِ  
مَا زُرْقَةُ الْعَيْنِ مِثْلُ كَحْلَتِهَا      كَمْ بَيْنَ يَاقُوتَةٍ إِلَى سَبَبِجِ

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَهَذَا هُنَا وَقَفْتُ وَأَمْسَكْتُ ، لِأَنَّ بَعْضَ الْإِخْوَانِ  
أَحْرَقَنِي بِنَارِ الْعِتَابِ ، وَأَخْرَجَنِي بِهَا عَنْ طَبَقَةِ الْكِتَابِ ، وَرَكِبَ فِي مَلَامَتِي  
رَاسَهُ ، وَمَدَّ بِهَا إِلَيَّ أَنْفَاسَهُ ، وَأَطْنَبَ فِي اللَّوْمِ وَأَسْتَهَبَّ . وَصَعِدَ فِيَّ

١ ص : فَأَيْنَ مِنْكَ مِنْ .



العَتَبِ وَصَوَّبَ ، يقول في فصل منها<sup>١</sup> : « وقفتُ على ما أدّاك إليه كثرةُ الفضول ، من إيرادِكَ تلكَ الفصول ، التي مَسَخَتْ جواهرها خِرَافاً<sup>٢</sup> ، ولآلئها صَدَفاً ، ورأيتُ تلكَ النصيحة ، التي صارتُ فضيحةً ، والمحاسنَ التي عادتُ قبيحةً ، والألفاظَ العذابَ ، التي آضتُ سيّاطَ عذابٍ ، وتأدّبَ من عاطيتَ ، وجوابَ من كاتبَ ، فثأوهُتُ وتفجّعتُ ، وحوّقتُ واسترجعتُ ، وقلتُ : أما انتبه من سِنَةِ غفلتِهِ ، وذكرَ بيتي حكمتِهِ ، إذ يقول :

إذا ما هَدَيْتَ امرأً مخطئاً أضلَّ السبيلَ إلى قَصْدِهِ  
ولم تَلْقَهُ سامعاً قابلاً فَحَسِّنْ له المشيَ في ضِدِّهِ

ولقد سررتُ بما أصابكَ ، وابتهجتُ بما نابكَ ، فمساك يوماً تعرفُ أخلاقَ الناسَ ، وتزنُ أحلامَهُمْ بالقِسْطاسِ . وتنتقدُ أحوالَهُم وأفعالَهُم ، وتختبرُ ضرائبَهُمْ وأشكالَهُم ، فتميزُ الخبيثَ من الطيّبِ ، وتتجانبُ<sup>٣</sup> مَن بعدُ عن الدعابةِ في خطابٍ ، أو إجابةٍ بكتابٍ .

هذه شِكِيمةٌ كَتَبْتُني بها هذا الصديقُ بعد أن جمحتُ ورحتُ ، وخطّامُ خطمَني به بعد أن أرقلتُ وأوجفنتُ ، ولولاه لعرضتُ أكثرَ من هذا المتاعِ ، وكِلْتُ بأكبرَ من هذا الصّاعِ .

١ ما يلي هو نص ما كتبه إليه صديقه حين لا مه .

٢ طس : خرفا .

٣ ص : وتجانب .

وله من رقعة إلى ابن الشامي صاحب الخمس . راغباً في أن يكلّم له  
الأمير صمصام الدولة<sup>١</sup> في أن يحرّر له أرضاً كان اشتراها :

إذا الحاجاتُ عيّ بها رجالٌ      وكان قضاؤها صعبَ المرامِ  
وقلّتْ حيلةُ الشّفاءِ فيها      فحاولْ نُجْنَحها ببني الشّامي  
درايْ العِلا حنفتْ ببدرٍ      منيرٍ في سماءِ المجدِ سامِ

ويعلم - أدام الله تمكينه - مذهبي في التخفيف . وحمل مؤنة التكليف .  
إلاّ في ما تلجئ الضرورة إليه ، ويحملُ الاضطهادُ عليه . وكنتُ من  
ترفيه النفس عن الامتحان ، والقناعة بما تسمحُ به نفسُ الزمان ، عن حالة  
يعلم - حرس الله مجده - تقلّبي في أثنائها . ومقيلي في أفيائها ، حتّى عرّض  
لي من سوء القضاء ، ما أجار بالنار من الرضاء ، فسوّ لي الحرصُ الذي  
ما شمتُ له قطُّ بارقاً ، والطمعُ الذي ما ركبتُ له قطُّ عاتقاً ، النظرة في  
لحداثِ بستانٍ في خرائبٍ أخربّتْ مالي ، وشغلّني عن كثيرٍ من أشغالي ،  
وصرتُ منفقاً ما جمعتُ في الغربة والوطن ، وكسبتُ في الإقامة والظعن ،  
بين جدارٍ فيها أهله . وغارٍ أردمه ، وأرضٍ أرفعُ مرّةً وهادها ، وأخفضُ  
تارةً نجادها ، حتّى استوت ساحاتها [١١٥] وتوطّئت ، وغابت مغاراتُها وتغطّت ،  
وانكشطتْ أسنمتُها والمحطّتْ ، وفي بناء حائطٍ أحرق بأقطاره ، وآمنُ  
به على ثماره ، وفي حفر بشر ينقعُ ماؤها صداه ، ويبلُّ إذا حمّيتِ الهجيرُ

١ هو الصمصام بن يوسف ثقة الدولة ، تولّى بعد أخيه الأكمل تأييد الدولة سنة ٤٢٧ هـ ولم  
تطل أيامه ، بل ثار عليه أهل بلرم وأخرجوه ، واستقل كل قائد في جزيرة صقلية  
بمنطقته .

٢ كذا ، ويمكن أن تقرأ « الاضطرار » .

ثراه ، ما لو أقررتُ به بين يدي القاضي أو شهيدَ به عليّ لتوجهَ عليه فيما يلزمه من الفرض . ويحقُّ عليه في الإبرام والنقض ، أن يُثبتني على رأي الفقهاء ، في ديوان السفهاء ، إذ لا يُقدَّرُ على سقني دوحاته ، ولا يتوصَّلُ إلى احياء مواته ، إلّا بدولابٍ وجابية ، يأخذان الماء أخذه رابية ، وعند الوصول إلى هذه الفصول . والانتهاج إلى هذا المحصول ، قرعتُ سنّ النادم ، وانتبهتُ انتباهَ الحالم ، وكنتُ ككتاجرٍ البلتور ، في ابتياع السنور . ومسرَّحِ الدجاج . في مخزنِ الزجاج : أحدثَ هذا في ماله من البوار . ما لا يحدثه عابثُ الفار ، وجلبَ ذلك إلى بضاعته من الفساد . ما لا يحدثه وافدُ الكساد .

وفي فصل منها : ولا بدّ لغريق البحر أن يدرج فيخرج<sup>١</sup> ، وللتائه في القفر أن يضلّ فيهلك ، أو يُدَلَّ فيسلك ، وقد علم قلّة حاجاتٍ وليّته إليه ، وإيثاره التخفيفَ عليه ، ومتى أعلمَ الأميرَ أن هذه الخرائب التي عانى وليّته غيراسها ، لا يُرتجى لها عمارةٌ تعودُ بفائد ، ولا ينتفع الديوانُ منها بدرهمٍ واحد ، وساكنوها منذ أعوام ما أدّى واحدٌ منهم خراجاً ، ولا صنع لبنيته باباً ولا رتاجاً ، فهم بين قومٍ يأكلون الشجر قبل الثمر ، ويترعون الأبّ قبل الحبّ ، وما آمن مع ما أحذقت به من الأسوار ، وخرجت في [النفقة] عن المقدار ، أن يوجفوا إليه بالحوالق ، وينقضوا فيها كالشوائق ، كما يفعلون في بستانِ فلان ، الذي أنفق فيه عمره وماله . وصرفَ إليه همه واهتباله ، فهو في الشتاء من علوجِ الزُّبر والحفر ، وأصحابِ الغرْسِ والبذر ، فإذا بلغتْ ثمرته ، ووجبتْ غلته ، حام

١ لعله : فيفرق أو يخرج .

عليه بنو حام ، ولم يتمتع منهم بحارسٍ ولا حام ، ﴿ وَأَحْيَيْتَ بِشَمَرِهِ  
فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى  
عُرُوشِهَا ﴾ (الكهف : ٤٢) . وناهيك [بِدُرَّةٍ] ظَفِيرَتْ يَدَيَّ بِأَخْتِهَا ،  
وَمَخْشَلَبَةٌ غَنِيَتْ عَنْ ثِقْبِهَا وَنَحْتِهَا ، ومتى لم يلحظني مولاي بعينِ  
رعايته ، ويمدَّ إليَّ [يَدًا] عنايته ، في ما رَغِبْتُ وسألت ، انقلبتُ بأملٍ  
عاطلٍ ، وعملٍ باطلٍ .

### في ذكر الأديب أبي محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلّي<sup>١</sup>

أحدُ مَنْ وفد أيضاً على المعتمد ، وهو من جُمْلَةِ مَنْ لقيته وشافهته ،  
وأسمعني شعره ، وهو شاعرٌ ماهرٌ بقرطسٍ أغراضَ المعاني البديعة ، ويعبّر  
عنها بالألفاظ النفيسة الرفيعة ، ويتصرّف في التشبيه ويغوص في بحر الكلام  
على درّ المعنى الغريب .

١ انظر الخريدة ٢ : ١٩٤ ورايات المبرزين : ١١٢ والمطرب : ٥٤ ومسالك الأبصار :  
٢٨٨ والسلفي : ٨٦ وابن خلكان ٣ : ١٢١ وعيون التواريخ ١٢ : ٢٥٥ والمكتبة  
الصقلية ونفح الطيب ، وقد سكت عنه دراسات منها دراسة للأستاذين السقا والمنشاوي  
(القاهرة ١٩٢٩) ودراسة بالإيطالية للأستاذ جبرائيل ، وقد كتبت عنه فصلاً في كتابي  
«العرب في صقلية» : ٢٣٥-٢٦٢ ودراسة جعلتها مقدمة حل ديوانه الذي قمت بنشره سنة  
١٩٦٠ ويبدو من المقارنة أن الذخيرة انفردت بقصائد لا نجدها في أصول ديوانه ، ومعنى  
ذلك - في الأرجح - أن هذه القصائد تمثل رواية - أو مجموعة - كانت له بالأندلس ، وبخاصة  
وان ابن بسام لقيه وسمع شعره ، ولكن ابن حمديس عاش حتى سنة ٥٢٧ وكثر شعره ،  
فالذخيرة تمثل حقاً المرحلة التي سبقت مغادرته للأندلس وبعض قصائده ما قاله في بني زيري  
من بعد . وسأعرض شعره الوارد هنا بديوانه وحده لأنني قمت بتخريج شعره من المصادر  
المتيرة حين تحقيق الديوان نفسه .

فمن ذلك قصيدة أولها<sup>١</sup> :

لم نؤت ليلتنا الغراء من قِصرِ  
لولا وصال ذواتِ الدلِّ والخفَرِ

يقول فيها :

إنني امرؤ لا أرى خَلَعَ العذارِ على  
فما فتنتُ بردفٍ غيرِ مُرتدِفٍ  
وربَّ صفراءَ لم تتركْ بِسَورَتِها  
تزدادُ ضعفاً [قواها] كلما خَلَقَتْ<sup>٤</sup>  
لا يعرفُ الشَّربُ عيباً في مَنَاقِبِها  
يصافحُ الرَّاحَ من كاساتها شُعَلٌ<sup>٥</sup>  
إذا النديمُ حَسَّاسُها خِلَتْ جَرِيَتِها

من لا يقومُ عليه في الهوى عُنْذُري  
ولا حَنَنْتُ لخصرٍ<sup>٢</sup> غيرِ مختصرِ  
لِصَوْلَةِ الهمِّ من عَيْنٍ ولا أثرِ<sup>٣</sup>  
بها الليالي حدودَ الضَّعْفِ والكبرِ  
إلاَّ دغاويَ بين المسك والزهرِ  
ترمي مَخَافَةَ لمسِ الماءِ بالشَّرَرِ  
نجماً تصوبُّ حتى غابَ<sup>٦</sup> في قمرِ

ومنها :

١ ديوانه : ٢٠٤ .

٢ الديوان : ولا جنت بخصر .

٣ روايته في الديوان :

وشربة من دم المنقود لو عدت

أو لعله بيت آخر وقع موقعه أو بعده .

٤ الديوان : بَلَّتْ .

٥ روايته في الديوان :

لا يسمع الألف من نجوم تارجها

إلا دغاوي بين الطيب والزهر

٦ الديوان : غار .

بالله يا سَمُراتِ الحيّ هل هَجَعَتِ<sup>١</sup>      في ظلّ أغصانك الغزلانُ عن سحري<sup>١</sup>  
 وهل يراجعُ وكرّاً فيك مغتربُ<sup>٢</sup>      عزّت جناحيه أشراكُ من القدر  
 يفديك<sup>٣</sup> قلبي ولو أسطيعُ من وآلتهِ<sup>٤</sup>      طارتْ إليكِ بجسمي لمحةُ البصر

ومن الممدح<sup>٥</sup> :

الباسطُ الكفّ بالحدوى التي وكفّت<sup>١</sup>      بالرزقِ ما بين منهلٍ ومنهمر  
 والموسعُ الأرض إذ جارتْ أكابرها      عدلاً يؤلّفُ بين الشامِ والتممر  
 كم آيةٍ لك في الإفضالِ معجزةٍ<sup>٢</sup>      لها بوادِرُ لا تُبقي على البدر

قوله : « نجماً تصوّب حتى غاب في قمر » معنىً قد طوي ونُشر ،  
 ومنه قول الحسين بن الضحّاك<sup>٣</sup> :

كأنّما نصبُ كأسه قَمَرٌ<sup>١</sup>      يكرعُ في بعضِ أنجمِ الفلكِ  
 وأخذَه أبو نواس فقال<sup>٢</sup> :

إذا عبَّ فيها شاربُ القومِ خلته<sup>١</sup>      يقبّلُ في داجٍ من الليلِ كوكبا [١١٦]  
 وقد أخذَ بعضُ أهل عصرنا هذا المعنى ، وهو الأديب أبو محمد بن  
 صبرة الشنتريني فقال :

١ الديوان : سهري ، وفي ص : سحر .

٢ الديوان : ففيلك

٣ هذه الأبيات الثلاثة لم ترد في رواية الديوان واثبتتها هنالك في الحاشية : ٢٠٨ .

٤ ديوانه : ٨٨ .

٥ ديوان أبي نواس : ٢٤٤ .

وافى بها صهباء من أوصافه      فرأت نديماً منهما شمس الضحى  
دق الثنايا دون نيل مراميهما      في الليل قابضة على بهراميهما  
وقال فيه أيضاً :

ورشاً خدّه حديقة ورد      خلته حين عبّ في الكاس بدرأ  
حُميَّت من عذاره بيحباب      عبّ من ذوب كوكب في عباب  
وقال الصقلي من أخرى <sup>١</sup> :

باكرُ إلى اللذات واركب لها      من قبل أن ترشف شمس الضحى  
سوابقَ اللهبِ ذوات المراح      ريق الغواصي من ثغور الأقاح  
وله من قصيدة <sup>٢</sup> :

قد طيّبَ الآفاق طيبُ ثنائيه      حتى كأنَّ الشمسَ تَذْكِي المندلا  
وكررَ هذا المعنى فقال <sup>٣</sup> :

وكانتَ شمسُ الظهيرةِ نارهُ      وكانتَ شجرةُ البسيطةِ عودهُ  
وله يستنجز المعتمد بن عباد وقد لزم باب قصره عاماً كاملاً <sup>٤</sup> :

١ ديوان ابن حمديس : ٨٩ .

٢ ديوانه : ٥٥٩ ( عن الذخيرة ) .

٣ ديوانه : ٥٤٤ ( عن الذخيرة ) .

٤ ديوانه : ١١٠ .

أيا مولى الصنع الجميل إذا انتشى  
وفي كل أرض من نداء حديقة<sup>١</sup>  
أفترد بالحرمان من كل عاطل  
أنتني على بُعد النوى منك دعوة<sup>٢</sup>  
فجاءك من أهل البديع مصرف<sup>٣</sup>  
وكان عليه الخلق ليلاً يجوبه  
رفعت بأظماني إلى ما تحده<sup>٤</sup>  
ويا مُسدي النيل الجزيل إذا صخا  
تضوّع مسكاً ثورها وتفتحا  
تطوّق من نعماك ثمّ توشحها  
أثارت بنات السير حُولا ولقحا<sup>٥</sup>  
مهار القوافي<sup>٦</sup> في امتداحك قرّحا  
إليك فلمّا لاح وجهك أصبحا  
علاك فوقّع مسكاً أو مسرّحا

ثمّ تصرّفت الليالي والأيام ، اللعبة بالأنام ، واقتضت بالمعتمد الحال ،  
إلى الاعتقال ، بسجن أغمات ، وسمع الصقلّي هذا شعر المعتمد الذي قد  
تقدم إنشاده حيث يقول فيه :

قضى الله في حمص الحمام وبعثت  
تراه عسيراً أم يسيراً نثاله<sup>١</sup>  
هناك عنا للنشور قبور  
إلا كل ما شاء الإله يسير  
فأجابه الصقلّي أبو محمد بأبيات منها قوله \* :

أتيأس من يوم يناقض أمسه<sup>٢</sup> وشهب الدراري في البروج تدور<sup>٣</sup>  
ولما رحلت بالندى في أكفكم<sup>٤</sup> وقُلْ قِل رَضْوَى منكم<sup>٥</sup> وثبير

- 
- ١ الديوان : قطعت لما بالعزم نجداً وصحصا .
  - ٢ الديوان : ويختال من أهل القريض . . . يهادي القوافي .
  - ٣ الديوان : وأصحابي . . . تجده .
  - ٤ القسم الثاني : ٧٥ وديوان ابن حمديس : ٢٦٧ .
  - ٥ ديوان ابن حمديس : ٢٦٨ - ٢٦٩ والخيرة ٢ : ٧٦ .



رفعتُ لساني بالقيامةِ قد دنتُ فهذهي الجبالُ الراسياتُ تسيرُ

وله من قصيدة في القاضي ابن القاسم بسلا<sup>١</sup> :

لكلِّ حبِّ نظرةٌ تبغثُ الهوى      ولي نظرةٌ نحو القتولِ هي القتلُ  
أترتد<sup>٢</sup> بالتكريهِ رسلِ نواظري      ومن شيسمِ الإنصافِ أن تكرمِ الرسلِ

ومنها :

ركبتُ نوىَ جوبةِ الأرضِ لم يعشُ      لراكبها عيس<sup>٣</sup> تحبُّ ولا رحل  
أسائلُ عن دارِ السّماحِ وأهليهِ      ولا دارَ فيها للسّماحِ ولا أهل  
ولولا ذرى ابن القاسمِ الواهبِ الغنى      لما حُطَّ منها عند ذي كرمِ رحل  
تُخفّضُ أقدارُ اللّثامِ بلؤمِهم      وقدرُ عليٍّ من مكارمهِ يعلو  
فنى لم يفارق كفهْ عقدُ مينةِ      ولا عيرضةُ صوّنْ ولا مالهْ بذل  
له نيعمٌ تخضّرُ منها مواقعُ      ولا سيما إن غيّرَ الأفقَ المحل  
ورحبُ جنابٍ حين ينزلُ للقرى      وفصلُ خطابٍ حين يجتمعُ الحفل  
ووجهُ جميلٍ الوجه تحسبُ حرّةً      حساماً له من لخطِ سائليهِ صقْلُ  
مروعةً أموالهْ بيعطائهِ      كأنَّ جنوناً مستها منه أو خبْلُ  
وأي أمانٍ أو قرارٍ لخائفٍ      على رأسه من كفّ قاتله نصل

١ الديوان : ٥٥٧ ( عن الذخيرة ) ومنها أربعة أبيات في المسالك .

٢ ص : تريد ( دون أعجام للياء ) .

٣ المسالك : عيس .

٤ لعل صوابه : حينما يبذل القرى أو : حين يستنزل القرى .

ومنها :

لقد بهرت شهب الداراي منيرة<sup>١</sup>      ورثتم تراث المجد من كل سيد  
على منكبيه من حقوق العلا ثقل<sup>٢</sup>      فمن قمر يبغي على الأفق بعده  
هلالاً ومن ليث خليفته شبل<sup>٣</sup>      وأصبح منكم في سلا الجور أحرساً  
وقام خطيباً بالذي<sup>٤</sup> فيكم العدل      ملكت القوافي إذ توخيت مدحكم  
ويا رب أذواد تملكها فحل

وله من أخرى في تميم أمير المهديدة وبتجمع على دخول الروم صقلية ،  
أولها<sup>٥</sup> :

تدرعت صبري جنة للنوائب      فإن لم تسالم يا زمان فحارب

يقول فيها :

بلاد جرى فوق البلادة ماؤها      فطمنت بها عن كل كأس ولذة  
وأنفقت جل العمر في غير واجب      يبيت رئاس السيف في ثني ساعدي  
معاوضة من جيد غيداء كاعب      وما ضاجع الهندي غير مثلهم  
مضاربته يوم الوغى في الضرائب      إذا كان لي في السيف أنس ألفته  
فلا وحشة عندي لفقد الحباب      وكنت وقدتي في الصبا مثل قدته  
عهدت إليه أن منه مكاسي

١ كذا هو في ص ولعله : « بالهدى » أو ما أشبه .

٢ ديوان ابن حنيس : ٢٨ .

فلن كان لي في المشرفي مآرب<sup>١</sup>      فكم في عصا موسى له من مآرب  
 هميشك أيّ الفجعتين استربتها<sup>٢</sup>      خيانة دهرى أم خيانة صاحبي [١١٧]  
 تغذّى باخلاقي قديماً<sup>٣</sup> ولم تكن<sup>٤</sup>      ضرائبه إلاّ خلاف ضرائبي  
 ويا ربّ نبت تعتريه مرارة<sup>٥</sup>      وقد كان يُسقى عذب ماء السحاب  
 جهلت فجربت الذي أنا عالم<sup>٦</sup>      وقد تُجهلُ الأشياءُ قبل التجارب

ومنها :

وكم عزّمت كالسيوف صواقٍ      تجرّدها أيدي الأماني الكواذب  
 فلي في سماء الشرق مطلع كوكبٍ      جلا من ضلوعي بين زهر الكواكب<sup>١</sup>  
 ألفت اغترابي عنه حتى تكاثرت      له عُقدُ الأيتام في كفّ حاسب  
 متى تسمع الجوزاء في الجوّ منطقي      تُصنّع من مقالي في ارتجال الغرائب  
 ليالي<sup>٢</sup> بالمهديتين كأنّها اللآ      لى من دنياك فوق ترائب  
 إذا شئت أن أرمي الهلال بلحظةٍ      لمحت تميمًا في سماء المناقب

ومنها :

ولو أنّ أرضي حرّة<sup>١</sup> لاتبعتها      بعزمٍ يقده<sup>٢</sup> السير ضربة لا زب

١ الديوان : أنحسني أنسى وما زلت ذاكرًا .

٢ الديوان : صغيراً .

٣ الديوان : علمت بتجريبي أموراً جهلتها .

٤ ص : حلا من ضلوعي بين زئد الكواعب .

٥ وجه من معنى ، وأحسبه « يمد » كما في الديوان .

ولكن<sup>١</sup> أرضي لا عدمت<sup>٢</sup> فكأكها<sup>٣</sup>  
لئن ظفرت<sup>٤</sup> تلك الكلاب<sup>٥</sup> بأكلها  
أحين<sup>٦</sup> تنفاني أهلها طوع<sup>٧</sup> فتنه<sup>٨</sup>  
وأضحت<sup>٩</sup> بها أهواؤهم وكأنما<sup>١٠</sup>  
تخب<sup>١١</sup> بهم قُب<sup>١٢</sup> يطيل<sup>١٣</sup> صهيلها  
مؤلة<sup>١٤</sup> الآذان<sup>١٥</sup> تحت<sup>١٦</sup> [إلاهم]

من الأسر<sup>١٧</sup> في أيدي العلوج<sup>١٨</sup> الغواصب  
فبعد<sup>١٩</sup> سكون<sup>٢٠</sup> للعروق<sup>٢١</sup> الضوارب  
يضرّم<sup>٢٢</sup> فيها ناره<sup>٢٣</sup> كل<sup>٢٤</sup> حاطب<sup>٢٥</sup>  
مذاهبهم<sup>٢٦</sup> فيها اختلاف<sup>٢٧</sup> المذاهب  
بأرض<sup>٢٨</sup> أعادهم<sup>٢٩</sup> نياح<sup>٣٠</sup> النوادب<sup>٣١</sup>  
كما حُرّفت<sup>٣٢</sup> بالبري أقلام<sup>٣٣</sup> كاتب

وله من أخرى أولها :

شفاؤك<sup>١</sup> في نوى<sup>٢</sup> تُنضي<sup>٣</sup> الركابا  
فلا تنق<sup>٤</sup> من<sup>٥</sup> الدثيبا<sup>٦</sup> بحظ<sup>٧</sup>  
فشر<sup>٨</sup> ليوث<sup>٩</sup> [هذي الأرض] ليث<sup>١٠</sup>  
سأسري<sup>١١</sup> تحت<sup>١٢</sup> نجم<sup>١٣</sup> من سناني  
وينجدني<sup>١٤</sup> على<sup>١٥</sup> الحلدان<sup>١٦</sup> عَضْب<sup>١٧</sup>

ونُجْحُك<sup>١٨</sup> عن سرى<sup>١٩</sup> تطوي<sup>٢٠</sup> اليبابا  
إذا لم<sup>٢١</sup> تحو<sup>٢٢</sup> يدك<sup>٢٣</sup> اغتصابا  
يُشارك<sup>٢٤</sup> في<sup>٢٥</sup> فريسته<sup>٢٦</sup> الذئابا  
إذا نجم<sup>٢٧</sup> من<sup>٢٨</sup> الأنصار<sup>٢٩</sup> غابا<sup>٣٠</sup>  
يفلّل<sup>٣١</sup> قمرعه<sup>٣٢</sup> النّوب<sup>٣٣</sup> الصّعابا

١ الديوان : كيف لي بفكأكها .

٢ ص : وكأنها .

٣ ما حذفه ابن بسام قبل هذا البيت يشبه السياق ، ففي ما قبله كان ابن حمديس ينعي على قومه  
شوبهم في فتنة قسمتهم وأرهنت قوتهم ، وفي هذا البيت وما يليه يشيد بما كان لهم من بطولات  
قبل تلك الفتنة .

٤ ديوانه : ١٤ ومطلعها مختلف ، وهو :

ألا كم تسع الزمن المتابا تخاطبه ولا يدري الخطابا  
والأبيات الثلاثة الأولى هنا ليست في رواية الديوان .

٥ الديوان : عن الأبصار .

٦ قراءة غير دقيقة لما في ص ، واقرب الصور المثبتة « الحلدا » .

يمانيّ إذا<sup>١</sup> استمطرتُ صوباً به من عارضِ المهجاتِ صابا  
 كأنَّ شعاعَ عينِ الشمسِ فيه وإن كانَ الفرندُ به ضبابا  
 ومنها :

وكنّا في مواطننا كراماً      تعافُ الضيمَ أنفسنا وتابى  
 ونطلعُ في مطالعنا نُجوماً      نُعيدُ لكلَّ شيطانٍ شهابا  
 صبرنا للخطوبِ على ضرُوبٍ<sup>٢</sup>      إذا رُميَ الوليدُ بهنَّ شابا  
 ولم تسلمْ لنا إلاَّ نفوسُ<sup>٣</sup>      وأحسابُ تكترمتُنا اكتسابا<sup>٤</sup>  
 ولم تخلُ الكواكبُ من سقوطٍ      ولكن لا يُبدلُغُها الترابا

ومن أخرى<sup>٥</sup> :

بلى جرّ أذبال الصّبا فتصّابى      وأوجفَ خيّلاً في الهوى وركابا  
 قصرتُ<sup>٦</sup> زماني بالشّمولِ مُسِنَّةً      وبالروضِ كتهلاً والفتاة كعابا  
 يقول فيها :

وأقصر أيتامِ الفتى يومُ الدّعةِ      صفا ما صفا بالعيش منه فطابا<sup>٦</sup>

١ الديوان : يمان كلما .

٢ الديوان : صروف .

٣ الديوان : نكرمها اكتسابا .

٤ الديوان : ٥٤ ، ٣٩٥ ( والثانية نقلا عن الذخيرة وهي تكاد تكون رواية مستقلة ) .

٥ الديوان : قطعت ( ٥٤ ) .

٦ من هنا حتى آخر القصيدة مما تستقل به رواية الذخيرة .

ليالي لا ترمي الرمي وإن تُصيب  
وعصبة لهو غادروا الهَمَّ جانباً  
يديرونها راحاً كأنَّ بكاسيها  
تنافرُ لمس الماء وهو يتروضها  
فأحبُّ بذاك العيش عيشاً ذكرتهُ  
وليل تخوضُ النيراتُ ظلامه  
سريتُ بمحبوك من القُبِّ كلما  
من الجنِّ فاسم الله إمتاً وضعتهُ  
تري ضحك الإصباح فوق جبينه  
تحالُ الثريا رأسهُ وهو مُلجَم  
يُحرفُ بالتأليل<sup>١</sup> أذنأ كأنما  
سما الدرُّ في أرساغه عن زبرجد  
هو الطرفُ فاركب منه في ظهر طائر  
إلى قمرٍ تسري إليه كأنما  
كأنني سرّ في حشا الليل داخل  
فبتُ مَرُوى من مُجاجةٍ باردٍ  
كأنَّ قِطافَ اللثم من ثغرٍ روضه

بسهمك خوداً فالشبابُ أصابا  
فلم يأتفوا إلاَّ السرورَ جنابا  
إذا لبست درع الحباب حُبابا  
تفتَرِكُ كالبكِرِ الفروقِ لِعابا  
وبالعصرِ عصرأ والصحابِ صحابا  
كأوجه غرقى يغرقن عابا  
دعا شأوه وحي العنان أجابا  
مكانَ قطيع طارَ عنك وغابا  
وقُيِّضَ<sup>٢</sup> من ليل المحاق إهابا  
إذا البخري<sup>٣</sup> لم يلبس طلاه سخابا  
برى قلماً منها يخطُ كتابا  
يغادر بالوطء الصخور ترابا  
تَنَلُّ كلَّ ما أعياء عليك طلابا  
عليه سماءُ الله تغلقُ بابا  
على حبة القلبِ المصنُونِ حجابا  
غزا ذكرهُ قلب الغيور فذابا  
تكسب من طل الغمام رضا

١ هكذا في ص ؛ وله وجه ، والأحسن ما أثبتته في الديوان « وقمص » .

٢ ص : الجو .

٣ ص : بالتأويل .

ومنها :

ولم أرَ كالدنيا خؤوناً لصاحبٍ      ولا كمصابي بالشبابِ مصاباً  
فقدتُ الصَّبَا فابيضَّ مسودُّ لمتي      كأنَّ الصَّبَا للشيبِ كان خيضاباً

ومن أخرى <sup>١</sup> :

أَمَطَتْكَ هَمَّتْكَ العزيمةَ فاركبِ      لا تلقينَ عصاكَ دونَ المطلبِ  
ما بالُ ذي النظرِ الصحيحِ تقلبتِ      في عَيْنِهِ الدنيا ولم يتقلبِ  
فاطوِ العجاجَ بكلِّ يعملةٍ لها      عَومُ السفينةِ في سرابِ السببِ  
شرقٌ لتجلو عن ضيائكِ ظلمةٌ <sup>٢</sup>      فالشمسُ يمرضُ نورها بالمغربِ  
والماءُ يأجنُ في القرارةِ راكداً      فإذا علتكَ قذاتُه فتسرَّبِ  
طالَ التغرُّبُ في بلادٍ خُصِّصَتْ      بوخامةِ المرعى وطرقِ المشربِ [١١٨]  
فطويتُ أحشائي على الألمِ الذي      لم يَشْفِهِ إلاَّ وجودُ المذهبِ  
إنَّ الخطوبَ طرقتني في جَنَّةٍ      أخرجني منها خروجَ المذنبِ

ومنها :

من سالمَ الضعفاءِ راموا حربته      فالبسُ لكلِّ الناسِ شكةٌ محرَبِ  
كلُّ لأشراكِ التحيُّلِ ناصبِ      فاخليبِ بني دنيَاكَ إن لم تغليبِ  
من كلِّ مركومِ الجهالةِ مبهمِ      فكأنما هو قطعة من غيبِ  
لا يكذبُ الإنسانَ رائدُ عقله <sup>٣</sup>      فامرُرْ تمحَّجْ وكنْ عذوباً تُشربِ

١ الديوان : ٥٣٧ (عن الذخيرة) ومنها في المسالك ثمانية أبيات .

٢ س س .

٣ فيه إشارة إلى قولهم : « إن الرائد لا يكذب أهله » .

ولربَّ محترقٍ تركتُ جوابه  
لا تحسبني في الرجال بغائة  
أصبحتُ مثلَ السيفِ أبلى غمدَه  
إنَّ يعلَّله صدأُ فكم من صفحةٍ  
والليثُ يأنفُ عن جوابِ الثعلبِ  
إني لأقعصُ كلَّ لقوةٍ مَرَقَبِ  
طولُ اعتقالٍ ١ نجاده بالمنكبِ  
مصقولةٍ للماء تحت الطحالبِ

ومنها :

كم من قوافٍ كالشوارد صُرْتُها  
ودقائقٍ بالفكرِ قد نظمتُها  
وصلتُ يدي بالطبعِ فهو عقيدتها  
فقتَ البديعُ بسحره في مقولي  
لو أننا طيرٌ لقليلٍ لخبرنا  
وإذا اعتقدتَ العدلَ ثم وزنتني  
إني لأغمدُ من لساني مُنصلاً  
عن مِثْلِ جَرَجَرَةٍ الفَنِّيقِ المصعَّبِ  
ولو آمنَ لآلئُ لم تثقُبِ  
فقليلُ إيجازي كثيرُ المسهبِ  
فنطقْتُ بالجدادي والمتذهبِ ٢  
غرَدَ وقيلَ لشرنا لا تنعَبِ  
رجحتُ حصاتي في القريضِ بكبكبِ  
لو شئتُ صحتُ وهو دامي المضربِ

ومن أخرى ٣ :

تظنُّ مزاراً ٤ البدرِ عنها بعزِّي  
وبين رحيلي والإيابِ لحاجها  
إذا غاب لم يبعدْ على عينٍ مُبْصِرِ  
من الدهرِ ما يُنبلي رتيمةَ خنصرِ

١ المسالك : اعتلاق .

٢ ص : فنقطت بالجارى وبالمثلهب .

٣ الديوان : ٥٥٠ (عن الذخيرة) ومنها في المسالك أربعة أبيات .

٤ في ص صورة : من أن (دون إصمام) .



ولا بد من حملي على النفس خطئة  
وتطرحني بالعزم من غير فترة  
وما هي إلا النفس تفتي حياتها  
أغرّك تلويح<sup>١</sup> بجسمي وأنني  
وما هي إلا لفحة<sup>٢</sup> من هواجر  
وأنكرت<sup>٣</sup> إمام المشيب بلمستي  
وما كان ذا حذر غراب شيبني  
وأبقت<sup>٤</sup> صروف الدهر مني بقية  
وما ضعفتني للحوادث نكبة

ومنها :

وحمراء لم تسمع بها نفس بائع  
أقامت مع الأحقاب حتى كأنها  
فلم يبق منها غير جزء كأنه  
إذا قهقه الإبريق للكاس خلته  
وطاف بها غمر الوشاح كأنما  
قصرت بكل كل يوم لهوته

تعلق<sup>١</sup> وردي في اغترابي بمصدري  
سفائن<sup>٢</sup> بيد في سفائن<sup>٣</sup> البحر  
مصرفة<sup>٤</sup> في كل سعي مقدر  
لكالسيف تعلو منه غين<sup>٥</sup> جوهر  
تخاضعت<sup>٦</sup> منها كالنضار المسجر<sup>٧</sup>  
وأي صباح<sup>٨</sup> في دجى غير مسفر  
فلم<sup>٩</sup> طار [عن] شخصي لشخص منفر  
مذكرة<sup>١٠</sup> مثل الحسام المذكر  
ولا لان في أيدي الحوادث عنصري

لسموم ولم تظفر بها يد مشتري  
خبثته كسرى أو دفينته قيصر  
توهم معنى<sup>١</sup> دق عن ذهن<sup>٢</sup> مفكر  
يرجع صوتاً من عقاب مصرصر  
يقلب<sup>٣</sup> في أجفانه طرف جؤذر  
ومهما يطب<sup>٤</sup> يوم<sup>٥</sup> من العيش يقصر

١ ص : عين .

٢ ص : نفحة .

٣ ص : المشعر .

٤ المسالك : لأبقت .

ومن أخرى في المعتمد<sup>١</sup> :

أَتُنْكَرُ ضِعْفاً أَمْرَضَ الْحَدَقَ النَّجْلا  
وقد أَكْثَرْتَ فِينَا لَوَاحِظَهَا قَتْلًا<sup>٢</sup>  
يقول فيها :

أَقَائِدَهَا قَبَّ الْأَيَّاطِ لَمْ تَدَعْ  
حَمِيَّتَ حِمَى الْإِسْلَامِ إِذْ ذَدَّتْ دُونَهُ  
لِئِنْ قُلْتَ فِيهِ صَحَّ تَأْلِيفُ سُودِدٍ  
له عِنْدَ أَعْدَاءٍ إِغَارَتُهُ ذَحَلَا  
هَزَبَرَأْ وَرَشَّحَتْ الرِّشِيدَ لَهُ شَبَلَا  
فَبَارِعُ نَقْلِ مِنْ شِمَائِلِكَ اسْتَعْمَلِي  
ومنها في صفةِ القصرِ :

وَيَا حَبْلًا دَارٌ يَدُ اللَّهِ مَسَّحَتْ  
مَقْدَسَةً لَوْ أَنَّ مُوسَى كَلِمَتَهُ  
إِذَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا خَلَّتْ أُنْهَا  
وَقَدْ نَقَلْتُ صِنَاعَتَهَا مِنْ صِفَاتِهِ  
فَمِنْ صَدْرِهِ رَحْبًا وَمِنْ نَوْرِهِ سَنًا  
نَسِيتُ بِهِ إِيوَانَ كَسْرَى لِأَنَّهُ  
كَأَنَّ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ لَمْ تُسَبِّحْ  
كَأَنَّ عَيُونَ السَّحَرِ نَافِلَةٌ لَهُ  
عليها بِتَجْدِيدِ الْبَقَاءِ فَمَا تَبَلِ  
مَشَى قَدَمًا فِي أَرْضِهَا خَلَعَ النِّعْلَا  
تَقُولُ بِتَرْحِيبٍ لِدَاخِلِهَا أَهْلَا  
[إِلَيْهَا] أَفَانِينًا فَأَحْسَنْتِ النِّقْلَا  
وَمِنْ صَيْتِهِ فِرْعَا<sup>٣</sup> وَمِنْ حَلْمِهِ أَصْلَا  
أَرَانِي مِثْلًا مَا رَأَيْتُ لَهُ مِثْلًا<sup>٤</sup>  
أَوَامِرُهُ لِلْجَنِّ فِي شَيْدِهِ مَتَهَلَا  
عليهنَّ فَصْلًا مِنْ بَدَائِعِهِ فَصْلًا<sup>٥</sup>

١ الديوان : ٣٧٥ .

٢ ورد بدل هذا المطلع في الديوان :

أَغْمَرَ الْهَوَى كَمْ ذَا تَقَطَّعَنِي عَدَلَا  
قَتَلْتَ الْهَوَى حُلْمًا أَتَقَتَّلَنِي جَهَلَا  
ص : بدلاً .

٣ الديوان : أَرَانِي لَهُ مَوْلَى مِنَ الْفَضْلِ لَا مِثْلَا .

٤ الديوان : عَلَى كُلِّ بَانِ غَايَةِ مِنْهُ أَوْ فَضْلَا .

فكان مكان القول يبعث<sup>١</sup> وصفه  
ترى الشمس فيه [ليقة] تستمد<sup>٢</sup>ها  
تجوز<sup>٣</sup> له الأمواه<sup>٤</sup> بركة جدول  
إذا اتخذتها الشمس مرآة<sup>٥</sup> وجهها  
وقد توج<sup>٦</sup> البهو البهي بقبة  
تجمعت الأضداد فيها مصانعا  
وأغرب<sup>٧</sup> ما أبصرت بعد<sup>٨</sup> مليكها  
ولما عشنا من توقد<sup>٩</sup> نورها  
فيا دار أغضى الدهر<sup>١٠</sup> عنك وأكثر

رقيقاً وأذن<sup>١</sup> الدهر<sup>٢</sup> تسمعه جذلي  
أكف أقامت من تصاويرها شكلا  
تخال<sup>٣</sup> الصبا منه مشطبة نصلا  
أجالت<sup>٤</sup> عليها من مداوسها<sup>٥</sup> صقلا  
فقل<sup>٦</sup> في عروس<sup>٧</sup> في [جلابيبها] تجلي  
ولم أر<sup>٨</sup> خلقاً قبلها جمع<sup>٩</sup> الشملا  
بها مترع<sup>١٠</sup> يُعدي<sup>١١</sup> الشجاعة والبذلا  
تخذنا سناه في نواظرنا<sup>١٢</sup> كحلا  
أسودك<sup>١٣</sup> نسلا<sup>١٤</sup> فيك يخنثل<sup>١٥</sup> النسلا

١ الديوان : فجاه . . . نبعث .

٢ الديوان : تجوز .

٣ ص : مدارسها .

٤ ص : منزع تعدي .

٥ ص : نواظرها .

٦ ص : تختل .

## ومن شعره في أوصاف شتى

قال ١ : [١١٩]

نفوسنا بالرجاءِ مُتَنَسِّكَةٌ      والموتُ للخلقِ ناصبٌ شركَةٌ  
تُبْرِمُ أجسامنا وتنقضنا      طبائعٌ في المزاجِ مشتركةٌ  
لولا انتشاقُ الهوائِ متُّ كما      تموتُ مع فتقدِ مائها السمكةُ  
ننشأُ بالبعثِ بعد ميتتنا      أما يُعيدُ الزجاجُ من سبكهُ  
ما أغفلَ الفيلسوفُ عن طرقِ      ليستَ لأهلِ العقولِ مُنسلكتُهُ  
من سلمَ الأمرَ للإلهِ نجا      ومن عدا القصدَ واقعَ الهلكةُ

وقال ٢ :

جاءَ به ملآنٌ من صافيةٍ      معمورةٍ منها أقاليمُ الفرحِ ٣  
حلٌّ وكاءٌ شدّه عن مذبجٍ ٤      طلّ دمَ العنقودِ منه وسفح  
حقى إذا ما صبّ منه ريتنا      سدّ على التبرِ الذي كان فتح ٥

١ الديوان : ٣٥٩ (من الأخيرة) .

٢ الديوان : ٨٥ .

٣ جاء في موضعه بيت آخر في الديوان .

٤ الديوان : مدمج .

٥ الديوان ، ريقاً ، سد على ذوب المقيق ما فتح .

ترى نجيعَ البرقِ<sup>١</sup> منه راشحاً  
 مدامةً للروحِ أختُ برةً<sup>٢</sup>  
 قد علمت مزاجها فصرفها  
 يومٌ كأنَّ القطرَ فيه لؤلؤ  
 تقدحُ نارٌ من زنادِ برقه  
 لما جرت فيه الصبّا عليلةً<sup>٣</sup>  
 كأنما الكافورُ نثرُ ثلجنا  
 حتى أتى الليلُ بصحوٍ لم يكن<sup>٤</sup>  
 كأنما خلت منه قشعم<sup>٥</sup>  
 وقد محّا صبغَ الدياجي قمر<sup>٦</sup>  
 كأنه من ودجِ الليلِ رشح  
 آخذةً ثاراتها من الترح<sup>٧</sup>  
 يجبرُ ما هاضَ ويأسو ما جرح<sup>٨</sup>  
 ينظمُ للروضِ عقوداً أو وشح<sup>٩</sup>  
 ويطفئُ الماءُ<sup>١٠</sup> سريعاً ما قدح  
 رقَّ الهواءُ فيه للنفسِ وصح  
 أوندَفَ البرسُ لها قوسُ قزح  
 يغتبقُ الغيثُ به كما اصطبح<sup>١١</sup>  
 يتنلدى علينا ريشه إذا جنح<sup>١٢</sup>  
 دينارُهُ في كفةٍ<sup>١٣</sup> الغربِ رجح

١ الديوان : الزق .

٢ الديوان : يتأى بها سرورنا عن الترح .

٣ الديوان :

قد علمت مزاجه فصرفها يجرحه ثمت يأسو ما جرح

٤ هذا البيت مع اثنين آخرين وردت في الوافي في نظم القواني ، الورقة : ٩٠ (مخطوطة ليدن) .

٥ الديوان : يقدح ناراً . . . الماء .

٦ الديوان : لنا .

٧ الديوان :

حتى علا الجو دجى لم يغتبق فيه الحيا من الثرى كما اصطبح

٨ الديوان :

غراب ليل فوقنا معلق يقبض عنا ظله إذا جنح

٩ ص : كف .

حتى إذا ردَّ حذاءُ عَدُوِّهم<sup>١</sup>  
 نبَّهَ ذا هذا وكلُّ طرفه<sup>٢</sup>  
 يسألُ في تقويمِ جديِّ مائلٍ  
 وجاءهُ السَّاقِي بِكوبٍ مفعمٍ  
 يا عاذلي<sup>٣</sup> في الرَّاحِ كم سيئةٍ  
 أغشَّ خلقِ الله عند ذِي هوى<sup>٤</sup>  
 حتى إذا فكَّرَ عن بصيرةٍ

وقال ٢ :

ومشمولةٍ راحٍ كأنَّ حبابها  
 لها من شقيقِ الروضِ لون كأنما  
 شربتُ<sup>٥</sup> على برق كأنَّ ظلامه<sup>٦</sup>

وهذا من قول المعري<sup>٧</sup> :

إذا ما احتاجَ أحمرَ مستطيلاً<sup>٨</sup> حسبَتَ الليلَ زنجياً جريحاً

وقال أبو محمد أيضاً<sup>٩</sup> :

١ الديوان : يا لالمي .

٢ الديوان : ٥٥٤ (عن الدخيرة والمسالك) .

٣ ص : سريت .

٤ شروح السقط : ٢٤٠ .

٥ الديوان : ٥٤١ (عن الدخيرة ، ومنها بيتان في المسالك) .

ما زلتُ أشربُ كامه من كفته  
حتى انجلي الإصباحُ عن إظلامه  
والشهب في غروب السماء سواقطُ  
ورضابهُ نفلٌ على ما أشربُ  
كالسترِ [يُرفَعُ] عن ملكٍ يحجب  
كبناتِ ماء في غديرٍ ترسبُ

وقال في صفة نهر<sup>١</sup> :

ومطرِدِ الأجزاءِ تحسبُ<sup>٢</sup> مَسْنَه  
جريحٍ بأطرافِ الحصى كلما جرى  
كأنَّ حُبَاباً ريعَ نحتَ حَبَابِهِ  
شربنا على حافاته دَوْرَ سكرةٍ  
كأنَّ الدجى خطُّ<sup>٥</sup> المجرة بيننا  
كلفتُ بشرني للصباحِ<sup>٦</sup> مبكراً  
صبأ أعلنتُ سرَّ القلدى في<sup>٣</sup> ضميره  
عليها شكا أوجَاعَهُ بخبره  
فسارَعَ يلقي نفسه في غديره  
وأقتل سكرأ<sup>٤</sup> منه عينا مديره  
وقد كُتِلَتْ حافاتها ببلوره  
وكم بركاتٍ للفتى في بكوره

وله في شمة<sup>٧</sup> :

قناة من الشَّمْعِ مركوزة\*  
تحرِّقُ بالنارِ أحشاءها  
لها حربة طُبِعَتْ من لب  
فتدمعُ مقلَّتُها بالذهب

١ الديوان : ١٨٦ .

٢ الديوان : يصقل .

٣ الديوان : صبأ أعلنت للعين ما في .

٤ ص : وأقبل سكرأ .

٥ ص : خط .

٦ الديوان : بكاسات الصبوح .

٧ الديوان : ٢٤ وسرور النفس : ٤٣٣ .

تمشّى لنا نورُها في الدّجى      كما يتمشّى الرضى في الغضب  
فأعجب<sup>١</sup> لأكلة جسمها      بروحٍ يشاركها في العطب

وله فيها ٢ :

مصفرةُ الجسم وهي ناحلة      تستعذبُ العيشَ معُ تعذبها  
تطعنُ صدرَ الدّجى بعاليةٍ      صنوبريَّ لسانٍ كوكبها  
إن تلفتُ روحُ هذه اقتبستُ      من هذه فضلةَ تعيشُ بها  
كحيّةٍ باللسانِ لاحسةٍ      ما أدركتُ من سوادٍ غيبتها

وقال ٣ :

صدّدتُ وبدرُ التّم مكسوفٌ به      فحسبتُ أنْ كسوفه من صدّها  
فكانته مرآةُ قينٍ أحميتُ      فمشى احمرارُ النارِ في مسودّها

وقال ٤ :

سكنَ القلبَ هوى ذي صلتفٍ      زاده فيه سكوناً حيرَ كهُ  
فهو كالمركزِ يبقى ثابتاً      كلّما دار عليه فلكه

وقال ٥ :

- 
- ١ الديوان : عجبت .  
٢ الديوان : ٥٤١ (عن الذخيرة والمسالك) .  
٣ الديوان : ١٤٣ (والبيت الأول من الذخيرة والمسالك) ومنها بيتان في الشريشي ١ : ٣١١  
متسويان لابن الصباغ الصقلي .  
٤ الديوان : ٥٥٦ (عن الذخيرة) .  
٥ الديوان : ٥٥٥ (عن الذخيرة) .



يومٌ كأنَّ نسيمةً      نفحاتُ كافورٍ ومسكٍ  
وكانَ قطرَ سمانهٍ      درّ هوى من نظّمٍ سلكِ  
متغيّراً غميماً وصح      وآ مثلاً حدث عنكِ  
كالطفلٍ يُمنّحُ ثم يُمنّ      نَعُ ثم يضحك ثم يبكى [١٢٠]

وقال ١ :

وحمامٍ سوءٍ وخيم الهواءِ      قليلِ المياهِ كثيرِ الزحامِ  
فما للقيامِ به من قعودٍ      ولا للقعودِ به من قيامِ  
حيثأته عطّفاتُ القسيِّ      وقطراته صائباتُ السهامِ  
ذكرتُ به النارَ حتى لقد      تخيلتُ إيقادها في عظامي  
فياربَّ عَفوكَ عن مذنبٍ      يخافُ لقاءكَ بعد الحمامِ

وقال ٢ :

قَبَسٌ بكفٍ مديرها أم كوكبُ      ينشقُّ منه عن الصباحِ الغيهبُ  
وأريجُ مسكٍ فاحٍ عن نفحاتها      فذوائبُ الظلماهِ منه تطيّبُ  
قالوا الصبوحُ فقلتُ قرّب كاسه      إني لمهديها [ بها ] أتقرب  
لا تسقني اللبنَ الحليبَ فإنَّ لي      في كلِّ داليةٍ ضروعاً تُحلبُ  
وذخيرةً للعيشِ مرّةً لعمرها      عددٌ يشقُّ على يدي من يحسبُ  
دبابةً في الرأسِ يصعدُ سكرها      فتجدُ منا بالعقولِ وتلعبُ

١ الديوان : ٥٥٩ ( عن الذخيرة ) .

٢ الديوان : ٥٤٢ ( عن الذخيرة ) .

دارت بعقلي سورة من كاسها      حتى كأن الأرض نحني لولب  
 باكرتها والليل فيه حُشاشة      يستلها بالرفق منه المغرب  
 والجلو أقبل في تراكب مُزَنه      قُزَحْ بعطفة قوسه يتنكب  
 صابت فأضحكت النديم بأكُوس      عهدي به من نقطهن يقطب  
 والبشر في شُرب المدامة فارتقب      منها سرور النفس ساعة تعذب

### فصل في ذكر الوزير الحكيم أبي محمد المصري<sup>٢</sup>

شيخُ الفتيان ، وآبدةُ الزمان ، وخاتمةُ أصحابِ السلطان ، وكان رحل  
 إلى مصرَ واسمهُ خامل ، وسماؤه عاطل ، فلم ينشب أن طرأ على الأندلسِ  
 وقد نشأ خلقاً جديداً ، وأجرى إلى النباهة طليقاً بعيداً ، فتهادتهُ الدول ،  
 وانتهت إليه التفصيلاتُ والجمال . وكلّما طرأ على ملك فكأنته معه ولده ،  
 وإيتاه قصده ، فمجرى مع كلِّ أحد ، وتمول في كلِّ بلد ، وتلاون في

١ كذا في ص ، وأحسب صوابه : « تقرب » .

٢ هو عبد الله بن خليفة القرطبي ، المعروف بالمصري ، قال ابن سعيد : لطول إقامته بمصر ،  
 وأنكر ابن حبان أن يكون ابن خليفة ( وكان ابن جابر له ) قد تعدى في رحلته العدو ،  
 وأنحى عليه بالذم عند الحديث عن الشعراء الذين أنشدوا قصائدهم في الإعذار الذنوبي ( ص :  
 ١٣٧ ، ١٣٩ ) وقد دافع عنه الحجاري في المسهب ، وذمه ابن اللبانة في كتابه « سقيط الدرر »  
 لأنه لم يكن وفياً للمعتمد بعد خلعه ( أنظر ترجمته في المغرب ١ : ١٢٨ وفيها اعتماد كثير على  
 اللخيرة ؛ وراجع أيضاً الخريدة ٢ : ١٩٣ والمسالك ١١ : ٦٦ وأجرى ذكره في القلائد :  
 ٦ والمطمح : ١٥ وله أشعار في النفع ) .

العلوم<sup>١</sup> تلون الزمان ، وتلاعب بالملوك بأفقنا تلاعب الرياح بالأغصان ، حتى ظفر به المأمون بن ذي النون ، فشد عليه يد الضنين . فوجد كنفاً سهلاً ، وسلطاناً غفلاً ، فسرّ وساء ، وارثم في أيّ الدواوين شاء ، وكان بالطب أكلف ، وعليه أوقف ، فتعلق بسببه ، حتى اشتهر به ، ولم يكن من النفوذ فيه حسباً استذاع عنه الخبر . خلا أنه كان — زعموا — بصيراً بطب النظر ، وكان مع ما يحمله من هذا الفن حسن البيان مليح المجلس ، حاضراً الجواب كثير النادر ، راوية<sup>٢</sup> للشعر والمثل السائر ، نسيابة للمفاخر ، عارفاً بالمثالب والمناقب . وقفت له على شعر مجموع ، عاطل أكثره من حلي البديع . وكان بالجملة روضة أدب محتماً للمجلس ، وهيهات أن يأتي الدهر بمثله . وقد وصفه ابن حيان ، في فصل قد أثبتته في أول هذا القسم من الديوان<sup>٣</sup> .

فلما انصرفت الدولة الذنونية ، تهيّز أبو محمد إلى اشبيلية ، فأنس المعتمد بمكانه ، وجعل له حظاً من سلطانه ، ولم يزل في من يتردد عليه ويفشاه ، حتى أشجاه من الخلع — حسباً وصفناه — ما أشجاه . وبقي أبو محمد على حاله ، مشتملاً بفضل جدّه وإقباله ، غير مستريب بدهره . ولا منكزلشيء من أمره . محتماً بآلاته ، مقبلاً على لذاته<sup>٤</sup> ، إلى أن توفي سنة ست وتسعين منتصف رجب الفرد .

وعلى ذكره ، فقد أجريت طرفاً من نظمه ونثره ، منبهاً على مكانه ، ومُسْهِداً على ما وصفت من شأنه .

١ المغرب : العالم .

٢ ص : رواية .

٣ انظر ما تقدم : ١٣٧ ، ١٣٩ .

٤ ص : لذاته .

فصل له من رقعة خاطب بها المعتمد بن عباد ، وقد أخرج عنه إلى مالقة ،  
قبل القبض عليه ، واستفتحها بهذين البيتين <sup>١</sup> :

رحلتُ وفي القلبِ جمرُ الغضا      وهجري لكم دون شكٍّ صوابُ  
كما تهجرُ النفسُ حرَّ الطعامِ      إذا [ما] تساقطَ فيه الذبابُ

وهذا المعنى مشهور ، قد اندرج منه في تضاعيف هذا التصنيف كثير ،  
مثل قول بعضهم :

وتَجَسَّيْتُ اللبثُ ورودَ حوضٍ      إذا كان الكلابُ يَلْتَفُنَ فيه  
كما سقطَ الذبابُ على طعامٍ      فتركه ونفسك تشتهيه <sup>٢</sup>

كتبتُ وقلبي متقلبٌ على جمر الغضا ، أحرَّ من الرمضا ، وصلتُ  
فقطعتُ ، وساحتُ فقوبحت ، وارتفع عليّ الباطلُ فما سويحت ، حميت  
بقرطبة أهلك وبنيك ، وحفدتك وذوبك ، أصبتهم في منزل عالمي الحيطان ،  
وثيق الأركان ، في شهر كانون ، دون كنّ ولا كانون ، ولا ما يدفع عنهم  
ريب المنون ، أكف الرزايا تصافحهم . وحوب المنايا تضاجعهم ، لا يمنعهم  
من القرّ شعار ، ولا يخميهم منه [١٢١] . وفأنفذت الفرش وآلاتها ، وما يتعاق  
بجهاثها . وافتقدت بالطّرف ، وتناست بالتحف ، وصنتهم صون الدرّ  
في الحفاق . والسّوادِ في الأحداق . والأطواقِ في الأعناق ، ومن عندك

١ انظر المغرب ١ : ١٣١ والشريشي ٣ : ٣١١ .

٢ مقتبس من قول الأول :

إذا وقع الذباب على طعام رفعت يدي ونفسي تشتهيه

يعلم هذا ولا ينكره ، ويشكره ولا يكفره ، وما كانت لك عليّ نعمة فأرعاها ،  
ولا سطوة فأخشاها ، وإنما فعلت ذلك بالجوهرية التي ركبها الله في نفسي ،  
والطبع الذي جبل عليه حسّي :

ولكنّ أشخاصَ المعالي خفيّةٌ على كلّ عينٍ ليس تُبصرُ باللبّ  
فهل سبق لأحدٍ مثلُ هذا الوفاء . أو كان له شكلُ هذا الولاء : فإن قيل  
إن السموأل أتى بمثله وشكله . فليس الخبر كما ظن . ولا الأمر كما احتسب .

### ومن شعره في أوصاف شتى

قال :

|                                                   |                                                    |
|---------------------------------------------------|----------------------------------------------------|
| رِيمٌ إِذَا رَمَتْ أَنْ أَحْظَى بِمَوْعِدِهِ      | أَقَامَ لِي بِلِسَانِ الْخُلُوفِ أَعْذَارًا        |
| وَلِنْ تَلَطَّفْتُ لَاسْتَنْزَالِ سَوَرَتِهِ      | أَصَارَ قَلْبِي لَحِيلِ الْمَجْرِ مَضْمَارًا       |
| إِذَا تَذَكَّرْتُ أَيَّامًا لَنَا سَلَفَتْ        | خَطَطْتُ يَدُ الشُّوقِ فِي الْأَحْشَاءِ أَسْطَارًا |
| قَالَ الْوِشَاءُ وَدَمْعُ الْعَيْنِ مَنْحَدِرٌ    | وَدَمْعُهُ فَوْقَ رَوْضِ الْوَرْدِ قَدْ حَارًا     |
| يَا مُجْرِيَّ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِيهِ فِي ذَهَبِ | أَمَا تَرَى الدَّرَّ بِالْمَرْجَانِ قَدْ جَارًا    |
| النَّارِ يَحْرِقُهَا قَلْبِي بِزُفْرَتِهِ         | مَنْ الْعَجِيبِ فُؤَادٌ يَحْرِقُ النَّارًا         |

وقال :

|                                       |                                      |
|---------------------------------------|--------------------------------------|
| يَا نَاطِرًا قَدْ سَلَّ مِنْ نَاطِرِي | إِلَى سَوَادِ الْقَلْبِ وَالْخَاطِرِ |
| طَيْفِكَ لَمَّا نَامَ عَنْ زَوْجِي    | زَادَكَ [زَادَ] الْكَلْفِ السَّاهِرِ |

ظَلَمْتَ أَضْحَى لِي بِلا مَرِيَّةٍ  
ما أَرْفَقَ اللهُ بِأَهْلِ الْهَوَى

مُؤَثَّرًا فِي خَدِّكَ الْناضِرِ  
إِذْ صَيَّرَ الْجَوْرَ عَلَى الْجائِرِ

وقد تقدم مثل هذا المعنى لعبد الجليل حيث يقول <sup>١</sup> :

دَعَوْتُ دَعَاءَ مَظْلُومٍ عَلَيْهِ  
فَعَلَّقَ مِنْ عِذَارِيهِ الذَّنُوبَا

وقال <sup>٢</sup> :

|                                                     |                                          |
|-----------------------------------------------------|------------------------------------------|
| الْحَبُّ دَاءٌ دَوَاؤُهُ الْقُبَيْلُ                | وَالرُّسْلُ بَيْنَ الْأَحْبَةِ الْمَقْلُ |
| يَا حَفِظَ اللهُ لَيْلَةَ سَلَفَتِ                  | حَيَّتْ بَيْدِ سَمَاوِهِ الْكَلَلُ       |
| بَتْنَا وَرَاحَ الْعَفَافِ <sup>٣</sup> تُلْحَقْنَا | بُرْدَ وِفَاءِ وَالشَّمْلُ مَشْتَمَلُ    |
| اِثْنَانِ مِنْ شِدَّةِ التَّعَانِقِ قَدْ            | صَارَا كَفَرْدٍ بِالرُّوحِ يَتَّصِلُ     |
| لَوْ أَنَّ جَوْدَ السَّمَاءِ أَمْطَرْنَا            | لَمْ يُصِبِ الْأَرْضَ نَحْتُنَا بِلُ     |
| حَتَّى إِذَا غُرَّةُ الصَّبَاحِ بَدَّتْ             | وَجَفْنُهُ بِالْعَبِيرِ مَكْتَحِلُ       |
| فَارَقْنِي وَهُوَ خَائِفٌ وَجِيلٌ                   | نَشْوَانٌ مِنْ خَمْرَةِ الصَّبَا ثَمَلُ  |
| عَيْنَايَ مِنْهُ قَرِيرَةٌ أَبَدًا                  | وَالنَّارُ بَيْنَ الضُّلُوعِ تَشْتَعِلُ  |

وقال :

قَالُوا الصِّدِّيقُ شَقِيقُ النَّفْسِ قُلْتُ لَهُمْ  
إِنَّ الصِّدِّيقَ مَعَ الْعَنْقَاءِ قَدْ طَارَا

١ انظر القسم الأول : ١٤٥ باختلاف في الرواية .

٢ المغرب ١ : ١٢٩ - ١٣٠ .

٣ ص : و نار الحجاب ؛ وأثبت ما في المغرب .

اسمٌ لعمري بلا جسمٍ ولا نفَسٍ      إلاً كلاماً بزورِ القولِ قد سارا  
فما ترى غيرَ من يسقيك من يده      أرياً وفي قلبه قد أضمر النارا  
فنادمِ الكتُنبَ ما عُمُرتَ إنَّ لها      عندي وعيشيكَ أسراراً وأخبارا

ومن قصيد له في ابن حماد بلقين أوله :

الرأيُ يسبقُ وقَعَ الصارمِ الذِّكْرُ      والعزمُ يفصلُ بينَ الخُبْرِ والخَبَرِ  
والناسُ قد جمعوا في أصلِ خلقتهم      لكنَّهم فترَّقوا في اللَّبِّ والنظرِ  
كالنَّورِ أولُّهُ نارٌ وبينهما      من التفاضلِ ما يَخْفَى على البشرِ  
كما تهْدَى ابنُ حمَّادٍ وقد طَلَعَتْ      طلائعُ السَّعدِ تحذوها يدُ القدرِ  
والناسُ قد رجَّموا الأقوالَ من حَدَرٍ      وقال بعضهمُ هذا من الغررِ  
حتى إذا أظلمَ الخطبُ المهمُّ لهم      جَلَوَتْهُ بَصَاحُ البَيضِ والسمرِ  
ليس الجسومُ لها صبرٌ ولا جَلَدٌ      وإنما الصبرُ بالأرواحِ والفكرِ  
لا تَمْلُقَ دهرَكَ إلا راكباً خطراً      فإنَّما تُبْلَغُ العلياءُ بالخطرِ

بيته الثاني ، من متداولات المعاني ، ومنها قول الأول ٢ :

الناسُ أخفافٌ وشَتَّى في الشَّيَمِ      وكلَّهْنُهمُ يجمعهم بيتُ الأدمِ

وأخذه التهامي فقال ٣ :

١ ص : البلاد .

٢ المعاني الكبير : ١٢٥٣ واللسان (أدم) وفصل المقال : ١٩٧ والصدقة والصديق : ٢٨

٣ ديوان التهامي : ٥٧ .

الناسُ معْتَفُونَ في « إيرادهم وتفاضلُ الأقوامِ في الإصدارِ

وقوله : « ليس الجسوم لها صبر » . . . البيت ، هو شبيه بقول الآخر :

فالعبدُ أصبرُ جسماً والحرُّ أصبرُ قلباً

وقال من أخرى [يمدحه] ويذمُّ بني رباح :

|                                       |                                 |
|---------------------------------------|---------------------------------|
| أبا المنصورِ ما للدهرِ عَيْنٌ         | سوالك فوارها فهو الصلاحُ        |
| ولا تتعرَّضنَّ <sup>١</sup> إلى رباحٍ | فأعدى ما على العينِ الرياحُ     |
| إذا حَلَفَتْ رِياحٌ فأتهمها           | ورأسُ الحنثِ ما حَلَفَتْ رِياحُ |
| قَبِيلَةٌ لها في اللؤمِ بأسٌ          | وعند المكرماتِ لها جِماحُ       |
| سبالُ اللؤمِ لا كانت سبالُ            | وجوهُ الذلِّ والحدُّ الوقاحُ    |
| أناسٌ في مفارقهم قرونُ                | ولكن بالفِقاخ هو النطاحُ        |
| ولا تتزوجنَّ لهم بنتٍ                 | فللسودانِ عندهمُ مراحُ          |
| بأرجلهنَّ يستغفرنَّ دأباً             | فأرجلهنَّ في الدعواتِ راحُ      |

وذكرتُ<sup>٢</sup> بمعنى هذا البيتِ الأخير منها خبراً أورده بعضُ الرواةِ

عن شاعرٍ أنشدَ زُبَيْدَةَ بنتَ جعفرٍ شعراً قال فيه : [١٢٢]

١ ص : تعرض .

٢ ابن خلكان ٢ : ٣١٥ والمفوات النادرة : ٣٧ وغرر الخصاص : ١٤٣ ( ط / ١٣١٨ )  
والبيتان وحدهما في عيار الشعر : ٩٢ .



أزبيدةُ ابنةَ جعفر طوبى لزازركِ المثابِ  
تعطينَ من رجلِكِ ما تُغْظِي الأكفُ من الرّغابِ

فجعل عبيدُها يقرعون رأسه فقالت : دعوه فإنه أراد خيراً فأخطأ ،  
وهو أحبُّ إلينا ممن أراد شراً فأصاب ، سمع قولهم : شمالكَ أُنْدَى من  
يمين فلان فظن [أن هذا مثل ذلك] <sup>١</sup> .

وله من أخرى يستأذن في الجواز إلى الأندلس :

فيا أثلاثَ الجزعِ من مَرَبِّعِ الحمى فؤادي على تلك الرسومِ ينوحُ  
فعلَّ أبي <sup>٢</sup> المنصورُ يَدْفِي بِسَعْدِهِ ركباني منها إنه لسنزوحُ

ومنها :

فسرُ إنما العلياءُ شخصٌ مصوّرُ  
أتيتَ بآيٍ <sup>٣</sup> أعجزتُ كلَّ عالمٍ  
ولو جيتُ للأنصافِ ما جيتُ مادحاً  
ومن أصبحتُ [فيه] المكارمُ جوهرأ  
ولكن رأيتُ الشعرَ يثبتُ ذكرهُ  
وأنت له دونَ البريةِ روح  
كأنّك من بعد المسيح مسيح  
لأنّك من نَجْرِ السّماحِ صريح  
بلا عَرَصٍ فالمدحُ فيه قبيح  
فلا غرّو أن يُهدى إليك مديح

١ بياض في ص ، وأثبت ما عند ابن خلكان .

٢ المعروف : « أبا » ولكني أبقيته على حاله ، إذ لعل الشاعر هنا يحاكي قول كعب بن سعد  
الغنوي (وهو شاهد نحوي) « لعل أبي المغوار منك قريب » .

٣ ص : بآية .

وله من أخرى في باديس بن حبوس<sup>١</sup> :

رَسَخَتْ أَصُولُ عِلَالِكُمْ تَحْتَ الثَّرَى      وَلَكُمْ عَلَى خَطِّ الْمَجْرَّةِ دَارُ  
تَبْدُو شَمْسُ الدَّجْنِ مِنْ أَطْوَأِكُمْ      وَتَفِيضُ مِنْ ثِنْيِ<sup>٢</sup> الْبَنَانِ بِحَارُ  
إِنَّ الْكَارِمَ صُورَةُ مَعْلُومَةٍ      أَنْتُمْ لَهَا الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ  
ذَلَّتْ لَكُمْ قِيمَتُ الْخَلَائِقِ مِثْلَمَا      ذَلَّتْ لَشَعْرِي فَيْكُمُ الْأَشْعَارُ  
فَمَتَى مَدَحْتُ وَلَا مَدَحْتُ سِوَاكُمْ      فَمَدِّحُكُمْ [فِي] مَدِّحِهِ إِضْمَارُ  
وهذا من قول أبي نواس<sup>٣</sup> :

وَلِنْ جَرَّتِ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمَدْحِهِ      لَغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي  
وأخذه المتنبي فقال<sup>٤</sup> :

وظَنُّونِي مَدَحْتُهُمْ قَدِيمًا      وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتَهُمْ مُرَادِي  
والمصري<sup>٥</sup> أيضاً القائل ، من قصيدة كَأَخْوَاتِهَا طَوِيلَةٌ دُونَ طَائِلٍ ، أُولَها :  
دَعِيَ لَوُؤْمِي فَمَا أَنَا بِالْمَلِيمِ      وَلَا مِنْ هَجَرٍ سَلِمِي بِالسَّلِيمِ  
يقول فيها :

١ المغرب ١ : ١٣٠ .

٢ المغرب : ٥٥٠ .

٣ زهر الآداب : ٩٢٣ والصناعتين : ٢٠٨ والوساطة : ٣١٨ وديوان أبي نواس : ٦٦ .

٤ ديوان المتنبي : ٨٠ .

وإن شئت اختبرَ الناسَ جهراً      ولم تكُ بالتجاربِ بالعلیم  
فَجَرَّبَ مَنْ تَشَا مِنْهُمْ عِيَاناً      وقد أصبحتَ في بُرْدَي عديم  
فإن لم [تُكَلِّفِ] ذلك مستحيلاً      وترعى منه في مرعى وخيم  
فقلْ إني دعيّ في نزارٍ      ولإني ضدّ لقمان الحكيم  
رأينا معشراً لبسوا ثياباً      مجدّدةً على عِرْضِ رميم  
لهم دورٌ مشيّدةٌ [      ] وأفعالٌ مُحَيَّلَاتُ الرسوم

ومن المدح :

وما يحتاجُ يومَ الحربِ جيشاً      فإنَّ عِيَادَهُ كَالزَّرْعِ الحطيم  
وإن أبقى لهم فرعونُ سحرآ      ففي يَدِهِ عصا موسى الكلم

وقد تقدم إلى هذا المعنى أبو نواس بقوله ، ونذكر خبراً بتعلّق بديله <sup>١</sup> :  
كان أبو نواس قويّ البدیه ، ويرتجلُ كلَّ ما يقولُ ولا يُروّيه ، فقال له  
الخصيبُ يوماً وهو يمازحهُ بالمسجدِ الجامع . أنت في الشعرِ غيرُ مدافعٍ  
ولا منازع . ولكنك لا تخطبُ ، فقام من فورِهِ يقولُ مرتجلاً :

منحتكمُ يا أهلَ [مصرَ] نصيحتي      ألا فخذلوا من ناصحٍ بنصيبٍ  
رماكم أميرُ المؤمنينَ بحيةٍ      أكلِ لحياتِ القلوبِ شروب  
فإن يكُ باقي سحرِ فرعونَ فيكمُ      فإنَّ عصا موسى بكفَّ خصيب

١ انظر الخبر والشعر في بدائع البداهة : ٣٣٣ وديوان أبي نواس : ١٠٢ .

٢ بدائع : لحيات البلاد .

ثم التفت إليه وقال : والله لا يأتي بمثلها خطيبٌ مِصْنَعٌ ، فاعتذر إليه وأقسم أنه ما قال ذلك إلاً مازحاً .

وقول المصري : « معشراً لبسوا ثياباً » . . . البيت مع الذي بعده ، ألمّ فيه بقول منصور الفقيه :

لبس الثياب وتشيد القصور وفي تلك الثياب علتها أنفُسٌ خَرِبَةٌ  
لأَضْرِبَنَّ رجائي ألفَ مَقْرَعَةٍ فيكم وأصلبُ آمالي على خَشَبِهِ

➤ وقال المصري في ابن مجاهد من قصيدة ، يرثي مهراً أخذ له ، وحكي أن الذئب أكله :

وقد أقيمتُ لدهري وهو يظلمُنِي حتى وصلتُ عليّاً سيدَ العربِ  
وإن يكنْ ليس منهم في أرومتِهِ فلأنّه منهم في المجدِ والحسبِ  
يا مَنْ إلیهِ شكُوناهُ فقال لنا شكوتِ القَتيلِ [إلى] الحَطِيئةِ السلبِ

ومنها :

يا وبيحَ قلبي من دهرٍ تعمَدَنِي بالنائبِ فلاذتُ بي يدُ النوبِ  
حتى بمهرٍ مضيمٍ الكشحِ ذي هيفٍ كأنَّ أجزاءهُ جابٌ على نَسَبِ  
حلوا الصَّهْلِ له في صَوْتِهِ فِتْنٌ كأنّه حين يَشْدُو بالثَقيلِ ربي  
لولا تشكُّلُهُ في حينِ خَلْقَتِهِ بالخيلِ أضحى مع العيقبانِ في نصبِ  
يا يوسفَ الخيلِ يا مَقْتولَ إخْوَتِهِ قلبي لفَقْدِكَ بينَ الحربِ والحَرْبِ  
إن كانَ يَعْقوبُ لم يَتَقَنَّعْ بكذبِهِمُ [إني لأَقْنَعُ منهم بالدمِ الكذبِ] [١٢٣]

ومنها ١ :

وما التناسب . . . . . إن لم تكن أنفُسُ القربى ذوي نسب

وهذا من قول القائل :

. . . . . إذا لم يرافقها انتسابُ قلوبٍ

وقال من أخرى ٢ :

. . . . . نفحة الخلد جائلُ  
لئن كنتَ من درّ القلائدِ عاطِلاً  
فإنَّ الظِّباءَ المشبهيكِ عواطلُ  
وكلُّ رسولٍ قد بعثَ مماطلُ  
شَمولاً لها من وجنتيه شمائلُ  
سقاني وخذُ الفجرِ يلطمهُ الضُّحى  
بهاراً فأجدى ما علينا الرسائلُ  
وأنتَ بمفروضِ الزكاةِ تماطلُ  
عليك زكاة من جمال وغرة

ومنها :

فصاح وشاحٌ هز . . . . . لاليك ولكن لم تجبهُ الخلاخل  
رعى الله دهرأ مد نعمنا بطيبه  
لدى روضة غناء غنت قيانها  
وجاوبت الألحان منها البلابل  
ونرجسها [در] على التبر جامد  
وقهوتها تبر على الدر سائل

١ طمست أجزاء من الورقة هنا فلم أتمكن من قراءة ما وضعت نقطاً في موضعه .

٢ منها بيتان في النفع ٣ : ١١٨ .

وإن سأل الأقوام عن عرض منزلي فإني ما بين السماكين نازل  
وأنتي قد قلدت سيف مآثر له من عليّ المكرمات حمائل

إلى أبيات غير هذه من قصيدة طويلة اهتمت فيها أبو محمد قصيدتي أبي  
الطيب والمعري<sup>١</sup> اللتين في وزنها ورويها ؛ وقوله : « عايك زكاة من جمال ... »  
البيت ، من قول المعري أيضاً<sup>٢</sup> :

لغيري زكاة<sup>٣</sup> من جمالٍ فإن تكن<sup>٤</sup> زكاة جمال<sup>٥</sup> فاذكري ابن سبيل

وعلى [ ذكر ] هذه الزكاة فما أملح ملّح البستي في تلك الفقهيات  
حيث يقول :

|                           |                             |
|---------------------------|-----------------------------|
| أقولُ لشادين في الحسن فرد | يصيدُ بلحظِهِ لحظَ الكمي    |
| ملكته الحسن أجمع من نظام  | فأدّ زكاةَ منظرِكَ البهي    |
| وذلك أن تجودَ لمُستهام    | برشفٍ من مُقبَلِكَ الشهي    |
| فقال أبو حنيفة لي إمام    | ويُفْسِي لا زكاةَ على الصبي |

وقال الحصري الكفيف في مثله :

وظبي غريبٌ هزّ أعطافهُ اللّينُ وسمتهُ ربحانَ المحبّ الرياحينُ

١ قصيدة أبي الطيب مطلعها : « دروع لملك الروم هذه الرسائل » ( الديوان : ٣٦٤ ) وقصيدة

المعري : « ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل » ( شروح السقط : ٥١٩ ) .

٢ شروح السقط : ١٠٤٩ .

٣ ص : جميل .

٤ ص : عزيز .

أقولُ له والحبُّ يُفْتِي برخصةٍ      عليك زكاةٌ [ما] ونحنُ مَساكِينُ  
فقال ولم يعلمْ زكاةً أَرَدْتُهَا      وكيفَ أودَّيها ولم يحنِ الحينُ  
فقلتُ زكاةُ الحسنِ أعني فقال لا      أودَّيكُ<sup>١</sup> فالعشاقُ [ليس] لهم دينُ

### جملة من مقطوعات المصري في فنون مختلفة

في صفة قصر طليطلة<sup>٢</sup> :

قَصْرٌ يُقَصِّرُ عن مَداهُ الفرقدُ      عَدَبْتُ مَصَادِرُهُ وطابَ الموردُ  
نشر الصباحُ عليه ثوبَ مكارمِ      فعليه ألويةُ السعادةِ تُعَقِّدُ  
وكأنما المأمونُ في أرجائِهِ      بدرِ تمامِ قابِلَتُهُ أَسْعُدُ  
وكأنما الأقداحُ في راحَتِهِ      درُ جمادُ ذابَ فيه العسجدُ

وله في صفة البركة والقبّة عليها<sup>٣</sup> :

شمسيّةُ الأنسابِ بدريّةُ      يحارُ في تشبيهِها الخاطرُ  
كأنما المأمونُ بدرُ الدُّجَى      وهي عليه الفلكُ الدائرُ

وله في صفة عود :

١ ص : أعطيك .

٢ نفع الطيب : ١ ٥٢٩ .

٣ نفع الطيب : ١ ٥٢٩ .

يا حبتدا العودُ فكم من فتيٍّ      باحَ له البمُّ بأسراريتهُ  
 هتنت عليه الطيرُ رطباً وقد      غنت به لما قسا جاريه  
 فهو على أخلاقها قد جرى      وهي على أخلاقه جاريه

وبيته. الثالث كقول ابن قاضي ميلة<sup>١</sup> :

جاءتْ بعودٍ يُناغيها ويُسعِدُها      فانظرْ بدائعَ ما خُصَّتْ به<sup>٢</sup> الشجرُ  
 غنتْ على عودِهِ الأطيَّارُ مُفصِّحةً<sup>٣</sup>      غضباً فلامتاً ذوى غنى به البشر  
 فلا يزالُ عليه أو به طربٌ<sup>٤</sup>      يتهيجُهُ الأعجمانُ<sup>٥</sup> : الطير والوتر

وقال المصري من جملة أبياتِ خاطبَ بها صاحب المدينة يشفعُ للفقير  
 البرّ الطليطي :

يا ماجداً أصبحَ من رفعةٍ      منزلهُ تحتَ نجومِ الفلكِ  
 هذا الفقيه البرُّ ما ذنبُهُ      لقد غدا قُبُرةً في الشوكِ  
 أيؤخذ المسكينُ مع فتيةٍ      قد عقدوا الأمرَ لحلّ التَّككِ  
 وقارعوا بالبيّضِ بيضَ الخصى      وطاعنوا الأشرارَ [في] المعتركِ

١ ابن خلكان ٥ : ٣٤٨ . والمسالك : ٣٠٤ والثريشي ٣ : ٢٠٥ .

٢ ابن خلكان : ما يأتي به .

٣ ابن خلكان : ساجدة .

٤ ابن خلكان : عليه الدهر مصطب .

٥ ص : الأعجم .



وهذا مثل ما أنشدنيه لنفسه أبو بكر الخولاني المنجم ، مما خاطب به بعض الحكماء يشفع للقلمندر<sup>١</sup> ، وقد أخذ في مثل ذلك سكرانا :

إن جرء الحدود بالشبهات لحديث<sup>٢</sup> رواه [كل<sup>٣</sup>] الثقات  
ما أراه إلا تناول تفناً حافتمت عليه في الطرقات [١٢٤] .

نفحات التفاح والراح والأنسرج للمرء جيد<sup>٤</sup> مشبهات  
فبتلك الشمائل المخجلات السروض غب الغمام الماطلات  
وبحلم إليه مذ كنت تعزى وبصبر تعزى له<sup>٥</sup> وأناة  
اعف عنه وأعنفه من ثمانين<sup>٦</sup> تدمي أعطافه المائسات  
وأقل ذنبه وعشترته فهو بمرآه من ذوي الهيئات  
وقال :

وشادن طالبت<sup>٧</sup> قبلة فأظهر الإعراض والصدأ  
وأرسل الدر على عسجد من سبج فانتظما عقدا  
فقلت إذ أبصرته باكياً نرجسة العين سقت وردا  
وهذا كقول [الآخر] :

.....

١ هو أبو الأصبع عبد العزيز البطليوسي ، وكان طبيباً مشتهراً بالخمر وكان يقول : أنا أولى  
الناس بالآل يترك الخمر لأنني طبيب أحبها عن علم بمقدار منفعتها (انظر المغرب ١ : ٣٦٩ والنفع  
٣ : ٤٥٢ وكتب لقيه فيه « القلمندر » ، وورد عند العماد في الحريدة ٢ : ٢٥٨ من لقيه  
« القمندر » ولكنه كناه أبا بكر ) .  
٢ ص : إليه .

كَأَنَّ تِلْكَ الدَّمْعَ قَطْرُ نَدَى ۖ تَسْقُطُ مِنْ نَرْجَسٍ عَلَى وَرْدٍ

وَقَالَ فِي صَبَاهُ فِي طَرِيقِ بِلَادِ الْمَشْرِقِ وَقَافِلًا ۖ مِنَ الْحِجَازِ ١ :

|                                            |                                            |
|--------------------------------------------|--------------------------------------------|
| أَلَا يَا هِنْدُ قَدْ قَضَيْتُ حُجَّتِي    | فَهَاتِ ٢ شَرَابَكَ الْعَطِيرَ الْعَجِيبَا |
| فَقَدْ ذَهَبَتْ ذُنُوبِي فِي اللَّيَالِي ٣ | فَتَقُومِي الْآنَ تَقْتَرِفِ الدُّنُوبَا   |
| خَلَطْنَا مَاءَ زَمْزَمَ فِي حَشَانَا      | بِمَاءِ الْكُرْمِ ٤ فَامْتَزَجَا قَرِيبَا  |
| وَطَافَ بِهَا غَزَالٌ كَسْرُويّ            | طَيِّبُ النَّفْسِ يَدْعُوهُ طَبِيبَا       |
| أَطَاعَتْهُ الْجِسْمُ فَسَاعَدَتْهُ        | كَذَلِكَ يَكُونُ مَنْ مَلَكَ الْقُلُوبَا   |
| بَدَا غُصْنًا وَأُطْلِعَ بَدْرًا تَمِّمَ   | وَأَضْمَرَ فِي مَآزِرِهِ الْكَثِيبَا       |
| نَرَاهُ فِي تَوَاصُلِهِ بَعِيدًا           | وَنَلْقَى وَعْدَهُ أَبَدًا قَرِيبَا        |

وَقَالَ ٥ :

|                                 |                                    |
|---------------------------------|------------------------------------|
| أَيَّ هَلَالٍ أَطَّلَ فِينَا    | مَسْطَلَعُهُ الطُّوقُ وَالْجُيُوبُ |
| كَحَيْلٍ طَرَفٍ ثَقِيلٍ رَدْفٍ  | مَبْسَمُهُ اللَّوْلُؤُ الرُّطِيبُ  |
| يَقُودُنَا كَيْفَ شَاءَ طَوْعًا | لَآنَ ۖ أَعْوَانَتُهُ الْقُلُوبُ   |

١ المغرب ١ ١٣٠ ومنها ثلاثة أبيات في الشريشي ٥ : ٣٠٥ .

٢ صوابه : فهاتي .

٣ المغرب : في طواني .

٤ الشريشي : المزن .

٥ المغرب ١ ١٣٠ .

وله في بعض إخوانه وقد عذّر غلام كان يهواه :

يا ذا الذي عذّر خلّ له      أتحتَ عيشَ العزّ معنى الهوان  
لم ينبت الشعرُ على خدّه      بل دبّ في أعضائه عقربان  
رفقاً على نفسك لا تُفْنِها      فجوهرُ الأنفُسِ شيءٌ يمان  
وسقته من مِرّةٍ عتقت      لتقتضي الحبّ بلا ترجمان

وله في غلام وسيم رمدت عيناه :

قال خلّتي وجفوني      لا تغطّي مقلتيها  
سُقْمُ عينيّ أراه<sup>١</sup>      بعث السقم إليها  
أم ترى توريد خدّتي      نفصّ الوردَ عليها  
قلتُ لا أدري ولكنّ      أنا من قتلى يديها

وقال :

رَمِدَتْ عيني فجاءوا      دور رأيي بطبيب  
ومليّب العينِ أعمى      في مداواة القلوب  
رمدني من فقْدِ خيلتي      فاحلوني بالحبيب

وما أحسن ما قال بعض أهل عصري - وقد تقدّم إنشاده :

إذا رمدتْ بحمرته عيون<sup>٢</sup>      شفاها منه لثمد<sup>٣</sup> عارضيته

١ ص : أراني .

## في ذكر أبي محمد ابن الطلاء المهدي<sup>١</sup>

أحدُ أضيافِ المعتمد ، وقد أُجريتُ ذكره في ما مرَّ من هذا المجموع<sup>٢</sup> ،  
ووصفت أن شعره عاطلٌ من حلي البديع ، وأفرط في باب الاستعارة  
وأبعد ، وخرجَ فيها إلى حينِ الإضحاكِ بما برد ، كقوله متغزلاً :

• بُقْراطُ حُسْنِكَ لَا يَرُنِّي عَلَى عِيْلِي •

وكقوله في الوزير الأجل أبي بكر بن زيدون :

شِبَابِيَّةٌ وابنُ زيدونها أُنَى في قِرَاهُ على شينها

وسمعه ينشد المتوكل شعراً قال فيه .:

• أَفَاقَتْ بِكَ الْأَقْطَارُ مِنْ بَرَصِ الْبَلَوَى •

ومن أشبه شعره في المعتمد قوله من قصيدة أولها :

فَتَحَتْ سَعُودُكَ كُلَّ بَابٍ مَغْلُوقٍ فَتَهَنَّأَ ذَلِكَ وَابِقُ يَصْنَعُ مَا بَقِيَ

يقول فيها وملاح ابن عمار حين دخوله بمرسية وخروج بني طاهر منها  
حسبما وصفتها :

---

١ ذكره ابن سعيد في رايات المبرزين : ١١٠ ( غ ) باسم « عبد الله » وأورد له بيتين في  
حاشية نقلا عن كتاب « زمان الربيع » للخشي ، وانظر المسالك ١١ : ٤٥٧ .

٢ انظر القسم الأول : ٨٤٢ .

إنَّ ابنَ عمَّارٍ حكى عمرو القنا  
لما وصلتَ المغربَ الأقصى به  
بمصرَ الجيشَ اللهم بِحكمة  
يسري بنيةٍ خالصٍ . من خلفها  
ويصيد عنقاء الأمانى التي  
فبجوده وببأسه وبجيشه

ومنها :

يا أيها الملكُ السعادةُ أَطْبَقَتْ  
هبط المطوقُ جبرئيلُ منظماً  
ما غيرك الملكُ المطوقُ وحده  
ما دولة إلا ونادتُ بعلها  
فليعترفُ بالجوْدِ كلُّ مشعوذٍ<sup>١</sup>  
الأرضُ كالشطرنجِ فادعُ ملوكها  
يا يوسفى الحُسنِ والصدقِ استمعُ  
فادتلكَ هيتَ لكَ البلادُ بأسرها  
ولو استطاعتُ مصرُ إذ لم تدنُها

جفناً عليك فبتُ بجفنٍ مُطْبَقِ  
لك درٌّ كلَّ كرامةٍ فتطوقِ  
أبدأ بروحِ القدس فافتقُ وارثي  
وأفالك مقتضُ البلادِ وطلقي [١٢٥]  
ويقرُّ بالانصافِ كل ممخرق  
ما الرخُّ في حركاته كالبيدق  
أحلى محاورةً<sup>٢</sup> وإن لم تُنطَقِ  
فتفتحُ ، أسيرُكَ مَنْ ينادي غلّقي  
جعلتُ تقولُ عشقتُ من لم يعشق

١ ص : مشعوذ .

٢ ص : مراوحة .

وجميلُ صنْعِكَ في البلادِ وأهلها      مِغْنِيطُسٌ فَيَسْجَدُ قُوَّتُهُ ثِقَـ  
لكفالكِ أندلسٌ فنفسٌ كلٌّ من      تُرضيكِ طاعتهُ وإلا خنقِـ  
من حمصٍ تفتح حمصٌ غيرَ مدافع      عنها وتفتحُ جِلَافاً من جلقِـ

وأخبرني أبو بكر الخولاني المنجم قال : كتب إليّ أبو محمد المهدي  
بهذه الأبيات يستهدي مشروباً<sup>١</sup> :

قل للوزير فتى خولانٍ خولني      علمي بفضلِكَ مَبْزُراً فهو ميزاني  
رصدتُ في فلكِ الأشواقِ بدرَ هوًى      له رقيبٌ ثَقِيلٌ مثلُ كيوانِ  
فابحث إليّ براحٍ مثلِ ريقته      فمثلها كان يُسْتَقَى عند رضوانِ

ويا بعد ما بين هذا وبين [ قول ] بعض أهل عصرنا ، وهو أبو حاتم  
الحجاري يستهدي أيضاً مشروباً من الحكيم أبي الأصمغ البلنسي<sup>٢</sup> بقرطبة :

يا من سقاني الكؤوسَ سائغةً      وكأسُ أخلاقِهِ غدا أسوغُ  
ساعدتني للمبيتِ ذو هَيْتَفٍ      وذو لسانٍ مستعذبٍ ألثغُ  
أبلغتُ في وصفه [على] سَنَنِ      لكنْ رأيتُ السيِّكوتَ بي أبلغُ  
وقلتُ والسرُّ لا أبوحُ به      من حقِّ هذا الحديثِ أن يَمْضِغُ  
ما [إن] ترى ساعةَ الخلوِّ به      وقد بداني الشيطانُ أن يَنْزِغُ

١ منها بيتان في المسالك ١١ : ٤٥٧ - ٤٥٨ .

٢ - لعله : البطليوسي ، أي القلمندر الذي مر التمرير به آنفاً ص : ٣٥٧ .

والليلُ قد أَسْبَغَتْ ذَوَائِبُهُ      على هلالٍ فروعُهُ أَسْبَغَ  
قهقهتُ أثناءَ ذلك من ضحكٍ      قهقهةَ الحمامِ يا أبا الأصْبَغِ  
فَرَشَ جَنَاحِي وما قرأتَ فقلْ      قوالبُ السحر هكذا تفرغُ

وقال أبو حاتم في مثله :

يا سيدي والنهارُ تبصُّرُهُ      منسجمَ الدَّمْعِ مُطلقَ الأفقِ  
وعنديَ البدرُ قد خلوتُ به      وفوق خديه حمرةُ الشفقِ  
جاذبته الحبلَ فاستقاد وكم      هريستُ حَرِّيَ الجموحِ في الطلقِ  
والحمرُ نعم العتاد سائغةٌ      لشاربيها مسكيةُ العبقِ  
وقد هزناكَ كي تُوجِّهها      في الشعرِ هزَّ القُصْبِ في الورقِ

وقال الأديب أبو محمد بن صارة الشنبري<sup>٢</sup> :

أعندك<sup>٣</sup> أنَّ البدرَ باتَ ضجيجي      ففضَّيتُ أوطاري بغيرِ شفيعِ  
جعلتُ ابنةَ العنقودِ بيني وبينه      فكانت لنا أمتاً وكان رضيعي

١ ص : جوانحي .

٢ النسخ ٣ : ٥٨ والقسم الثاني من الذخيرة : ٨٣٧ .

٣ ص : أميذك .

## فصل في ذكر الأديب الفقيه أبي بكر

ابن الحسن المرادي القروي

**وإثبات قطعة من أشعاره ، وطريف أخباره**

وكان أبو بكر هذا فقيهاً فطناً ، وشاعراً لساناً ، ممن جمع براعة الفقهاء ، وبراعة الشعراء النبهاء ، وتصرفاً تصرف المطبوعين ، وتكلمهم بالسنن المجيدتين ، أشعاراً كصفحات البدور ، ودواوين كأتاج البحور ، وتقلب أبو بكر بين السهول والحزون ، تقلب الميل بين أطباق الحفون ، وقلبت دولة من دول ملوك الطوائف بالأندلس إلا وقد ابتغى إليها وسيلة ، وأعمل في الهجوم عليها حالاً وحيلة ، فتتروى عن مكانه انزواء الخائف من الرصد ، وتغص باحسانه غصص العين بالرمد ، ثم كثر إلى أمراء المرابطين بالمغرب فانخرط في أسلاكهم ، وعرض بنفسه على أملاكهم ، ووقع آخراً منهم إلى محمد بن يحيى بن عمر ، فاقعد صهوة منبره ، وولي قضاء معسكره ، وأخذ ينجد ويثبور ، وطفق يدبّر ويدير ، وإنما أراد أن يسلك في حمل دول المرابطين ، مسلك عبد الله بن ياسين ، ولم يدرك أنها أقدار محتومة ، وحظوظ مقسومة ، فلم يحصل إلا على بُعد السفر ، وانقطاع العين والأثر ، وتوفي رحمه الله بذكول من بلاد الصحراء ، حيث لا يروق وجه النهار ، ولا يحمد صوب القطار .

١ ص : ممالیکہم



وقد أخرجتُ مما وجدتُ من شعره ونثره ، ما يستخفُّ رواسي الجبال ،  
ويستوفي ضروب [ السحر ] الحلال .

فصل له من رقعة كتبها عن بعض الأمراء جواباً عن كتابٍ وردَ من  
بعض العمال الجهال يهول فيه : وقفنا على كتابك الذي طال فقَصُرَ ،  
وكبُرَ جرمُهُ فقَصَعُرَ ، صدَّرته بنون التعظيم . وسطَّرته بمجدك الحديث  
والقديم ، وخاطبتنا فيه بالألفاظ الحجابية . التي تخاطب<sup>١</sup> بها غوغاءُ الرعيَّة ،  
ارجعْ - أصلحك الله - عن هذا الأدب . وتأدَّب في خطابك لذوي الرُتب ،  
فقد أطعنا فيك [ ١٢٦ ] سلطانَ الحكم . لانتسابك إلى اسم العلم .

واجتاز على مدينة مرسية في مدة رئاسة الكاتب الماهر ، أبي عبد الرحمن  
ابن طاهر ، فأنزله هنالك بدارٍ اتفقَ أن يدخلَ فيها قبل أن تُفْرَشَ له ، وابنُ  
طاهرٍ قصد ذلك ، ليرى ما يأتي من بديعته هنالك ، فكتب إلى ابن طاهر رقعةً  
قال فيها : بيد أني نزلتُ هذا المنزل الحديد بالرحل القديم ، نزول السَّفر .  
بالبلد القفر ، فهو معمورٌ ، إلا أنه بور . وما هو إلا أنه مُحيلٌ<sup>٢</sup> قليلُ  
السكونِ والغموض ، كثير البراغيث والبعوض . لفقد الستور ، ويرضي  
البراغيث فقدُ السرير : الطولُ والعرض ، والسماءُ والأرض : فقد كثر  
رهطه ، وقلَّتْ نمارقُه وبسطُه ؛ قراءتي<sup>٣</sup> في أكنافه : ﴿ منها خَلَقْنَاكُمْ  
وفيها نُعيدُكُمْ ومنها نُخرجُكُمْ تارةً أخرى ﴾ ( طه : ٥٥ ) .

١ ص : مخاطب .

٢ ص : مخيل .

٣ ص : فراني .

وبلغه عن بعض الشعراء بمرسية أنه هجاه . فبعث إليه رجلاً كان  
يتصرف له يعرف بابن المقدم فصفعه . فاستعدى عليه ابن طاهر ، فكتب إليه  
المراديُّ بأبياتٍ منها قوله :

تعرّضني كلبٌ بهجويٌ مخذَلٌ<sup>١</sup>      كقيِّ السِّكاري أو هُرَّاءِ المبرسَمِ  
فأنفَذْتُ من وقِي إليه سحائباً      من الصَّفْعِ يحدو وقدَّها ابنُ المقدم  
فحامستُ عليه كالجرادِ تساقطت      من الجوّ في أنوارِ روضِ معمم  
وغنى دويَّ النعلِ في صحنِ رأسه      « ألا عَم صباحاً أيها الربعُ واسلم »<sup>٢</sup>

وكان بالمرية مؤدّبٌ يسمى وليد بن عبد الوارث وينبئ بالبقرى كان  
يقول بقدَمِ الحروف . فألّفَ المراديُّ في ذلك رسالةً راداً عليه وقصيدة  
قال فيها :

لا درّ درّ سخافَة      شنعاءَ جاء بها الوليدُ  
كفرٌ تكادُ له الجبا      ل على ثقاتها تميدُ<sup>٢</sup>  
قلُّ للرئيسِ الأُحوصِ      عيَ ورأيهُ أبدأ سديد  
حَقَّ المؤدّبُ فادّعى      من بينهم ما لا يجيد  
مكتّموه من الكلا      م وجهلُه أبدأ يزيد  
وتركتّموه مسرّحاً      أين السلاسلُ والقيودُ ؟  
أغلا الحديدُ بأرضكم      أم ليسَ يمكنُه الحديد

١ ص : محول .

٢ ص : مقالاتها (دون إجماع التاء) تهيد .

وكانت بينه وبين الشيخ أبي محمد عبد العزيز التونسي مناقضة في مسائل من العلم ، فسافر المرادي عن أغمات ، وكتب عند رحلته إليه بهذه الأبيات :

قلْ لعبد العزيز يكثرُ من بعدِ يَ ما شاءَ منه قبلاً وقالاً  
وتشجعُ ما غبتُ عنكَ فإننا قد ضربنا لك الأمثالا  
« وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طلبَ الطعنَ وحده والنزالا »

وساير المرادي يحيى بن بانو<sup>١</sup> بسجلماسة . فاتفق أن سقط كاتب له كان يكنى بأبي الأصمغ عن دابته ، وقام بأثرٍ جرح في وجهه ، ثم اتفق أن سقط إثر ذلك أيضاً المرادي وقام دون أثرٍ عليه ، فقال أبو الاصمغ : وهذا الفقيه أيضاً قد سقط ؛ فقال المرادي من جملة أبيات :

فشتانَ بين وقوعي أنا وبين وقوعِ أبي الأصمغِ  
فذاك سقوطٌ يشجّ الوجوه وهذا سقوطٌ كما ينبغي

---

١ يحيى أحياناً « قالو » ( انظر البيان المغرب ٤ : ١٠٣ ) .

## الأديب أبو الحسن البغدادي المعروف بالفكيك<sup>١</sup>

من جملة هذه الطائفة الطارئة المذكورة<sup>٢</sup> ، على الجزيرة ، ومع بديهة كانت له قوة ، توفي على الرويّة ، استهلم<sup>٣</sup> عدة قصائد ، لغير واحد ، من أهل الشام والعراق ، وغيرها من تلك الآفاق ، وكان مع ذلك حلّو الخوار ، مليح التندير ، يُلهي ويضحك من حضر ، ولا يضحك هو إذا ندر . وفيه يقول النحلي<sup>٤</sup> :

لو بيع يوماً فكيك<sup>٥</sup> وبين فكيه دُرّة  
ضربتُ من يشتريه بخربة ألف مرّة

وكان الفكيك قصيراً دميماً، ورأيته يوماً قد لبس طاقاً أحمر على بياض ، وفي رأسه طرطوراً أخضر. وقد عمّمْ عليه عمّة لازوردية ، وهو ينشد بين يدي المعتمد شعراً قال فيه :

وأنت سليمانُ في مُلكه وبين يديك أنا الهدهدُ

فأضحك من حضر :

---

١ انظر نفع الطيب ٣ : ١١٩ ( وفيه نقل عن الذخيرة ) ونقل المقرئ حكاية المضحك البغدادي في مجلس المنصور بن أبي عامر وسماه « الفكيك » ، وهو خطأ لأن الفكيك لا يمكن أن يكون قد أدرك عهد المنصور ( انظر ما تقدم في هذا القسم ص : ٢٨ )

٢ ص : المذكورين .

٣ استهز في .

٤ ترجمته في القسم الثاني : ٨٠٩

وسمعه أيضاً ينشد في جملة قصيدة في المعتمد<sup>١</sup> :

أبا القاسم الملك المعظم قدّره<sup>٢</sup>      سواك من الأملاك ليس يعظم<sup>٣</sup>  
لقد أصبحت حمص<sup>٤</sup> بذلك جنة<sup>٥</sup>      وقد أبعدت عن ساكنيها جهنم<sup>٦</sup>  
ولي بحماك الربع عام<sup>٧</sup> وأشهر<sup>٨</sup>      أزحرف<sup>٩</sup> أعلام الثناء وأرقم<sup>١٠</sup>  
وأنفقت<sup>١١</sup> ما أعطيتني ثقة<sup>١٢</sup> بما      أو مل<sup>١٣</sup> فالدينار<sup>١٤</sup> عندي درهم<sup>١٥</sup>  
وقلبي إلى بغداد يصبو ولاني      لنشر صباها دائماً أنتم<sup>١٦</sup>

وكنت يوماً بدار أبي بكر الخولاني المنجم باشيلية مع لمة من الأدباء ،  
فأفضى بنا الحديث إلى ما للشعراء من ملح التضمين [١٢٧] في المديح والمجاء ،  
فأنشد بعضهم ما حضره من تضمينات الحمدوي<sup>٣</sup> في الطيلسان وشاة سعيد ،  
وأنشد آخر قول القائل في الحسن بن وهب . وتضمن بيت مهلهل<sup>٤</sup> :

وسألتني عن الحسن بن وهب      وعمّا فيه من كرم وخير  
فقات<sup>١</sup> هو المهذب غير أني      أراه كثير إرخاء الستور  
وأكثر<sup>٢</sup> ما يغنيه فتاه<sup>٣</sup>      حسين حين يخلو بالسرور  
« فلولوا الريح أسمع من بحجر<sup>٤</sup>      صليل البّيص<sup>٥</sup> تُقرع بالذكور »

١ النفع ٣ : ١١٩ .

٢ بعدك : لم يبق منها في ص إلا « لك » .

٣ ص : الحمدوي ، والحمدوي ( ويرد في المصادر « الحمدوني » ) هو اسماعيل بن ابراهيم بن

حمديوه وكان كثير النظم في طيلسان بن حرب وشاة سعيد ( انظر طبعات ابن المعتز : ٣٧١

والأغاني ١٢ : ٦١ والوافي ٩ : والفوات ١ : ١٧٣ وابن خلكان ٧ : ٩٥ ) .

٤ زهر الآداب : ٢٣٤ والفيت ٢ : ١٢٣ .

وأنشد بعضهم قول الآخر ، وضمّن بيت النابغة فقال ١ :

يا سائلي عن خالدٍ عهدي به    رطبُ العِجانِ وكفّةُ كابلحلمدِ  
« كالأقحوانِ غداةَ غيبٍ سَمائِهِ    جفّت أعالِيه وأسفلُهُ ند »

فدخل الفكّيك ونحن من هذا الحديث المستطرف على طرف ، فقال :  
أحسنُ من جميع ما أنشدتم أبياتٌ زعم أنه قالها في البديع يهجوهُ وهي :

رأيتُ البديعَ على أربعٍ    وقد عاينته عيون البشرِ  
يقولُ وقد شرّعتْ خلفه    كَماءُ الفحولِ رماحَ الكَمَرِ  
« فلا وأبيك ابنة العامريِّ    لا يدّعي القومُ أني أفر »

فكان الجماعة لم تجبه لكثرة حمقه ، وفجاجة خلقه . ثم حركت الفكّيك  
أريحية العُجب لسكوت أهلِ المجلس عنه هنالك ، فكأنّه غاظني ذلك ،  
وقلت : لم تأتِ أنت بشيء ، ومن حَضِر لم يصمتْ عنك ، وإنما أردت أن  
تحدو حدوّ كاتب بكر حيث يقول وضمّن بعض أبيات لأمراء القيس ،  
فقصّرت عنه وهو قوله ٢ :

حديثُ أبي الفضل شيءٌ نُنكّرُ    إذا ما تذكّرتُهُ أقشعيرُ  
مررتُ به وعليه الغلامُ    ومن خلفه ذنبٌ مستطر

١ الفَيْثُ : ( نفسه ) والإيجاز والإعجاز : ٨٧ وقد نسب فيه لأبي الحسن اللحام الحرائي ، كما نسب  
في رفع الحجب ١ : ٩٧ لابن الرومي ، وانظر الذخيرة ١ : ٣٠٨ .

٢ ما جاء مضمناً في الأبيات فهو من قصيدة لأمراء القيس في ديوانه : ١٥٣ وما بعدها .

« فلا وأبيك ابنة العامري » ما هاب مني ولم يزدجر  
فقال وقد قامَ عنه الغلام وماذا عليك بأن تنتظر  
فقال أرى رجلاً واقفاً فقال هُبْلَتْ أَلَا تنتصر  
« فلو أن قيساً وأشياعتها وكندة حولي جميعاً صبر »  
لما رمت أو تنقضي حاجتي « ولا يدعي القومُ أني أفر »  
فوليتُ عنه على خجلةٍ « فثوباً نسبُ وثوباً أجر »  
وراكبه فوقه مثلما « أكبَّ على ساعديه النمر »

فلما انتهيتُ إلى آخر هذا الوصف ، سكت ولم ينطق بحرف .

ومن شعر الفكيك - على زعمه - قوله من قصيد أوله ١ :

معاهدهم حَلَّتْ رُبَاكِ عُهُودُ      وَحَلَّتْ عَقُودَ الْمَزْنِ فِيكَ رَعُودُ  
وَأَبَكْتُ عَيُونََ السَّحْبِ فِيكَ رَوَائِحُ      تَضَاهَكَ أَغْوَارُهَا وَنُجُودُ  
وَحَاكْتُ لَكَ الْأَنْوَاءُ كُلَّ مُلَاءَةٍ      عَلَيْكَ بِهَا مِنْ رَقْمِيهِنَّ بَرُودُ  
بِهَا نَثَرْتُ كَفَّ الصَّبَا لَوْلُو النَّدَى      فَمِنْهَا بِأَجْبَادِ الْغَصُونِ عَقُودُ  
وَحَيًّا نَسِيمُ الْوَدِّ آرَامَ رَمْلَةٍ      وَحَيًّا حَوَاهِ عَالِجٍ وَزُرُودُ  
فَكَمْ مِنْ عَمِيدٍ فِيهِ قَلْبٌ قَلْبِهِ      عَلَى جَمْرِ نَارِ الشَّوْقِ وَهُوَ عَمِيدُ

ومنها :

١ منها أبيات في النفع ٣ : ١١٩ - ١٢٠ .

وقفنا بركبِ الوجدِ نبكي معالماً  
وقيّدَ إنسانَ العيونِ جمالُها  
بكي بعدهمُ حولاً وأوسعَ أعذره  
وذرى<sup>٢</sup> على ربعِ العقيقِ دموعه  
شهدتُ وما تنغي شهادةُ عاشقٍ  
وكلُّ<sup>١</sup> بخيلٍ بالدموعِ يجود  
وكلُّ جمالٍ للعيونِ قيودُ  
بما [سنّه] في العالمين ليبد  
عقيقاً ففيها توأمٌ وفريد  
بأنَّ قتيلَ<sup>٣</sup> الغانياتِ شهيد

ومنها :

إذا قابلوه قبلوا تُربَ أرضيه  
وقد حازهم نقصٌ وأصبح قدره  
سهرت وأحداقُ النجومِ رقودُ  
وقد هزّ منك الله للملكِ صارماً  
وربعك مخضراً به ينبتُ الغنى  
وهمُ لعلاه ركتعٌ وسجود  
على رغمهم في المآثراتِ يزيد  
وقمتَ إليها والملوكُ قعود  
تُقامُ بحدّي شفرتيه حدود  
ويورقُ في دوحِ المكارمِ عود

وله من أخرى<sup>٤</sup> :

لأيةِ حالٍ حالَ عن سُنّةِ العدلِ  
ولا خَطَرَتْ ذكرى سلوي بخاطري  
ولم أصغِ يوماً في هواه إلى العدلِ  
ولا طَحِيتُ نفسي لما عنه لي يُسلي

١ ص : وأوشح .

٢ ص : وروى ، وأثبت ما في النسخ .

٣ ص : قال .

٤ منها أبيات في النسخ ٣ : ١٢٠ .



إذا كان لا يرضيك إلا مَنِيَّتِي  
وليلٍ كأنَّ الأَنجمَ الزهرَ نرجسٌ  
على زهراتٍ كحَلِّ القَطَرِ مُرْهَتِها  
كأنَّ عليلَ<sup>١</sup> الطلِّ فوقَ عيونِها  
وكمْ عَطَّرَ الروضُ<sup>٢</sup> النَّسيمَ كأنَّه  
يجرِّدُ من غمدِ الندى صارمَ الحيا  
وكمْ ميسمٍ من جودِ يمانه<sup>٣</sup> عاجلٍ  
تملكتَ رقتي بالعوارفِ منعماً  
وأنسيتني أرضَ العراقِ ودجلةً  
فيا قاتلي مِن قَتَلَتِي أنتَ في حلِّ  
به في رياضٍ فتَحَّتْها يدُ الطلِّ  
سَقَّتْها نديُّ المزنِ عللاً على نهلٍ  
دموعُ التصابي حرنَ في الأعينِ النجلِ  
نسيمٌ نشيدِ الملكِ في الحزنِ والسهلِ  
فتضربُ يمانه به عُنُقَ البخلِ  
لراجي نوالٍ منه في جهةِ المطلِ  
وأغنييني بالجدِّ عن كلِّ ذي فضلٍ  
وربَّعي حتى ما أحنُّ إلى أهلي [١٢٨]

وكان يرهق في دينه ، فأفضت به الحال ، في اشبيلية إلى الاعتقال ،  
فمن شعره في المعتمد وهو مسجون :

أيا ابنَ عبَّادِ الملك الذي يدُه  
أضحى مديحك في درعِ العلا عَطِراً  
وكنْتُ أحسَدُ<sup>١</sup> إما<sup>٢</sup> كنْتُ أنشدُه  
فمن رأى شاعراً في السجنِ مطرَحاً  
ناديتُ حلمك والأقدارُ حائمةً  
من فيضها الرزقُ بين الخلقِ مقسومُ  
به تنفَّسَ منشورُ ومنظومُ  
فاليومَ ها أنا بين الناسِ مرحوم  
في ظلمةٍ وهو بالبهتانِ مظلوم  
كصاحبِ الخوتِ نادى وهو مكظوم

١ ص : عليا : النفح : بقاء .

٢ ص : ما .

فاحلل . بيمينك<sup>١</sup> ربق الأسر عن عنقي فأنت بالفضل والإفضال . موسوم

ومن أخرى في ذلك :

|                                     |                                        |
|-------------------------------------|----------------------------------------|
| يا محيياً بندااه مَيِّتَ آمالي      | ومصلحاً في فسادِ الدهرِ أحوالي         |
| إني لأعجبُ من سجنٍ به أَمِنتُ       | نفسي من الخوفِ في عرّيسِ رثبال         |
| ولم أر فيه مثلَ السيفِ أَعْمَدَه    | من انتصاه لأشعاري <sup>٢</sup> وأتوالي |
| أَمسي وحوالي رجالٍ في الكبولِ [وهم] | مَقَرَّتونَ بأصفادٍ وأغلال             |
| كم قاتلٍ لي وأثوابي مدنسةٌ          | وقد غدوتُ مذالاً مثلَ أذبالِ           |
| أصرتُ ترفلُ في الأسمالِ قلتُ لهم    | أسماليَ اليوم بين الناسِ أسمى لي       |

### الأديب أبو زكريا يحيى بن الزيتوني من مدينة فاس<sup>٣</sup>

أحد من وفد أيضاً على هذا البلد أيام ملوك الأندلس ، وله شعرٌ بديع ،  
وتصريفٌ مطبوع . وكان حاضر الجواب ، ذكيّ الشهاب ، قال له ابن  
زيدون أبو الوليد يوماً ، وهو بين يدي المعتضد وكأنّه استجهله ، أو أرادَ  
أن يفحّمه<sup>٤</sup> ويخجله : أفاسي أنت يا أبا زكريا ؟ يوهم أنه يسأله عن بلده ،

.....

١ ص : بيمينك .

٢ ص : لأشعار .

٣ ترجمته في جذوة الاقتباس ٢ : ٥٣٦ نقلا عن الذخيرة ، وانظر المسالك ١١ : ٤٥٨ .

وخبأ له <sup>١</sup> فيها شيئاً فهمه يحيى بصفاء خلده ، وأجابه سريعاً بفضل توفده ، فقال : منسوبٌ - أعزك الله - فأعجب به عبّاد ؛ ولجّ ابنُ زيدون فقال : نعم الفتى أبو زكرياء ، وفهم ابن الزيتوني تصحيفه ، فصدمه بمثله ، ورماه بشكله ، فقال له - وقبل يده - : عبدك أعزك الله ، فحجل أبو الوليد وتشوّر ، واستخف الطرب جميع من حضر <sup>٢</sup> .

ومن شعره في المعتضد يستنجزه :

سفينة الوعدِ في بحرِ الوفا وقفتُ فامنن بريحٍ من الإنجاز تجريها  
وله من قصيدة أولها :

فُتّتَ الهلالُ إذا الجمال فتّوا سيهٍ وجرحت باللحظ الغزالَ فآسيهٍ  
يقول فيها :

لم أفنِ دمعاً في سواه ولا جتري قلمٌ بغير ثناء في قرطاسه  
فلقيتُ من كلّفي به ما لم يكن لاقى سُحيمٌ من بني حَسْحاسِه  
ما البحترى وإن أرقّ نسيبه وأجادَ وصفَ الرّوضِ في بطياسِه  
وأقي بتشبيهات حُسنِ نسيجه ونوادِرِ بصفاتِ عَيْنِ طِمّاسِه

١ ص : وخاله .

٢ حاول ابن القاضي المكتاسي حل هذا الحوار من طريق التصحيّف ، حلا جزئياً ، ولعله وفق في بعضه فليراجع (عبدك : عندك ، نعم : نعم ، الفتى : الفسا . . الخ) .

٣ بطياس : قرية من حلب (انظر ديوان البحترى : ٢١٤ ، ١١٣٥) .

بأرق من شعري وأحسن موقماً منه اليناقي في حلى أنفاسيه  
طماس كان ابن أخي ابراهيم بن العباس<sup>١</sup> ، وكان البحري يتولع  
بوصف عوره .

### [فصل في ذكر] الأديب أبي بكر بن العطار ، الياسي الدار<sup>٢</sup>

ويابسة من الجزائر الشرقية ، وهي من الأندلس في سمت دائية ، وهو  
من جملة من لقيته وأنشدني شعره ، ولم أحفظ منه عند تحريري هذه النسخة  
إلا أبياتاً من قصيدة في المعتمد أولها :

بحدّ عزمك نصّلت القنا السُّلَّها قدماً وأجّجت في مامِ الظبا لها

يقول فيها في صفة البحر وجواز المعتمد له في وجهته إلى أمير المسلمين  
وأنشدها يوم أنشده عبدُ الجليل قصيدته البرمكية المتقدمة الذكر :

كيف اضطربت به قدست<sup>٣</sup> من جبلٍ لودكت الأرض من حواريه ما اضطربا

١ اسمه أحمد بن عبد الله بن العباس وهو عم أبي بكر الصولي (انظر ديوان البحري: ١٢٧ والهاشية)

٢ انظر المسالك ١١ : ٤٥٨ والمغرب ٢ : ٤٧٠ أبو بكر العطار (يحذف كلمة ابن) والنفع

٤ : ١٠ وفي عنوان المرقصات : ٣٠ من اسمه عبد الله بن محمد العطار ولا أعلمه هو لأن

المترجم به اسمه في النفع « محمد » . ولعبد الله العطار أيضاً ترجمة في المسالك ١١ : ٤٣٢

وهو من شعراء الأندلس ، فهو على هذا ليس من يابسة .

٣ ص : قد سدت ، والتصويب عن المسالك .

وضاق حتى لو استنهضت طرفك أن  
 وكان كالسيف ألقته فوق صفحته  
 وكان من بعض ما أهدت مكارمه  
 من كل أشوس سامي الطرف منجرد  
 إلى نجائب خوص في حقائبها  
 يهوي بمتخذ الماذي من درق  
 إذا استطال رماح الخط قنوسه  
 فندس [فديت] بخيل الله أنديته  
 واجل الظلام بوقناد الفرند كأن  
 يروق مضطرباً ماء الصقال به  
 ولا ترد حديد الهند ذا وضوح  
 تفر منه الليالي الغر عن لعس  
 ولا تحل يداً من كعب ذابله

ومنها :

فالأرض تقايق من جيش قفلت به  
 جيش إذا ما [قتام] النقع جالته

يحتاب طامحه في وثبة وثبا  
 مدارج [الريح] من تكسیره شطبا  
 سوابق لو تباري بارقاً لكبا  
 قيد الأوابد سباق لما انتدبا  
 ما شت من شرف يستنفد الحقبا  
 إذا استخف الكماة البیض واليلبا  
 سما فأدرك من أطرافها العذبا  
 للشرك تصطام الأوثان والصلبا  
 في صفحته [جمعت] الماء واللها [١٢٩]  
 كأنه جدول هبت عليه صبا  
 حتى يرى بنجیع الكفر مختصبا  
 تحال لفرنده من فوقه شنباً  
 إلا لتملاها نهداً وقد كعبا

والجو يعثر فيه من قناً وظبا  
 كانت سيوفك ناراً والعدا حطبا

١ ص : ألفت .

٢ ص : تكسره .

من كل ملتئم<sup>١</sup> والبيض<sup>٢</sup> سافرة<sup>٣</sup>  
جمت مياه<sup>٤</sup> وجوه القوم<sup>٥</sup> فاتخذوا  
وليس ينفك<sup>٦</sup> من سحب<sup>٧</sup> تظلائه<sup>٨</sup>

ومنها في صفة الزورق :

يبدو على الموج أحياناً وتضميره<sup>٩</sup>  
أمطاك<sup>١٠</sup> عزمك<sup>١١</sup> منه متن<sup>١٢</sup> ساجحة<sup>١٣</sup>

وله من أخرى<sup>١٤</sup> :

أقسمت بالزرق<sup>١٥</sup> والهنديّة<sup>١٦</sup> الدلق<sup>١٧</sup>  
لأنت بدر<sup>١٨</sup> سماء<sup>١٩</sup> المائل<sup>٢٠</sup> تحرسه<sup>٢١</sup>  
وأنت يا فتوح<sup>٢٢</sup> عن فتح<sup>٢٣</sup> خصيصت<sup>٢٤</sup> به  
جاء البشير<sup>٢٥</sup> به تذكو<sup>٢٦</sup> ذلاذله<sup>٢٧</sup>  
فراق<sup>٢٨</sup> أعيننا [ما] في صحيفته<sup>٢٩</sup>  
والجيش<sup>٣٠</sup> قد جعلت<sup>٣١</sup> أبطاله<sup>٣٢</sup> مرحاً  
هزت<sup>٣٣</sup> نواصيته<sup>٣٤</sup> لما قفلت<sup>٣٥</sup> بها

والشمس<sup>٣٦</sup> قد كُسيّت<sup>٣٧</sup> من قسطل<sup>٣٨</sup> حجبا  
من الحياء<sup>٣٩</sup> على أبقارها<sup>٤٠</sup> فنبأ  
إن لم تكن<sup>٤١</sup> رهجاً<sup>٤٢</sup> كانت<sup>٤٣</sup> دخان<sup>٤٤</sup> كبا

كالأيثم<sup>٤٥</sup> يعتسف<sup>٤٦</sup> الأهمصام<sup>٤٧</sup> والكثبا  
خلت<sup>٤٨</sup> الحباب<sup>٤٩</sup> على لبساتها<sup>٥٠</sup> لها

والأعوجيّة<sup>٥١</sup> والمهريّة<sup>٥٢</sup> التلحق<sup>٥٣</sup>  
شهب<sup>٥٤</sup> الأسنّة<sup>٥٥</sup> عن إصغام<sup>٥٦</sup> مسترق<sup>٥٧</sup>  
وعم<sup>٥٨</sup> كلاً<sup>٥٩</sup> عديم<sup>٦٠</sup> العارض<sup>٦١</sup> الغدق<sup>٦٢</sup>  
كأنّما المسك<sup>٦٣</sup> مذكور<sup>٦٤</sup> على الطرق<sup>٦٥</sup>  
كأنّه شععر<sup>٦٦</sup> في عارض<sup>٦٧</sup> يتق<sup>٦٨</sup>  
تختال<sup>٦٩</sup> عن خيلاء<sup>٧٠</sup> السبق<sup>٧١</sup> العتق<sup>٧٢</sup>  
قب<sup>٧٣</sup> البطون<sup>٧٤</sup> لما فيها<sup>٧٥</sup> من التلحق<sup>٧٦</sup>

١ المسالك : تنفك . . تظللها .

٢ ص : تستعف .

٣ النفح : أمطيت .

٤ منها بيتان في المغرب والمسالك .

هي البحورُ ولكن في كواثبها<sup>١</sup> عند الكريمةِ منجاةٌ من الغرق  
إذا تَسَعَّرَتِ الهيجاءُ أخمَدَها ما في معاطفها من نَدْوَةِ العرق  
وله من أخرى<sup>٢</sup> :

يا حَبْدًا شُهْبُ الذوابِلِ ما اعتلى  
والبيضُ سافرةُ الوجوهِ كأنما  
تشدو بهامِ المشركين فيعتري  
والخيشُ مضطربُ البنودِ كأنه  
ثابتٌ في طَلَبِ العدوِّ مغاوراً  
فصدرتَ والإسلامُ فوق جبينه  
والكفرُ منحطيمُ الفِئَقارِ بِعُنْتِقِهِ  
فتسنموا قُلُوكَ الجبالِ وعنده  
هيهات يُعْجِزُهُ العدوُّ لو أَنَّهُ  
ولذا أقامَ على الرضى في بلدةٍ  
من نورٍ وَجْهِكَ فوقَها لآلاء  
نلحدودهنَّ من اللقائمِ حياء  
أذنَ الهدى لغنائها لصغاء  
تحتَ العواصفِ لُجَّةٌ خضراء  
حتى اشتكى التأويبُ والاسراء  
وَصَحَّ تضاءلُ عن سناه ذكاء  
خَضَعُ وفي أجفانهِ إغضاء  
أنَّ البسائطَ والجبالَ سواء  
فوقَ اليتَافِعِ فريدةٌ عصماء  
رُبَّ النباتِ بها وماجٍ<sup>٣</sup> الماء

١ الكواثب : جمع كاثبة وهي من الفرس قدام المرج .

٢ أورد العمري منها ثلاثة أبيات .

٣ ص : وضاح .

## فصل في ذكر [ابن القابلة السبي] ١

وأنشدت لعبد الله بن القابلة السبي ٢ :

الشيبُ في . مفرقٍ حلا      وعقدَ عهدِ الملاحِ حلا  
وكان كالآبنوسِ رأسي      فاحتلته عاجُهُ فحالي  
وحرمتُ وصلي الغواني      وقُتِلُ العميدِ حلا

وكان ابنُ القابلة ٣ هذا يوماً مع ابنِ عبادة بالمرية : فنظر إلى غلامٍ وسيمٍ شديدِ البياض يسبحُ بالبحر : وقد تعلّق بأحدِ المراكب ، وبقي نصفُ جسده بالماء ، فقال له ابن عبادة :

انظرُ إلى البدرِ الذي لاحَ لكُ

فقال ابن القابلة :

.....

١ سقط عنوان الفصل من ص، وهذا قد يفسر كيف أن العمري في المسالك لم ينتبه إلى أن ابن بسام قد انتقل إلى ترجمة جديدة ٥ ولهذا أدخل العمري بقي شعر لابن القابلة في ترجمة ابن المطار الياسي ٦ وحين أراد أن يترجم لابن القابلة عقد له ترجمة مستقلة ( ١١ : ٢٢٩ ) واعتمد في هذه الترجمة على عنوان المرقصات : ٣٠ وهي قاصرة على ثلاثة أبيات له وردت أيضاً في الدرة المضيئة : ٤٨٧ واسم ابن القابلة عبد الله . ولا بد من أن نذكر بيته وبين ابن وابلة آخر ليس سبتياً وهو محمد بن يحيى الشلطي ( المعرب ) .  
٢ الشريشي ١ : ٦١ .

٣ انظر القصة في بدائع البدائع : ٨١ والنفع ٣ : ٦١٠ ، ٤ : ١٣



فِي وَسْطِ النَّجَةِ يَجْلُو الْحَلَكُ<sup>١</sup>

قَدْ جَعَلَ الْمَاءَ مَكَانَ السَّمَاءِ      وَاتَّخَذَ الْفُلُكُ مَكَانَ الْفَلَكَ<sup>٢</sup>

وَأَنْشَدْتُ لَهُ<sup>٣</sup> :

وَوَجْهِ حَبِّ<sup>٤</sup> رَقٍّ حَسَنًا أَدِيمَهُ      يَرَى الصَّبُّ فِيهِ وَجْهَهُ حِينَ يَنْظُرُ<sup>٥</sup>  
تَعَرَّضَ [لِي] عِنْدَ اللِّقَاءِ بِرَشَاءٍ      تَكَادُ الْحَمِيمَاتُ مِنْ عَيْتَاهُ تَعَصَّرُ<sup>٦</sup>  
وَلَمْ يَتَعَرَّضْ كَيْ أَرَاهُ وَلِئِنَّمَا      أَرَادَ يَرِينِي أَنْ وَجْهِي أَصْفَرُ

وَأَنْشَدْتُ لَهُ يَصِفُ الْقَتْلَى<sup>٧</sup> :

تَرَكْتَهُمْ نَهَبَ الْفَلَاةِ وَوَحْشِيهَا      شَعُورُهُمْ شَعْتُ وَأَوْجُهُهُمْ غُبْرُ<sup>٨</sup>  
تَظَلُّ سَبَاعُ الطَّيْرِ عَاكِفَةً بِهِمْ      عَلَى جُشْتٍ<sup>٩</sup> قَدْ سَلَّ أَنْفُسَهَا الذَّعْرُ<sup>١٠</sup>  
وَقَدْ عَوَّضَتْهُمْ مِنْ قُبُورٍ بِحَوَاصِلِهَا      فَيَا مَنْ رَأَى مَيْتًا يُطِيرُ بِهِ قَبْرُ

وَهَذَا كَقَوْلِ التَّهَامِيِّ<sup>١١</sup> :

١ انظر المرقصات والدرّة المضوية والمسالك والغيث ٢ : ٢٥٩ ورفع الحجب ١ : ١٨٣

والشريشي ٤ : ٧٨ .

٢ ص : وجه محبي ؛ في أكثر المصادر : وجه غزال ؛ الغيث : وجه مليح .

٣ في المصادر : تقطر .

٤ منها بيتان دخلا في ترجمة ابن العطار اليابسي في المسالك ١١ : ٤٥٩ .

٥ ص : لهم على جثة .

٦ لم يردا في ديوانه .

حمتهم قبور من ذئاب وأنسر تروح بأشلاء الدفين وتفتدي  
فمن حامل فوق البسيطة ملحداً وآخر يهوي في السماء بملحد

قال ابن بسام : إلى هذا المكان انتهى ما انتخبته من أشعار هذه الفرقة  
الوافدة من المشرق ، على بلاد هذا الأفق . وتتلوه إن شاء الله بأخبار من  
وعدنا أن تأتي بذكره من أعيان أهل الآداب . وأعلام الشعراء والكتاب ،  
ممن كان [١٣٠] بالمشرق ومعاصراً لطبقة هذا الكتاب ، وقد قدمت السبب في  
اجتلاب أخبارهم ، وانتخاب أشعارهم . . .

## ملحق القسم الثاني (قراءات النسختين ك ل) ١

|              |                                        |
|--------------|----------------------------------------|
| ١١ : ٨       | هي كانت قاعدة (ك)                      |
| ١١ : ١٥ - ١٦ | لأولي العقول وذوي العلوم (ك)           |
| ١٣ : ٣       | ولا مشيراً إليه (ك ل)                  |
| ١٨ : ١٨      | إلا وبه شيء راتب (ك)                   |
| ٢٠ : ٦       | فهتكت أستارها وخربت ديارها (ك)         |
| ٢٠ : ٩ - ١٠  | هذه الغزاة :: وتجاوز البلاء برعيته (ك) |
| ٢١ : ٨       | واستخرجوا بذلك ما ادخروه (ك)           |
| ٢١ : ١٣      | فلا يقاتل الأعداء (ك)                  |
| ٣٢ : ٨       | فمن ذلك قوله وذكر فتح رندة (ك)         |
| ٣٩ : ٥       | بأي شيء صنع (ك)                        |
| ٤٠ : ١       | لم تُجره الوفادة (ك)                   |

١ انظر القسم الثاني ص: ٨٥٥ في وصف هاتين النسختين ، ولم أذكر في هذا الملحق ما تخل به كل نسخة منهما ، ولا ما تشترك فيه مع النسخ الأخرى ، [ فمل وجه الجملة تلتقي (ك) بالنسختين (ط د) كما تتفق (ل) مع النسختين (م س) ] ولم أدرج في هذا الملحق أيضاً القراءات التي لا وجه لصحتها فذلك عبء لا مجال له هنا ، وإنما أثبت قراءات محتملة أو بعض زيادات تنفرد بها النسختان ، وهذه الزيادات - فيما عدا بضعة مواطن - لا تضيف كثيراً إلى المعنى ، ولكن لإثباتها أمر تفرضه أمانة التحقيق . لهذا أرجو القارئ ألا يعتبر هذا الملحق في معظمه تصويهاً لأخطاء ، وإنما هو وفاء بمتطلبات العمل ، والتزام بالدقة العلمية .

- لا يجد إلا رائنا (ك) ٤٢ : ١
- زاد في (ك) بعد السطر السابع : ٤٨ :
- فالنفس جازعة والعين داعية  
والصوت منخفض والطرف منكسر  
وبعد السطر العاشر :
- قوم نصيحتهم غش وجههم  
بغض ونفعهم ان صرفوا ضرر  
يميز البغض في الألفاظ إن نطقوا  
ويعرف الحق في الألحاح إن نظروا  
(وانظر ديوان المعتمد : ٣٨)
- وحذراً من حضور الوفاة (ك) ٥٦ : ٩
- قبل القبر ومرغ جبينه (ك) ٥٨ : ٤
- رواهما الرواة على روي اللام (ك) ٥٩ : ١٢
- وعند ذلك أيضاً قال (ك) ٦٨ : ١
- ما أعجب الحادث (ك) ٦٨ : ٨
- زاد في (ك) بعد السطر : ١٢ : ٨٠
- يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ  
في ضمّ رحلك واجمع فضلة الزاد  
ويا مؤمل وادبهم ليسكنه  
خف القطين وجهف الزرع بالواد  
وأنت يا فارس الخيل التي جعلت  
تختال في عدد منهم وأعداد

|                                                 |             |
|-------------------------------------------------|-------------|
| لما دنا الوقت لم تخلف له عسدة                   |             |
| وكل شيء مليقات وميعاد                           |             |
| والنوح يتبعها (ك)                               | ٨١ : ٣      |
| عبد الله بن أبي سعيد (ك)                        | ٨١ : ١٥     |
| وصحت منابته في الكرم (ك)                        | ٨٦ : ٨      |
| ومن كلام المحدثين مما أجروه فجري (ك)            | ٩٢ : ٨      |
| من تأويل الدواوين (ل)                           | ٩٦ : ٥      |
| تقول في كل معنى (ك ل)                           | ١٠٧ : ٩     |
| غربت ألبابنا (ك ل)                              | ١٠٩ : ٣     |
| وقال أبو عامر ( سقطت لفظة الوزير في ك ل )       | ١١١ : ٣     |
| وذوي الرياسة والفهم (ك)                         | ١١٣ : ٣     |
| وقد أخرجت من نظمه ونثره ما يشهد بنبله وفهمه (ل) | ١٢٥ : ٨     |
| وقد اقتضبت من الرسالتين بعض فصول (ك)            | ١٢٧ : ٥ - ٦ |
| فإن لكل واحد منها (ل)                           | ١٢٨ : ٢     |
| وقوام أمرها به (ل)                              | ١٣٠ : ١٢    |
| ولما أن قرأته (ك ل)                             | ١٣٠ : ١٥    |
| فليس يرغب في الحرام (ل)                         | ١٣٨ : ١٨    |
| بالله من شيطانك استعذ (ل)                       | ١٤٢ : ٣     |
| كما تجاوب أطيار بأشجار (ك ل)                    | ١٥٠ : ١٠    |
| عاطني أكؤس المدام (ل)                           | ١٥١ : ٣     |
| وأختار ذيبا (ل)                                 | ١٥١ : ٦     |
| سهل للناس هذا السبيل (ل)                        | ١٥١ : ١٢    |

|                                               |               |
|-----------------------------------------------|---------------|
| وما يتشبت بهذه الأسباب (ك ل)                  | ١٥٢ : ١١      |
| يخرج لي عن المقصود (ك)                        | ١٥٥ : ٩       |
| خذت جرى للنعيم فيه (ك)                        | ١٦٥ : ١١      |
| إلى البدر صاحبي (ك)                           | ١٧١ : ١١      |
| فتعطيني العطاء المضاعفا (ك)                   | ١٧٧ : ٩       |
| يخر وجلباب الدجى يتمزق (ل)                    | ١٧٨ : ١٥      |
| كل مرأى ومسمع (ك)                             | ١٨٣ : ١٧      |
| بمرأى عينك نفس أريب (ك ل)                     | ١٩٣ : ١٧      |
| أو كانت للمجد روضة (ل)                        | ١٩٤ : ٤       |
| وإماماً في سائر التعاليم مخفوداً (ك ل ؛ قلت : | ٢٠٠ : ٩       |
| والمحفود : المعظم الذي يخدمه إخوانه )         |               |
| ويصف الشعر (ل ؛ قلت : اقرأ : الشقر وهو        | ٢٠١ : ٥       |
| شقائق النعمان أيضاً )                         |               |
| وقد يحرم الرامي المصيب فريضة (ك ل)            | ٢٠٧ : ١٥      |
| أبي الأصبح بن سيد (ك ل)                       | ٢٠٩ : ١٤      |
| صنعة ثوبها (ك)                                | ٢١٤ : ٥       |
| والكريم إلى سكنته (ل)                         | ٢٢٠ : ١٣      |
| وهي أن أكبر بناته (ك)                         | ٢٢٧ : ٩       |
| تسد به بعض خلقتها (ك ل)                       | ٢٢٧ : ١٠      |
| ما وجدت من شعر (ل)                            | ٢٢٩ : ١٥      |
| وتخلى للمعتضد عن أوثبة (ل)                    | ٢٣٤ : ١٢ - ١٣ |
| جلالاً وخلالاً (ل)                            | ٢٣٤ : ١٨      |

|                                |             |
|--------------------------------|-------------|
| وقد علم ما كنا عليه قبل (ل)    | ٢٤٢ : ٧     |
| قد تحصنوا بالخلق (ل)           | ٢٤٣ : ٤     |
| ويستبيح الذمار (ك ل)           | ٢٥٣ : ١٥    |
| تحتفل وتحتشد (ك ل)             | ٢٥٩ : ٣     |
| الغوي المجيء والمذهب (ك ل)     | ٢٧٥ : ٦-٥   |
| وتقاصر من غلوه (ك ل)           | ٢٧٧ : ٣     |
| ورد كتابك منبئاً (ل)           | ٢٨٣ : ٩     |
| من يرتسم بهذا الشأن (ل)        | ٢٨٦ : ٥     |
| ولا طفت ولا سعيت (ك)           | ٢٨٧ : ١٤    |
| يا رسول الله حرمة عيادي بك (ل) | ٢٨٧ : ١٦    |
| أسباب الحياة والحيا (ك ل)      | ٢٩١ : ٤     |
| عليك ظليل (ل)                  | ٢٩٢ : ٥     |
| ولا نجم (ل)                    | ٢٩٨ : ٥     |
| ووصل من مقطوع أنسابها (ل)      | ٢٩٨ : ٨     |
| يوم تقطع الأنساب والأسباب (ل)  | ٢٩٨ : ١٠-١١ |
| ولا انسحبت عليه للزمن (ل)      | ٣٠٥ : ٢     |
| ومطالع علمك (ل)                | ٣٠٥ : ١٢    |
| ما خصصته به (ل)                | ٣١٠ : ١١    |
| الدمث الخليفة (ل)              | ٣١٠ : ١٣    |
| وكرم الاعتداد (ل)              | ٣١١ : ١٣    |
| الحبيب الأريب أخيك (ل)         | ٣١٥ : ١٧-١٨ |
| وللآمال في تراخي مدته (ل)      | ٣١٦ : ١     |

|                                  |             |
|----------------------------------|-------------|
| والله يعوضك منه العزاء (ك)       | ٣١٦ : ١٠    |
| لا شيء أعرف من عقل (ل)           | ٣٢٨ : ١٥    |
| وقد خطبت وخطبت (ل)               | ٣٢٩ : ٨     |
| ومددت إلى اجتلاء السرور عيني (ل) | ٣٣٠ : ٩     |
| وأرب قصي عن فأبرمه (ل)           | ٣٣٧ : ١٤-١٥ |
| وحوم به جناح (ل)                 | ٣٣٩ : ٧     |
| لا يسمن ولا يغني (ل)             | ٣٤٠ : ١٢-١٣ |
| لن تجدوا في غيري مرشفا (ل)       | ٣٤٢ : ١١    |
| ونجباء الأولاد (ل)               | ٣٤٤ : ١١    |
| قاس من الأيك أو رطيب (ل)         | ٣٥٢ : ١     |
| ولا أخفض من الجهارة (ك ل)        | ٣٥٢ : ١٢-١٣ |
| وتستدر جلموداً (ل)               | ٣٥٣ : ٦     |
| ولا شره المكتسب (ل)              | ٣٥٦ : ٩     |
| وفي فصل منها (ك)                 | ٣٥٩ : ١     |
| أنا من فرط بري (ك ل)             | ٣٦١ : ٨     |
| ولو شكت له نبؤ المنزل (ل)        | ٣٦٦ : ١٤    |
| ويحوز المعنى الأتم (ك)           | ٣٦٧ : ٤     |
| رغبة بنفسه عن نحلة (ل)           | ٣٦٩ : ١٣    |
| نسخ الغدر اقتضاء وفائه (ك)       | ٣٨٢ : ٢     |
| ما وجدته من شعره (ك)             | ٣٨٨ : ١     |
| عند وقع المصائب (ك)              | ٤٠٤ : ١     |
| تدعى بشميس مصفرة (ل)             | ٤١٤ : ٧     |



- ٤١٤ : زاد في (ك) بعد سطر : ١١ أبياتاً في هجاء ابن  
عمار للمعتمد ؛ ولا ريب في أنها دخيلة على  
الأصل ، لأنها من فاحش الهجاء الذي يتحاشاه  
ابن بسام ، وهو قد قال : « وبعده ما أضربت عنه »
- ٤١٥ : ٢ بنظر اشبيلية (ل)
- ٤٢٥ : ٤ ونأى لأبصار العداة (ك)
- ٤٢٦ : ٤ قل لبرق الغمام ظهر البريد (ك)
- ٤٣٠ : ١ على ابن عمار الخائن (ك)
- ٤٣٢ : ٦ من كان تقدم فيه إليه (ك ل)
- ٤٤٠ : ١٢ ولا أمتري في أنها (ك) ... ومن أبلغ حججهم (ك ل)
- ٤٤١ : ٤ - ٥ يتعايرون به أشد منه (ل)
- ٤٤٧ : ٣ بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه : . البيت (ك ل)
- ٤٤٨ : ٩ ابن ذريح (ك)
- ٤٤٩ : ٢ - ٣ دفن بمقبرة الروم (ل)
- ٤٥٠ : ١٣ يداعب ابن جهور (ل)
- ٤٥٠ : ١٥ الشهود لما تدعي (ل)
- ٤٥١ : ١ فجننا ابن جهور (ل)
- ٤٥٤ : ٣ أم نحت الخطوب الموردا (ل)
- ٤٦٢ : ١ ولم أسمع بهذا البيت (ل)
- ٤٧٢ : ١٠ فجلس المعتمد يوماً على تلك البحيرة (ل)
- ٤٧٧ : ٥ - ٦ وسأخذه فيما بعد بطرف (ل)
- ٤٨١ : ١٢ في حساها الغبي والألمي (ك ل)

|                               |             |
|-------------------------------|-------------|
| أبو الحسين بن الجلد (ك)       | ٤٨٧ : ٣     |
| خافق وجل (ك)                  | ٤٩١ : ١٢    |
| من أهل بلدنا وعصرنا (ل)       | ٤٩٤ : ٧     |
| يؤتى الأمن من حيث يبتغى (ل)   | ٤٩٤ : ١٤    |
| من نعت الأصحاب (ك ل)          | ٤٩٦ : ٣     |
| بوجوه اللوم مخضوب (ل)         | ٤٩٦ : ٧     |
| أشكو لديك الندى (ل)           | ٤٩٩ : ٦     |
| في سلطانها النكد (ل)          | ٥٠١ : ١٣    |
| وقال أبو محمد الايادي (ل)     | ٥٠٧ : ١     |
| بطشة تنسي الأعادي (ل)         | ٥١٠ : ٥     |
| زاد في (ل) بعد البيت الثالث : | ٥١١ :       |
| وأعطني الزمان فصرت أردى       |             |
| بما أحيا سقاماً واعتللاً      |             |
| ومن عجائبه قول جنوب (ل)       | ٥١٣ : ١٠    |
| تأوي له وتثوب (ل)             | ٥١٦ : ١٢    |
| زمان ممهّى الصفحتين ضروب (ل)  | ٥١٧ : ٢     |
| ترقرق عنها الملك (ل)          | ٥١٩ : ٧     |
| في صفحة شمعة (ل)              | ٥٢٠ : ٣ - ٤ |
| بالقصر المبارك (ل)            | ٥٢٠ : ١٢    |
| ولم نظلم (ل)                  | ٥٣٤ : ٧     |
| صديقنا الفاضل أبي الحسن (ل)   | ٥٣٧ : ١٣    |
| شغفت بها (ل)                  | ٥٣٩ : ١     |

|                                       |             |
|---------------------------------------|-------------|
| والا زياد يحرك الخطب (ل) ؛ قلت : وهذه | ٣ : ٥٣٩     |
| قراءة جيدة)                           |             |
| فتبقى سمحة القياد (ل)                 | ٤ : ٥٤٢     |
| لكن أخبرك عن حال (ل)                  | ١٣ : ٥٤٢    |
| المستعين بن هود أعزه الله (ل)         | ٦ : ٥٤٥     |
| خذلك أزهر (ل)                         | ٧ : ٥٤٩     |
| فصعد وتولى (ل)                        | ٧ : ٥٥١     |
| ويزيد على الأيام (ل)                  | ٧ : ٥٥٢     |
| عند الملك الطاهر (ل)                  | ١١ : ٥٥٢    |
| من يمرّ به النسيم (ل)                 | ٢-١ : ٥٥٣   |
| أملها فأمّ لها ، وقدّم رجاءها (ل)     | ٥ : ٥٥٣     |
| أو يدور بنا عليك مدارا (ل)            | ١٤ : ٥٥٥    |
| وتأتى فعلاً وأشرق حسناً (ل)           | ١٦ : ٥٥٥    |
| حين خططت هذه الحروف (ل)               | ٣ : ٥٥٩     |
| وختمتها بهذه الأبيات (ل)              | ٧ : ٥٥٩     |
| له من قصيد أوله (ل)                   | ٢ : ٥٦٤     |
| ونازعتهم حتى فلتت (ل)                 | ٩ : ٥٦٥     |
| يتيح الجنى (ل)                        | ١٤ : ٥٦٩    |
| كل فعل يقصر (ل)                       | ١١ : ٥٧٦    |
| بفصول الانعام والاجلال (ك)            | ١ : ٥٧٧     |
| بهذه العين أبصرت (ل)                  | ٦ : ٥٧٧     |
| لما يجعل المعتذر في حيز الاعتذار (ل)  | ١١-١٠ : ٥٧٧ |

|                                            |              |
|--------------------------------------------|--------------|
| ومن النثر أبرعه (ك)                        | ٥٨٠ : ١      |
| المنبت الذي إليه منتحاه (ك)                | ٥٨١ : ٥ - ٦  |
| فأحاله هذا بلحينا (ل)                      | ٥٨٣ : ٨      |
| قد عظم الله شأنه (ل)                       | ٥٨٥ : ٦      |
| اعطاء سائل (ك)                             | ٥٨٧ : ١      |
| ابق للعليا تشيد (ل)                        | ٥٩٣ : ٧      |
| مذحيل منك بأذني (ك ؛ قلت : اقرأ : مذحلّ)   | ٥٩٧ : ١٥     |
| كم قلت فيه (ل)                             | ٦٠١ : ٢      |
| ولقد أباح لك الهوى (ل)                     | ٦٠٤ : ١      |
| فصكت ضلوعي ... صكة (ل)                     | ٦٠٥ : ٤      |
| ما في الليل من درن (ك)                     | ٦١٩ : ١٧     |
| إما من الجبن أو من شدة الفشل (ك)           | ٦٢١ : ٣      |
| ويصرع أقراناً (ك)                          | ٦٢١ : ١٤     |
| بعض أهل عصري (ل)                           | ٦٢٤ : ١٤     |
| للين لباس (ل)                              | ٦٢٦ : ٨      |
| يشق علينا ترك مدحك (ك)                     | ٦٢٧ : ١٣     |
| برح الهوى (ل)                              | ٦٣٣ : ١٣     |
| وهنم بأسمائهم السلطان هنية (ك ل)           | ٦٣٧ : ٥      |
| أنظره وهو في السما ينظر (ل)                | ٦٣٨ : ٧      |
| والأعيان الأدباء ... في الدولة المؤرخة ... | ٦٣٩ : ٨ - ١٠ |
| المحيط الرومي والأندلس (ل)                 |              |
| خمسين مجلداً (ك ل)                         | ٦٤٠ : ٩ - ١٠ |

|                                     |             |
|-------------------------------------|-------------|
| في جملة ما سرد (ل)                  | ٧ : ٦٤١     |
| بذلك الألوان (ك ل)                  | ٨ : ٦٤١     |
| ابن شرف القروي (ل)                  | ١٦ : ٦٤١    |
| كتب بهذا القصيد (ل)                 | ١٣ : ٦٤٣    |
| لأنه أنبأ أنه يسهره (ل)             | ٨ : ٦٤٤     |
| إلا مع وفور النوم (ل)               | ١٠ : ٦٤٤    |
| فشمرت عن ساق (ك)                    | ١١ : ٦٤٦    |
| على قديم الزمان (ل)                 | ٧ : ٦٤٨     |
| لا على المتصل عنك الآن (ك ل)        | ١٣ : ٦٤٩    |
| لدهي في جبلته (ك)                   | ٨ - ٧ : ٦٥٠ |
| وثغره مشغوراً (ل)                   | ١٠ : ٦٥٠    |
| وفرد العصر (ل)                      | ٦ : ٦٥٢     |
| وأخذ بأعنان السماء (ك ل)            | ٤ : ٦٥٣     |
| وهي من الجزيرة (ل)                  | ٥ : ٦٥٥     |
| رحمه الله يومئذ مشغول (ل)           | ٤ : ٦٥٦     |
| حسبما تخلص الخبر عنها (ل)           | ١٠ : ٦٥٦    |
| والأجل يتفحمة (ك)                   | ١٢ : ٦٦١    |
| أسطولاً ضخماً (ل)                   | ٢ : ٦٦٢     |
| ليلة الجمعة [...] من صفر المؤرخ (ل) | ١١ : ٦٦٣    |
| في نفر من أصحابه (ك)                | ١٢ : ٦٦٣    |
| من رؤوس جماعته (ل)                  | ١٦ : ٦٦٣    |
| يبري ظبة السيف (ك)                  | ٣ : ٦٦٩     |

|                                                                |             |
|----------------------------------------------------------------|-------------|
| وهو اليوم ببلدة يابرة (ل)                                      | ٩ : ٦٦٩     |
| والأفواه ريتا (ل)                                              | ٨ : ٦٧٠     |
| رحمي النسب والأدب (ل)                                          | ٧ : ٦٧١     |
| وأبى لفظها ومعناها (ل)                                         | ٦ - ٥ : ٦٧٢ |
| إن كان للكلام إمارة (ل)                                        | ٢ - ١ : ٦٧٣ |
| ما يربي على الديمة (ل)                                         | ١٤ : ٦٧٣    |
| اقرأ : وأغوص رباها على الأفراح                                 | ٩ - ٨ : ٦٧٦ |
| لقد حيا نفوسنا بها (ل)                                         | ١٠ : ٦٧٦    |
| وأبقى من أرواحها (بعد «أرواحها» لفظة في ل<br>لم أستطع قراءتها) | ١٤ : ٦٧٦    |
| في وجوه مائها (بعدها لفظة غير واضحة في ل)                      | ١٥ : ٦٧٦    |
| فأعدي ، واشتكى من الفقر فأشكي ، والمحمل :                      | ٥ : ٦٧٧     |
| أنس من السقيا ببعثة الحيا فقال : يا رباه فرحاً<br>بسقياه (ل)   |             |
| ما حاسنتُ البقيعَ المزهرَ بحرّة (ل)                            | ٩ : ٦٧٧     |
| مشكورة أيلاده (ل)                                              | ١١ : ٦٧٧    |
| المصلي بالسابق ، وتطلق الضحى الشارق (ل)                        | ٢ : ٦٧٨     |
| وتجهز كتائبك إلى عديد قليل ، وبديد قليل (ل)                    | ١٧ : ٦٧٨    |
| وما حسبتها إلا تيمة (ل ؛ وكذلك من : ١٦)                        | ٤ : ٦٧٩     |
| ونظمي في ضنك معانيها (ل)                                       | ٧ : ٦٧٩     |
| فصل من ترسيل (ل)                                               | ٤ : ٦٨٠     |
| إذ الصباية أزيكى عتاد (ل)                                      | ٢ : ٦٨١     |

|                                                  |          |
|--------------------------------------------------|----------|
| عن كل طبع (ل)                                    | ٦٨١ : ٧  |
| من اجتنائه بأبرّ قسم (ل)                         | ٦٨٢ : ١٢ |
| تفرد بالخلافة (ل)                                | ٦٨٢ : ١٧ |
| تلك الشماثل الواعدة الصادقة (ل)                  | ٦٨٢ : ١٩ |
| [ورحمت] في الأدنا (اقرأ : الأدباء) (ل)           | ٦٨٥ : ٨  |
| برز العوالي (ل ؛ قلت : والرز : الصوت)            | ٦٨٦ : ٥  |
| وان يسلم فقد تركت به (ل)                         | ٦٨٧ : ٣  |
| حباً عليها جآجيا (ك ل ؛ جمع جؤجؤ)                | ٦٨٨ : ١  |
| على استنجاز طبعي (ل)                             | ٦٩٠ : ٦  |
| راعوا قديم ولائي . . . وما أطرت (ل)              | ٦٩٥ : ١٣ |
| مثل التاء في الترخيم (ك)                         | ٦٩٦ : ١٢ |
| فلم تبقَ فيها (ل)                                | ٧٠٥ : ١٠ |
| بما خلف الدروع (ك)                               | ٧١٠ : ١٢ |
| بقرية لب على وادي آنه (ل)                        | ٧١٢ : ٣  |
| إلا أن قول أبي محمد أولى بالتقدم منه قول بشر (ل) | ٧١٣ : ١٤ |
| والبيض والسمر مثل . . . (ك)                      | ٧٢١ : ٣  |
| وانتدبت لجعفر وابنه (ل)                          | ٧٢٣ : ٣  |
| سحقاً ليومكم سحقاً (ل)                           | ٧٢٣ : ٩  |
| ويح السماح وويح الناس (ل)                        | ٧٢٣ : ١٣ |
| وردها يدعو إلى صدر (ل)                           | ٧٢٤ : ٥  |
| سلام منتصب للأجر (ل)                             | ٧٢٤ : ٦  |
| شنى وذو عبر (ل)                                  | ٧٢٤ : ٧  |

|                                                                       |          |
|-----------------------------------------------------------------------|----------|
| التطيلي في قصيدة يرثي بها السينائي وقتل غيلة<br>فقال ( ل )            | ٧٢٤ : ٨  |
| فأعقب عنها آخر الدهر ( ل )                                            | ٧٢٥ : ٢  |
| وانثالت في يدك ( ل )                                                  | ٧٢٩ : ١٣ |
| وان لم يكن فشيع وريّ ( ل )                                            | ٧٢٩ : ١٤ |
| الذي شرف قدره على الأقدار ( ل )                                       | ٧٣٠ : ٨  |
| إن عنيّ سواي وعرها ( ل )                                              | ٧٣١ : ٣  |
| ولترى أين أقع وتأمّر بما أصنع ( ل )                                   | ٧٣١ : ١٩ |
| يبسط نفسه ( ل )                                                       | ٧٣١ : ٢٠ |
| يا قلب ذب كمداً (المورد)                                              | ٧٣٥ : ٨  |
| تأملني أم المجد ( ل والمورد )                                         | ٧٣٦ : ٨  |
| سيعديها فيعطفها (المورد)                                              | ٧٣٦ : ١٦ |
| خير من الهجر في جهد (المورد)                                          | ٧٣٦ : ٢١ |
| ان كنت الـست <sup>١</sup> بذئ نقص (اقرأ : بغض كما<br>في المورد) ( ل ) | ٧٣٧ : ٧  |
| إلا فت في عضدي (المورد)                                               | ٧٣٧ : ٨  |
| من خبل ومن كمد ( ل )                                                  | ٧٣٧ : ١٣ |
| نفثت بالسحر في عقد ( ل )                                              | ٧٣٧ : ١٥ |
| منه الأسى في السهل والجلد ( ل والمورد )                               | ٧٣٨ : ١٤ |

١ مجلة المورد ٦ : ٢ / ١٩٧٧ ص : ٣٠١ - ٣٠٤ استدرافات د. محمد مجيد السعيد على ديوان التطيلي .



|                                               |             |
|-----------------------------------------------|-------------|
| ووجه الدهر أسحيم مظلم (المورد)                | ١٩ : ٧٣٨    |
| كأنهن العندم (المورد)                         | ٢ : ٧٣٩     |
| تبيينوا ألا أطيق فترحموا (ل والمورد)          | ٥ : ٧٣٩     |
| وتظلمون بجهدكم (ل والمورد)                    | ٧ : ٧٣٩     |
| اقرأ : فأبتْ بدمعي . . . وأبتْ بما في مقلتيها | ٥ : ٧٤٣     |
| بدت رقة الشكوى على عصفاته (ل)                 | ٩ : ٧٤٣     |
| بالبرس يثبت بين القوس (ل)                     | ٧ : ٧٤٧     |
| ليس شعري بمنقص (ل)                            | ٨ : ٧٤٩     |
| مكدوبي النهى والتجارب (ل)                     | ٣ : ٧٥٠     |
| وعدي له الأيام الا نواهب (؟) (ل)              | ١٩ : ٧٥٠    |
| خاطب بها الوزير الفقيه أبا الحسين (ل)         | ٦ : ٧٥٤     |
| بعض الريش إلى جناحي (ك)                       | ١٤ : ٧٥٥    |
| وأقرئك من أثناء تلك الدولة (ل)                | ١٧ : ٧٥٥    |
| ولا أفر إلا لنعمائك (ل)                       | ٧ : ٧٥٦     |
| والله تعالى يبقيك لي ويمليك (ل)               | ١٠ : ٧٥٦    |
| ومؤديه ناصح مخلوكك (ل)                        | ١٢ : ٧٥٦    |
| من علامات الكرام أنه شبيه (ل)                 | ١١ : ٧٥٧    |
| قال الله تعالى فيه (ل)                        | ٣ : ٧٥٩     |
| وجدته أمراً من الزيادة (ل)                    | ٥ : ٧٥٩     |
| من النسر الأشقى (ل)                           | ١١ : ٧٥٩    |
| له بين وردك وياسمينك (ل)                      | ٧ : ٧٦٠     |
| وتنسى على منابر أدواحك (ل)                    | ٨ - ٧ : ٧٦٠ |

|                                                                                                                                                                                   |             |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------|
| أولى الأمة بذلك نوح (ل)                                                                                                                                                           | ٥ : ٧٦٢     |
| وهو الوسع المحمود (ل)                                                                                                                                                             | ٧ : ٧٦٥     |
| بأبيات قال فيها (ل)                                                                                                                                                               | ١٠ : ٧٦٥    |
| موشومة ، إذا ما تأملتها كالسفن (ل)                                                                                                                                                | ٩ : ٧٧١     |
| ولم يترك من بعضها (ل)                                                                                                                                                             | ١ : ٧٧٣     |
| ثم انبسط أبو بكر (ل)                                                                                                                                                              | ١٠ : ٧٧٣    |
| وتعاور أطوارها وتناوبها (ل)                                                                                                                                                       | ٩ : ٧٧٦     |
| إلى هذا النسب الكريم (ل)                                                                                                                                                          | ٥ : ٧٧٧     |
| فابدعوه بالتحية (ل)                                                                                                                                                               | ٩ : ٧٧٨     |
| والغريب مثل المنكوب (ل)                                                                                                                                                           | ١٠ : ٧٧٨    |
| وعلى الطائر أن يغشى أخاه ويراجع (ل)                                                                                                                                               | ١٥ : ٧٧٨    |
| على أني إنما أتكبر (ل)                                                                                                                                                            | ١ : ٧٧٩     |
| ويشرع في وداد (ل) ويكشف . . : عن أصل<br>هذا التهاجر (ل)                                                                                                                           | ٣ - ٢ : ٧٧٩ |
| فلذكرك بصفائك (ل)                                                                                                                                                                 | ٦ : ٧٧٩     |
| رواية (ل) في ترتيب الأبيات هي الصحيحة<br>وهي كما يلي :                                                                                                                            | : ٧٧٩       |
| أبا أيوب والأيام لا تبقى على حال<br>[وان المرء منها بن ادبار واقبال]<br>لئن رحّت رخيّ البال ذا جاه وذا مال<br>ومركوب وغاشية وأقام وأذبال<br>جميع الشمل ملقى الرحل بين الأهل والآل |             |

|                                                    |          |
|----------------------------------------------------|----------|
| وأصبحتُ مقللاً رهنَ إقبال وإذلال                   |          |
| فلذلك حد . . . . . ( الأبيات )                     |          |
| كسبيل ما وردني الآن به كتابك ( ل )                 | ٧٨٣ : ٨  |
| خان بعض الثقات ( ل )                               | ٧٨٣ : ١٤ |
| منع الجواز إليها ( ل )                             | ٧٩٠ : ١٢ |
| رفعت راياته ( ل )                                  | ٧٩٢ : ١٥ |
| فلم يتزّن ( ل )                                    | ٧٩٤ : ٩  |
| بعد السطر السادس ورد في ( ل ) : وقال آخر :         | ٧٩٥ :    |
| والثريا في الجو كالعنقود                           |          |
| رهينة بانصداع الشمل ( ل )                          | ٧٩٦ : ٧  |
| ممن نظم الدر المفصل وطبق المفصل ( ل )              | ٧٩٧ : ٢  |
| على الله الثناء ( ل )                              | ٨٠٠ : ٩  |
| وللبروق مجامر ( ل )                                | ٨٠٠ : ١٥ |
| لم يبقَ للظلم في أيامكم ( ل )                      | ٨٠٥ : ٢  |
| تأمن ومكفّ ( ل )                                   | ٨٠٥ : ٤  |
| وأنهم في قولهم كاذبون ( ل )                        | ٨٠٧ : ٥  |
| قل لي أبا مروان ( ل )                              | ٨٠٧ : ٨  |
| إليه واستبسّل عساه يلين ( ل )                      | ٨٠٧ : ١٢ |
| دراهم ملوك أفقنا ( ك ل )                           | ٨٠٩ : ٤  |
| ماورد ( ك : بماء ورد ) كان بين يديه ( ل )          | ٨١٠ : ٨  |
| من وثاقه وأذن الله بانطلاقه وله في ذلك قصيدة ( ل ) | ٨١٥ : ٨  |
| يقول فيها ( ل )                                    | ٨١٦ : ١٢ |

|                                           |          |
|-------------------------------------------|----------|
| بعد البيت الرابع (س : ٤) في ل ورد البيت : | ٨٢٤ :    |
| أدامت حمامات على فقد إلفها                |          |
| وينكر أقوام عليّ دوامي                    |          |
| ليت الزمان من العثار يقال (ل)             | ٨٢٧ : ٨  |
| على جيد ما جد (ل)                         | ٨٣٠ : ٩  |
| ومما راعني لم أصدق (ل)                    | ٨٣٢ : ٨  |
| مما انتحاه (ل)                            | ٨٣٤ : ٧  |
| أوحش حلولاً من الليل (ل)                  | ٨٣٥ : ٢  |
| وفي مثل ذلك يقول (ل)                      | ٨٣٦ : ٨  |
| أعندك أن البدر بات (ل)                    | ٨٣٧ : ٢  |
| لم أدير (ك) ما جيدّ الهوى (ل)             | ٨٣٩ : ١٣ |
| ووسطى في نظام المكرمات (ك)                | ٨٤٢ : ١٢ |
| حتى حسبنا أديم الماء (ل)                  | ٨٤٣ : ١٢ |
| في غير ما موضع (ل)                        | ٨٤٦ : ٦  |
| يسير بالعدل والأحكام (ل)                  | ٨٤٧ : ١٠ |
| وله من أخرى (ل)                           | ٨٤٩ : ٢  |
| من سروهم شبه الأحجال                      | ٨٤٩ : ٣  |
| في (ل) بعد السطر السابع :                 | ٨٥٠ :    |
| أنا يا ابن حمدين وتلك مقالة               |          |
| برئت شهادتها من التجريح                   |          |



## فهرس الكتاب

## ١ - فهرس الأعلام

|                                   |                                     |
|-----------------------------------|-------------------------------------|
| أدریس بن الیمانی ١٤٠              | - ١ -                               |
| أذفونش بن برمند ٨٤                |                                     |
| أذفونش بن فردلند ١٥٦ ، ١٤٩        | آدم ١٧٧                             |
| ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،           | ابن أبي دواد ٣١                     |
| ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ،           | ابن أبي الزلازل ( الحسين بن         |
| ١٦٨                               | عبد الرحيم ) ١٧٨                    |
| ابن أذين. ( صاحب الخيل ) ١١٧      | ابن أبي سمرة الدارمي ١٠٠            |
| الاسكندر ٣٦١                      | ابراهيم ( النبي ) ١٧٩ ، ٢١٧         |
| أسماء ( في شعر ) ٢٨١              | ابراهيم الموصلي ١٣٦                 |
| أسماء بنت غالب ٦٥                 | ابراهيم بن العباس الصولي ٣٧٦        |
| اسماعيل بن ذي النون : انظر :      | ابراهيم بن محمد ، انظر : ابن السقاء |
| الظافر ابن ذي النون ناصر الدولة   | أحمد البصري ( الناهي ) ٢١٧          |
| الأسود بن يعقوب ١٩٧ ، ٢٠١         | أحمد بن أبي طاهر ٢٩٣                |
| أشجع السلمي ٣٠٦                   | أحمد بن زياد ٥٧                     |
| أشعب الطمع ٢٢٥                    | أحمد بن فارس المنجم ٧٩              |
| الأصمغين الناصر ٥٧ ، ٥٨           | أحمد بن المعتصم ٣٧                  |
| أبو الأصمغين البلنسي الحكيم ٣٦٢ ، | الأحنف بن قيس ٣٧                    |
| ٣٦٣                               | الأخطل ١٩٧ ، ٢٠٣                    |
| أبو الأصمغين الكاتب ٣٦٧           | أدریس بن عبد الله العلوي ٣٠٦        |

|                                 |                                    |
|---------------------------------|------------------------------------|
| ابن الأعرابي ١٢٥                | ابن بسام ٧ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٣ ،        |
| امرؤ القيس بن حجر الكندي ٢٠     | ٤٤ ، ٥٧ ، ٧٠ ، ١٢٦ ، ١٤١ ،         |
| ٣٣ ، ١٤٠ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ،          | ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٦٣ ،            |
| ١٩٨ ، ٢٣٣                       | ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ٢٢١ ،            |
| أوس (والد أبي تمام) ١٧٩         | ٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦٥ ، ٢١٠              |
| إياس القاضي ٣٧                  | البستي ، أبو الفتح ٢٥٧ ، ٣٥٤       |
| أيوب (الذبي) ٢١٥                | بشار بن برد ٩٧ ، ٢٠٤               |
| - ب -                           | بطليموس ١٨٣                        |
| باديس بن حبوس ١٢٥ ، ١٧٧ ،       | بقراط ٣٦٠                          |
| ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٣٥٠                 | أبو بكر الخولاني المنجم ٣٥٧ ،      |
| ١٨٣ باقل                        | ٣٦٢ ، ٣٦٩                          |
| البيغاء ، أبو الفرج ٢٥          | أبو بكر المرادي القروي ، أبو الحسن |
| البحثري (الوليد بن عبادة) ١٩٨ ، | ( ٣٦٤ - ٣٦٧ )                      |
| ٢٠٧ ، ٢٨٥ ، ٢٩٤ ، ٣٠٧ ،         | البكري ، أبو زيد ٥٥                |
| ٣٧٥ ، ٣٧٦                       | بلال بن رباح ١٩٤                   |
| ابن بدر ١٧                      | بلقين بن حماد ٨٩ ، ٣٤٧ ،           |
| بديع الزمان الهمداني ١٩٦ ،      | ٣٤٩                                |
| ٢٥٢ ، ٢٧٠                       | بنفسج العامرية ٤٨                  |
| البر الطليطلي الفقيه ٣٥٦        | بهار العامرية ٤٧                   |
| أبو البركات العلوي ٢٥           | - ت -                              |
| ابن برلوصة ، أبو عمر ١٦١        | تبع ٢٧١                            |



- أبو تمام (حبيب بن أوس) ١٣ .  
 ١٤ . ٣٧ ، ١٤١ ، ١٧٥ .  
 ١٧٦ . ١٧٧ . ١٧٩ . ١٩٧ .  
 ٢٠٦ ، ٢٠٧ . ٢٢٣ . ٢٣٠ .  
 ٢٣٤ . ٢٣٥ : ٢٩٤  
 تميم بن أبي بن مقبل ١٩٧ : ٢٠٢  
 تميم بن بلقين ٢٨٠ ، ٢٨١  
 تميم بن جميل السدوسي ٣٨  
 تميم بن المعز ٨٩ : ٣٢٦  
 ٣٢٧  
 التهامي أبو الحسن ٢٩٧ : ٣٤٧ ،  
 ٣٨١  
 ابن التياتي ١٩  
 - ث -  
 ثابت بن محمد الجرجاني ، أبو الفتوح  
 ( ١٢٤ - ١٢٦ )  
 الثعالبي . أبو منصور ٨ ، ١٣ ،  
 ٢٥ ، ٩٩ ، ٢١٧  
 - ج -  
 ابن جابر ١٢٨ . ١٣٢ ، ١٣٦  
 جالينوس ١٨٣  
 ابن جدار المصري ١٩٨  
 الجرجاني ( راوية مقامة ) ٢١٢ .  
 ٢١٣  
 جرول ( الخطيئة ) ١٨٣ .  
 ١٩٧ . ٢٠٢  
 جرير بن الخطفي ٩٨ ، ١٩٧ ،  
 ٢٠٣ : ٢٣٤  
 أبو جعدة نسل ١٩٤ ، ١٩٥ .  
 ١٩٦  
 جعفر الصقلي ٦٧  
 جعفر بن عثمان المصحفي ، انظر :  
 المصحفي  
 جعفر بن علي ٢٠٩  
 جمل ( في شعر ) ٢٢٩ ، ٢٦٠  
 جميل بشينة ١٩٧  
 أبو جنيس . انظر : الرمادي يوسف  
 ابن هارون  
 ابن جهور . أبو الوليد ٢٣٩ .  
 ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ١٤٣ ، ٢٤٤ ،  
 ٢٤٥  
 ابن جهور . عبد الملك ٢٤٤  
 جوذر الفتي ٥٨

- ح -

حاتم الطائي ١٨٣ ، ١٥٨ ،  
٣٦١

أبو حاتم الحجاري ٣٦٢ ، ٣٦٣

حاجب بن زرارة ١٧٩

الحاكم الفاطمي ٩١ ، ٩٤

حبيب الصقلي ٣٤

حبيب بن أوس : انظر : أبو تمام

ابن الحديد ، أبو بكر : ١٥١ ،

١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،

١٥٦ .

ابن حزم ، أبو محمد ١٢٥ ،

١٢٦

حسان بن ثابت ١١٦ ، ١٧٣ ،

١٩٧ ، ٢٠١

ابن حمداني ، أبو الفضل ٢٥٣ ،

٢٥٤

الحسن بن هاني ، انظر : أبو نواس

الحسن بن وهب ٢٢٣ ، ٣٦٩

ابن حسون ، أبو مروان ٢٨٢

الحسين الفقي ٣٦٩

الحسين بن الضحاك ٣٢٢

الحسين بن علي ١٩٣

الحصري الكفيف ( علي بن عبد

الغني ، أبو الحسن ) ( ٢٤٥ -

٢٨٣ ) ٣٥٤

الحطيئة ، انظر : جرول

الحكم ( الأول الأموي ) ٣٠٤

أبو الحكم الحاجب ٢٥٢

الحكم المستنصر ٥٦ ، ٦٠ ،

٦٢ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٧٩ ، ١٤٢

الحكيم المصري ( عبد الله بن خليفة ،

أبو محمد ) ٢٩٠ ، ١٣٦ ،

١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ( ٣٤٢ -

٣٦٠ )

ابن حنزة ، الحارث ١٩٧ ، ١٩٩

الحلواني ، أبو الحسن ( عبد الكريم

ابن فضال ) ( ٢٨٤ - ٣٠٠ )

الحمادان ١٩٦

ابن حماد ٣٠٢

ابن حمام ، أبو اسحاق ٢٤٥

الحمدي ( اسماعيل بن ابراهيم )

٣٦٩

ابن حمديس ( أبو محمد عبد الجبار )

( ٣٠٢ - ٣٤٢ )

|                                      |                               |
|--------------------------------------|-------------------------------|
| ابن خلصة الشلوني ٢٦٨                 | ابن محمود ١٤٤                 |
| خلف بن حسين ( والد ابن حيان )        | الحميدي ، أبو عبد الله ١٢٢ ،  |
| ٥٢ ، ٦٧ ، ٧٥ ، ٧٦                    | ١٢٣                           |
| خليدة ( امرأة ) ٣١٥                  | أبو حنيفة ٣٥٤                 |
| خليفة المورته ( والد الحكيم المصري ) | ابن حيان المؤرخ ٩ ، ٢٠ ، ٥٠ ، |
| ١٣٧                                  | ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ ،      |
| خيران العامري ١١                     | ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ،      |
| - د -                                | ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٢٧ ،     |
| ابن الدب . أبو جعفر ( أحمد بن        | ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،       |
| سميد ) ١١ ، ١٠                       | ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،       |
| ابن دراج القسطلي ١٧٠ ، ١٩٨ ،         | ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٣٨ ،       |
| ٢١١ ، ٢٩٦                            | ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٣٤٣         |
| ابن دريد أبو بكر ٣٢                  | - خ -                         |
| دريد بن الصمّة ١٩٧ ، ٢٠١             | خارجة السهمي ٢٢٦              |
| دعبل الخزاعي ١٩٧ ، ٢٠٥               | خالد ( في شعر ) ٣٧            |
| أبو دلف العجلي ٣١                    | خالد القسري ١٩٠               |
| الدميني ( ابن الدمينّة ) ١٩٧         | خالد بن هشام ٦٧ ، ٦٨          |
| أبو دواد الإيادي ١٤٧                 | الخالدي . أبو بكر ٢٥٦         |
| - ذ -                                | الخبز أُرزي ( نصر بن أحمد )   |
| ذو الرمة ١٩٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠             | ١٢٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٩               |
|                                      | الخصيب ٣٥١                    |

- ابن ذكوان القاضي ، أبو العباس ٤٢ ، ٥٠ ، ٧٥  
 ذو النون (جد بني ذي النون) ١٤٢  
 أبو ذؤيب الهذلي ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٤٧  
 ذي الإسرائيلي ١٣٦
- ر -
- الراعي (عبيد بن حصين) ١٩٧ ، ٢٠٢  
 رائق (أخو صبح) ٧١  
 الرباب (في شعر) ٢٧٨ ، ٢٧٢  
 الرشيد (هارون) ٣٠٦ ، ٢٦٢  
 ابن رشيق ، أبو علي ٨٩ ، ٢٤ ، ١٠٣ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٤٨  
 الرضي (الشريف) ٢٣٤ ، ٢٤٨  
 ابن الرقاع العاملي ١٩٧  
 الرمادي يوسف بن هارون أبو جنيس ١٢٠ ، ٢٩٦  
 الرماح بن ميادة ١٩٨ ، ٢٠٤
- ابن الرومي ٣٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٨ ، ٢٤٧ ، ٢٩٨ ، ٣٢١  
 أبو الريان (بطل مقامة) ١٩٧ ، ٢١١ ، ١٩٨
- ز -
- زاوي بن زيوري ٨١ ، ٨٢  
 الزبرقان بن بدر ١٨٣  
 زبيدة بنت جعفر ٣٤٨ ، ٣٤٩  
 الزبيدي ، أبو بكر ١٤ ، ١٥  
 ابن زرارة ٢٢  
 زرقاء اليمامة ١٨٣  
 زهير بن أبي سلمى ١٩٧ ، ١٩٩  
 ابن الزيات (صاحب طرسوس) ١٢٦  
 ابن الزيات الوزير (محمد بن عبد الملك) ٥٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦  
 زياد بن أبي سفيان ٢٦٤  
 زيادة الله بن مضر الطبري ١٩  
 زيد الخيل ١٧٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٢  
 ابن زيدون ، أبو بكر ٣٦٠  
 ابن زيدون ، أبو الوليد ١٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥

سليمان ( النبي ) ٢٤٢ ، ٣٣٤ ،

٣٦٨

سليمان بن حسان النصيبي ٢٣٠

سليمان بن عبد الملك ٣٦

سليمان بن محمد الصقلي ( ١١٩ -

١٢٤ )

السموأل ١٨٣ : ٣٤٥

السميسر ٢٢٧

سيبويه ١٤ : ٢٥٠

سيرين ( جارية ) ١٧٣

سيف الدولة ٢٣ ، ٢٤

- ش -

ابن الشامي صاحب الخمس ٢٩١ ،

٢٩٢ . ٢٩٦ . ٣١٨

شانجة بن غرسيه ٤٥ ، ٧٣ ،

٧٤ . ٨٠ . ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦

شانجة بن فرذلند ١٦٠

ابن شرف ، أبو عبد الله ٢٣ .

٢٤ . ١٢٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ .

( ١٦٩ - ٢٤٥ ) ٢٨٥

شروان شاه ٨٨ ، ١١٣ ، ١١٤

زيري ( والد زاوي ) ٨٢

- س -

سحبان وائل ١٨٣

سحيم ( عبد بني الحسحاس ) ١٩٧

٣٧٥

سعاد ( في شعر ) ٢٢٩

سعدى ( في شعر ) ٢٢٩

سعدان المؤدب ٤٣

سعيد ( صاحب الشاة ) ٣٦٩

سعيد بن حميد ٣٠٧

أبو سعيد السيرافي ١٤

ابن السقاء ( ابراهيم بن محمد أبو

الحسن ) ٢٣٧ ( ٢٣٨ -

٢٤٥ )

سقراط ١٨٨

سلامة بن جندل ١٩٧

السلامي ، أبو الحسن ١٠٦ .

١٢١

سلمى ( في شعر ) ٢٢٠ . ٣٥٠

سليماني ( المستعين ) ١٠ . ٥٥

١٤٢ . ١٤٣

صريع الغواني ١٩٧ ، ٢٠٥ ،

٢٢٦

ابن صفوان ١٨٣

صمصام الدولة ( صاحب صقلية )

٣١٨

الصنوبري ١٩٨ ، ٢٠٨

صيدح ( ناقة ذي الرمة ) ١٩٧ ،

٢١٩ ، ٢٢٠

- ض -

ابن ضابط ، أبو الوليد ٤٤

- ط -

الطائيان ( أبو تمام والبحري ) ١٩٦

طارق بن زياد ٥٦

طالوت ٢٢٣

ابن طاهر ، أبو عبد الرحمن ٢٢٠

٣٦٥ ، ٣٦٦

الطبري ٣٠٣

الطبري ( يزيد بن الطثرية ) ١٩٧

ابن الطراوة ، أبو الحسين ( سليمان

ابن محمد ) ٢٤٩

ششند ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨

شعيب ٨٣

ابن شماخ ٢٨٨

ابن شهيد ، أبو عامر ٤٠ ، ٤١ ،

٤٢

ابن شهيد ، أبو مروان ٢٦ ،

٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩

- ص -

الصابي ، أبو اسحاق ٢٥

الصاحب بن عباد ٢٧٣

ابن صارة الشنري ٣٢٢ ، ٣٦٣

صاعد بن الحسن البغدادي ( ٨ -

٥٦ )

ابن الصباغ الصقلي ( أبو عبد الله

محمد ) ( ٣٠٨ - ٣٢٠ )

صبح أم هشام ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٠ ،

٧١ ، ٧٢

صدقة بن يوسف الفلاح ٨٨ .

٩١

الصديق ( أبو بكر ) ١٤

ابن صروم ١٣٥

|                                    |                                     |
|------------------------------------|-------------------------------------|
| طرفة الفقى ٥٢٠٥١٠٥٠                | أبو العباس السكري الاسكندراني       |
| طرفة بن العبد ٣٨ ، ١٩٧ ، ١٩٨       | ١٤٤                                 |
| الطرماح ١٩٧ ، ٢٠٤                  | عباسة (في شعر) ١٧                   |
| ابن الطلاء المهدي ٢٨٨              | ابن عبد البر الكاتب ١٦١ ، ١٧٥ ، ١٧٤ |
| ( ٣٦٣ - ٣٦٠ )                      | عبد الجبار بن حمديس ، انظر :        |
| طماس ٣٧٥                           | ابن حمديس                           |
| أبو الطيب المتنبي ، انظر : المتنبي | عبد الجليل بن وهبون ، انظر :        |
| - ظ -                              | ابن وهبون                           |
| الظافر بن ذي النون ناصر الدولة     | عبد الحميد الكاتب ٢٥٢ ، ٢٧٣         |
| اسماعيل ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥      | ابن عبدربه ١٩٨ ، ٢١٠                |
| - ع -                              | عبد الرحمن الناصر ، انظر : الناصر   |
| العاصمي النحوي ( محمد بن عاصم )    | عبد الرحمن بن قاسم الشعبي ،         |
| ٣٣ ، ١٤                            | انظر : أبو المطرف الشعبي            |
| عامر بن الطفيل ١٩٧ ، ٢٠٢           | عبد الرحمن بن محمد بن عيسى ،        |
| ابن عبادة ٣٨٠                      | انظر : ابن عيسى القرطبي أبو         |
| العباس بن الأحنف ١٢٠ ، ١٢٢         | أبو زيد                             |
| ١٩٨ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦              | عبد الرحمن ( شنجول ) بن المنصور     |
|                                    | ٤٦ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٦                   |
|                                    | ابن عبد الرؤوف ، أبو عبد الله ٣٠٤   |
|                                    | عبد العزيز التونسي ، أبو محمد       |
|                                    | ٣٦٧                                 |

عبد العزيز بن محمد السوسي  
( ١٢٦ - ١٢٧ )  
عبد العزيز بن الناصر ٥٧ ، ٥٨  
ابن عبد العزيز ، أبو بكر ٢٩٧  
ابن عبد العزيز صاحب بلنسية ١٥٦  
عبد الغني ( ابن الحصري )  
٢٧٤ ، ٢٧٧  
عبد الكريم بن فضال الحلواني ،  
انظر : الحلواني  
عبد الله بن مسلمة الوزير ١٠ ، ١١  
عبد الله بن ياسين ٣٦٤  
عبد الملك الجزيري ، أبو مروان  
٣٥ ، ٣٦ ( ٤٦ - ٥٢ )  
٦٩ ، ٧٤  
عبد الملك المعافري ( جد المنصور )  
٥٦  
عبد الملك بن مسلمة ٥٢  
عبد الملك المظفر بن المنصور ٥٠  
٥١ ، ٥٢ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤  
٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ( ٧٨ - ٨٦ )  
ابن عبدون ٤٤  
عبد يغوث بن وقاص الحارثي ٣٨

٢٦٣ عبود  
عبيد بن الأبرص ١٩٧  
عبيد الله بن بدر ٧٥  
عبيد الله بن طاهر ٣٠٧  
العتابي ( كلثوم بن عمرو ) ٩٧  
عثمان بن جعفر المصحفي ٦٥ ،  
٦٧  
أبو العرب الصقلي ( مصعب بن  
محمد ) ( ٣٠١ - ٣٠٨ )  
ابن العربي ، أبو بكر ١٢٢  
عرقوب ٢٢٥  
عروة بن حزام ٢١٩ ، ٢٢٠  
ابن العريف ، أبو القاسم ١٤ ،  
١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠  
عزيز ٨٣  
العُشي ( من الشعراء ) ١٩٧ ،  
٢٠١  
ابن العطار الياسي ، أبو بكر  
( ٣٧٦ - ٣٧٩ )  
عطية ( والد جرير ) ٢٠٣  
عفراء ٢٢٩  
عفراء بنت مالك العنزي ٢١٩ ،  
٢٢٠



|                                                             |                                     |
|-------------------------------------------------------------|-------------------------------------|
| عقيل (أحد نديمي جذيمة) ١٩٤                                  | عمارة الصقلي ٣٤                     |
| عقيل بن أبي طالب ٢٢٥                                        | عمر بن الخطاب ٢٢٠                   |
| علقمة الفحل ١٤٠                                             | أبو عمر الزاهد ٣٢                   |
| علقمة بن علاثة ٢٠١                                          | عمران (في شعر) ١١٩                  |
| علي (غلام) ١٠٣                                              | عمرو القنا ٣٥١                      |
| علي بن أبي الرجال ٢٢٢ . ٢٦٠                                 | عمرو بن العاص ٢٢٦                   |
| علي بن أبي طالب ٢١٨ : ٢٢٠ ، ٢٢٥                             | عمرو بن معديكرب ٣٧ ، ١٧٩            |
| علي بن الجهم ٣٩ : ١٩٧ ، ٢٩٦                                 | عمرو بن كلثوم ١١٩ ، ٢٠٠             |
| علي بن حمزة ١٢٦                                             | ابن العميد ٢٥٢ ، ٢٧٣                |
| علي بن العباس الايادي ١٩٨ ، ٢١١                             | عنزة العبيسي ٥٣ ، ١٩٧ ، ١٩٩         |
| علي بن عبد الغني الحصري ، انظر : الحصري الكفيف              | ابن عياش الوزير ٢٧                  |
| علي بن القاسم بن عشرة ٣٢٥                                   | ابن عياش اليهودي ٢٥٣                |
| علي بن مجاهد العامري ٨٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ | عيسى ( بن مريم ) ١٨٤ ، ٢١٥ ، ٢٤٩    |
| علي بن وداعة ، أبو الحسن ٥٣ ، ٥٤                            | عيسى بن سعيد بن القطاع ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ |
| ابن عمار ، أبو بكر ٤٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦١               | ابن عيسى القرطبي ، أبو زيد ١٣٠      |
|                                                             | - غ -                               |
|                                                             | غالب ( مولى الناصر ) ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥   |

الفكيك البغدادي ، أبو الحسن  
( ٣٦٨ - ٣٧٤ )

- ق -

ابن القابلة السبي ( أبو محمد )  
٢٨٦ ( ٣٨٠ - ٣٨٢ )  
قابوس بن وشمكير ٢٥٢

القادر يحيى بن ذي النون ١٢٧ ،  
١٢٨ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،  
١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،  
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ،  
١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨

القارطان ١٩٣

أم القاسم ( في شعر ) ٩٨

ابن قاضي ميلا ٣٥٦

القالي : أبو علي البغدادي ٩ ، ١٥

القائم الخليفة العباسي ٨٨ ، ٨٩

القراطيسي الكوفي ١٢١

قريط بن أنيف العنبري ١٩٠

ابن قزمان ، أبو مروان ١٩٦

قس بن ساعدة الايادي ٢٦٤

القسطلي : انظر : ابن دراج

غالب بن صعصعة ٢٠٣

غانم بن وليد المخزومي ٢٥٢

غرسية بن شانجة ٣٥ ، ٤٥

غرسية بن فردلند ١٦٠

أبو الغزور ( ؟ ) الأعرابي ١٢

الغريض المغني ٢٧

غيلان ، انظر : ذو الرمة

- ف -

فاتن ( فتى المنصور ) ٣٤

فائق الفتى ٥٨

الفتح بن المعتمد ٣٢٧٨

أبو فراس الحمداني ١٩٨ ، ٢٠٩

فرتى ٢٧٢

ابن الفرج ، أبو سعيد ١٤٥ ،

١٥١ ، ١٥٢

ابن الفرج ، أبو عامر ١٣٠

فردلند ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٦٦

الفرزدق ٣٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ .

٢٢٦

فرعون ٣٥١

ابن القطاع ، انظر : عيسى بن سعيد

القعيني ، أبو حفص ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣

القلمندر ٣٥٧

قيس الأخيلية (؟) ٣١٠

القيسان ١٩٤ ، ٢٠٤

قيصر ٢٧٠ ، ٣٣٣

- ك -

كاتب بكر ٣٧٠

كافور الأخشيدي ٥٠

كثير عزة ١٩٧ ، ٢٧٤

ابن كثير ١١٨

كسرى ٢٧٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤

كسرى أنو شروان ١٢٧

كشاجم ١٠٨ ، ١٩٨ ، ٢٠٨

كعب بن مامة الإيادي ٤٢ ،

١٨٣ ، ١٨٥

الكك البغدادي ٢٨

الكميت الأسدي ١٩٧ ، ٢٠٤

الكندي ، انظر : امرؤ القيس

- ل -

ابن اللبانة ، أبو بكر الداني ٢١٧

لبنى (في شعر) ٢٧٨

لبنى (صاحبة ابن ذريح) ١٩٤

ابن لبون ١٤٥

لبيد بن ربيعة ١٨٤ ، ١٩٧ ،

١٩٩ ، ٣٧٢

لقمان الحكيم ٣٥١

لقمان بن عاد ٢٦٤

ابن لثكك البصري ٢٩٣

ليلى الأخيلية ٢٠١

ليلى العامرية ١٩٤

- م -

مالك (أحد نديمي جديمة) ١٩٤

مالك بن أنس ٢٨٠

المأمون العباسي ٢٤

المأمون بن ذي النون ٢٣ ، ٢٤ ،

٢٩ ، ٩٠ ، ١١٢ ، ١٢٦ ،

١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،

١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،

|                                                      |                                   |
|------------------------------------------------------|-----------------------------------|
| صاحب الخمس                                           | ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٥ ،           |
| محمد بن أبي عامر ، انظر : المنصور الكبير             | ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،           |
|                                                      | ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٧٠ ،           |
| محمد بن اسماعيل ٦٦                                   | ١٧٠ ، ٢٩٧ ، ٣٤٣ ، ٣٥٥ ،           |
| محمد بن أفلح ٦٣                                      | المتنبي ، أبو الطيب ١٤ ، ٢٠ ،     |
| محمد بن زريق ١٢٦                                     | ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ١٢٦ ،              |
| محمد بن زكي الأشبوني ١٣٩                             | ١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ ،           |
| محمد بن طغج ٥٠                                       | ٢٩٥ ، ٣٠٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ،           |
| محمد بن عبد الرحمن ( الأمير الأموي ) ١٤٢             | المتوكل بن الأفطس ١٥٧ ،           |
| محمد بن عبد الملك الزيات ، انظر : ابن الزيات الوزير  | ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ٣٦٠ ،           |
| محمد بن عبد الواحد البغدادي ، أبو الفضل ( ٨٧ - ١١٩ ) | ابن المثني ، أبو الحسين ١٢٣       |
| محمد بن سلمة ٦٦ ، ٦٧                                 | ابن مثني ، أبو المطرف ١٤٠ ،       |
| محمد بن وضاح ٥٧                                      | ١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٦٧ ،                 |
| محمد بن يحيى بن عامر المرباطي ٣٦٤                    | مجاهد العامري ( أبو الجليش ) ١١ ، |
| ابن المذلق ٢٠١                                       | ١٣ ، ١٢٥ ، ٢٦٥ ،                  |
| مرة بن محكان السعدي ٣٨                               | مجنون بني عامر ٣١                 |
| مروان بن أبي حفصة ٢٠٤                                | ابن محفور ١٤٥ ، ١٤٦ ،             |
| مروان بن الحكم ١٤٤                                   | المحاق ٢٠١                        |
| ابو مزبد ١٢                                          | محمد ( الرسول ) ١٧٣ ،             |
|                                                      | ١٨٧ ، ٢٠١ ، ٢٤٩ ،                 |
|                                                      | محمد السقاء ( والد الأمين ) ٢٣٩   |
|                                                      | محمد بن ابراهيم الصقلي صاحب       |
|                                                      | الخمس ، انظر : ابن الشامي         |

|                                 |                              |
|---------------------------------|------------------------------|
| المسيح ، انظر : عيسى بن مريم    | أم معبد ٢٠٢                  |
| ابن المشاط ١٥٤                  | المعتز - العباسي ٢٦٢         |
| المصحفي (جعفر بن عثمان) ٥٨      | ابن المعتز ٣٨ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ،  |
| ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .        | ٢٦٩ ، ٢٩٣                    |
| ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ .        | المعتصم العباسي ٣١ ، ٣٩      |
| ٧٠                              | المعتضد عباد ١٧٠ ، ١٧١ ،     |
| مصعب بن الزبير ٣٨               | ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ،      |
| مصعب بن محمد . انظر : أبو       | ١٩ ، ٢٢١ ، ٢٧٣ ، ٣٧٤ ،       |
| العرب الصقلي                    | ٣٧٥                          |
| المضراس بن ذي النون ١٤٢         | المعتمد بن عباد ١٠٦ ، ١٦٦ ،  |
| أبو المطرف الشعبي (عبد الرحمن   | ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،      |
| ابن قاسم) ٢٧٩ ، ٢٨١ .           | ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،      |
| ٢٨٢ ، ٢٨٣                       | ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٥ ، ٣٢٠ ،      |
| المظفر . انظر : باديس بن حبوس   | ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣٤ ، ٣٤٣ ،      |
| المظفر بن أبي عامر ١٥٧          | ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦٨ ،      |
| المظفر بن المنصور ، انظر : عبد  | ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦              |
| الملك المظفر                    | المعري . أحمد بن سليمان ٨٨ ، |
| المظفر بن الأفطس ١٤٧ ، ١٩٣ .    | ٩٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥٩ ،       |
| معاوية بن أبي سفيان ١٨٦ ، ٢٢٥ . | ٢٥٩ ، ٢٩٥ ، ٣٣٨ ، ٣٥٤        |
| ٢٦٤                             | المعز بن باديس ٨١ ، ٨٨ ،     |
| معبد المغني ٢٧                  | ٨٩ ، ٩٥                      |
| معبد بن الصمة (أخو دريد) ٢٠٢    | معز الدولة المرداسي ٨٨ ،     |
|                                 | ١١٠ ، ١١١                    |

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،

٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ،

٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ،

٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٦ -

( ٧٨ ) ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤

منندس بن غندشلب ٨٤

المهدي بن عبد الجبار ٧٨

مهلهل بن ربيعة ٣٦٩

موسى (الكليم) ١٧٩ ، ٢٨٧ ،

٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٥١

موسى بن نصير ٥٦

مؤمل ١٥٣

مؤمن بن سعيد ٤٣

مية (صاحبة ذي الرمة) ١٩٧ ،

٢١٩ ، ٢٢٠

ميسور الصقابي ٣٤

ميمون بن قيس الأعشى ٢٠١

- ن -

النايفة الجعدي ٢٠٠

النايفة الذبياني ٢٠٠ ، ٣٠٦ ،

٣٧٠

معز الدولة ( بن علي بن مجاهد )

٢٦٧

معز الدولة ابن المظفر ، انظر :

المقتدر بن هود

المغامبي ١٦٨

ابن مغيث ١٦٣

المغيرة بن الناصر ٥٧ ، ٥٨ ،

٦٥

مفرج العامري ٥١ ، ٥٢

المقتدر بن هود ٢٦٣ ، ٢٦٥ ،

٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ،

٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣

ابن المقدم ٣٦٦

الملك الضليل ، انظر : امرؤ القيس

منشا بن ابراهيم ٩٣

المنذر اللخمي ٢٦٢

منصور الفقيه ٣٥٢

المنصور الصغير ( حفيد ابن أبي

عامر ) ٢١٨

المنصور الكبير ( محمد بن أبي عامر )

٨ ، ٩ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ،

١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ،

٢٣٠ ، ٢١٨ ، ٢١٠ ، ١٩٨

هدبة بن الحشرم ٣٨

أبو هريرة ١٨٧ ، ١٨٨

هشام ( ابن أخي المصحفي ) ٦٦

هشام بن الحكم ٥٤ ، ٥٥ ،

٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤

٦٥ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ،

٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٩٠

هند ٣٥٨

- و -

الوأواء الدمشقي ٢٩٠

الواساني ٩١

واضح الفتى العامري ٨٤ ، ١٤٢

وليد بن عبد الوارث البكري ٣٦٦

ابن وهب ٣٥

ابن وهبون ، عبد الجليل ١٠٦ ،

٢٨٦ ، ٣٤٦ ، ٣٧٦

- ي -

يحيى ( حفيد المأمون بن ذي النون )

انظر : القادر بالله

٥٧ الناصر الأموي ، عبد الرحمن

٦٨ ، ٢٦٣

نجم الوصيف ٣٤

أبو النجم المعجلي ١٧٨

النحلي ، أبو الوليد ٣٦٨

فرجس العامرية ٤٨

نسيم ( غلام البحري ) ٣٧٥

نصيب ١٩٧ ، ٢٠٤

نعم ( في شعر ) ٢٦٠

النعمان بن المنذر ٢٦٢

النوايف ( من الشعراء ) ١٩٧

أبو نواس ( الحسن بن هانيء )

٢٢ ، ٢٣ ، ١٨١ ، ١٩١ ،

١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٦ ، ٢٨٧ ،

٣٢٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥١

نوح ٨٣ ، ١٩٤ ، ٢٧٥

- ه -

هاروت ٢٥٧

هارون ( غلام ) ٢٥٧

هامان ١٦٦

ابن هانيء الأندلسي ، ٩٩

|                              |               |                                |           |
|------------------------------|---------------|--------------------------------|-----------|
| يحيى بن بانو                 | ٣٦٧           | يوسف                           | ١٦١       |
| يحيى بن حمود                 | ١٢٥           | يوسف (النبي)                   | ٣٥٢ ، ٢٢٣ |
| يحيى بن خالد البرمكي         | ١٢            | يوسف بن تاشفين                 | ١٦٩       |
| يحيى بن الزيتوني ، أبو زكريا | ( ٣٧٤ - ٣٧٦ ) | يوسف بن علي                    | ٩١ ، ٩٨٢  |
| ابن يحيى ، أبو الحسن         | ٢٣٦           | يوسف بن القلاس البطليوسي       | ١٥٨       |
| يزيد بن الصعق                | ٥٥ ، ٥٦       | يوسف بن هارون الرمادي ، انظر : | الرمادي   |
| يعقوب (النبي)                | ٣٥٢           | يوشع                           | ٢١٦       |
| يعقوب الكندي الفيلسوف        | ٣٧            |                                |           |



## ٢ - فهرس الأماكن

|                           |                         |
|---------------------------|-------------------------|
| الأندلس                   | ٤ ، ١٠ ، ٨ ، ٧          |
|                           | ٥١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٤  |
|                           | ٦٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢  |
|                           | ٨٤ ، ٨٦ ، ١٢٥ ، ١٣٩     |
|                           | ١٧٠ ، ١٧٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩   |
|                           | ٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٦   |
|                           | ٢٩٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩ ، ٣٦٢   |
|                           | ٣٦٤ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ( وانظر |
|                           | أيضاً : الجزيرة )       |
| ايوان كسرى                | ٣٣٤                     |
| - ب -                     |                         |
| البحر المحيط              | ٢٣٦                     |
| برشلونة                   | ٨٤                      |
| بطليوس                    | ١٦١                     |
| بطيئاس                    | ٣٧٥                     |
| بغداد ( مدينة السلام )    | ٨٧ ، ٨٨                 |
|                           | ٩٥ ، ١١٤ ، ٢٦٢ ، ٣٦٩    |
| - ١ -                     |                         |
| آنة ( نهر )               | ٦٢                      |
| أبو قبيس                  | ١٧٠                     |
| الأبلىق الفرد             | ١٨٣                     |
| أثينيا                    | ١٨٨                     |
| أرملاط                    | ٢٧                      |
| اسبيجاب                   | ١٢٥                     |
| الاسكندرية                | ٨٨                      |
| اشبيلية                   | ٢٠ ، ١٧١ ، ١٧٢          |
|                           | ١٨١ ، ٣٤٣ ، ٣٦٠ ، ٣٦٩   |
| ٣٧٣ ، ( وانظر أيضاً : حمص |                         |
| المغرب )                  |                         |
| أغمات                     | ٣٢٤ ، ٣٧٦               |
| افريقية                   | ٨١ ، ٨٨ ، ١٢٣           |
|                           | ٢٠٩                     |
| اقليش                     | ١٤٢                     |
| المرية                    | ٣٦٦ ، ٣٨٠               |

بلنسية ٨٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،  
١٥٦ ، ١٥٧ ، ٢٢٧ ، ٢٩٧ .

- ت -

تدمر ٢٧٠  
تهامة ١٨٠

- ث -

ثبير ٣٢٤  
الشعر الجوفي ٦٢

- ج -

جرجان ٢١٢ ، ٢٢٦  
الجزائر الشرقية ٥٢  
الجزيرة (الأندلس) ٨ : ١٦٦ .  
١٦٧ . ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٣٦٨  
الجزيرة (صقلية) ٢٩٣  
(وانظر أيضاً : صقلية)  
جلق (الأندلس) ٣٦٢  
جلق (الشام) ٣٦٢  
جليقية ٦٢ . ٦٧ . ٧٣ . ٨٥ .  
١٦٦  
الحمل (يوم) ٢١٨  
جيرون ٩١

- ح -

الحامة (حصن) ٦٢  
الحجاز ٣٥٨  
حجر ٢٢٠ ، ٣٦٩  
حزوى ٢١٩ ، ٢٢٠  
حلب ٨٨ ، ١١٠ ، ١١١  
حمص الغرب (اشبيلية) ١٢٠  
٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٣٢٤ ، ٣٦٢ ،  
٣٦٩ . (وانظر أيضاً : اشبيلية)  
حمص الشام ٣٦٢  
الحنيات ٢٦١ . ٢٧٨  
حومل ٢٦٠

- خ -

خفان ١١٦

- د -

دار الخدمة ٢٤١  
دار اللذة ٢٤٣ ، ٤٤٤  
دارين ٣١١  
دانية ٨٩ ، ٢٥٠ . ٢٦٣ ،  
٢٦٤ . ٢٦٥ . ٢٦٧ ، ٣٧٦

|                             |                 |                       |                    |
|-----------------------------|-----------------|-----------------------|--------------------|
| دجلة                        | ٣٧٣ ، ١٠٦       | زرود                  | ٣٧١                |
| دكول                        | ٣٦٤             | زمزم                  | ٣٥٨                |
| دمشق                        | ٩١              | الزهراء               | ٦٨ ، ٦٦            |
| الدهناء                     | ٢٢٠ ، ٢١٩       | - س -                 |                    |
| دير عما                     | ٢٧              | سبنة                  | ٧٨                 |
| - ذ -                       |                 | السيبة                | ١١١                |
| ذات البين                   | ٢٢٠             | سجلماصة               | ٣٦٧                |
| ذو سلم                      | ٢٣٤ ، ٢٢٠ ، ١١٧ | سرقسطة                | ٢٦٤ ، ٥٢           |
| - ر -                       |                 | سلا                   | ٣٢٥                |
| الرصافة                     | ٦٦              | سوسة                  | ٢٢٧ ، ١٢٣ ، ٨٩     |
| رضوى                        | ٣٢٤ ، ٢٦٠ ، ١٩  | سويقة بن أبي سفيان    | ٢٣٩                |
| الرها                       | ١٨٣             | - ش -                 |                    |
| روطة (?)                    | ٢٣٣             | الشاذياخ              | ٤٠                 |
| رية (كورة)                  | ٢٨٠ ، ٦٠ ، ٢٨٣  | الشام                 | ٣٦٨ ، ١٨٤ ، ٢٥ ، ٧ |
| ٢٨٣ . (وانظر أيضاً : مالقة) |                 | شامة                  | ١٩٤                |
| - ز -                       |                 | الشجر                 | ١٣٢                |
| الزاب                       | ٢١١ ، ٢٠٩       | الشرق . انظر : المشرق |                    |
| الزاهرة                     | ٤٧ ، ٢١ ، ١٥    | شرق الأنديلس          | ٢٨٠                |
| ٥٢ ، ٥١                     |                 | شقوقرة                | ٣٠٦                |
|                             |                 | شاطيش                 | ٥٥                 |
|                             |                 | شيجتور                | ١٦٣                |

|                                  |                                 |  |
|----------------------------------|---------------------------------|--|
| العدوة ١٣٧                       | - ص -                           |  |
| العدوة القصوى ٦٠                 | صبرة ٢٣٨ ، ٢٦١ ، ٢٧٨            |  |
| العذيب ١١٧                       | صفين ٢٢٥ ، ٣١١                  |  |
| العراق ٧ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ١٩١ ،       | صقلية ٥٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ ،          |  |
| ٣٦٨ ، ٣٧٣                        | ٣٢٦ (وانظر أيضاً : الجزيرة)     |  |
| عسفان ٢٢٠                        | - ط -                           |  |
| العقيق ٣٧٢                       | طرابلس الغرب ٨٩                 |  |
| عكاظ ٣١٥                         | طرسوس ١٢٦                       |  |
| - غ -                            | طيزنا باذ ٢٧                    |  |
| الغرب ١٠١ (وانظر أيضاً : المغرب) | طفيل ١٩٤                        |  |
| غرناطة ١٢٥                       | طليطلة ٧٣ ، ٨٩ ، ١٤٢ ،          |  |
| غليسية ٨٤                        | ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،         |  |
| - ف -                            | ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ،         |  |
| فارس ١٩٩                         | ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،         |  |
| فاس ٣٧٤                          | ١٦٧ ، ٣٥٥                       |  |
| الفرات ٣٨                        | طنجة ٢٤٦ ، ٢٨٣                  |  |
| فيفاء ١١٩                        | الطور ١٧٩                       |  |
| - ق -                            | طيبة ٢٨٠ (وانظر أيضاً المدينة ، |  |
| قرطبة ٩ ، ١٦ ، ٣٤ ، ٤٣ ،         | يثرب)                           |  |
| ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٦٢ ،              | - ع -                           |  |
|                                  | عالج ٢٩٠ ، ٣٧١                  |  |

|                                  |                             |
|----------------------------------|-----------------------------|
| كونكه (قونكه) ١٤٢ ،              | ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ،    |
| ١٥٤ ، ١٥٩                        | ٨٥ ، ٨٦ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ،       |
| - ل -                            | ١٦٩ ، ١٩٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ،     |
| ليونه ٨٥                         | ٢٣٩ ، ٢٦٢ ، ٣٦٢ ،           |
| - م -                            | القسطنطينية ٨٦              |
| مالقة ١٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٧٩ ،          | قشتيلة ٤٥ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ١٦٣ ، |
| ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٤٤            | قطر بل ٢٧ ، ٢١٨ ،           |
| (وانظر أيضاً : رية)              | قلعة رباح ٦٢                |
| متالع ١٩                         | قلمريه ٨٤                   |
| مجريط ١٩٦٣                       | قونكه : انظر : كونكه        |
| المدينة ٨٨ (وانظر أيضاً : طيبة ، | القيروان ٨٩ ، ١١٥ ، ١١٦ ،   |
| يثرب )                           | ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ،     |
| مدينة سالم ٤٥ ، ٦٣ ، ٧٤ ،        | ١٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،     |
| ٧٥ ، ٨٤ ، ٨٦                     | ٢٤٦ ، ٢٦١ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ،     |
| مدينة السلام . انظر : بغداد      | ٢٩٢                         |
| المربد ١٢٣ ، ١٢٤                 | - ك -                       |
| مرسية ٢٢٠ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥ ،          | كاظمة ١٠٩                   |
| ٣٦٦                              | كبكب ٣٣٢                    |
| مسجد قرطبة الجامع ١٦٩            | الكعبة ١٨٢                  |
| ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥                  | كلواذى ٢٧                   |
| مشرف ٢١٩                         | الكوفة ١٩٣                  |

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| - ه -                      | المشرق ٨ . ١٢ . ٢٣ : ٢٦ .  |
|                            | ٤٠ ، ٤٧ ، ٦١ ، ١٠١ .       |
| الهرمان ١٨٣                | ١١٩ ، ٣٦٨ ،                |
| الهند ٣٦ : ٢٨٩ : ٢٩٧ : ٣١١ | مصر ١٧ ، ٥٠ ، ٨٨ ، ٨٩ .    |
|                            | ٩١ ، ١٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٥١ ،     |
| - و -                      | ٣٦١                        |
|                            | معرة النعمان ٨٨            |
| وادي اشبيلية ١٨١           | المغرب ١٢ : ٥٦ ، ٨١ ، ٨٨ . |
| وبلدة ١٥١ . ١٥٤            | ٣٠٦ ، ٣٦٤                  |
| - ي -                      | المغرب الأقصى ٣٦١          |
|                            | المكرم (مجلس) ١٢٧ ، ١٣٢ .  |
| يابرة (يا بورة) ٣٢         | ١٤٧                        |
| يابسة ٣٧٦                  | منعج ٢٢٠                   |
| يبرين ٣١١                  | المنية المصورة (?) ١٦٤     |
| يثرب ١٩٧ (وانظر أيضاً :    | المهدية ٣٢٦ ، ٣٢٧          |
| المدينة ، طيبة )           | - ن -                      |
| يزبيل ٢٦٠                  | نجد ١٠٢                    |
| يلحلم ١٨٦                  | نجران ٣٨ ، ٢٥١             |
| اليحامة ٢٢٠                | نعمان ٢٩٠ ، ٣١١            |
| اليمن ١٢                   | نقران ٢٥١                  |
|                            | النيل ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٩٠      |

### ٣ - فهرس الطوائف والقبائل والأمم

| - ت -                                                                                                                    | - ا -                                                                                                                                                                                      |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| تغلب ١٩٧ ، ٢٠٠<br>تيم ٣٨ ، ٩٠ ، ١٢٦<br>تميم ٣٨                                                                           | آل أبي عامر ٧٥<br>الأساود ، انظر : السودان<br>بنو أسد ٣٨ ، ٢٣٧<br>الأعراب ٣٢ ، ٣٩<br>الافرنجة ٨٤ ، ٨٥<br>بنو أمية ( الأموية ) ٩ ، ٥٧<br>٧٧ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢٦٢<br>أوس بن تغلب ٣٩<br>إياد ٢٤٧ |
| - ث -                                                                                                                    | - ب -                                                                                                                                                                                      |
| بنو ثعل ٩٤<br>- ج -<br>الجاهليون ( الشعراء ) ٣٠٦<br>جديس ١٥٧<br>جندام ٢٧١<br>جشم ٢٠١<br>الجلالقة ٧٩<br>بنو جهور ٤٣ ، ٢٤٣ | باهلة ١٨٦<br>البرابر ( البرابرة ) ٥٥ ، ٧٩ ، ١٢٥<br>البرابرة العدويون ٨١<br>البغداديون ١٧                                                                                                   |
| - ح -                                                                                                                    |                                                                                                                                                                                            |
| بنو حام ٣١٥ ، ٣٢٠<br>بنو الحديدي ١٥٥                                                                                     |                                                                                                                                                                                            |

اليوم ٢٥ ، ٨٦ ، ٢٦٥ ،

٣٢٦

بنو رياح ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٣٤٨

- ز -

بنو زرارعة ١٩٧

زغبة ٢٣٦ ، ٢٣٧

- س -

سعد ٢٣٧

سعد العشيرة ١٩١

سلول ١٨٦

سليم ٥٣ ، ٥٤

بنو سهل ٢٢٦

السودان ٢٨ ، ٥٢ ، ٧٤ ، ٢٣٧

السودان الرقاصة ٧٤

- ش -

بنو الشامي ٣١٨

- ص -

الصقلب (الصقالبة) ١١ ،

٣٤ ، ٦١ ، ٧١ ، ١٢٩

بنو الحسحاس ٣٧٥

بنو حماد ٢٦٥

حمير ١٨٥

- خ -

الخفافون ١٣٧

خولان ٣٦٢

- د -

الدائرة ٢٤١

الدولة الجمهورية ٢٣٨ ، ٢٣٩

الدولة العامرية ٧٠ ، ٧٨ ، ١٤٢

الدولة المظفرية ١٧٧

الديلم ٦١

- ذ -

بنو ذي النون ١٤٢

- ر -

ربيعة ٥٣ ، ٥٤ ، ١٩١

ربيعة الفرس ٨

الرقاصة ٢١٤



|                         |                    |               |           |
|-------------------------|--------------------|---------------|-----------|
| صنهاجة                  | ٨٢                 | عنس           | ١٨٦       |
| - ط -                   |                    | - غ -         |           |
| بنو طاهر (الأندلسيون)   | ٣٦٠                | غسان          | ٢٠١       |
| الطرائفيون              | ٤١                 | بنو غومس      | ٧٣ ، ٨٥   |
| ملوك الطوائف            | ١٥٨ ، ١٦٥ ،        | - ف -         |           |
| ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ٢٤٦ ، |                    | فزارة         | ٥٣ ، ١٩٧  |
| ٢٦٦ ، ٣٦٤               |                    | - ق -         |           |
| - ع -                   |                    | بنو قرة       | ٢٣٦ ، ٢٣٧ |
| عاد                     | ٢٧٠                | قريش          | ١٤٤ ، ١٩١ |
| بنو عامر (القبيلة)      | ٣١ ، ١١١           | القوالون      | ١١٠ ، ١٢٢ |
| بنو عباد                | ٢٦٢                | قيس           | ٣٧١       |
| بنو (ولد) العباس        | ٢١ ، ٥٧ ، ٦١       | - ك -         |           |
| العباسية                | ٢١٠                | كنندة         | ٣٧١       |
| بنو عيس                 | ٣٦                 | - ل -         |           |
| آل عثمان (المصحفيون)    | ٦٦                 | لخم           | ٢٦٢       |
| العجم                   | ٦٩ ، ٧٩            | - م -         |           |
| العدنانية               | ٥٣                 | مالك بن حنظلة | ٢٠٣       |
| العرب                   | ٩ ، ٢٠ ، ٣٣ ، ٥٣ ، |               |           |
| ١٨٦ ، ٢٠٧ ، ٣٥٢         |                    |               |           |
| عكل                     | ١٨٦                |               |           |
| هنو العنبر              | ١٩٠                |               |           |

|                          |                             |
|--------------------------|-----------------------------|
| - ه -                    | المحدثون (من الشعراء) ١٤١ ، |
|                          | ٣٠٦ ، ٣١٦ ، ٢٠٤             |
| ١٤٤ الهاشميون (بنو هاشم) | المخضرمون ٣٠٦ ، ٢٠٤         |
| ٢٨٣                      | المرابطون ٣٦٤               |
| هذيل ٢٤٧                 | المربديون ١٢٤               |
| ١١٦ الهرايد (الموايد ؟)  | بنو مروان (الروانية) ٥٧ ،   |
| بنو هلال ٢٣٦             | ٨٦ ، ٢٠٣ ، ٢١٠              |
| الهنود ٨٧                | المسلمون ٧١ ، ٨٥ ، ٨٦ ،     |
| الهوازنة ٢٥٧             | ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،     |
| بنو هود ٢٧٢              | ١٩١                         |
| - و -                    | المصريون ١٢١                |
|                          | مضر ١٨٥ ، ١٩١ ، ٣٠٣         |
| ٢٠٩ ، ١٨٣ وائل           | بنو مناد ٢٦٥                |
| بنو وهب ٢٢٣              | المولدون (من الشعراء) ٣٠٦   |
| - ي -                    | - ن -                       |
| بنو يربوع ٢٢٦            | نزار ٣٥١                    |
| ٣٠٣ ، ١٩١ يمن            | النصارى (جموع النصرانية)    |
|                          | ٦٢ ، ٦٦ ، ٨٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨    |

#### ٤ - فهرس الكتب المذكورة في المن

- ١ - أبكار الأفكار لابن شرف القيرواني ١٧١ ، ١٧٧ ، ١٧٩
- ٢ - الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضل الصقالبة لحبيب الصقلي ٣٤
- ٣ - أعلام الكلام لابن شرف القيرواني ١٧١ ، ١٧٩
- ٤ - ألف غلام للشعالبي ٩٩
- ٥ - الانجيل ١٨٤
- ٦ - الدالية (قصيدة) لابن الجهم ٢٦٠
- ٧ - رسالة للمراي في الرد على البقري ٣٦٦
- ٨ - الرصافية (قصيدة) لابن الجهم ٢٠٦
- ٩ - سهم الشهم (قصيدة) للحصري ٢٥٠
- ١٠ - الفصوص لصاعد البغدادي ٩ ، ١٥ ، ١٦
- ١١ - قراضة الذهب لابن رشيق ٢٣٠
- ١٢ - كتاب سيوييه ١٤
- ١٣ - المعلقات ٢٠٠
- ١٤ - مكفرات ابن عبد ربه ٢١٠
- ١٥ - النكت للصغاني (كتاب وهمي) ١٥
- ١٦ - النوادر لأبي علي القالي ١٥
- ١٧ - اليتيمة للشعالبي ٨ ، ٨٩

## ٥ - فهرس القوافي

### - أ -

|     |                    |             |          |
|-----|--------------------|-------------|----------|
| ٢٩٧ | التهامي            | الكامل      | سماء     |
| ٢١٩ | ابن شرف            | الطويل      | وفياء    |
| ١١٦ | حسان               | الوافر      | لحاء     |
| ٢٩٤ | البحثري            | الكامل      | الأعداء  |
| ٣٧٩ | ابن العطار اليايسي | الكامل      | لألاء    |
| ٢٥٤ | الحصري الكفيف      | مجزوء الرمل | الخطاء   |
| ١٩٩ | ابن حلزة           | الخفيف      | ضوضاء    |
| ٢٧٤ | الحصري الكفيف      | الكامل      | بالإيماء |

### - ب -

|     |                    |          |        |
|-----|--------------------|----------|--------|
| ٣٣٩ | ابن حمديس          | المتقارب | لهب    |
| ٣٢٩ | ابن حمديس          | الطويل   | وركابا |
| ٣٢٢ | أبو نواس           |          | كوكبا  |
| ١١٢ | أبو الفضل البغدادي | البسيط   | شربا   |
| ٣٧٦ | ابن العطار اليايسي | «        | لهبا   |
| ٣٥٢ | منصور الفقيه       | «        | خربة   |
| ٣٤٦ | ابن وهبون          | الوافر   | الذنوب |

|     |                    |             |          |
|-----|--------------------|-------------|----------|
| ٣٥٨ | الحكيم المصري      | الوافر      | العجيبا  |
| ٣٢٨ | ابن حمديس          | الوافر      | اليابابا |
| ٢٥٦ | ابن هانيء الأندلسي | الكامل      | تصابي    |
| ٢٩٨ | ابن الرومي         | السريع      | أنجبا    |
| ٢٧٤ | الحصري الكفيف      | الخفيف      | قضييا    |
| ٣٤٨ | —                  | المجث       | قلبا     |
| ٩٠  | المعري             | الطويل      | وأدرب    |
| ٩٠  | المعري             | »           | وتشرب    |
| ١٠١ | أبو الفضل البغدادي | »           | غرب      |
| ٣٠٧ | عبيد الله بن طاهر  | »           | لهازب    |
| ٣٠٧ | المتنبي            | »           | ذهاب     |
| ١٧٦ | أبو تمام           | البيسط      | سلب      |
| ٣٠٧ | سعيد بن حميد       | »           | ويرتكب   |
| ١١٨ | أبو الفضل البغدادي | »           | مصلوب    |
| ٢٥٣ | الحصري الكفيف      | مخلع البسيط | غريب     |
| ٣٥٨ | الحكيم المصري      | مخلع البسيط | والحيوب  |
| ١٣  | أبو تمام           | الكامل      | المركب   |
| ٦٩  | المصحفي            | »           | يتقلب    |
| ٣٠٧ | البحري             | »           | يسلبوا   |
| ٣٣٩ | ابن حمديس          | »           | أشرب     |
| ٣٤١ | ابن حمديس          | »           | الغيب    |
| ٢٧٧ | الحصري الكفيف      | المجث       | ربيه     |

|     |                    |          |          |
|-----|--------------------|----------|----------|
| ١٢  | صاعد               | المتقارب | والكوكبُ |
| ٣٤٤ | الحكيم المصري      | المتقارب | صوابُ    |
| ٣٢٦ | ابن حمديس          | الطويل   | فحاربِ   |
| ١٨٠ | أبو الأسود الدؤلي  | »        | بليبي    |
| ٣٥١ | أبو نواس           | »        | بنصيب    |
| ٣٥٣ | —                  | »        | قلوب     |
| ١٠٨ | كشاجم              | »        | حرب      |
| ٢٨٥ | البحري             | »        | الصبّ    |
| ٣٤٥ | —                  | »        | باللب    |
| ٢١٥ | ابن شرف            | »        | مكروب    |
| ٢٢٥ | ابن شرف            | البسيط   | عرقوبِ   |
| ٢٢٣ | —                  | »        | الكذب    |
| ٣٠٠ | البستي             | »        | والحرب   |
| ٣٠٥ | أبو العرب الصقلي   | »        | والأدبِ  |
| ٣٥٢ | الحكيم المصري      | »        | العرب    |
| ١١٥ | أبو الفضل البغدادي | الوافر   | الثياب   |
| ٣٠٥ | أبو العرب الصقلي   | »        | والطلاب  |
| ٢٧٠ | الحصري الكفيف      | »        | الغريب   |
| ٩٦  | أبو الفضل البغدادي | الكامل   | حجاب     |
| ١٠٧ | —                  | »        | تغرب     |
| ٣٣١ | ابن حمديس          | »        | المطلب   |
| ٢٥٦ | أبو بكر الخالدي    | »        | بخضابه   |

|     |                    |              |         |
|-----|--------------------|--------------|---------|
| ٣٤٩ | —                  | مجزوء الكامل | المثاب  |
| ٣٥٩ | الحكيم المصري      | الرمل        | بطبيب   |
| ١١٩ | أبو الفضل البغدادي | السريع       | هبي     |
| ٢٩٤ | —                  | »            | بالصاحب |
| ٨٦  | صاعد               | المنسرح      | بالكتب  |
| ٣٤٠ | ابن حمديس          | »            | تعذبها  |
| ٢٠  | —                  | الخفيف       | عتابي   |
| ٣٢٣ | ابن صارة           | الخفيف       | بجباب   |
| ٣١٢ | —                  | الخفيف       | والكروب |
| ٢٢٧ | ابن شرف            | المجثث       | المجيب  |
| ٩٨  | —                  | المتقارب     | مصاب    |
| ٢٧٢ | الحصري الكفيف      | »            | الكاذب  |
| ٢٤٧ | ابن الرومي         | »            | انيابها |

— ت —

|     |                  |               |            |
|-----|------------------|---------------|------------|
| ٣٩  | تميم بن جميل     | الطويل        | أُتلفتُ    |
| ٢٧٧ | الحصري الكفيف    | البسيط        | ماتوا      |
| ٢٩٢ | الحلاواني        | الكامل        | زفراته     |
| ٧٠  | المصحفي          | الكامل المرفل | متّ        |
| ٢٦٩ | الحصري الكفيف    | مجزوء الرمل   | المكرّماتُ |
| ٣٨٩ | مرة بن محكان     | الطويل        | اشمعلتِ    |
| ٢٥٧ | أبو بكر الخولاني | الخفيف        | الثقات     |

- ث -

|     |                     |             |      |
|-----|---------------------|-------------|------|
| ٢٢٧ | ابن شرف أو ابن رشيق | الكامل      | حديث |
| ٢٤٩ | الحصري الكفيف       | مخلع البسيط | خبيث |

- ج -

|     |                    |              |         |
|-----|--------------------|--------------|---------|
| ٩٥  | أبو الفضل البغدادي | الكامل       | مضرجا   |
| ٢١٧ | الناهي             | السريع       | والزيجا |
| ٢٧٤ | الحصري الكفيف      | مجزوء الوافر | الفرج   |
| ٢٩٠ | -                  | السريع       | عالج    |
| ١٠٢ | أبو الفضل البغدادي | الكامل       | الديباج |
| ٣٢٦ | -                  | المنسرح      | المهج   |

- ح -

|     |               |        |        |
|-----|---------------|--------|--------|
| ٣٣٦ | ابن حمديس     | الرجز  | الفرح  |
| ٣٢٣ | ابن حمديس     | السريع | المراح |
| ٣٢٤ | ابن حمديس     | الطويل | صحا    |
| ٢٦٨ | الحصري الكفيف | الوافر | فلاحا  |
| ٣٣٨ | المعري        | الوافر | جريحا  |
| ٢٣٦ | ابن شرف       | الطويل | جراح   |
| ٣٤٩ | الحكيم المصري | الطويل | ينوح   |
| ٢٨١ | الحصري الكفيف | المديد | نازحه  |
| ٣٤٨ | الحكيم المصري | الوافر | الصلاح |



|     |               |        |        |
|-----|---------------|--------|--------|
| ٢٧٥ | الحصري الكفيف | الوافر | تنوخ   |
| ٣٧  | ابن الرومي    | البسيط | تأويح  |
| ٥٤  | صاعد          | الوافر | الرماح |
| ٩٨  | جريز          | الوافر | مراحي  |
| ٢٤٨ | —             | الوافر | الرياح |
| ٢٥٩ | المعري        | المجث  | براح   |
| ٢٥٩ | الحصري الكفيف | المجث  | بطاح   |

- خ -

|     |               |              |     |
|-----|---------------|--------------|-----|
| ٢٧٥ | الحصري الكفيف | مجزوء الخفيف | أخـ |
|-----|---------------|--------------|-----|

- د -

|     |                    |             |        |
|-----|--------------------|-------------|--------|
| ٢١٨ | ابن هانيء الأندلسي | الرمل       | فحسد   |
| ١٠٢ | أبو الفضل البغدادي | الطويل      | نجد    |
| ٢٣٧ | العباس بن الأحنف   | البسيط      | أبدا   |
| ٢٣٢ | ابن الزبير أو غيره | الوافر      | سودا   |
| ٢٦٩ | الحصري الكفيف      | الكامل      | زادا   |
| ٣٥٧ | الحكيم المصري      | السريع      | والصدا |
| ٢٨٥ | الحلواني           | الخفيف      | شديدا  |
| ٣٧١ | الفكيك             | الطويل      | رعود   |
| ٢٢٤ | المتنبى            | الطويل      | بد     |
| ٢٨٨ | الحلواني           | مخلع البسيط | السواد |

|     |                    |              |         |
|-----|--------------------|--------------|---------|
| ٢٠٨ | الفرزدق            | الوافر       | العبيد  |
| ١٠٦ | السلامي            | الوافر       | تقاد    |
| ٣٥٥ | الحكيم المصري      | الكامل       | المورد  |
| ٣٢٣ | ابن حمديس          | الكامل       | عوده    |
| ٣٦٦ | أبو بكر المرادي    | مجزوء الكامل | الوليد  |
| ٣١٣ | ابن الصباغ الصقلي  | الرجز        | قمد     |
| ٣٦٧ | الفكيك             | المتقارب     | الهدهد  |
| ١٢٤ | الحبز أرزي         | المتقارب     | تيجدوا  |
| ٣٨٢ | التهامي            | الطويل       | وتغتدي  |
| ٢٩٥ | عدي بن زيد         | «            | مقتد    |
| ٢٩٤ | أبو تمام           | «            | حامد    |
| ٣٦  | الفرزدق            | «            | شاهد    |
| ١٣  | —                  | «            | القد    |
| ١٤  | المتنبي            | «            | القد    |
| ١٠٠ | ابن أبي سمرة       | «            | صدها    |
| ٢٨٦ | الحلواني           | المديد       | جلدي    |
| ١٧٢ | ابن رشيق           | البسيط       | ومعتضد  |
| ١٠٤ | أبو الفضل البغدادي | «            | الحادي  |
| ٢٨٦ | ابن القابلة السبتي | مخلع البسيط  | اعتقادي |
| ١٢٣ | —                  | مخلع البسيط  | فؤادي   |
| ٣٥٠ | المتنبي            | الوافر       | مرادي   |
| ٢٤٧ | —                  | «            | إياد    |

|           |                    |             |         |
|-----------|--------------------|-------------|---------|
| ٢٣٦       | الحصري الكفيف      | الوافر      | الحداد  |
| ١٨١ ، ١٥٦ | صاحب العلوي        | «           | بعيد    |
| ٣٧٠       | أبو الحسن اللحام   | الكامل      | كابلحمد |
| ٢٢٣       | أبو تمام           | «           | المولود |
| ٣٥        | صاعد البغدادي      | «           | صاعد    |
| ١٠٠       | الصنوبري           | «           | قده     |
| ٣٤٠       | ابن حمديس          | «           | صدها    |
| ٢٥٩       | الحصري الكفيف      | مجزوء الرجز | بالأحمد |
| ١٠٠       | أبو الفضل البغدادي | السريع      | عبده    |
| ٣٤٨       | —                  | المنسرح     | ورد     |
| ٣١٧       | —                  | المتقارب    | قصده    |
| ٢٦١       | الحصري الكفيف      | المتدارك    | جلدي    |

— ذ —

|    |                    |         |        |
|----|--------------------|---------|--------|
| ٢٦ | ابن شهيد أبو مروان | المنسرح | أفذاذا |
|----|--------------------|---------|--------|

— ر —

|     |               |          |        |
|-----|---------------|----------|--------|
| ٣٧٠ | كاتب بكر      | المتقارب | اقشعر  |
| ٣٧٠ | الفكيك        | «        | البشر  |
| ٣٤٥ | الحكيم المصري | البسيط   | أعدارا |
| ٣٤٦ | الحكيم المصري | «        | طارا   |
| ٢٩٧ | الحلواني      | الوافر   | نهارا  |

|     |                    |             |         |
|-----|--------------------|-------------|---------|
| ١٢٠ | الرمادي            | الكامل      | فأدراها |
| ١٠١ | أبو الفضل البغدادي | مجزوء الرمل | خمارا   |
| ٢٣١ | ابن شرف            | السريع      | امهارها |
| ٢٧١ | الحصري الكفيف      | المنسرح     | محتضره  |
| ٣٦٨ | النجلي             | المجثث      | دره     |
| ٢٢  | صاعد               | الطويل      | وقتير   |
| ٢٨٤ | الخلواني           | «           | تسير    |
| ٣٢٤ | المعتمد            | «           | قبور    |
| ٣٢٤ | ابن حمديس          | «           | تدور    |
| ٢٦٠ | الحصري الكفيف      | «           | فيزدار  |
| ٣١  | المجنون            | «           | عمرو    |
| ٢٣٠ | أبو تمام           | «           | القفر   |
| ٣٨١ | ابن القابلة السبتي | «           | غبر     |
| ٢٢٠ | ابن شرف            | «           | مسفر    |
| ٣٨١ | ابن القابلة السبتي | «           | ينظر    |
| ٢٣٤ | ابن شرف            | «           | الضرائر |
| ٩٧  | العتابي            | البسيط      | تقصير   |
| ٢٨٥ | الخلواني           | «           | القمر   |
| ٢٩٨ | الخلواني           | «           | والقمر  |
| ٣٥٦ | ابن قاضي ميلا      | «           | الشجر   |
| ١٠٦ | ابن وهبون          | «           | فينهصر  |
| ٩٧  | بشار               | الوافر      | قصار    |

|     |                      |             |          |
|-----|----------------------|-------------|----------|
| ٣٥٠ | الحكيم المصري        | الكامل      | دار      |
| ٢٩٥ | المتنبي              | «           | أنصار    |
| ٣٠٦ | أشجع السلمي          | «           | حذار     |
| ٤٨  | ابو مروان الجزيري    | «           | وتحار    |
| ٩٨  | منصور الفقيه أو غيره | «           | كبير     |
| ٢١٨ | —                    | «           | وأنزر    |
| ٢١٥ | ابن شرف              | مجزوء الرمل | بدر      |
| ٣٥٥ | الحكيم المصري        | السريع      | الخاطر   |
| ١٣  | —                    | الخفيف      | الأسفار  |
| ١٠٥ | أبو الفضل البغدادي   | الطويل      | والبدري  |
| ٢٧٠ | الحصري الكفيف        | «           | الغضنفر  |
| ٣٣٢ | ابن حمديس            | «           | مبصر     |
| ١١٣ | أبو الفضل البغدادي   | «           | الخوافر  |
| ١١٨ | » » »                | «           | كثير     |
| ٣٣٩ | ابن حمديس            | «           | ضمير     |
| ٣٠٢ | أبو العرب الصقلي     | البيسط      | خطر      |
| ٢٥  | صاعد                 | «           | معبار    |
| ١١٨ | أبو الفضل البغدادي   | «           | الازاهير |
| ١٢٠ | الأعمى التطيلي       | «           | قدر      |
| ٢٢٢ | ابن شرف              | «           | العسر    |
| ٢٢٣ | —                    | «           | الذكر    |
| ٣١٤ | القمني               | «           | القصر    |

|     |                     |               |          |
|-----|---------------------|---------------|----------|
| ٢٩٨ | ابن عمار            | البسيط        | والقمر   |
| ٢٣٧ | المعري              | »             | الخصر    |
| ٣٤٧ | الحكيم المصري       | »             | والخبر   |
| ٣٢١ | ابن حمديس           | »             | والخفر   |
| ٤٣  | مؤمن بن سعيد        | »             | سقر      |
| ٣٥٩ | —                   | الوافر        | وخير     |
| ٣٣  | —                   | »             | بغنبشار  |
| ١٩١ | —                   | »             | السري    |
| ٣٤٨ | التهامي             | الكامل        | الاصدار  |
| ٢٥٦ | الخصري              | »             | والمعدور |
| ٢٩٣ | ابن المعتز          | الكامل المرفل | الدهر    |
| ٢٩٣ | ابن أبي طاهر        | مجزوء الكامل  | الغبار   |
| ١٧٩ | أبو النجم العجلي    | الرجز         | شعري     |
| ٢٥  | الببغاء أبو الفرج   | »             | منقارها  |
| ١٧٢ | ابن شرف             | مجزوء الرجز   | بنارهم   |
| ٣٤٥ | الحكيم المصري       | السريع        | والخاطر  |
| ٢٥  | أبو البركات العلوي  | »             | بمنقار   |
| ١٠٢ | أبو الفضل البغدادي  | »             | العطر    |
| ٢٨٧ | الحلواني            | المنسرح       | الكبر    |
| ١٣٦ | الحكيم المصري       | »             | السحر    |
| ٢٩  | المنصور بن أبي عامر | الخفيف        | أبكار    |
| ٣٠  | ابن شهيد أبو مروان  | »             | الجاري   |

|     |                    |          |       |
|-----|--------------------|----------|-------|
| ٢٨٦ | ابن وهبون          | المتقارب | نخيره |
| ١٠٥ | أبو الفضل البغدادي | »        | اضطرا |

- ز -

|     |         |        |        |
|-----|---------|--------|--------|
| ٢١٤ | ابن شرف | الكامل | فأوجزا |
| ٢٨٥ | ابن شرف | »      | عززا   |

- س -

|     |                    |             |         |
|-----|--------------------|-------------|---------|
| ٢٥٨ | الحصري الكفيف      | الوافر      | يسوسا   |
| ١٧  | -                  | المتقارب    | حراسها  |
| ١٧  | صاعد               | »           | نفاسها  |
| ٢٥٢ | الحصري الكفيف      | »           | وقابوسه |
| ٢١  | صاعد               | مجزوء الرمل | وجليس   |
| ٩٦  | أبو الفضل البغدادي | الطويل      | اللمس   |
| ٣٠  | ابن شهيد أبو مروان | الكامل      | الكنس   |
| ٤٨  | أبو مروان الخزيري  | »           | النرجس  |
| ٣٧  | أبو تمام           | »           | اياس    |
| ٣٧٥ | ابن الزيتوني       | »           | ماسه    |
| ١١٨ | أبو الفضل البغدادي | السريع      | أجناس   |
| ١٠٠ | » » »              | »           | نفسه    |

- ص -

|     |                    |        |         |
|-----|--------------------|--------|---------|
| ١٦  | صاعد               | السريع | المفصوص |
| ١٦  | -                  | »      | يفوص    |
| ١١٥ | أبو الفضل البغدادي | الكامل | منغص    |
| ١٨٢ | ابن شرف            | البسيط | القنص   |

- ض -

|     |                 |        |       |
|-----|-----------------|--------|-------|
| ٢٨٣ | الحصري الكفيف   | الطويل | قاص   |
| ٢٧٩ | الحصري الكفيف   | الطويل | ينضي  |
| ١٧٢ | ابن شرف         | السريع | بغضهم |
| ٢٢٧ | السميسر أو غيره | المجث  | غموضي |

- ط -

|     |                    |         |       |
|-----|--------------------|---------|-------|
| ٩٥  | أبو الفضل البغدادي | الطويل  | محطها |
| ٢٧٦ | الحصري الكفيف      | المنسرح | لقطا  |
| ٢٣٠ | سليمان بن حسان     | الوافر  | تقط   |

- ع -

|     |                   |          |        |
|-----|-------------------|----------|--------|
| ٢٣٣ | امرؤ القيس        | الطويل   | أروعا  |
| ٨٩  | الصاحب أبو القاسم | المتقارب | ساعه   |
| ٣٠٦ | النابعة الذبياني  | الطويل   | واسع   |
| ١٧٦ | أبو تمام          | »        | أبايعه |



|     |                    |          |         |
|-----|--------------------|----------|---------|
| ١٧٦ | ابن الزيات         | الطويل   | بائعه   |
| ٣١٤ | القعيني            | البسيط   | أودعه   |
| ٢٨٢ | الحصري الكفيف      | الكامل   | المرباع |
| ٢٩٨ | الحلواني           | المتقارب | تسمع    |
| ١٠٥ | أبو الفضل البغدادي | الطويل   | منعي    |
| ٢١٦ | ابن شرف            | »        | يوشع    |
| ٣٦٣ | ابن صارة           | »        | شفيع    |
| ٤٩  | —                  | الوافر   | بالصراع |
| ٢٢٦ | ابن شرف            | الكامل   | يربوع   |
| ٤٩  | أبو مروان الجزيري  | »        | نياعه   |
| ١٩٤ | —                  | »        | الوداعه |
| ٢٩٥ | أبو الفضل البغدادي | السريع   | الطالع  |
| ١٤٨ | الشريف الرضي       | الخفيف   | بسمعي   |

- غ -

|     |                   |          |        |
|-----|-------------------|----------|--------|
| ٣٦  | أبو حاتم الحنجاري | المنسرح  | اسوغ   |
| ٢٥٣ | الحصري الكفيف     | المجث    | البلغ  |
| ٣٦٧ | أبو بكر المرادي   | المتقارب | الأصبع |

- ف -

|     |                   |         |      |
|-----|-------------------|---------|------|
| ٢٣٠ | ابن هانيء         | الطويل  | تطنا |
| ٤٢  | ابن شهيد أبو عامر | المنسرح | صدفا |

|     |               |        |       |
|-----|---------------|--------|-------|
| ١٨  | صاعد          | الطويل | خائف  |
| ٣٣٨ | ابن حمديس     | الطويل | مجوف  |
| ١٠٨ | —             | الطويل | الحنف |
| ٢٢٦ | ابن شرف       | البسيط | صاف   |
| ٢٥٥ | الحصري الكفيف | الوافر | تكافي |
| ٢٢١ | ابن شرف       | الكامل | طوافي |
| ٢٨٨ | ابن الطلاء    | السريع | تتنف  |
| ٤٤  | ابن عبدون     | المجث  | عزف   |

— ق —

|     |                   |              |         |
|-----|-------------------|--------------|---------|
| ٢٢٦ | ابن شرف           | مجزوء الكامل | السوابق |
| ٥٦  | قيس بن زهير       | المتقارب     | الصعق   |
| ١١٠ | —                 | البسيط       | وميثاقا |
| ٣٦  | أبو مروان الجزيري | المتقارب     | المغدقة |
| ٢٢٦ | ابن شرف           | الطويل       | سوابق   |
| ٢٣٢ | »                 | »            | ويطرق   |
| ٢٣٦ | »                 | »            | أفاويق  |
| ٢٢٤ | »                 | الوافر       | الطليق  |
| ٢١  | صاعد              | البسيط       | وأوراق  |
| ٤٦  | أبو مروان الجزيري | الكامل       | الأوثق  |
| ٢٨٠ | الحصري الكفيف     | المتقارب     | الشقيق  |
| ٢٣  | المتنبى           | الطويل       | ومشرق   |

|     |                    |         |          |
|-----|--------------------|---------|----------|
| ٢٦٩ | ابن المعتز         | الطويل  | بعثيق    |
| ١٠٧ | أبو الفضل البغدادي | البسيط  | كالفلق   |
| ١٠٩ | أبو الفضل البغدادي | »       | السرّ    |
| ٣٧٨ | ابن العطار اليابسي | »       | اللعق    |
| ٢١  | صاعد               | الوافر  | العقيق   |
| ٣٦٠ | ابن الطلاء         | الكامل  | بقي      |
| ٢٦٨ | الحصري الكفيف      | »       | أخلاقه   |
| ١٢٢ | العباس بن الأحنف   | السريع  | يخلق     |
| ٩٦  | أبو الفضل البغدادي | المنسرح | القلق    |
| ٣١٢ | ابن الرومي         | »       | والحدق   |
| ٣٦٣ | أبو حاتم الحجاري   | »       | الأفق    |
| ٢٢  | ابن زرارة          | الخفيف  | صديقي    |
| ١٠٤ | أبو الفضل البغدادي | الخفيف  | بالإشراق |

— ك —

|     |                    |         |         |
|-----|--------------------|---------|---------|
| ٣٥٦ | الحكيم المصري      | السريع  | الفلك   |
| ٣٨١ | ابن القابلة السبي  | »       | الملك   |
| ٣١١ | ابن الصباغ الصقلي  | الوافر  | سواكا   |
| ٢٨  | ابن شهيد أبو مروان | الرملي  | مستهلكا |
| ٢٨٧ | الحلواني           | المنسرح | الفتكة  |
| ٣٣٦ | ابن حمديس          | »       | شركة    |
| ٢٥٢ | ابن الطراوة        | الطويل  | عالك    |

|     |                   |              |       |
|-----|-------------------|--------------|-------|
| ٣٤٠ | ابن حمديس         | الرمل        | حركه  |
| ٣٤١ | ابن حمديس         | مجزوء الكامل | ومسك  |
| ١٢١ | السلامي           | المنسرح      | ملك   |
| ٣٢٢ | الحسين بن الضمحاك | »            | الفلك |

— ل —

|     |                            |             |          |
|-----|----------------------------|-------------|----------|
| ٣٣٤ | ابن حمديس                  | الطويل      | قتلا     |
| ٣٠٦ | أبو العرب الصقلي           | الطويل      | الأناملا |
| ٣٠٢ | »                          | البيسط      | حملا     |
| ٣٨٠ | ابن القابلة السبي          | مخلع البيسط | حلا      |
| ١٠٣ | أبو الفضل البغدادي أو غيره | الكامل      | وبلا بلا |
| ١٠٧ | أبو الفضل البغدادي         | الكامل      | أعزلا    |
| ٣٢٠ | ابن حمديس                  | الكامل      | المندلا  |
| ١١٣ | أبو الفضل البغدادي         | الكامل      | قليلا    |
| ٢٢٧ | ابن شرف                    | الخفيف      | يصلى     |
| ٣٦٧ | أبو بكر المرادي            | الخفيف      | وقالا    |
| ٢٤٧ | العباس بن الأحنف           | المتقارب    | جميلا    |
| ٢٥٩ | المعري                     | الطويل      | والحمائل |
| ٣٥٣ | الحكيم المصري              | الطويل      | حبائل    |
| ٢٦٩ | ابن المعتز                 | الطويل      | الليل    |
| ١٤٠ | ابن شرف                    | الطويل      | غفل      |
| ٣٢٥ | ابن حمديس                  | الطويل      | القتل    |

|     |                    |             |        |
|-----|--------------------|-------------|--------|
| ١١٠ | أبو الفضل البغدادي | الطويل      | سؤال   |
| ٣٠٢ | —                  | البسيط      | والدول |
| ٤٠  | ابن شهيد أبو عامر  | مخلع البسيط | نبيل   |
| ١١  | صاعد               | الكامل      | زليل   |
| ٢١٧ | ابن اللبانة        | »           | تعديل  |
| ١٠٨ | أبو الفضل البغدادي | الرجز       | مثالته |
| ٢٥٦ | الحصري الكفيف      | المنسرح     | مفسول  |
| ٣٤٦ | الحكيم المصري      | »           | المقل  |
| ٩٩  | أبو الفضل البغدادي | المجث       | الجمال |
| ٢٦٠ | الحصري الكفيف      | الطويل      | حومل   |
| ٣٠٨ | عبد الله بن حجاج   | »           | حابل   |
| ٣٣  | امرؤ القيس         | »           | مرجل   |
| ٩٠  | الحكيم المصري      | »           | وبل    |
| ٣٧٢ | الفكيك             | »           | العذل  |
| ٣٥٤ | المعري             | »           | سبيل   |
| ٣٧٤ | الفكيك             | البسيط      | أحوالي |
| ١٨٢ | أبو نواس           | »           | بالنيل |
| ٢٢٢ | ابن شرف            | »           | الأسل  |
| ٣٦٠ | ابن الطلاء         | »           | عللي   |
| ٢٠  | المتنبي            | الوافر      | قبلي   |
| ٢٥١ | المتنبي            | »           | دليل   |
| ٢٢٤ | ابن شرف            | »           | سبيل   |

|     |                    |              |        |
|-----|--------------------|--------------|--------|
| ١٢٧ | عبد العزيز السوسي  | الكامل       | الأجلا |
| ٢٣٥ | أبو تمام           | الكامل       | بحالي  |
| ٣٥  | صاعد               | "            | مذلل   |
| ٢٣٣ | ابن شرف            | "            | متأمل  |
| ٢٣٤ | جزيو               | "            | يسأل   |
| ٢٣٤ | أبو تمام           | "            | الأول  |
| ١٢٠ | ابن الرومي         | مجزوء الكامل | بمناله |
| ٢١٨ | ابن شرف            | الرميل       | ينجلي  |
| ٢١٨ | ابن شهيد أبو عامر  | الرجز        | خليلي  |
| ١٤  | أبو تمام           | "            | وهزله  |
| ٩١  | الواساني           | المنسرح      | الحمل  |
| ١٠٤ | أبو الفضل البغدادي | المتقارب     | الأقل  |

- م -

|     |                    |             |          |
|-----|--------------------|-------------|----------|
| ٣٤٧ | -                  | الرجز       | السيم    |
| ٢٥٥ | الحصري الكفيف      | السريع      | سقيم     |
| ١١٧ | أبو الفضل البغدادي | المتقارب    | سلم      |
| ٧٠  | المصحفي            | الطويل      | تندما    |
| ٢٧٠ | الحصري الكفيف      | الطويل      | تهدما    |
| ١٠٣ | ابن رشي            | مخلع البسيط | حساما    |
| ٢١٦ | أبو نواب           | الحفيف      | التحكيما |
| ٢٩٢ | الحلواني           | "           | السقيما  |

|     |                    |              |          |
|-----|--------------------|--------------|----------|
| ٢١٧ | المتنبي            | الطويل       | ينجم     |
| ٢٩٧ | الحلواني           | "            | يحلّم    |
| ٣٦٩ | الفكيك             | "            | يعظم     |
| ٦٩  | المصحفي            | البسيط       | والندم   |
| ٦٩  | أبو مروان الجزيري  | "            | الكرم    |
| ٢٩١ | الحلواني           | "            | الظلم    |
| ٣٧٣ | الفكيك             | "            | مقسوم    |
| ٢٧٣ | الحصري الكفيف      | مجزوء الرمل  | الكريم   |
| ٣٠٤ | الطبي              | الخفيف       | الكلام   |
| ٣٧  | القرزوق            | الطويل       | المغارم  |
| ٢٩٩ | الحلواني           | "            | المباسم  |
| ٣٠٣ | أبو العرب الصقلي   | "            | والمتمسم |
| ٣٦٦ | أبو بكر المرادي    | "            | المبرسم  |
| ٩٧  | أبو الفضل البغدادي | "            | الدهم    |
| ٢٣٤ | الشريف الرضي       | البسيط       | سلم      |
| ٢٠٠ | —                  | "            | كلثوم    |
| ١٢٠ | سليمان الصقلي      | الوافر       | الحمام   |
| ٣١٨ | ابن الصباغ الصقلي  | "            | المرام   |
| ٣٥٠ | الحكيم المصري      | "            | بالسليم  |
| ٢٧٨ | أبو نواس           | مجزوء الوافر | معلمه    |
| ٢٩٤ | ابن لنكك           | الكامل       | الأيام   |
| ١٦  | —                  | "            | غمام     |

|     |            |          |          |
|-----|------------|----------|----------|
| ٢١٦ | ابن شرف    | الكامل   | كالتهويم |
| ٩٨  | ابن الرقاع | »        | القاسم   |
| ٣٢٣ | ابن صارة   | »        | مرامها   |
| ٣٤١ | ابن حمديس  | المتقارب | الزحام   |

- ن -

|     |                          |              |           |
|-----|--------------------------|--------------|-----------|
| ٣٥٩ | الحكيم المصري            | السريع       | الموان*   |
| ١٩٠ | قريط بن أنيف             | البسيط       | هانا      |
| ٢٥٧ | الحصري الكفيف            | مجزوء الرمل  | فتونا     |
| ٢٥٩ | الحصري الكفيف أو المعتمد | مجزوء الرجز  | جاهنا     |
| ٤٧  | أبو مروان الجزيري        | السريع       | منه       |
| ٢٢  | صاعد                     | المنسرح      | أنا       |
| ٢٥٨ | الحصري الكفيف            | مجزوء الخفيف | للهاوزنة* |
| ٣٥٤ | الحصري الكفيف            | الطويل       | الرياحين* |
| ١٢١ | العباس بن الأحنف         | البسيط       | الحسن*    |
| ١١٦ | أبو الفضل البغدادي       | الوافر       | خوون      |
| ٢٣٧ | ابن شرف                  | »            | دقين*     |
| ١١٦ | أبو الفضل البغدادي       | الكامل       | سلطان     |
| ٢٩٤ | الحلواني                 | »            | ندمانه*   |
| ٢٥٨ | الحصري الكفيف            | السريع       | وسلاطين   |
| ٢٨٩ | الحلواني                 | »            | العين     |
| ٩٧  | أبو الفضل البغدادي       | الخفيف       | الظنون*   |



|     |                        |              |          |
|-----|------------------------|--------------|----------|
| ٢٥٨ | الحصري الكفيف          | الحفيف       | ياسمين   |
| ١٢  | أبو الغزور الاعرابي    | الطويل       | وتنصرفان |
| ١٢٥ | —                      | »            | فيأثلمان |
| ١٢٦ | —                      | »            | هجان     |
| ٢٢٠ | عروة بن حزام           | »            | تنهجان   |
| ٢٧٦ | الحصري الكفيف          | »            | القمران  |
| ٢٩٩ | —                      | »            | يدان     |
| ٣٥٠ | أبو نواس               | »            | نعني     |
| ٢٥٢ | الحصري الكفيف          | البسيط       | ألفاني   |
| ٢٢٥ | ابن رشيق               | »            | ضنين     |
| ٢٨٩ | الحلواني               | »            | وينغريني |
| ٣٦٢ | ابن الطلاء             | »            | ميزاني   |
| ١٠٣ | أبو الفضل البغدادي     | مجزوء الوافر | مرتبن    |
| ١٠٣ | علي ( غلام أبي الفضل ) | »            | يخنر     |
| ٢٥٦ | ابن الرومي             | الكامل       | الشبان   |
| ٢٩٩ | الحلواني               | »            | وهوان    |
| ٢٣٠ | —                      | »            | زمانه    |
| ٢٥٤ | الحصري الكفيف          | مجزوء الكامل | لساقني   |
| ٣١١ | ابن الصباغ             | الهزج        | دارين    |
| ٢٥٧ | الحصري الكفيف          | السريع       | فاتي     |
| ٣١٦ | —                      | »            | جون      |
| ٢٩٠ | الوأواء                | المنسرح      | أين      |

|     |                    |          |          |
|-----|--------------------|----------|----------|
| ١٠٦ | أبو الفضل البغدادي | الخفيف   | استبطاني |
| ١٠٨ | " "                | "        | وان      |
| ٣٦٠ | ابن الطلاء         | المتقارب | شينها    |

— ه —

|     |               |              |         |
|-----|---------------|--------------|---------|
| ١٢٢ | القراطيسي     | السريع       | الولاه  |
| ٢٨٨ | الحلواني      | "            | راحتيه  |
| ١١٩ | سليمان الصقلي | الطويل       | كرها    |
| ٣٧٥ | ابن الزيتوني  | البسيط       | تجربها  |
| ٣٥٩ | الحكيم المصري | مجزوء الرمل  | مقلتيها |
| ٢٨٣ | الحصري الكفيف | السريع       | وماضيها |
| ٢٨٧ | الحلواني      | المتقارب     | شفاها   |
| ٣٤٤ | —             | الوافر       | فيه     |
| ٣٥٩ | —             | "            | عارضيه  |
| ١٢١ | ابن يونس      | الكامل       | عليه    |
| ٣٨  | ابن المعتز    | "            | وبديه   |
| ٢٢  | صاعد          | مجزوء الكامل | فيه     |

— ي —

|     |                    |        |        |
|-----|--------------------|--------|--------|
| ٣٨  | عبد يغوث           | الطويل | لسانيا |
| ١١٤ | أبو الفضل البغدادي | "      | وباديا |

|     |                    |              |          |
|-----|--------------------|--------------|----------|
| ١٦١ | مالك بن الربيع     | الطويل       | وراثيا   |
| ٢٣٢ | —                  | السريع       | جاره     |
| ٣٥٦ | الحكيم المصري      | . »          | بأسراريه |
| ٢٩  | ابن شهيد أبو مروان | الخفيف       | الرزايا  |
| ٢٥٨ | الحصري الكفيف      | مجزوء الخفيف | علانيه   |
| ٤٣  | ابن عمار           | المتقارب     | الشنايا  |
| ٣٥٤ | البستي             | الوافر       | الكمي    |



## فهرس المحتويات

|    |                                                                                                                            |
|----|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| •  | مقدمة المحقق                                                                                                               |
|    | ذكر الكتاب الوزراء والأعيان الأدباء والشعراء الوافدين على جزيرة<br>الأندلس والطارئين عليها من أول المائة الخامسة من الهجرة |
| ٧  | حتى ٥٠٢                                                                                                                    |
| ٨  | فصل في ذكر الأديب اللغوي أبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي                                                                 |
| ١٠ | فصول من نثره في أوصاف شتى                                                                                                  |
| ١٤ | جملة أخبار نوادر جرت له مع المنصور بن أبي عامر                                                                             |
| ٢٠ | [استطراد بذكر حادثة جرت لابن بسام]                                                                                         |
| ٢١ | رجع إلى أخبار صاعد                                                                                                         |
| ٢٣ | [استطراد بذكر من حاولوا معارضة المتنبي]                                                                                    |
| ٢٥ | [عود إلى ذكر صاعد]                                                                                                         |
| ٢٧ | [أخبار ابن شهيد أبي مروان]                                                                                                 |
| ٣٠ | [عود إلى صاعد]                                                                                                             |
| ٣٤ | [فائن ونبهاء الصقابة]                                                                                                      |
| ٣٤ | [رجع إلى أخبار صاعد]                                                                                                       |
| ٣٦ | [الفرق بين البديهة والارتجال نقلاً عن العمدة]                                                                              |
| ٤٠ | [بديهة الأندلسيين]                                                                                                         |
| ٤٥ | إيجاز الخبر عن أسر غرسية                                                                                                   |

- ٤٦ مقتل أبي مروان الجزيري [ وبعض أخباره ]
- ٥٣ رجع ما انقطع [ من خبر صاعد ]
- ٥٦ تلخيص التعريف بدولة ابن أبي عامر
- ذكر دفاع ابن أبي عامر العدو صدر الدولة وقيامه
- ٦٢ بالجهاد دون الجماعة وتوصله بذلك إلى تدبير الملك
- ٦٣ مظاهرة غالب لمحمد بن أبي عامر على المصحفي
- ٧٠ جمل وجوامع من كبار الأحداث بالدولة العامرية
- ٧٣ وفاة المنصور بن أبي عامر
- ٧٨ قيام عبد الملك ابنه بالدولة
- ٨٧ فصل في ذكر الوزير أبي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي
- ٩١ [ هجاء الواساني لعلي بن يوسف ومنشا بن إبراهيم ]
- جماعة من أشعار أبي الفضل في أوصاف شتى - النسيب
- ٩٥ وما يناسبه
- ٩٨ [ استطراد بذكر أشعار في الشيب ]
- ٩٩ [ عود إلى شعر أبي الفضل ]
- ١٠٥ ما أخرجه من شعره في سائر الأوصاف
- ١١٠ من قصائده المطولات في المدح وما يتعلق به
- ١١٥ من مقطوعاته في الإخوانيات وغيرها
- فصل في ذكر طائفة من الشعراء المقلين الطارئین علی الأندلس من -
- المشرق
- ١١٩ منهم : سليمان بن محمد الصقلي
- ١١٩

- فصل في ذكر الأديب أبي الفتوح ثابت بن محمد  
الجرجاني ١٢٤
- فصل في ذكر الأديب عبد العزيز بن محمد السوسي ١٢٦
- [ فصل لابن حبان في الصنيع الذنوني ] ١٢٧
- جلس الأنس في ذلك الصنيع ١٣٥
- فصل في ذكر الشعراء في الاعذار الذنوني ١٣٨
- جملة من أخبار بني ذي النون وذكر أولية أمرهم ١٤٢
- ذكر الخبر عن بعض ما تنهى إليه المأمون من تشييد  
البنيان ١٤٧
- ذكر الخبر عن مآل حفيد المأمون الملقب بالقادر ١٤٩
- مقتل الفقيه أبي بكر بن الحديد ١٥٢
- فرار حفيد ابن ذي النون من طليطلة ودخول المتوكل ١٥٧
- خروج المتوكل من طليطلة ورجع ابن ذي النون إليها ١٦١
- بقية الحديث عن شؤون ابن ذي النون بطليطلة  
وإسلامها لظهره الطاغية أذفونش ١٦٣
- فصل في ذكر الأديب الكامل أبي عبد الله محمد بن شرف ١٦٩
- جملة من نثره مع ما يتشبه به من شعره ١٧١
- [ استطراد بذكر ابن الزيات وأبي تمام ] ١٧٥
- رجع [ إلى نثر ابن شرف ] ١٧٧
- فصول من نثره في أوصاف شتى ١٨٣
- ومن ترسيله ١٩٣
- مقامة ابن شرف في الشعراء ١٩٦

- ٢١٢ -مقامة له أخرى  
ما أخرجه من شعر ابن شرف في أوصاف شتى -
- ٢١٤ النسيب وما يناسبه
- ٢١٨ من قصائده المطولة في المدح وما يتشبه به
- ٢٢٤ سائر مقطوعات له في أوصاف شتى
- ٢٢٧ مرثيه لأهل القيروان
- ٢٣٨ جملة من أخبار ابن السقاء القرطبي
- ٢٤٥ فصل في ذكر الأديب أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري
- ٢٤٧ جملة ما أخرجه من نثر الحصري
- ما أخرجه من شعره في أوصاف شتى - النسيب وما
- ٢٥٥ يتشبه به
- ٢٦٠ شعره في المديح
- ٢٦٥ ذكر الخبر عن دانية وكيف تغلب عليها المقتدر
- ٢٦٨ مقطوعات للحصري في أوصاف شتى
- ٢٧٠ ما أخرجه من مرثيه مع ما يتشبه بها
- ٢٧٩ من شعره في الفقيه الشعبي وابن حسون
- ذكر الأديب أبي الحسن عبد الكريم بن فضال القيرواني المشهور
- ٢٨٤ بالحلواني
- ٢٨٤ النسيب وما يناسبه
- ٢٩١ ما أخرجه من قصائده المطولة في المديح وما يتشبه به
- ٣٠١ فصل في ذكر الأديب أبي العرب الصقلي
- ٣٠٨ فصل في ذكر الأديب الكاتب أبي عبد الله محمد بن الصباغ الصقلي



|     |                                                    |
|-----|----------------------------------------------------|
| ٣٢٠ | في ذكر الأديب أبي محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي  |
| ٣٣٦ | من شعره في أوصاف شق                                |
| ٣٤٢ | فصل في ذكر الوزير الحكيم أبي محمد المصري           |
| ٣٤٥ | من شعره في أوصاف شق                                |
| ٣٥٥ | جملة من مقطوعات المصري في فنون مختلفة              |
| ٣٦٠ | في ذكر أبي محمد ابن الطلاء المهدي                  |
| ٣٦٤ | فصل في ذكر الأديب الفقيه أبي بكر ابن الحسن المرادي |
| ٣٦٨ | الأديب أبو الحسن البغدادي المعروف بالفكيك          |
| ٣٧٤ | الأديب أبو زكريا يحيى بن الزيتوني                  |
| ٣٧٦ | الأديب أبو بكر بن العطار اليايسي                   |
| ٣٨٠ | في ذكر ابن القابلة السقي                           |
| ٣٨٣ | ملحق القسم الثاني (قراءات نسختي ك ل )              |
| ٤٠١ | فهارس الكتاب                                       |
| ٤٠٣ | فهرس الاعلام                                       |
| ٤٢١ | فهرس الأماكن                                       |
| ٤٢٧ | فهرس القبائل والأمم والطوائف                       |
| ٤٣١ | فهرس الكتب المذكورة في المتن                       |
| ٤٣٢ | فهرس القوافي                                       |
| ٤٥٧ | فهرس المحتويات                                     |



بمقره تمال  
أنجز طبع هذا الكتاب  
بدار الثقافة  
ص. ب. ٥٤٣ - بيروت

# الذخيرة في مجاز أهل الجيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢)

القسم الرابع - المجلد الثاني

تحتقيق  
الدكتور احسان عباس

دار الثقافة

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان



الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٤



فأول من أبدأ به منهم من رسخت أصوله في تربة التقديس والتسبيح، والتفت فروعُه بأجنحة الملائكة والروح، مَنْ عَيْدَ الرحمن في زمانه، وَخَلَعَتِ الأوثانُ بين صارمه وسنانه، صلى الله عليه أتمُّ صلاةٍ وأزكاها، وأقربها من رضوان الله وأدناها، وعلى أهل بيته أولى الناسِ يُنصَحَ جيوبنا، وأحقهم بطاعة ملوبنا، وأرجأهم لحط خطايانا وذنوبنا.

## فصل في ذكر الشريف أبي القاسم المرتضى ذي المجدين علم الهدى<sup>١</sup>

واثبات جملة من شعره الذي شرف بقائله وطائله،  
وعرف بجلالة ناظمه، وأصاله مبادئه وخواتمه.

كان هذا الشريف المرتضى إمام أئمة العراق، بين الاختلاف والاتفاق، إليه فَرَعَ علماؤها، وعنه أَخَذَ عظمائها؛ صاحبُ مدارسها، وجماعُ شاربها وأنسها، ممن سارت أخباره، وعُرِفَتْ به أشعاره، ومُحِدَتْ في ذاتِ الله مآثره وآثاره؛ إلى تواليفه في الدين، وتصانيفه في أحكام المسلمين، بما يشهدُ أنَّه فرعُ تلك الأصول، ومن أهل

(١) مولده سنة ٣٥٥ ووفاته سنة ٤٣٦، وقد تفرّد في علوم كثيرة مثل علم الكلام والفقه وأصوله والأدب والنحو ومعاني الشعر واللغة وله عدد كبير من الكتب، وديوانه يقع في ثلاثة مجلدات؛ انظر ترجمته في انباه الرواة ٢ : ٢٤٩ ومعجم الأدباء ١٣ : ١٤٦ وابن خلكان ٣ : ٣١٣ ( وفيه نقل عن الذخيرة ) ودمية القصر ١ : ٢٧٩ وتاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٢ وثمّة البتيمة ١ : ٥٣ والمتنظم وابن الاثير والذهبي ( وفيات ٤٣٦ ) وتلخيص مجمع الآداب ١/٤ : ٦٠٠ ورواة الجنان ٣ : ٥٥ ولسان الميزان ٤ : ٢٢٣ وبغية الوعاة : ٣٣٥ والشذرات ٣ : ٢٦٥ وعبر الذهبي ٣ : ١٨٦ والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٩ وروضات الجنات : ٣٨٧ والدرجات الرفيعة : ٤٥٨ والذريعة ٢ : ٤٠١ وابن كثير ١٢ : ٥٣ وللدكتور عبد الرزاق محيي الدين دراسة عنه بعنوان « أدب المرتضى » ( بغداد ١٩٥٧ ) ؛ ويعتمد ابن بسام هنا في الاكثر على كتاب « طيف الخيال » ( القاهرة : ١٩٦٢ )



ذلك البيت الجليل ؛ وقد أخرجتُ من شعره ما لا يمكنُ لحاقه ، ولا يُنكرُ تبريزه وسباقه .

جملة من شعره في أوصافِ شتى

في وصفِ الطُّيفِ

[ قال ]<sup>١</sup> :

ما زال يخذلني بأسبابِ المنى<sup>٢</sup>      حتى حسبتُ بأنه حقاً معي  
أحبُّ إليَّ وقد تغشَّى ناظري      وسنُّ الكرى بالطيفِ يطرقُ مضجعي<sup>٣</sup>  
ولقد عجتُ على المسافةِ بيننا      كيف اهتدى من غير هادٍ موضعي  
أفضى إلى شعثٍ لقوا هاماتهم      لما سقوا خمرَ الكرى بالأذرع  
هجعوا قليلاً ثم دَعَدَعُ<sup>٤</sup> نَوْمَهُمْ      غبَّ السرى داعي الصباحِ المسمع  
وقال :<sup>٥</sup>

وزورٍ تخطى جنوبَ الملا      فنادتُ أهلاً بهذا الزائرِ  
أتاني هدواً وعينُ الرقيبِ      مطروفةً بالكرى الغامرِ  
وأحبُّ به<sup>٦</sup> يسعِفُ الهاجعين      وتُحَرِّمُهُ مقلَّةُ الساهرِ  
وعهدي بتمويه عينِ المحبِّ      ينمُّ على قلبهِ الطائرِ  
فلما التقينا برغمِ الرقادِ      موهُ قلبي على ناظري

١ طيف الخيال : ١٢٠ والديوان ٢ : ٢٢٢ ( طيف الخيال = ل ، والديوان = ن )

٢ ل ن : الكرى

٣ هذا البيت مقدم في : ل ن .

٤ في الاصل : زعزع

٥ ل = ١٢١ ؛ ن ٢ : ٦٢ والشريشي ٢ : ٢٣٠ - ٢٣١

٦ ل ن : وأعجب به

قال الشريف المرتضى <sup>١</sup> : قلت هذه الأبيات في سنة أربع <sup>٢</sup> وثمانين وثلاثمائة ، وتداول أهل الأدب إنشادها ، واستغربوا هذا المعنى ، وشهدوا أنه مخترع لم يسمع ، فلما تصفحتُ ديوان شعر أخي لاستخراج ما يتعلق بوصف الطيف في هذا الوقت وهو سنة اثنتين <sup>٣</sup> وعشرين واربعمائة وجدت هذه البائية بخطه على ظهر الجزء الثاني من شعره <sup>٤</sup> :

إن طيفَ الخيالِ زارَ طُرُوقاً      والمطايا بين القنّانِ وشُعَبِ  
زارني واصلاً على غيرِ وعدٍ      وانشئ هاجراً على غيرِ ذنب  
كان قلبي إليه رائدٌ عيني      فعلى العينِ مئةٌ للقلب  
كان عندي أن الغرورَ لطرفي      فاذا ذلك الغرورُ لقلبي  
فلستُ أعرفُ كيف جرّتِ الحالُ في خبرها ، وهل قصد رحمه الله إلى نظمها حتى لا يخلو شعره من هذا المعنى ، أو أنشئ ساعه مني ، وقذف به خاطره وجرى على هاجسه ، وكثيراً ما يلحقُ الشعراءُ ذلك فيتواردون في بعضِ المعاني المسبوقِ إليها ، وقد كانوا سمعوها فأنسوها ، فالخواطرُ مشتركة ، والمعاني معترضةٌ لكلِّ خاطر ، وكيف جرى الأمرُ فيها فان العنصرَ واحد ، وأينا سبقَ إلى معنى فالآخرُ بالتجَرِّ والسُنخِ إليه سابقٌ وبه عالق .

وقال المرتضى <sup>٥</sup> :

أَمِنْكَ سَرَى طَيْفٌ وَقَدْ كَانَ لَا يَسْرِي      ونحن جميعاً هاجعون على الغَمْرِ  
تَعَجَّبْتُ مِنْهُ كَيْفَ أُمَّ رُكَّابَنَا      وأُرحَلُنَا بين الرِّحالِ وما ندري

١ ل : ٩٤ - ٩٥

٢ ل : في سنة نيف

٣ ل : نيف .

٤ ديوان الرضي : ١ : ١٧٢ والشريشي : ٢ : ٢٣٦

٥ ل : ١٢٢ - ١٢٤ : ن ٢ : ٦٧

وكيف اهتدى والقاع بيني وبينه  
وأفضى إلى شعث الحقائق عرسوا  
وقوم لقوا أعضاد كل طليحة  
سروا وساك الرمح فوق رؤوسهم  
وبات ضجيعاً لي ونحن من الكرى  
أضمر عليه ساعدي إلى الحشا  
ولماعة القطرين<sup>١</sup> مئاعة القطر  
على منزلٍ وغير ودوية قفر  
بهم ملاهن النعاس من السكر  
فما هموموا إلا على وقعة التسرير  
كأننا تروينا العتيق من الخمر  
وأفرش ما بين سحري إلى نحري

قال المرتضى : قلت : « مئاعة القطر » ، وهي على الحقيقة ممنوعة ، لأقابل  
بين لماعة ومئاعة ، والمعنى مع ذلك صحيح/ [١٣١] وإنما قلت : سأك الرمح<sup>٢</sup>  
لضيق الشعر . ومعنى : « لقوا أعضاد كل طليحة » أي توسدوا أذرع المطي كلاً  
وتصلعوا .

قال ابن بسام<sup>٣</sup> : ومثله قول ذي الرمة<sup>٤</sup> :  
رمى الإدلاج أيسر مرفقيها بأشعث مثل أشلاء اللجام  
يعني نفسه [و] أنه عرس على إحدى ذراعي ناقته ، وخص اليسرى لتكون وجوههم  
وجوه الإبل في ناحية واحدة فيكتلون بأبصارها<sup>٥</sup> [لأنها أبصر وأسهر] ولو توسدوا  
أيامن المطي كانت وجوههم إلى أعجازها ؛ وفي الاكتلاء لعين المطية يقول الآخر<sup>٦</sup> :  
أنخست قلوصي واكتليت بعينيها وأمرت نفسي أي أمري أفعل  
وقال ذو الرمة أيضاً<sup>٧</sup> :

١ في الأصل : القرطين ؛ ولماعة القطرين : السحابة .

٢ يعني كان حقه أن يقول : السأك الرامح

٣ النص منقول عن شرح الأمالي : ٢٠٠

٤ ديوان ذي الرمة : ٢ : ١٣٩٨

٥ في الأصل : فيكتلون بأبصارهم ، وما بين معقنين زيادة من السط .

٦ السط : ٢٠٠

٧ ديوان ذي الرمة : ٢٩٠ ( مكارنتي )

جَنَحْنَ عَلَى أَرْدَافِهِنَّ وَهُومُوا سُحَيْرًا عَلَى أَعْضَادِهِنَّ الْمَيَاسِرِ  
وقال أيضاً <sup>١</sup> :

رَجِيعةُ أَسْفَارٍ كَأَنَّ زَمَامَهَا [شَجَاعُ] لَدَى يُسْرَى الذَّرَاعِينَ مُطْرِقُ  
كَأَنَّ الزَّمَامَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الشَّقِّ الَّذِي يَضْطَجِعُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ أَبُو حِيَةَ بِقَوْلِهِ :  
[...]<sup>٢</sup> أَيْمَنَ الْكَشْحِينَ مِنْهُ إِلَى يُسْرَى يَدَيِ حَرَجِ أُمُونِ  
وإنَّمَا يَتَوَسَّدُ الْقَوْمُ أَيْمَانَهُمْ لِمَكَانِ السِّلَاحِ مِنْ أَيْسَرِهِمْ ، وَأَنَّ مُعَرَّسَهُمْ لَيْسَ بِمَكَانِ  
طَمَآنِينَةٍ وَلَا وَضْعِ السِّلَاحِ مِنْ أَيْسَرِهِمْ .

وقوله : « فَمَا هُومُوا إِلَّا عَلَى وَقْعَةِ النَّسْرِ » ، بَيْنَ مَسَامَتَةِ السَّمَاءِ لِقَمَّةِ الرَّأْسِ  
مِنْ وَقْعِهِ زَمَانٌ طَوِيلٌ . وَمِثْلُهُ مِمَّا أَنْشَدَهُ أَبُو عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيُّ <sup>٣</sup> ، إِلَّا أَنَّهُ فِي ذِكْرِ  
الشَّعْرَى وَالنَّسْرِ ، قَوْلُ أَيْمَنِ بْنِ خُرَيْمٍ :  
أَتَانِي بِهَا يَحْيَى وَقَدْ نَمَتُ نَوْمَةً وَقَدْ غَابَتِ الشَّعْرَى وَقَدْ جَنَحَ النَّسْرُ

وقَدْ أَنْكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ عَلَيْهِ هَذِهِ الرِّوَايَةَ وَقَالَ <sup>٤</sup> : الصَّحِيحُ فِي الْمَعْنَى :  
« وَقَدْ طَلَعَ النَّسْرُ » ، لِأَنَّ الشَّعْرَى الْعَبُورَ إِذَا كَانَتْ فِي أَفْقِ الْمَغْرِبِ كَانَ النَّسْرُ  
الْوَاقِعُ طَالِعًا مِنْ أَفْقِ الْمَشْرِقِ عَلَى نَحْوِ سَبْعِ دَرَجَاتٍ ، وَكَانَ النَّسْرُ الطَّائِرُ لَمْ يَطْلُعْ ؛  
وَإِذَا كَانَتْ الشَّعْرَى الْعُمَيْصَاءَ فِي أَفْقِ الْمَغْرِبِ ، كَانَ النَّسْرُ الْوَاقِعُ حِينَئِذٍ غَيْرَ مَكْبُودٍ ،  
فَكَيْفَ أَنْ يَكُونَ جَانِحًا ، وَكَانَ النَّسْرُ الطَّائِرُ حِينَئِذٍ فِي أَفْقِ الْمَشْرِقِ طَالِعًا عَلَى  
نَحْوِ سَبْعِ دَرَجَاتٍ أَيْضًا ؛ فَرَوَايَةُ أَبِي عَلِيٍّ لَا تَصِحُّ أَلْبَتَّةَ ، فَكَأَنَّ النَّسْرَ الْوَاقِعَ نَظِيرُ  
الشَّعْرَى الْعَبُورِ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِنِّي وَعَبَدَ اللَّهَ بَعْدَ أَجْتِمَاعِنَا لِكَالْنَّسْرِ وَالشَّعْرَى بِمَشْرِقٍ وَمَغْرِبٍ

١ ديوان ذي الرمة : ٣٩٤ ( مكارنتي )

٢ الكلمة قد كُشِطَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا الْحَرْفُ الْأَوَّلُ وَهُوَ التَّاءُ ؛ وَلَمْ يَرِدِ الْبَيْتُ فِي شَعْرَ أَبِي حِيَةَ الْمَجْمُوعِ .

٣ أُمَالِي الْقَالِي ١ : ٧٧

٤ انْظُرِ التَّنْبِيْهَ : ٣٨ وَالسَّمْطَ ( شَرْحُ الْأُمَالِي ) : ٢٦٢

يلوح إذا غابت من الشرق شخصه  
وقال أبو نواس<sup>١</sup> :

وخمارق نبهتها بعد هجعة  
فقلت : من الطراق قلنا عصابة  
وقد لاحت الجوزاء وانغمص<sup>٢</sup> النسر  
خفاف الأداوى تستقى لهم الخمر

قال ابن بسام : وأبو عبيد البكري هذا كان آخر علماء أفقنا بالأوان ، وأولهم  
بالبراعة والاحسان ، حتى كأن العرب استخلفته على لسانها ، والأيام ولتته زمام  
حدثانها ، وقد ذكرت [له] في القسم الثاني من هذا التصنيف<sup>٣</sup> ، عدة من التوايف  
في شتى الفنون ، تشهد أنه تلقى راية المعارف باليمين .

وقال المرتضى من قصيدة أخرى<sup>٤</sup> :

ألا يا ابنة الحيين مالي ومالك  
هجرت وأنتِ لهم إذ نحن جيرة  
فما نلتقي إلا على نشوة الكرى  
يفرق في ما بيننا وضح الضحى  
وما كان هذا البذل منك سجيّة  
فكيف التقينا والمسافة بيننا  
ولما امتطيت الليل كنت حقيقة  
وماذا الذي ينتابني من خيالكي  
وزرت وشحط دارنا من ديارك  
بكل خداري من الليل حالك  
وتجمعنا زهر النجوم الشوايك  
ولا البذل<sup>٥</sup> يوماً خلّة من خلاك  
وكيف خطرتنا من بعيد ببالك  
بغير الهدى لولا ضياء جمالك

١ متابع للسمط . وانظر ديوان أبي نواس : ٢٧٣

٢ السمط : وانغمص : الديوان : وانحدر

٣ موضع ترجمة أبي عبيد في القسم الثاني من الذخيرة : ٢٣٣ ولم يرد فيها ذكر لتصانيف أبي عبيد لأن النسخ  
المعتمدة قد أدخلت بإيرادها ، وهذه الاحالة هنا تثبت أن ابن بسام كان قد أدرج له ترجمة مستوفاة ، ولعله فعل ذلك  
في مرحلة متأخرة من إعدادة للكتاب ؛ ويجدر القول أن للبكري عدة مؤلفات هامة ذكرت بعضها في حواشي ترجمته في  
القسم الثاني .

٤ ل : ١٢٤ ، ن : ٢ : ٣٧٠ وحامسة ابن الشجري : ١٨١

٥ ل : الوصل

وهذه أبيات غريبة الطَّرْح ، بدوية السُّنْخ .

وقال من أخرى <sup>١</sup> :

يا طيفُ زُرْنَا إن تَشَطَّتْ لَنَا  
عُندَ النَّهَارِ مَطِيَّةٌ لَغِيَتْ  
وَدَعِ التَّعَلَّلَ فَالْحَبِيبُ إِذَا  
عَجَلُ سُرَّاكَ إِلَى مُضَاجِعِنَا  
مَنْ أَيْنَ يَعْلَمُ مَنْ نَحَافِرُهُ  
فَالرَّكْبُ بِالْأَبْوَاءِ قَدْ نَزَلَا  
وَحِذِّ الظَّلَامَ مَعَ السُّرَى جَمَلَا  
مَلُّ الْوَصَالِ تَطَلَّبَ الْعَلَلَا  
وَإِذَا خَطَرْتُ <sup>٢</sup> فَلَا تَغِبْ عَجَلَا  
قَطَعَ الْخِيَالُ الْحَبْلَ أَمْ وَصَلَا

وقال <sup>٣</sup> :

يا طيفُ أَلَا زُرْنَا بِسَوَادِ  
مَا كَانَ ضَرَّكَ وَالْوَشَاءُ بِعَزَلِ  
وَالرِّيُّ فَيْكَ وَقَدْ صَدِيتُ فَقُلْ لَنَا  
وَمَنْ أَجَلِ أَتْلُكَ تَسْعَفِينَ عَلَى الْكُرَى  
يَا زُورَةً مِنْ بَاخِلٍ بِلِقَائِهِ  
تَرَكَ الْبَيَاضَ لِأَمْنٍ وَأَتَى بِهِ  
لَمَّا تَضَرَّعْنَا حِيَالَ الْوَادِي  
عَنَا جَمِيعاً لَوْ طَرَّقَتْ وَسَادِي  
مَنْأَ عَلَيْنَا كَيْفَ يَنْقَعُ صَادِ  
أَهْوَى الرِّقَادَ وَلَاتَ حِينَ رِقَادِ  
عَجَلْتُ عَطِيَّتُهُ عَلَى الْمِيعَادِ  
فَرَّقَ الْوَشَايَةَ فِي ثِيَابِ حَدَادِ

وقال <sup>٤</sup> / [١٣٢]

أَلَا [يَا] أَيُّهَا الْحَادِي  
وَأَيْنَ الطَّيْفُ مِنْ ظَمِيَا  
قَفَرِ الْعَيْسَ عَلَى الْوَادِي  
ءَ أُمْسَى وَهُوَ مَعْتَادِي

١ ل : ١٢٦ ؛ ن ٣ : ٤٦

٢ ل ن : حضرت

٣ ل : ١٢٧ ، ن ١ : ١٦٠ والشهاب : ٦٦

٤ ل : برقاده

٥ ل : ١٣١ ، ن ١ : ٢٦٥

جفا صباحاً ووافاني صريعاً بين أعضاد<sup>١</sup>  
تلاقينا بأرواح وفارقنا بأجساد

قال المرتضى : الأرواحُ لا يصحُّ لها في الحقيقة التلاقي والتزاور ، لكنَّ الشعراءَ لما رأوا الأجساد في طيف الخيالِ لم تلتقِ ولا تدانت ، نسبوا التلاقيَ إلى الأرواح تعويلاً على مَنْ جعلَ النفسَ لها قيامٌ بنفسها ، وأنها غيرُ الجسد ، وأنَّ التصرفَ لها ، فجرينا على هذا الطريق ، وإنَّ كانَ باطلاً بالتحقيق .

وقال ٢ :

زارني والرقادُ منِّي ومنهم داخلٌ في العيونِ من كلِّ بابٍ  
زُورَةٌ زُورَتْ عليَّ ولو كانا نتي يقيناً لما شَفَتْ بعضُ ما بي

وقال ٣ :

قل لطيف الخيالِ ليلة هومنا بنجدٍ هلاً طرقت هزيعاً  
والمطايا من الكلالِ على رَمَلٍ زُرُودٍ قد افترشن الضلوعاً  
ما على من يحلُّ بالفؤورِ لوبا ت لنا طيفُهُ بنجدٍ ضجيعاً  
خادعونا بالزُّورِ منكم عن الحقيق فما زال ذو الهوى مخدوعاً  
واطلبوا إن وجدتم كاتماً للسرِّ منكم فقد وجدنا المذيعاً

وقال ٤ :

وليلةً بتنا بالأبيرقِ جاءني على نشوة الأحلام وهناً رسولها  
خيالٌ يُريني أنها فوق مضجعي وقد شطَّ عني بالفؤيرِ مَقلها

١ ل ن :

جفا صباحاً ووافاني صريعاً بين رقاد  
وأعناق المطايا من كلال بين أعضاد

٢ ل : ١٣٤ والشهاب : ٧١ ولم يردا في الديوان .

٣ ل : ١٣٦ : ن ٢ : ٢٠٤

٤ ل : ١٣٨ : ن ٣ : ٣٦ - ٣٧

فيا ليلةً ما كانَ أُنعمَ بثَّها      تنازحَ غاويها ونامَ عذوها  
وما ضَرَّنِي منها وقد بُتُّ راضياً      يباطلها أن بان صباحاً بَطُوها  
فلما تجلَّى الليلُ بالصَّبحِ واحْتُ      دياجيرُ مرخاةٍ عليها سدوها  
أفقتُ فلم يحصلْ عليَّ من الذي      خُدِعتُ به إلّا ظنونٌ أُجِيلها

قال المرتضى <sup>١</sup> : ولهذه الأبيات ما تراه ، مما لا تقدرُ على جَحْدِهِ من  
الفصحاحِ والطلاوةِ والبدويَّةِ التي يُوجدُ طعمُها في فصيحِ الكلامِ ؛ وإنما جعلتُ  
الطيفَ رسوفاً لأنه مذكَّرٌ بها ومترجمٌ عنها ، فجرى مجرى الرسول . وكان عندي  
أنبي سابقٌ إلى وَصْفِ الطيفِ بالرسولِ حتى وجدتُ أشجعَ السلميِّ يقول :

حيّ طيفاً أتاك بعد المنامِ      يتخطى إليك هولَ الظلامِ  
شحطَ الحيُّ من سعادٍ ومنا      رُسلُ بيننا من الأحلامِ  
وقال البحتري <sup>٢</sup> :

إذا أرسلتُ طيفاً يذكّرني الهوى      رددتُ إليها بالنجاح رسوها  
وقال المرتضى <sup>٣</sup> :

وزورِ زارني والليلُ داجٍ      [وقد ملأ الكرى مثلاً العيوناً]  
يوتني أنه ثاني وسادي      مضاجعةً وزورُ ما يرينا  
نعمتُ بباطلٍ ويودُّ قلبي      وداداً لو يكونُ لنا يقينا  
وقال <sup>٣</sup> :

حللتُ بنا والليلُ مُرخٍ سدولُهُ      فألاً وضوءُ الصبحِ في العينِ مُشرقُ

١ : ل ١٣٩ - ١٤٠

٢ ديوان البحتري : ١٧٩٧

٣ : ل ١٥٣ ؛ ن ٣ : ٣٠٥ والشريشي ٢ : ٢٣٠

٤ : ل ١٦٢ ؛ ن ٢ : ٣٠٦



فأحسبُ به من طارقٍ بعد هدأٍ  
ولما تفرقنا ولم يكُ بيننا  
تطائرٌ وصلٌ غرنا فكأنه  
وقال ١ :

ألم خيالٌ من أميمة طارقُ  
ألم بنا لم نذر كيف لمأمة  
قلله ما أوى الكرى من دجنة  
نعما به حتى كأن لقاءنا  
فما زارني في الليل إلا وصبحنا  
وكيف ارتضيت الليل والليل ملبس  
تخيّل لي قرباً وأنت بنجوة  
وقال ٢ :

ضنّ عني بالثرر إذ أنا يقظا  
والتقينا كما اشتهينا ولا عيب سوى أن ذاك في الأحلام  
وإذا كانت الملاقاة ليلاً فالليالي خير من الأيام  
وقال ٣ :

وسئدني كفّ وعانقني  
وبات عندي إلى الصباح وما  
ونحن في سكرة من الوسن  
شاع التقاء لنا ولم يسن

١ ل : ١٧٠ : ٢ : ٢٠٧  
٢ ن ٣ : ٢٧٠ : ل : ١٧٤ - وابن خلكان ٣ : ٣١٤  
٣ ن ٣ : ٣٤٢ : ل : ١٧٥

خادعني ثم عدّ خدعتَهُ  
فان تكن زورةً مهُومَةً  
وإن يكن باطلاً فكم باطلاً  
[وقال] ١ :

يا خليلي من ذؤابة قيسٍ  
غثياني بذكرهم تطرباني  
وخذ النوم من جفوني فاني  
للتصابي رياضة الأخلاق [١٣٣]  
واسقياني دمعي بكأس دهاق  
قد خلعت الكرى على العشاق

## فصل في ذكر الوزير أبي القاسم

### الحسين بن علي المغربي

#### واجتلاب سابق أشعاره ، ورائق أخباره ٢

كان أبو القاسم نجماً مطالعهُ الدُّولُ ، وبحراً عُبابه القولُ والعمل ، وروضةً تقوّتُ القلوبَ نفحاتها ، وتقيدُ الأبصارَ صفاتها وموصوفاتها ، أمّا العلماءُ فعِيالٌ عليه ، وأمّا العظماءُ فلُعَبٌ في يديه ، وأمّا الأقلامُ فبعضُ شيعته وأنصارِهِ ، وأمّا الأقاليمُ فبينَ إيرادِهِ وإصدارِهِ ، وأمّا مكائدهُ من العلم الحديثِ والقديم ، وسبقُهُ إلى غايتي المنشور والمنظوم ، وإقدامُهُ على المهالكِ ، وتلاعبُهُ بالأملالكِ والممالكِ ، فأشهر من الصباح ، وأسيرٌ من الرياح .

١ ن ٢ : ٣٤٢ وابن خلكان ٣ : ٣١٤  
٢ وردت ترجمة الوزير المغربي (٣٧٠ - ٤١٨) في تنمة اليتيمة ١ : ٢٤ ودمية القصر ١ : ٩٤ والمنظوم ٨ : ٣٢ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٠٩ ومعجم الأدباء ١٠ : ٧٩ وتاريخ ابن الأثير ٩ : ٣٦٢ وابن خلكان ٢ : ١٧٢ - ١٧٧ وبغية الطلب ٥ : ١٤ - ٣٠ واعتاب الكتاب ٢٠٦ ورجال النجاشي ٥٥ والاشارة الى من نال الوزارة ٤٧ ولسان الميزان ٢ : ٣٠١ ، وراجع في أخباره أيضا ذيل ابن القلانسي ٦١ - ٦٤ وصفحات متفرقة من اتعاظ الحنفا (ج ٢) والدرة المضية ٦ : ٣٠٩ - ٣١٢ والنجم الزاهرة ٤ : ٢٦٦ ؛ وقد ذكره ابن القارح في رسالته وحكى شيئاً من أخباره معه ( انظر رسالة الغفران : ٥١ - ٥٨ ) وقد علّق ابن العديم على ذلك بقوله : وكان بين أبي القاسم ابن المغربي وبين علي بن منصور ( ابن القارح ) ما يوجب ألا يقبل قوله فيه .. ( بغية الطلب ٥ : ١٩ )

ومن أوابد أخباره ، وخالد آثاره ، كتابُهُ الْمُتَرْجَمُ بِ « المنخل » في اختصاره « إصلاح المنطق » لابن السكيت <sup>١</sup> ، فانه غاية لا يتعاطاها إلا من بهر عتقه ، واشتهر سبقه ، وطريقة لا يتوخاها إلا مَنْ رسخت في العلم قدمه ، وترامت به إلى معالي الأمور هممه ؛ ومما يعجب من أمره ، ويرفع الصوت بجلالة قدره <sup>٢</sup> : « أنه استظهر القرآن وعدة من الكتب المجردة في اللغة ، ونحو خمسة عشر ألف بيت من مختار الشعر [ القديم ، ونظم الشعر ] وتصرف في النثر ، وبلغ من الخط إلى ما يقصر <sup>٣</sup> عنه نظراؤه ، ومن علم الحساب وجميع الأدوات <sup>٤</sup> إلى ما يستقل بدونه الكاتب ، وذلك كله قبل استكمالهِ أربع عشرة سنة ، واختصر ذلك الكتاب فتناهى في اختصاره ، وأوفى على جميع فوائده ، حتى لم يفتنه شيء من ألفاظه ، وغير من أبوابه ما أوجب التدبير تغييره للحاجة الى الاختصار ، وجمع كل نوع [ إلى ] ما يليق به » .

ولما أوقع الحاكم بأبيه وأهل بيته ونذر دمه ، خرج من مصر معتقداً لعلوهمته ، ناشداً لضائع ذمته ، فأتى مكة فحمل أبا الفتوح <sup>٥</sup> على القيام بها ، وقرب له ما كان يستبعد من طلبها ، وجسره على أخذ ما كان بها من محاريب الفضة والذهب ،

١ بحث ابن المغربي بالمختصر إلى أبي العلاء المعري فكتب اليه الرسالة الاغريقية بثني على اختصاره وبنبه على فضله ، وما قاله ، « ووقفت على مختصر إصلاح المنطق الذي كاد بسبب ألباب ، يعني عن سائر الكتاب ، فعبجت كل العجب من تقييد الاجمال ، بطلاء الاحمال ، ... شرفاً له تصنيفاً شفى الرب ، وكفى من ابن فريب ، ودل على جوامع اللغة بالاجام ، كما دل المضمهر على ما طال من الأساء... » ( رسائل أبي العلاء : ١٨ : وصبح الاعشى : ١٤ : ١٨٢ ) ولأبي العلاء رسالة أخرى إلى ابن المغربي تعرف بالمنيع ( انظر الرسائل ص : ٣ )

٢ ما بين اقواس صغيرة يكاد ان يكون نص ما كتبه والد الوزير المغربي في ابنه ، على ظهر مختصر اصلاح المنطق ، ونقله ابن العديم في بغية الطلب ٥ : ١٧ وما بين معقنين زيادة منه ، وما جرى إصلاحه فانما تم اعتياداً عليه ، وكذلك هو عند ابن خلكان .

٣ في الأصل : نقص

٤ ابن العديم : ومن حساب المولد والجبر والمقابلة وجميع الأدوات ..

٥ هو الحسن بن جعفر العلوي ، وقد جوز له الوزير المغربي أخذ مال الكعبة وضربه دراهم ، وتلقب بالراشد بالله ، وإلى بعض هذا يشير ابن القارح بقوله : « وبغضى له - شهد الله - حياً وميتاً أرجيه أخذه محاريب الكعبة ، الذهب والفضة وضربها دنانير ودراهم رساها الكمبية .. » ( رسالة الغفران : ٥٨ ، وانظر بغية الطلب ٥ : ٢٤ )

فضربها دنانير ، وفرّقها على من تبعه من ثوبان العرب ، ثم سار يدعو إليه ، ويسفر بينه وبين من عسى أن يأبى عليه ، حتى دخل الرملة وصعد منبرها ، فتلا من غير استفتاح لتحميد ولا صلاة على النبي عليه السلام قول الله تعالى : ﴿ إِن فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيْعًا ﴾ وأوماً بيده إلى مصر ، يعني الحاكم ﴿ يَسْتَضِيفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْذِينَ . ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ﴾ (القصص : ٤) ثم عاد إلى أبي الفتوح المذكور ، وهزه لذلك ، فألفى سيفه كهما ، وسحابه جهما ، فخرج إلى العراق ، ودخل الكوفة متقرباً لسلطانها ، ثم خافه وزير قرواش<sup>١</sup> فتقرب إليه بالمال ، وأشار عليه بالترحال ، فصار إلى ميفارقين ، وأميرها يومئذ نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي ، فتقلد وزارته بعد طول مقام ، وبُعِد مرام ، وخلع المرقعة والصفوف ، ولبس المسك والشفوف ، فهتك ستر الحياء ، وخلع ربة الرياء ، فصار كما قال في نفسه ، وقد ابتاع غلاماً تركياً كان يهواه ، قبل أن يبيعه منه مولاه<sup>٢</sup> :

تبدّل من مُرَقَّعة ونُسك بأنواع المسك والشفوف  
وعنّ له غزال ليس يحوي هواه ولا رضاه بلبس صوف  
فعاد أشدّ ما كان انتهاكاً كذاك الدهر مختلف الصروف  
ثم رُوسل بعد بوزارة الموصل<sup>٣</sup> ، فسار إليها ، وتقلد حينه وزارة المستولي عليها ، فملك زمامها ، وصرف أيامها ، ودوّخ معالمها وأعلامها ، وأتى على ما كان بها من رمق ، وجرى من العسف بأعظم أهلها من أبعد طلق ؛ ثم راسلته وزارة بغداد وأميرها يومئذ أبو علي بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة بن عضد

١ هو المعروف بابن أبي الوزير الكافي ، وكان وزيراً ومديراً لدولة قرواش بن المغلّد ، ويقول ابن العديم ان هذا الوزير قدم إلى ابن المغربي مالا كثيراً كي يرحل عن الموصل فصار عنها إلى ديار بكر (بغية الطلب ٥ : ٢٦)  
٢ الأبيات في بغية الطلب ٥ : ٢٦ واعتاب الكتاب ٢٠٦ والشريشي ٥ : ٣٠٥ وتاريخ المسبحي ٢٣٤ ب  
٣ كان ذلك بعد وفاة ابن أبي الوزير الكافي .

الدولة بن ركن الدولة أبي عليّ، فتبجح ذروتها، واقتعد لَوْقَتِهِ صَهَوَتِهَا، فانتظمت له الأيام، وَحَمِدَ على يديه النقضُ والإبرام، وبلغ الحال التي تَصَغُرُ عنها النعم، وتقصرُ دونها الهمم. ثم إن أبا عليّ أوقع بمن كان يتهمة من الأتراك، وكان قد نهاء الوزير، وأشار عليه بما يقتضي التدبير، فأبى إلا ركوباً لرأسه، وإدلالاً بنفسه، فاضطرب العسكرُ اضطراباً اضطرهما جميعاً الى الهرب، وأفضى بهما إلى استجارة أمير العرب.

حدّثَ نحريرُ غلامه قال: عهدي بالوزير وهو خارج، وقد لبس ثياباً رثّة، وعلى وجهه منديلٌ قد لفّه فيه لثلاً يمتازُ [١٣٤] من جملة العامة، وقد أقبل عليّ واستقبلني في الدهليز ينشدني لنفسه في الحال <sup>١</sup>:

تَمَرَّسْتُ مَنِّي العِلا بامرئٍ <sup>٢</sup> قد علقَ المجدُ بأمراسي  
يستجد النجدة من رأيهِ ويستقلُّ الكُثْرَ من باسه <sup>٣</sup>  
أروغ لا يرجعُ عن تيههِ والسيفُ مسلولٌ على رأسه  
وقد قيل إن إخراجهُ المَلِكَ معه إنما كانت حاجةً في نفسه قضاها، وخطةً من مكره ألزَمَهُ إِيَّاهَا، إبقاءً على جلالَةِ المقدار، وأنفَعَهُ من الانفرادِ بعيبِ الفرار، ثم إن أبا عليّ ثاب سلطانهُ، وراسله شيعُهُ بالحضرة وأعوانهُ، فعاد إليها، وأقام أبو القاسم بالموصل وقد كثر أتباعه، وملأ البلادَ [عيانه] وسماعه، فأقام بها سيراً، واستشعرَ من صاحبه تقصيراً، فاستأذنه في الرجوع إلى ميفارقين، فحلّها، وتلقاه نصرُ الدولة بالاصطناع، وأقطعهُ صامتَ الأموالِ وفاشي الضياع، ثم رُويَ ثانيةً

١ الأبيات في دمية القصر ١ : ٩٦ وبعاهد التنصيب ٣ : ٣٣ وإعتاب الكتاب : ٢٠٧

٢ دمية : فارعت الأيام مني امرأ

٣ روايته في دمية القصر :

يستنزّل الرزق باقدامه ويستدر العز من باسه

٤ دمية : لا ينحط

من بغدادَ للوزارة ، واستأذن نصرَ الدولة ، فخلى بينه وبين مراده ، ولم يجد بُدّاً من إيساعه ، ووفاءً بانجاز ميعاده ، فلما برزت قبائبهُ ، وكادت تستقلّ ركابه ، خُوفَ نصرُ الدولة عاقبةَ مكره ، وأشيرَ عليه بالرأي في أمره ، فستفاهُ شربةً كانت آخرَ زاده ، ووفاءً بانجاز ميعاده ، وتقدّم حين أحسَّ [بالموت] بحمله إلى الكوفة ليدفنَ في حجرة أعدّها هنالك بازاء قبرِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فسيرَ بتابوته مسيرةَ شهر ، بين أيدي المحتوف ، وتحت أظلال السيوف ، أكرومةً ختم بها مجدهُ ، وأحدوثُهُ أبقاها في الناس خالدةً بعده .

وقد أجريتُ من نثره الرائقةِ فصوله ، ونظمه المتقنةِ فروعهُ وأصولهُ ، ما يعطرُ الزهرَ شذاه ، ويروقُ النجومَ الزهرَ مرآه .

### فصل من رسائله

لما دخل البطيحةَ وبها أبو القاسم هبةُ الله بن عيسى <sup>١</sup> [وزير] مهذبِ الدولة ، وكان من أفاضل أهلِ وقتهِ ، فدخل إلى ابنِ المغربي رجلٌ يُعرفُ بسليمانَ ابنِ الربيع ، وسلمَ إليه قصيدةً قد بُنيتُ على السؤالِ عن ألفاظٍ من اللغة على جهةِ الامتحانِ لمعرفته ، فلما وقف عليها امتعضَ في الحال ، وأحفظه ما لقيَ من التعديّ والسؤال ، ونسبَ ذلك إلى فعل أبي القاسم وزيرِ مهذبِ الدولة البطيحيّ ، فكتب عقيبَ الوقوف <sup>٢</sup> على ذلك لوقته جواباً أثبتَ بعضَ فصوله ، لطوله ، بعدَ هذه الأبياتِ المذكورة :

يا أفضَلَ الأدباءِ قو لا تعارضُ الشكوكُ  
لا العلمُ ناءٍ من حجا ك إذا نطقَت ولا فيروكُ

١ ذكر ابن الأثير ( ٩ : ٢٥٢ ) أنه توفي سنة ٤٠٦ وقال فيه : « كان من الكتاب الملقين ، ومكاتباته مشهورة ، وكان محدثاً ، ومن مدحه ابن الحاج » .

٢ ص : عقب الدولة .

عرضتُ مسائلُ أنت للفتوى بمشكلا دُرُوكُ  
 ما الحيُّ والحيوتُ أم ما جُلُحُ نَضُو بُرُوكُ  
 أم ما ترى في بَرُقعِ رِقْشاءَ مجهدا حبيك  
 أم ما الصَّرْنَقُحُ والزَّرِيرُ وما الملمعةُ النَّهوكُ  
 ولك الدرايةُ والبصيرةُ في مداحيها السَّهوكُ  
 وأبْنُ لنا ما خططُ أبداً بأمرِغَةِ معيك  
 أو ما اعتنانةُ فَوْهَدٍ فيه الملامةُ لا تحيك  
 أم ، ما ترفلُ [هَبْرَج] يرتبُ مِرْسَنَةُ هلوك  
 ولربُّ ألفاظٍ أتك وفي مطاويها حلوك  
 فارفقْ بنشرك طيها وانظر بذوقك ما تلوك  
 هذا وقد لَزِمْتَ فُؤادي خِرْمَلُ هِرْطُ ضحوك  
 دَعَكْنَةُ نَظْرَتُهُ في خَيْسِرِ غانظها شكوك  
 تغدو وخرفعها المذْيُـلُـلُ في طوائفِهِ سُدُوك  
 وأراك ما لك مشبهُ في ما علمت ولا شريك  
 حقاً لقد حُرَّتْ العلو مَ حيازةُ العلم الضريك

فأجابه ابنُ المغربي بَرُقعاً قال فيها : وقفتُ على ما ذكرتُ أن بعضَ أهلِ  
 الأدبِ كَلَّفَكَ المسألةَ عن شعرٍ وجدتهُ ، لا أحبُّ أن أقولَ في صناعته شيئاً ، مشتملاً  
 على ألفاظٍ من حوشِ اللغةِ لا يَتَشَاغَلُ بِمَثَلِهَا أَهْلُ التَّحْصِيلِ ، ولا يتوفَّرُ على تأملِها  
 إلَّا كلُّ ذي تأمُّلٍ عليلٍ ، لخروجها عما ينفعُ في الأديانِ ، ويعترضُ في القرآنِ ،  
 ولما يَنتَهِها ما يجري في المذاكرة ، وتُستَخدمُ فيه المحاورَةُ ، وزاد في عَجْبي منها صَدْرُهَا  
 عن البطيحةِ وفيها الأستاذُ الفاضلُ هبةُ الله بحرُ الأدبِ الذي عَدَبْتُ موارِدُهُ

٨ ص : من الأستاذ ، ولعلها « مثل الأستاذ »

ومصادره<sup>١</sup> ، وريُّ العقول الظماء ، وطبُّ الجهلِ المستغمر الداء<sup>٢</sup> ، والبَابُ الذي يفتحُ عن الدهر تجربةً وعلماً ، والمرأةُ التي تُتَصَفَّحُ بها أوجهُ الأيامِ / [ ١٣٥ ] إحاطةً وفهماً .

وفي فصل : فان كان الغرضُ في هذه الأبياتِ الخرابِ ، المقفرة من الصواب ، طلبَ الفائدةِ ، فقد كان يجبُ أن يُنَاحَ عليه بِمُقْفَلِها ، وَيُقْصَدَ إليه بِمُعْضَلِها ، فعندهُ مفتاحُ كُلِّ مسألةٍ مُقْفَلَةٍ ، ومصباحُ كُلِّ داجيةٍ مُشْكِلَةٍ ؛ بل لستُ أشكُ أن هذا السائلَ لو جاوره صامتاً عن استخباره ، وعكفَ على ذلك الجَنَابِ كأنما لجأ في طيِّ إضماره ، لأعداه رقةً نسيمِ أرضه ، وهذبَ<sup>٣</sup> خاطره التقاطُ لفظه ، حتى يغنيه الجوارُ عن الحوار ، والاقترابُ عن رَجْعِ الجواب ؛ وإن كان قصدَ الامتحانِ للمسؤول ، وتعرُّضَ لهذا الموقفِ الرَّحُولِ ، فذلك أعجبُ : كيف لم يتأدَّبْ بِآدابه الصالحة ، ويعتشي إلى هدايته الواضحة .

وفي فصل : وكيف لم يعلمَ هذا العريضُ المكلف - بما أُعْطِيَ من سعادة مكائرتِهِ ، وسبق<sup>٤</sup> إليه من بركة صحبته - أن هذا التعريض كما قال المخزومي لعبد الملك بن مروان وقد<sup>٥</sup> لقيه في طريق الحجاز : بثست تحيةً الغريب من القاطنين ، ولؤمت هديةً الوافد من المقيمين ، وقد كان حقُّ الغريب بينكم أن يكثرَ قليلُهُ ، وَيُسَدَّ ذريعهُ ، وَيُعَارَ من معالي الصفات ما يُؤنسُ غُرْبَتَهُ ، ويصدقُ مخيلَتَهُ . وعلى أَنَّهُ لو كان قد احتبى للجدال ، وركبَ للنزال ، لما كان في عزوب<sup>٦</sup> كلماتٍ من حوشي اللغة عن ذكره ، ما يدلُّ على قِصَرِ بَاعِهِ ، وقِلَّةِ اِطِّلاعِهِ ، ويا عجباً للفراغ

١ ص : المستعمل اللائ .

٢ ص : وهذبت .

٣ ص : وسأى .

٤ ص : ولقد .

٥ ص : عسروا .



كيف يستوعب لهذا المغتر أن يجاري بخلو ذرعِهِ تَقَسُّمَ أفكارِي ، وكيف أنساه اجتماع شمله بُعدَ ديارِي ، وكيف أذهله حضورُ أحبته عن مغيبِ أفلاذِ كبدي ، وكيف طرفت نواظرُهُ سكرةَ الحظِّ عن تصوّر ما يُحْنُ خلدي ، وكيف لم يدر ما لي من الحاظِ مُقسِّمةً ، وظنونٍ مُرَجِّمةً ، وقد تكلفتُ الإجابةَ لما تَضَمَّنَتْهُ الأبياتُ انقياداً لمرادك ، ومقتصرَ الرأي على إسعادك ، أجر أقالمي جرّاً وهنّ نواكل ، وأنبه قرائحي وهنّ في غمرات الهموم ذواهل :

قال السائل : « إن المسؤولَ دُرُوكٌ لتلك الفتوى ، ومستحقٌّ بها للرتبة العليا » ودُرُوكٌ لا يجوز هنا لأنَّ فعولاً لا يكونُ من أفعال ، ولو جاز ذلك لجاز « حَسُون » من « أحسن » و « جُمُول » من « أجمل » . وما نحبُّ استيفاءَ القولِ في هذا الزلل ، ولا نستفتحُ كلامنا بالمناقشة في السَّهْوِ والخطَلِ ، ولعلَّ القائلَ أوهم حَمَلًا على قراءةِ حَفْص ﴿ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ ( النساء : ١٤٥ ) فظن أن الدَّرَكَ بوزنِ فَعْل ، وأنَّ فَعْلًا مصدرُ فَعَلٍ يفعل ، ولم يجعله من الدَّرَكِ ، لأنَّ الفتح عندهم لا يخفف ، لا يقولون في جَمَلٍ « جَمَل » ، وذهب عنه أن يكون اسماً مبنياً مثله وإن لم يكن مخففاً منه كما قالوا : « دِرْكَةٌ وَدِرْكَةٌ فِي حَلْقَةِ الْوَتَرِ الَّتِي تَقَعُ فِي فُرْصَةِ الْقَوْسِ ، فَيُخَفَّفُوا وَحَرَّكَوا ، وعلى أنها لو كانا مصدرين لجاز أن يبنيا على الشذوذ ولا يحمل عليهما ما يُبْنَى من الفعل ، لأنَّ الشذوذَ ليس بأصلٍ يقاس عليه . ولعله اغترَّ بقولهم : « دَرَاكٌ » - بالشدِّ - وهو شاذٌّ لأنهم قد [ بنوا ] أفعال من فَعْل ، وهو قليل ، قالوا فطَرْتَهُ فَأَفْطَر ، وبشَرْتَهُ فَأَبْشَرَ ، فجاز على هذا دَرَكْتَهُ فَأَدْرَكَ ، قال سيبويه : وهذا النحو قليل في كلامهم . ولعله ذهب إلى قولهم : « دَرَاكٌ » مثل « نَزَالٍ » فظنَّ أنه يقال منه « دَرَكٌ » كما يقال من « مَنَاعٍ » و « نَزَالٍ » : مَنَعَ وَنَزَلَ . وذهب عنه [ أنه ] قد جاء الرباعي في هذا الباب ، قالوا : قَرَقَارٌ وَعَرَعَارٌ ، في

١ ص : فرض .

٢ ص : يفعل

معنى قرقر وعرعر. فأما الفرق بين الرباعي والثلاثي ، فسيبويه يرى إجازة « فعَالٍ » في موضع فعل الأمر الثلاثي كله ، ويمنعه في الرباعي إلا مسموعاً ، وقال غيره من النحويين : بل هما ممنوعان إلا مسموعين ، واعتمد سيبويه في الفرق على كثرة الثلاثي ، وقلة ما جاء في الرباعي . أولعله أصفى إلى قول الآخر ١ :

إن يكشف الله قناع الشك فهو أحق منزل بِدَرَكَ  
فذهب إلى أن « دَرَكَاً » مصدر ، ولم يعتقد أنه كما قرأ حفص بالاسكان . أولعله علق سمعه [ قول ] العتبي :

إذا قلت أوفى أدركته دروكة فيا موزع الخيرات بالعُذر أقصر  
وما أعرف له حجة أقوى منه . أولعله أراد بقوله : دروك من الدَرَكَ مثل : لغوب ، وهي لغة تكلمت بها العرب .

ثم بدأ السائل فسأل عن « الحيّ » ، ولم أقف على صحة سؤاله لأنني وجدت الأبيات مكتوبة بخط عليل ، وإن كان سأل عن « الحيّ » - بكسر الحاء - فقد أنشد أهل العلم قول العجاج ٢ :

وقد نرى إذ الحياة حيُّ واذ زمانُ الناس دَغَفَلِي  
فقال الحيُّ من الحياة ، والحيُّ / [ ١٣٦ ] جمع حي . وأما كونه على معنى الحياة فوزنه على فعل باختلاف .

١ ورد في اللسان ( درك ) :

بظفر من حاجتي ودرك      فذا أحق منزل بترك

وفي التاج :

إن يكشف الله قناع الشك      بظفر من حاجتي ودرك

فذا أحق منزل [ بترك ]

٢ ديوان العجاج : ٤٨٦ واللسان والتاج ( دغفل ) : والدغفلي من العيش : المخصب الواسع .

قال ابن بسام : ومدّ أبو القاسم في هذا الجواب أطنابَ الإطناب ثم قال :  
« والحَيَّوتُ » الحية وَزَنُّهُ فَعَلَوْتُ ، والتاءُ فيه زائدة ، وكثيراً ما تُزَادُ خامسةٌ مثل  
عفريت ، وإنما هو عفريّ .

و « الجَلْبَجُ » العجورُ الكبيرةُ ، وأنشدوا : « إِنِّي لَأَقْلِي الجَلْبَجَ العجوزا »  
و « يَرْقُعُ » : السماءُ الدنيا ، قال أُمَيَّة بن أَبِي الصَّلْت ¹ :

وَكأَنَّ يَرْقُعَ والملائكُ حولهَا سَدِيرٌ تَوَاكَلَهُ قَوَائِمُ أَرْبَعُ ²  
و « الصَّرْنَقَحُ » : الشديدُ الخالصُ ولا يكونُ فَعَنْلَلٌ إلا وصفاً لا اسماً ، قال  
جران العود ³ :

ومنهنَّ غلٌّ مُقْوِلٌ لا يَفْكُهُ من القومِ إلا الشَّخْشَحَانُ الصَّرْنَقَحُ  
و « الزَّرِيرُ » الذكيُّ والمتحدِّرُ ⁴ ، وكان شيخنا أبو أسامة ⁵ يخالفُ جميعَ  
اللغويين فيه ويقول : هو الزَّرِيرُ ، ومنه اشتق اسم « زُرَّارَةٌ » ، وقولُ أبي أسامة  
أصح .

و « الملمعة » الفلاةُ التي يَلْمَعُ فيها الآل ، وفي مَثَلٍ : « أَكْذَبُ من  
يَلْمَعُ ⁶ » وهو السراب ، ومنه الأَلْمَعِيُّ ، كأنه يلمعُ العواقبُ بدقة فطنته ، وأما

¹ ديوان أُمَيَّة : ٣٥٨ واللسان ( سدر ) ونجيه قافية البيت أحياناً « أجرد » و « أجرب » وقال ابن بري : صوابه  
« أجرد » والقصيدَةُ دالية ، والجرد : الملاسة .

² السدر : البحر ، ولم يسمع به إلا في شعر أُمَيَّة ، توأكلته : تركته ، والقوائم هنا : الرياح .

³ ديوان جران العود : ٨

⁴ في اللسان والتاج أن الزرير هو الذكي الخفيف .

⁵ هو جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي الهروي ( - ٣٩٩ ) كان مكثراً من حفظ اللغة ، أخذ عن الأزهري وغيره ،  
وقتلَه الحاكم العبيدي ( انظر ابن خلكان ١ : ٣٧٢ ومعجم الادباء ٧ : ٢٠٩ وبغية الوعاة ٢ : ٤٨٨ )

⁶ انظر المثل في الدرة الفاخرة : ٣٦٢ ( وفيها تحريجه ) .

اللودعيّ فهو الذي يتلذّع من شدة ذكائه . ويقال ألمعت الوحشيّة وغيرها اذا بان  
لضرعها سِقَالٌ ويريق باللبن ، قال الأعشى ١ :

مُلْمَعٌ لَاعَةٌ الْفَوَادِ إِلَى جَحشٍ فَلَاةٌ عَنْهَا فَبئسَ الْفَالِي ٢

ويقال إن « لاعة » فَعْلَةٌ ومذكرها لَاعٌ ، وفي الحديث : هَاعُ لَاعٌ ، وقيل بل لاعة  
بوزن فاعلة ، كان الأصل « لاعية » من اللعو ، وهو أشدُّ الحرص ، وبين الخليل  
وأهل النحوفيه خلاف يشقّ إحصاؤه .

و « النَّهوك » و « التَّهيك » و « النّهاكة » معروفة .

و « البصيرة » الترسُّ ، قال الأسعر الجعفي ٣ وليس بالأسعر ٣ المازني :

راحوا بصائرُهُمْ على أكتافِهِمْ وبصيرتي يعدو بها عَتْدُ وَأَيُّ ٤

والبصيرة : الدم ؛ [ والبصيرة : الدية ] ومعنى البيت على هذا أنهم أخذوا  
الديات ولم آخذُ ، فركبتُ يعدو بي فرسي لطلبِ الثَّارِ ، ويكونُ هذا مشبهاً لقولهم :  
..... ٥ . ورحتُ أجْرُ ثوبِي أرجوانِ

١ بيت الأعشى في اللسان والتاج ( لوع ) وديوانه : ٨

٢ قال الأصمعي : الملمع التي قد استبان حملها في ضرعها فأشرق ضرعها باللبن ؛ وقال أبو عبيدة : ملمع : نتوج  
مقرب ، لاعة الفؤاد اراد لاعة الفؤاد أي مستخفة من الحزن ، ورجل هاع لاع وهانع لانع مشتاق إلى الشيء .  
والفالي : الطارد .

٣ في ص : الأعسر ؛ والأسعر الجعفي - ضبطه الأمدي بالسين المهملة - هو مرثد بن أبي حمران ، وأورد له بيتين من  
قصيدته التي منها هذا البيت التالي وهي قصيدة اصمية ( الأصمعيات : ١٥٦ ) وانظر اللسان ( عتد . وأي )  
والمعاني الكبير : ١٠١٣ والوحشيات رقم : ٥٧

٤ العتد : الفرس الحاضر المعد للركوب ؛ الواؤ : السريع المشدد الخلق ؛ وقال ابن قتيبة في شرح البيت ، البصيرة ،  
الدفعة من الدم أي دماؤهم قد خرجت فصارت على اكتافهم وبصيرتي في جوفي يعدو بها فرسي ، يريد أنهم جرحوا ،  
ويقال بل أراد أن الذي طلبوه من الذحول على اكتافهم لم يدركوه بعد ، فهو ثقل عليهم ، وبصيرتي أي دخل قد  
أدركت به .

٥ لم أستطع قراءة هذا الشطر . وصورته في ص : عدا دل داء لمن حجة .

كلانا اختار فانظر كيف تَبَقَّى أحاديثُ الرجالِ على الزمانِ  
والبصيرة في هذا الموضع : الحق .

و « المداحي » مُفاعِلُ من الدَّخُو وهو البَسْط ، والدَّخُو أيضاً النكاح .  
و « السَّهوك » من السَّهَكِ وهو السَّحْقُ ، ويقال : ريح سَيْهوكٌ وسَيْهوجٌ ، اذا  
كانت شديدةَ المرورِ والهبوب .

و « الخمط » <sup>١</sup> هو الْكَحْكُحُ ، وهو الشيخُ الكبير .

و « المَرْغُ » الرِيقُ ، يقال أحرق ما يجافي مَرْغُهُ ، أي ما يمسك ريقه ، والمرغ :  
التراب ، في غير هذا .

و « مَعِيكَ » فعيلٌ بمعنى مفعول من المَعَكَ ، وهو كالكنى .

وسأل عن الفَوَهْدِ ، والفَوَهْدُ والثَّوَهْدُ : الغلامُ الممتلئ شباباً ، وأنشدوا <sup>٢</sup> :

تَحِبُّ مَنَا مَطْرَهَفًا فَوَهْدًا عِجْرَةً شَيْخِينَ غَلَامًا أَمْرَدًا  
ينشد بالثاء والفاء .

و « الْقِلْفُ » <sup>٣</sup> الطينُ الذي يتقلعُ عن الكمأة ، وفيها خلاف .

و « الهَبْرُجُ » من صفة بقر الوحش .

و « يَرْتَبُّ » يفتعل ، من رَبَّ الأَمْرَ ، أصلحه .

و « المِرْسَن » موضع الرسن .

١ لم أجد هذه اللفظة وأقرب الصور لها « لطلط » وهي بمعنى الكحكح .

٢ اللسان ( طرهف ، فهد ) والمطرهف : الحسن النام ، والفوهد والثوهد والقلهد : الغلام السمين الذي قد رافق الحلم .

٣ لم ترد في الأبيات ، فعمل فيها سقطاً .

و « المَلُوكُ » الفاجرة لأنها تتهالك في مشيتها أي تتأيل وتتهادى .  
و « لَذِمَ » بالمكانِ والذم ، مثل لزم وألزم .  
و « الخِرْمِلُ » المرأةُ الفاجرة ، وقيل الحمقاء ، قال مزرد<sup>١</sup> :

\* إلى خِرْمِلٍ شَرُّ النساءِ الخرامِلُ \*

و « المِرْطُ » النعجةُ المسنةُ و [ اللحم المهزول ] في غير هذا ، والهَرْدُ : الشقُّ  
و « دَعَكْتُهُ » أصله السَّمَنُ والفتوة ، وهو ما لا يُسأل عنه ، لأن كلَّ ما زيدت  
فيه النون في هذا الموضع يدلُّ لفظه على اشتقاقه كما تدل سمعته ونظرته على السمع  
والنظر ، ودَعَكْتُهُ من الجلادة ، كأنه من الدعاك<sup>٢</sup>

و « الخَيْسُ » الغابة ، وفي غير هذا الموضع اللحية .

و « الغانِظُ » فاعِلٌ من الغنْظ وهو الكَرْبُ ؛ قال عمر بن عبد العزيز : في  
الموت غنْظ ليس كالغنْظ وكَظَّ ليس كالكَظَّ ، وهما الكَرْبُ .  
و « الخِرْفَعُ »<sup>٣</sup> القليلُ من كل شيء .  
و « المذْيَلُ » المكْمَل .

و « الطوائفُ » الأيدي والأرجل .  
و « السُدُوكُ » لا أومِنُ به لأنه يقال / [ ١٣٧ ] سدك سَدَكًا وسَدَكًا ، فان جاء  
فيه سدوكاً فهو شاذٌّ قليل ، وهو اللزوم .

قال ابن المغربي : هذا ما حَضَرنا من القولِ ، ولولا أَتُّنا لا نوَدُّ أن نُنْهَى عن

١ روايته في ديوان مزرد : ٤٨

رواه ومن شر النساء الخرامِل

إلى صبيبة مثل المغالي وخرمِل

٢ ص : الدعاء .

٣ الخرفع : القطن وقيل تمر العشر .

خُلِقَ ونَاتِي مثله ١ لسألنا مستفيدين ؛ نشرأ لما فيه من شفاء البيان ، لا نظماً لما فيه من التعاطي والطغيان ، فسألناه عن اللغة ان كان عُنيَ بها : عن العَلَّاقِ بالعين ، فهو بالغين معروف ٢ ، وعن المِصْمَةِ بكسر الميم ، فهو بفتحها مشهور ، وعن هندي لا تضاف الى الأحاسيس ٣ فان ذلك معروف ، وسُكِّرَى بضم السين فهو بفتحها معروف . وعن الدَّون بالواو فهو بالياء معروف ، وعن الفَرْنِ بالفاء فهو بالعين مذكور ، وكم في الكلام أفعلة أسماء فهو في الصفات معروف ، وما النديم في الناس فانه في الجهاد معروف ، وما الشاهد على جواز أفلاج بالجيم فانه بالحاء معروف .

هذا ان كانت اللغة عنده مهمة ، فان قال إن النحو هو المهم عنده قلنا : فما جمع على أفعلة أغفله سيبويه فلم يُلحِقْهُ بكتابه أحد من النحويين ، وهل ذلك الجمع إن كنت عارفاً به مطرُودٌ أو محمولٌ على مكانه في اللفظ ؟ وعلى أي شيء خفض ﴿ وقيله يا رب ﴾ في قراءة حفص ، لا على ما أورده أبو علي الفارسي ، فانه لم يسلك مذهب في التدقيق عليه ؟ ولم منع سيبويه من العطف على [ عا ] ملين ، وهو في سورة الجاثية بنصب ﴿ آيات ﴾ ، ورفع لا يتجه إلا عطفاً على عاملين ، فان كان خطأ الأخفش فمن أين زل ؟ وان كان أصاب فكيف تجوز له مخالفة الكتاب ؟ وهل قول سيبويه في النسبة إلى أمية أموي - بفتح الهمزة - صواب أو سهو استمر عليه وعلى جميع النحويين بعده ؟ ولم قيل معدي كرب ، ولم تحمل الياء في لغة من أضاف ولا من جعلها اسماً واحداً إلا على ما أورده النحويون ، فلهم فيه أقاويل غير متجهة . وهل مذهبهم في أن سُدَى وهُدَى مصدران صحيح أم لا ؟ وهل

١ فيه إشارة إلى قول الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

٢ ذكر ابن دريد في الجمهرة ( ٣ : ٣٩٦ ) العلافق وقال انه اسم موضع ، ولم يذكر العلافق .

٣ يقال لقي هند الأحاس اذا مات أو وقع في الداهية ، وإضافتها إلى غير الأحاس مثل هند الهند ، وهند بني سعد وما إلى ذلك ، ولكنني أعتقد ان ابن المغربي يشير الى ما هو أدق من ذلك .

بيض في قولهم : حمزة بن بِيض اسم أم جَمْع ، وما معناه في اللغة ووزنه في النحو مسموعاً لا مقيساً على ما ذكرناه نحن في هذه الرسالة ؟ ولم اختاروا « أن » مع عسى وكرهوه مع كاد ؟

فان قال : لست أتشاغلُ بعلوم المؤيدين ، وإنما آخذُ بمذهب الحافظ ، إذ يقول : علمُ النسب والخبر علمُ الملوك ، قلنا له : فمن أبو خُلْدَة<sup>١</sup> فان أبا جِلْدَة<sup>٢</sup> معروف ، ومن العاصُ وما اشتقاقه<sup>٣</sup> فان العاصَ معروف ، ومن حَبْشِيَّة<sup>٤</sup> - مفتوح الأول مخفف - فانه بالتشديد وضم أوله معروف<sup>٥</sup> ؟ ومن عمرو بن معدي كرب غير صاحب : « أَمِنْ رِيحَانَةِ الداعي السميع »<sup>٥</sup> فان هذا معروف ؟ وما اسم امرئ القيس على الصَّحَّة لا على هذا الظاهر وعلى أن في اشتقاقه كلاماً طويلاً فان هذا معروف ؟ ومن الزُّبَيْرُ غير الأسدي واليهودي فكلاهما معروفان ؟ ومن الزُّبَيْر بفتح الزاي فانه بضمها معروف<sup>٦</sup> ؟ ومن القائل :

وقابلة لجلجتها فَرَدَّدْتُهَا لدى الفرش لو نَهْنَهْتها قَطَرْتُ دما أرجلُ أو امرأة ؟ وهل صفة الباهلية قلب ام مولاة ؟ وهل المستشهد بشعره في « غريب المصنف » أبو كعب بالباء أو التاء ، وفي أي زمان كان ، وأيهما كان اسمه

١ الحاء غير معجمة في ص : وخلدة هي بنت طلق الهامي ، حدثت عن أبيها ، وخلدة بنت العرابض بن كلاب ، روت عن عمها ( الاكمال ٣ : ١٨٢ )

٢ أبو جلدة بكسر الجيم مسهر بن النعمان ، وشاعر يشكري وآخر عجلي ( الاكمال ٣ : ١٨٢ )

٣ العاص بن ثعلبة بن سليم الدوسي ، وقال الوزير المغربي هو بلا تشديد ( تبصير المنتبه : ٨٩٠ ) وهو من عضا بعضو الجرح أي كان بصيراً بالجراح .

٤ هنالك حبشية بن كعب بن ثور من مزينة ( تبصير : ٤٨٦ ) وحبشية بن سلول ، وهذا الثاني يقرأ أيضاً بفتح الحاء وتخفيف الياء ( تبصير : ٤٠١ )

٥ صدر بيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وعجزه : « يورقني واصحابي هجوع » ( ديوانه : ١٣٦ ) ؛ وهناك رجل آخر بهذا الاسم وهو عمرو بن معد يكرب الزبيدي الاكبر جاهلي قديم ( المؤلف : ٢٣٣ )

٦ الأسدي هو الزبير بن العوام ، واليهودي هو الزبير بن باطا من بني قريظة أسلم ابنه عبد الرحمن ( الاكمال ٤ : ١٦٦ ) وهناك الزبير بن عبد الله الكلابي وقد عاش آخر خلافة عمر ( الاستيعاب : ٥١٠ ) ؛ وأما الزبير - بفتح الزاي - فهو ابن عبد الله بن الزبير شاعر ابن شاعر ( الاكمال ٤ : ١٦٥ - ١٦٦ ) .



ومن أي شيء اشتقاقه ؟ ومن النطف الذي يُضْرَبُ به المثل فيقال : كنز النطف<sup>١</sup> ؟  
ومن العكمص ، لا أسأل عن تفسيره فانه في اللغة معروف<sup>٢</sup> ؟ وكذلك ذو طلال<sup>٣</sup> ،  
وما خَوْعَى فأنْ جَوْعَى معروف ، وهل خطأ ابن دريد في هذه اللفظة أم أصاب<sup>٤</sup> ؟  
وما تقول في عدنان غير الذي ذكره محمد مولى بني هاشم فانه معروف<sup>٥</sup> ؛ وهل  
يخالف فيه أم لا ؟ وحبيب والد ابن حبيب العالم رجل أو امرأة ، وهل هو لغية أم  
لرشد<sup>٦</sup> ؟ ومن أجد بالجم فهو بالحاء كثير<sup>٧</sup> ؟ ومن زَبَد بالباء فهو بالنون  
معروف<sup>٨</sup> ؟ ومن روى عنه عليه السلام : « لا يمنع الجار جاره أن يجعل خشبه في  
حائطه »<sup>٩</sup> وقال « خشبة واحدة » وقالوا كلهم : حَشَبَهُ مضافاً ؟ ومن يكسر ذكر  
الحضرمي في شعره من العرب<sup>١٠</sup> ؟ والنبذ المشروب : هل كان معروف الاسم أم لا

١ هو النطف بن خبيري أحد بني سليط بن الحارث ( انظر قصة احتيازه الكنز في ثار القلوب : ١٣٩ وشرح العيون : ٥٤ - ٥٥ )

٢ العكمص : الحادر من كل شيء أو الكثير أو الشديد الغليظ وبه كني أبو العكمص التميمي ( التاج : عكمص )

٣ ص : ذو أطلال ؛ ولم يبين ما يريد هـنا ، وذو طلال : ماء قريب من الرينة وقيل هو واد لطفان ( معجم البكري : ٨٩٢ )

٤ جوعي المعروف هو مؤث جائع وقال ابن دريد في الجمهرة ( ٢ : ١٠٥ ) إن جوعى موضع وأثبتها البكري عنه ، وذكر أنها خوص بالحاء المعجمة في شعر امرئ القيس ( معجم البكري : ٤٠٤ )

٥ محمد مولى بني هاشم هو محمد بن حبيب نفسه وهو يذكر أن في الازد عدنان بن عبد الله بن الازد وقال غيره انه عدنان ( الاكبال ٦ : ١٥٣ - ١٥٥ )

٦ حبيب اسم أمه ويقال إن اباه غير معروف .

٧ أجد بن عجيان شهد فتح مصر ( تبصير ١ : ٣ )

٨ زيد بن سنان بفتح الزاي ، وزند بن الجون أبو دلامة وزند في نسب عدنان ( الاكبال ٤ : ١٦٨ - ١٦٩ )

٩ ورد الحديث في البخاري ( مظالم : ٢٠ وأثرية : ٢٤ ) ومسلم ( مساقاة : ١٣٦ ) وسنن أبي داود ( أقضية :

٣٩ ) وابن ماجه ( أحكام : ١٥ ) والموطأ ( أقضية : ٣٢ ) ومسند أحمد ١ : ٣١٣ ، ٣ : ٤٨٠ ؛ قلت : خشبة

( بالافراد ) هي رواية أبي ذر ورواه غيره ( خشبه « بالهاء - بصيغة الجمع : وقال عبد الغني بن سعيد : كل الناس

يقولونه بالجمع إلا الطحاوي ) وانظر مزيداً من التفصيلات في ارشاد الساري ٤ : ٢٦٦ )

١٠ الحضرمي : النعل المصنوعة بحضرموت ، وأراها ترد كثيراً في شعر كثير « الى مرهفات الحضرمي المغرب » ( ديوانه :

٢٦٥ ) ، و « بأقدامهم في الحضرمي الملسن » ( ديوانه : ٢٥٢ ) الخ ...

عند العرب<sup>١</sup> ؟ ومن روى عن ظنير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها قالت في شارفها : « وكانت لا تغذي أحداً » وما معناه<sup>٢</sup> ؟ ومن تفرّد من أهل العلم بنصر ذي الرمة وتغليط الأصمعي في قوله : إيه عن / [١٣٨] أمّ سالم ، لا على ما قاله النحويون من التعريف والتنكير ، فإن ذلك معروف<sup>٣</sup> ؟ ومن قال عن المبتنية إنها سجاح مثل قطام ومن قال سجاح مثل غمام غير مبني<sup>٤</sup> ؟ ولم سميّ خليل الشاعر : خليل عيين<sup>٥</sup> ؟ ومن عُميّ التي تنسب اليها الصكّة فيقال « صكّه صكّة عُميّ » ، وهل ذكر في شعر ومن ذكره<sup>٦</sup> ؟ ومن هو الذي تنسب اليه العرب الصلال ومن ذكره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومن كرب المنسوب اليه معدي كرب<sup>٧</sup> ؟

١ التسمية معروفة ولكن الدلالة مختلفة ، إذ كانت اللفظة تدل على كل ما نبذ في الدباء والمزفت فاشتد ، ولكنه كان شيئاً غير الخمر ولهذا نجد القلمس يقول في الخمر :

أروى بها نفسي فتحيا بشرها  
ولا أشتهي شرب النبيذ من التمر

٢ ذلك هو حديث عبد الله بن جعفر عن حليلة السعدية وكانت قدمت المدينة تطلب ولداً ترضعه ومعهما شارف - وهي ناقة مسنة ؛ فلما قدرها أن تكون مرضعة للرسول درّ ثديها ودرّت الشارف « وقام صاحبي إلى شارفي تلك فاذا بها حافل فحلب ما شرب وشربت حتى رويتا » وذلك بعد أن قالت : « ما يجد في ثديي ما ينييه ولا في شارفنا ما يغذيه » ( أسد الغابة ٥ : ٤٢٧ )

٣ قال ذو الرمة « وقفنا فقلنا إيه عن أمّ سالم » - بكسر الهاء - قال الأصمعي : أخطأ ذو الرمة إنما كلام العرب إيه ( بالتونين ) وقال يعقوب بن السكيت أراد إيه ( بالتونين ) فأجراه في الوصل مجراه في الوقف وكذلك قال نعلب ، كما قال الزجاج أنه ترك التونين للضرورة ولكن أبا علي الفارسي انتصر لذي الرمة وقال : أما هذا فالأصمعي مخطئ . فيه . ديوان ذي الرمة : ٧٧٩ واللسان والتاج ( إيه )

٤ يقول الازهري وابن دريد والجهوري وغيرهم من اللغويين أنها « سجاح » مثل قطام ؛ ولم أعر على من أجاز أن تكون مثل « غمام » .

٥ قيل سمي بذلك لأنه كان يسكن أرضاً بالبحرين تعرف بعيين ( الشعر والشعراء : ٣٧٣ )

٦ الصكّة : شدة الهاجرة ، يقال : لقيته صكّة عمي وصكّة أعمى وهو أشد الهاجرة حرّاً ، وقال بعضهم : عمي اسم رجل من المالبق أغار على قوم في وقت الظهيرة فاجتاحهم ، ويقال هو تصغير أعمى مرخاً . وأنشد ابن الأعرابي :

صكّ بها عين الظهيرة غائراً  
عمي ولم ينعن إلا ظلالها

٧ معد يكرّب اسم مبني يرد في النقوش ، وهو سبأي محض ، ولا تنطبق عليه التفسيرات التي يوردها لغويو عرب الشمال .

وهل أصاب المبرد في نسبة الأبيات الجيمية :

لما دعا الدعوة الأولى فأسمعني أخذت بُرْدِيَّ واستمرت أدراسي  
أم أخطأ ؟

فان قال إنه صاحبُ سِيرٍ وآثارٍ وأحكام ، قلنا : أرشدك الله ، وما معنى قوله عليه السلام : « من سعادة المرء خفة عارضيه » وهو عليه السلام لم يكن خفيفَ العارضين ، لا على ما فسرَّه المبرد فانه لم يأت فيه بشيء<sup>٢</sup> ؟ ومعنى قوله عليه السلام : « تسحروا فإن في السحور بركة »<sup>٣</sup> ونحن نرى [أنه] ربما أهاض وأنخم ، وأضرَّ وأبشم ؟ ومعنى قوله عليه السلام : « اتقوا النار ولو بشقِّ قمرة »<sup>٤</sup> ولو سرق سارق [كيلجة] ثم فتصدق بنصفها كان مستحقاً للنار عند أكثر المسلمين ؟ وما معنى قوله عليه السلام : « لا يزال الأنصار يقاتلون ويكثر الناس »<sup>٥</sup> ؛ ولو شئنا لعددنا أشخاصهم أكثر مما كان في البادية والحاضرة ؟ ومعنى قوله « ان امرأ القيس حاملٌ لواء الشعراء الى النار »<sup>٦</sup> وهل يثبت الخبر أم لا ؟ ولم قال : « ان من الشعر

١ نسب المبرد هذه الأبيات للراعي ( الكامل ١ : ٢٨١ ) وفي ظنه انها للراعي النميري ، وبين الأمدي الأمر في المؤلف : ١٧٧ إذ قال انها للراعي الكلبي واسمه خليفة بن بشير بن عمير بن الأخوص .  
٢ اورد المبرد هذا الحديث في الكامل ( ٢ : ١٢٩ ) وقال : ليس هذا بناقض لما جاء في إعفاء اللحى وإحفاء الشاربين .

٣ ورد الحديث في النسائي ( صيام : ١٨ ) وابن ماجه ( صيام : ٢٢ ) والدارمي ( صيام : ٩ ) ومواضع متعددة من مسند أحمد ، منها ٢ : ٣٧٧ ، ٤٧٧ ، ٣ : ٣٢ ، ٩٩ ( انظر معجم الفاظ الحديث )

٤ ورد في البخاري ( أدب : ٣٤ ، زكاة : ١٠ ، رقائق : ٥١ ، توحيد : ٣٦ ) ومسلم ( زكاة : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٠ ) والترمذي ( قيامة : ١ ، زهد : ٣٧ ) والنسائي ( زكاة : ٦٣ ، ٦٤ ) وابن ماجه ( مقدمة : ١٣ ، زكاة : ٢٨ ) والدارمي ( زكاة : ٢٤ ) ومسند أحمد ١ : ٣٣٨ ، ٤٤٦ ، ٤ : ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣٧٧ ، ٦ : ٧٩ ، ١٣٨ .

٥ الحديث في البخاري ( الجمعة : ٢٩ ومناقب : ٢٥ ومناقب الانصار : ١١ )

٦ تروده الكتب الأدبية ، انظر مثلاً الشعر والشعراء : ٦٧ وليس في الأحاديث المتعلقة بامرى القيس ما هو قوي مقبول منها .

الحكمة<sup>١</sup> ، ثم قال عليه السلام : « أوتيت جوامع الكلم<sup>٢</sup> » وهل تخرج الحكمة من جوامع الكلم ؟

فان قال : إنما أفنيت عمري في القرآن وعلومه ، وفي التأويل وفنونه قلنا : اذن يكون التوفيقُ دليلك ، والرشادُ سبيلك : صفُ لنا كيف وقعَ التحديُّ بهذا المعجز لـيتم بوقوعه الإعجاز ، وأخبرنا عن صفةِ التحديِّ : هل كانت العربُ تعرفه أم لا ، أم كان شيئاً لم تجرِ عادتها به فكان إقصارها عنه ، بل لأنه التماس ما لم تجرِ المعاملة بينهم بمثله ، ثم يُسألُ عن التحديِّ هل لقي بمعارضة بان تقصيرها عنه أولم تكن بمعارضة ، ولكن القوم عدلوا إلى السيف كما عدل المسلمون مع تسليمهم ولم يعارضوه . ثم يسأل عن قوله تعالى ﴿ لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ ( النساء : ٨٢ ) وفيه من الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ما لا يكون أشدَّ اختلافاً منه<sup>٣</sup> ؛ ويسأل عن قوله تعالى ﴿ وغرايب سود ﴾ ( فاطر : ٢٧ ) وما معنى الزيادة في الكلام ، والغرايبُ السودُ هي الغرايب ، فان قال تأكيداً فقد زلَّ ، لأن رجحانَ بلاغةِ القرآن إنما هو إبلاغ المعنى الجليِّ المستوعبِ إلى النفس باللفظ الوجيز ، وإنما يكون الاسهابُ البليغُ في كلامِ البشر الذين لا يتناولون تلك الرتبةَ العاليةَ من البلاغة ؛ على أنه لو قال تأكيداً لخرج عن مذهب العرب ، لأنَّ العربَ تقول : أسودُّ غريب ، وأسودُّ حالِكٌ وحُلُوكٌ ، فتقدم السواد الأشهر ثم

١ ورد في البخاري ( ادب : ٩٠ ) والترمذي ( ادب : ٦٩ ) وابن ماجه ( ادب : ٤١ ) والدارمي ( استئذان : ٦٨ ) ومواقع كثيرة من مسند أحمد منها ١ : ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ... الخ .

٢ حديث أعطيت جوامع الكلم في مسلم ( مساجد : ٥ - ٨ واشربة : ٧٢ ) والبخاري ( تعبير : ١١ ) والترمذي ( سير : ٥ ) ومسند أحمد ٢ : ١٧٢ ، ٢١٢ ، ٢٥٠ ، ٢٦٤ ... الخ وحديث « بعثت بجوامع الكلم » في البخاري ( جهاد : ١٢٢ وتعبير : ٢٢ واعتصام : ١ ) والنسائي ( جهاد : ١ وتطبيق : ١٠٠ )

٣ يرى الزمخشري ان عدم الاختلاف هنا معناه عدم التناقض والتفاوت في مستوى النظم والبلاغة والمعاني ، وصدق الخبر .. ( الكشف : ١ : ٥٤٦ - ٥٤٧ ) .

تؤكد ، وهذه الآية تخالف ذلك ، فإذا بطل التأكيد في المعنى<sup>١</sup> ؛ وما معنى ﴿فَحَرَّ﴾ عليهم السَّقْفُ من فوقهم ﴿ ( النحل : ٢٦ ) وهل يكون سقف من تحتهم فيقع لبسٌ يحتاج إلى إيضاحه بذكر فوق وتحت<sup>٢</sup> ؟ ونحو منه قوله تعالى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ ( النحل : ٥٠ ) وهل لهم ربٌّ من تحتهم ؟ وما معنى فوق ها هنا ، وهل تدلُّ على اختصاص مكان<sup>٣</sup> ؟ وما معنى قوله ﴿كَلِمَحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ ( النحل : ٧٧ ) وما هذا الأقرب<sup>٤</sup> ؟ وما معنى قوله ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ( البقرة : ٧٤ ) وهل شيء أشدُّ قسوةً من الحجارة<sup>٥</sup> ؟ وما معنى قوله ﴿إِلَهِينِ اثْنَيْنِ﴾ ( النحل : ٥١ ) وهل بعد قوله ( إلهين ) إشكال بأنهم أربعة فيستفيد بقوله اثنين ثبات المعنى<sup>٦</sup> ؟ وما معنى قوله ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ ( البقرة : ٢٨٢ ) هلَّا كان أوجز وأشبه بالمذهب الأشرف في العربية ؟ وما معنى قوله ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ( النحل : ٤٧ ) ومن أين تُناسِبُ الرَّأْفَةُ وَالرَّحْمَةُ هذا الأخذ الشديد على التخوف الذي يقتضي العفو والغفران<sup>٧</sup> ؟

١ قال الزمخشري : فان قلت : الغريب تأكيد للأسود ، يقال اسود غريب وأسود حلكوك .. ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يفتي وما أشبه ذلك قلت : وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيراً لما أضمر كقول النابغة « والمؤمن المائذات الطير » وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاضمار والاظهار جميعاً ( الكشف ٣ : ٣٠٧ )

٢ الوجه في « فوق » هنا في قوله « وهو القاهر فوق عباده » أي أنهم يخافون ربهم عالياً قاهراً لهم ( انظر الكشف ٢ : ٤١٣ ) ؛ وقوله « كلمح البصر أو هو أقرب » أي كما تبالغون أنتم حين تستقربون شيئاً ( نفسه : ٤٢١ ) ؛ وقوله « إلهين اثنين » الوجه فيه : ان الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فإذا أريد التأكيد على ان المقصود هو العدد شفع بما يؤكده فليل إلهين اثنين او رجل واحد .. الخ ( نفسه : ٤١٣ ) ويأخذهم على تخوف أي وهم متوقعون وقيل هو أن يأخذهم على أن ينتقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم وبذلك تكون الرأفة والرحمة حيث يحلم عنهم ولا يعاجلهم مع استحقاقهم ( نفسه : ٤١١ ) .

٣ ان قلت لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه الفعل التفضيل وفعل التعجب قلت : لكونه آيين وأدل على فرط القسوة ، وجه آخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسي ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة ( الكشف ١ : ٢٩٠ ) ولم يورد الزمخشري توجيهها لتكرير كلمة « احداها » في الآية ٢٨٢ من سورة البقرة ، وذهب أبو حيان الى أنه أبهم الفاعل في أن تفضل بقوله « احداها » ولهذا أبهم الفاعل في =

وعلى أن هذا السائل لو علم لسأل عن الصناعة التي أنا بها مُرْتَسِمٌ ، وبشروطها مُلْتَزِمٌ ، لا في الترسُّلِ / [١٣٩] فاني ما صَحِّبْتُ به ملكاً ؛ ولكن في صناعة الخراج ، فكان يجبُ أن يقولَ : ما البابُ المسمَّى المجموع من الجماعة<sup>١</sup> وأين موضعهُ منها ، وأي شيء قد يكون فيه ولا يحسن ذكره في غيره ؟ وأن يقول : ما الفائدة في إيراد المستخرج في الجماعة ومن كم وجه يتطرق الامتثال عليها بالغاية منها ؟ وأن يقول : ما الحكم في متعجِّل الضمان قبل دخول يد الضامن ، وأي شيء يجبُ أن يوضع منه إذا أراد الكاتب الاحتساب به للضامن من النفقات ، وخاصة من جاري العامل ، وفيه أقوالٌ تحتاجُ إلى بحثٍ ونظر ؟ وأن يقول : إنَّ عاملاً ضمنَ أن يرفعَ عمله بارتفاع مالٍ إلا أنه لم يضمنَ استخراج جميعه ، وضمنَ استخراج ما يريدُ على ما استخرج منه خمسَ سنين إلى سنته بالقسط ، كيف يصحُّ اعتبار ذلك ، ففيه كمينٌ يحتاجُ إلى تفصيله وتأمله ؟ وأن يقول : لِمَ يُقدَّم المبيع على المستخرج ، والمبيع إنما هو من المستخرج ، وكيف يصحُّ ذلك ؟ وأن يقول : أي غلط يلزمُ الكتاب وأي غلط لا يلزمه ؟ وأن يقول : متى يجبُ الاستظهارُ للسلطان في صناعة الخراج ومتى لا يجوزُ الاستظهارُ له ؟ وأن يقول : متى يكون النقصُ في مال السلطان أسدً في صناعة الكتابة من الزيادة ، ولست أعني نقصَ الارتفاع مع العدل ، وعادلَ زيادةٍ مع الجور ، فذلك ما لا يُسألُ عنه ، وأن يقول : ما بابُ من الارتفاع إذا كثر دُلٌّ على قلَّة الارتفاع ، وإذا قلَّ دُلٌّ على جِمام الارتفاع ووفوره ؟ وأن يقول : متى تكونُ مشاهدة الغلط أحسنَ في صناعة الكتابة من عديمه ؟ وأن يقول : كم نسبةُ جاري العمل من مبلغ الارتفاع وأوّل من قرّره ورثبه ؟ وأن يقول : ما رتبتان من رتَب الكتابة إذا اجتمعنا لكاتبٍ بطلت أكثر حججه في احتساباته ؟ وأن يقول : هل يطردُّ في أحكام

= « فتذكر » فكرر إحداها ، إذ كل من المرأتين يجوز عليها الضلال والاذكار فلم يرد بإحداها معينة ( البحر المحيط ٣٤٩ : ٢ )

١ الموافقة والجماعة حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل ، ولا يسمى موافقة ما لم يرفع باتفاق ما بين الرافع والمرفوع اليه ، فان انفرد به احدها سمي محاسبة ( مفاتيح العلوم : ٣٨ ) .

الكتابة حملها على مناصبة أحكام الفقه أم لا ، وهل يذهب [الى ذلك] أحد من متقدمي الكتاب ، وبما الحجّة فيه ، وبالله التوفيق .

قال ابن بسام : وهذا المجموع إنما هو لسان منظوم ومنثور ، لا ميدان بيان وتفسير ، أورد الأخبار والأشعار لا أفك معًاها ، في شيء من لفظها ولا معناها ، ولو ذهبت فيه إلى إيضاح مبهم ، وإعراب مستعجم ، لكانت هذه الفصول أولى ما فتحت مقفله ، وأكد ما أوضحت مشكله . على أنني قد ألمعت فيه ببعض تنبيه ، بين ذكر أجريه ، وجه عذريه .

### فصول من سائر ترسيله

فصل له من رقعة : وقفت على كتابك ولم أزل ألتئم ، كآتي قد ظفرت باليد التي بعثته ، وأضمه كآتي أضمت الجوانح التي نفثته ، وكآني كلما أدنيته إلى الكبد المعذبة ببعدك ، وأمرزته على العين المطروفة بفقدك ، سحبت على النار ذيل السحاب ، وسقيت عطش الحب كآس الرضاب ، وأعزت أختا سبعين ظل الشباب ، فأرخت يوم قدومه لأجعله موسماً للسرور ، وعيداً باقياً على الدهور ، ارتقب السعد عنده كل عام ، وانتظر الفرج منه من كل غرام ؛ واتفق ورود في أشرف فصول الدهر حسباً ، وأكرم مفاخر الأيام نسباً ، حين ابتداء الربيع يزخرف بروده ، والروض ينظم عقوده ، وكنت أعرف هذا الفصل باعتدال منهاجه ، وصحة مزاجه ، وأنه لو كان الزمن شخصاً لكان له مقبلاً ، ولو أن الأيام غوان لكان لها حلياً وحللاً ، لأن الشمس تخلص فيه من ظلمات حوت السماء ، خلاص يونس من ظلمات حوت الماء ، فاذا وردت الحمل وانفتحت أحب أوطانها إليها ، وأعز مساكنها عليها .

وفي فصل منها : فيا حسن تلك الصحيفة ومدادها ينتهب بالأفواه ، ويزيد بالتقبيل لعسا في الشفاء ، ويا عجباً كيف حفظ مع بعد العهد نشر عرفت ، وكيف

علقَ مع تراخي الأيام طيبَ كفك ، وكيف جاءَ كأثكَ كتبتهُ من أمم ، وأنفذتهُ وبيننا خطوةً قَدَم ، وكيف لم يغيره ما قطعَ من مهاولِ قفار ، وليلٍ ونهار ، وعدوٍ كاشح ، ورقيبٍ لامح ، فأنعمَ به من ريحانةِ ألفاظٍ دامتْ لدونتها ، وبأكورةٍ وصاليٍ سلمتْ غضوضتها <sup>١</sup> ، ومسحةٍ يدٍ بقيَ أثرها أرجا ، وروضةٍ كلم دام على الصيف بهجتها <sup>٢</sup> .

وفي فصل منها : فامّا سؤالك عني فما يُشبهُ سيرتكَ الحسنى ، ولا يليقُ بطريقتك المثلّى ، كيف تسألني والإجابةُ معك ؟ وكيف تستخبرُني ومحلُّ الخبر والاستخبار عندك ؟ / [١٤٠] ومتى سمعتَ بجوابِ جَسَدٍ رهينة ؟ وأين رأيتَ طباحَ عينٍ لوحظها مقيدةٌ كليله ؟ ألم أفارقكَ وقلبي عندك أعشار ، وأضلعي منه قفار ؟ وفي فصل : وردتُ الموصلَ التي خالف اسمُها معناها ، وكانتْ مَقْطَعاً بيننا لولا خُدْعُ الأمانى ، وفَصلاً لولا المرجوُّ من عفو الليالى ، فوجدتُ هواءَها يعطلُ سوقَ يقرّاطٍ اعتدالاً وطيبة ، وماءَها يُسلي عن مجّاج النحلِ استمراءً وعدوية ، وصقعا قد تَبَعْدَدَ رقةً ولطفاً ، وجوهاً قد تزندقي تنعماً وظرفاً ، تكادُ تُثْقِلُهُ عقودُ الغايات ، ويُخْجِلُهُ تتابعُ اللحظات ، كلُّ شماله نسيم ، وكلُّ جنوبه حياً عميم ، ورأيتُ أرضَها أطيّبَ الأرضِ خيما ، وأزَيَّنَها أديماً <sup>٣</sup> ، تُنسَجُ بالسُّندسِ الأخضر ، وتفتُرُ عن الأقحوانِ الأحمر ، والفيثُ بنيانها هو الذي حمده اللهُ في تنزيله <sup>٤</sup> ، وأحبهُ لنا أن نكونَ مثلهُ جهاداً في سبيله ، مَرْصُوصاً بِوَقَاحِ الجلمد ، ملاءماً بينه بالشَّيدِ الممرّد ، قد حُصِّنَ ظاهره على باطنه عن تداخل الإبر ، ومساكنِ الذرّ ، يزلُّ عنه ظُفْرُ الطائر ، وتتدحرجُ عليه أحداقُ <sup>٥</sup> الناظر ، وتَغْنَى به العروسُ عن الماويّ المنير <sup>٦</sup> ، وتستبينُ

١ ص : غضاضتها ، وهو عند بعض اللغويين جائز ، وأنكره عليّ بن حمزة ، والالتزام به هنا غير ذاهب مع السجع

٢ كذا وردت العبارة في ص ، ولعلها « دام على الصيف زهرها بهجاً » أو ما أشبهه .

٣ ص : ديماً .

٤ يعني أنه بنيان مرصوص يشد بعضه بعضاً ( انظر الآية ٤ من سورة الصف ) .

٥ ص : اكدها . ٦ الماويّ : حجر البلور أو المرأة .



به الجفونُ منابتَ الشكيرِ من أهدابها والغديرِ ، متلاقيةً أقطارُها على رجالِ كأنهم  
أنسلاءٌ عادٍ وثاقَةٌ أجسام ، وصلابةٌ أحلام ، وبُعْدَ مَرَام ، لطفوا عن بدويةِ الشام  
وغلظته ، وجمدوا عن ذؤبِ العراقِ وخلايته ، قد عُقِدَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بالصدقِ فما ينتثرُ  
الباطلُ من عَذَابَاتِها ، وصَحَّتْ غرائسُهُمْ في المودَّةِ فما يُجْتَنَى الغَدْرُ من ثمراتها ، إن سلماً  
فسلماً وإن حرباً فحرباً ، لا يعرفون تدليسَ الأخلاقِ ، ولا تمويهَ النفاقِ ،  
وشعراؤهم<sup>١</sup> ملء اليدين ، وكتائبهم أثرٌ بعد عينٍ ، أدبهم [ حسن ]<sup>٢</sup> على قلة  
الملوكي<sup>٣</sup> فيه ، وعلمهم مُتَقَنٌ لمن تأملَ أدقَّ مسربٍ<sup>٤</sup> في فِتْنِ معانيه ، قد مَحَصَّ  
تهذيبُ المحنِ شرارَهُمْ وأَوْهَنَ خيارَهُمْ ، بَلَدُهُمْ أَطْلالُ ، وأحوالهم آل ، قويُّهم يثنَّ  
ضعفاً ، وضعيفُهُمْ يماطلُ حَتَفاً ، بَقِيَتْ عليهم أسماؤُ النعمِ وذهب الدهرُ بأجسامها ،  
وانجلت عنهم ظُلُلُ المحنِ وهم يتأوهون من غيرِ آلامها ، إلا أن فيهم بقيةً نقيّةً ،  
وفيهم موضعٌ تداركُ إن رُزِقوا سيرةً مرضيّةً ، فلولا ما أَرْجُوهُ من مداوِقِ أسقامهم ،  
وإعادةِ صالحِ أيامهم ، لفضاني الانتهاء بمعاشيتهم قبل معاناتهم ، وبملاحظتهم قبل  
مقاساتهم ، لكنِّي أعلمُ أن من يحيي العظامَ وهي رميمٌ ، ويبعثُ<sup>٥</sup> الروضَ وهو  
هشيمٌ ، وينشئ<sup>٦</sup> [ ... ] بعد ما كانت قفاراً ، ويجعلُ من الشجرِ الأخضرِ  
ناراً ، قادرٌ على أن يجعلَ ثوابَ نيّتي فيهم معونتي على ما أنويه لهم ، جزاءً تأملي بهم  
بلوغِ الغرضِ في تداركِ رَمَقِهِمْ .

وفي فصل : لو أطلّقتُ تفصيلَ المجل ، وإيضاحَ المُشكِـلِ ، لجرتُ لك به  
يدي طَلَقَ الجموحِ ، ولأَغْنَتَكَ أسارُهُ عن الوترِ الصَّدوحِ ، إلا أن القلبَ عليلٌ .  
والخاطرُ كليلٌ ، والزمانُ ببلوغِ الأملِ بخيلٌ .

١ ص : وسفراؤهم .

٢ ليس في موضعها بياض في ص .

٣ ص : متقن من .... مسرباً .

٤ ص : ويبلى ( دون اشحام ) .

وفي فصل من أخرى إلى ذي السعادتين <sup>١</sup> : للرياسة كُلف لا يستقل بها إلا المهذبُ الكاملُ ، ولا يخطو تحت أثقالها إلا الأُحدُ الفاضل ، ولا يبلغ ذوائب أعاليها ، إلا مَنْ شرب الأجاج من ماء واديه ، ولا يلذ بملكها إلا من أغلى المهر من كريم مساعيه ، ولا يفض ختامها إلا من جعل منازل الخطوب سلكاً لعقود أيامه ولياليه ، ولذلك قيل ما أنشدته استبصاراً ، وأنا إلى إirاده أبين إصراراً :

لا تحسبِ المجدَ تمراً أنتَ آكلُهُ      لن تبلغَ المجدَ حتى تلعقَ الصِّبراً <sup>٢</sup>

\*\*\*

وإنَّ سياسةَ الأقوامِ فاعلمْ      لها صعداءَ مَطْلَعُهَا طويلُ <sup>٣</sup>

\*\*\*

ويظلموا فنرى الألوانَ مسفرةً      لا خوفَ ذلٍّ ولكن فضلُ أحلامِ  
ويحتاجُ الرئيسُ إلى أعوانٍ يُظهرُ بهم كمينَ مكارمِهِ ، وَيُضي فيهم وبهم ماضي عزائمه ، فلولا الطالبُ لعاش الكريمُ مطوياً على حَسَرَاتِ أوطارِهِ ، ولولا الخاطيءُ لما وجد الحليمُ لذةَ حلمه ووقاره ، وكلّما كان التابعُ أبعدَ مذهباً في معناه ، كان المتبوعُ أشدَّ جذلاً بظهور مناقبه وعلاه .

وفي فصل : وقد كانت مني كباثرُ تكتفئُها معاذيرُ لا أشينُ وَجَهَ العفوِ بإيرادها ، ولا أنتقصُ جملةَ الصّفح والغفران بتعدادها ، في أنْ لم أفتتحْ مناسكي بالسّعي إلى حَضْرَتِهِ ، ولم أبدأ من مطالبِ شرعي بالتوفّر على / [١٤١] خِدْمَتِهِ ، وقد عَلِمَ الله

١ ذو السعادتين هو الحسن بن منصور أبو غالب وكان وزيراً للسلطان البويهبي بهاء الدولة ثم وُزّر بعده لسلطان الدولة ( ٤٠٩ ) ثم ثالثة لمشرف الدولة ( سنة ٤١٢ ؛ وتوفي في هذه السنة نفسها ) .

٢ من أبيات تنسب لرجل من بني اسد ( شرح المضمون : ٤٧٣ )

٣ ورد البيت غير منسوب في اللسان والتاج ( صعد ) ؛ وإكمة ذات صعداء ؛ يشتد صعودها على الراقي .

أَنَّ ذلك ليس من اعتلالٍ بصيرةٍ بشرفِ الانتماءِ إليه ، ولا انخفاضٍ همّةٍ عن سعادةِ  
المثولِ بين يديه ، ولا إمعانٍ في البدويّة - وإن كنت من أهلها - حتى أذهَلَ عن  
مطلعِ النَّيرِ الأعظمِ من الأفقِ الذي سكنتُ ظلّه ، ومفيضِ الفراتِ الأعذبِ من  
البلدِ الذي استوطنتُ محلّه ، ولا أَنَّ ذِكرَهُ لم يكن في تلك الأوطانِ زينةَ الأعيادِ ،  
وحليةَ البلادِ ، وأنسَ الحاضرِ والبادي ، وبلُغَةُ المسافرِ والحادي ، ولا أَني لم أكنُ  
ذكيّ الخاطرِ بتلاقِ مآثرِ آلائِهِ ، ومستشفياً بنسيمِ الريحِ من أرضِهِ وسبائه ، ومُعجِباً  
بما جمع اللهُ فيه لِعَفَاةِ أهلِ الأدبِ ، بل السَّراةِ أهلِ الرِّتبِ ، ومعنى قولِ القائلِ :  
يأتيك عن فهمِ الثناءِ عطاؤُهُ عَفَواً وتلك عطيةُ المستبصرِ  
كرمُ تَكشَّفِ عن حُلَى آدابه كالبَحْرِ يكشفُ غَمْرُهُ عن جوهرِ  
وفي فصلٍ من أخرى : ولما أزعجتني الأقدارُ إلى هذا المقرِّ الجليلِ على  
اضطرارٍ باد ، بنبوذِ ذلك المهاد ، وردتُ مطروفاً الناظر ، كليلَ الخاطر ، فقصدتُ مع  
ذلك خدمته - في ورودهِ الأول - باللقاءِ أو استطلاعِ الإذنِ بالمكاتبة ، فأعجلها  
مسيرُهُ الميمونُ ، فأحلتُ بذلك على الجدِّ الظنون ، والزَّمنِ الخَوون ، ثم كتبتُ  
مستبدها في هذه الرقعة بأمورٍ يشفُّ عنها الكتمانُ بصادقِ ظنّه ، وينمُّ بها السرُّ  
والاختفاءُ إلى نجيٍّ ذهنه ، فلم أُبشِّرْ بقدومه حتى أُنذِرْتُ بِصَدْرِهِ ، وقد كان من  
الحقِّ أن أسيرَ في أثره ، وأنفذَ في تصيّدِ العزِّ بملاحظةِ غُرَّتِهِ ، واستلامِ حضرتِهِ ،  
ولكنني أهديتُ من ضَعْفِ عذري وقوِّ ذنبي زينةَ إلى حلمه ومسامحته ، ورجوتُ أن  
يُضيفَ إلى الإغضاءِ عن زلّتي تريباً لي بما حرُمْتُه طولَ هذه المدة من خدمته ، فإن  
حقَّقَ محيَلةَ الظنِّ في الإغضاءِ فيفضِّله ، وإن أعرضَ عن كلِّ من تُعْرَبُ عليه  
الشمسُ لجرْمي فبَعْدِلِهِ ، وإن يكُ ظنِّي صادقي<sup>١</sup> فسينخدعُ لي انخداعَ ذوي  
الإنعام ، ويتغابنُ في صمتي عن<sup>٢</sup> إيجابهِ تغابنَ الكرام ، بأريحيته اللدنة الأعطافِ .

١ ص : صادقي .  
٢ ص : قيمتي من .

## ورياسية الموطاة الأكناف .

ومن جواب ذي السعادتين له : للسودد محل يدعو إلى نفسه ، ويسفر عن شمسهِ ، ويأبى أن يتقلقل به مهاده ، أو يتململ بقرارهِ وساده ، أو يكون إلا لمن وطأ له [ كنفاً ] ، ولأن بحمله معطفاً ، واستقل بأعباء تكاليفهِ ، وأغمض بدائع أفكارهِ في تضاعيفهِ ، ونص<sup>١</sup> المذكيات في مضارهِ ، واستبرد المصطفى من أوارهِ ، وغدا لفارِدو عَشراً ، وشرح للعناء<sup>٢</sup> فيه صدراً ، وكان كما قيل : إن رأى حسنة قال ، أو رأى سيئة أقال ؛ فقد أحسن القائل :

إِذَا يَرِنِّي مَفْصِل<sup>٣</sup> فَقَطَعْتَهُ فَيُوشِكُ أَنْ يَدْوِيَ لَذَلِكَ سَائِرُهُ  
وَأِنَّمَا نَصَصْتُ عَلَى الْمَوْقِعِ الْأَنَبِيِّ مِنْ حَضْرَتِهِ ، وَدَلَلْتُ عَلَيْهِ بِنَارِهِ وَسِمَتِهِ ، لِيَأْذًا  
بِقُوَّةِ الدَّوَاعِي مِنْهُ فِي تَمَثُّلِ مَا أَجْرَاهُ الْإِتِّفَاقُ عَلَى ضِدِّ الْمَرَادِ ، وَتَنَاهِ الْقَدْرِ الْغَالِبُ فِيهِ  
عَنْ غَرَضِ الْإِعْتِقَادِ ، وَسَنَنِ الْإِرْتِيَادِ .

وفي فصل منه : حتى بدا مطلع الأمل من حيث شيمته ، وصدق اليقين بتلك  
الأوصاف اللائقة ، والفضائل الشائقة الرائقة ، ما تصوَّرتُهُ وتحققته ، وذَرَّ البدر<sup>٤</sup>  
الكامل بالكتاب العرب عن جميع أدوات الفضل ومعانيهِ ، وبوارع الأدب<sup>٥</sup>  
النبيل ومعاليهِ ، فأكرِّم به من واصل بالمعنى في موضع العتب ، ووافد بالحسنى على  
الأساءة بالذنب ، وأعجب بما حواه من رائع البلاغة وبارع العبارة ، ومستكرم  
المائة ، ومستغنى الاطالة . ولقد أخبر من أثبأ السلامة في النفس المحروسة ما  
ضاعف المسرة ، وضاعف الغبطة والخبرة ، وأشار في عداها إلى ما أسال العبرة ،  
وأشعر الحسرة ، ولله تعالى في مثل ذلك الطاف توضح عن حُسن عواقب

١ ص : وتفصل .

٢ ص : للهاء .

٣ ص : ما يريني مفصل .

٤ ص : وذو البر .

٥ ص : وبوارع الأب .

التفويض ، وتقومُ باكرام الانابة والتعويض . وقد استرهن عندي بمبتدا التطوّل  
بالمكاتبة يداً ، اقتضى اعتدادي بها وشكري لها بما يبرهنُ عن توافقنا في الصفاء ،  
وتشاكلنا في الإخاء ، وسيدي يطيعُ في ذلك بواعثَ كرمه ، ونوازعَ شيمه .

فأجابه ابن المغربي برقعةٍ قال فيها : أُلقيَ إليّ كتابُ كريمٍ يكتفي شَرَفُ  
الهمةِ بخيال عنوانه ، ولا يُبلِّغُ بشقِّ النفس شكرَ ظاهره فضلاً عما في طيّ جَنَانِهِ ،  
ففضضتُ عن الرّوضِ العازبِ ، والتقطتُ منه فرائدَ الكواكبِ ، ووجدتُ فيه نسيماً  
الشبابِ ، وتعلّلتُ به في عَطْفِ الأيامِ / [١٤٢] السالفَةِ العذابِ ، ووجدته قد  
احتوى من عقائلِ الفصاحةِ وكرائمِ البلاغةِ على ما يُعدي المعجمَ العبيّ فينطقُ  
متخيّراً ، وَيُشَدُّهُ الناطقُ البليغُ فيبلسُ متحيراً ، وظننتُ أنّ العشاقَ لو أُعيروا من  
ألفاظِهِ مزاجاً للمرأشفِ ، وهبوا من أنفاسه عِطراً للسوالفِ ، لصالوا بِحُجَجٍ تجلُّ  
عن تَسْمِيَةِ المعاذيرِ ، وتصبغ الخطأ بلمعِ الصوابِ المنيرِ ، ولوأنهم جعلوه رميَ سُهْمَةٍ  
الفرقِ لكُفَّتْ عوادِها ، وأخذتُ لأعين الرقباءِ لَطَفَتِ [ من ] مآقيها ، ولوأن الحمامَ  
أصغتُ إليه لعاد نُوحها شَدَوْاً ، ولوأن الليالي تتدَثَّرُ به لصارَ دُجَاهَا غَدَوْاً ، وعجبتُ  
مما حملَ على مُنْتَي الضعيفةِ من مِنَنِ كُنتُ قبلها نِضْو العزيمةِ فكيف [ أنهض ] بها ،  
ومن مبارٍ يكادُ ينعني فادحُ أثقالها أن أستاذَ مرفقها ، فلوأن ذلك الكتابَ الجليلَ  
صدرَ إليّ من عدوّي لاهترزتُ ببدايع ما فيه ، ولوأنه تاه عن إنعامِ عليّ لغالطتني  
عذوبةُ لفظه عن مراقةِ معانيه ، فكيف وقد جاءني عن الأيامِ عُتْبَى ، وجعل قلبي  
لخواطِرِ الجدَلِ نهياً ، ولستُ أَلُمُّ بشكره عن هذه العاطفةِ الكريمةِ فأوهمُ أنها مما تتناوله  
أفكارِي الكليّةُ ، ولا أعرّضُ لحمدِها فأحبطُ أجري في الاعترافِ بالتقصيرِ عن  
مواهبها الجزيلةِ ، ولكن أوفيها . ما وَجَبَ من إظهارِ العجزِ فيها .

وفي فصل منها :

١ ص : تندهما . وعليها علامة خطأ .

\* وأيسن الثريّا من يد المتناول \*

لو أَعْنَتْ بما تلاقى عليه [ ... ] من خواطر ملتبهة المطالع ، وألسنة معروفة المقاطع ،  
لما ازداد هذا الدّينُ عليّ إلّا توثّقاً ، ولا استجدّ هذا الحقّ إلّا تعلّقاً ،  
\* دَعَ ذا وعدّ القولَ في هرمٍ \*

أنا الآن من التشوّق إلى خدمته لو وجدتُ إليها سبيلاً ، وأعملتُ نحوها  
رحيلاً ، وقد كنتُ ارتحتُ للفقرة التي تضمنها كتابه العالي من ذكر التفويض  
والتعويض ، ورأيتُ أنها لو صدّرت عن الحسن البصري لما زادت<sup>٢</sup> على ما غشّاها  
في عيني من البهائم وجلالة الصدق ، ولقد انتفعتُ بها ورجوتُ يَمَنَ نقيبتها  
[ وَحُسْنِ ] عاقبتها . وجملته ما أقترحه أن يتصوّر فيّ ما يتصوّر في بعض الأقربين  
من خادمٍ يُصْطَنَعُ فيُجرى من الحنو عليه مجرى خواصّ الأهلِ وأداني الأصحاب ،  
فله الرأي العالي في إنزالي حيث أنزلتُ نفسي من الاختصاص بجهته ، فأما المكاتبة  
فقد تقدّم القولُ في اقتناعي منها بمثل طيف الخيال ، أو رضائي أن يخطر ذكري  
بالبال ، إن شاء الله .

وطار للشريف أبي طاهر بازٍ كان يتصيد به ، فكتب إليه : بلغني خبر الغادر  
المفارق ، والباشقِ الآبق<sup>٣</sup> ، فشاركته في الاستيحاش [ مِنْ فراقِهِ ] لما كان يُبدِعُ  
من مصايدِهِ ، ويقرب عن مطارده ، ورأيتُهُ قد شابَ فضائلُهُ هذا الغدر الذي يُسلي  
عن تذكّاره ، والإباقِ الذي يُنسي محاسنَ آثاره ، والنكثِ الذي ختم به عواقبَ  
عهده ، وبغضِ إلينا ، بل إلى سيدنا ، استخدأ أمثاله من بعده ، لأنّ أحقّ الناس  
بكرههِ الغدر من كان الوفاء رضيعَ لبانه ، والحفاظُ منبتَ أصولِهِ ومنشأَ أغصانه .

١ صدر بيت زهير بن أبي سلمى ، وعجزه : « خير الكهول وسيد الحضر » ( شرح ديوانه : ٨٨ )

٢ ص : رددت .

٣ ص : الآريق .

وكأنني بفقده وهو عند الدراج من أنعم الأعراس ، ومن الوحشة منه وهي بين سراب الطيور من ألد الأيناس ، لأنها أريحت بعده من حنّتها العاجل ، وسَمّها القاتل ، وأجلّها القاصر ، ووجلّها الحاضر ، وعُقَلَة قوادِميها وخوافيها ، ودهشة نواظرها ومآقيها ، والكوكب المنقضّ على مسارحها ، والسهم القاصد الى مذابحها ، والآفة التي كانت حرمت بها حُسْن الرياض المونقة ، وثكلت برَد الغدران المغدقة ، وتنغّضت مشاهدة هذا الجو الرقيق الشبائل ، اللازوردي الغلائل ، حتى صارت لا تلتذُّ بوكي تبنيه ، ولا يفرّخ تُغذيه ، علماً بأنّها منه مُفَرَّق العدد ، وفاجع الوالد بالولد ؛ ولو علمت هذه الأطيّار الشامتة بنفاده ، السالكة سبيل الأشر بافتقاده ، بما يُعده سيدنا لها من ذي ظفر مظفر ، ومنسرٍ للطير مُيسّر ، وخلفٍ صالح ، وجارح جارح ، أشدّها لها منه اصطلاماً ، وأسَدَّ إلى مقاتليها سهاماً ، لعلمت أن كثرتها استجماعٌ له ؛ وأن وفورها توفير عليه .

وفي فصل منها : وما ألوم هذا المارق على مِلِّه وانحياشه ، لأنه كان قد تعود أن يصيد بمقدار قُوّته ومعاشيه ، فصار سيدنا يستخدمه بهمة تطلّب الغاية البعيدة ، وتستسهل / [١٤٣] المشقة الشديدة ، التي هزّها جدّ ، وجوّرها قصْد ، ولعبها ارتياض ، يتصير من لم ينفذ إليها سريعاً ، [ذا] ضراوة على اقتناص من لم ينته إلى أوامرها مطيعاً ، فلم يُطبق على ذلك جَلداً ، ولم يجذ بهذا الأمر الفادح يداً ، فما أشدّ بسطي لعذره ، ومعرفتي بسبب عُذْرِهِ ، وأمل أن يتذكّر ما كان له بفنائِهِ من نعيم ، تخياله بين غينيه ، وطيب عيش ، تذكّره أجدى له من حماقيه ، فتدعوه عواطف التربية والإيثار ، وتزول عنه عوارض السهو والاعتثار ، فيعود إلى رسمه ، ويعود من جرّمِهِ ، ويرجع وقد أدبته النكبة ، وهذبته الغربة .

١ ص : المناقض .

٢ ص : استجماع

وكان في ذلك الأوان بمدينة [ تكريت ، رئيس ]<sup>١</sup> ممن يشار إليه ، ويعولُ قومه عليه ، فرأى في منامه<sup>٢</sup> النبي عليه السلام مع علي بن أبي طالب ، وحضاه على الاسلام ، ووجد في الانجيل ما دلَّه على البشارة بمحمد عليه السلام ، فاستدعي إلى الحضرة ببغداد ، وطيف به في سائر البلاد ، فكتب إليه ابن المغربي رقعة قال فيها :

ويعلمُ الله ما ورد علي وعلى كافة من حضر من المسلمين من السرور بما أبان الله<sup>٣</sup> من آية قطعت عُذر الجاحدين ، [ حجة ]<sup>٤</sup> استهلكت شبه العاندين الجاهلين ، لا أن هذا الدين - بحمد الله - مفتقر من بعض حواشيه ، إلى بينة تزيد فيه ، ولا أن الاستدلال الصادق كان ترك شبهة إلا فضحها ، ولا معجزة إلا أوضحها ، وزائفاً إلا قومه ، وجاهلاً إلا علمه ، وركناً للباطل إلا خفضه ، وعقداً للشرك إلا نقضه ، إلا أن المخالفين قد شغلت الدنيا أكثرهم عن التأمل ، وحجبت العادات خواطيرهم عن التأول ، فبعد بالحجج السالفة ذكرهم ، واشتد إلى البراهين المستحدثة فقرهم ، فكان أبلغ [ برهان ] إقبال مثله إلى المحجة عن غير رغبة استفترته ، ولا رهبة هزته ، ولا محاسدة أغرته ، ولا مناظرة عزته ، بل أطلق عنان عقله ومد به راشداً حتى وقفه على الصراط المستقيم ، واستتلاه قاصداً حتى أورده إلى المنهج السليم ، فوردت النعمة بتخيروصافية غير مكدرة ، والمنحة في استثنائه وافية غير مقصرة ، فهنا الله الاسلام ما لا يزال يتولاه به من إيضاح مناره ، وتبليغ أنواره ، وإدامة صبحه

١ يياض في ص ، وزدته من تاريخ المسيحي : ٢٣٥ ب والرئيس المشار اليه هو أبو مسلم مشرف بن عبيد الله ، وكان يعرف بالطران الكبير ، رئيس اليعاقبة ؛ ويذكر المسيحي أن أسلام الرجل تم يوم الخميس السابع من جمادى الأولى سنة سبع [ ... ] وأربعائة وأن الوزير المغربي أرسل اليه هذه الرسالة من ميفارقين ؛ وقد أورد المسيحي جانباً من الرسالة لم يورده ابن بسام ، وانقطع فيها بضياع الأوراق ما أورده صاحب الذخيرة ما عدا سطرين منها .

٢ ص : منها .

٣ المسيحي : سروراً بما أتى الله جللت قدرته .

٤ زيادة من المسيحي .



ضاحكاً تتصدّع عنه دياجيرُ الشبهات ، وتتجلي منه ملابسُ الضلالات ، وهنا الله الشيخ ما رآه له أهلاً من هذا السناء الذي تقفُ دونه همُّ المعالي ، وتضيءُ به ظلمُ الليالي ، وغرسَ عنده التوفيقَ الذي يسترهن لواءَ النعمة ، ويضمنُ بقاءَ العصمة .

وفي فصل من أخرى : ولولا أنّي إذا أردتُ المواصلَةَ بنفسي ثَقَلْتُ ثَقَلَيْنِ بالزيارة ، وبالدالة<sup>١</sup> المستعارة ، لما استنبتُ والله على لساني قلمي ، ولا استنطقْتُ يدي قبلَ فمي ، ولكن الاضطرار يقود وأتبع ، والزمان يقول فأستمع .

وله من رقعة [ في ] فتح : ولما تقاربتِ الفتنانِ إذا بعدونا في عُدَّةٍ قد اشتملتُ منهم على كلّ سهمٍ في كنانتهم ؛ قد استكثروا من علوجٍ لا يَحْشُونَ<sup>٢</sup> حَوْمَةَ اللقاء ، ولا يشبتونَ على مقارعةِ الأكفاءِ ، فلما اجتمع أعداءُ الله وقلوبُهُم بالدّعيرِ متفرقة ، وأقدموا وأقدامُهُم الفقهاءَ راجعة ، وكانت لنا عيونٌ تجثمُ على مدارجِ أنفاسهم ، وطلائعُ تقبضُ على مسارحِ الحاظهم .

وفي فصل منها : وبأدَرَّتُهُمْ فتیان بنی عامرٍ علی الجُرْدِ الصلادم<sup>٣</sup> ، قد بزوا الجَنَنَ تَعَجُّلاً للطراد، وتَحَفُّفُوا من الرماح تقصيراً للبعاد، فوكزهم بالرماح وكزاً ترك الدروع منهم غلائلٌ ، وأمانیّ الحياة فيهم قلائلٌ، فلم يتركِ القتلُ منهم إلا أنفساً عافتها كرامُ السيوف، وأآخرين عزينٌ تكفكفُ عنهم الرحمُ العطوف، يتمسكون بأنفسهم حوزاً ، ويعتدون ذلَّ الفرار عِزّاً ، وافترقوا إلى أوطانهم يرقبون الليلَ كما يُرتَقَبُ الصباح ، ويدلجون بكلِّ ماشٍ من الخيلِ بجناح ، وكان أميرهم في بُلْهَنِيَّةِ الاستهامة بهم ، وقلة الفكر فيهم ، قد بات يعملُ كاسُهُ ويلهي جُلَّاسُهُ ، وغدا سكرانُ

١ غير واضحة تماماً في ص .

٢ يحشون : يدخلون

٣ ص : الصوام

٤ ص : عن

٥ ص : عريّة ( دون اعجام )

على فرسٍ جموحٍ يبادرُ النهابَ وهي أنفسهم ، ويحاولُ الغنائمَ وهي مُهْجُهُمْ ،  
فرَقَصَتْ بهِ الفرسُ فصادف ذلك الأجلَ المكتوبَ له . فجزى الله هذا الحيَّ من آلِ  
عامرٍ أهناً الجزاءَ عاجلاً ، وأدومَهُ أجلاً ، وثنى ببني عمنا الأقربين ، وعشيرتنا  
المستخلصين ، خفاجةً ، وكذلك الجيران ، وأهل البلدِ والأعيان [١٤٤] وألفاف<sup>١</sup>  
كانت أسماؤهم نكرةً ، فعَرَفَتْها المواقفُ الحميدة ، وطوائف عاطلة حَلَّتْها الخطا  
البعيدة ، وخاملة نبَّه عليها شكرُ السيوف لأيدٍ منهم وَصَلَتْ قصارها ، وأَوْصَلَتْ في  
زحامِ الوردِ حوارها .

وفي فصل له : وكلما هممتُ بمفاتحتِهِ اعترضتني خَجَلَةُ المتأرَّكةِ ، واستوقفتني  
غفلةُ المجانبةِ ، وخانت يدي قلبي ، فلم تَشْفِهِ باظهارِ ضميره ، ولم تحسنِ النيابة  
عنه في الاعتذارِ من تقصيره .

وهذه أيضاً جملةٌ من شعره في أوصافِ شتى

قال :

عجبتُ هندُ من تَسْرَعِ شيبِي      قلتُ هذا عقبي فطامِ السرورِ  
عَوَّضتني يدُ الثلاثين من مســـــــكٍ عذاري رشاً من الكافور  
كان لي في انتظارِ شيبِي حساباً      غَالَطْتُني فيه صروفُ الدهورِ

والبیت الثاني منها كقول الوزير أبي محمد ابن عبدون :

يا دهرُ ذنبكَ عندي غيرُ مكفورٍ      على مَ عَوَّضتَ مِن مسكي بكافورٍ

وقال<sup>٢</sup> :

١ ص : والغات

٢ منها أربعة أبيات في دمية القصر ١ : ٩٤ وثلاثة في الشريشي ٣ : ١٢٠ والأبيات ٩،٧،٦،٣،٥،٤،٢،١٠ في ربحانة  
الألباء ٢ : ٤٧٦

عَلَّمْتُ مَنْطِقَ حَاجِيهِ وَالْيَنُ يَنْشُرُ رَايَتِهِ  
وَعَرَفْتُ آلَاتِ النَعِيمِ بِقَبْلَةٍ فِي عَارِضِهِ  
وَلَقَدْ أَرَاهُ فِي الْخَلِيجِ يَشْقَهُ مِنْ جَانِبِهِ  
وَالْمَاءُ مِثْلُ السِّيفِ وَهُوَ فَرِيدُهُ فِي صَفْحَتِهِ  
لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهِ أَبَدًا وَلَا تَسْرِدُوا عَلَيْهِ  
قَدْ ذَابَ فِيهِ الْحَسَنُ [مِنْ] حَرَكَاتِهِ أَوْ مَقَلَّتِيهِ  
وَالسَّلَامُ أَسْلَمَ فَاحْذَرُوا مِنْ فَتْرَةٍ فِي نَظَرِهِ  
صَبَغَتْ بِيَاضَ النِّيلِ حَمْرَةً وَرَدَّتْ [فِي] وَجْنَتِهِ

وقال :

تَمَنَّعَ أَنْ رَأَى زَغِيَا بِعَارِضِهِ قَدْ التَهَبَا  
وَتَاهُ عَلَيَّ أَنْ أَبْدَتْ عِقَابُ صُدْغِهِ ذَنبَا  
وَقَدَّرَ أَنَّهُ سَبَبٌ يَقْطَعُ بَيْنَنَا النِّسْبَا  
وَلَا وَاللَّهِ لَا أَلُو لِحَقِّ عِنْدَهُ طَلْبَا  
وَلَا خَلَيْتُ فِي كَفَيْهِ قَلْبًا طَالَ مَا انْتَهَبَا  
أَمَا عَيْنَاهُ عَيْنَاهُ اللَّاسَتَانِ أَبَا حَتَا الرِّيَا

وقال وقد كسفت الشمس :

لمثلِ ذَا الْيَوْمِ يَا مَعَذَّبَتِي      كَانَتْ تَرْجِيكِ أَخْتُكِ الشَّمْسُ  
قَوْمِي أَخْلَفِيهَا فِي ذَا الْكَسُوفِ فَفِي      وَجْهَكَ عَنْهَا إِنْ أَوْحَشْتَ [أَنْس] ٢  
وَعَالِطِي حَاسِبَ النُّجُومِ فَإِنْ      لَجَّتْ وَغَابَتْ أَصَابَهُ لَبْسُ

١ الشريشي والدمية : الغدير.

٢ موضع هذه اللفظة في ص : « خلف » .

وقال:

يَوْمُ الْكَسُوفِ جَلَا عَلَى بَصْرِي  
قَامَتْ فَأَرَخْتُ مِنْ ذَوَائِبِهَا  
فَسَأَلْتُهَا لِمَ قَدْ لَبَسْتَ دَجِيَّ

قَمَرًا أَحَارَ الْجَنِّ وَالْإِنْسَا  
وَتَجَلَّلْتُ مِنْ شَعْرِهَا لِبْسَا  
قَالَتْ أَسَاعِدُ أُخْتِي الشَّمْسَا

وقال:

قَالُوا كَسُوفَ الشَّمْسِ مَقْتَرِبُ  
يُقَتِّي بِكَاسِيفِهَا وَكَاشِيفِهَا  
مَنْ لَوْ يَشَاءُ أَعَادَ مَشْرِقَهَا  
هِيَ شُعْلَةٌ مِنْ نُورِهِ فَاذَا

قُلْتُ ادَّخَرْتُ لِدَفْعِ نَائِبِهَا  
وَلِفَضْلِ مَا حِيَهَا وَكَاسِبِهَا  
مُتَبَسِّمًا لَكَ مِنْ مَغَارِبِهَا  
مَا شَاءَ أَظْلَمَ أَوْ أَضَاءَ بِهَا

وقال:

أَذِرْ كَأْسَ الْمَدَامِ فَإِنْ قَلْبِي  
حَلَلْتُ بِبَابِلٍ وَأَرَدْتُ أَلَّا

أُتِيحَ لَهُ عَنِ التَّقْوَى ارْتِحَالُ  
أَهْيَمَ بِسِحْرِهِمْ هَذَا مَحَالُ

وقال ٢:

دَنَفٌ بِحَمَصٍ وَبِالْعِرَاقِ طَبِيبُهُ  
مَا نَالَهُ إِلَّا الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ  
لَزِمَ السَّهَادَ تَحِيْرًا وَتَلَدَدًا  
زَعَمَ الْفِرَاقَ دَعَا بِهِ فَأَجَابَهُ

يُضْنِيهِ عَنْهُ بَعَادُهُ وَيَذِيئُهُ  
إِذَا غَابَ عَنْ بَلَدٍ وَفِيهِ حَبِيبُهُ  
وَتَأْسَفًا إِذَا أُوْبَقَّتْهُ ذَنْوِبُهُ  
وَنَعْمَ دَعَاهُ فَلَمْ أَرَادَ يَجِيبُهُ

١ تاريخ المسيحي : ٢٣٣/أ

٢ الشريشي ٣ : ١٢٠

وهذا كقول الآخر :

أَنْظَعُنْ عَنْ حَبِيبِكَ ثُمَّ تَبْكِي      عَلَيْهِ فَمَنْ دَعَاكَ إِلَى الْفِرَاقِ  
وقال آخر :

كَذَبْتُكَ نَفْسُكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى      تَشْكُو الْفِرَاقَ وَأَنْتَ عَيْنُ الظَّالِمِ  
وقال ابن المغربي<sup>١</sup> :

ولما احتوى بدر الدجى صحنَ خَدِّه      تحير حتى ما درى أين يذهبُ  
تبلبلَ لما أن توسَّطَ خَدُّه      وما زال من بدر الدجى يتعجبُ  
كانَ انعطافَ الصدغِ لأمِّ أمالها      أديبٌ يجيئُ الخطَّ أيَّانَ يكتبُ

وهذا المعنى كقول الآخر، وأنشدُ القطعة بكمالها ، استيفاءً لجمالها :

تعلَّم العطفَ من صدغيه فانعطفَا      وكان من شأنِهِ ألاَّ يفي فوفى  
دبَّ العذارُ على ميدانِ صفحته      حتى إذا همَّ أن يسعى به وقفا  
كأنه كاتبٌ عزَّ المدادُ به      أراد يكتبُ لاماً فابتدا ألفا

وقال ابن المغربي :

حبيبُ سرى يستقبلُ الليلَ وَخَدَهُ      ويسبقُ آرام الصريمِ وأُسدَهُ  
فلا الأنسُ من أمثاله الأدمِ عاقَهُ      ولا الذعرُ من أعدائِهِ القُلُوبِ صدَهُ  
يخوضُ إليَّ الليلَ ما بلَّ عطفه      ويفرج غيلَ الدوحِ ما حلَّ عقده

المصراع الأول منه كقول المعري<sup>٢</sup> :

١ الأول والثالث في الشريشي ٥ : ٢٢٣

٢ شروح السقط : ١٢٢٣

عجبتُ وقد جزتِ الصرّة رِفْلَةً      وما خَضِلْتُ مما تَسْرَبْتُ أَذْيَالُ<sup>١</sup>  
 [١٤٥] / وقد طلعتُ في الرأسِ مَنَى رَايَةً      ثكلتُ بها هزلَ النعيمِ وجَدَّهُ  
 كلوحُ مشيبٍ لو يكونُ<sup>٢</sup> تَبَسُّماً      كما زعموا ما [إن] بكى القلبُ عنده  
 وما زَهَرَاتُ الشيبِ فيه ظوالمُ      كذا العشبُ يأتي يانعُ الزهرِ بعده  
 أخذتُ من الدهرِ التجارِبَ جملةً      وقبلَ أشدِّي ما بلغتُ أشده

قوله « كلوح مشيب » ينظر إلى قول ابن الرومي<sup>٣</sup> :

لم يضحكِ الشيبُ من قُوذِيهِ بل كلحا      سمَّ القبيحَ من الأساءِ ما قُبِحا  
 ان كان ابنُ المغربي قد تَقَصَّ معناه ، وطمسَ سناه ، فقد زاد فيه ما ذهبَ  
 ببعض جنائته ، ومحا كثيراً من إساءته . وكان الناسُ قديماً وحديثاً يستعيرونَ  
 لبياضِ المشيبِ التَّبَسُّمَ ، حتى جاء ابن الروميّ بحرَّ الإبداع ، وعذبةِ لسانِ  
 الاختراع ، فقال بيته المتقدمَ فأسكتَ به القائلين ، ودفع في صَدْرِ المتقدمين ، وبينَ  
 أنه ربما كان الفضلُ للآخر ، وأبقى السالفُ للغابر . وأرى أوَّلَ من نحا هذا  
 المنحى ، وسلك بالمشيب هذه المحجّة المثلّية ، حيث استعار الضحكَ للمشيب ، غير  
 مبالٍ إلى ما في ذلك من العيب ، دعبِل حيث يقول<sup>٤</sup> :

لا تعجبي يا عبدَ من رجلٍ      ضحكَ المشيبُ برأسه فبكى  
 فاستعار الجناح ، وغدا على ألسنة الرواة وراح ، وتتابع فيه الشعراءُ فأبدأوا  
 فيه وأعادوا ، ونقصوا وزادوا .

١ الرِفْلَة : الطويلة الذيل : الصرّة : مجتمع دجلة والفرات : خضلت : ابتلت .

٢ ص : يكن .

٣ ديوان ابن الرومي : ٥٦٣

٤ ديوان دعبِل : ١١٧ وروايته : لا تعجبي يا سلم ( وفي الديوان تخريج مستفيض )

وقال ابن المغربي :

ولما دعوتُ الكأسَ تؤنسُ وحشتي      لبعْدِكَ زادتني اشتياقاً إلى القربِ  
ومالت بأعطافي لها أريحيةً      فقربُكَ أحلى من جناها إلى القلبِ  
فأنت مزاجُ العيشِ إن كان صافياً      وأنت المعيرُ الصفو في كَدَرِ الشربِ

وقال في غلام تركي وسيم ، كان به يهيم :

غزال لم الأيسُ قبله التبريحَ والكمداً  
أظنُّ عِداَهُ حانيةً لعشقي مذ كذا رسداً

وقال :

يا أهل مصرٍ قد عاد ناسيكمُم      بالكَرْخِ بعد التقى إلى الفتكِ  
جَمَشَ قلبي [مُقَرَّطُ غَنِيحٍ      بدا لقلبي فيه من النسكِ  
رمى فؤادي بسهمٍ مقلتهِ      وكيف يُخطي مولدُ التركِ

وذكرت بمعنى البيت الثاني من هذه قول كشاجم ، وإن لم يكن به ، فيتعلقُ

بسببه ٢ :

يقولون تُبُّ والكأسُ في يد أغيدٍ      وصوتُ المثاني والمثالث عالٍ  
[فقلت لهم لو كنتُ أزمعتُ توبةً      وشاهدت هذا في المنام بدا لي]

وقال ابن المغربي ٣ :

حبيبٌ مللتُ الصبرَ بعد فراقِهِ      على أنني علَّقتُهُ وألفَّتُهُ  
محا سنُّ يأسِي شخصَه من تفكري      فلو أنني لاقيتُهُ ما عرفتُهُ

١ الشريشي ٣٠٥ : ٥

٢ انظر زهر الآداب : ٦١١ والشريشي ٣٠٥ : ٥

٣ تاريخ السبعي : ٢٣٤/أ

وقال :

إلا وَبَعْضُهُ خَوْفِي | من النار  
إلا وَقَلْبِي عَلَيْهَا عَاتِبٌ زَارِ

وله في غلام نصراني :

رَغِبْتُ فِي مَلَّةٍ عَيْسَى وَمَا  
رَغْبَنِي فِي دِينِهِ شَادِنُ  
يَخِيبُ مَنْ يَرْغِبُ فِي مَلَّتِهِ  
رَأَيْتُهُ يَخْطُرُ مِنْ بَيْعَتِهِ  
صَنَعَ حَكِيمٌ مَا أَرَى أَنَّهُ  
يَسْلُطُ النَّارَ عَلَى حِكْمَتِهِ  
إِنْ كَانَ ذَا مِنْ سَاكِنِي نَارِهِ  
فَنَارُهُ أَطْيَبُ مِنْ جَنَّتِهِ

ومن مراثية له في الشريف أبي الحسن ، صهره :

يَا نَاعِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا أَشِيدْ بِهِمَا  
هَذَا مَعَالِي قَرِيشٍ غَاضٌ آخِرُهَا  
قُلْ يَا أَبَا حَسَنِ وَالْقَوْلُ ذُو سَعَةٍ  
أَخْرَ الدَّهْرَ أَمْ تُحْتَسِي عَوَاطِفُهُ  
كَلَّا لَقَدْ فَاتَ مِنْكَ الْوَصْلُ أَمَلُهُ  
هُتَيْتَ رِبْعاً بَرِغْلَمِ الْمَجْدِ تَسْكُنُهُ  
إِنْ أَخْلُ بَعْدَكَ بِالدُّنْيَا أَرَوْضُهَا  
هَلْ كُنْتَ تَعْلَمُ إِذْ عَوَّدْتَنِي أَبَداً

فِي حَيْثُ سَأَلَ بِآلِ اللَّهِ وَادِيهِ  
وَمَجْدِ هَاشِمٍ زَارَ التُّرْبَ بَاقِيهِ  
لَوْلَا حِجَابُ مِنَ الثَّرِيَاءِ<sup>١</sup> يَتْنِيهِ  
وَفِيصَلُ الْبَيْنِ أَمْ يُرْجَى تَلَافِيهِ  
مَذْ شَيْدَ الْجَدَثِ الْمَأْهُولِ بَانِيهِ  
تَلْقَى أَبَاكَ عَلِيّاً فِي مَغَانِيهِ  
فَقَدْ خَلَا بِضَمِيرِ النَّبْعِ بَارِيهِ  
حُسْنُ التَّصَبُّرِ أَنِّي فِيكَ أَفْنِيهِ

وهو القائل<sup>٢</sup> :

١ ص : في سعة

٢ الثرياء : الأرض ، أو القرى والندى

٣ الأبيات في ياقوت ١٠ : ٨٢ والمتنظم ٨ : ٣٣ وابن خلكان ٢ : ١٧٦



كنتُ في سَفَرَةِ البطالةِ والغَيِّ زماناً<sup>١</sup> فحانَ منه قدومُ  
تبتُ عن كلِّ مأثمٍ فعسى يُحْيِي بهذا الحديثِ ذاكَ القديمِ  
بعد سبعٍ<sup>٢</sup> وأربعينَ لقد ما طلتُ إلاَّ أنَ الغريمَ كريمَ

انتهى ما أثبتته لأبي القاسم من فصوص نشره ، وملح شعره ، وأختم ذكره  
بخبر يتعلق بكرمه ، ومحاسن شيمه<sup>٣</sup> : كان يوماً بدارِهِ ببغداد في نوروز سنة ثمانِي  
عشرة وأربعمائة ، وهو اذ ذاك وزيرها ، وله تدييرُها ، فدخل عليه وجوهُ أمراءِ الديلمِ  
والاسفهلارية من الأتراك على طبقاتهم ، ووضعت الهدايا بين يديه على رَسمِ  
الفرس ، فلما/[١٤٦] خفَّ المجلس وتعلَّى النهار ، استؤذن عليه للدليمي مهيّار ،  
فأذنَ له ودخل ، فلما مثل بين يديه وسلَّم قال : أيدك الله ، هذه البضاعةُ التي معنا  
كانت كاسدة ، وقد وجدنا لها نفاقاً بحضرتك ، فقال : هات ما معك ، فأنشده  
قصيدتهُ التي أولها<sup>٤</sup> :

\* عسى مُعْرِضٌ وجهُهُ مُقْبِلٌ \*

وهي قصيدةٌ نيفَ فيها على المائة ، وقد أثبت ما أخرجتُ منها في موضعها من  
هذا القسم ، فجعل ينشدها وابنُ المغربي يستعيد أبياتهُ النادرةَ فيها ، ويكثر إعجابه  
بها ، ويجمع كُفَّيه ويبسطهما ويقول : أحسنتَ والله ، أجدتَ والله ، إلى آخرها . فلما  
فرغ أشار له إلى دراهيم ودنانير كانت بين يديه دونَ باقي الهدايا ، ففتح مهيّارُ كُفَّه  
الأيسرَ وجمع بيده اليمنى حتى ملأ كُفَّه الأيسر ، ثم فتح كُفَّه الأيمن وجمع بيده  
اليسرى إلى أن لم يبق في الموضع دينار ولا درهم ، ونهض ؛ وسئل مهيّار بعدُ عن

١ ياقوت : كنت في سفرة الغواية والجهل مقبلاً

٢ ياقوت : بعد خمس .

٣ بغية الطلب ٥ : ٢٩ ، ١٩

٤ ديوان مهيّار ٣ : ١٢٤ وعجز البيت : فيوهب للآخر الأول .

زنة ما حصل له يومئذ فقال : كانت الدنانير ألفاً ومائة مثقالٍ وعشرين ، والفضة ثمانية آلاف درهم .

## فصل في ذكر الفقيه الحافظ

عبد الوهاب بن نصر المالكي البغدادي<sup>١</sup>

ناصر دين المالكية ، وإيراد قطعة من شعره

الذي هو حلالة الأمان ، وبشر وجه الزمان

كان أبو محمد في وقته بقية الناس ، ولسان أصحاب القياس ، وهو أحد من صرّف وجوه المذهب المالكيّ ، بين لسان الكنانيّ ، ونظر اليونانيّ ، فقدّر أصوله ، وحرّر فصوله ، وقرّر مجلده<sup>٢</sup> وتفصيله ، ونهّج فيه سبيلاً كانت قبله طامسة المنار ، دراسة الآثار ، وكان أكثر الفقهاء ممن لعله كان أقرب سندا ، وأرحب أمداً ، قليل مادة البيان ، قليل شباق اللسان ، قلما فصلّ في كتبه غير مسائل يلقفها ولا يتقفها ، ويؤبها ولا يرتبها ، فهي متداخلة النظام ، غير مستوفاة الأقسام ، وكلهم قدّ أجز ما اجتهد ، وجزاء ما نوى واعتقد .

وقد وجدت له شعراً معانيه أجلى من الصبح ، وألفاظه أحلى من الظفر بالنّجح ؛ وثبت به<sup>٣</sup> بغداد ، كعادة البلاد ، بذوي فضلها ، وعلى حكم الأيام في محسني أهلها ، فخلع أهلها ، وودّع ماءها وظلّها . وقد حدثت أنه شيعه يوم فصل

١ ترجمة عبد الوهاب المالكي في طبقات الشيرازي : ١٦٨ وتاريخ بغداد ١١ : ٣١ والمنظم ٨ : ٦١ وترتيب المدارك ٤ : ٦٩١ والديباج المذهب : ١٥٩ ومرة الجنان ٣ : ٤١ وابن خلكان ٣ : ٢١٩ والمرقبة العليا : ٤٠ وابن كثير ١٢ : ٣٢ والشدرات ٣ : ٢٢٣ والفوات ٢ : ٤١٩ والزرکشي ٢ : ٢٠٢ وتبيين كذب المفتري : ٢٤٩ والنجم الزاهرة ٤ : ٢٧٦ وورد في دمية القصر ( ١ : ٢٩٥ - ٢٩٧ ) ترجمة أبي نصر عبد الله بن علي بن نصر المالكي ، ولعل صوابه « عبد الوهاب بن علي » إذ نسب له البخارزي أبياناً نسبت لعبد الوهاب في أكثر المصادر .

٢ ص : حصله .

٣ ص : بعد

عنها ، من أكابرها ، وأصحاب محابرها ، جملةً موفورة ، وطوائف كثيرة ، وأنه قال لهم عندما وقفهم للتوديع ، وعزم عليهم في الرجوع : والله يا أهل بغداد لو وجدت بين ظهرانيكم رغيّفين كلّ غداةٍ وعشيّةٍ ، ما عدتُ ببلدكم بلوغَ أمنيّةٍ ؛ والخبزُ عندهم يومئذٍ ثلاثمائة رطل بمِثقال . وزعموا أنه ارتجل يومئذ هذه الأبيات <sup>١</sup> :

سلامٌ على بغدادَ في كلّ موطنٍ      وحقٌ لها منّي السلامُ المضاعفُ  
لعمرك ما فارقتها قالياً لها      وإنّي بشطّيّ جانبيها لعارف  
ولكنها ضاقتُ عليّ برحبها      ولم تكن الأرزاقُ فيها تساعف  
فكانت كخلٍ كنتُ أهوى وصاله      وتنأى به أخلاقه وتخالف <sup>٢</sup>

وبلغني أنه اجتاز في وجهته تلك بعمرة النعمان ، وبها يومئذ أبو العلاء أحمد بن سليمان ، فضيّفه ، وكتب إليه بما أثبتته في موضعه ، وفي ذلك يقول أبو العلاء <sup>٣</sup> :

والمالكيُّ ابنُ نصرٍ زار في سَفَرٍ      بلادنا فحمدنا النأيَ والسفراً  
إذا تفقّه أحيا مالكاً جدلاً      وينشرُ الملكَ الضليلَ إن شعرا

واستقرّ الفقيه أبو محمدٍ بمصر ، فحملَ لواءها ، وملاً أرضها وسماها ، واستتبع سادّتها وكبراءها ، وتناهتُ إليه الغرائبُ ، وانشالتُ في يديه الرغائبُ ، فبات لأوّل ما وصلها ، من أكلةٍ اشتهاها فأكلها ؛ زعموا أنه قال وهو يُقلّب ، ونَفْسُهُ [قد] تصعدُ وتصوبُ « لا إله إلا الله ، إذا عشنا متنا » . وكانت وفاته بها رحمه الله سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .

وقد أخرجتُ من شعره ما يروقُ العيونَ ، ويفوقُ المنشورَ والموزونَ . ومن شعره

١ وردت في أكثر المصادر التي جاءت فيها ترجمته ؛ وقيل إن الأبيات ليست له ؛ وانظر الشريشي ٤ : ٣١٧

٢ ترتيب المدارك ؛ وتجانف .

٣ شروح السقط : ١٧٤٠ وابن خلكان : ٢٢٠ والفوات : ٤٢٠٠ والشنذرات : ٢٢٤

كما أنشد أبو المطرف المالقي<sup>١</sup> :

لا تتعجل قطيعتي فكفى      يوماً يد الدهر بيننا تقطع  
عما قليل حين<sup>٢</sup> فرقنا      نمت لا ملتقى ولا جمع

واستقضي بمدينة اسعرد<sup>٣</sup> ، فبلغه عن أحد أدبائها أنه قال عنه / [١٤٧] كلاماً  
معناه : القاضي - أعزه الله - مجيد ، في كل ما يريد ، إلا أنه ربما فتر قوله إذا شعر ،  
فقال عبد الوهاب :

أبغى رضاكم جاهداً حتى إذا      أملت حُسنى عاد لي منكم أذى  
إنني لأصبح من تجن خائفاً      ويسلمكم من حربكم متوذاً  
فألى م صبري للتعتب منكم      وإلى م إغضائي الجفون على القذى  
لوشئت أمّني القريض من الذي      أنا خائف ولكن لي مستنقداً  
فيظل بي متمللاً متغصلاً      من كان قبل الشر بي متلذذاً  
لكنني أرعى الوداد وإن غدا      غيري به متشدقاً متطرماً  
وأظل يملكني الحنو عليكم      وأكف عائر أسهمي أن ينفذاً  
وأجل قدري في المودة أن أرى      بعد الحفاظ لعهدهم أن ينبذاً  
أظن بغدادياً طبع خالص      يلقى هزيم من اغتدى متبغداً  
هيهات إن من الظنون كواذباً      والحزم أولى في الحجى أن يحتذى  
إن تعتذر منها تجدني قابلاً      أو رمت تجديد الوداد فحبذاً

١ السريسي ٢ : ١١٣ - ١١٤

٢ ص : نجر

٣ اسعرد ( وتكتب أيضاً : أسعرد ، اسعرت ، سعرت ) إلى الجنوب من ميفارقين ( انظر تقويم البلدان : ٢٨٨ - ٢٨٩ )

٤ ص : منسوخاً .

٥ المطرمد : العلف المتكرر بما لم يفعل .

طبعي التجاوز عن صديقٍ إن هفا  
فتجنَّبْن عَتْبِي وَعُدُّ لِمُودَتِي  
واعلمُ بأنِّي لستُ غافِرَ زِلَّةٍ  
ذو الحلم إن سألتهُ لك منصفُ  
يا شاعراً ألفاظُهُ في نظمه  
خذهَا فقد نظَّمَهَا لك حكمةٌ  
حتى تظلَّ تقولُ من عَجَبِي بها

وقال ١ :

وَيَغْفِرِ زَلَّاتِ الْأَخْلَاءِ اغْتَدَى  
لَا تَصْغِينَ لِقَوْلِي وَاشْرِيْ إِنْ هَدَى  
إِنْ رَابِنِي ظَنُّ بِكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَا  
فَإِذَا نَضَا عَنْهُ تَحَدُّهُ قَدْ بَذَا  
دُرَّراً غَدَّتْ وَزَبْرَجْدًا وَزَمَرْدَا  
فِيهَا وَقَلُّ لِمَثَلِهَا أَنْ يُوْخَذَا  
مَنْ قَالَ شِعْراً فَلْيَقْلُهُ هَكَذَا

ونائمةٌ قَبَّلْتُهَا فَتَنَبَهْتُ  
فَقُلْتُ لَهَا إِنِّي فَدَيْتُكَ غَاصِبُ  
خَذِيهَا وَحِطِي<sup>٢</sup> عَنْ أَثِيمِ ظِلَامَةٍ  
فَقَالَتْ قِصَاصُ يَشْهَدُ الْعَقْلُ أَنَّهُ  
وَقَالَتْ أَلَمْ أُخْبَرْ بِأَنَّكَ زَاهِدُ  
فَبَاتَتْ يَمِينِي رَهْن<sup>٣</sup> هَمِيَانٍ خَصَرُهَا

وقال ٤ :

ولو برزتُ بالليل ما ضلُّ مَنْ يسري  
أَعْدِي لِفَقْدِي مَا اسْتَطَعَتْ مِنَ الصَّبْرِ

ومحجوبةٌ في الخدر عن كلِّ ناظرٍ  
أقولُ لها والعيسُ تُحْدِجُ لِلنَوَى

١ أوردتها ابن خلكان والفوات والشذرات ومرأة الجنان وابن كثير .

٢ في رواية : وكفي

٣ في رواية : وهي ... وهي :

٤ وردت ثلاثة أبيات منها في ياقوت ١٠ : ٨٨ وابن خلكان ٢ : ١٧٣ منسوبة للوزير المغربي : وأربعة في الشريشي

١ : ٢٩٩ للفاضي عبد الوهاب .

سَأُنْفِقُ رِيْعَانَ الشَّبِيْبَةِ أَنْفَاءً  
أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنْ لِيَالِيَاءُ  
وَأَنَا لَفِي الدُّنْيَا كَوَاكِبُ لَجَّةٍ

وقال ١ :

عَلَى طَلَبِ الْعِلْيَاءِ أَوْ طَلَبِ الْأَجْرِ  
تَمَرُّ بِلا نَفْعٍ وَتُحْسَبُ مِنْ عَمْرِي  
نُظُنُّ قَعُوداً وَالزَّمَانُ بِنَا يَجْرِي

وَبِي حَوْلٍ يُغْنِي عَنِ النَّظَرِ الشَّرِّ  
نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْعَذْرِ

حَمَدْتُ إِلَهِي إِذْ بُلِيتُ بِحَبِّهَا  
نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالرَّقِيبُ يَخَالِنِي

وقال :

لَا تَتْرِكِ الْحَزْمَ فِي شَيْءٍ تَحَاذَرُهُ  
الْعَجْزُ ذُلٌّ وَمَا بِالْحَزْمِ مِنْ ضَرَرٍ

وقال :

مَشْتَكِيًّا مِنْهُ أَذَى حُبِّهِ  
حُمِلْتُ فِي الْحَبِّ عَلَى صَعْبِهِ  
وَجَدْتُهُ أَنْعَمَ مِنْ خَصْبِهِ  
نِيرَانُهُ تُضْرِمُ فِي قَلْبِهِ  
أَلْ بِهِ ذَاكَ إِلَى نَحْبِهِ  
يَشْكُو الَّذِي يَلْقَاهُ مِنْ كَرْبِهِ

لَسْتُ وَإِنْ كُنْتُ مَعْنَى بِهِ  
بَلْ رَاضِيًّا مَا كَانَ مِنْهُ وَإِنْ  
مُرُّ الْهَوَى أَطْيَبُ مِنْ عَذْيِهِ  
مَا صَدَقَ الْحَبُّ أَمْرًا لَمْ تَبِتْ  
يَسْتَعَذِبُ التَّعْذِيبَ فِيهِ وَإِنْ  
لَا بَاغِيًّا مِنْهُ نَوَالًا وَلَا

وقال :

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي يَوْمَ بَيْنَهُمْ نَدِمْتُ إِذْ وَدَّعْتَنِي غَايَةَ النَّدَمِ

١ انظر حاشية : ٢ في ابن خلكان : ٢٢١ ونسبها ابن خلكان نفسه في ٤ : ٣٨١ لأبي حفص الشطرنجي .

تَراحَمْتُ فِي قَوَادِي النَّوَى حُرْقُ تَراحَمَ الدِّمَعِ فِي أَجْفَانِ مَنْسَجَمِ  
ثُمَّ انْتَشَيْتُ فِي قَلْبِي لَفَرَقَتَهُمْ وَقَعُ الْأَسِنَّةُ فِي أَعْقَابِ مَنْهَزِمِ

وكتب يخاطب المستنصر بالله صاحب مصر : حصَّنَ الله المؤمنين من الشيطان  
[بِجُنَنِ] الطاعة ، ودَثَرَهُمْ مِنْ قَرٍّ وَسَوَاسِهِ بِسَرَانِيلِ الْقَنَاعَةِ ، وَوَهَّبَهُمْ مِنْ نِعَمِهِ مَدَدًا  
وَمِنْ تَوْفِيقِهِ رَشَدًا ، وَصَيَّرَهُمْ إِلَى مَنَهِجِ الْإِسْلَامِ وَسَبِيلِهِ الْأَقْوَمِ ، وَجَعَلَهُمْ مِنَ الْآمِنِينَ  
فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مَوْقُوفُونَ ، وَزَيَّنَّهُمْ بِالثَّبَتِ فِيمَا هُمْ عَنْهُ مَسْئُولُونَ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ  
لِّلْعَبِيدِ﴾ ( فصلت : ٤٦ )

كتابي إليك من الحبِّ بازاءِ مصرك ، وفناءِ برك ، بعد أن كانت بغداد لي  
الوطنَ ، والألفةَ والسَّكَنَ ؛ ولما كنتُ على مذهبٍ صحيح ، ومتَّجِرٍ ربيع ، كَثُرَتْ  
عليَّ الخوارج ، وشقَّ [على] الماء ارتقاءُ المناهج ، ﴿وَلْيَنْصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ، إِن  
اللَّهُ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ( الحج : ٤٠ ) فَأَتَيْتُ مَكَّةَ - حَرَسَهَا اللَّهُ - لِكَيْ أَقْضِيَ فَرَضَ  
الحج ، مِنْ عَجٍّ وَشَجٍّ ، أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْقَبُولَ ، وَكَيْفَ وَإِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ؛  
وَقَدْ كُنْتُ عِنْدِي ذَا سُنَّةٍ وَدِينٍ ، مُحِبًّا فِي اللَّهِ تَعَالَى وَفِي النَّبِيِّينَ ، وَفِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُهَدِّدِينَ ، فُورِدَ النَّاظِقُونَ ، وَأَتَى الْمُخْبِرُونَ ، بِخَبَرٍ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ،  
فَذَكَرُوا أَنَّكَ مُدْحِضٌ لِمَذْهَبِ مَالِك ، مَوْعِدٌ [١٤٨] لِصَاحِبِهِ بِالْيَمِّ الْمَهَالِك ، هِيَهَاتَ  
هِيَهَاتَ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾  
( الزمر : ٣٠-٣١ ) فَأَبَيْتُ الْقَبُولَ عَلَى أَمْرٍ لَمْ يَصِحَّ بَيَانُهُ لِكثْرَةِ الْكَذِبِ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذْ  
لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَمُوتَ طَوْعًا ، فَأَرَدْتُ الْكُشْفَ عَنْ ذَلِكَ بِكِتَابٍ مِنْكَ ، وَالسَّلَامُ عَلَى  
مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى .

جواب المستنصر بالله : حرسَ الله مهجتك ، وطَوَّلَ مُدَّتَكَ ، وَقَدَّمَ أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَنِيَةِ قَبْلَكَ ، وَخَصَّنَا بِهَا دُونَكَ ، وَرَدَ كِتَابُكَ الْمَكْرَمَ ، وَأَتَى خَطَابُكَ  
الْمُعْظَمَ ، يُفَصِّحُ الْبِكَمَ ، وَيُنْزِلُ الْعُصَمَ ، هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيَاحُ الْبَلَاغَةِ فَنَمَقَّتَهُ ، وَوَكَّفَتْ

عليه سحائب البراعة فرققته ، فيا له من خطٍّ بهيٍّ ، ولفظٍ شهبيٍّ ، تذكر فيه حُسْنَ  
ظنونك بنا ، وتثبتُ مآثرنا ، فلما أن عرستَ بازائها ورد من فسحٍ عليك ، فخذُ  
بظاهر ما كان عندك وردٌ ، ودع لربك عِلْمَ ذاتِ الصدور ، والسلام .

ومن شعره أيضاً قوله<sup>١</sup>

|                                   |                                    |
|-----------------------------------|------------------------------------|
| أهيمُ بذكرِ الشرقِ والغربِ دائماً | وما بي شرقٌ للبلادِ ولا غربُ       |
| ولكنَّ أوطاناً نأتُ وأحبةً        | فعدتُ متى أذكرُ عهدَهُمُ أصبُ      |
| إذا خطرَتْ ذكراهُمُ في خواطري     | تتأثرُ من أحفاني اللؤلؤِ الرطبِ    |
| ولم أنسَ من ودعتُ بالشَّطِ سحرهُ  | وقد غرَّدَ الحادون واستعجلَ الركبُ |
| أليفان هذا سائرٌ نحو غربةٍ        | وهذا مقيمٌ سارٍ عن صدورِ القلبِ    |

وقال<sup>٢</sup> :

|                                  |                                    |
|----------------------------------|------------------------------------|
| ومحطوةُ المتنين مهضومةُ الحشا    | مُنْعَمَةُ الأطرافِ تدمى من اللمسِ |
| إذا ما دُخانُ الندِّ من طيها علا | [على] وجهها أبصرتُ غياً على الشمسِ |

وقال :

|                                  |                               |
|----------------------------------|-------------------------------|
| رحلتُم فكم من أنةٍ بعد زفرةٍ     | مبيئةٍ للناسِ شوقي البكمِ     |
| فان كنتُ أعتقتُ الجفونَ من البكا | فقد ردها في الرقِّ حزني عليكم |

وقال :

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| يأبى مقامي في مكانٍ واحدٍ  | دهرٌ بتفريقِ الأجنةِ مولعُ |
| كفكفٍ قسيكُ يا فراقاً فاته | لم يبق في قلبي لسهمك موضعُ |

١ الأبيات التالية عدا الثالث في ابن خلكان : ٢٢١ والمنازل والديار : ١١٩/أ ووردت في القسم الرابع من الذخيرة :

١٠١ منسوبة لأبي الفضل البغدادي .

٢ وردا في هذا القسم الرابع : ٩٦ منسوية لأبي الفضل البغدادي .



وقال<sup>١</sup> :

تَذَكَّرَ نَجْدًا وَالْحَمَى فَبَكَى نَجْدًا  
وَحَيْثُهُ أَنْفَاسُ الْحَزَامَى عَشِيَّةً  
فَأَظْهَرَ سِلْوَانًا وَأَضْمَرَ لَوْعَةً  
وَلَوْ أَنَّهُ أَعْطَى الصَّبَابَةَ حَقَّهَا  
وَلَمْ أَنْسَهُ وَالسَّكْرُ يَفْتُلُ قَدَّهُ  
وقال :

بِالْكَرْخِ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِيِّ عَنْ لَنَا  
ذَوَابِتَاهُ نَجَادًا سَيْفٍ مَقْلَتِهِ  
ضَفِيرَتَاهُ عَلَى قَتْلِي تَضَافَرَتَا  
يا مَنْ رَأَى شَاعِرًا أَوْدَى بِهِ الشَّعْرُ

وقال :

مَنْ بَعْدَ وَدِّي رَمْتُمْ أَنْ تَهْجَرُوا  
وَزَعَمْتُمْ أَنْ اللَّيَالِي غَيَّرَتْ  
إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تُنْصَفُونِي فِي الْهَوَى  
رُدُّوا الْفَوَادَ كَمَا عَهَدْتُ إِلَى الْحِشَا  
ما بَعْدَ فُرْقَةٍ [مزاميعين تَخَيَّرُ  
عَهْدَ اللَّوَى لَا كَانَ مِنْ يَتَغَيَّرُ  
لَا تَقْطَعُوا حَبْلَ الْوَصَالِ وَتَغْدُرُوا  
وَالْمَقْلَتَيْنِ إِلَى الْكَرَى ثُمَّ اهْجَرُوا

وقال :

أَتَبْكِي عَلَى بَغْدَادَ وَهِيَ قَرِيبَةٌ  
لِعَمْرِكَ مَا فَارَقْتُ بَغْدَادَ عَنْ قَلْبِي  
إِذَا ذَكَرْتُ بَغْدَادَ نَفْسِي تَقْطَعُ  
كَفَى حَزْنًا إِنْ رُمْتُ لَمْ أَسْتَطِعْ لَهَا  
فَكَيْفَ إِذَا مَا أَزْدَدَتْ عَنْهَا غَدًا بَعْدًا  
لَهَا أَنْ وَجَدْنَا لِلْفِرَاقِ بِهَا بَدَا  
مِنْ الشَّوْقِ أَوْ كَادَتْ تَمُوتُ بِهَا وَجَدًا  
وَدَاعَاً وَلَمْ أَخْذِثْ لَشَاطِئِهَا عَهْدًا

١ وردت ص : ١٠٢ من هذا القسم منسوبة لأبي الفضل البغدادي .

وقال<sup>١</sup>:

تَمَلَّكَتْ يَا مُهْجَتِي مُهْجَتِي      وَمَا كَانَ ذَا أَمَلِي يَا مَلُولُ  
وَلَا خَطَرَ الْهَجْرِ فِي خَاطِرِي      فَجَذُّ بِالْوَصَالِ فَدَثُّكَ النَّفُوسُ  
فَلَسْتُ عَلَى الْهَجْرِ بِالْقَادِرِ      وَفِيكَ تَعَلَّمْتُ نَظْمَ الْكَلَامِ  
وَلَقَبْنِي النَّاسُ بِالشَّاعِرِ      أَيَا غَائِبًا حَاضِرًا فِي الْفُؤَادِ  
سَلَامٌ عَلَى الْغَائِبِ الْحَاضِرِ

وقال :

وَكُلُّ مَوَدَّةٍ فِي اللَّهِ تَبْقَى      وَكُلُّ مَوَدَّةٍ فِي مَا سِوَاهِ  
عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ سَعَةٍ وَضِيقِ      فَكَالْحُلَفَاءِ فِي لَهَبِ الْحَرِيقِ

وقال :

أَمْنَزِلَتِي سَلَمَى وَحَسْبِي رُبَاهُمَا      مَهَبٌ جَنُوبِي أَوْ مَصَابٌ شَمَالِي  
سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ إِنَّمَا      وَلَا أَمْشِرُ إِلَّا فِي سَهُولٍ وَصَالِ  
لِيَالِي لَا أَخْشَى حَزُونََ قَطِيعَةٍ      تَعَرَّضَ بَرَقٍ أَوْ طَرُوقَ خِيَالِ  
فَقَدْ صَارَ حَظِّي مِنْ جَمِيعِ لِقَائِكُمْ

وقال :

يَا أَمْلَحَ النَّاسِ بِلَا مَرِيَةٍ      مِنْ غَيْرِ مُسْتَشْنَى وَلَا مُسْتَعَادٍ  
مَا زَادَنِي صَدُّكَ إِلَّا هَوًى      وَالشَّرُّ [مِنْ] عَيْنِكَ<sup>٢</sup> إِلَّا وَدَادٍ  
فَاحْكُمْ بِمَا شِيتَ فِيهِ الرُّضَى      وَكُنْ كَمَا شِيتَ فَأَنْتَ الْمَرَادُ

١ وردت منسوبة للوأواء الدمشقي في الشرطي ١ : ١١٢ وهي في ديوانه : ٩٩ ومنها ثلاثة أبيات في البيتمة ١ : ٢٩٦ له أيضاً .

٢ ص : وسود عينيك .

وما عسى تبلغه طاقتي وإنما بين ضلوعي فؤاد  
وقال :

فؤادي فبر من جسدي إليكم فضموا الجسم أو ردوا فؤادي  
فما في ردو حرج عليكم  
وقال :

يا لهف نفسي على شيئين لو جمعا  
[١٤٩] كفاف عيش يقيني كل مسألة  
عندي لكنت إذن من أسعد البشر  
وخدمة العلم حتى ينقضي عمري  
وقال ١ :

أشكو الذين أذاقوني مودتهم  
واستهضوني فلما قمت منتصباً  
لأخرجن من الدنيا وحبكم  
ألقت بيني وبين الحب معرفة  
وقال :

ولما رأيت العيش أزع للنوى  
فخذ حجتني من ترك قلبي سالماً  
يدي ضعفت عن أن تمرق جيها  
عزمت على الأجمان أن تترقوا  
وجيبي ومن حقيهما أن يزقا  
ولو كان قلبي حاضراً لتمزقا  
وقال :

حرق سوى قلبي ودعه فأنني  
جاورته سوء الجوار فسؤته  
أخشى عليك وأنت في سودائه  
لما حلت فناءه بفنائيه

١ هذه الأبيات للعباس بن الأحنف ( ديوانه : ٨٤ ) والبيت الأول منها - في الأقل - لا يمكن أن يكون للقاضي عبد الوهاب لوروده في مصادر سابقة لعصره مثل الأغاني والشعر والشعراء ؛ وقد ورد في الذخيرة : ٥١٤ منسوباً للعباس ابن الأحنف .

٢ ديوان العباس : بشقل : ص : معتدلاً بحمل ... ففدوا

وقال :

في النَّفْسِ ضَيْقٌ وفي الفؤاد سَعَةٌ  
البخلُ لا أَسْتَطِيعُ أَفْعَلُهُ  
فآلَةُ الجودِ غيرُ مُتَّيَعَةٍ  
والجودُ لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدْعَهُ

وقال :

قَضَتْ أَيَّامُنَا سَهْمًا صَحِيحًا  
كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْإِعْدَامِ دَيْنًا  
لِمَنْ يَأْوِي إِلَى فَهْمٍ سَقِيمٍ  
فَلَا زَمَنِي مِلَازِمَةُ الْغَرِيمِ

وقال :

يَحْتَاجُ مَنْ كَانَ فِي مَوَاعِدِكُمْ  
أَمْوَالَ قَارُونَ يَسْتَعِينُ بِهَا  
إِلَى ثَلَاثٍ مِنْ غَيْرِ تَكْذِيبٍ  
وَعَمْرٍ نُوْحٍ وَصَبْرٍ أَيُّوبِ

وقال :

طَوَّلْتُ لِلنَّفْسِ فِي الْأَمَانِي  
لَمَّا رَأَيْتُ الشَّبَابَ وَلَّى  
فَحَسَرْتِي الْيَوْمَ حَسْرَتَانِ  
مَشَمَّرَ الذَّيْلُ غَيْرَ وَانٍ  
لَمَّا أَيقَنْتُ [أَنِّي] عَلَى فَنَاءٍ  
خَلَّفَنِي عَنْهُمْ التَّوَانِي  
يَا طَوَّلَ شَوْقِي إِلَى أَنْاسٍ

وقال :

أَنَا فِي الْغُرْبَةِ أَبْكِي  
لَمْ أَكُنْ يَوْمَ خُرُوجِي  
عَجْبًا لِي وَلِتَرْكِي  
مَا بَكَتْ عَيْنُ غَرِيبٍ  
مِنْ بِلَادِي بِالْمَصِيبِ  
وَطَنًا فِيهِ حَبِيبِي

وقال<sup>١</sup> :

بَغْدَادُ دَارُ لِأَهْلِ الْمَالِ وَاسِعَةٌ  
وَلِلصَّعَالِيكِ دَارُ الضَّنْكِ وَالضِّيقِ

١ ورد البيتان في ابن خلكان : ٢٢١ وترتيب المدارك : ٦٩٤ والفوات : ٤٢٠ والديباج : ١٦٠ وابن كثير : ٣٣  
والشرطي ٤ : ٣١٧

أصبحتُ فيها مهاناً في أزقتها<sup>١</sup> كأنني مصحفٌ في بيتِ زنديق

وقال :

جَرَّدُ عَزِيمَةٍ مَاضِيهِمُ مَعْتَزِمٌ      وَدُونَ نَيْلِ الَّذِي تَبْغِيهِ لَا تَتِمُّ  
وَلَا يَصْدُئُكَ عَنْهَا خَوْفُ حَادِثَةٍ      فَأَمَّا الْمَرْءُ رَهْنُ الْمَوْتِ وَالسَّقَمِ  
مَا قَدَّرَ اللَّهُ أَتِ كُنْتَ فِي سَفَرٍ      أَوْ فِي مَقَرِّكَ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْحَشَمِ

وقال :

إِنْ يَكُنْ مَا بَكَ هَزْلٌ فَالَّذِي بِي مِنْكَ جِدٌّ  
جَمَلَةٌ تَغْنِي عَنْ التَّفْسِيرِ : مَا لِي عَنْكَ بَدٌّ

وقال :

إِنْ تُرِيدَ الْوَصْلَ فَهَذَا أَنَا      وَإِنْ تُرِيدُ هَجْرِي لَكَ الْأَمْرُ  
مَا أَنَا مُحْتَاجٌ وَلَا وَامِقٌ      فَوَاحِدٌ وَضَلُّكَ وَالْهَجْرُ

وقال :

لَمَّا نَشَرْنَ عَلَى عَمْدٍ ذَوَائِبَهَا      يَكَادُ مِنْهَا فَتِيْتُ الْمَسْكِ يَنْتَشِرُ<sup>٢</sup>  
تَقُولُ يَا عَمَّتَا كَفَيَّ ذَوَائِبُهُ      وَيَحْيِي ضَنْبِي وَأَخْفَى جِيدِي الشَّعْرُ  
مِثْلَ الْأَسَاوِدِ قَدْ أَعْيَا مَوَاشِطُهَا      فِيهِ تَضَلُّ مَدَارِيهَا وَتَنْكَسِرُ  
تَدْعُو عَلَى شَعْرِهَا لَمَّا أَضُرَّ بِهَا      يَا لَيْتَهُ كَانَ [فِيهِ] الْجَعْدُ وَالْقَصْرُ

وقال :

رَحَلْتُ وَخَلَيْتُ الْفُؤَادَ لَدَيْكُمْ      رَهِيناً وَإِنْ لَمْ تَخْلُ مِنْهُ الْأَضَالُغُ  
فَإِنْ أَنْتُمْ ضَيَعْتُمُوهُ أَسَأْتُمْ      وَمَا الْحَقُّ إِلَّا أَنْ تَصَانَ الْوَدَائِعُ

١ ربيب لمدارك - مضاعفا بين أظهره

٢ ص نسج

وقال :

قصورُ مالي وضعفُ آمالي  
أخرى فما تستقلُّ أجمالي  
تبقى مدى ساعةٍ على حال

أطال بينَ الديارِ ترحالي  
إن بُرْتُ في بلدةٍ مشيتُ إلى  
كأنني فكرةُ الموسوسِ ما  
وقال يتشوق إلى بغداد<sup>١</sup> :

على العهدِ مثلي أم غدا العهدُ باليا  
إذا ما جرى ذكرُ بمن كان نائيا  
عليَّ كما أُمسي وأصبحُ باكيا  
«أنيقاً وبستاناً من النورِ حاليا»<sup>٢</sup>  
مُنَى فتمنينا فكننت الأمانيا<sup>٣</sup>  
كأنَّ على الأحشاء منه مكاويا  
كتابي تبثُّ آثارها في كتابيا  
كأحسنِ ما كنّا عليه تصافيا  
يظنان كلَّ الظنِّ أن لا تلاقيا<sup>٤</sup>  
ولم أرَ فيها مثلَ دجلةٍ واديا  
وأعذبَ ألفاظاً وأحلى معانيا  
لبغدادَ لم ترحلْ ، فكان جوابيا  
وترمي النوى بالمعسرين المراميا<sup>٥</sup>

خليلي في بغدادَ هل أنما ليا  
وهل أنا مذكورٌ بخيرٍ لديكما  
وهل ذَرَفْتُ عند النوى مقلتناكما  
وهل فيكما مَنْ إنْ تنزَّلَ منزلاً  
«أجدُّ لنا طيبُ المكانِ وحسنهُ  
كما بي عن شوقٍ شديدٍ اليكما  
على أدمعٍ منهلةٍ فتأملاً  
ولا تيأسا أن يجمعَ الله بيننا  
«فقد يجمع الله الشيتين بعدما  
فدى لك يا بغداد [أهلا] منزلاً  
ولا مثلَ أهلها أرقَّ شائلاً  
وكم قائلٍ لو كان ودُّكَ صادقاً  
«يقيمُ الرجالُ الأغنياءُ بأرضهم

١ وردت الأبيات ١٢ - ١٤ من هذه القصيدة في المرقبة العليا : ٤١ وترتيب المدارك : ٦٩٤

٢ يضمن ويجري بعض التحوير في قول الشاعر :

ولانزلنا منزلاً طله الندى  
أجدُّ لنا طيب المكان وحسنه  
..... ( البيت )

٣ مضمن أيضاً من شعر المجنون .

٤ الأبيات الثلاثة الأخيرة مضمنة من شعر إياس ابن القائف ( الحماسية رقم : ٤٠٦ في شرح المرزوقي ) وإن لم يرد البيت الأوسط في الحماسية المذكورة .

«وما هجروا أوطانهم عن ملالة  
«إذا زرت أرضاً بعد طولِ اجتنابها  
ولكن حذاراً من شيات الأعدايا»  
فقدت حبيبي والديار كما هيا»

وقال :/[١٥٠]

وماذا عليكم لو مَنَنْتُمْ بزورة  
فان لم تكونوا مثَلنا في اشتياقنا  
فأجزَلتُمْ فيها علينا التفضلاً  
فكونوا أناساً يعرفون التجملاً  
وقال<sup>١</sup>:

هبنى أسأتُ كما زعمتَ فأينَ عاقبةُ الأخوةِ  
ولئن أسأتَ كما أسأتُ فأينَ فَضْلُكَ والمرّوةِ

وقال :

ولما حدا الحادي بِعيسٍ أَحَبَّتني  
بكيتُ دماً حتى لقد قال قائلُ  
ونادى غرابُ البينِ بالبينِ يهتِفُ  
تَرى ذا الفتى من جَفَنٍ عَيْنِهِ يُرْعَفُ

وقال :

قلتُ لها يوماً وأبصرُها  
ما أَقْبَحَ الصَّدِّ فقالت: بلى،  
بسياسةً في كُنها نرجسُ  
أَقْبَحُ منه عاشقُ مفلس

وقال :

متى أَخَفِرَ الغرامُ يَصِفُهُ جسمي  
فلو أن الثيابَ فُجِصْنَ عني  
بألسنةِ الضنَى الخُرسِ الفصاحِ  
خفيتُ خفاءَ خَصْرِكِ في الوشاحِ

وقال<sup>٢</sup> :

قطعتُ الأرضَ في شَهْرَي ربيعِ  
إلى مصرٍ وعدتُ إلى العراقِ

١ ورد البيتان في الصداقة والصديق : ٢٠٦ ( دون نسبة )

٢ وردت في ابن خلكان : ٢٢١ وتنسب للوزير أبي القاسم المغربي في دمية القصر ١ : ٩٦

فقال لي الحبيب وقد راني سُبوقاً [للمضمر] العتاقِ  
ركبت على البراقِ ؟ فقلتُ كلاً ولكنني ركبتُ على اشتياقي

## فصل في ذكر الأديب الأريب

أبي عبد الله بن قاضي ميلة<sup>١</sup>

وهو من طراً ذكره ، وانتهى إلى شعره ، إذ ضرب في الأدب بأعلى قُدح ، وافتَرَّ عنه على أوضح صُبح ، وأقام دَوْحَهُ على سوقه ، وبنى المنازل<sup>٢</sup> على سواء طريقه ، ورأيتُ ابا علي بن رشيقي قد ذكره في ما اندرج من كلامه في شعراء « الأَنموذج » ، وأعرب عن فضائله ، وأوضح ما لم يخف من دلئلُهُ ، ولعلَّ بعض من يتصفح كتابي هذا يقول : إن شعراء الأَنموذج مائة شاعر وشاعرة ، وأكثرهم كان في المائة الخامسة من الهجرة ، وتقاربت موالدهُم ، وتشابهت مصادرهم ومواردهم ، أفلا ذكَّرتُهم عن آخرهم ، وماله اقتصر على بعضهم دون سائرهم ؟! فبعضُ الجواب أني كثرت بهذا الكتاب عَددي ، وجردته في محاسن أهل بلدي ، ثم عرضتُ بعد معارضته أبا منصور ، بذكر مَنْ هنالك من شاعر مشهور ، واجتلاب ما يتعلق بذلك من خبر ماثور ، فأشَرْتُ إلى ذكر من كان في هذا الوقت المؤرَّخ من طالهُ طَلَّقه ، وأشرق أفقه .

١ سَمَّاهُ ابن خلكان ( ٦ : ١٥٩ ) عبد الله بن محمد التنوخي وكنيته أبو محمد ؛ وفي أحد أصول ابن خلكان « ابو عبد الله محمد بن محمد » ؛ وقد ترجم له في المسالك ١١ : ٣٠٤ ( وفيه نقل عن الذخيرة والانموذج ) ومُرِّدَ ذكره في كتاب التعريف بالقاضي عياض : ٧٢ ؛ وميلة التي ينتسب اليها تقع في الجزائر .

٢ المسالك : طار .

٣ المسالك : وابتنى منازلهُ .

٤ قال فيه ابن رشيقي ( كما نقل العمري ) : هو شاعر لسن مقتدر يؤثر الاستعارة ، ويكثر الزجر والعيافة ويسلك طريق ابن أبي ربيعة وأصحابه في نظم الأقوال والحكايات ( واستشهد على ذلك بغائته ) .

٥ ص : كان .



ولأبي عبد الله أشعارٌ شاردة سارت على ألسنة الأنام ، وكُتبت في جبهات<sup>١</sup> الأيام ، غير أنه لم يقع إليَّ منها عند تحرير هذه النسخة إلا ما أثبت . فمن ذلك ما حدّث به أبو محمد بن خليفة المصري<sup>٢</sup> قال : لما ولي ابن البواب وزارة المعز بن باديس سأله أبو عبد الله أمراً كلفه ، فمطله فيه حتى صرفه ، فكتب إليه<sup>٣</sup> :

أقولُ له إذ طَيَّسْتُهُ رِيَاةً      أَتَتْ غَفْلَةً مَهْلًا فَقَدْ غَلِطَ الدَّهْرُ  
تَرْفُقُ يَرَاغِبُ فِيكَ دَهْرُكَ عَقْلُهُ      فَمَا سُدَّتْ إِلَّا وَالزَّمَانُ بِهِ سَكْرُ  
فَمَا بَرَحْتُ أَيَّامُهُ أَنْ تَصْرَمْتُ      وَمَا عِنْدَنَا شُكْرٌ وَلَا عِنْدَهُ عَذْرُ

وأنشد أيضاً له المصري المذكور<sup>٤</sup> :

جاءت بعودٍ تناغيه فيتبعها<sup>٥</sup>      فانظر بدائع ما يأتي به الشجرُ  
غَنَّى على عودها الأطيَّارُ مَفْصَحَةً      رطباً فلما عسا<sup>٦</sup> غَنَّى به البشرُ  
فَمَا يَزَالُ عَلَيْهِ أَوْ بِهِ طَرْبُ<sup>٧</sup>      يَهْجُهُ الْأَعْجَمَانِ الطَّيْرُ وَالْوَتْرُ

قال ابن بسام : وهذا في ما وصف ، كقول ابن شرف<sup>٨</sup> :  
سقى الله أرضاً أثبتت عودك الذي      زكت منه أغصان وطابت مغارسُ  
تغنَّى عليه الطيرُ والعودُ أخضرُ      وغنَّى عليه الناسُ والعودُ يابسُ

١ المسالك : جبهة .

٢ وردت ترجمته في الأول من القسم الرابع : ٣٤٢ .

٣ المسالك : ٣٠٤ .

٤ وردت الأبيات أيضاً في الأول من القسم الرابع : ٣٥٦ وقد خرجتها هنالك .

٥ ابن خلكان : ويسعدّها

٦ ابن خلكان : غنت عليه ضروب الطير ساجعة ، حباً فلما ذوى .

٧ ابن خلكان : فلا يزال عليه الدهر مصطخب .

٨ ورد بيتا ابن شرف عند ابن خلكان ( ٣٤٨ : ٥ ) برواية أخرى ، وانظر الشريشي ٣ : ٢٠٥

وأنشد أيضاً له المصري ١ :

أشقى لجدك أن تكون أدبياً      أو أن يرى فيك الورى تهذيباً  
إن كنت مستوياً ففعلك كله      عوج وإن أخطأت كنت مصيباً  
كالنقش ليس يصح معنى ختمه      حتى يكون بناؤه مقلوباً  
وأنشد له أيضاً ٢ :

لدياك نور ولكنّه      ظلام يحار به المبصر  
فان عشت فيها على أنها      كما قيل قنطرة تُبصر  
فلا تعمّر بها منزلاً      فان الخراب لما تعمّر  
ولا تذخرنّ خلاف التقى      فيفتنى ويبقى الذي تذخر  
وظنّ أناسُ بأن قد سمّوا      فقالوا علونا ولم يشعروا  
كذا البحر يطفو عليه القذى      ويرسب في قعره الجوهر

وكان لابن قاضي ميعة صديقان فتقاطعا وندما ، واتفق أن بنى أحدهما منزلاً ،  
فقيل لصاحبه : لست تجد وقتاً لمراجعة صديقك أحسن من تهنتك له بهذه الدار  
الجديدة ، فركب إليه وهنأه ، وكان على صاحب المنزل قباءً ديباج فيه صور  
طواويس ، فكرر بصره فيها ذلك القاصد ، فقال له صاحبه : أتعجبك  
هذه [١٥١] الصور؟ قال : أجل ، فوهب الثوب له صاحب المنزل ، فقال له  
القاصد : وأنا عندي طواويس حيّة تصلح لهذه الدار ، فلبس صاحب المنزل القباء  
غلاماً وسياً له اسمه نحرير ، كان صديقه يهواه ، وأهداه إليه ، وأخذ صديقه  
الطواويس وأهداها مع غلام له اسمه بديع كان صاحب المنزل أيضاً يكلف به ،

١ الثاني والثالث في المسالك : ٣٠٤ وزدت لابن رشيق في ديوانه : ٣٧ وانظر الذخيرة ١ : ٤٤٨ والغيث ٢ : ١١٤

والشرشي ٥ : ١٢٧

٢ الشرشي ٣ : ١٠١ ( أربعة أبيات )

فبلغ ذلك الاكحل تأييد الدولة<sup>١</sup> صاحب صقلية<sup>٢</sup> ، فأمر الشعراء بصفة ذلك ، فمن شعرا بن قاضي ميلة فيها هنالك ، من جملة قصيدة :

ولله يومكم إذ أتاك مبتهجا بتمام البناء  
فأنفذ في حضنٍ نحريه طواويس موشية في قباء  
فما جنك الليل حتى بعثت بديعا بكل بديع المكاء  
بأحسن متخذ في البيوت وأطرف مكتسب في القباء  
تقابلتما لاختلاف الصفات ولولاهما لاختلاف الهواء  
ويعلي الذنابي مدلا بها على رأسه كانتصاب اللواء  
فتلحظ مرأى يروق العيون ويقضي لوصفه بالغناء  
هدايا أقمتهم لا يصلها ظباء تجر ذبول البهاء  
وما عاين الناس من قبل ذا طواويس [فوق] أكف الأطباء  
ومنها :

وعاين رجليه في معزل من الحسن حل عقود البكاء  
فيهدم جلوته بعدما أقام لها محكمات البناء  
ومن سام بالنفس عين التام نازعه النقص حظ النماء  
فيا قمرى سؤدد قابلا وجوه السنا بوجوه السناء  
إذا الدهر رفع قدريكما فقد سربل الدهر ثوب العلاء  
ومن شعره<sup>٣</sup> :

قالت الحسناء لما أن رأته أدمعي ترفض في ما ابتدرا  
ليس هذا الدمع ما خبرته أنا من يهدي إليك الخبرا

١ أحد امراء صقلية من بني أبي الحسين الكلبيين ؛ انظر دوره في حكم الجزيرة في « العرب في صقلية » : ٤٧ - ٤٨ وصفحات متفرقة من المكتبة الصقلية .

٢ هذا وجه من الوجوه التي يكتب بها هذا الاسم .

٣ وردت ما عدا الثاني في المسالك : ٣٠٥

رَقَّ فِي خَدَّيْ مِنْ مَاءِ الصَّبَا  
تَأْخُذُ الْإِلْحَاطُ مِنْهُ رِيَهَا  
وله من قصيد فريد يقول فيه<sup>١</sup> :

ولما التقينا مُحْرَمِينَ وسيرنا  
نظرتُ إِلَيْهَا والمطايا كأنها  
وقالت أما منكنَّ من يعرفُ الفتى  
أراه إذا سرنا يسير أماننا  
فقلتُ لتربيتها أبلغاها بأنني  
وقولا لها يا أمَّ عمرو أليس ذا  
تفاءلتُ في أن تبذلي طارف الهوى  
وأما دمَاءُ الهدي فهو تواصلُ  
وفي عرفاتٍ ما يَجْبُرُ أنني  
وتقيلُ ركنَ البيتِ إقبالُ دولةٍ  
فأبلغنها ما قلَّته فتبسمتُ  
بعيشي أَلَمْ أَخْبِرْكُمْ أَنَّهُ امْرُؤُ  
فلا تأمنا ما استطعنا كيدَ نُطْقِهِ  
لئن كنتَ ترجو في منى الفوزَ بالْمُنَى  
وقد أنذر الإحرامُ أن وصلنا  
فهذا وقذفي بالحصى لك منذر  
فبادر<sup>٢</sup> نفاري ليلةَ النفرِ إنه

رونقُ يُعْشِي سناه البصرا  
فاذا جاز التناهي قصرا

بليبك يُطَوِّى والركائبُ تعسفُ  
غواربها منها معاطسُ رُغْفُ  
فقد رابني من طول ما يتشوّف  
ونوقفُ أخفافَ المطايا فيوقف  
بها مستهَامُ قالتا : نتلطف  
مِنِّي والمنى في خَيْفِهِ ليس تخلف  
بأن عنَّ لي منها البنانُ المطرف  
يدوم ورأيي في الهوى يتألف  
بعارفةٍ من نيل وصلك أسعف  
لنا وزمانُ بالموَدَّةِ يعطف  
وقالت أحاديثُ العيافة زخرف  
على لفظهِ بُرْدُ الكلامِ المفوف  
وقولا ستدري أينما اليوم أعيف  
فبالخيفِ من إعراضنا تتخوف  
حرامُ وأنا عن مزارِكِ نصدف  
بأن النوى بي عن ديارك تقذف  
سريعُ وقل من [في] العيافة أعرف

١ اورد ابن خلكان ٦ : ١٥٩ هذه القصيدة كاملة ومنها ثلاثة عشر بيتاً في المسالك ، وسبعة عشر في رفع الحجب ٢ :

٤٨ وأحد عشر بيتاً في الشريشي ٤ : ٢٦١ وفي الرواية اختلافات يسيرة لا داعي لإثباتها .

٢ المسالك وابن خلكان : فحاذر .

ومن مليح الزجر وغريب الفأل قول أبي حية<sup>١</sup> :

جری یومَ رحنا عامدين لأرضها  
فهابَ رجالٌ منهمُ فثعبفوا  
عقابُ بأعقابٍ من الدار [بعد] ما  
وقالوا حماماتُ فحُمَ لقاؤها  
وقال صحابيٌ هدهدٌ فوقَ بانهٍ  
وقالوا دمٌ دامت موثيقُ بيننا  
لَعَيْنَاكَ یومَ البینِ أَسْرَعُ واکفأ  
سنیحُ فقال القومُ مرُ سنیحُ  
فقلتُ لهم : جارِ إلى ربيع  
نأتُ نيةً بالطاعنين طروح  
وطلحُ فزیرتُ والمطيُّ طلیح  
هدی وبیانُ بالنجاح یلوح  
ودام لنا حلو الصفاء صریح  
من الفَننِ المطورِ وهو مَرُوحُ

وقال ذو الرمة<sup>٢</sup> :

رأیتُ غراباً ساقطاً فوق قضبةٍ  
فقلتُ غرابٌ لا غترابٍ وقضبةٌ  
من القضب لم ینبث لها ورقٌ خُضِرُ  
لقضبِ النوى هذي العیافة والزجر

وقال آخر<sup>٣</sup> :

دعا صرّد يوماً على عُصْنٍ بانهٍ  
فقلتُ أتصریدُ وشحطُ وغربةٌ  
وصاح بذاتِ البین منها غرابها  
فهذا لعمری نأیها واغترابها

ومن قصيدة جحدر<sup>٤</sup> :

ومما هاجني فازددتُ شوقاً بكاءُ حمامتين تجاوبان/ [١٥٢]

١ هو أبو حية النميري ، انظر شعره في الأمالي ١ : ٦٩ ( وقارن بشرح الامالي : ٢٤٣ ) وزهر الآداب : ٤٧٧ ورفع الحجب ٢ : ٤٨ ومنها أبيات في الشريشي ٤ : ٢٦١ وديوان أبي حية ( المورد : ١٩٧٥ ، العدد الأول : ١٣٧ )  
٢ زهر الآداب : ٤٧٨ ونقل المبرد ان الرواة لم يروها في ديوانه ، وانظر ديوانه : ٦٦٧ ( مكارنتي ) ورفع الحجب ٢ : ٤٨ والشريشي ٤ : ٢٦٠ ( لجران العمود )

٣ زهر الآداب : ٤٧٨

٤ وردت الأبيات الثلاثة الأولى من قصيدة جحدر في رفع الحجب ٢ : ٤٨ والقصيدة في معجم البلدان ( حجر ) ، والنسخة الاستنبولية من منتهى الطلب وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٦ والخزانة ٤ : ٤٨٣ ورفع الحجب ١ : ٥٠

تجاوبتا بلحن أعجمي على عودين من غَرْب وبان  
فكان البان أن بانَتْ سُلَيْمي وفي الغَرْب اغترابٌ غيرُ دانٍ

وفي هذه القصيدة يقول :

فيا أخوي من كعب بن عمرو أقلاً اليوم إن لم تسعداني  
يحاذرُ سطوةَ الحجاجِ ظلماً وما الحجاجُ ظلماً للجاني  
وكان من آخر خبره معه أنَّ الحجاجَ جَوَّعَ له أسداً ثم سلَّطَهُ عليه ، فبادر  
جحدراً إليه وقتل الأسدَ ، فعفا عنه الحجاج لما رأى من جرأته ، واتخذَه من  
صحابته .

وحكى المدائني قال<sup>١</sup> : خرج كثير من الحجاز يريد مصر ، فلما قرب منها  
رأى غراباً على شجرة ينتف ريشه ، فتطير من ذلك ومضى لوجهه ، فلقيه رجل من  
بنِي هُب فقال : يا أبا الحجاز ، مالك كاسف اللون ، هل رأيت شيئاً أنكرته ؟  
قال : أجل ، غراب على بانة ينتف ريشه وينعب ، قال : إنك تطلب حاجة لا  
تدركها ، فقدم مصر والناس منصرفون من جنازة عزة ، فقال :

رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ بانةٍ ينتفُ أعلى ريشه ويطايره  
فقلتُ ولو أني أشاء زجرته بنفسي للنهدي هل أنت زاجره  
فقال غرابٌ لاغترابٍ من النوى وفي البان بين من حبيب تجاوره  
فما أعيفَ النهدي لا درَّ درّه وأزجره [للطير] لا عزَّ ناصره

ومن مליح الزجر<sup>٢</sup> قولُ أبي نواس وقد اجتمع إخوانه واختفوا عنه ، ووجهوا

١ متابع لزهراء الآداب : ٤٧٩ - ٤٨٠ وانظر عيون الأخبار : ١٤٧ وديوان كثير : ٤٦١ - ٤٦٢ وفيه تحريج الأبيات .  
ويضاف إليه ربيع الأبرار : ٢٩٦/أ والبيت الأول في اللسان ( تشش ) وشرح النهج ٤ : ٤٣٣ ( ط . ١٣٢٩ )  
والشريشي ٤ : ٢٦٠

٢ بايماز عن زهراء الآداب : ٤٩٢ وانظر الشريشي ٤ : ٢٦٠

رسولاً إليه بظهر قرطاسٍ أبيضٍ لم يكتبوا فيه شيئاً ، وخزموه بزير وختموه بقارٍ ،  
ورمى بالكتاب من وراء الباب ، فاستعلم موضعهم وأنشدهم :

زجرتُ كتابكم لما أتاني      يمرُّ بسانح الطير الجواري  
نظرتُ إليه مخزوماً بزيراً      على ظَهْرٍ ومختوماً بقارٍ  
فقلتُ الزيرُ ملهيةٌ وهو      وختلُ القارُ من دنُ العقارِ  
وختلُ الظهرُ أهيفَ قرطياً      يحمرُّ العقلُ منه باحورارِ  
فَهَيْتُ إليكم طرباً وشوقاً      فما أخطأتُ داركمُ بدارٍ<sup>٣</sup>  
فكيف ترونني وترونَ زجري      أَلَسْتُ من الفلاسفةِ الكبارِ

ومن أبدع ما لأبي عبد الله وأغربه ، وأحلى الكلام وأوطئه قوله من كلمة ،  
يعني السيف ، وقد رويت لغيره<sup>٤</sup> :

حيث التقى أسدُ العرينِ وشادنُ<sup>٥</sup>      تحت اللحافِ وصارمُ وسوارُ  
قالت أرى بيني وبينك ثالثاً      ولقد عهدتك بالدخيل تغارِ  
أأْمِنْتَ نَشَرَ حديثنا فأجبتُها      هذا الذي تُطوى به الأسرارِ  
وقوله أيضاً<sup>٦</sup> :

وتعجبني الغصونُ إذا تثنتُ      ولا سيمما وفيهنَّ الثمارُ  
إذا اهتزتُ<sup>٧</sup> نهودُ في قدودٍ      فقلْ للحلمِ قد ذهب الوقارُ

١ الزير : الكتان ( وهو أيضاً أحد أوتار العود )

٢ زهر الآداب : يحيل : الشريشي : يحار .

٣ الشريشي :

فطرت اليكم يا أهل ودي      بقلب من هواكم مستطار

٤ المسالك : ٣٠٥ والشريشي : ٤ : ٣١

٥ الشريشي : وطنية

٦ ورد البيتان في المسالك : ٣٠٥

٧ المسالك : هزت .

## فصل في ذكر أبي الحسن علي بن محمد التهامي

واثبات جملة من شعره<sup>١</sup>

كان مشتهر الاحسان ، ذربَ اللسان ، مخلىً بينه وبين ضروب البيان ، يدل شعره [على] فوزِ القُدْح ، دلالة برد النسيم على الصبح ، ويُعَرِّبُ عن مكانه من العلوم ، إعراب الدمع<sup>٢</sup> عن سرِّ الهوى المكتوم .

جملة من شعره في أوصاف شتى  
المدح وما يتصل به من النسيب

له من قصيدة أولها<sup>٣</sup> :

فؤادي الفداء لها من قُبُبِ طوافٍ على الآلِ مثلَ الحبِّ

يقول فيها :

كَأَنَّ [على] الجَوَّ فضفاضةً مساميرها فضةٌ أو ذهب  
كَأَنَّ كواكبَهُ أَعْيُنُ تُراعي سنا الفجرِ أو ترتقب  
فلما بدا طَفِقَتْ هَيْبَةً تُسَبِّرُ أحداقَهَا بالهدب  
وشَقَّتْ غلائلَ ضوءِ الصَّبَاحِ فلا هُوَ بادٍ ولا محتجب

ومنها :

أبا قاسمٍ حُزَّتْ صَفْوُ الكلامِ وغادرتَ ما بعده للعرب  
وليس كلامُكَ إِلَّا النجومُ علوتَ فَناسَتْها من كُتب

١ كان على صلة بالوزير المغربي ، وله فيه مديح ، وقد استخدمه حسان بن مفرج ( الذي ثار على الفاطميين بتحريض الوزير المغربي ) رسولاً إلى عرب بني قرة ببرقة لتحريضهم على الثورة ، فقبض عليه في مصر وسجن ثم قتل سنة ٤١٦ ؛ ترجمته في تنمة اليتيمة : ١ : ٣٧ وابن خلكان ٣ : ٣٧٨ ( وهو ينقل عن الذخيرة ) وعبر الذهبي ٣ : ١٢٢ والشذرات ٣ : ٢٠٤ ومرآة الجنان ٣ : ٢٩ وقد وصف ابن خلكان ديوانه بأنه صغير وأن أكثره نخب .

٢ ص : الربيع ٣ ديوان التهامي : ١٥ - ٢٠



رَأَيْتَ الْفَصَاحَةَ حَيْثُ النَّدَى      وَهَلْ يَنْظُمُ الرُّوَضَ إِلَّا السَّحْبُ  
وَقَدْ شَرُفَ الْغَيْثُ إِذْ بَيْنَهُ      وَبَيْنَ بَنَائِكَ أَدْنَى نَسَبِ

ومنها في صفة القلم :

وَأَرْعَنَ أَخْرَسَ مِنْ كَثْرَةِ اللَّـمِّ      بَأَرْجَائِهِ وَاللَّجَبِ  
يَلْقَى النُّجُومَ بِأَمْشَالِهَا      مِنَ الْبَيْضِ مِنْ فَوْقِهَا وَالْيَلْبِ  
إِذَا وَاجَهَ الشَّمْسَ رَدَّ الشَّعَاعَ      وَاعْتَرَضَ الرِّيحَ سَدَّ الْمُهَبِ  
ثَبَّتَ بِأَرْقَشَ ذِي زِينَةٍ<sup>٢</sup>      تُجَلَّى الْخُطُوبُ بِهِ وَالْخُطْبِ/[١٥٣]  
إِذَا مَا جَعَلَتْ لَهُ لَهْذَمًا      مِنَ النَّفْسِ طَالَ الرِّمَاحِ السُّلْبِ  
وَطَالَتْ بِهِ مَفْخَرًا أَنَّهَُا      وَإِيَّاهُ فِي الْأَصْلِ بَعْضُ الْقَصَبِ  
تَقَلَّمَ أَقْلَامُكَ الْحَادِثَاتِ      فَتَبَرًا<sup>٣</sup> وَتَهْتُمُ نَابَ النُّوبِ

وله من أخرى :

وَكَيْفَ لَا تُدْرِكُهُ نَشْوَةٌ      وَاللَّحْظُ رَاحٌ وَجَنَى الرِّيقِ رَاحٌ  
لَوْ لَمْ تَكُنْ رَيْقَتُهُ خَمْرَةٌ      لَمَا تَشَنَّى عَطْفَهُ وَهُوَ صَاحٌ  
يَبْسُمُ عَنْ ذِي أَشْرِ مِثْلًا      يَلْتَقِطُ الظَّبْيُ بِفِيهِ الْأَقَاحُ  
أَفْلَتَهُ مِنْي وَقَدْ صَدَّتْهُ      بَرْقَدٌ صَوْتُ مَنَادِي الْفَلَاحِ  
فَنَحْنُ فِي نَوْمٍ وَفِي يَقْظَةٍ      بَيْنَ دَنُو مِنْهُمْ وَانْتِزَاحِ  
وَمَوْقِفٍ لَوْلَا التَّقَى لَا لَتَقَى      فِيهِ نَجَادِي وَنِظَامُ الْوِشَاحِ  
ومنها :

وَمَجْهَلٍ مُشْتَبِهٍ طُرُقُهُ      كَأَنَّمَا هُنَّ خُطُوبُ قُرَاحِ

١ الديوان : وإن واجه الريح .

٢ الديوان : ريقة .

٣ الديوان : قسراً .

٤ ديوان التهامي : ٢٢

وهذا تشبيهه مخترع ، ومعنى مبتدع .

كأنما أشباحُ أنضائنا قسيُّ نبعٍ وكأنا قداح  
حتى اجتلينا بعدَ طولِ السرى بغرةَ الكاملِ وجْهَ الصباح  
فقال لي صبحي أبدُرُ الدجى فقلتُ لا بل هو بدرُ السباح  
يُنْيِيكَ عن سُودده بِشْرُهُ مخايلُ السُّودِ خُرسُ فصاح  
واصطلح الناسُ على فضلهِ واختلفوا بعدُ فليس اصطلاح  
ومنها :

إن لمسَ الطَّرسَ بأطرافِها فاضَ نوالاً وبياناً وساح  
وشقَّ من لؤلؤهِ أفخرَ اللؤلؤِ هُنَّ الكلماتُ الفصاح<sup>١</sup>  
وهذه القصيدة مدح بها أبا القاسم بن المغربي المتقدم الذكر .  
وله من أخرى<sup>٢</sup> :

لو جادهنَّ غداةَ رُمنَ رواحا غيثٌ كدمعي ما أُرْدَنَ براحا  
ماتت لفقدِ الظاعنين ديارَهُم فكأنَّهُم كانوا بها أرواحا

وهذا كقول ابن الرومي وقد تقدم<sup>٣</sup> :

فقد أَلْفَتُهُ النفسُ حتى كأنَّهُ له جَسَدٌ إن بانَ غودِرَ هالكا  
متوارني مرضِ الجفونِ وإنما مرضُ الجفونِ بأن يكنَّ صحاحا  
من كانَ يكلفُ بالأهلهِ فليزر وَلَدَيَّ هلالِ زغبةٍ ورياحا  
لا عيبَ فيهم غيرُ شحِّ نساءِهِم ومن السباحة أن يكنَّ شحاحا

١ الديوان : السبا

٢ في الديوان :

لؤلؤ هن الكلمات الفصاح

وسبب من لؤلؤه أبجرا

٣ ديوان الهامى : ١٠

٤ لم ترد البيت نفسه فيما تقدمه ، وإنما ورد بيتان آخران من قصيدة ابن الرومي هذه في ١ : ٢٠٨

طَرَّقْتُهُ فِي أَتْرَابِهَا فَجَلَّتْ لَهُ  
أَبْرَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْعَيُونِ أَسِنَّةٌ

ومنها في المدح :

يَرْمِي الْكُتَيْبَةَ بِالْكِتَابِ إِلَيْهِمْ  
مِنْ نَفْسِهِ دُهْماً وَمِنْ مِيَاتِهِ  
سَاسَتْ أَقْصَالِيْمَ الْوَرَى أَقْلَامُهُ

وله من أخرى<sup>١</sup> :

بَعَثْتُ إِلَيْكَ بَطِينَهَا تَعْلِيلاً  
فَأَتَاكَ وَهْناً وَالظَّلَامُ كَأَنَّهُ  
وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْكَوَاكِبَ خِلْتَهَا  
أَهْدَتْ لَنَا مِنْ خَدِّهَا وَرُضَاهَا  
وَرَدّاً إِذَا مَا شَمَّ زَادَ غَضَاظُهُ  
وَجَلَّتْ لَنَا بَرْداً يُشْهِي بَرْدُهُ  
بَرْداً يَذِيبُ وَلَا يَذُوبُ فَكَلَّمَا

وهذه كقول ابن الرومي ، وقد تقدم<sup>٢</sup> :

رَيْقُ إِذَا مَا أَزْدَدْتُ مِنْ شُرْبِهِ

ومنها في ذكر القلم :

يَلْقَى الْعَدَا مِنْ كُتْبِهِ بِكَتَائِبٍ  
فَتَرَى الصَّحِيفَةَ حَلْبَةً وَجِيَادَهَا  
فِي كَفِّهِ قَلَمٌ أَتَمُّ مِنَ الْقَنَا

وَهْنًا مِنَ الْغُرَرِ الصَّبَاحِ صَبَاحَا  
وَهَزَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْقُدُورِ رَمَاحَا

فَيَرُونَ أَحْرَفَهُ الْخَمِيسَ كَفَاحَا  
زَرَدًا وَمِنْ أَلِفَاتِهِ أَرَمَاحَا  
فَأَجَمُ أَطْرَافَ الْقَنَا وَأَرَاخَا

وَحَضَابُ لَيْلِكَ قَدْ أَرَادَ نَصُولَا  
نَظَّمَ النُّجُومَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلَا  
زَهْراً تَفْتَحُ أَوْ عَيُوناً حَوْلَا  
[وردًا] تَحْيِينَا بِهِ وَشَمُولَا  
وَلَوْ أَنَّهُ كَالْوَرْدِ زَادَ ذَبُولَا  
نَفْسَ الْحَصُورِ الْعَابِدِ التَّقْبِيلَا  
شَرِبَ الْمُتَيْمُّ مِنْهُ زَادَ غَلِيلَا

رياً ثَنَانِي الرِّيِّ ظَمَانَا

يَجْرُزْنَ مِنْ زَرْدِ الْحُرُوبِ ذِيُولَا  
أَقْلَامُهُ وَصَرِيرُهُنَّ صَهِيلَا  
طُولَا وَهْنٌ أَتَمُّ مِنْهُ طُولَا

١ ديوان التهامي : ٢٩

٢ الذخيرة ١ : ٣٦٣

قلم يقلّم ظُفَرَ كُلِّ مُلَمَّةٍ ويردُّ حدَّ شَبَّاتِها مفلولا  
ومنها :

يدعو النبيّ من الجدود وحيدراً ومن العمومة جعفرأ وعقيلأ  
نسبُ ترى عنوائهُ في وجهه لا شبهةً فيه ولا تأويلا  
ومن أخرى<sup>١</sup> :

وأراد الخيالُ لثمي فصيّـرتُ لثامي دون المراففِ سترأ  
أصـر في الكأس من رضاك عني حاشَ لله أن أَرشَفَ خمرا  
ولو أن الرضابَ غيرُ مدام لم تكوني في حالة الصحو سكرأ  
[ومنها في ذكر القلم] :

واذا راش بالأناملِ منه قلمأ واستمدَّ ساءَ وسراً  
قلمأ دبّرَ الأقاليمَ حتى قال فيه أهلُ التناسخِ إمرا  
يتبعُ الرمحُ أمرهُ إنَّ عشريـن ذراعاً بالرأي تخدُمُ شبرا  
ومن شعره مما يتعلق بأوصافِ طيفِ الخيال ، وله أغراضُ غريبة ، وألفاظ  
عجيبة ، قال<sup>٢</sup> :

|                                    |                                          |
|------------------------------------|------------------------------------------|
| عَبَسَنَ من شَعَرٍ في الرأسِ مبتسم | ما نَفَرَ البِيضُ مثْلُ البِيضِ في اللـم |
| فقبلتني توديعاً فقلتُ لها          | كفي فليس ارتشافُ الخمر من شيمي / [١٥٤]   |
| لو لم يكن ريقُها خمراً لما انتطقتُ | بلؤلؤ من حباب الثغرِ منتظم               |
| ولو تيقنْتُ غيرَ الراح في فمها     | ما كنتُ ممن يصد اللثم بالثم              |
| وزاد ريقَها برداً تحدرُها          | على حصي برِّدٍ مِنْ ثغرها شـم            |

١ ديوان التهامي : ٣٦

٢ ديوانه : ٦ وهي في مدح الأمير نصر الدولة بن مروان الكردي .

ومعنى البيت الثاني من هذه كقول أبي الحسن الرضّي<sup>١</sup> :  
 وقبلته فوق اللثام فقال لي هيَ الخمر إلا أنها بفدام  
 وتشبيه أرياق الملاح بالراح أكثر من أن يحصى ، وأشهر من أن يتقصّى ، ولكن  
 التهامي ولّد معنىً حسناً ، وجرّ هاهنا للبلاغة رسناً ، بقوله : « لو لم يكن ريقها  
 خمرًا .. » البيت .

وفيها يقول :

إنني لأطْرِفُ طرفي عن محاسنها      تكُرمُ وأكفُ الكفَّ عن أمم  
 ولا أهمَّ ولي نفسُ تنازعني      أستغفرُ الله إلا ساعةَ الحلم  
 ومعنى هذا البيت حسن ، ولكن أبا الطيب كان أملكَ لشهوته ، وأعفَّ في حين  
 خَلُوتِهِ ، حيث يقول<sup>٢</sup> :

يردُّ يداً عن ثوبها وهو قادر      ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد  
 ألا تسمعُ كيف عَفَّ في الكرى ،      وأتى من حُسْنِ اللفظ وبراعةِ القسمة بما  
 ترى ؟ وقد أثبت في أخبار ابن الأبار<sup>٣</sup> ، في هذا المعنى عدة أشعار .  
 وقال التهامي<sup>٤</sup> :

أهدى لنا طيفها نجداً وساكنه      حتى اقتنصنا ظباءَ البدو والحضرِ  
 فباتَ يجلولنا من وجهها قمرأ      من البراقع لولا كُلفَةُ القمر  
 وراعها حرُّ أنفاسي فقلتُ لها      هوايَ نارٌ وأنفاسي من الشرر  
 وزاد دُرُّ الثنايا دُرُّ أذمُعها      فالتفَّ منتظماً منه بمنتثر  
 فما نكرنا من الطيفِ الملمِّ بنا      ممن هويناه إلا قلةَ الحفر

١ لم أجده في ديوان الرضّي .

٢ ديوان المتنبي : ٣١٠ والذخيرة ٢ : ١٤٠

٣ انظر القسم الثاني من الذخيرة : ١٣٥ - ١٤٤

٤ ديوان التهامي : ٤١ .

فسرتُ أعشُرُ في ذيلِ الدجى ولهاً  
وللمجرة فوق الأرضِ مُعْتَرِضُ  
وللثريا رقودُ فوق أرحلنا  
كأنَّ أنجمَهُ والصبحُ يُغمضها  
فروعُ التربِ لما ابتلَّ أكرعه  
ولو قَدَرْنَ وثوبُ الليلِ منخرقُ

ومنها :

لو لم يكن أحيواناً تفرُّ مبسمها  
يا ربُّ معنى بعيدِ الشأو أسلكهُ  
لفظاً يكونُ لعقد القولِ واسطةً  
إن الكتابة سارتِ نحو أنمله  
تردّ اقلامُهُ الأرماح صاغرةً

وفي كتابك فاعذر من يهيم به  
الطرسُ كالوجه والنونات دائرة

وله من أخرى :

قولا له هل دار في حوْبائِهِ  
ريمٌ إذا رفع الستائر بيننا  
نمُ الضياءُ عليه في غسقِ الدجى  
أهدى لنا في النومِ نجداً كلُّهُ  
وسفرن في جنح الدجى فتشابهتْ

والجو روضٌ ورُفُرُ الليل كالزهرِ  
كأنها حبَّبُ تطفو على نهر  
كأنها قطعة من فروة النمر  
قسراً عيونُ غَفَّتْ من شدة السهر  
في جدولٍ من خليج الفجر منفجر  
بالصبح رُفَعْنَهُ منهن بالشعر

ما كان يزداد طيباً ساعة السحر  
في سيلكٍ لفظٍ قريبِ الفهم مختصر  
ما بين منزلة الإسهاب والخصر  
والجوذ فالتقيا فيه على قدر  
عكساً كعكس شعاع الشمس للبصر

من المحاسن ما في أحسن الصور  
مثلُ الخواجِبِ والسينات كالطُرير

أن القلوبَ تحومُ حولَ خبايِهِ  
أعشائي اللألاء قبل روائهِ  
حتى كأنَّ الحسن من رقبائه  
بيدوره وغصونه وطبائه  
في الليل أنجمُ أرضِهِ وسبائه

١ ديوان التهامي : ٨٨ وقد مر منها بيان نسبها الى الناضي عبد الوهاب المالكي ( ص : ٥٢٤ )  
٢ الديوان : دون .

وجلا جبيناً واضحاً كالبدر في      تكويره وبعاده وضيائه  
حتى اذا حطّ الصباحُ لثامه      ومضى الظلامُ يحرقُ فضلَ ردائه  
حيّاً بكأسِ رضابه فرددتها      نفسي فداءً رضايهِ وإيائه  
قلبي فداؤك وهو قلبٌ لم تزل      تذكي شهابَ الشوق في أثنائه  
جاوَزتهُ شرَّ الجوارِ وزرتهُ      لما حللتَ فناءه بِفَنائه  
حرقَ سوى قلبي ودَعه فانني      أخشى عليك وأنت في سودائه

ومعنى هذا البيت مشهور، وقد أجرينا منه طلقاً فيما تقدم .

ومن مراثيه قصيدته التي أولها :

حُكْمُ المنيّةِ في البريةِ جارٍ      ما هذه الدنيا بدارٍ قرارٍ  
يقول فيها :

إنّي وُترتُ بصارمٍ ذي رونق      أعددته لطلابةِ الأوتار  
يا كوكباً ما كان أقصرَ عمره      وكذلك عمرُ كواكبِ الأسفار  
وهلالَ أيامٍ مضى لم يستلِز      بدرأ ولم يُهَلْ لوقتِ سرار  
عجل الخسوفُ عليه قبل أوانه      فمجاه قبل مَظِنَّةِ الإبدار  
واسْتُلَّ من أترابه ولداته      كالمقلة استلّت من الأشفار  
فكانَ قلبي قبره وكأَنَّهُ      في طيه سرٌّ من الأسرار  
أشكو بَعادَكَ لي وأنت بموضعٍ      لولا الردى لسمعت فيه سراري  
والشرقُ نحو الغربِ أقربُ شقّةً      من بُعدِ تلك الخمسةِ الأشبار [١٥٥]

ومنها :

قَصَرْتُ جفوني أم تباعدَ بينها      أم صَوَّرْتُ عيناً بلا أشفار  
لو كنتُ مُنْعِ خاضَ دونك فتيةً      منا بحارَ عواملٍ وشفار

فَدَحَوْا فَوْيَقَ الْأَرْضِ أَرْضاً مِنْ دَمٍ      ثَمِ انْتَشَوْا فَبَنَوْا سَمَاءَ غِبَارِ  
قَوْمٍ إِذَا لَبَسُوا الدَّرَوَعَ حَسِبْتَهُمْ      سُحْباً مُزَّرَّةً عَلَى أَقْبَادِ  
وَمِنْ هُنَا أَخَذَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ الشَّنْتَرِيَّ قَوْلَهُ فِي صِفَةِ الْكَوَّاسِ :

كَأَنَّهَا وَشِعَاعُ الشَّمْسِ دَاخِلُهَا      قُمْصٌ مِنَ الْمَاءِ قَدْ زُرَّتْ عَلَى هَلْبِ  
وَتَرَى سَيْوَفَ الدَّارَعِينَ كَأَنَّهَا      خُلِجٌ تَمَدُّ بِهَا أَكْفُ بَحَارِ  
لَوْ أَشْرَعُوا أَيَّامَهُمْ مِنْ طَوْلِهَا      طَعَنُوا بِهَا عَرْضَ الْقَنَا الْخَطَّارِ  
وَكَأَنَّهَا مَلَأُوا عِيَابَ دُرُوعِهِمْ      وَغُمُودَ أَنْصُلِهِمْ سَرَابَ قِفَارِ  
فَتَدْرَعُوا بِمَتُونِ مَاءٍ جَامِدٍ      وَتَقْنَعُوا بِحَبَابِ مَاءٍ جَارِ  
يَتَزَيَّنُ النَّادِي بِحَسَنِ وَجُوهِهِمْ      كَتَرِيزِ الْهَالَاتِ بِالْأَقْمَارِ  
مِنْ كُلِّ مَنْ جَعَلَ الْقَنَا أَنْصَارَهُ      وَكُرْمَنَ فَاسْتَغْنَى عَنِ الْأَنْصَارِ  
وَاللَيْثُ إِنْ سَاوَرَتْهُ<sup>٢</sup> لَمْ يَعْتَمِدْ      إِلَّا عَلَى الْأَنْيَابِ وَالْأَظْفَارِ  
وَإِذَا هُوَ اعْتَقَلَ الْقَنَاةَ حَسِبْتُهَا      صَيْلاً تَأْبِطُهُ هَزْبُرٌ ضَارِ  
شَابَ الْقَذَالُ وَكُلُّ غَصْنٍ صَائِرٌ      فِينَائُهُ الْأَحْوَى إِلَى الْإِزْهَارِ  
وَتَلْهُبُ الْأَحْشَاءُ شَيْبَ مَفْرَقِي      هَذَا الشَّعَاعُ<sup>٣</sup> شَوَاطِئُ تِلْكَ النَّارِ  
وَمِنْ أُخْرَى<sup>٤</sup> :

أَبَا الْفَضْلِ طَالَ اللَّيْلُ أُمُ خَانَنِي صَبْرِي      فَخِيلَ لِي أَنَّ الْكَوَاكِبَ لَا تَسْرِي  
يَقُولُ فِيهَا :

وَلَا حُزْنَ إِلَّا يَوْمَ فَارَقْتُ شَخْصَهُ      وَرَحْتُ بِبَعْضِ النَّفْسِ وَالبَعْضِ فِي الْقَبْرِ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحَادِثَاتِ بِمَرْصِدٍ      لَتَأْخُذَ كُلِّي مِثْلَ مَا أَخَذَتْ شَطْرِي  
أَحِينَ نَضَا ثَوْبَ الطُّفُولَةِ نَاسِلاً      كَمَا نَسَلَ الرِّيشُ اللَّوْأَمُ عَنِ النَّسْرِ

٣ الديوان : الضياء .

١ الديوان : الظبا .

٤ ديوان التهامي : ٧٧

٢ الديوان : بارزته .



وخلى رضاعَ الشدي مستبدلاً به  
وألقى ثيماتِ الصبا وتباشرت  
وقامتْ عليه للعلاء شواهدُ  
طواه الردى طيَّ الرداء فأصبحتْ  
وقالوا سئسليه الناسي بغيره  
ومنها :

بضربٍ يطيرُ البيض من حرٍّ وقَعِه  
ولما تُضفُ في نصرٍ الله طعنةُ  
فلا تسألوني عنه صبراً فأنني  
وإلا تكنُ قلبي فأنك بَعْضُهُ  
شعاعاً كما طار الشرارُ عن الجمر  
إلى ضربة كالتبر فوق شفا نهر  
دفنتُ به قلبي وفي طيه صبري  
قددتكما قدَّ الهلال من البدر

قوله : « أحين نضا ثوب الطفولة .. » كقول المعري<sup>١</sup> :  
ترى أعطافها ترمي حمياً كأجنحة البزاة رمتْ نُسالا

وقوله : « كما استشهد العضب السريجي بالأثر » كقوله أيضاً<sup>٢</sup> :  
\* كالسيف دلَّ على التأثير بالأثر \*

وقوله : « كالتبر فوق شفا نهر » معناه مشهور ، إلا أنَّ التهامي لم يُتهم فيه  
ولا أنجد ، ولا اضطلع بأعباء ما تقلد ، ولا قام ولا قعد ، وأعلق منه بنسبه الذي  
يقول :

\* عليهن من وقع السيوفِ حواجب \*

وقال آخر :

\* فنضربهم شكلاً ونطعنهم نقباً \*

١ شروح السقط : ٤٧

٢ شروح السقط : ١٣٩ وصدر البيت : يبين بالبسر عن إحسان مصطنع .

وقال آخر ، وإن كان في اللفظ ] وكان بين أجزاء البيت تباعد :  
 طعنُ كما فَهَقَ الغديرُ يؤمُّه ضربُ كحاشية الرداءِ طويلُ  
 وهذا كثيرٌ وهو من متداولاتِ المعاني ، ومنه قول أبي العشائر الحمداني :  
 أخا الفوارسِ لو شهدتْ موافقي والخيل من تحت الفوارسِ تُنحطُ  
 لقرأتَ منها ما تخطُّ يدُ الوغى والبيضُ تُشكِلُ والأسِنَّةُ تنقطُ  
 وكان أبو الطيب يستحسنه له على قلة رضاه ، بقولٍ سواه .

### ومن سائر شعره في أوصاف مختلفة

قال من قصيدة<sup>٢</sup> :

|                                  |                                   |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| تحوّل الدهرُ أحوالي وبدّلني      | داراً بدارٍ وجيراناً بجيرانٍ      |
| وربّ أمرٍ رمتني الحادثاتُ به     | أرنبو إليه وحالي فيه حالان        |
| إذا نظرتُ بعين الهزلِ أضحكني     | وإن نظرتُ بعين الجِدِّ أبكاني     |
| يظلم الكريمُ فلا يُسقى وقد ظفرتُ | كفُّ اللثيمِ بسيحانٍ وجيحانٍ      |
| تأملِ القدرَ المحتومَ وارضَ به   | فانما ورنَ الدنيا بميزانٍ         |
| فظلَّ يزدادُ فيها كلُّ منتقص     | علاً ويهبطُ منها كلُّ رجحانٍ      |
| كم من رجالٍ إلى الأديان قد نصبوا | وربما صيدتِ الدنيا بأديانٍ        |
| كم عمّرتُ بالخنا خالي منازلهم    | عمارةَ الكتبِ من فقه وقرآنٍ       |
| وباقلُ الخطِّ سبحانه المقالِ فهل | كباقلٍ في نشاءٍ أو كسحبانٍ        |
| تراه مجفوؤ نادٍ مستضامٍ يدُ      | مستخبلاً وهو في أثواب لقمان [١٥٦] |
| ما ذئبُه غيرُ نفسٍ لا تساعده     | على لباسٍ رياءٍ غيرِ صوّانٍ       |

١ البيتة ١ : ١٠٤

٢ لم ترد في ديوان التهامي .

قوله : « ويهبط منها كل رجحان » ، كقول ابن الرومي <sup>١</sup> :  
 قالت علا الناس إلا أنت قلت لها كذاك يسفل في الميزان ما رجحا  
 وذكرت بذكره باقلاً وسحبان ، قول أحمد بن سليمان <sup>٢</sup> :  
 إذا وصف الطائي بالبخل مادرٌ وعيرٌ قسّاً بالفهاهة باقلُ  
 وقال السُّها للشمس أنت خفيّةٌ وقال الدجى للصبح لوئلك حائل  
 فيا موت زُر إن الحياة ذميّةٌ ويا نفسُ جدي إن دهرَكِ هازل  
 وقوله : « يظلم الكريم فما يسقى .. » البيت ، معنىً قد طوي ونشر ، وعرف  
 حتى أنكر ، ومنه قول بعض أهل عصرنا وهو الوزير أبو محمد بن عبد الغفور ، من  
 شعر اندرج له في رسالة خاطب بها بعض أهل وقته <sup>٣</sup> :

وأصرف عن وزني وقد غمر الندى خفيف عذارٍ والهنقة الألقى  
 ومن عجب أن يقطعاً كل نخة <sup>٥</sup> وأمنع للقرص الذي قاتني ملحا

وقال التهامي <sup>٦</sup> :

ألا قاتل الله الحمامَ فانها بكت فشجت قلباً طروباً إلى هندي  
 وما ذكره هنداً وقد حال دونها قنا الخط أو بيض رقاق من الهند  
 وأسد على جرد من الخيل ضمّر وهيئات من تحميه أسد على جرد  
 وبيداء <sup>٧</sup> تكبو دون إيرادها القطا ويوهي السرى فيها قوى الحازم <sup>٨</sup> الجلد

١ ديوان ابن الرومي : ٥٦٣ وقد مر في القسم الأول من الذخيرة : ٣٥٠

٢ يعني أبا العلاء المعري ، انظر شروح سقط الزند : ٥٣٣ - ٥٣٨

٣ انظر القسم الثاني من الذخيرة : ٣٦٦

٤ في الأصل : عمر الربا .

٥ في الأصل : لجة .

٦ ديوان التهامي : ٢٠٢

٧ الديوان : ويهها

٨ الديوان : الضيفم

مطوّحة لولا الدراري ما درى دليلُ بها كيف السبيلُ إلى الرشدِ  
سباريتُ ما فيهنّ زادُ لراكِبٍ سوى ما حوتُ فيها الأداحيُّ من رُبْدِ  
كيهَاءِ كلفتُ المطيَّ اعتسافها إلى الحَسَبِ الزاكي إلى الكرمِ العِدِّ  
إلى الأسدِ الضرغام في حَوْمَةِ الوغى إذا احمرَّ في غاب القنا حَدَقُ الأسدِ  
من [الأجأين] الذين جياذُهُم بأحشاءٍ<sup>٢</sup> من عاداهمُ أبداً تَرْدِي  
نجومُ بني قحطانَ في طَخِيَةِ الدجى إلى عَدَدِ عِدِّ وألسنةٍ لُدِّ  
وقال<sup>٣</sup> :

بين كريمين مجلسُ واسعٍ والودُّ حالُ تقربُ الشاسعِ  
والبيتُ إن ضاقَ عن ثمانيةٍ مُتَّسِعُ بالودادِ للتاسعِ

### فصل في ذكر مهيار الديلمي

وذكر جملة من شعره ، مع ما يتعلق بذكره

كان شاعرَ العراق وَقْتَهُ لا يُدَافِعُ ، ولسانَ تلكَ الآفاقِ لا يَنَارِعُ ، سِيلُ  
أصبحت منه المذانبُ تلاعا مَيْثاً ، وبدرٌ تجلَّتْ به الغياهبُ قديماً وحديثاً ، أحد من  
خُلِّيَ بينه وبين الميدانِ هنالك فَجَرى وَحَدَه ، وسبق من قبله إلى غايةِ الاحسانِ فما  
ظَنُّكَ بمن بعده ، وقد أخرجتُ من شعره ما يعلِّلُ الرفاقَ ذكراه ، ويملأُ الآفاقَ سناؤه  
وسناه .

١ الديوان : القصيد

٢ الديوان : بأحياء .

٣ لم يرد البيتان في ديوانه .

٤ هو أبو الحسين ( أو أبو الحسن ) مهيار بن برزويه ، كان مجوسياً وأسلم - فيما يقال - على يد الشريف الرضي . سنة  
٣٩٤ هـ ، أقرأ ديوان شعره بجامع المنصور ببغداد ، وكانت وفاته سنة ٤٢٨ : انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧٦  
والمنتظم ٨ : ٩٤ ودمية القصر ١ : ٢٨٤ وابن الأثير ٩ : ٤٥٦ وابن خلكان ٥ : ٣٥٩ وعبر الذهبى ٣ : ١٦٧ وابن  
كثير ١٢ : ٧٦ والشذرات ٣ : ٢٤٢ والنجم الزاهرة ٥ : ٢٦ ، ويقع ديوانه في أربعة أجزاء ( ط . دار الكتب  
المصرية : ١٩٢٥ - ١٩٣١ ) .

## جملة من شعره في اوصاف مختلفة

قال من قصيدة<sup>١</sup> :

مَنْ عَذِيرِي يَوْمَ شَرْقِيّ الْحَمَى      مِنْ هَوًى جَدَّ بِقَلْبِي<sup>٢</sup> مَزْحَا  
نَظْرَةُ عَارَتْ فَعَادَتْ حَسْرَةً      قَتَلَ الرَامِي بِهَا مَنْ جَرَحَا  
لَا تُعَدُّ إِنْ عَدْتَ حَيًّا بَعْدَهَا      طَارِحاً عَيْنِكَ فِيهَا<sup>٣</sup> مَطْرَحَا  
فَد تَذَوَّقْتُ الْهَوَى مِنْ قَبْلِهَا      وَأَرَى مُعَذِّبَهُ قَدْ أَمْلَحَا  
سَلَّ طَرِيقَ الْعَيْسِ مِنْ وَادِي الْغُضَا      كَيْفَ أَعْسَفْتُ لَنَا رَأْدَ الضَّحَى  
لَا لَشَيْءٍ غَيْرِ مَا جِيرَانِنَا      خَلَفُوا نَجْدًا<sup>٤</sup> وَحَلُّوا الْأَبْطَحَا  
يَا نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ أَرْضِ الْحَمَى<sup>٥</sup>      شَدَّ مَا هَجَّتِ الْجَوَى وَالْبَرْحَا  
يَا نَدَامَايَ بِسُلْعٍ هَلْ أَرَى      ذَلِكَ الْمَغْبِقَ وَالْمُصْطَبَحَا  
أَذْكُرُنَا ذِكْرُنَا عَهْدُكُمْ      رَبُّ ذَكَرَى قَرَّبْتُ مَنْ نَزَحَا  
وَارْحَمُوا<sup>٦</sup> صَبًّا إِذَا غَنَّى بِكُمْ      شَرِبَ الدَّمْعَ وَعَافَ الْقَدَحَا  
رَجَعَ الْعَاذِلُ عَنِّي آيسًا      مِنْ فَوَادِي فَيْكُمُ أَنْ يَفْلَحَا  
لَوْ دَرَى ، لَاحْتَلَّتْ نَاجِيَةٌ      رَحْلَهُ ، فِي مَنْ لِحَانِي مَا لِحَا  
[قَدْ شَرِبْتُ الصَّبْرَ عَنْكُمْ مَكْرَهَا      وَتَبِعْتُ السَّقَمَ فَيْكُمْ مُسْمِحَا]<sup>٧</sup>  
وَعَرَفْتُ الْهَمَّ مِنْ بَعْدِكُمْ      فَكَأَنِّي مَا عَرَفْتُ الْفَرَحَا

١ ديوان مهييار ١ : ٢٠٢ وقد نظمها سنة ٤١٤

٢ في الأصل : بقلبي .

٣ الديوان : فينا

٤ كذلك هي في أصل الديوان ، وجعلها المحقق : « أغسقت » .

٥ الديوان : ألشيء .

٦ الديوان : نفصوا نجداً

٧ الديوان : من كاظمة .

٨ الديوان : واذكروا .

٩ زيادة من الديوان لاتصال السياق .

ما سمعتم<sup>١</sup> في السرى من قبلهم بآبن ليلٍ ساءهُ أن يصبح  
أراه قلب المثل : « عند الصباح يحمد القوم السرى » .

صوحتُ ريحانة العيش به  
انكرتُ تبديلَ أحوالي وَمَنْ  
شدُّ ما منى غروراً نفسه  
والمنى والظنُّ بابٌ أبداً  
قد خبرتُ الناسَ خُبْرِي شيمي  
وتولّيتُ على أخلاقهم<sup>٢</sup>  
يشتهون المالَ أن يبقى لهم  
وهذا كقول الآخر<sup>٣</sup> :

أبو حسنٍ يتشهى المديح  
كبكرٍ تشهى لذيذَ النكاح  
رجع :

ما تبالي ما قَضَتْ حاجاتها  
عَوْدَ البدرِ وقد قابله  
ورآه البحرُ أوفى جَمَّةً  
أنتم استزلتم عنها يدي  
ما دَمِي من خُفِّها أو قَرِحاً  
غرةً مات بها مستصبها  
منه بالنائلِ لما طفحاً  
بعد ما طُنَّ بها لن تسمحاً<sup>٤</sup>

وقال<sup>٥</sup> :

- ١ الديوان : سمعنا .
- ٢ في الأصل : الأحياب
- ٣ في الأصل : أعلامهم .
- ٤ الشعر في أمالي القاضي ٣ : ١٢٧ وتشبيهات ابن أبي عون : ٢٩٠ ونسب فيه لابن هرمة وكذلك في المختار : ٢٩٠  
ومحاسة ابن الشجري : ٢٦٩ وانظر ديوان ابن هرمة ( جمع المعبيد ) : ٢٦٣ - ٢٦٤ وفيه تحريجات كثيرة .
- ٥ الديوان : بعدما عز بها أن أسمحاً .
- ٦ ديوان مهيار ٣ : ٢٢٧

بكر الوابل<sup>١</sup> تحذوه النعامي  
وقشئت فيك أرواح الصبا  
واذا مغنى خلا من زائر  
ففضى عهد<sup>٢</sup> الهوى أن تصبحي  
أجتي المزن وماذا أربي  
وقليل قيل أن أدعو لها  
أين سكائك لا أين هم  
صدعو<sup>٣</sup> بعد التمام فغدت  
وتلقوا كل حيران بليد  
يا لؤاة الدين عن ميسرة  
فسقاك الري يا دار أماما  
يتأرجن بأنفاس الخزامي  
بعد ما فارق أو زير لما  
للمحيين مناخاً ومقاما  
أن يجود المزن أطلالاً راما  
لا يراني الله أستجدي الغما  
أحجازاً يموها أم شاما  
هم أيدي المرامي تترامي  
يسأل الجندل عنهم والرغام  
والضنينات وما كن لثاما

والمصراع الأول من هذا البيت كقول أبي الفرج الوأواء<sup>٤</sup> :  
يطل كل العباد دينهم وهو ملي بذلك الدين

ومنها :

قد وقفنا بعدكم في ربكم  
سعد الراكب تحت [به]  
تطأ العسف فتدمي خفها  
تنزى أنفاً في خلقها  
وقضينا استلاماً والتشام  
جسرة تخط وهداً وإكاما  
جبهات الأرض شجاً ولطاما  
أن تطيع السوط أو ترضى الزماما

١ الديوان : العارض .

٢ الديوان : حفظ

٣ في الأصل : صدعت

٤ ديوان الوأواء : ٢٢١ .

٥ في الأصل : تتبرا .

وبجرعائِ الحمى قلبي فَعُجَّ  
وترجَّلْ فتحدَّثْ عَجَباً  
قلْ لجيرانِ الغضا أو على  
نصلِ العامِّ وما نساكمُ  
حَمَلُوا رِيحَ الصُّبَا نَشْرَكُمُ  
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى  
وقف الظامي على أبوابكم  
ما يبالي من سقيتنَّ لمي  
واعجبوا من أن يرى الظلمُ حلالاً  
أشتكيكم وإلى من أشتكي  
أنتمُ والدهرُ سيفٌ وفمُ  
كلما عاتبتُ في حظي دهرِي  
وإذا استصحبْتُ خلاً فكأنِّي  
لمتُ أيامي على الغدر فقد  
ولزمتُ الصمتَ لا أشكوهمُ  
دفع الله وحمى عن أنايسٍ<sup>١</sup>  
كان دهرِي هرباً قبلهمُ

بالحمى واقراً على قلبي السلام  
أنَّ قلباً سار عن جسم أقاما  
طيب عيشٍ بالغضا لو كان داما  
وقصارى الوجد أن نسلخ<sup>٢</sup> عاما  
قبل أن تحملَ شيخاً أو ثاماً  
إن أردتم<sup>٣</sup> لجفوني أن تناماً  
أفيقضي<sup>٤</sup> وهو لم يقضِ أواما  
منعكن الماءَ عذباً والمداما  
شاربٌ وهو يرى الخمرَ حراماً  
شبلِ الداءِ فمن يُري السقاما  
لا يملأنِ ضراباً وكلاماً  
زادني العتبُ لجاجاً وغراماً  
منه جردت على حنفي حساماً  
زادت الإجرامَ حتى لا ملاباً  
بعد أن أفنيتُ في العذل الكلاماً  
مذرعوني لم يضعوا لي سواماً  
فأعادوه بما أبدوا غلاماً<sup>٥</sup>

١ في الأصل : يصلح .

٢ الديوان : أذنتم .

٣ في الأصل : ففتضى .

٤ في الأصل : القتل : والظلم : ماء الاسنان .

٥ الديوان : أنتم الداء فمن يشفي .

٦ الديوان : رجال

٧ سقط هذا البيت من الديوان .



كَفَنِي جودَهُمْ أَنْ أَجْتَدِي وَأَبَى عَزَهُمْ لِي أَنْ أَضَامَا

وقال من أخرى<sup>١</sup> :

لَا عِدَاكَ الْغَيْثُ يَا دَارَ الْوَصَالِ كُلُّ مُنَحَلٍّ الْعَرَى وَاهِي الْعَرَالِي

ومنها :

وَالْغَوَانِي آزَفَاتٌ لَفْمِي وَيَدِي مَرْتَبَكَاتٌ<sup>٢</sup> فِي حِبَالِ  
كُلِّ هَيْفَاءٍ يَمِينِي طَوْقَهَا فَحْمَةُ اللَّيْلِ وَقِرْطَاهَا شَالِي

وقال<sup>٣</sup> :

أَتَرَاهَا يَوْمَ صَدَّتْ أَنْ أَرَاهَا عَلِمْتُ أَنِّي مِنْ قَتْلِي هَوَاهَا  
أَمْ رَمَتْ جَاهِلَةً أَلْحَظَهَا لَمْ تَمِزْ عَمْدَهَا[لِي] مِنْ خَطَايَا  
سَنَحْتُ بَيْنَ الْمَصْلَى وَوَعْنَى مَسْنَحَ الظُّبْيَةِ تَسْتَقْرِي طَلَاهَا

وقال<sup>٤</sup> :

ضَرَبُوا بِمَدْرَجَةِ الطَّرِيقِ قَبَائِهِمْ يَتَقَارِعُونَ بِهَا عَلَى الضُّيْفَانِ  
وَيَكَادُ مُوقِدُهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حَبُّ الْقَرَى حَطْباً عَلَى النَّيْرَانِ

وقال من قصيدة أولها<sup>٥</sup> :

دَعْوَهَا تَرْدٌ بَعْدَ خَمْسٍ شُرُوعَا وَرَاخُوا عَلَائِقَهَا وَالنُّسُوعَا  
وَلَا تَحْبَسُوا خُطْمَهَا أَنْ تَطُولَ السَّحَابُ وَأَيْدِيهَا أَنْ تَبُوعَا  
وَقُولُوا دَعَاءَ هَذَا لَا عُقْرَتِ وَلَا امْتَدَّ دَهْرُكِ إِلَّا رُبْعَا

١ ديوان مهباز ٣ : ١٣٣

٢ الديوان : أذونات لفمي ... مرتسنات .

٣ ديوانه ٤ : ١٨٩

٤ ديوانه ٤ : ٥١

٥ ديوانه ٢ : ٢٢٢

فقد حَمَلْتُ وَنَجْتُ أَنْفَساً      كَرَّائِمَ جُبْنِ الْأَمَانِي سَرِيعَا  
حَمَلْنِ نَشَاوَى بَكَاسِ الْغَرَامِ      كُلُّ غَدَا لِأَخِيهِ رَضِيعَا  
أَحْبَبُوا فُرَادَى وَلَكْنَهُمْ      عَلَى صِيحَةِ الْبَيْنِ مَاتُوا جَمِيعَا  
هَمُوا رَاحَةَ النَّوْمِ أَجْفَانَهُمْ      وَشَدُّوا عَلَى الزَّفَرَاتِ الضَّلُوعَا  
وَبَاتُوا بِأَيْدِيهِمْ يَسْنَدُونَ      فَوْقَ الرُّحَالِ جُنُوباً وَقُوعَا  
وَفِي الرِّكَبِ إِنْ وَصَلُوا لِاحْقِينَ      عَقَائِلُ يَشْفِينُ تِلْكَ الصَّدُوعَا  
مِنْ الرَّاغِبَاتِ بِحَبِّ الْقُلُوبِ      حَتَّى يَصِيرَ الْحَلِيمُ الْخَلِيعَا  
قَصَائِدُ لَمْ يَصْطَفَيْنِ الْمِيَاءَ      وَلَمْ يَحْتَرِشْنَ السِّيرَابِيعَ جُوعَا  
إِذَا الْحَسْبُ إِعْتَزَّ مِنْ خِنْدِفٍ      مَسَحْنِ ذَوَاتِنَهُ وَالْفُرُوعَا/ [١٥٨]  
خَرَّقْنَ نَقُوباً لَنَا فِي السَّجُوفِ      جَعَلْنَ الْعَيُونَ عَلَيْهَا رُقُوعَا  
فَقَمْتُ أَنَا شَدَهُنَّ الْعَهْدَ      لَوْ يَسْتَطْعُنُ الْكَلَامُ الرُّجُوعَا

قوله : « خرقن نقوباً .. » البيت ، اهتدمه من قول العتبي<sup>٢</sup> :

وَكُنْ إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَوْ سَمِعْتَنِي بِي      بَدَرَنْ فَرَقْعَنْ الْكُؤَى بِالْمَحَاجِرِ

وأخذ هذا المعنى أبو الشبل<sup>٣</sup> من شعراء الدولة العباسية فقال<sup>٤</sup> :

رَأَيْنَ الشَّيْبَ قَدْ أَلْبَسَنِي أَهْجَةَ الْكَهْلِ  
فَأَعْرَضُنْ وَقَدْ كُنْ إِذَا قِيلَ أَبُو الشَّيْبِ

١ في الديوان : يصطبغن ، وهو خطأ ؛ واصطفان المياه : اقتسامها لشع في الماء .

٢ هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو ، شاعر بصري راوية ينسب الى جده عتبة بن أبي سفيان ، وتوفي سنة ٢٢٨ ( انظر ابن خلكان ٤ : ٣٩٨ وفي الحاشية مصادر ترجمته ) والبيت ورد عند ابن خلكان ٤ : ٣٩٩ ومعجم

المرزباني : ٣٥٧ والأغاني ١٤ : ١٩٢

٣ أبو الشبل عاصم ( أو عصيم ) بن وهب له ترجمة في طبقات ابن المعتز : ٣٨٠ والأغاني ١٤ : ١٨٤ وكان حياً في أيام المتوكل ، وكان كثير الغزل ماجناً .

٤ الأبيات في الأغاني ١٤ : ١٩١

تَسَاعَيْنَ فَرَقْنِ الْكُوى بِالْأَعَيْنِ النَّجْلِ  
ومن أناشيد المبرد<sup>١</sup> :

سَدَدَنْ خِصَاصَ الْبَيْتِ حِينَ دَخَلْتُهُ بِكَلِّ [البان] وَاضِحٍ وَجِبِنِ  
وقال مهيار<sup>٢</sup> :

لَعَلَّهُمْ لَوْ وَقَفُوا أَبْلُ هَذَا الْمَدْفُ  
يَا قَلْبُ هَلْ أَنْتَ مَعِي<sup>٣</sup> أَمْ مَعَهُمْ مُنْصَرِفُ  
يَا حَادِي الْأَظْعَانِ أُرْ وَدَّ، بَعْضَ مَا تَعْتَسِفُ  
فَان [فيا] بَيْنَهَا<sup>٤</sup> أَفْنَدُ تَحْتَطِفُ  
عَلَى النِّقَا الْمَطْلُولِ مِنْهَا عُصْنُ مَهْفُفِ  
إِيهِ عَلَى رِيحَانِهِ لَوْ كَانَ مِمَّا يَقْطِفُ  
فَلَا بَرَا وَجَدِي بِهِمْ وَلَا أَفَاقِ الشَّغْفِ<sup>٥</sup>

وقال من أخرى<sup>٦</sup> :

مُشْتَبَهُ أَعْرِفُهُ وَإِنَّمَا  
يَا صَاحِبِي عَوْنًا وَإِنْ أَيْسَنِي  
قَفْ بَاكِيًا فِيهَا فَإِنَّ كَتَّ أَخِي  
يَا زَمَنًا مَرًّا كَمَا اقْتَرَحْتُهُ  
مُغَالِطًا قَلْتُ لَصَحْبِي : دَارُ مَنْ  
مِنْ جَلَدِي<sup>٧</sup> قَوْلِي لِحَوَارِي : أَعَيْنُ  
مُؤَانِسًا<sup>٨</sup> فَبِكْهَا عَتَلَتْ وَعَيْنُ  
بِالنَّعْفِ إِنْ عَادَ الصَّبَا فَعُدْ إِذْنُ

١ الكامل ٢ : ٢٨٤ وروايته : سددن خصاص الخيم لما دخلته .

٢ ديوان مهيار ٢ : ٢٨١ .

٣ الديوان : هل أنت يا قلب معي .

٤ أورد : تمهل ، وفي الأصل أזור .

٥ الديوان : فان بين سرقها .

٦ لم يرد هذا البيت في الديوان .

٧ ديوان مهيار ٤ : ٤٧

٨ الديوان : وإن اشفني مع جلدي .

٩ الديوان : أحمأ مؤاسياً .

وحاملي على السرور حاملٌ      في كفه وطرفه سيفُ الفتن  
قد كتب الهجرُ على عارضه      ما أقبحَ الهجرانَ بالوجه الحسن  
يديرُ مما اختار عسجديةً      ما قُلِّلتُ<sup>١</sup> عن مثلها هامةً دن

وقال يمدح الوزير ابن المغربي من قصيدة<sup>٢</sup> :

وقفنا وأتعب لي الرقاب      يسقطُ الغضا<sup>٣</sup> طللٌ يثُلُ  
وفي الركب من ثعلٍ من يدقُّ      إلا على سهمٍ المقتل  
أوانسُ ماتت لهنّ الذحولُ      وحلّمَ فيهنّ من يجهلُ  
محسدة العين شهلُ اللحاظِ      يصبغها ميلها الأكحل  
مهاوي قلائدها إن هوينَ      بطاءً على غررٍ تنزل  
أحقاً تقنّصني بالحجازِ      في شكّتي رشاً أعزل  
عددتُ سنيّ لها والبياضُ      لدعوايَ في عدها مبطل  
وأقبلتُ أستشهدُ الأربعينَ      لو أن شهادتها تُقبلُ  
وقالوا رداءٌ جميلٌ عليك      ألا ربما كُرهَ الأجل  
وما الشيبُ أولُ مكروهةٍ      بحبوبة أنا مستبدل  
تمرّن جنبي بحمل الزمانِ      فكلّ ثقيلاته أحمل  
يردُّ يدي عن مَنالِ المنى      وكفّي من باعه أطولُ  
وتعقلُ ناشط عزمي الهمومُ      والماءُ يجبسُهُ الجدولُ  
وما الحظُّ في أدبٍ مُفصحٍ      ومن دونه تشبُّ مجبلُ  
يرومُ الفتى رتبةً وهو [حيث]      يجعلُهُ مالهُ يُجعلُ

١ الديوان : قطعت .

٢ ديوان مهيار : ٣ : ١٢٥

٣ الديوان : اللوى .

٤ سقط هذا البيت من الديوان .

حُلِيَ كُلُّ [ذِي] نَسَبٍ يَعْطَلُ  
تَكُنْ لَكَ قَوْلَتِكَ الْفَيْصَلُ  
سَلَامَتُهَا الْمَجْدُ لَا يَحْفَلُ  
وَجْهًا هُوَ الْبَدْرُ أَوْ أَكْمَلُ  
أَسْرَتُهُ حِينَ تَسْتَقْبَلُ

تَشْرَفُ بِحَظٍّ فَاِنْ الْحَظُوظُ  
وَوَافٍ الْمَوَاسِمُ . ضَخَمَ الْعِيَابُ  
حَمَى اللَّهَ لِلْمَجْدِ نَفْسًا بَغِيرِ  
وَحْيًا عَلَى ظُلُمَاتِ الْخُطُوبِ  
وَتَقْبَلُ بِالرِّزْقِ قَبْلَ السُّؤَالِ  
ومنها :

وَحْطُ بِلَا قَلَمٍ يَخْجَلُ  
إِذَا اسْتَصْرَخَ الْبَلَدُ الْمَحَلُ  
تَضِيءُ وَتَسْتُرُ الدَّجَى مَسْبِلُ  
عَمَائِمُ فَرَسَانِهِ الْقَسْطَلُ  
فَمَتْنُ يَحْطُمُ أَوْ كَلْكَلُ  
وَضَرْبُ كَمَا احْتَسَبِي الْحَنْظَلُ

تَخْطِي بِلَا قَدَمٍ . تَسْتَزِلُ  
مَنْ الْقَوْمِ تُنْجِدُ أَيْمَانَهُمْ  
لَهُمْ غَرَّرَ أَرْضَ شِيرِيَّةٍ  
وَيَوْمٍ تَوَاكَلُ فِيهِ الْعَيُونُ  
تُعَارِضُ فِيهِ الْكَمَاءُ الْكَمَاءُ  
بَطْعَنٍ كَمَا [شَقَّ] جَيْبُ الْقَمِيصِ

ومنها :

بِهِ أَنْ يَقَرَّ لَهُ الْمَفْصَلُ  
أَوْ مَسَّ أَعْطَافَهُ أَفْكَلُ  
فَمَنْ طَرَبَ كَلِمًا يَصْهَلُ  
فَمَنْ أَيْنَ تَلَحُّقُهُ الْأَرْجَلُ  
نَطَقَتْ أَرَمَ لَكَ الْمَحْفَلُ  
قَضِيَّتَ قَضَى الْقَدْرُ الْمَنْزَلُ  
بَسَطَتْ يَدَيْنِ يَدًا وَبَدَأَ تَبْدَلُ  
فِيْمَنَّاكَ صَاعِقَةً تُتَّقَى وَيُسْرَاكَ بَارِقَةً تَهْطَلُ

وَتَحْتَكُ طَرْفُ يَطِيشُ الْمَرَاخُ  
كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ طَافَتْ عَلَيْهِ  
شَجَاهُ غَنَاءُ الطُّبَا فِي الطُّلَى  
إِذَا فَاتَ سَعْيُكَ [شَأْ] أَوِ الرِّيحِ  
يَضْجُ النَّدَى خَصَامًا فَإِنْ  
وَيَخْتَلَفُ النَّاسُ حَتَّى إِذَا  
بَسَطَتْ يَدَيْنِ يَدًا تَأْخُذُ التَّافُوسَ  
فِيْمَنَّاكَ صَاعِقَةً تُتَّقَى وَيُسْرَاكَ بَارِقَةً تَهْطَلُ

١ هذا البيت والذي يليه لم يردا في الديوان .  
٢ زيادة بحسب المعنى . إذ البيت لم يرد في الديوان .

ولم تَرَ أنواءَ من قبلها  
فذاك وتفعلُ مالا تقولُ  
أُعِذُّكَ بالكلماتِ التي  
فما يسمعُ الجوُّ ما قد وسعتُ  
ليهنِ الوزارةَ أنْ رُوِّجَتْكَ  
غدَتْ بك مُحَصَّنَةً لا تحلُ  
وتعلمُ إن نازعتُ للرجالِ  
لئن جنتها عانساً قد أبرَّ  
فمن معجزاتك أن الشبابَ  
وإن كنتَ آخرَ خطَّابها  
فضاحكٌ بغدادَ بعد الخطوبِ  
طلعتَ عليها طلوعَ الصباحِ  
ومنها :

مواطرَ أسماؤها أغل  
ممن يقولُ ولا يفعلُ [١٥٩]  
بهن تَعَوِّذُ من يكمل  
ولا تحملُ الأرضُ ما تحمل  
على طول ما لبثت تُفَضِّلُ  
لبعلٍ سواكَ ولا تُبْذَلُ  
مُحَصَّنَةً أنها تقتل  
على سنّها العددُ الأطول  
لها عاد ماضيه يَسْتَقْبِلُ  
فانك محبوبها الأول  
من عدلكَ العارضُ المسبل  
وليلُ ضلالاتِهِ أيلُ

فهل أنت مُتَنَشِّلِي من نيوبِ  
ومن عيشَةٍ كلِّ أعوامِها  
فَصُنْ بك وجهي عَمَّنْ سواكَ  
فكم راح مثلكَ مثلي فطارَ  
وقدماً وفي لزهيرٍ وزادَ  
فسار به الشعرُ فيما سمعتُ  
وحسانُ أُمِسْتُ رِقَاهُ الصَّعَابُ  
تعرفَ رِيحَ عطاياهمُ  
وأبصرَ نِعْماءَهُمْ نازحينَ

دهرٍ يَدْمِي ولا يَدْمُلُ  
وإن أخصبَ الناسُ، بي محل  
فما مثل وجهي يستبدل  
وإن كان مثلكَ لا يَغْفُلُ  
من هَرِمٍ واهبٍ مجزل  
من مَثَلٍ باسمه يرسل  
من آل جفنة تَسْتَنْزِلُ  
وقد جاء يحملها المرسل  
وبابُ لواحِظِهِ مُقْفَلُ<sup>١</sup>

١ يشير إلى أن حسان كان قد أضرَّ في شيخوخته ، ولكنه عرف ببصيرته أن جيلة بن الأيهم كان قد أرسل إليه عطاءً وهدايا .

ملوكٌ مضوا بالذي استعجلوا وما فيهمُ جامعٌ ما جمعتَ  
 رمى الشعراءُ عنائي إليك وسرهمُ أنهم يعملون  
 ولو أقنع الخبرُ بالسيفِ كان بيسطِكَ لي سال وادي فمي  
 أفسوّمها مهرةً لا يعصُ محرمةُ السرجِ إلّا عليك  
 كأن عبيداً تغطى بها كان وطاب لهم ذكرٌ ما أجلوا  
 إذا أنت حصّلتَ أو حصلوا ففتٌ وأرساغهم تُشكّلُ  
 بزعمهم وأنا أعمل أحقُّ بضربِ الطلى الصيّقلُ  
 ولا ينني الكلمُ الأفضل بغيرِ يدي شذّقتها مسحلاً<sup>٢</sup>  
 تشرفُ منك بمن تبغُلُ مسحاً أعطافها جرّولُ

## فصل في ذكر أبي منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي الخراساني<sup>٣</sup>

### والايتان بطرق من خبره وحميد أثره

كان أبو منصور - وفته - راعي تلّعاتِ العلم ، وجامعِ أشتاتِ النثر والنظم ،  
 أسوةً المؤلفين في زمانه ، وإمام المصنفين بحكم قرانه ، سار ذكره سيرَ المثل ،  
 وضربتُ إليه أباطُ الإبل ، وطلعتُ دواوينه في المشارق والمغارب ، طلوعَ النجم في

١ الديوان : ذخّر .

٢ زيادة من الديوان ليتصل سياق الأبيات .

٣ ترجمته في ابن خلكان ٣ : ١٧٨ ( وفيه نقل عن الذخيرة ) وعبر الذهبي ٣ : ١٧٢ ونزهة اللبّاء : ٢٤٩ ودمية القصر  
 ( ط . حلب ) : ١٨٣ والشذرات ٣ : ٢٤٦ ومعاهد التنصيص ٣ : ٢٦٦ وانظر مقدمتي محققي كتابي التمثيل  
 والمحاضرة ولطائف المعارف ، ففيها محاولة لعدّ كتبه ، ودراسة عن الثعالبي بعنوان « الثعالبي ناقدًا وأديبًا » للاستاذ  
 محمود عبد الله الجادر ، بغداد ، ١٩٧٦ .

٤ ابن خلكان : رأس .

الغياهب ، وتواليفه أشهر مواضع ، وأبهر مطالع ، وأكثر راو لها وجامع ، من أن يستوفيهما عد أو صف ، أو يؤفّيهما حقوقها نظم أو رصف ، وقد أخرجت من نشره فصولاً أدرجها في أثناء كتبه ، ومن نظمه جملاً وتفصيل أعرب بها عن تفرق طبعه وتدقق أدبه ، تشارك الأرواح في الأجساد ، وتقعد للاقتراح بالمرصاد .

من ذلك فصول من كلامه في صدر كتابه « فقه اللغة »<sup>١</sup> :

مَنْ شرح الله صدره للإيمانِ اعتقد أنَّ محمداً عليه السلام خيرُ الرسل ، والاسلامَ خيرُ الملل ، والعربَ خيرُ الأمم ، والعربيةَ خيرُ اللغات ، والاقبالَ على تفهّمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ومفتاحُ التفقّه في الدين ؛ ثم هي لإحراز الفضائل ، والاحتواء على المروءة وسائر المذاهب كالينبوع للماء ، والزُّنْد للنار . ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها ، والوقوف على تصاريফها ، إلا قوة البيان<sup>٢</sup> في معرفة إعجاز القرآن ، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة ، اللذين هما عمدة الدين<sup>٣</sup> ، لكفى بها فضلاً يحسن أثره ، ويطيّب في الدارين ثمره ، فكيف وأيسر ما خصّها الله تعالى به من ضروب المباح يُكلُّ أقلام الكتّبة ، ويُتعب أنامل الحسّبة .

وفي فصل<sup>٤</sup> :

فيض الله لها خزنةً وحفظةً من خواصّ الناس وأعيان الفضل وأنجم الأرض ، فنسوا<sup>٥</sup> في خدمتها الشهوات ، وجابوا الفلوات ، ونادموا لاقتنائها الدفاتر ، وسامروا القباطر ، وكدّوا في حصّر لغاتها طباعهم ، وأسهروا في تقييد شواردها

١ فقه اللغة : ١

٢ فقه اللغة : وسائر أنواع المناقب .

٣ فقه اللغة : اليقين .

٤ فقه اللغة : الايمان .

٥ فقه اللغة : ٣

٦ فقه اللغة : تركوا



أجفانهم ، فعظمت الفائدة ، وعمت المصلحة ، وكلما بدأت معالمها<sup>١</sup> تتنكر ، وعرض لها ما يشبه الفترة ، ردّ الله تعالى لها الكرة ، فأهبّ ريحها ، ونفّق سوقها ، بصدر<sup>٢</sup> من أفراد الدهر أديب ، ذي صدر رحيب ، وقريحة ثاقبة ، ودراية صائبة/[١٦٠] يحبّ الأدب ، ويتعصب للعرب<sup>٣</sup> ، فيجمع شملها ، ويكرم أهلها، ويستدعي التأليفات البارعة في تجديد ما عفا من رسوم طرائفها ولطائفها ، مثل الامير السيد الأوحّد أبي الفضل [الميكالي] :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل  
وما عسيّت أن أقول في من جمع طرائف المحاسن ، واستوى على غايات المناقب ، فان ذكر كرم المنصب ، وشرف المنتسب ، كانت شجرته الميكالية في قرارة المجد والعلاء ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وإن وُصفَ حُسنُ الصورة التي هي أولُ السعادة ، وعنوانُ الخيرِ وسمةُ السيادة ، كان في وجهه المقبول الصبيح ، ما يستنطقُ الأفواه بالتسبيح ، لا سيما إذا تفرّق ماء البشر في عُرَّتِهِ ، وتفتّق نورُ الشرف بين أسرَّتِهِ . وإن مُنِحَ حُسنُ الخلقِ فله أخلاقٌ خُلِقْنَ من الكرم المحض ، وشيئٌ تشامُ منها بارقةُ المجد ، فلو مُزِجَ بها البحرُ لَعَذِبَ طعمه ، ولو استعارها الزمانُ لما جار على حرّ حكمه ، وإن حُدِّثَ عن التواضع كان أولى بقول البحترى<sup>٥</sup> ممن قيل فيه :

دنوتَ تواضعاً وعلوت مجدّاً<sup>٦</sup> فشاناك انحداً وارتفاع

١ فقه اللغة : معارفها .

٢ فقه اللغة : بفرد

٣ فقه اللغة : للعربية .

٤ فقه اللغة : أطراف

٥ ديوان البحترى : ١٢٤٧

٦ الديوان : وبعدت قدراً .

كذاك الشمس تبعد ان تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع  
فأما سائر أدوات الفضل وآلات الخير وخصالُ المجد فقد قسم الله تعالى له  
منها ما يباري الشمس ظهوراً ، ويجاري القطر وفوراً . وأما فنون الأدب فهو ابن  
بجدها ، وأخو جملتها ، وأبو عذرتها ، ومالك أزمته ، ولله هو إذا غرس الدر في  
أرض القراطيس<sup>١</sup> ، ودرز بالظلام رداء النهار ، وألقت بحار خواطره جواهر البلاغة  
على أنامله ، فهناك الحسن برمته ، والاحسان بكلّيته ، فلو كنت بالنجوم مصدقاً  
لقلت : إن عطاردًا تأتق في تدييره ، وقصر عليه معظم همته ، ووقف في طاعته ، عند  
أقصى طاقته . ومن أراد ان يسمع سرّ النظم ، وسحر الشعر<sup>٢</sup> ، ورقية الدهر ، ويرى  
صوب العقل ، وذوب الظرف ، ونتيجة الفضل ، فليستشذ ما أسفر عنه طبع مجده ،  
وثمره عالي فكره ، من ملح تمتزج بأجزاء النفوس لنفاستها ، وتُشرب بالقلوب  
لسلاستها :

قوافٍ اذا ما رآها المشوق هز لها الغانيات القدودا  
كسوّن عبيداً ثياب العبيد وأضحى ليبد لها بليدا  
وفي فصل<sup>٥</sup> :

وايم الله ما من يوم أسعفني فيه الزمان بمواجهة وجهه ، وأسعدني بالاعتباس  
من ثوره ، والاعتراف من بحره ، فشاهدت ثمار المجد والسودد تنتثر من شمائله ،  
ورأيت فضائل أفراد الدهر عيالاً على فضائله ، وقرأت نسخة الفضل والكرم من

١ فقه اللغة : القراطيس

٢ فقه اللغة : وطرز .

٣ فقه اللغة : النشر .

٤ فقه اللغة : وأثمره .

٥ فقه اللغة : ٤ وليس بين هذه الفقرة وما تقدّم حذف .

٦ فقه اللغة : الكرم والفضل .

الحاظه . وانتبهت فرائد الفوائد من ألفاظه ، إلا تذكرت ما أنشدني لابن الرومي <sup>١</sup> :  
لولا عجائب صنع الله ما نبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصب  
وأنشدت فيما بيني وبين نفسي قول الطائي <sup>٢</sup> :  
فلو صوّرت نفسك لم تزدّها على ما فيك من كرم الطباع  
وثلثت بقول كشاجم <sup>٣</sup> :  
ما كان أحوج ذا السكّال إلى نقص يوقيه من العين  
وربعت بقول المتنبي <sup>٤</sup> :  
فان تفقر الأنام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال  
وفي فصل <sup>٥</sup> :

فاستغرقت أربعة أشهر هناك بحضرته ، وتوفرت على خدمته ، وما رمت في أكثر  
الأوقات في الليل والنهار عالي مجلسه ، وتعطرت عند ركوبه بغبار موكبه ، فبالله يميناً  
قد كنت غنياً عنها لو خفت [حنتاً] فيها أني ما أنكرت طرّفاً من أخلاقه ، ولم أشاهد  
إلا شرفاً ومجداً من أحواله ، وما رأيته اغتاب غائباً ، أو سبّ حاضراً ، أو حرم  
سائلاً ، أو خيّب آملاً ، أو أطاع سلطان الغضب والحرّد ، أو تصلّى بنار الضجر  
وبطش بطش المتجبر ؛ وما وجدت المآثر إلا ما يتعاطاه ، والمآثم إلا ما يتخطّاه ،  
فعوّذته بالله تعالى من كلّ طرّف عائن ، ومن كلّ صدر خائن ، هذا ولو أعارتني

١ ديوان ابن الرومي : ١٩٦ .

٢ ديوان أبي تمام : ٣٤٠ وشرح العيون : ٣٢٤ ، ٣٣٠ .

٣ مرغير منسوب في الذخيرة ٢ : ٦٨٠ .

٤ ديوان المتنبي : ٢٥٨ والذخيرة ٢ : ٦١٨ .

٥ فقه اللغة : ٥ .

خطباءً إِيَادَ ألسنتها ، وكتابُ العراقِ أيديها ، في وصف أياديه التي اتصلت عندي اتصالَ السعود ، وانتظمت لديَّ انتظامَ العقود ، فقلت في ذكرها طالباً/ [١٦١] أُنَدَّ الإِسْهَابَ ، وكتبتُ في شكرها ماداً أَطْنَابَ الإِطْنَابِ ، لما كنتُ بعد الاجتهاد إلا ماثلاً في جانب القصور ، متأخراً عن الغرضِ المقصودِ ، فكيف وأنا قاصرُ البلاغة<sup>١</sup> ، قصيرُ باعِ الكتابة ، وعلى ذلك فقد صدئ فهمي لبعدي - كان - عن حضرته ، وتكدرُ ماءُ خاطري لتطاولِ العهدِ بخدمته .

## وفي فصل ٢ :

وما عدلتُ بمؤلفاتي عن اسمه ورسمه ، إخلالاً بما يلزمني من حقِّ سؤدده ، بل إجلالاً [له] عما لا أرضاهُ للمرورِ بسمعه ولحظه ، وتحامياً لِعَرْضِ بضاعتي المزجاةِ على قُوَّةِ نقده ، وذهاباً بنفسي عن أن أهديَ للشمسِ ضوءاً ، أو أزيدَ في القمرِ نوراً ، أو أكونَ كجالِبِ المسكِ إلى أرضِ التركِ ، والعودِ إلى بلادِ الهندِ ، والعنبرِ إلى البحرِ الأخضرِ .

## وفي فصل له ٣ :

ان خير الكلام بعد حمد الله والصلاة على رسوله ما شغل بخدمة مَنْ جمعَ الله له عُدَّةُ الملكِ إلى بسطة العلم ، ونورَ الحكمةِ إلى نَفَازِ الحكم ، وجعله مبرزاً على ملوك العصر ، ومدبّري الأرضِ وولاةِ الأمرِ ، بخصائص من العدل ، وجلائل من الفضل ، ودقائق من الكرم المحض ، لا يدخلُ أيسرُها تحت العادات ، ولا يُدْرِكُ أقلُّها بالعبارات ، ومحاسنِ سيرِ تحرُّسِها أسنَّةُ الأقلامِ ، وتدرسها السنة الليالي

١ فقه اللغة : قاصر سعي البلاغة

٢ فقه اللغة : ٧

٣ التمثيل والمحاضرة : ٤

٤ التمثيل : عزة .

والأيام ، وهذه صفةٌ تغني عن تسمية الموصوفِ لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه إياها ، واستثثاره على جميع الملوك بها ، ويعلم سامعها ببديهة السماع أنها للأمير شمس المعالي خالصة ، وعليه مقصورة ، وبه لائقة ، وعن غيره نافرة ، إذ هو بمعاينة الآثار ، وشهادة الأخبار ، واجتماع الأولياء ، وإصفاق الأعداء ، كافلُ المجد ، وكافي الخلق ، وواحدُ الدهر ، وغرة الدنيا ، ومَفْرُغُ الورى ، وَجُنَّةُ العالم ، ونكتة الفلك الدائر ، فبَلَّغَهُ الله تعالى أقصى نهاية العمر ، كما بَلَّغَهُ أبعاد غاية الفخر ، وَمَلَكَه أزمانَ الارض ، كما ملكه أعنة الفضل ، وأدام حُسْنَ النظر للعباد والبلاذِ بِدائمة أيامه التي هي أعيادُ الدهر ، ومواسمُ اليُمْنِ والأمن ، ومطالعُ الخير والسعد ، وزاد دولته شباباً ونمواً ، كما زاده في السنّ علواً ، حتى تكون السعاداتُ وَقْدَ بابه ، والبشائرُ قَرَى سمعه ، والمسائرُ غذاءَ نفسه ، ويترامى به الإقبالُ إلى حيث لا يبلغه أمل ولا يقطعه أجل .

وفي فصل ٣ :

هذا الكتابُ أخرجتُ بعضهُ من غُررِ نجوم الأرض ، ونكتِ أعيانِ الفضل من بلغاء العصرِ في النشر ، وحللتُ بعضه من نظم أمراء الشعر الذين أوردتُ مُلَحَّ أشعارهم في كتابي المترجم بِـ « يتيمة الدهر » ، فلفقتُ جميعَ ذلك وَسَقَفْتُهُ ، وجردته وَسَقَفْتُهُ ، وأنفقتُ عليه ما رزقته ، وعملتُه بكدِّ الناظر ، وجهدِ الخاطر ، وتعبِ اليمين ، وعرقِ الجبين ، وتعمدت فيه لذَّةَ الجدة ، ورونقَ الحداثة ، وحلاوة الطراوة ، ولم أَشْبِهْ بشيءٍ سوى كَلامِ أهل العصر إلا في قلائلٍ وقلائدٍ من ألفاظِ [الجاحظ] وابن المعتز ، تَخَلَّلَتْ أثناءهُ ، وتوسَّطَتْ تضاعيفه ، ولم أُخلِ كلماته التي هي وسائطُ الآداب ،

١ ص : ومشاهدة .

٢ التمثيل : وحسنة .

٣ سحر البلاغة : ٥

٤ في الاصل : من .

٥ في الاصل : الألباب .

وصياقلُ الألبابِ ، وما تشتهي أنفسُ الأدباءِ وتلذَّ أعينُ الكتابِ ، من لفظٍ فصيحٍ ، أو معنى صريحٍ<sup>١</sup> ، أو تجنيسٍ أنيسٍ ، أو تشبيهٍ بلا شبيهٍ ، أو تمثيلٍ بلا مثيلٍ ولا عديلٍ ، أو استعارةٍ أو طباقٍ ، على ذي رونقٍ باقٍ . فمن مرَّافقِ هذا الكتابِ قُرْبُ متناوِلِهِ من الكتابِ ، إذا وشَّوا ديباجَ كلامهم بما يقتبسونه من نوره ، وسباحةٍ قيَّاده لأفراد الشعراء إذا رصَّعوا عقودَ نظامهم مما يلتقطونه من شذوره . فأما المخاطبات والمحاورات فانها تتبرَّجُ بغرَّةٍ من عُريهِ ، وتتوجُّ بدرِّقٍ من درره .

وفي فصل<sup>٢</sup> :

وقد كانت تجري في مجلسه العالي نكتٌ من أقاويلِ أئمةِ الأدبِ في أسرار اللغة وجوامعها ، ولطائفها وخصائصها ، مما لم ينتهوا إلى جمعِ شملها ، ولا توصَّلوا إلى نظمها ، وإنما اتجهت لهم في أثناءِ التأليفات ، وتضاعيفِ التصنيفات ، لمعُ سيرة كالتوقيعات ، وفقرُ خفيةٍ كالإشارات ، فيلوح لي - أدام الله عزه - بالبحث على أمثالها ، وتحصيلِ أخواتها ، وما ينخرطُ في سلكها ، وأنا ألوذُ بأكنافِ المحاجة ، وأحومُ حولَ المدافعة ، وأرعى روضَ المِطاطة ، لا تهاوناً بأمره الذي أراه كالملكتوبات ، ولا أميزه عن المفروضات ، ولكن تفادياً من قصور سهمي عن هدفِ إرادته ، وانحرافاً عن الثقةِ بنفسِي في عملٍ/[١٦٢] ما يصلحُ لخدمته ، إلى أن اتفقتُ لي في بعضِ الأيام التي هي أعيادُ دهري ، وأعيانُ عمري ، مواكبةُ القمرين بمسيرةِ ركابه ، ومواصلةِ السَّعْدَيْنِ بصلَّةِ جنابه<sup>٣</sup> في متوجَّهه إلى فيروزباد ، ومنها إلى حداد<sup>٤</sup> ، بعضُ قُرَاهُ من الشامات ، عمرها الله بدوامِ عمره ، فلما : أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا وسالتُ بأعناقِ المطيِّ الأباطح<sup>٥</sup>

١ سحر البلاغة : أو معنى بديع .

٢ فقه اللغة : ٧ .

٣ في الأصل : جناحه .

٤ فقه اللغة : خدای زاد

٥ الشعر والشعراء : ١٣ وفي تخريج البيت انظر السمع : ٧٧ ( الملحق ) وديوان كثير : ٥٢٥ .

وعدنا إلى العادة عند الالتقاء في تجاذبِ أهـداب الآداب ، وفثقِ نوافج  
الأخبار والأشعار ، أفضتُ بنا شجونُ الحديث إلى هذا الكتاب ، فقال لي - صدق  
الله قوله ، ولا أعدم الدنيا طَوْلَه - : إنك إن أخذتَ فيه أجدت وأحسنت ، وليس  
إلا أنت ، فقلت : سمعاً سمعاً ، ولم أستجز لأمره دفْعاً ؛ فأقام لي في التأليف معالمَ  
أقفُ عندها ، وأقفو حذَّها ، وأهاب [بي] إلى ما اتخذته قبلة أصلي إليها ، وقاعدةً  
أبني عليها : من التمثيل والتنزيل والتفصيل والتقريب والتقسيم والترتيب ،  
وانتجعتُ من الأئمة الخليل والأصمعي وأبا عمرو والكسائي وأبا عبيد وأبا زيد ،  
ومن سواهم من شيوخ العلماء ، وظرفاء الأدباء ، الذين جمعوا فصاحة البلغاء إلى  
إتقان العلماء ، ووعورة اللغة إلى سهولة البلاغة ، وأقتبسُ من أنوارهم :  
وأجتني من ثمارِ قومٍ قد أقفرتُ منهمُ البقاعُ  
ومن كلامه في صدر كتاب اليتيمة

لما كان الشعر عمدة الأدب ، وعلمَ العرب الذي اختصَّت به على سائر  
الأمم ، وبلسانهم جاء كتابُ الله المنزل ، على النبيِّ منهم المرسل ، عليه السلامُ  
الأجزل ، كانت أشعارُ الاسلاميين أرقَّ من أشعارِ الجاهليين ، وأشعارُ المحدثين  
[الطفَ من أشعار المتقدمين] ثم كانت أشعارُ العصريين أجمعَ لنوادر المحاسن ، وأنظَمَ  
للطائفِ البديع من أشعار سائر المذكورين ، لانتهائها إلى أبعـدِ غاياتِ الحُسْنِ ،  
وبلوغها أقصى نهايةِ الجَوْدَةِ والظُرفِ ، تكاد تخرجُ من باب الإيجازِ إلى الإعجازِ ،  
ومن حدِّ الشعرِ إلى السحرِ ، وكأن الزمانُ ادّخلنا من نتائج خواطرهم ، وثمرات  
قرائحهم ، وأبكار افهامهم ، أتمَّ الألفاظ والمعاني استيفاءً لأقسام البراعة وأوفرها  
[نصيياً] من كمالِ الصنعة ورونقِ الطراوة ،

١ فقه اللغة : وأجتني .

٢ اليتيمة : الإعجاب .

ولسلك ما ساد النبي محمد كل الأنعام وكان آخر مرسل

وقد سبق مؤلفو الكتب الى ترتيب المتقدمين والمتأخرين ، فكم من كتاب فاخر عمله ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه إلا نبوء العين عن إخلق جدته ، وبلى بُردته ، [ومع] السمع لمردداته ، وملالة القلب لمكرراته ، وبقيت محاسن أهل العصر التي معها رؤاء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة في كتاب يضم نشرها ، ويشد أزرها .

وقد كنت تصدّيت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، والعمر باقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحته باسم بعض الوزراء ، مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب ، إلى ذوي الأخطار والرتب ، ومقياً نمار الورق مقام نثار الورق ؛ وكتبته في مدة تقصّر عن إعطاء الكتاب حقّه ، ولا تتسع لتوفيته شرطه ، وارتفع كعجالة الراكب ، وقضيت به حاجة في نفسي وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه ، والمستحسنين<sup>١</sup> يتداولونه ، وحين أعزّته بعض بصري ، وأعدت فيه نظري ، تبينّت مصداق ما قرأته في بعض الكتب : « إنَّ أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه » هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدّة ؟ رأيتني أحاطر بأخوات كثيرة ومادات غزيرة حصّلت إلي بعد ، فقلت : إذا كان هذا الكتاب له موقع من نفوس الأدباء ، ومحل من قلوب الفضلاء ، فلم لا أبلغ فيه المبلغ الذي يراد ، ويستوجب من الاعتداد<sup>٢</sup> ؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع والاتمام [هدف] المرام ؟ فجعلت أثبته وأحموه ، وأفتحه فلا أختمه ، وأنصفه فلا أتمه ، والأيام تعجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدركت عصر السن والحنكة ، فاختلست لمعة من ظلم الدهر ،

١ اليتيمة : والمتسخين .

٢ اليتيمة : المبلغ الذي يستحق حسن الاحاد ، ويستوجب من الاعتداد أوفر الاعداد .



وانتهزت رقدةً من عينِ الزمان ، واغتتمتُ نبوةً من أنيابِ النوايب ، واستمرتُ في  
تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة . فهذه تجمعُ من بدائع  
أعيانِ أهلِ الفضل ، ونجوم الأرضِ من أهلِ العصر/ [١٦٣] ما لم تأخذِ الكتبُ  
العتيقةُ غرره ، ولم تقتضِ عُذره ، ولم ينقضِ قِدْمُ العهدِ بُره .

والشرطُ في هذه النسخة إيرادُ لبِّ اللباب ، وحبّة القلب ، وناظر العين ، ونكتة  
الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقشِ الفص ، فان أخرجتُ متقدماً وقَدّمتُ متأخراً فعذري  
فيه أن العرب قد تبدأ بذكر الشيء والمقدّم غيره ، قال تعالى ﴿ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ  
مُؤْمِنٌ ﴾ ( التغابن : ٢ ) وقال حسان بن ثابت ، وذكر بني هاشم<sup>١</sup> :

بها ليلُ منهم جعفرُ وابنُ أمِّه عليٌّ ومنهمُ أحمدُ المتخيرُ  
وقال الصلتان العبدَي :

فمَلَّتنا أَننا مسلمونَ على دينِ صديقنا والنبي  
وفي فصل منه<sup>٢</sup> :

كان الخوارزميُّ في ريعانِ عمره ، وعنفوانِ شبابه<sup>٣</sup> قد دُوِّخَ بلادَ الشام ،  
وحصل في حضرةِ سيفِ الدولةِ بحلب ، مجمعِ الرواةِ وأهلِ الأدب ، ومطرحِ  
الغرائب والفضلاء ، فأقام بها مع أئمةِ الأدباء بين علمٍ يدرسه ، وأدبٍ يقتبسه ، ومحاسنِ  
الفاظٍ يستفيدها ، وشواردِ أشعارٍ يصيدها ، وانقلب عنها أحدَ أفرادِ الدهر ، وأمراءِ  
النظم والنثر ، وكان يقول : ما فَتَّقَ طبعي ، وشحذَ فهمي ، وصقلَ ذهني ، وأرهفَ  
حدَّ لساني ، وبلغ هذا المبلغ بي ، إلا تلك الطرائفُ الشامية ، واللطائفُ الحليّة ،

١ ديوان حسان : ٩٩ ( وفيه التخريج )

٢ اليتيمة : ٢٦

٣ اليتيمة : وعنفوان أمره .

التي عَلِقَتْ بحفظي ، وامتزجت بأجزاء نفسي ، وغصنُ الشبابِ رطيب ، وَبُرْدُ  
الحدائثِ قشيب .

وفي فصل ٢ :

كان بنو حمدان ملوكاً أَوْجُهُهُمُ لِلصُّبْحَةِ ، وَالسِّنْتُهُمُ لِلْفَصَاحَةِ ، وأيديهم  
للسَّاحَةِ ، وعقولهم للرجاحة ، وسيفُ الدولة مشهورٌ بسيادتهم ، واسطةُ قلاذتهم ،  
عُرَّةُ الزمانِ والعصور ، وَمَنْ به سيداد الثغور ، وسدادُ الأمور ، وكانت وقائعُه في عُصَاةِ  
العرب تكفُّ بأسها وتفلُّ أنيابها ، وتُذِلُّ صِعَابها ، وتكفي الرعيةَ سوءَ آدابها ،  
وغزواته تدركُ من طاغيةِ الرومِ النَّارَ ، وتحسمُ شرَّهم المثارَ ، وتُحسِّنُ في الاسلامِ  
الآثارَ ، وحضرتهُ مقصدُ الوفود ، ومطلعُ الجود ، وقِبْلَةُ الآمال ، ومحطُ الرحال ، وموسمُ  
الأدباء ، وقبلةُ الشعراء ، ويقال إنه لم يجتمعُ بباب أحدٍ من الملوك - بعد الخلفاء -  
ما اجتمع ببابه من شيوخِ الشعر ، ونجومِ الدَّهْرِ ، والسلطانُ سوقُ يجلبُ إليها ما  
ينفق لديها ؛ وكان أديباً شاعراً محبباً لجيد الشعر ، شديدَ الاهتزاز لما يُمدَحُ به ، فلو  
أدرك ابنُ الرومي زمائه ما احتاج أن يقول :

ذهب الذين يهزم مداحهم هَزَّ الكماةِ عوالي المَرانِ  
كانوا اذا امتدحوا رأوا ما فيهم فالاريجية منهم بمكانِ  
وفي فصل ٣ :

كان أبو فراسٍ فَرْدَ دهره ، وشمسَ عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ومجداً ،  
وبلاغةً وبراعةً ، وفروسيَّةً وشجاعةً ، وشعره مشهورٌ سائرُ بينِ الحسنِ والجَوْدَةِ  
والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة والمتانة ، ومعه رِواءُ الطبعِ وَبِئمةُ الظُّرفِ  
وعزةُ الملك ، لم تجتمع هذه الخلالُ قبله إلا في شعر ابن المعتز ؛ وأبو فراس بعدُ أشعرُ

١ البيتية : ورداء .

٢ البيتية : ١ : ٢٧

٣ البيتية : ١ : ٤٨

منه عند أهل الصنعة وثَقْدَة الكلام . وكان الصاحب يقول : بدىء الشعر بملك -  
يعني امرأ القيس - وختم بملك - يعني أبا فراس - .

وأطلت<sup>١</sup> عنان الاختيار في محاسن كل شيء حسن<sup>٢</sup> لا سيما روميّاته التي رمى  
بها هدف الإحسان ، وأصاب شاكلة الصواب . ولما خرج نير<sup>٣</sup> الفضل من سراه ،  
وأطلق أسد الحرب من إساره ، لم تطل أيام فرحته ، ولم تسمح النوائب بالتجافي  
عن مهجته ، ودلت قصيدة قراتها للصابي في تأيينه على أنه قُتِلَ في وقعة كانت بينه  
وبين بعض موالي أسرته ؛ وما أحسن وأصدق قول أبي الطيب :

فلا تَنَلِّكَ الليالي إنَّ أيديها إذا ضربن كسرن النبع بالغرب  
ولا يُعِنُّ عدواً أنت قاهرُهُ فانهنَّ يَصِدُنَّ الصقر بالحرب

وفي فصل<sup>٥</sup> :

كان المتنبي نادرة الفلك ، واسطة عِقْدِ الدهر ، في صناعة الشعر ؛ شاعرُ  
سيف الدولة الذي جذب بِضَبْعِهِ ، ورفع من قدره ، ونفّق من سير شعره ، وألقى  
عليه شعاع سعادته حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه في البدو  
والحضر ، وكادت الليالي تنشده ، والأيام تحفظه ، كما قال<sup>٦</sup> :

وما الدهرُ إلا من رواق قصائدي إذا قلتُ شعراً أصبح الدهر منشدا  
فسار به مَنْ لا يسيرُ مسامراً وغنّى به من لا يغني مغردا/[١٦٤]

١ البيتة ١ : ١٠٢ - ١٠٣

٢ البيتة : من محاسن شعر أبي فراس ، وما محاسن شيء كله حسن .

٣ البيتة : قمر .

٤ ديوان المتنبي : ٤٢٦

٥ البيتة ١ : ١٢٦

٦ ديوان المتنبي : ٣٦١

وقد<sup>١</sup> ألّفَتِ الكتبُ في تفسيره وجلاء<sup>٢</sup> مشكله وعويصه ، وكسرت الدفاترُ على ذكر جيده ورديته ، وتكلّم الأفاضلُ في الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن أبكارِ كلامِهِ وَعُونه ، وتفرّقوا في مدحه وذمّه ، والقدح فيه والتعصّب له وعليه ، وذلك أدلُّ دليلٍ على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، وتفرّده على أهل زمانه ، بملكِ رقابِ القوافي ورقّ المعاني ، والكمالُ من عُدتْ سَقَطَاتِهِ ، والسعيدُ من حُسِبَتْ هَفَوَاتِهِ .

واتخذ<sup>٣</sup> الليلَ جملًا وفارق بغداد متوجّهاً إلى ابن العميد ، ومراغماً للمهلب ، فورّد أَرْجَانِ فَطَمِ الصاحبُ في زيارته باصبهان ، وإجرائه مُجَرَى مقصوده من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شابٌّ وحاله حويلة ، ولم يكن استوزر بعد ، فكتب يلاطفُهُ في استدعائه ، فلم يُقَمِّ له المتنبي وزناً ، ولا أجابه عن كتابه ، وقصد عضد الدولة ، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمنية ، وورود مشرع المنية . واتخذ الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقعة ، ويتبع سقطاتِهِ في شعره وهفواته ، وينعى عليه سيئاته ، وهو أعرَفُ الناس بحاسنه ، وأكثرهم استعمالاً إياها في مخاطباته .

وخطأ المتنبي في اللفظ والمعنى كثير ، ويتبع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء ، ويفتح<sup>٤</sup> بذلك شعره ، وما أكثر ما يحومُ حولَ هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط ، فبينما هو يصوغُ أفخرَ حليٍّ ، وينظم أحسنَ عقدٍ ، وينسج أنفَسَ وشيٍّ ، ويختالُ في حديقة وردٍ ، إذا به قد رمى بالبيتِ والبيتين في إبعاد الاستعارة وتعويض اللفظ وتعقيد المعنى ، فمحا تلك المحاسنَ وكدّر صفاءها وأعقب حلاوتها مرارةً لا مساغ لها ، واستهدف لسهام العائنين ، فمن متمثل بقول الشاعر :

١ البيتية ١ : ١٢٧

٢ البيتية : وحلّ

٣ البيتية ١ : ١٣٨

٤ البيتية ١ : ١٦٣

٥ كذا في الأصل ، وليست العبارة في البيتية ، ولعل الصواب « وينح »

أنت العروس لها جمال رائع لكنها في كل يوم تُصرَع  
ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدةً تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع  
الطيبات ، ثم يُتبعها بطعامٍ وَضِرٍ وشرابٍ عكر ، أو من يتبخّر بالنَدِّ المعشب المثلث  
المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الأشهب ثم يرتقه<sup>١</sup> بارسال الريح  
الحبيشة ، أو بالواحد في عقلاء المجانين ممن ينطق بنواذير الكلام وطرائف الحكم ثم  
يعتريه سكر الجنون .

#### وفي فصل<sup>٢</sup> :

أبو الفرج الببغا : نجم الآفاق ، وشامة الشام والعراق ، وظرف الظرف ،  
وينبوع اللطف ، أحد أفراد الدهر ، في النظم والنثر ، ولقب بذلك للثغة<sup>٣</sup> [فيه] .

وكان نظيف اللبسة ، بهي الرُكبة ، مليح اللثغة ، ظريف الجملة ، وأخذت  
الأيام من جسمه وقوته ، ولم تأخذ من ظرفه وملحه وأدبه ؛ ووردني كتابه سنة إحدى  
وتسعين مشتملاً من النظم والنثر على ما أبدت<sup>٤</sup> به حال من بلغ ساحل الحياة ، ووقف  
على ثنية الدواع ، ولست [أدري] بعد ما فعل الدهر به ، وأغلب ظني أنه [الحق]  
باللطيف الخبير .

#### وفي فصل<sup>٤</sup> :

أبو الفرج ألأواء : من حسنات الشام ، وصاغة الكلام ، ومن عجيب شأنه  
أنه كان بدار بطيخ دمشق ينادي على الفواكه ، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار  
كلامه ووقع فيه ما يروق ، ويشوق ويفوق ، حتى تعلّق بالعيوق .

١ في الأصل : يوبقه .

٢ البيتة ١ : ٢٥٢

٣ البيتة : أنرت .

٤ البيتة ١ : ٢٨٨

## وفي فصل ١ :

أبو محمد الواساني : أعجوبة الزمان ونادرته ، وفردُ عصره وباقعته ، وهو أحدُ المجيدين في الهجاء ، وكان في زمانه ، كابن الرومي في أوانه .

## وفي فصل ٢ :

أبو محمد بن وكيع : شاعرٌ بديعٌ ٣ ، وعالمٌ جامع ، قد برع على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحدٌ في أوانه ، وله كلُّ بديعةٍ تسحرُّ الأوهام ، وتستعبدُ الأفهام .

## وفي فصل ٤ :

السري الرفاء : وما أدراك ما السري ؟ صاحبُ سرِّ الشعر ، الجامعُ بين [نظم] عُقود الدرِّ ، والنفسِ في عُقدِ السحر ، ولله درّه ، ما أعذبَ بحره ، وأعجبَ أمره ١١ وقد أخرجتُ من شعره ما يُكتبُ على جبهة الدهر ، ويُعلّقُ في كعبةِ الظرف ٥ ، وكتبتُ منه محاسنَ وملحاً ، وبدائعَ وطرفاً ، كأنها أطواقُ الحمام ، وصدورُ البزاقِ البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف الغزلان ، ونهودُ العذارى الحسان ، وغمزاتُ الحدقِ الملاح .

## وفي فصل ٦ :

عضد الدولة : [كان] على ما مُكِّنَ له في الأرض ، وجُعِلَ إليه من أزمّةِ البسطة والقبض ، وخُصَّ به من رفعةِ الشان ، وأوتي من سعةِ السلطان ، يتفرّغُ للأدب ،

١ البيتة ١ : ٣٥١

٢ البيتة ١ : ٣٧٢

٣ البيتة : بارع

٤ البيتة ٢ : ١١٧

٥ البيتة : الفكر

٦ البيتة ٢ : ٢١٦

ويتشأغل بالكتب/ [١٦٥] ويؤثر مجالسة الأدباء ، على منادمة الأمراء ، ويقول شعراً كثيراً يخرج منه ما هو من شرط الكتاب من الملح والنكت ، وما أدري كم فصل رائع قرأته للمصاحب في وصف شعره ، وطلب أمد الإبداع في مدحه .

### وفي فصل ١ :

الصابي : أوحذ العراق في البلاغة ، ومن تُشئى الخناصرُ به في الكتابة ، وتتفق له الشهادات ببلوغ الغاية من البراعة في الصناعة . وكان قد حَقَّق التسعين في خدمة الخلفاء ، وخلافة الوزراء ، وتقلد الأعمال الجلائل ، مع ديوان الرسائل ، وحلب الدهر أشطره ، وذاق حلوه ومره ، ولابس خيره ولامس شره ، ورُئِس ورأس ، وخُذِمَ وخَدم ، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء ، وسار ذكره في الآفاق ، ودون له من الكلام البهي النقي العلوي ما تتناثر درره ، وتتكاثر غره ، وأراده الملوك على الاسلام ، وأداروه بكل حيلة وتمنية جليلة ، فلم يَهْدِ الله للاسلام ، كما هداه لمحاسن الكلام ، وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكابر أرفع خدمة ، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه وسن قلمه .

٢

### وفي فصل ٢ :

عبد العزيز بن يوسف : أحد صدور المشرق ، وفرسان المنطق ، وأفراد الكلم ، وأعيان الممدحين المقدمين في الأدب والكتابة والبراعة والكفاية وجميع أدوات الرياسة . ونثره يُعرب عن أدب فضفاض ، وخاطر بالاجادة والاحسان فيأض .

### وفي فصل ٣ :

القاضي التنوخي : من أعيان الأدب والعلم ، وأفراد الكرم وحسن الشيم ، وإن أردت فسبحه ناسك ، وإن أحببت فتفاحه فاتك ، أو اخترحت فمدرعة راهب .

أو أشرت<sup>١</sup> فَنُحْبَةُ شارب ، ريحانة الندماء ، و نارنجُ الطرفاءِ ، ويعاشرون منه مَنْ تطيبُ عشرته ، وتلينُ قشرته ، وتكرمُ أخلاقه ، وتحسن أخباره ، وتسيرُ أشعاره ، حتى نظمتُ حاشيتي البرِّ والبحر ، وناحيتي الشرق والغرب ، وكان له غلامٌ يسمى نسباً في نهاية الملاحاة واللباقاة ، وكان يؤثره على سائر غلمانِه ، ويختصُّه بتقريبه واستخدامه ، فكتب إليه بعضُ من يأنس به<sup>٢</sup> :

هل عليّ لامُهُ مدغمٌ لاضطرارِ الشعرِ في ميمٍ نسيمٍ  
فوقَ تحته : نعم ، ولم لا ؟  
وفي فصل<sup>٣</sup> :

أبو علي ابنه : هلالُ ذلك القمر ، وغصنُ ذلك الشجر ، والشاهدُ العدلُ لمجدِ أبيه وفضله ، والفرعُ المشيرُ لأصله ، والنايبُ عنه في حياته ، والقائمُ مقامه بعد وفاته ، وله كتاب « الفرج بعد الشدة » وناهيك بحسنه ، وامتناعِ فنِّه ، وما جرى فيه من الفأل يمينه ، لا جرمُ أنه أُسِيرُ من الأمثال ، وأسرى من الخيال .  
وفي فصل<sup>٤</sup> :

ابن لنكك : فرد البصرة وصدُرُ أدبائها ، وفردُ ظرفائها في زمانه ، المرجوعُ إليه في لطائف الأدبِ وطرائفه ، وكانت حرفةُ الأدبِ تَمْسُه وتجمُّشُه ، ومحنةُ الفضلِ تدركه فتخدشه ، ونفسه ترفعه ، ودهره يَضَعُه ؛ وأكثرُ شعره مُلَحٌ وطرف ، خفيفةُ الأرواحِ تأخذ من القلوبِ بمجامعها ، وتقعُ من النفوسِ أحسنَ مواقعها ، وجلَّها في شكوى الزمانِ وأهله ، وهجاءِ شعراءِ عصره . ويشبه شعرُه في الملاحاة وقلةِ مجاوزةِ البيتين والثلاثة شعرَ ابنِ فارس . وأقدَّرُ أنه بالجبال كهو بالعراق . وكان يقال : إذا رمى منصورُ الفقيه برجمِهِ قتل ، وكذلك ابن لنكك إذا قال البيتَ والبيتين أغربَ بما جلب وأبدعَ بما يصنع ، فأما إذا قصَّدَ فقلَّما ينجح ويفلح .

٣ البيمة ٢ : ٣٤٦

٤ البيمة ٢ : ٣٤٨

١ البيمة : أنرت .

٢ ورد في الذخيرة ، القسم الثاني : ٦٣٣



### وفي فصل ١ :

ابن نباتة : من فحول الشعراء في عصره وآحادهم ، وصدور مجيديهم وأفرادهم ، الذين أخذوا برباق القوافي وخوارق المعاني . وشعره مع قُرب لطفه بعيد المرام مستمر النظام، يشتمل من حرّ الكلام على غرر كقطع الروض غب القطر ، وفقر كالغنى بعد الفقر ، وبدائع أحسن من مطالع الأنوار ، وعهد الشباب ، في أرق من نسيم الاسحار وشكوى الأحباب .

### وفي فصل ٣ :

السلامي : من أشعر أهل العراق قولاً بالاطلاق ، وشهادةً بالاستحقاق ، وعلى ما أجريت من ذكره ، شاهد عدل من شعره ، الذي كتبت من محاسنه نزهة العيون ورقى القلوب وسرّ النفوس . ولم يزل بحضرة الصاحب بين خير مستفيض ، وجاؤ عريض ، ونعم بيض ، إلى أن أثر قصّد حضرة عضد الدولة بشيراز ، فجهّزه الصاحب إليه وزّده كتاباً بخطه إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف قال فيه : « باعة الشعر أكثر من عدد الشعر ، ومن يُوثّق أن حليته التي يؤديها من نسج فكره أقل من ذلك ؛ ومن خبرته بالامتحان فأحمدته ، وفَرَزْتُهُ بالإحسان واختبرته ، أبو الحسن السلامي . وله بديهة قوية ، تُوفي على الرويّة ، ومذهب / [١٦٦] في الاجادة يَهْشُ السمعُ لوعيه ، كما يرتاحُ الطرفُ لرعيه ، وقد امتطى أمله - وخير له - الى الحضرة الجليلة رجاء أن يحصل في سواد أمثاله ، ويظهر معه بياض حاله ، فجهزتُ منه أمير الشعر في موكبه ، وحليتُ فرس<sup>٦</sup> البلاغة

١ القيمة ٢ : ٣٨٠

٢ القيمة : وملكوا رق .

٣ القيمة ٢ : ٣٩٦ ، ٤٠١

٤ في الأصل : واختبرته .

٥ في الأصل : مركبه .

٦ في الأصل : فارس

بمركبه ، وكتابي هذا رائدُهُ هذا إلى القطر ، بل مَشْرَعُهُ إلى البحر » .

فاشتمل عليه جناحُ القبول ، ودُفِعَ إليه مفتاحُ المأمول ، واختصَّ بخدمة عضد الدولة في مقامه وظعنه إلى العراق ، وتوفَّرَ حظُّهُ من صلاته وخلعه ، واللهُ تفتح اللهمى . وكان عضد الدولة يقول : « اذا رأيتُ السلاميَّ في مجلسٍ ظننتُ أنَّ عطارِدَ قد نزل من الفلك إلى ، ووقف بين يدي » .

### وفي فصل ١ :

ابن سكرة الهاشمي : شاعرٌ متَّسعُ الباع ، في أنواع الإبداع ، فائقٌ في قول الطرف والملح ، وأحدُ الفحول والأفراد ، جارٍ في ميدان المجون والسخف ما أراد .

### وفي فصل ٢ :

ابن الحجاج : وإن كان في أكثر شعره لم يستتر من العقل بسخف ، ولا بنى جلُّ قوله إلا على سخف ، فانه من سَحرة الشعر ، وعجائب العصر ، وفردُ زمانه في فنه الذي شهَّرَ به ، لم يُسَبِّقْ إلى طريقته ، ولا لحقْ شأوه في نمطه ، ولم يُرْكاقتداره على ما يريده من المعاني التي تقع في طرزه ، مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها وانتظامها في سلك الملاحاة ، وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبةً بلغات المكدين وأهل الشطارة ، ولولا أن جدَّ الأدب وهزله جدُّ لصنَّتْ كتابي عن كثيرٍ من كلام من يمد يد المجون فيعركُ بها أذن الحزم ، ويفتح جراب السخف فيصفعُ به قفا العقل .

### وفي فصل ٣ :

القاضي ابن معروف : شجرة فضلٍ عودُها أدبٌ وأغصانها علمٌ وثمرتها عقلٌ وعروقها شرف ، تسقيها سماء الحرية ، وتغذيها أرضُ المروءة .

١ البيتة ٣ : ٣

٢ في الأصل : وصدور .

٣ البيتة ٣ : ٣٦ .

٤ البيتة ٣ : ١١٢

وفي فصل ١ :

أبو الفرج الاصبهاني الأصل ، البغدادي المنشأ : كان من أعيان أدبائها  
وأفراد مصنفها ، وله شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان الظرفاء الشعراء .

وفي فصل ٢ :

الشریف أبو الحسن الموسوي : [يتحلّى مع محتده الشريف] ومفخره المنيف  
بأدب ظاهر ، وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعر الطالبين مَنْ  
مضى منهم ومن غير ، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق ، وقد شهد بما  
أجريت من ذكره ، شاهد عدل من شعره العالي القُدْح ، الممتنع عن القُدْح ، يجمع  
إلى السلاسة متانة ، وإلى السهولة رصانة ، ويشتمل على معاني يُقربُ جناها ، ويبعد  
مداها .

وفي فصل ٣ :

الصاحب بن عباد : ليس تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في  
العلم والأدب ، وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفردّه بغايات المحاسن والشيم ،  
وجمعه أشنات المفاخر ، لأن قولي ينخفض عن أدنى فضائله ومعاليه ، وجهد وصفي  
يقصر عن أيسر فواضله ومسايعه ، ولكنني أقول : كانت همته في مجدي يشيده ،  
وإنعام يُجذّده ، وفاضل يصطنعه ، وكلام حسن يسمعه أو يصنعه ، ولما كان نادرة  
عطارده في البلاغة ، واسطة عقد الدهر في السباحة ، جُلب إليه من الآفاق وأقاصي  
البلاد كل خطاب جزل ، وقول فصل ، وصارت حضرته مشرعاً لروائع الكلام ،  
وبدائع الأفهام ، ومجلسه مجعاً لصوب العقول وذوب العلوم ونثار الخواطر ودرر  
القرائح ، فبلغ من البلاغة ما يُعدّ في السحر ويكاد يدخل في حد الإعجاز ، وسار

١ اليتيمة ٣ : ١١٤

٢ اليتيمة ٣ : ١٣٦

٣ اليتيمة ٣ : ١٩٢

٤ في الأصل : العقول .

كلامهُ مسيرَ الشمس ، [واحتفًا] به من نجوم الأرض وأفراد العصر وأبناء الفضل  
وفرسان الشعر ما يُربي عددهم على شعراء الرشيد ولا يقصرون عنهم في الأخذ  
برقاب المعاني وملك رقّ القوافي ، فانه لم يجتمع بباب أحدٍ من الخلفاء ما اجتمع  
بباب الرشيد من فحولة الشعراء .

وفي فصل<sup>١</sup> :

أبو دلف الخزرجي : شاعرٌ كثيرُ الملح والطُرف ، مشحوذُ المديّة في الكدية ،  
خَنَقَ التسعين في الاضطراب والاغتراب ، وركوبِ الأسفار الصعاب ، وضربِ صفحة  
المحارب<sup>٢</sup> بالجراب ، وخدمة العلوم والآداب .

وفي فصل<sup>٣</sup> :

القاضي الجرجاني : فرد الزمان ونادرة الفلك ، وإنسانٌ حَدَقَ العلم ، وقبةٌ  
تاج الأدب ، وفارسٌ عسكرِ الشعر ، يجمعُ خطأ ابنِ مقلّة إلى نشر الجاحظ ونظم  
البحثري ، وينظّم عقدَ الاتقان والاحسان في كلّ ما يتعاطاه .

وهذه أيضاً جملة من شعره

زاره الأمير أبو الفضل الميكالي فكتب إليه<sup>٥</sup> :

لا زال مجدُّكَ للسَّائِكِ رسيلاً      وعلوّ جدِّكَ بالخُلُودِ كفيلاً  
يا غرّةَ الزَّمنِ البهيمِ إذا غدا      هذا الوريُّ<sup>٤</sup> لزمانه تحجيلاً [١٦٧]  
يا زائراً مدّت سحائبُ طَوْلِهِ      ظلاً عليّ من الجمال ظليلاً  
وأنتِ بِصُوبِ جواهرٍ من لفظه      حتّى انتظمن لمفرقي إكليلاً

١ البيتية ٣ : ٣٥٦

٢ في الأصل : الحراب .

٣ البيتية ٤ : ٣

٤ البيتية : ودرة . ٥ زهر الآداب : ٣١٢

٦ زهر : أهل العلا .

بأبني وغير أبي هلال نورُهُ  
نقشتُ حوافِرَ طُرْفِهِ في عَرَضَتِي  
ولو استطعتُ فرشتُ مسقطَ خطوه  
ونثرتُ روعي بعدما ملكتُ يدي  
يستعملُ التسييحَ والتهلِيلَا  
نقشاً محوتُ رسومَهُ تقبيلَا  
بجفون عينٍ لا ترى التكهيلَا  
وخررتُ بين يدي هَوَاهُ قتيلَا  
وقال فيه ٢ :

لكَ في المفاخرِ معجزاتُ جَمَّةُ  
بحران : بحرٌ في البلاغةِ شَابُهُ  
كالنورِ أو كالسحرِ أو كالبدرِ أو  
شكراً فكم من فقرَةٍ لك كالغني  
وإذا تفتّقَ نَوْرُ شعركِ ناضراً  
أرجلتَ فرسانَ الكلامِ ورضتِ أفـراسَ البديعِ وأنتِ أجمدُ مبدعِ  
ونقشتِ في فصِّ الزمانِ بدائعاً  
أبدأُ لغيركِ في الوري لم تُجْمَعِ  
شعرُ الوليدِ وحسنُ لفظِ الأصمعي  
كالوشي في بُرْدٍ عليه موشعِ  
وإني الكريمُ بُعَيْدُ فقرٍ مدقعِ  
فالحسنُ بين مرصّعٍ ومصرّعِ  
تُزري بآثارِ الربيعِ المريعِ  
وله إليه جواباً عن كتاب ورد عليه ٣ :

أنسيمُ الرياضِ حولَ الغديرِ مازجتهُ رِيَا الحبيبِ الأثيرِ  
أم وروذُ البشيرِ بالنجحِ من فـكِّ أسيرٍ أم يُسرٍ أميرٍ عسيرِ  
في ملاء من الشبابِ جديدي تحتَ أيكٍ من التصابي نضيرِ  
أم كتابُ الأميرِ سيّدنا الفر دِ فيا حبّذا كتابُ الأميرِ  
وثأرُ السرورِ ما أجتنيه في سطورِ فيها شفاءُ الصدورِ  
ثمقتها أناملُ تفتّقُ الأنـسوارَ والزهرَ في رياضِ السطورِ

١ زهر : يعيون عين .

٢ زهر الآداب : ١٣٧ واليتيمة ٤ : ٣٥٥

٣ زهر الآداب : ١٣٨ .

كالنسي قد جُمِعْنَ في التعم الغمر مع الأمن من صروف الدهور  
يا أبا الفضل يا ابنه يا أخاهُ جلَّ باريك من لطيف خير  
شيم يرتضعن دَرَّ المعالي ويعبَّرنَ عن نعيم العبير  
وسجايا كأنهنَّ لدى البشر رضابُ الحيا بأُزي مشور  
ومحيّا لدى الملوك محيّا صادق البشر مخجل للبدور

فأجابه الأمير أبو الفضل بأبيات منها :

وهدي زُفْتُ إلى السمع بكر  
عجب الناس إذ بدت من سواد  
نُظمت من بلاغة ومعانٍ  
كم تذكرتُ عهدهما من عهد  
فدملتُ الزمان إذ ضنَّ عنا  
ولئن راعنا الزمان أبين  
فعسى الله أن يعيدَ اجتماعاً  
إنه قادرٌ على ردِّ ما فا  
تتهادى في حلية وشذور  
في بياض كالسك في الكافور  
مثل نظم العقود فوق النحور  
للتلاقي في ظلِّ عيش نضير  
باجتماع يضم شمل السرور  
ألس [الأس] ذلة المهجور  
في أمان من حادثات الدهور  
ت وتيسير كل أمر عسير

## فصل في ذكر الشيخ أبي اسحاق ابراهيم بن علي بن تميم المعروف بالحصري<sup>١</sup> واجتلاب جملة من كلامه

كان أبو اسحاق هذا صدرَ النديّ ، ونكتةَ الخبرِ الجليّ ، وديوانَ اللسان العربي ، راضَ صعا بهُ ، وسلكَ أوديتهُ وشعابهُ ، وجمعَ أشناته ، وأحيا مواته ، حتى صار لأهله إماما ، وعلى جدّه وهزله زماما ، وطنتُ به الأقطار ، وشُدَّتْ إليه الأقتابُ والأكوار ، وأنفقتُ فيما لديه الأموالُ والأعمار ، وهو يقذفُ البلادَ بدررِ صدفها الأفكار ، وسلوكِ ناظمها الليلُ والنهار ، عارضَ أبا بحرٍ الجاحظ بكتابه الذي وسمه بـ « زهر الآداب ، وثمر الألباب » ، فلعمري ما قصّر مداه ، ولا قصّرت خطاه ، ولولا أنه شغلَ أكثرَ أجزائه وأنحائه ، ومرج يحبو حمى أرضه وسمائه ، بكلام أهلِ العصرِ دونَ كلامِ العرب ، لكان كتابُ الأدب ، لا ينازعه ذلك إلا من ضاق عنه الأمد ، وأعمى بصيرته الحسد . ثم أخذ<sup>٢</sup> بعد ذلك في إنشاء التواليف الرائقة ، والتصانيف الفائقة ككتاب « النور والنور »<sup>٣</sup> وكتاب « المصون من الدواوين »<sup>٤</sup> ، الى عدّة رسائل وأشعار ، أندى من نسيم الاسحار ، وأذكى من

١ ترجمة الحصري أبي اسحاق في معجم الادباء ٢ : ٩٤ - ٩٧ وابن خلكان ١ : ٥٤ والوافي للصفدي ٦ : ٦١ ومسالك الأبصار ١١ : ٣٠٩ وعنوان الأريب ١ : ٤٣ ؛ وقد اختلف في وفاته فقال ابن رشيقي كما نقل عنه ياقوت توفي سنة ٤١٣ وقال ابن بسام سنة ٤٥٣ ورجح ابن خلكان القول الأول دون ان يذكر سببا لذلك ، ولعله اعتمد على ان ابن رشيقي أدرى بذلك من غيره ؛ ونقل الصفدي عن كتاب الجنان لابن الزبير أن الحصري ألف زهر الآداب سنة ٤٥٠ .

٢ في المسالك : ثم غير : ص : ثم أجد .

٣ يسميه الصفدي : نور الظرف ونور الطرف ، ويقول إنه اختصر فيه كتابه زهر الآداب ، وينقل التجاني في تحفة العروس : ١١٥ عما يسميه كتاب النورين للحصري وكذلك يسميه ياقوت ، ومرة أخرى ينقل التجاني عن نور الظرف : ١٣٨ ؛ وانظر عيون التواريخ ( الفاتح رقم : ٤٤٤١ ) ٧ : ٥٧ .

٤ يسميه الصفدي : المصون في سرّ الهوى المكتون ، وعند ياقوت ، المصون والدّر المكتون ؛ ومن هذا الكتاب نسخة بخزانة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة ، ذكرها الدكتور محمد بن سعد الرويشد في مقارنة أجراها بين طوق الحماية والمصون ( مجلة الفيصل ، السنة الأولى ، عدد ١٠ ص ١٦ - ٢١ ) وانظر بروكلمان ١ : ٢٦٧ .

شميم الأزهار؛ وقد أخرجت من كلامه ما لا ينكر فضله ، ولا يُنشي مثله إلا مثله ، وكانت وفاته - فيما بلغني - سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة .

فصول من كلامه اندرجت في تواليفه ، من نشره ونظامه

#### فصل ١ :

ولبني عليّ أهل البيتِ كلامٌ يعرضُ في حلى البيان ، وَيُنْقَشُ في فصّ الزمان ، وَيُحْفَظُ على وجه الدهر ، ويفضّحُ عقائلَ الدرّ ، ويكتحلُّ بنور الشمس . ولم لا يطوّون ذبُولَ البلاغة ، ويمجّرون فضولَ البراعة ، وأبوهم الرسول ، وأمُّهم البتول ، وكلهم/ [١٦٨] قد غُذِيَ بِدَرِّ الحلم ، وربّي في حِجْرِ العلم .

ما منهمُ إلا مُرَدِّي بالحجى أو مُبَشِّرٌ بالأحوديّة مؤدّم

#### وفي فصل ٢ :

البديع : اسمٌ وافقَ مسّاه ، ولفظٌ طابقَ معناه ، وكلامُهُ غَضُّ المكاسر ، أنيقُ الجواهر ، يكادُ الهوَاءُ يسرقُهُ لطفاً ، والهوى يعشقه ظرفاً . ولما رأى ابن دريد قد أغربَ بأربعين حديثاً وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار والبصائر ، وأهداها للأفكار والضمائر ، في معارضَ حوشيّة ، وألفاظَ عنجهية ، فجاء أكثر ما أظهرَ تنبؤ عن قبوله الطباع ، ولا ترتفع له حجبُ الأسماع ، وتوسّع فيها ، إذ صرّف ألفاظها ومعانيها ، في وجوهٍ مختلفة ، وضروبٍ متصرّفة ، عارضه بأربعمائة مقامةٍ في الكدية تذوّبُ ظرفاً ونقطة حسناً ، لا مناسبة بين واحدةٍ منها لفظاً ولا معنى ، عطف مساجلتها ، ووصف مناقلتها ، بين رجلين يسمّى أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبو الفتح الاسكندري ، وجعلها يتهاديان الدرّ .

١ زهر الآداب : ٥٦ والمسالك : ١٣٠

٢ زهر الآداب : ٢٦١ .



ويتنافانِ السحر ، في معانٍ تُضجِكُ الحزين ، وتحركُ الرصين يطالعُ منها كل طريفة ،  
ويوقفُ منها على كل لطيفة ، وربما أفرد أحدهما بالحكاية ، وخصَّ بعضها بالرواية .  
وفي فصل ١ :

هذا كتابُ اخترتُ [فيه] قطعةً كافيةً من البلاغة في الشعر والخبر، والفصول  
[والفقرا]، مما حسن لفظه ومعناه ، واستُدِلَّ بفحواه على مغزاه ، ولم يكن شارداً  
حوشياً ، ولا ساقطاً سوقياً ، بل كان جميعُ ما فيه من ألفاظه ومعانيه :

في نظامٍ من البلاغة ما شـكَّ امرؤ أنه نظامُ فريدٍ  
حُزنٌ مستعملُ الكلام اختياراً وتجنبين ظلمة التعقيد  
وركنُ اللفظ القريب فأدركـن به غاية المراد البعيد

كتابٌ يتصرَّفُ فيه الناظرُ من نشره الى شعره ، ومطبوعه إلى مصنوعه ، ومحاورته  
الى مفاخرته ، ومناقشته الى مساجلته ، وخطابه المبهت ، الى جوابه المسكت ،  
وتشبيهاته المصيبة ، الى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة ، الى أمثاله السائرة ،  
وجذِّه المعجب ، الى هزله المطرب ، وجزله الرائع ، إلى رقيقه البارع . وقد نزعَتْ فيما  
جمعتُ عن ترتيب التبويب ، وعن إبعاد الشكل عن شكله ، وإفراد الشيء من  
مثله ، فجعلتُ بعضه مسلسلاً ، وتركتُ بعضه مرسلاً ، ليحصلَ محرَّرُ النقد ، مقدَّرُ  
السرد ، قد أخذ بطرفي التأليف ، واشتمل على حاشيتي التصنيف . [وقد يعرُّ]  
المعنى فألحقَ الشكلَ بناظره ، وأُغلقُ الأولَ بآخره ، وتبقى منه بقيةٌ أفرقها في  
سائره ، ليسلمَ من التطويل المملِّ ، والتقصير المخلِّ ، وتظهرَ في الجميع فائدةُ  
الاجتماع ، وفي التفريق لذادةُ الإمتاع ، فيكملُ منه ما يونقُ القلوبَ والأسماع ، إذ

١ زهر الآداب : ١

٢ الابيات للبحترى في ديوانه : ٦٣٦ - ٦٣٧

كان الخروج من جدٍّ إلى هزل ، ومن حَزْنٍ إلى سَهْلٍ ، أنْفَى للكلل ، وأبعدُ من الملل ؛ وقد قال أبو العتاهية<sup>١</sup> :

لا يضلحُ النفسَ إذ كانت مصرَّفةً إلا التقلُّ من حالٍ إلى حالٍ  
وفي فصل<sup>٢</sup> :

ومعلومٌ أنه ما انجذبت نفسٌ ، ولا اجتمع حسٌّ ، ولا مال سرٌّ ، ولا جال فكر ، في أفضل من معنى لطيف ، ظهر في لفظٍ شريف ، فكسأه من حُسْنِ الموقع قبولاً لا يُدْفَع ، وأبرزه يَحْتَالُ من صفاء السبكِ ونقاء السلكِ وصحة الديباجة وكثرة المائنة في أجمل حُلَّة ، وأجل حلية .

والمعنى إذا استدعى القلوبَ إلى حفظه ، بما ظهر في مستحسن لفظه ، من بارع عبارة ، وناصع استعارة ، وعذوبة مَوْرِد ، وسهولة مَقْصِد ، وحسن تفصيل ، وإصابة تمثيل ، وتطابقٍ أنحاء وتجانسٍ أجزاء ، وتمكَّن ترتيب ، ولطافة تهذيب ، مع صحة طبع وجودة إيضاح ، يشقُّفه تثقيف القُداح ، ويصوِّره أفضل تصوير ، ويقدِّره أكمل تقدير ، [فهو مشرق في جوانب السمع] .

وان كنت<sup>٣</sup> قد استدركتُ على كثيرٍ من سبقني إلى مثلٍ ما أُجريتُ إليه ، واقتصرتُ في هذا الكتاب عليه ، لمح أوردتها كنوافثِ السحر ، وفقرَ نظمها كالغنى بعد الفقر ، من ألفاظِ أهلِ العصر ، في محلول النثر ، ومعقود الشعر ؛ ولهم من لطائف الابتداع ، وتوليداتِ الاختراع ، أبكارٌ لم تفتزعها الأسماع ، يصبو إليها القلبُ والطرف ، ويقطرُ منها ماء الملاحظة والظرف ، وتمتزج بأجزاء النفس ، وتسترجعُ نافرَ الأنس ، تخللت تضاعيفه ، ووشحت تأليف ، وطرَّرت ديباجه ، ورصعت تاجه ،

١ ديوان أبي العتاهية : ٣٢١

٢ زهر الآداب : ٣

٣ زهر الآداب : ٤

٤ في الأصل : ديباجاته .

ونظمت عقوده ، ورقمت بروده ، فنورها يرف ، ونورها يشيف ، في روض من الكلم  
موتق ، وروتنق من الحكم مشرق .  
وفي فصل<sup>١</sup> :

إلى هذا المكان أمسكتُ العنان . والإطنابُ في هذا الكتاب يعظم ويتسع ، بل  
يتصل ولا ينقطع ، إذ كان غرضي فيه ، أن أُلِمَّعَ من معانيه ، ثم أنجرُ معه حيث  
انجر ، وأمرُ فيه كيف/[١٦٩] مر ، وأخذ في معنى آخر غير موصول بشكله ، ولا  
مقرون بمثله ، وقد أحلُّ نظاماً وأفردُ تَوَافُماً ، نشرأ لبساط الانبساط ، ورغبة في  
استدعاء النشاط .

وهذا التصنيف لا تُدرِكُ غايته ، ولا تُبلِّغُ نهايته ، إذ المعاني غيرُ محصورة بعدد ،  
ولا مقصورة إلى أمد ، وقد أبرزتُ في الصدر ، صحيفة العذر ، يجولُ فرندها ، وينقبُ  
زَندُها ، ومن ركبَ مطية الاعتذار ، واجتنبَ خطية الإصرار ، فقد خرجَ من تبعة  
التقصير ، وبرز من عهدَةِ المعاذير ، وإن أحق ما احتُكِمَ إليه ، واقتصرَ عليه ،  
الاعترافُ بفضلِ الانصاف ، فليعلم من ينصفُ أن الاختبارَ ليس يُعلمُ ضرورةً ،  
ولا يوقَّفُ له على صورة ، فليكثرِ الإغماض ، وليقلَّ الاعتراض ، ولو وقع الإجماعُ  
على ما يرضي ويسخط ، ويثبتُ ويسقط ، لارتفع حجاجُ المختلفين في أمر الدنيا  
والدين .  
وفي فصل :

هو كليلُ الخاطر ، سقيمُ النفس ، صدىء القريحة ، عديمُ الحس ، ذو طبعٍ  
جاسٍ ، وفهم قاسٍ ، ولله درابن الرومي في قوله<sup>٢</sup> :

خفافيشُ أعشاهَا نهارٌ بضوئِهِ      ولأَمَّهَا قِطْعٌ من الليل غيبُ

١ زهر الآداب : ١٠٩١

٢ ديوان ابن الرومي : ١٥٧

بهائم لا تصغي إلى شديو معبدٍ فأما على جاني الحداء فتطرب  
 قد تعود ليّ الألسن بالسباب ، وَغَمَزَ الأعينِ على الأصحاب ، واستعمل  
 الملقِّ والكذاب ، فهو بين جاهلٍ متغافل ، قد حُتِّي قلبه رَيْنًا ، وملئَ لسانه مَيْنًا ،  
 وبين مَنْ سائمٌ غائمٍ تلذع ، وعقاربُ مكائدٍ تلسع ، وبين مُعْجَبٍ متصَلِّفٍ ، باردٍ  
 متكلِّفٍ ، لا يرى سيبويه كان على شيء ، كما لا يرى الكسائي قبله :

وإذا ما تذاكرَ الناسُ معنىً من شهير الأشعار والمجهول  
 قال هذا لنا ونحنُ كَشَفْنَا عَنْهُ للمستدلِّ والمسئول<sup>٢</sup>  
 فهو كما قال الخوارزمي : قد أسكرته خمرُ الكبر ، واستهوته غيرةُ التيه ،  
 فخيَّلَ إليه أن كسرى حاملُ غاشيته ، وقارونَ وكيلُ نفقته ، وبلقيسَ إحدى  
 دايَاتِهِ ، وأن الشمسَ تطلعُ من جبينه ، والغمامَ يندى من عينه ، فهو يرى ببصرِ  
 جهله لا ببصيرةِ عقله ، وأن امرأَ القيس ما بكى بالديار وعرصاتها ، ولا اغتدى  
 والطيرُ في وكناتها ، ولا أحسنَ تقصيدَ القصائد ، وتقييدَ الأوابد ، وأنَّ زياداً<sup>٣</sup> لم  
 تُوقَدَ باليفاع نارهُ ، ولا أعتبَ النعمانُ اعتذاره ، وأنَّ شعره لم يرقَّ حتى يقال : الماءُ  
 أو أسلسُ ، ويجزل حتى يقال : الصخرُ أو أملس ، وأنَّ زهيراً كان متعاطلَ الكلام ،  
 متداخلَ الأقسام ، غيرَ مطبَّقٍ للمفاصل ، ولا مُصِيبٍ للشواكل ، وأما طبقاتُ  
 المخضرمين من الاسلاميين فلا يضربون إليه بِقَدْحٍ ، ولا يفوزون عنده بِنُجْحٍ .

فلو أتيناهُ بمستطرفٍ من مُبدعاتِ الهزلِ والجدِ  
 أرقَّ من دمعٍ مهجورةٍ مرهأً قمرها يدُ البعدِ  
 لو قَرَعْتُ سَمْعَ يزيدٍ سلا بحسن ما يسمع عن هندی

١ ص : سير .

٢ ص : عيبه المسئول والمسئول .

٣ يعني النابغة الذبياني .

٤ ص : من ند .

أَعْرَضَ عَنْهَا ثَانِيًا عِطْفَهُ وَلَمْ يُعْرِهَا عِطْفَهُ الْوَدَّ  
هَذَا وَقَدْ لَاحَ بِوَجْهِ الْحَجَى مِنْهَا ضِيَاءُ الْقَمَرِ الْفَرْدِ  
وَأَقْبَلْتُ تَخْتَالُ فِي حَلَّةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا طُرُزُ الْحَمْدِ  
وَمَا يَضُرُّ الشَّمْسَ أَنْ أَصْبَحَتْ تُعْرِضُ عَنْهَا أَعْيُنُ الرَّمْدِ

\*\*\*

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مَرٍّ مَرِيضٍ يَجِدُ مَرًّا بِهِ الْمَاءُ الزَّلَالَا  
وَفِي فَصْلٍ :

قَدْ تَقَارَبَتِ الصِّفَاتُ ، وَتَوَازَنَتِ الذَّوَاتُ ، وَتَكَاشَفْنَا لَمَّا تَعَارَفْنَا ، وَرَفَعَتِ الْخُلُوعُ  
حِجَابَ الْإِحْتِجَابِ ، وَحَطَّتِ الْخُلُوعُ لَثَامَ الْإِكْتِمَامِ ، وَكُنَّا مَعَ طَوْلِ الْإِمْتِحَانِ  
وَالِاخْتِبَارِ ، وَمَدَّةِ الْإِلْتِبَاسِ وَالِإِحْتِيَارِ ، نَقْنَعُ مِنْ ارْتِفَاعِ الْقِنَاعِ بِلَمْحَةٍ ، وَمِنْ اتِّقَادِ  
الزَّيَادِ بِقَدْحَةٍ ، وَتُبْرِزُ الْعِبَارَاتِ ، مِنْ مَعَارِضِ الْإِشَارَاتِ ، وَغَوَامِضِ الْإِسْتِعَارَاتِ ،  
فِي طَرَاثُورِ الْأَرْمَازِ يَدِقُّ عَنْ مَسَرَى السَّحْرِ ، وَيَرِقُّ عَنْ مَجْرَى الْخَمْرِ :

فِي تَعَابِيرِنَا « اللَّطَافُ اللَّوَاتِي هِيَ أَخْفَى مِنْ مُسْتَسْرِّ الْهَبَاءِ »<sup>٢</sup>  
« بَلْ مِنَ السَّرِّ فِي ضَمِيرٍ مَحَبٍّ أَدَبَتْهُ عَقُوبَةُ الْإِفْشَاءِ »

وَنَخْتَلِسُ حَرَكَاتِ الْبَيَانِ ، فِي سَكَنَاتِ الزَّمَانِ ، كَمَا اخْتَلَسَ الْلفْظُ الْمَحَبُّ  
الْكُتُومَ . فَهَلُمَّ الْآنَ إِلَى التَّصْرِيحِ دُونَ التَّعْرِيزِ ، وَالتَّصْحِيحِ دُونَ التَّمْرِيزِ ،  
وَتَعَالَ تَتَلَاظِفُ وَتَتَكَاشَفُ ، إِذْ قَدْ لَبَسْنَا ثَوْبَ الْأَمَانِ مِنَ الزَّمَانِ .

وَفِي فَصْلٍ ٣ :

١ ص : الضياع .

٢ استعار البيتين من ابن الرومي ، ديوانه : ٦٧

٣ الابيات في الشريشي : ٥ : ٢٢٧

إذا بدا القَلَمُ الأعلى براحيتهِ مطرَزا لرداءِ الفخرِ بالظلمِ  
 رأيتُ ما اسودَّ في الأبصارِ أبيضَ في بصائرٍ لحظها للفهمِ غيرُ عم  
 كروضةٍ خطرتُ في وشي زهرتها وافترَّ نوارها عن ثغرٍ مبتسم  
 وتبرَّجتُ في حللها وحليها ، وابتهجت بوسميها/ [١٧٠] وليها ، وكاد الهواءُ  
 يسرقه لطفها ، والهوى يعتقه ظرفا ، فاجتنت ما اشتيت من خزامها وعراها ،  
 واجتليت ما رأيت من خيريتها وبهارها ، ولثمتُ خدودَ وردِها وسوسانها ، ورشفتُ  
 ثغورَ أقاحها وحوذانها ، والتقطتُ ما لا تُخلِقُ الأيامُ بهجتهُ ، ولا تغيّرُ الأعوامُ جدتهُ ،  
 من نورٍ يُقَطِّفُ بالأسماعِ والأبصارِ ، وزهرٍ يُتناوَلُ بالخواطرِ والأفكارِ ، وسرَّحتُ  
 الطرفَ في ما يفوتُ الوصفَ ، من غرائبِ إبداعِ ، وعجائبِ اختراعِ ، لم تفرعها  
 الأسماعُ .

#### وفي فصل ١ :

أسهمني من واضح الفجرِ غُرَّةَ الصباحِ ، وقسم لي من طائرِ الذكرِ قادمةَ  
 الجناحِ ، وألبسني من التنويه ، ما لا يُعزَى الى تمويه ، فأصبحتُ أُجِيلُ الجوزاءَ  
 على يدِ قُصُورِ ، والثناءِ على لسانِ قصيرِ ، ولئن كَبَّتْ جيادي ، عن مضار مُرادي ،  
 وعجزَ لساني ، عما حواه جناني ، فتمثلت بقول الزعفراني ٢ :  
 لي لسانٌ كَأَنَّهُ لي معادي ليس يُنبِي عن كُنْهِ ما في قُوادي  
 حكمُ الله لي عليه فلو أنْصَفَ قلبي عرفتُ قدرَ ودادي  
 وقد علمتُ أنَّ شمسَ الخواطرِ ، إذا جَرَّتْ في فلكِ الضائِرِ ، اتصل النورُ  
 المبين ، وانفصل الشكُّ من اليقين .

#### وفي فصل :

١ ورد بعضها في المسالك : ٣١٠

٢ هو أبو القاسم الزعفراني ، وبيتاه في زهر الآداب : ٣٢٤ والأول في المسالك : ٣١٠

فتقنا نوافج الآراب ، عن مسك الآداب ، ونشرنا طرائف المطارف ، عن  
لطائف الزخارف ، وتسالبنا من أبواب المذاكرة ، وتجادبنا أهداب المحاضرة ، من  
سانح فكر ، وغرائب فقر ، ألد من سمر بلا سهر ، إلى أن أفضينا إلى ذكر البيت  
المظلوم واجب حقوقه ، السلوك به غير طريقه ، على أنه ورد من صفاء السلك ،  
وصحة الديباجة وكثرة المائنة في أجمل حلة ، وأجل جلية ، فكان كما قلت :

ومذهب الوشي على وجهه ديباجة ليست على الشعر  
كزهرة الدنيا وقد أقبلت ترود في رونقها النضر  
أو كالنسيم الغض غب الحيا يختال في أودية الفجر  
هذا وهو بمحاورة الطبع للسمع ، ومباراة الخاطر للنظر ، من غير إعمال الفكر  
ولا تدقيق النظر ، لكن بديهتك إذا أهداها قلبك إلى قلمك ، وأداها لسائك عن  
فهمك ، وأبديت بادرة ما أهديت إلى من عهدك به وهو محرر للنقد ، مقدّر على  
السرد ، أعرض عنه صفحا ، وطوى دونه كشحا ، حتى طال بلا طائل لديه ، ولا  
طلاوق عليه :

فقلت والقلب موقوف على حرق  
أي القرائح بعفو لمع بارقها في عارض من ظلام الليل مرتكم  
بحيث لا نحن من إقبال ذي أدب نحظى بنجح ولا إفضال ذي كرم  
إذا كان من إليه تتحاكم الخصوم في كل العلوم ، فتقف منه الأبواب على  
فصل الخطاب ، وفص الصواب ، ووجه الجواب ، يلحظ ما يجري لأبناء عصره ،  
وأنشاء دهره ، من سر البديع ، الزاهي على زهر الربيع ، والزاري بالوشي الصنيع ،  
بطرف أسقم من أجفان الغضبان ، ويعيره وجهاً هو لفرط التقطيب ، كوامق فاجأه  
شخص الرقيب ، أو غزل طالعه وفد المشيب ، فأى لب يصفو مزاجه ، وأي قلب  
يضيء سراجُه !

## وهذه أيضاً جملة من شعره

حكى أبو علي بن رشيقي في كتابه المترجم بـ «الأنموذج» قال : كان أبو إسحاق الحصريّ قد نشأ على الوراقّة والنسخ لجودة خطّه ، وكان منزله لزيقَ جامع مدينة القيروان ، فكان الجامعُ بيتهُ وخزانتهُ ، وفيه اجتمعُ الناس إليه ومعه ؛ ونظر في النحو والعروض ، ولزمه شبّانُ القيروان ، وأخذ في تأليف الأخبار ، وصنعة الأشعار ، مما يقرّبُ في قلوبهم ، فرأسَ عندهم ، وشرفَ لديهم ، ووصلتْ تأليفاته صقليةً وغيرها ، واثالت الصلواتُ عليه ، وله شعر كثير . ومن شعره مما أنشده ابن رشيقي<sup>١</sup> :

إنني أحبك حبّاً ليس يبلغه فهمي ولا ينتهي وصفي الى صِفَتِهِ  
أقصى نهاية علمي فيه معرفتي بالعجزِ منّي عن إدراكِ معرفته

وأنشد له :

ولقد تنسمتُ الريحَ لعلني فائرنَ من حرِّ الصبابةِ كامناً  
أرتاحُ أن يبعثنَ منك نسيماً وأذعنَ من سرِّ الهوى مكتوماً  
وكذا الريحُ إذا مردنَ على لظى نارٍ خبتْ ضرْمُها تضريماً

وله<sup>٢</sup> :

عليّ طرفٍ سقيتُ خمراً من مقلتيه فمتُ سكرًا  
ترقرقتُ وجنتاهُ ماءً مازجَ فيه الحقيقُ درّا [١٧١]  
يحرّكُ الدلُّ منه غصناً ويطلعُ الحسنُ فيه بدرًا  
[قد خط مسك بعارضيه خلقتُ للعاشقين عذرا]

١ البيتان في ياقوت ٢ : ٩٦ وابن خلكان ١ : ٥٤ - ٥٥ والوفاي ٦ : ٦١

٢ البيت الأول في المسالك : ٣١١ وما بين معقنين زيادة عنه أيضاً ؛ والايات جميعاً في الشريشي ٥ : ٢٢٧



وقال ، مما لم ينشده ابن رشيق<sup>١</sup> :

تلاحظني صروفُ الدهرِ شزرا      وفي عيني دموعُ ليس ترقا  
أقلَّبُ في الدجى طرفاً قليلاً      ولو نُشِرَ الذي أطوى عليه  
أصمَّ مسمعَ الدنيا عويلاً      فيا مَنْ غاب عن عيني مَشُوقٍ  
قرأتُ كتابك الأعلى محلاً      فأحياني وقد غودرتُ ميتاً  
نقشتَ بحالكُ الأنفاسَ نوراً      فدبَّحَ من بسيطِ الفكرِ روضاً  
لو استسقى الغليلُ به لرؤى      هفا عطرُ الجنوبِ له نسيمٌ  
نثرتَ لنا على الكافور مسكاً      فيا مَنْ تمسكُ الأوصافُ عنه  
ومن يدعو القلوبَ إلى مناها      ومن يجري اللآلئَ في أقاحٍ  
ويغرسُ في رياضِ الدلِّ غصناً      كأنَّ بخده ذهباً صقيلاً  
أفرطَ فيك إن أفرطتُ وصفاً

كَأَنَّ عَلِيَّ<sup>٢</sup> لِلْأَيَّامِ وَتِرا  
وَفِي قَلْبِي صَدُوعٌ لَيْسَ تِبرا  
إِذَا جَبَّ الظَّلَامُ عَلَيَّ رُزًّا  
عَلَى مَنْ تَحْتَوِيهِ الْأَرْضُ طَرًّا  
وَهَزَّ جَوَانِحَ الْأَيَّامِ ذِعْرا  
يَرَى لِنَوَاهُ طَعْمَ الْعَشَقِ<sup>٣</sup> مَرًّا  
لَدِي وَمَوْعِئاً وَيَدًّا<sup>٤</sup> وَقَدْرًا  
وَأُثْرَنِي وَقَدْ ضُمْنْتُ قَبْرًا  
[جَلًّا] لَعِيونَنَا نُورًا وَزَهْرًا  
أَنِيقاً مَشْرِقَ الْجَنَبَاتِ نَضْرًا  
أَوْ اسْتَشْفَى الْعَلِيلُ بِهِ لِأَبْرًا  
أَقُولُ إِذَا أَنَاسُمُ مِنْهُ نَشْرًا  
وَلَمْ تَنْثُرْ عَلَى الْقِرطَاسِ حَبْرًا  
أَعْنَةً وَصُفِينَا نَظْمًا وَنَثْرًا  
بِعَيْنِيهِ فَلَا تَأْتِيهِ قَسْرًا  
يَمَازُجُ ظَلْمُهُ بَرْدًا وَخَمْرًا  
وَيُطْلَعُ فِي سَمَاءِ الْحَسَنِ بَدْرًا  
أَذَابَ عَلَيْهِ يَاقُوتًا وَدَرًّا  
وَأَعَجَزُ عَنْكَ إِنْ أَعَجَزَتْ شَعْرًا

١ منها أبيات في الشريشي ٥ : ٢٣٨

٢ كذا في ص ولعل الصواب « العيش » .

٣ الشريشي : شرفاً .

٤ ص : بنورك .

ولي قلبٌ عليك لما يلاقي  
ولولا ما يؤملُ من لقاءٍ<sup>١</sup>  
سأسحبُ فيك أذيالَ الأمانِي  
لعلَّ الدهرَ يُتبعُ منكَ طرفي  
وقال :

إفانِ ضمها الهوى في خَلْوَةٍ  
فاذا الرقيبُ مُطالعٌ عن غفلةٍ  
فتفرقنا عن ساكِبٍ متحذِرٍ  
وكأنما الوقتُ الذي سَعدا به  
ليتَ الذي خلقَ الرقيبَ أصابه  
قوله في ما تقدم : « وكذا الرياح إذا مررنَ على لظى » .. البيت ، كقول ابن  
الرومي :

لا تغرينَ جوىً بلسومٍ إنه  
كالريحِ تغري النارَ بالإحراقِ  
وقال يحيى بن هذيل القرطبي<sup>٢</sup> :

روّحني عاذلي فقلتُ له  
أما ترى النارَ وهي خامدةٌ  
عند هبوبِ الرياحِ تتقدُّ

وحكى أبو صفوان العتكي بصقيلية قال<sup>٣</sup> : كان أبو اسحاق المصري يختلف  
إلى بعض مشيخة القيروان ، وكان ذلك الشيخ كلفاً بالمعذرين [من] الغلمان ، وهو  
القائل فيهم :

١ ص : اليك ، ولعلها « البين »

٢ ص : بقاء .

٣ وردا في القسم الأول من الذخيرة : ٦٢١ منسوين لابن اللهاني .

٤ وردت الفصحة والأبيات في الشريشي ٣ : ١١٧ وابن خلكان ١ : ٣٩٤ ( نقلاً عن الذخيرة )

ومعذرينَ كأنَّ نبتَ خدودهم أقلامُ مسكٍ تستمدُّ خُلوقا  
قرئوا البنفسجَ بالشقيقِ ونظّموا تحتَ المزبرجدِ لؤلؤاً وعقيقا  
فهمُ الذينَ إذا الخليُّ رآهمُ وجدَ الهوى بهمُ إليه طريقا

وكان يختلفُ إليه غلامٌ من أعيانِ أشرافِ القيروانِ ، وكان به كلفاً ، فبينما هو يوماً والحصري قد أخذ في الحديث إذ أقبل الغلام :

في صورةٍ كملتُ فخلتُ بآتِها بدرُ السماءِ لستِ وثانِ  
يُعشي العيونَ ضياؤها فكأنها شمسُ الضحى تُعشى بها العينانِ

فقال له الشيخ : يا حصري ، ماذا تقول في من هام بهذا القدّ ، وصبا بهذا الخدّ ؟ قال له الحصري : الهَيَّانُ به والله غايةُ الظُّرفِ ، والصبوةُ إليه من تمام اللطف ، لاسيما إذا شاب كافورا خذه ذلك المسك الفتيت ، وهجم على صبحه ذلك الليلُ البهيم ، والله ما خلتُ سوادهُ في بياضه إلا بياضَ الإيمانِ في سوادِ الكفرِ وغيبَ الظلماءِ في منيرِ الفجر . فقال : صِفْهُ يا حصري ، قال : مَنْ مَلَكَ رِقِّ القولِ حتى أنقادت له صعاَبُهُ ، ودُلِّلَ له جموحه حتى سَطَعَ له شهابُهُ ، أقعدُ مني بذلك ، فقال : صفه ، فاني معملٌ فكري في ذلك ، فأطرقا ساعة فقال الحصري<sup>٤</sup> :

أورد قلبي الردى لأم عذارِ بدا  
أسودُ كالكفر في أبيض مثل الهدى

فقال له الشيخ : أتراك / [١٧٢] اطلعت على [ضميري أو خضت بين جوانحي

وزفيري ؟ قال : لا ؛ ولم ذاك ؟ [ قال : لأنني قلت :

١ الشريشي : شام كافوره . ص : شيب

٢ ص : الكفران .

٣ ص : فاني نعمل ؛ وهي بعامية الاندلس والمغرب .

٤ ابن خلكان ١ : ٣٩٤ ، ٥٥

حرّك قلبي فطاز صولجُ لام العذار  
أسود كالليل في أبيض مثل النهار

## فصل في ذكر الأديب الكامل أبي علي بن رشيّق المسيّلي<sup>١</sup>

وسياقة طرف من غرائب أشعاره ، وعجائب أخباره

بلغني أنه ولد بالمسيّلة وتادّب بها قليلاً ثم ارتحل الى القيروان سنة ست وأربعمائة. وكان أبو عليّ ربوة لا يبلغها الماء، وغاية لا يناها الشدّ والارخاء<sup>٢</sup>، محله من الدسم ، محلّ الصواب من الحكم ، واقتداره على النثر والنظم ، اقتدار الوتر على السهم ، إن نظم طاف الأدب واستلم ، أو نثر هلّل العلم وكبر ، أو نقد سعى الطبع الصقيل وحفّد، أو كتب سجد القلم الضئيل واقترب . ولم يكن لأهل إفريقية قديماً في الأدب نبغ ولا عَرَب ، ولا من لسان العرب ورّد ولا قَرَب ، يدلّ على ذلك ما وصف به أبو عليّ البغداديّ أهل القيروان ، وقد أثبتّه في موضعه من صدر هذا الديوان<sup>٣</sup> . ورأيت ديواناً مجموعاً في أشعار قدماء أهل إفريقية هو بالبهكم أشبه ، وفي لسان العجم أنوّه وأثبّه ، هذا وأجنادها على قِدَم الدهر العربُ العاربة ، وقوادها الأغالبةُ والمهالبة ، فلما زال ملكها عن أيدي العرب ، تدفّقت بها بحورُ الأدب ، وطلعت منها نجومُ الكتب ، ورمت أقاليم البلاد ، بمثل ذُرَى الأطواد ، وسمعنا بزهر الآداب ، وأنموذج الشعر اللباب ، وبفلان وفلان ، من كلّ فارس ميدان ، وبحر

١ ترجمة ابن رشيّق في الخريدة ٢ : ٢٣٠ وانباه الرواة ١ : ٢٩٨ ومعجم الأدباء ٨ : ١١٠ وابن خلكان ٢ : ٨٥ ( وفيه نقل عن الذخيرة ) ومسالك الأبصار ١١ : ٢٢٧ وشذرات الذهب ٣ : ٢٩٧ وبغية الوعاة : ٢٢٠ وعنوان الأريب ١ : ٥٢ وللاستاذ حسن حسني عبد الوهاب كتاب بساط العقيق في تاريخ القيروان وشاعرها ابن رشيّق ، وللدكتور عبد الرحمن ياغي كتاب عنه : وقد جمع شعره الميمني في التنف ثم ياغي ، ولا يزال كثير من شعره غير مضمّن في هذين المجموعين وخاصة جانب غير قليل مما أورده ابن بسام .

٢ المسالك : وغاية لا تنالها الوجناء .

٣ راجع القسم الأول : ١٤ - ١٥ .

بلاغه وبيان ، وقال أبو علي بن رشيقي ، وما أبو علي ؟ شعاعُ القمر ، وحديثُ  
السمر ، ومعجزةُ الخبر والخبر ، فات الأواخر والأوائل ، وأسكت المناظر والمائل .

ولما طلع نجم<sup>١</sup> النحوس ، بملك<sup>٢</sup> المعز بن باديس ، وخرج الى المهديّة بساء<sup>٣</sup>  
كاسفة الأقمار ، وذمائم أقصر من ظمء الحمار ، كان أبو علي ممن انحسر في زمرته  
المحروبة ، وتحيز إلى فتنه المفلولة المنكوبة ، فأقام معه بها أنفة من الجلاء ، وإشفاقاً  
من فرقة الأحبة والخلصاء ، وغشي المهديّة أسطول الروم فأصبح البحر ثنايا ، تُطلِعُ  
النايا ، وآكاماً تحمل موتاً زواماً ، فدخل يومئذ على تميم<sup>٤</sup> حين وضع الفجر ، وقد تمّ  
الذعر ، وضاق ذات الصدر ، فوجده في مصلاه والرقاع عليه تردُّ ، والشمع بين يديه  
يتقد ، فقام على رأسه يُنشد قصيدته التي أولها :

تثبت لا يخامرُك اضطرابُ فقد خضعت لعزتك الرقابُ  
فقال له : مه ، أحال عهدك أم تغير ، أم قد أدبر بك الزمان في ما أدبر ؟  
ويلك متى عهدتني لا أثبت ؟ إذا لم تجننا إلا بمثل هذا فمالك لا تسكت عنا ؟  
وأمر بالرقعة التي كانت فيها القصيدة فمزقت ، ولم يقنعه ذلك حتى أدتوها إلى  
السراج فأحرقت ، فخرج ابن رشيقي يومئذ من عنده على غير طريق ، لا يعقل ما  
يطأ ، ولا يدري إلى أين ينكفي ، وكان وجهه إلى صقيلية ، وكان ابنُ شرف قد  
سبقه إليها ، ووفد قبله عليها ، وكان وقع بينهما بالقيروان ، [ما وقع] بين الخوارزمي  
وبديع الزمان ، من مناقضات ومعارضات ، شحذت الطباع ، وملأت العيون  
والأسماع ، وتجاوزت الإحسان والإبداع ، فلما اجتمعا يومئذ بصقيلية تنمر بعضهما  
لبعض ، وتشوّف أعلامُ البلد لما كان بينهما من إبرام ونقض ، وقصد ابن رشيقي

١ المسالك : نجوم .

٢ المسالك : بساء .

٣ المسالك : المعز ؛ وهو أصوب

٤ المسالك : الشمع

بعضُ إخوانه وقال له : أنتمَا علما الإحسان ، وشيخا أهل القيروان ، وقد أصبحتما بحالِ جلاء ، وبين أعداء<sup>١</sup> ، والأشبهُ بكما ألا تَفْرِيَا أدبيكما ، ولا تُطْعِمَا الأعداءَ لحومكما ، فقد كان يحميكما السلطانُ ، ويمحو كثيراً من مساويكما الإخوان ، فقال له : إيتِ ابنَ شرف فخذْ عهدَهُ بذلك ، فلستُ أنا أراجِعُكَ فيما هنالك ، فاتاه وكان أمراً صديقٍ ، فوجده أجَنَحَ للسَّلم ، وأدنى إلى الحلم ، برىء إليه من صَبِيهِ وصَعْدِهِ ، وأعطاه على الوفاء بذلك صفقتي لسانيه ويده ، فكان ابنُ رشيق بعد ذلك ربما أعرَضَ وعَرَّضَ<sup>٢</sup> ، وتحلَّبَ الى شيء من تلك الهنات أو تلمظ ، وأما ابن شرف فلم يحلَّ ما عقد ، ولا حالَ عما عهد .

ولابن رشيق عدة تواليف في النظم والنثر ، نثت بها في عُقدِ السحر ، ككتابه المترجم بـ « العمدة » و « كتاب الأَمْوُذَج »<sup>٣</sup> ، إلى عدَّة رسائلَ رائقة<sup>٤</sup> ، وبدائع فائقة . وأما الشعرُ فانه أنسى / [١٧٣] أهله وملك منه شَحْنَةً وَجَزَلَهُ ، وقد أثبتُ من خبره ، وحميد أثره ، ما يملأ الأذان بياناً ، ويبهرُ العقولَ [حسناً] وإحساناً .

### جملة من أخباره مع ما يتخلَّلها من أشعاره

حدَّثَ أبو عبد الله بن الصفَّار الصَّقْلِيّ قال : كنتُ ساكناً بصقيلية وأشعار ابنِ رشيقٍ تردُّ عليّ ، فكنتُ أتمنى لقاءه ، حتى استغلبت الرومُ علينا ، فخرجتُ فارّاً بمهجتي ، تاركاً لكلِّ ما ملكت ، وقلتُ : أجمعُ مع أبي عليّ ، فرقةً شمائله وطيبُ مشاهدته سيذهبُ عني بعضَ ما أجِدُّ من الحزنِ على مفارقة الأهلِ والوطنِ ، فجنَّتُ القيروانَ ولم أقدمُ شيئاً على الوصولِ إلى منزله ، فاستأذنتُ ودخلتُ ، فقام

١ المسالك : الأعداء .

٢ المسالك : اعترض وتعرض .

٣ نشر العمدة عدة مرات دون تحقيق ، أما الأَمْوُذَج فمنه قطعة صالحة في مسالك الأبصار ، ونقول كثيرة في الوافي والوفوات وبعض نقول في معجم البلدان ومعجم الأدباء .

٤ من رسائله : قراضة الذهب ، وقد نشرت بتحقيق جيد قام به الأستاذ الشاذلي بويحيى ( تونس ١٩٧٢ )

إليّ وهو ثاني اثنين ، فأخذ بيدي ، وجعل يسألني ، فأخبرته عن أمري [....] بعد أن تمكن أنسي بمجالسته قال لي يوماً : يا أبا عبد الله ، إنّ ها هنا بالقيروان غلاماً قد برّح بي حبّه ، واستولى عليّ كَرْبُهُ ، منذ عشرة أعوام ، وأنا إذ عضّ هواه على كبدي ، وسطا شوقُهُ على جلدي ، ناهضُ إليه ، وحَسْبُكَ أنني ما اضطربتُ عنكَ منذ حين ، إلا أني أحدثُ نفسي بحديثه العذبِ المواردِ والمصادر ، وأعلّلها بأخباره المحمودَةِ الأوائلِ والأواخر ، فان أنت ساعدتني على الشخوصِ إليه قَدِمْتَ عندي يداً لا يعلّلهما إلا رضا ، فقلت : سمعاً وطاعة ؛ وصرتُ معه حتى جئنا صناعةَ الجوهريين ، فاذا بغلامٍ كأنه بدرٌ تمامٍ صافي الأديم ، عطرِ النسيم ، كأنما يضحكُ عن درٍ ، ويسفّرُ عن بدر ، قد ركبَ كافورَ عارضيه غبارُ عنبر ، فحكى كتابةً مِسْكِ على بياض ، يجرّحه الوهمُ بخاطره ، ويدميه الطرفُ بناظره ؛ فلما رآنا الغلامَ علّته خجلةً سلبتُ وجهَ أبي عليّ ماءه ، فأنشدته قول الصنوبري :

آيةٌ من علامةِ العشاقِ اصفرارُ الوجوه عند التلاقي  
وانقطاع يكون من غير عيٍّ ولوعٍ بالصمتِ والاطراقِ

فقال لي : يا أبا عبد الله ، والله ما واجهته قطّ بوجهي إلا وعُشِّي عليّ ولكّني تثبّتُ بك ، وأنسيتُ إلى عذوبة لفظك ، مع أني لم أزودَ من وجهه القمر ، إلا متعةً بقده المثمر ، لتنكيسه رأسه عند طلوعي عليه ، فقلتُ : ولم ينكس رأسه ؟ والله ما رأيتُ أشبهَ بالبدر منه خدّاً ، ولا بالغصن قدّاً ، ولا بالدّرّ ثغراً ، ولا بالمسك من رياه نَشْراً ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، ما أبصركَ بمحاسن الغلمان ، لا سيما من فضضتُ كفّ الجمالِ صفحته ، وذهبتُ وجنته ، وخافت على تفاح خده العيون ، فوكّلت بها الفتون ، يا أبا عبد الله : ينكسُ رأسه لأنني علّفته وخده هلاكي ، وفرعه ظلامي ،

ولحظهُ بابلِيّ ، وقده قضيبِيّ ، ورِدْفُهُ كثيبِيّ ، وخصرُهُ سابريّ ، وصدْرُهُ عاجبي .  
فكان فمي يشربُ كافوره بالشفق ، فيخرج ذلك صَدْرُ الغسق ، فوَكَلَ من بهيمه ،  
رقبياً على فِصِّي أديمه ، فتوهَّم ذلك الطاهرُ الأخلاق ، والطيبُ الاعتناق ، أن ذلك مما  
يُضْعِفُ أسباب محبته ، وَيُخْلِقُ رسومَ مودّته . فقلتُ له : بحَقِّي عليك يا أبا عليٍّ إلّا ما  
قلتَ في هذا المعنى شيئاً ، فأطرق قليلاً ثم قال<sup>١</sup> :

وأسمِرُ اللونَ عسجديّ يكادُ يستمطرُ الجهما  
ضاقَ بحملِ العذارِ ذرعاً كالمهرِ لا يعرفُ اللجما  
ونكسَ الرأسَ إذ رآني كآبةً واكتسى احتشاما  
وظنَّ أن العذارَ ممّا يزيحُ عن قلبي الغراما  
وما درى أنّه نباتٌ أنبتَ في جسمي<sup>٢</sup> السقاما  
وهل ترى عارضيه إلّا حمائلاً قلّدتُ حُساما<sup>٣</sup>

ومعنى هذا البيت الأخير كقول الآخر :

ومستحسنٌ وصلي جعلتُ وصالته شعاري فما أنفكُ دأباً أوأصيلة  
كأنَّ بعينه إذا ما أدارها حساماً صقيلاً والعذارُ حمائله  
قال أبو عبد الله الصقلي : فلم أزلُ أتكرّرُ على أبي عليٍّ وألاطفه حتى  
أطلعني على سرائره مع ذلك الغلام ، فوالله ما أطلعتُ له معه على ما يحاسبُ به من  
قبيح فعلٍ ولا مذمومٍ . وكنتُ في خلال ذلك أختلفُ إلى ذلك الغلام الجوهريّ ،  
فجلستُ يوماً إليه فجعلتُ أذكرُ له بعضَ ما ذكر لي أبو عليٍّ ، فرأيتُهُ قد تغيرَ لونه ،  
وأطرقَ ساعةً ، ثم أخذَ سحاةً فكتبَ فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، كتّانُ السرِّ  
حلية القلب ، فان أزاله بقي عاطلاً » ثم طواها ودفعها إليّ وقال : قد أودعتُ

١ ديوان ابن رشيّق : ١٦٨ والشريشي ٢ : ٣٣٥ ٢ الشريشي : قلبي .

٣ مرّهذا البيت من قبل ٣ : ٨٢٢ وروايته « وهل على عارضيه ... حمائل » .



السحاءَ لفظاً موجزاً/ [١٧٤] ومعنى مُحَرَّزاً ، فاذا وردت على أبي عليٍّ فأَعْلِمُهُ أَنَّ  
 المحبَّ إذا كتم رُجِمَ ، واذا نشر [فُضِيحَ] فلا يَعُدُّ بعد هذا إلى إفشاء سرِّي ، فان نَمَّ  
 بحبي انتهيتُ عن زيارته والإِلَمام به ، وَعَوَّضْتُهُ من لذّته بفيض الدموع ، وطولِ  
 الخضوع ، حتى لا يجرع كأساً إلا مشوباً ، ولا يزرّ ثوباً إلا خضلاً بعبرة مقلته ،  
 وأنا أقسمُ بحاجته إليّ ، وإدمانه بالبوح عليّ ، ألا أُخْلِي صدره من زفرة ، ولا ضلوعه  
 من حمرة ، ولا جفونه من عبّرة . فجئتُ أبا عليٍّ ، فدفعْتُ إليه السحاءَ وقرأها ،  
 وأخبرتهُ كلامه ، فشهِق شهقةً توهمتُ أن ضلوعه تقضقضت ، وقال لي : أهبذا القسم  
 أقسم ؟ قلتُ : نعم ، قال لي : أتريدُ أن أنظّم لك منشوراً جئتني به حتى تتوهم أنه  
 كلامه ؟ قلتُ : بحياتك إلا ما فعلت ، فقال ٢ :

لَمْ بِاحَ بِاسْمِي بَعْدَ مَا كَتَمَ الْهُوَى      زَمِناً وَكَانَ صَيَانَتِي أَوَّلَى بِهِ  
 فَلَا [مَنْعَن] جَفَوْنَهُ طَيْبَ الْكَرَى      وَلَا مَزَجَنَ دُمُوعَهُ بِشَرَابِهِ  
 وَحَيَاةَ حَاجَتِهِ إِلَيَّ وَفَقْرَهُ      لِأَوْاصِلَنَ عَذَابَهُ بِعَذَابِهِ  
 قال أبو عبد الله : ثم استنشدته من شعره فيه فأنشدني عدة مقطوعات ،  
 منها قوله ٣ :

وفاَتِرَ الْأَلْحَاطِ فِي وَجَنَةٍ      كَأَنَّهُا فِي الْحُسْنِ وَرْدُ الرِّيَاضِ  
 قَلْتُ لَهُ يَا ظَبِي خُذْ مَهْجَتِي      دَاوِ بِهَا تِلْكَ الْجَفُونَ الْمَرِاضِ  
 فَجَاوَبْتُ مِنْ خَدِّهِ خَجَلَةً      كَيْفَ تَرَى الْحَمْرَةَ فَوْقَ الْبَيَاضِ

وقوله ٤ :

إِنْ كُنْتَ تَنْكُرُ مَا مِنْكَ ابْتَلَيْتُ بِهِ      وَأَنْ بَرَّ سَقَامِي عَزَّ مَطْلَبُهُ

١ ص : يوز ،

٢ الديوان : ٤٠

٣ الديوان : ٩٦ والشرطي ٥ : ٢٣٠ .

٤ الديوان : ٣٣ والشرطي ٥ : ٦٧

أَشْرُ بَعُودٍ مِنَ الْكِبَرِيَّةِ نَحْوِ فَمِي

وقوله :

تَمَنَيْتُ تَقِيلاً عَلَيْهِ فَجَادَ لِي  
فَقُلْتُ لَهُ جُدْ لِي بِشُغْرِكَ إِنِّي

ومن جيد قوله<sup>١</sup> :

سَقَى اللَّهُ أَرْضَ الْقَيْرَوَانِ وَصَبْرَهُ  
تَرَى أَنَّنِي فِي الْقَرَبِ مِمَّنْ أَحَبَّهُ  
وَإِنْ كَانَ إدْرَاكَ الْمَحْبِينَ بَغِيَةً

وقال فيه :

مُذَمَّجُ الْخَصْرِ وَالْحَشَا  
هُوَ بِدَرٍّ بِوَجْهِهِ  
مَا عَلَيْهِ إِذَا الضَّنَا  
جَارَ قَاضِي صِبَاتِي

وقال فيه<sup>٢</sup> :

وَمَهْفَهْفٍ يَحْمِيهِ عَنِ نَظَرِ الْوَرَى  
أَوْمَى إِلَيَّ أَنْ ائْتَنِي فَأَتَيْتَهُ  
فَلْتَمْتُ خِذَاً مِنْهُ ضَرَمَ لَوْعَتِي  
وَضَمَمْتُهُ لِلصَّدْرِ حَتَّى اسْتَوْهَبْتُ  
فَكَأَنَّ<sup>٣</sup> قَلْبِي مِنْ وَرَاءِ ضُلُوعِهِ

وَانْظُرْ إِلَى زَفَرَاتِي كَيْفَ تُلْهَبُهُ

فَقَبِّلْتُهُ ثَنَتَيْنِ فِي الْخَدِّ وَالْخَدِّ  
[أَقُولُ] بِتَفْضِيلِ الْأَقَاحِ عَلَى الْوَرْدِ

فَفِيهَا ثَوَى شَخْصٍ عَلِيٍّ عَزِيزٍ  
عَلَى بُعْدِ مَا بَيْنَ الدِّيَارِ أَفْوَزٍ  
عَلَى مَذْهَبِ الْأَيَّامِ لَيْسَ تَجُوزُ

يَتَشَّى إِذَا مَشَى  
وَبِأَجْفَانِهِ رَشَا  
شَاعَ فِي الصَّبِّ أَوْ فُشَا  
وَهُوَ لَا يَقْبَلُ الرِّشَا

غَيْرَانُ سَكُنَى الْمَلِكِ تَحْتَ قَبَابِهِ  
وَالْفَجْرُ يَرْمُقُ مِنْ خِلَالِ نِقَابِهِ  
وَجَعَلْتُ أَطْفِي حَرَّهَا بِرِضَابِهِ  
مَنْي ثِيَابِي بَعْضَ طِيبِ ثِيَابِهِ  
طَرِباً يَخْبِرُ قَلْبَهُ عَمَّا بِهِ

١ الديوان : ٩٠

٢ الديوان : ٢٧ والشريفي ٤ : ٣٠

٣ ص : قطار .

وينظر في هذا المعنى قول ابن المعتز :

يا ربَّ إخوانٍ صحبتهمُ لا يدفعون لسلوِّ قلوبا  
لو تستطيعُ قلوبهمُ نَفَذَتْ أجسامهمُ فتعانقتُ حبا

وقال ابن الرومي<sup>٢</sup> :

أعانقهُ والنفسُ بعدُ مشوقةٌ إليه وهل بعد العناقِ تداني  
وألثمُ فاه كي تموتَ حرارتي فيشتدُّ ما ألقى من الهيان  
كأنَّ الذي بي ليس يشفي غليله سوى أن يُرى الروحان يمتزجان

قال أبو عبد الله : وناولته يوماً تفاحةً فقال<sup>٣</sup> :

وتفاحةٍ من كفٍّ ظبيٍّ أخذتها جناها من الغصنِ الذي مثلُ قدو  
لها لمسُ ردفه وطيبُ نسيمه وطعمُ ثناياه وحرَّةُ خده  
قال أبو عبد الله ، وأخبرني أبو عليّ قال : وعدني يومَ عيدٍ بالكُونِ عندي ،  
فصليت وارتقيتُ محيته ، فإذا بالسَّاء قد ارعدت وأبرقت فكتبتُ إليه والغيثُ  
منهملُ :

تجهمَّ العيدُ وإنهَلَّتْ مدامعه وكنْتُ أعهدُ منه البشرَ والضحكا  
كأنما جاء يطوي الأرضَ من بُعْدٍ شوقاً إليك فلما لم يجذك بكى  
قال أبو عبد الله ، قال أبو عليّ<sup>٥</sup> : كنتُ [أوصي] غلاماً وضيئاً كان يختلف  
إليّ وأحذره من كثرة التخليط ، فخرج يوماً في جماعة من أصحابه فأوقع به ،  
فأخبرتُ بذلك فقلت :

١ الشريشي ٤ : ٢٩ وديوانه ١ : ٣٩٦ ( بغداد ) .

٢ الشريشي ٤ : ٢٩

٣ الديوان : ٦٤ والشريشي ٥ : ٢٥٤

٤ الديوان : ١٤٠ وابن خلكان ٢ : ٨٦

٥ نقلها الشريشي ١ : ٤١٦ ، وانظر الديوان : ١٤٦

يا سوء ما جاءت به الحال إن كان ما قالوا كما قالوا  
 ما أحذق الناس بصوغ الخنا صيغ من الخاتم خلخال/ [١٧٥]  
 وهذا المعنى : القول فيه طويل ، وقول ابن المعتز يناسبه في المعنى لا في  
 اللفظ ، وهو قوله<sup>١</sup> :

مضى مالك والمال تسعون درهماً فأب ورأس المال ثلث الدراهم  
 وقال أبو محمد بن صارة الشنتريني :

مِنْ كُلِّ مَنْ نِيكَ حَتَّى صَارَ مِنْ سَعَةِ  
 كَمَا تُحَلُّ يَدٌ مِنْ عَقْدٍ تَسْعِينَا

قال أبو علي : وكنت أميل إلى قينة من قيان القيروان اسمها ليلى ، فعلقها  
 بعضُ خدام الحصون ، وكان يحسبُ خدمتها وكنسها منزلةً لا تشلم جاء متوليها ،  
 فنهيتها عنها فلم ينته ، فقلت فيه<sup>٢</sup> :

ظَنَّ أَنَّ الْحَصُونَ مَلِكٌ سَلِيماً وَلِيلى بَجْهَلِهِ بَلْقِيسَا  
 وَلَهُ فِي الْعَصَا مَأْرَبٌ أُخْرَى حَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَكُونَ لِمُوسَى

\* وهذا كقول إدريس من جملة أبيات :  
 فقال وَمَنْ هَذَا الَّذِي جَاءَ طَارِقاً فَقُلْتُ أَنَا مُوسَى وَهَذِي هِيَ الْعَصَا

ما أخرجته من سائر مقطوعاته في أوصاف شتى

قال<sup>٤</sup> :

١ الشريشي ١ : ٤١٦

٢ الشريشي : خالد .

٣ الديوان : ٩١

٤ الديوان : ٧١ والشريشي ٣ : ٣٢٠ وابن خلكان ٢ : ٨٨

وبك استغثت<sup>١</sup> على الضعيف الموزي  
وبعثت واحدة على النمرود

يا رب لا أقوى على دفع الأذى  
ما لي بعثت علي ألف بعوضة  
وله في بعض قضاة القيروان :

والطبل لا يضرب تحت الكيس  
فامنعه أن يحكم بين النسا

أقولها لو بلغت ، ما عسى  
قاضيك إن لم تخصه عاجلاً

وقال :

إني أشم عليك رائحة الدم  
حتى وطئت بها فراش الأرقم  
وأمنت جهلاً من وثوب الضيغم

يا سالكاً بين الأسنة والظبا  
يا ليت شعري من رقاك يعود  
أزحمت أساد الشرى في غيلها

وأنشدت له :

كقابس النار لم يشعر من الخجل  
عني فقبلتها عشراً على مهل  
فانما افتضح العشاق في المقل

قبلت فاهها على خوف محالسة  
ماذا على رصدي بالنار لو غفلوا  
غضي جفونك عني وانظري أمماً

وقال<sup>٢</sup> :

يا مَنْ يتيه بعارضيه يريد بالعشاق شراً  
ما كنت تصلح في الجديد فكيف تصلح بالمطري

وهذا كقول أبي بكر الخالدي<sup>٣</sup> :

ما كان ينفعه لدي شبابُه  
فعلام يجهد نفسه بخضابه

١ ابن خلكان : استغثت .

٢ المسالك : ٢٣٢

٣ لم يرد في ديوانه . وقد مر منسوباً له ٤ : ٢٥٦ .

وقال ابن رشيقي :

حجّت إلى وجهك أبصارنا طائعة يا كعبة الحسن  
تمسح خالاً منك في وجنة كالحجر الأسود في الركن

ولكشاجم في مثله<sup>١</sup> :

فلم يزل خدّه ركناً أطوف به والخال في خدّه يُغني عن الحجر

وأنشدت له<sup>٢</sup> :

إن زرتّه يوماً على خلقه أو زارني في موضع خال  
كنت له رفعاً على الابتدا وكان لي نصباً على الحال

وهذا كقول ابن الميكالي<sup>٣</sup> :

أفدي الغزال الذي في النحو كلمني مجادلاً فاجتني الشهد من شفّهم  
وأورد الحجج المقبول شاهدها مناظراً ليريني فضل معرفته  
ثم اتفقنا على رأي رضى به والرفع من صفتي والخفض من صفته

وقال ابن رشيقي ، وهو من أملح ما له<sup>٤</sup> :

أومى بتسليمه اختلاس والناس في حومة الوداع  
أحلى وإن لم تكن سماعاً من نغم الرّمير والسماع  
وافتر عن مبسم شنيب تختمه دارة الرباع

١ زهر الآداب : ٣٧٩ والحديث فيه عن المؤنث لقوله قبله :

فديت زائرة في العيد واصلة والهجر في غفلة من ذلك الخبر

٢ نسبت الأبيات في زهر الآداب : ٧٢٠ لأبي الفتح البستي .

٣ زهر الآداب : مناظراً

٤ زهر الآداب : محققاً

٥ زهر الآداب : والنصب .

٦ ديوان ابن رشيقي : ١٠٩ والمسالك : ٢٣٤

وقد نَوَتْ مقلته نوماً وددتُ لو كان في ذراعي  
فكان لي موقفٌ افتراقٍ وللهوى موقفٌ اجتماع  
وقال<sup>١</sup> :

هَمَّتْ عذاراهُ بتقبيله فاستلَّ من عينيه سَيْفَيْنِ  
وذلك المحمرُّ من خدِّه دماءُ ما بين الفريقين  
وقال<sup>٢</sup> :

غَنَّنِي يَا أَعَزَّ ذَا الْخَلْقِ عِنْدِي «حَيَّ نَجْداً وَمَنْ بَأَكْنَافِ نَجْدِ»  
وَاسْقِنِي مَا يَضِيرُ ذُو الْبَخْلِ مِنْهَا حَاتِماً وَالْجَبَانُ عَمَرَوْا بَنِي مَعْدِي  
فِي أَوَانِ الشَّبَابِ عَاجِلْنِي الشَّيْبَ فِهَذَا مِنْ أَوَّلِ الدَّنِّ دُرْدِي  
وقال<sup>٣</sup> :

اشْتَرَى خَنْجِراً لَقَتْلِي وَمَا ذَاكَ يَجْمَلُ  
فَسَلُوهُ فَإِنَّ عَنْ مِثْلِ ذَا الشَّانِ يُسْأَلُ  
كَيْفَ يَمْشِي بِخَنْجَرٍ مِنْ بَعِينِهِ يَقْتُلُ  
وقال<sup>٤</sup> :

شَكُوْتُ بِالْحَبِّ إِلَى ظَالِمِي فَقَالَ [لِي] مُسْتَهْزِئاً مَا هُوَ  
قُلْتُ غَرَامٌ ثَابِتٌ قَالَ لِي أَقْرَأُ عَلَيْهِ «قُلْ هُوَ اللَّهُ»

وقال<sup>٥</sup> :/[١٧٦]

مَعْتَدِلٌ الْقَامَةِ وَالْقَدَّ مَوْرَدٌ الْوَجْنَةَ وَالْخَدَّ

١ ديوانه : ٢١٤ والمسالك : ٢٣٢ والشريشي ٤ : ٢٩٠

٢ ديوانه : ٦٢ والشريشي ٣ : ٢٠٢

٣ المسالك ( الأول والثالث ) : ٢٣٢

٤ ديوانه : ٢٢٢ والشريشي ١ : ١٥٣

٥ ديوانه : ٦١ والشريشي ١ : ١٥٣ والأول والثاني في المسالك .

لو وضع الورد على خدّه  
قل للذي يعجب من حسنه  
ما عُرِفَ الوردُ من الورد  
أقرأ عليه سورة الحمد  
وقال :

ولقد قطعتُ الليلَ في دعةٍ  
بأعزُّ من بصري على بصري  
من غير تأثيمٍ ولا ذنبٍ  
وأحبُّ من قلبي إلى قلبي  
وقال :

تلفتُ فما أفرقُ — ين قيراطٍ ودينارٍ  
ذهابَ الزيتِ في القنديلِ بين الماءِ والنارِ  
وقال<sup>١</sup> :

ومن حسانِ الدهرِ عندي ليلةٌ  
خلونا بها نفسي القذى من عيوننا  
من العمر لم تترك لأيماننا ذنباً  
بلؤلؤة مملوءة ذهباً سكناً  
وملنا لتقويل الحدودِ ولثمها  
كمثل جياح الطير تلتقطُ الحباً  
وقال<sup>٢</sup> :

يا من يمرُّ ولا تمرُّ به القلوبُ من الحرقِ  
بغمامةٍ من خدِّه أو خدِّه منها سرقِ  
وكأنه وكأنه — وقمرُ احاطَ به شفقِ  
فاذا بدا وإذا مشى  
شغل الجوانحَ والجوا رحَ والخواطرَ والحدقِ  
وقال من قصيدة<sup>٣</sup> :

حسبي وحسبك من لومٍ وتثريبٍ  
بان الذي كان يغريني ويغري بي

١ ديوانه : ٣٢ والشريشي ٢ : ١٥١ وابن خلكان ٢ : ٨٧

٢ ديوانه : ١٢٨ والشريشي ٣ : ٢٣٧

٣ منها خمسة أبيات في ديوانه : ٣٤



أما الشبابُ فقد ودعتُ لذته  
عرفتُ حالَ الليالي في تصرفها  
وذللَ الدهرُ صعبِي فاستكنتُ له  
قرعتُ سَنِي على ما فاتني ندماً  
فقد رددتُ كؤوسَ اللهو مترعةً  
وربما أذكرتني صبوةً سلفت  
أثره السمعَ والعينين في نغمٍ  
من كلِّ لافظةٍ بالدرِّ باسمه  
أيامَ تصحبني الغزلانُ آنسةً

وقال :

اختر لنفسك من تعا دي كاختيارك مَنْ تُصادق  
إن العدوَّ أخو الصديق وان تخالفت الطرائق .

وأخبرني بعض وزراء اشبيلية قال : جهز عباد بعض التجار إلى صقلية ، وكان ابن رشيقي كثيراً ما يسمعُ بذكر عباد فيرتاحُ إلى جنبه ، ارتياحَ الكبير إلى شبابه ، فلما سمع بمقدم ذلك التاجر لزم داره ، وجعل يترددُ إليه ويغشاه ، ويقترح عليه لقاءَ عباد ويتمناه ، والتاجرُ يعبده ويمثيه ، ويقربُ له ذلك ويدنيه ، حتى إذا سمحتِ الرياحُ ، وأمكن في ميدانِ البحر المراح ، ذهب التاجرُ لطيفته ، وخلي بين ابنِ رشيقي وأمنيته ، وأخبر التاجر عباداً بذلك ، كأنه يتبجح له بما هنالك ، فبالغ عبادُ في نكاله ، وأمر باستصفاء أكثر ماله ؛ ثم رام ابن رشيقي بعد ذلك ركوبَ البحر فخشن له مَسَّهُ ، ولم تساعدْ على ركوبه نفسه ، فقال ٢ :

١ ديوانه : ١٣٠ والشريشي ٢ : ٢١٦

٢ ديوانه : ٢٢٦ والمسالك : ٢٣٣

البحرُ صعبُ المذاقِ مُرٌّ لا جُعِلْتُ حاجتي إليه  
 أليس ماءً ونحن طينٌ فما عسى صبرنا عليه  
 ولأبي [علي] قصيدته المشهورة التي أوحا :  
 من قُضِبَ نَعْمَانُ أم من كُتِبَ يبرين  
 الله في دم عشاقٍ مساكين  
 يقول فيها :

عيناك أمكت الشيطان من خلدي  
 كم ليلةً بتُ مطوياً على حرقٍ  
 وكلما انصدعت من لوعةٍ كبدي  
 يا ما اميلحه ظيماً فنتت به  
 ووجنتين هما تفاحتا قبلي  
 كأنّ لس بناني حين يلمسه  
 فتور عينيك ينهاني ويأمرني  
 أما لئن بعث ديني واشتريت به  
 سبحان من خلق الأشياء قاطبةً  
 ومنها :

يا أهل صبرة والأحباب عندكم  
 إني أدين بدين الحب ويحكم  
 مولاي [لا] تشمت الاعداء بي وإذا  
 حاسب هواك بما أنفقت من عمري  
 لو كنت أملك نفسي يا معذبها  
 إن كان عندكم صبر فواسوني  
 والله قد قال لا إكراه في الدين  
 نسيت قولي فاذكر قول هارون  
 والله لو كان عمري كنز قارون  
 قربتها لك في بعض القرايين  
 وكتب إلى المعز بن باديس وقد ولدت له ابنة/ [١٧٧]

معز الهدى لا زال عزك دائماً وزينت الدنيا لنا بحياتكا

١ اضطرب الشطر، صورته : فم يسقي بمثل نبات الزرايين .

أَتَتْنِيْ أَتْنِيْ يَعْلَمُ اللّٰه أَتْنِيْ      سررتُ بها إذ أمُّها من هبانكا  
وقد كنتُ أرجو أنها ذو بلاغةٍ      يقومُ مقامي في بديع صفاتكا  
وما نحن إلا نبتٌ جودك كلنا      وكلُّ نبتِ الأرضِ من بركاتكا  
وقال<sup>١</sup> :

أَسْلَمْنِي حَبُّ سَلِيَانِكُمْ      إلى هوى أيسرهُ القتلُ  
لما بدا جندُ ملاحتهِ      قال الوري ما قالتِ النمل  
قوموا ادخلوا مسكنكم قبل أن      تحطمكم أجفائه النجل  
وهو القائل في غلام عذّر يعرف بابن الكناف :

لَمْ العذارِ بخده تحكي أصابع جدّه  
قد خطّها في حائطِ خوف الخطا من عدّه

### ذكر الخبر عن خراب القيروان

والالمام بشيء من أخبار آل زيري الغالبين عليها - كانوا - وقتهم  
مع ما يذكر بها ، ويتعلق بسببها

قال ابن بسام : قد قدّمتُ [أنّي] أملت هذا الكتاب بخاطرٍ قد خمدت جمرته ،  
وتبلّدت قريحته ، وعلى حالٍ من تصرّف الزمان ، وإلحاح الحدثان ، يتسبب تسبّب  
الهجران ، ويتلوّن تلوّن الذعر في عين الجبان ،

وللموت خيرٌ من حياةٍ كأنها مُعَرَّسٌ يَعْسُوبُ برأسِ سنانٍ<sup>٢</sup>

مع أني لم آخذ هذا الخبر عن سند ، ولا استعنت فيه بكتابٍ لأحد ، إنما  
اختلسته من ذكره أجريها ، أو أحدىثة إنما لذّتي بين أن اكتبها وأملها ، والحديثُ

١ ديوانه : ١٤٢ وابن خلكان ٢ : ٨٨ ( اعتماداً على الذخيرة )

٢ البيت الصخرأخي الحسناء ، انظر الأغاني ١٥ : ٦٣ وابن خلكان ٢ : ٨٤

طويل ، والمحصّل قليل ، وإنما ألمع ها هنا بشيء من أخبار مملكة آل زيري الصنهاجيين : كيف هبّت رياحُها ، وأشرقَ صباحُها ، ثم نشرحُ بعضَ الأسبابِ التي خصّتْ آثارها ، وأحصتْ ليلها ونهارها :

لما تغلب آلُ عبيدِ الله الناجمين بافريقية على مصر ، فخلص له صميمها ، وأهاب له مُلكُها ونعيمها ، وأراد معد بن اسماعيل بن عبيد الله ، المتلقب من الألقاب السلطانية بالمعز لدين الله ، اقتعادَ صهوتها ، وإثباتَ قدمه على ذروتها ، دعا زيري بن مناد ، وهو يومئذ من صنهاجة بمكان السنام من الغارب ، وبمنزلة الوجدان من نفسِ الطالب ، وكان له عشرةٌ من الولد : آسادُ شرى ، وأقيارُ سرى ، فقال له : ادعُ لي بنيك ، فقد علمتَ رأيي فيهم وفيك ، وكان أصغرهم سنّاً ، وأهونهم عليه شأنّاً ، يُلقَّين بن زيري ، فدعا ولدهُ ما عداه ، والقدر لا يريدُ سواه ، وكانت من المعزّ - زعموا - اثارَةٌ من علمِ الحدّثان قد عرّفَ بها مصاييرَ أحواله ، وأهلَ الغناء من أعيانِ رجاله ، وكانت عنده لخليفته على افريقية إذا صار إليه ملك مصر علامةٌ يأنسُ بها أنس الكبير بذكر شبابه ، ويعرفها عرفانُ العاشقِ لذيّارِ أحبابه ، فنظر في وجوه بني زيري فأنكرها ، حين تفقّدَ تلك العلامةَ فلم يرها ، فقال لزيري : هل غادرتَ من بنيك أحداً ، فلستُ أرى لمن ها هنا منهم أيداً ولا يداً ، فقال له : إلا غلام ، وطفق يصغّرُ شأنَهُ ، والمقدارُ قد عناه وأعائهُ ، ويطوي أخباره والأخبارُ تدور عليه ، فقال المعزّ : لا أراكَ حتى أراه ، فلستُ أريدُ سواه ، فلما رآه عرفه ، وفوّض إليه من حينه واستخلفه ، فاستولى من وقته على الأمور ، وزاحمتُ مهابته الأهواءُ في الصدور ، وبعدتُ أسفارُهُ واشتهرتُ أيامه ، واشتمل على صرفِ الأيام والليالي نَقْضُهُ وإبرامه ، بلغ بغزواته سبّةً - في خبرِ طويل ليس من شرط ما ألفتُ ، ولا في معنى ما صنفت - ثم أجاب صوتَ مناديه ، وخلعها على أعطافِ بنيهِ ، حتى انتهت منهم إلى\* المعزّ بن باديس ، منزفِ العشيرة ، وآخرِ ملوكها المشهورة ، فأولُ ما افتتح به شبانه ، وثبت به - زعم - سلطانه ، قتلُ الرافضةِ ومراسلةُ أمير المؤمنين ببغداد ،

فبعث إليه بعهدِهِ ، وجاءت الخلعة واللقبُ من عنده ، رأياً اغترَّ بباديه ، وذُهِلَ عن عواقبه وبواديهِ ، واتصلت بالعبيدي وامرُهُ يومئذٍ يدورُ على الجرجرائي ، فاضطغنّها عليه ، وفوقَ سهامَ مكروهه إليه ؛ وكانت بطونُ من عامر بن صعصعة : زغبة وعديّ والأثبج ورياح وغيرهم من ألفافِ عامر ، تنزلُ الصعيدي ، لا يُسَمَحُ لها بالرحيل ، ولا يخلّى بينها وبين إجازة النيل ، فأراهم الجرجرائي لحينه ضجّةَ السوق ، وأفرجَ عن لَقَمِ الطريق ، وأذنَ لهم في المعز ، أمنية طالما تحلبتُ [١٧٨] اليها أطماعهم ، وعكفت عليها أبصارهم وأسماعهم ، فغشاه منهم سيلُ العرم ، ورماء بذلول ابنِ الرِّقَم ، وتهاون المعزُّ بهم أولاً فشغلهم بخدمته ، وحملَهُم أعباءَ نعمته ، وهم في خلال ذلك يتمرّسونَ بجهاثه ، ويدبّون إلى أنصاره وحماته ، ويطلون على مقاتله وعوراته ، حتى بان لهم شأنه ، وهان عليهم سلطانه ، فجأهروه بالعداوة . وأرادوه على الاتاوة ، وجرتُ بينهم أثناء ذلك حروب ، لم يحمدها غالبٌ ولا مغلوب ، ولا أمنها بريء ولا مُريب ، أضربتُ عن خبرها لطولها ، ولأنه لم يبلغني عن مَنْ أتيقُّ بتحصيله ، كان من أفرأها لأديمه ، وألصقها بصميمه ، وقعةٌ حيدران سنة أربعٍ وأربعين ، فانها أوهنت بَطْشَهُ ، وثَلَّتْ عَرْشَهُ ، وأرَتْهُ البوارَ ، وضربتُ عليه الحصار ، وأحاط الأعرابُ بالقيروان يطؤون حريمها ، ويستعرضون راحلها ومقيمها ، حتى مآج بعضها في بعض ، وتبرأت منها كلُّ ساءٍ وأرض ، فلما كان سنةً خمسين أعطى الدنية ، وناشدهم التقيّة ، واشترط المهدية ، وقد كان نظر في ماله ، وفكّر في مَنْ بازائه من أقتاله ، فزفَّ إلى زعمائهم بناته وكن اللآلي وأمانى الغالي ، فأصبحوا له أصهارا ، وقاموا دونه أنصارا ، فلما استحکم بأسه ، وأهمَّتْهُ نفسه ، استجاش مَنْ قِبَلَهُ ، واحتِتمل حُرْمَهُ وثَقَلَهُ ، وخلقَ الملكَ لمن حماه وحمله ، وجاء أصهارُهُ فكانوا بحيث يسمعون نعيمه ، ويمنعونه ممن عسى أن يكيده ويضيمه ، حتى بلغ المهدية فأقام بها أسقطَ من الشمس في الميزان ، وأهون من الغفرِ على القبان ، ولم يكن أحدٌ في زمانه يُسأَلُ في الملاحم ، ولا أطولَ يداً بالكمّارم ، ولا أعنى بلسان العرب ، ولا

أحنى على أهل الأدب ، منه . ومن مشهور كرمه أنه أعطى المنتصر بن خزرون في دفعة مائة ألف دينار إلى ما وصله به من مركب ثقيل ، وزيّ نبيل . ثم لم يمكث بالمهدية إلا نحو عامين ، وانقضت أيامه ، وغافسه حمامه ، تعالى من لا ينتقل حاله ، ولا يتوقع زواله .

## فصل في ذكر الشيخ أبي الفتيان العسقلاني<sup>١</sup>

وابتات قطعة من شعره ونثره

أخبرني بخبر هذا الرجل الفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن الوزير الفقيه أبي محمد ابن العربي ، وأنه فارقه حيناً يَرْزُقُ وهو بالسنة [...] . وأنا أقول : إنّ أبا الفتيان هذا من فرسان هذا الشأن ، ومن أُعْطِيَ بسطةً في علمه وبيانه ، وخُلِّي بين السحر ولسانه ، والذي أثبت من كلامه يضرعُ قذى العيون ، ويحلو وَضَحَ الصبح المبين .

فصل له من رقعة :

مخايل السؤدد - أطال الله بقاء الشيخ - تُعثر على عقبه أخامص الكرام ، وترقم بمناقبه بروء الأيام . فأدام الله تمكينه حتى يصبح سلك المجرة واهي النظام ، وتعبّر في البسيطة جهة<sup>٢</sup> بهرام ، [ولا زال] يعقل بساحته الأمل الجامح ، وتستوقف المرشد والمصالح ، إذ كان مفترق المجد قد أصبح في علانه مجموعاً، وشامس الفضل سامعاً مطيعاً ، وقد قرن وليه هذه الأسطر برقعة سأل عرضها على الحضرة السامية - رفع الله منارها ، وعمر بوفود السعادة ديارها - وأن يُتبعها من سديد مقاصده ما يهدي من أمها سبيل النجاح . ويقضي لها بالمغنم وفوز القداح ، لا زال أفقه بنجوم

١ لعله مفضل بن حسن بن خضر العسقلاني الذي ذكره في الخريدة ( الورقة : ٢٠١ من مخطوطة باريس رقم : ٣٣٢٨ ) وقال إنه قدم مصر في أيام الأفضل وأورد له مقطوعة من أربعة أبيات .

٢ ص : جهات

السعادة منيراً ، وسرب الحوادث عن ساحته مطروداً مدحوراً .

ومن أخرى :

أطال الله بقاء الحضرة السامية تجبر من كسر الزمان مهيباً ، وتلزم<sup>١</sup> مسنوناً  
للمكارم [وا] مفروضا ، حتى يصبح عقد الكواكب رفيضاً ، وكف المقادر مكفوفاً  
مقبوضاً ،

بوارق [جود] تستطير وميضاً  
يفلّ صحيحاً أو [يبل] مريضاً  
تردُّ<sup>٣</sup> هشيم المكرمات أريضاً  
لغودر مسدود اللهاة حريضاً  
صنائع يبعثن الكسير نهوضاً  
أعدن دجئات الحوادث بيبضاً  
ورفعت طرفاً للسباح غضيضاً  
معانيه صوناً أن يعود قريضاً  
ولم يتوَّح المادحون عروضاً/[١٧٩]  
نوافل يُلَوِّى دينها وفروضاً  
إذا أزمّ الناب الضروس عضيضاً  
كما ذعر الليث الهزبر ريبضاً  
تقضي ديوناً ملحقاً وقروضاً  
إذا قيد النوم الجفون غموضاً

وتطلع<sup>٢</sup> للعافين في فحمة الدجى  
وثودع جأش الدهر عزمي مشمر  
نسطاً تسعر الآفاق ناراً ورأفة  
ومقدرة لو زاحم الأفق جيشها  
شملت الورى يا ابن المحسن مُسدياً  
وأعلمت<sup>٤</sup> أغفال الزمان بأنعم  
فأوريت زناداً للمفاخر مُصلداً  
أقمت لنا سوق القريض وقد عفت  
فلولاك لم يلف الهداية ناظم  
قضيت العلا لما أضيعت حقوقها  
منيع المراقى يستجار بعزه  
وتدعر أسراب الخطوب أو انسا  
تقاضى سؤال المستمحين مث  
وتدأب في حفظ الرعية ساهرا

١ ص : ويلزم

٢ ص : يتلج

٣ ص : يريد

٤ ص : وعملت

فمثلك في حُكْمِ الرِّياسَةِ معوزٍ وكم من نقيضٍ لو طلبتَ نقيضاً  
إذا ما سعى الأملاكُ خلفَكَ للعلا غدوتَ سماءً والأنامُ حضيضاً

وله من أخرى :

شهر الصيام زائرٌ يُستَقْبَلُ وفدُ المغفرة باستقباله ، وتنحلُّ ذنوبُ الأُمَّةِ بنحول  
هلاله ، وأيّبُ تَقَدُّمُ غرائبِ الحظِّ بقدومه ، ويعنقُ جزيلُ الأجرِ بينَ عَنَقِهِ ورسيمه ،  
جعله الله مطهراً من دَنَسِ الآثامِ ، وُعْرَةً سائلةً في جَبْهاتِ الأيامِ ، [جالياً] لَغَسَقِ  
المعاصي بوضاءَةِ أيامه ، ومكفراً لما اقترَف من الجرائمِ في عامه ، فطوبى لمن أقضَى في  
هذه المدة مضجعه ، واستعملَ منطقَهُ بما يُرضي الخالقَ وَمُسْتَمَعَهُ ، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ  
الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠) والله جَلَّتْ أسأؤه يجعلُ الحضرةَ  
الساميةَ سابقةً في هذا المضمارِ ، أمانةً من عوارضِ الكِبْوَةِ والعِثَارِ :

|                             |                                 |
|-----------------------------|---------------------------------|
| بقيتَ لعقدِ المعالي نظاماً  | ولأكرمين جميعاً إماماً          |
| ويُخَجِّلُ جودك وجهَ السماء | برقاً خَفَوْقاً وغيثاً سجاماً   |
| مقيماً بحيث يضيعُ التلادُ   | وتحفظُ للمكرماتِ الذماما        |
| وتودُعُ آلاؤك السابغات      | جيدَ الرِّياسَةِ طوقاً تَوَاماً |
| أيا ابنَ المكارمِ لا يعرفون | عن دِرَّةِ المجدِ يوماً فطاماً  |

ومنها :

|                            |                              |
|----------------------------|------------------------------|
| وهيجاءٌ مثلِ أوارِ الحريقِ | تصطلمُ الدارعين اصطلاماً     |
| تلثمُ خَدَ الضحى عثيراً    | وتسفرُ فيها المنايا اللثاماً |
| فجردتَ عزمك في النائباتِ   | حصناً منيعاً وجيشاً لهاماً   |
| مساعٍ تشقُّ جبينَ الضياء   | إذا اعتكر الدهرُ طراً ظلاماً |
| ويهدي إليك أريجَ الثناء    | كما خطرتُ في الرياضِ النعامى |



فَعِشْ مُمْسِكاً بَعْرَى لِلْبَقَاءِ لَا يُحْدِثُ الدَّهْرُ فِيهَا انْفِصَامَا

ولا بَرَحَ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارَا ، وَأَخْرَجَ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارَا ، يُطْلَعُ فِي  
سَمَائِهَا السَّعُودَ [غير] الْآفَلَةَ ، وَيَقَرُّ بِبَابِهَا النِّعْمَاءَ [غير] النَّاظِلَةَ ، وَيَجْعَلُ لِكُلِّ [لَيْلٍ]  
يُمَدُّ جَنَاحُهُ ، وَنَهَارٍ تَفْلُقُ إِصْبَاحُهُ ، مُتَكَفِّلاً لَهَا بِجَدٍّ يَلْقَى إِلَيْهِ زَمَامُ الْقَدَرِ تَفْوِيضاً ،  
وَيَمْنَحُ الصَّخْرَةَ الصَّمَاءَ تَرْوِيضاً .

### في ذكر القاضي أبي محمد بن نعمة بن خليل<sup>١</sup>

وإثبات جملة من نثره ونظمه

وبالسَّنَدِ الْمُتَقَدِّمِ وَصَلَ إِلَيَّ خَبْرُهُ ؛ وَهُوَ أَحَدُ مَنْ يَتَصَرَّفُ فِيهِ جَيِّدٌ ، وَيَبْدَى بِيدِ  
الْإِحْسَانِ وَيَعِيدُ ، جَزْلُ الْمُقَاتِعِ ، سَهْلُ الْمَنَازِعِ ، وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْ كَلَامِهِ مَا تَرَاهُ ،  
وَتَسْتَدِلُّ عَلَى غَرَضِهِ وَمِنْحَاهُ .

فصول من نثره مع ما ينخرط في سلكها من شعره

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْحَضْرَةِ الْعَالِيَةِ لِعَرَائِبِ مَجْدٍ تَبْتَدِعُهَا ، وَفَرَائِضِ جُودٍ تُشْرَعُهَا ،  
وَحَوَادِثِ أَيَّامٍ تَذَلُّلُ صَعَابِهَا ، وَمُسْتَأْنَفِ سَعُودٍ يَطْرُقُ جَنَابِهَا ، وَأَدَامَ أَيَّامَهَا الَّتِي هِيَ  
لِلدَّهْرِ تَمَائِمُ ، وَفِي الْمَجْدِ غَمَائِمُ ؛

غَرَّرَ مِنَ الْأَيَّامِ يَوْضُحُ فَجْرِهَا وَالِدَّهْرِ مِنْ ظُلَمِ النَّوَائِبِ قَاتِمُ  
كَمْ صَرَمَتْ عَنِّي حَوَادِثُ لَمْ تَكُنْ مِنْجَابَةً لَوْلَا الْأَجَلُ الصَّارِمُ

١ أغلب الظن أنه القاضي أمير الدولة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن خليل العسقلاني ( وحدث تصحيح في لفظة  
« أحمد » فتحوّلت إلى « نعمة » أو العكس ) ؛ ذكره العباد في الخريدة ( الورقة : ١٩ ) من نسخة باريس رقم :  
٣٣٢٨ وقال إنه « من الكتاب الشعراء والبلغاء الرؤساء ، إلا أنه مقل مع الاجادة والاحسان ، إنما يصنع ما يصنعه  
تأدياً لا تكسباً ، وكان في عهد المستنصر » ؛ وأورد له شعراً في صارم الدولة ابن معروف صاحب عسقلان .

ملكٌ تملكه التّدى وتجمعتُ في راحتيه غمائمٌ وسائمٌ  
فالروضُ يُجْدِبُ وهو روضٌ ممرعٌ والغيثُ يُقْلِعُ وهو غيثٌ دائمٌ

وشتان ما بينهما : تلك سحائبٌ قد يُخْلِفُ بارقها ، وتُخْذَرُ صواعقها ، وروضٌ  
يجفُّ نباته ، وتتصوّحُ زَهْرَاته ، ومكارمُ الحضرةِ العاليةِ تزيدُ جدّةً على التكرار ، وقائلُ  
الفلكِ الدوّار ، وهي تباري الشمسَ [نهارا] ، وتزورُ مزارَ الطيفِ سرارا :  
مننٌ بعثنَ أهلةً مستورةً فطلعنَ في فلكِ العلا أقمارا  
ومواهبٌ ومناقبٌ ومناهبٌ رَفَعَتْ له فوقَ السماءِ منارا

ولما كانت الأوقات الشريفة موسومةً بشيء يُسمَعُ ، ومرسومةً بدعاء يُرفعُ ،  
وأهلتُ هذه الأشهرُ المكرمة ، وجبَ على من حضر ، بل كافةً من يضمُّ الشجر ،  
إخلاصُ الدعاءِ للحضرةِ العالية ، بأن يمدَّ الله عليها ظلاله المسدلة ، ويديمَ لهم ما  
شملهم من تمام/[١٨٠] المعدلة ، وأن يُسعدَ أنحاءها في طاعة إمامها ، ويصرفَ  
أعداءها في حكم حسامها ، ويثبتَ لها من رأي سلطانه ما تستوفي به أقسامَ الفخر  
جميعا ، ويزيدَ لها أحداثَ الدهر خضوعا :

فلقد خدمتَ بهمةٍ لا ترتضي إلا سميكَ صاحباً وضجيعا  
والجيشُ [أيقن] حين عاد بأنه ألقى بربعك معقلاً وربيعا  
وردوا غميراً من يمينك ريقاً وشرى محلّ في ذراك منيعا  
وسهرتَ دون هجوعهم بعزائمٍ تقضي وطرفٍ لا يذوق هجوعا  
هذا وكم من مارقٍ مرّفته بيدِ تُفيضُ مكارماً ونجيعا

والحمد لله الذي جمع للحضرةِ العاليةِ شرائطَ السّودد ، وخصّها بالمجد

الموطّد ، والنسب إلى أعلى خندف عماداً ، وأوراها في موقف الفخر زناداً ، أرومة الرسالة وجرثومة الخلافة ، إليها انتزع هاشم ، وعنها أخذت المكارم ، فعبد مناف بن النضر بن كنانة نؤابة الفخر :

هنالك أبناء الوغى وحماها وثمّ العطاء الغمر والعدد الدثر  
لهم أوجه زهر وأنديّة خضر وألوية حمراء وخطية سمر  
فأما الفضائل المكتسبة فان مولاي الأجل ناظم أشتاتها ، ومؤلف متنافراتها ،  
فهو تارة تحت عذب الأعلام ، وأخرى بين طروس أقلام ، يستصغر عظيمات التدبير  
ثقة بحزمه ، ولا يغفل صغيرات الأمور تمضي إلا عن علمه ، فأما الحلم والأناة  
واستلذاذ العصور مع القدرة والمحافظة على سرّ الخدمة فان الله تعالى وهب له من ذلك  
ما سلّمه إليه معانده ، وعرف فضيلته فيه حاسده :

مناقب نظمت منها محامده وشيمة عرفت فيها عوائده  
وللندی غير منزور مؤمله وللردى [غير] معصوم معانده  
يفديه وافد ليل أب زائره بنجحه وبخيل خاب قاصده  
فأما المواقف المشهودة ، والآثار المؤرّخة المعدودة ، فانه فيها ملقى النصير ،  
دائم الظفر ، ميمون التدبير ، مسعود الرأي ، ميق عند الانتقام ، معتذر مع سعة  
الانعام ، رحب الحمايل ، بسام المخايل :

يقصر الناظم عن آلائه فيستعين بحلى الوسائل  
لم يستعز فيها له فضيلة حاشا العلا ولا مقال الباطل  
وإنما يكتبها عن مجده فيستهل نسخة الفضائل  
لم نرض أن أنالنا فصاحة موهبة إلا ببذل النائل  
ولا زالت الحضرة السامية تجدد من رسم الأدب دائره ، وتلبس من الثناء  
نفائسه وجواهره .

وله من رقعة تهنتة :

لقد عجبت أيامنا [حين أبصرت] بها أروعاً زينت بحسن علائمه  
إذا سهكت اعطافهن تضحكت بمسكين من أفعاله وثنائه  
هذا الشهر - أدام الله تمكين الحضرة العالية - مضاً لها في شرف النسب ،  
والطهارة من الريب ، والله يكرّر عليها مجازة ما ارتقت فيه ليلة القدر ، وانتشر في  
السماء شعاع البدر ، في عز تسكن به الخطوب العرمة ، وتنتقض معه الأحداث  
المبرمة .

وفي فصل منها : أرواه الله من تسنيم ، وجعله من ورثة جنة النعيم ، يرتع  
في رياض الفردوس النضر ﴿ في مقعد صديق عند مليك مقتدر ﴾ ( القمر : ٥٥ )  
بعد ان يفني مدة الزمان عمرا ، ويوسع بنيه نوالاً غمرا ، ويحور من المحامد ما تتطرز  
به أردان الأيام ، وتتقوض فيه هضبات شام .

ومن أخرى في مثله :

أجزل الله بالحضرة الاثيرة بركات هذا الشهر الشريف الذي تُقضى فيه  
المناسك بالبيت العتيق ، وترد بعده أيام التشريق ، ولا زال يُلقى رحاله ، ويواصل  
إلفها بكره وأصاله ، في عز رفيع سماكه ، حاكمة بالبقاء أفلاكه ، ومجد راسية  
جباله ، وسعادة مقرطسة [بها] نباله .

إذا انقضت يوماً جبال سعادة غدت مُحصّدت كيف شاءت حباله  
يضيء وصرف الدهر داج هلاله ويعرف في قحط السنين انهاله  
وجاه نضير لا يخاف ذبوله ولا ينطفي بالعاصفات ذباله  
والأرض [في] قبضته يقبض عنها أيدي العوارض ، ويُسبغ عليها ملابس  
إنعامه الفائض .

ومن أخرى/ : [١٨٨]

ولو علمَ الطُّرسُ الذي قد حَبَّوَتْهُ قلائدٌ من درِّ الكلام المنضَّدِ  
لقاد إليك الشكر حتى ثَمَلَهُ وحتى يقول السامعون له قَدِ

طلعت عليَّ من الحضرة - لا زالت نجومُ السعد بأفاقها طالعة ، وركائبُ  
الحوادثِ عن ساحتها ظالعة - رقعةُ كريمةٍ أجلتُ ناظري في سطورها فقلت : سوسنُ  
تُثِرَ على أقحوان ، أو قلائدُ عنبرٍ نُظِمَتْ في أجسادِ غزلان ، وراودتُ خاطري على بروز  
ذلك المرموز فقال : أما تستحي ان تسومني ذلك ، وقد أتمدَّت الخطوبُ ينبوعي ،  
ومحتِ الحادثات ربوعي ، فقلت : خيرٌ لا بدَّ من تأمله ، وأمرُ مطاعٌ لا مندوحة عن  
تقبله .

وله من أخرى :

شهادةُ الخادم - حرس الله أيام الحضرة - شهادةٌ بسعادةٍ مستخدمه ، ودلالةٌ  
على تواصلٍ فضلِ الله وكرمه ، كالأصل إذا زكا أورقت فروعه ، والماء إذا استجم  
فاضت ينابيعه . وعرفتُ في هذه الساعة وفودَ قادم على عبدها الأمير شبلِ الدولة  
يثري من إنعامِ الحضرةِ العالية يده ، ويورخ بآيامها الزاهرة مولده ، فشاركتُ  
المذكورة في المسرة بهذه النعمة ، اشتراكنا معاً في الخدمة ، وإني وإياه فيها فرسا  
رهان ، أو كالأناملِ ضمَّها اليدان ، والذي له الأسماء الحسنى يضاعفُ إحسانه  
لديها ، ويجعل عواقبَ أمورها أحسنَ من مبادئها ، حتى يلوذَ الكرمُ بجناها السعيد ،  
ويعيشَ الأحرارُ في فضلها كما يعيشُ العبيد .

وله من أخرى :

يا ليتَ أنَّ سوادَ طَرفي نائلٌ ما نال من شَرَفِ سوادِ مدادي  
ففساه يطفئ لوعةً مشبوبةً أَلقت عصاها في صميم فؤادي

وأقول حينئذ : أسعد الله الحضرة السامية بهذا الشهر الميمون ، وشحن صحيفتها بأجر غير ممنون ، ولا زالت الأيام تمرُّ بها جديدةً وترجع عنها بالية ، وهي في أثناء ذلك ضامنة لها عزاً ينشر في الأفق ذوائبه ، ومجداً يحلّي بالقمرين ترائبه ، وسعداً لا تخطيء سهامُهُ ، ولا يُفَضُّ أبداً ختامه ، ورزقاً تعذبُ نطافه ، وتدرّ طولَ الزمانِ أخلافه ، ورضى من الله تعالى يورثُ جناتِ النعيم ، ويهدي إلى صراط مستقيم .

ولما وصلتُ الى هذا المكان من هذه السطور سلّمتُ إليَّ تحفةً من الحضرة السامية كأنها لونُ المحبِّ قُصِدَ بالهجران ، أو نهودُ الكواكبِ ضُمَّخَتْ بالزعفران ، وحين شممتها وجدتُ ذاتَ طيبين : طيبُ الأرومة ، وطيب استفادته من اليد الكريمة ، وأستغفرُ الله ، أين البرُّسُ من الحرير ، والملاّبُ من العبير .

وفي فصل من أخرى :

المكارمُ - أطال الله بقاءَ مولاي الشيخ معمورَ الفناء ، ممتعاً بدوام العزِّ والنعماء - فروضُ مُهْتَبَلات ، ومساعٍ على الدهر مُنْجِحات ، وبضائعُ في اكتسابِ الشكرِ مُرْبِحات ، ولم يزلِ الحمدُ أكبرَ تجاثره ، وتقليدُ المننِ للأعناقِ أنفَسَ ذخائره ، ومن تدرَّعَ أسبابَ رياسته ، وبهر الألبابِ بياهر فضيلةِ نباهته ، وبذَّ الأضرابَ بكمالِ ورعه ونزاهته ، [و] أدنا من قديمِ فخرِ آبائه ، وطَبَّقَ الأرضَ بفيضِ بحرِ عطائه ، وطاولَ بطولِ باعِ مُرُوثِهِ ، وتصدَّرَ بواسعِ صدرِ همَّته ، وأصبحَ حليةَ الزمنِ القديمِ ، وغرَّةَ لامعةٍ في وجهِ الدهرِ البهيمِ ، عمُّ الأنامِ نفعاً ، وأتى الجميلَ خلقاً وطبعاً ، وتداركَ بقيةَ الأزمانِ المشفية ، وجدَّدَ ما أخلقَ من الآمالِ المتعفِّية ، فلا زالتْ قَدَمُهُ مَحْدُودَةً رفاتِ الأعداءِ ، ويدهُ مضمومة أُرْمَةِ العلاءِ :

ولا زالَ محروساً من الخطبِ بالغاً الى غايةٍ تجري فيقتصرُ المجري  
ولا فقدتْ عينُ الرياسةِ شخصه ومتَّع بالتأييدِ والنهي والأمر  
وأدركَ من دنياه غايةَ سؤله ونال المنى في الآلِ والمالِ والعمر

وقد تعرضتُ لواسع رأفته ، فاستعطفْتُ كريمَ عاطفته ، واسترجعتُ فائتَ حظي بمراجعتِهِ ، وأعوذُ بالله أن أستنصرَ به على الزمان فيخذلني ، وإلى جوره بعد الاستسلام بعدله فيسلمني ، ويطرحني معتمداً من يده ، ويستقطني بالجملة عن عدده ، ويصرفني عن باب تصرفِهِ بالحرمان ، ويذودني عن بحرِ جودِهِ العذب مشتملَ الجوانح على غُلَّةِ الظَّمان ، ومتقدِّمُ المعرفةِ رحم ، والوفاءُ بالذمم كرم ، وقد ناديتُ من نداه - دام علاه - سميعاً ، وسألتُ منه جواداً لأمرِ الجود مطيعاً ، واستمطرتُ من/ [١٨٢] جوده غماماً غيرَ جهام ، وهزرتُ منه حساماً غيرَ كهام ، ومن أفعده نكاية الأيام ، أقامته إغاثة الكرام .

#### ومن شعره

|                                    |                                     |
|------------------------------------|-------------------------------------|
| قد صار يختلق المحال وَيُطِيلُ      | من قال ليس على الثرى مَنْ يَكْمُلُ  |
| حكمتُ عليه معجزاتك أَنَّهُ         | مَتَحَلُّ فَمَا حَكِي مُتَقَوِّلُ   |
| لا زلتَ في كَنَفِ السَّعُودِ وظلها | أَبْدأُ تَحُلُّ بِحَيْثُ شئتَ وترحل |
| مثلَ الهلالِ يَسِيرُ في درجاته     | والشمس في أبراجها تتنقل             |
| أصبحتِ يا دارَ المظفر كعبةً        | للمجد يُلْتَمُ ركنها ويقبل          |
| فالشهبُ ليس يُغَمُّ مطلعها ولا     | جيدُ السماء من الغزالة يعطل         |
| يا صارمَ الملك الذي أَيَّامُهُ     | أَبْدأُ تَزانُ بِمَجده وتَجَمُّلُ   |
| صقلته أيدي المكرمات ولم تخل        | أن الصوارم بالمكّارم تصقل           |
| ملكٌ طفيلى السباح يضيفُ مَنْ       | لم يستضيف وينيلُ من لا يسأل         |
| مذ ورُخوا عهدَ المعالي باسمه       | ذهبَ التنازُعُ واستبانَ المشكل      |
| لو أَنَّ مطبوعاً يفارقُ طَبْعَهُ   | لحلا إذا شربَ الزلالَ الحنظل        |
| ولما رأينا النحلَ تقضمُ علقماً     | لهوائها فيعودُ وهو معسل             |

وهذا كقول المعري<sup>١</sup> :

والنخلُ يجني المرء من نورِ الرَبِّ<sup>٢</sup>      فيصيرُ شهداً في طريقِ رُضايهِ  
يشني الرجالُ على القَتيلِ . بسيفهِ      فكأنما يُجَيِّبُ به مَنْ يَقتلُ  
وإذا لظى الهيجاءُ لثَمَ وَجْهَهُ      أبصرتهُ تحت القنا يتظللُ  
حيثُ المغاويرُ الكماةُ قُميد من      نشواتٍ ما اعتصر الوشيحُ الذبلُ  
خمر ترى مُهَجَّ الرجالِ دنانها      لكتَّها بالسهمرية تبذل  
[وزعاق] ملح لا يسوغُ لشاربٍ      كدُرُ وأنت السلسيلُ السدل  
يا عادلاً في كلِّ ما هو فاعلُ      ما بال كَفَّكَ في اللها لا تغدُلُ  
أفنى تِلادَ يديك عِلْمُكَ أَنَّهُ      لا يُفْضَلُ الأَقوامُ من لا يُفْضِلُ

### القاضي جلال الدولة بن عمار<sup>٣</sup>

#### فصول من رسائله

مرحباً بطليعة السرور ، ومساعدو الدهور ، وبشير التُّجج والبركة في جميع  
الأُمور ، هذه صفةٌ تخصُّ كتاباً وردني من مولاي الأمير - أطال الله بقاءه ، وأدام  
تأييده ونعماءه - على بُعدِ عهدٍ بكتبه وأنبائه ، بمعانِدِ الزمانِ لي فيه ، إلى أن أحكمَ  
أسباب البعدِ بيني وبينه ، مع تقاربِ قلوبنا وامتزاجها في حالي القرب والبعد ، كما  
قال الباهلي :

وعاندني فيه ريبُ الزمانِ      كأنَّ الزمانَ له عاشق

١ من قصيدة له في جواب شاعر مدحه اسم محمد بن علي بن محمد أبو الخطاب الجيلي ؛ انظر شروح السقط : ٧٢٠ ، ص : يجني السور... الوري .

٢ هو القاضي جلال الدولة (أو جلال الملك) أبو الحسن علي بن عمار تولى أمر طرابلس بعد وفاة عمه القاضي أبي طالب ابن عمار سنة ٤٦٤ فضبط البلد أحسن ضبط ، ولما توفي المستنصر الفاطمي ( ٤٨٧ ) وانقسم الولاء بين نزار والمستعلي ، كان جلال الدولة في صفِّ نزار ، فلما استتب الأمر للمستعلي قتل القاضي جلال الدولة بن عمار ومن أعاناه ( ابن الأثير ١٠ : ٧١ ، ٢٣٨ )



وإني لأتذكرك وأتذكرُ أوقاتَ المسرةِ بقربك ، والأنسِ بالاجتماعِ بك ، كما  
يتذكرُ الشيخُ الهمُّ شبابهُ ، والعاشقُ المفارِقُ أحبابهُ ، وأرغبُ إلى الله في تسهيلِ أمرِ  
تجمّعنا كما نحبُّ ، وأدعوه ربي ﴿ عسى ألا أكونَ بدعاءِ ربي شقيّاً ﴾ ( مريم : ٤٨ )  
وما ذلك على الله بعزیز .

نعم سررتُ والله يا مولاي بكتابك وأنستُ بقراءته ، وأوجبتُ حقاً لحامله  
وهششتُ والله إليه ، كما قال قيس<sup>١</sup> :

إذا ذُكرتُ ليلي هَشِيبٌ لذكرها . كما هَشَّ للشدي الدُرورِ وليدُ

وفي فصل :

وأما ما ذكرته من التحركِ إلى جهتنا ، فهلُم ، قُربَ الله دارك ، وأدنى مزارك ،  
ورعى الله جواداً يملكك ، وطيبَ ريحاً تُوصلك ، وبارك الله في ليلٍ أونهاجٍ يفتُر عن  
لقائك ، ويبسمُ عن شهِيٍّ مشاهدتك .

وله من أخرى :

وإني كتابك مطوياً على نَزهِ<sup>٢</sup> تَقَسَّمُ الحسنِ بينَ السمعِ والبصرِ  
جزلُ المعاني رقيقُ اللفظِ مونقه كالماءِ يخرجُ ينبوعاً من الحجرِ

وصل كتابك يومَ عيدِ النحر فكان عيداً ثانياً ، وصادف أنسي واهياً ، فكان له  
مسنداً بانياً ، فارتحتُ له ارتياحَ الروضِ للمطر ، ولم أملَ بتكريرِ قراءته وهل تملُّ عينُ  
من النظر ، فكم من معنىٍ بديع ، ولفظٍ مُحْكَمٍ صنيع ، وبراعةٍ أتى بها [ قلمه ]  
شرعاً ، وبلاغةٍ جاشَ بها بحرُه طبعاً لا تطبعا ، « وليس بمنكرٍ سبقُ الجوادِ » ولا  
بمتدعٍ جودُ العهاد ، وأما النظمُ فنظمَ صفاتِ الإحسان ، واستدعى نوافجَ

١ لم يرد في ديوان قيس ( مجنون ليلي ) .

٢ ص ، وإفاني ... برة .

الاستحسان ، وأما النثر ، فأبهى من منشور الزهر ، وأعلى قدراً من الدرّ والجوهر ؛ ولقد هزّنتي إلى لقاء مولاي لواعج شوقٍ تالد ، وبواعثٍ وجدٍ خالد ، ودواعي أسفٍ متضرم ، لم يُخلّق البعدُ جديده ، ولا أذوى طولُ العهد عودُهُ ، ولا أنسى تقلّبُ الأحوالِ جهوده ، ولا نقضُ مرورِ الأيامِ مرائره ، ولا كدّرُ تكدّرُ العيش / [١٨٣] سرائره .

.....

## [المجيد بن أبي الشخباء العسقلاني]<sup>٢</sup>

.....

... الجاذبُ أشطائه ، وإثماً هو الآن يُرخي حتى يجذب ، ويجمعُ لكي يشبّ .

وله من أخرى :

المودّاتُ إذا كانت متينةً العقود ، صادقةً المشهود ، موضوعةً على أصلٍ عريق ، وأساسٍ وثيق ، لم تُجزَعْها<sup>٣</sup> الشبهةُ المُرِيضةُ ، ولم تُزلزلها الأباطيلُ<sup>٤</sup>

١ سقطت هنا - فيما أعتقد - صفحة - ضاعت بها بقية ترجمة جلال الدولة ابن عمار وأول ترجمة المجيد بن أبي الشخباء .

٢ هو الحسن بن محمد بن عبد الصمد بن أبي الشخباء أبو علي العسقلاني ( ياقوت ٩ : ١٥٢ ) والحسن بن عبد الصمد ( ابن خلكان ٢ : ٨٩ ) وقد أشار كلاهما إلى ترجمته في الذخيرة وأثبت ياقوت نقلاً عن ابن بسام أنه توفي سنة ٤٨٢ ( وقع خطأ في الطبعة المصرية من معجم الأدباء : ٤٣٢ ) وكان يلقب بالمجيد ذي الفضيلتين ويقال إن القاضي الفاضل استمد من رسائله ؛ وذكره العماد في الخريدة في العسقلانيين في القسم التابع لشعراء مصر الورقة : ١٤ ( نسخة باريس رقم : ٣٣٢٨ ) فقال : « مجيد كنعته ، قادر على ابتداع الكلام ونحته ، له الخطب البديعة ، والملح الصنيعة ، وكان قبل عصرنا في أيام الأتسيس سنة سبعين وأربعمائة » وذكر العماد أنه رأى ديوانه عند صديق له بدمشق ؛ وللمجيد مختارات من شعره في الخريدة وبمجموعة من رسائله وخطبه في الريجان والريهان وفي جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام ؛ وقال ياقوت إن أكثر رسائله إخوانيات وأورد جملة منها ؛ وجعل المقرئ في وفاته سنة ٤٨٦ ( انماط ٢ : ٣٢٨ )

٣ تجزّعها : تدخل عليها الجزع .

٤ ص : الأباطيل ؛ وجمع باطل عند سيبويه « أباطيل » ، وعند غيره أن أباطيل جمع أبطولة ؛ وقد تردّ « أباطيل » إلى « أباطل » الحاجة الشاعر ، ولا ضرورة لذلك هنا .

المعترضة ، وإن تناقلتها ألسُنٌ مختلفة ، وعلّتها برودٌ من اللفظ مُقوّفة ، ولما رأيتُ زيارةَ مولاي قد صارت مُرّقة ، وجَنوب<sup>١</sup> مُودّته قد عادت مُروّعة ، وصرتُ أرى قولهُ متناقضاً ، وماءَ البشرِ من وجهه غائضاً ، من بعد ما عهدتُهُ<sup>٢</sup> :

تنبي طلاقهُ وجههُ عن وجهه<sup>٣</sup> فتكاد تلقى النُجَحَ قبل لقائهِ  
وضياء وجهٍ لو تأملهُ امرؤ صادي الجوانح لارتوى من مائه  
لم أتجاسرُ على سؤاله عن العلّة خوفاً أن يعيبَ عليّ الارتيابُ بوده ، وتطرّقُ  
سوء الظنِّ على عهده ، فسألتُ من يعلمُ دفاينهُ ، ويخبّرُ ظاهره وباطنه ، فأخبرني أن  
بعضَ الناسِ - ولم يُسمِّه - نقلَ إليه عني ، فشنَّ الغارةَ على وفائه ، وزلزل أواخي  
ودّه وإخائه ، فقلت : عَتَبَ واللّه ولا ذَنْب ، وشكايةٌ ولا نكاية ، وأنا أحاكمُ مولاي  
إلى إنصافِهِ لا إسعافِهِ ، وعدلي لا فضلي ، وما كان أجدرهُ برفضِ قولِ الماحل<sup>٤</sup> ،  
وتغليبِ الحقِّ على الباطل ، ولا يرى نفسهُ بصورةٍ من تَسْتَخِفُّ حصاةهُ الريحُ  
الخافقة ، وتشعثُ من مودّته الأقوالُ الماذقة . ولو انتقضتُ عندي المعاهد ، وقامت  
عليّ - وأعوذُ باللّه - الشواهد ، لكان مولاي حريّاً أن يجري في كرم اللقائِ على  
العادة ، ويتأدّب بقول أبي عبادة<sup>٥</sup> :

أَبَيْتُ عَلَى الْخِلَانِ إِلَّا تَحْنِيّاً يَلِينُ لَهُمْ قَلْبِي<sup>٦</sup> وَيَصْفُو لَهُمْ شَرِبِي  
وَإِنِّي لِأَسْتَبْقِي الصَّدِيقَ إِذَا نَبَا عَلَيَّ وَأَهْنَا مِنْ خِلَائِقِهِ الْجُرْبِ<sup>٧</sup>

١ ص : وشيوب ؛ تقول العرب للثنين إذا كان متصافين ريحهما جنوب ، قال الشاعر :

لعمري لئن ريح المودة أصبحت شهلاً لقد بدلت وهي جنوب

٢ ورد البيتان التاليان في الحريدة : ١٥

٣ الحريدة : وده .

٤ ص : لاسعاف

٥ ص : القول الماحل ؛ والماحل : الساعي ، ومحل به : كاده بسعاية الى السلطان .

٦ هو البحرّي ؛ والبيتان في ديوانه : ١٠٥

٧ الديوان : عطفي .

٨ أهنا : مخفف من أهنا أي أطلي بالقطران .

والآن فقد أَوْضَعْتُ وَأَوْجَفْتُ ، وتَأَلَّفْتُ مولاي واستعطفْتُ ، فان عادتُ ظلالُ  
 وَهْ مديدة ، وحبالُ كَرَمِهِ مَحْصُوفَةٌ<sup>١</sup> جديدة ، فَحَسَنُ بتلك الشَّائِلِ ، أن تجمع شَمْلَ  
 الفضائل ؛ وإن تَمَادَى على هذه الهجرة ، ولم يَصْحُ من نَشَوَاتِ تلك السُّكْرَةِ ،  
 فما ذاك من ذَنْبٍ عَلَيَّ اجْتَرَمْتُهُ إِلَيْهِ فيجزيني به . حيثُ أَعْلَمُ  
 ولكنَّ إنساناً إذا ملَّ صاحباً وحاول صَرَمًا لم يَزَلْ يتجرَّم  
 والله جَلَّتْ قدرُهُ يجعلُ حفظ المودَّةِ عنده أوجبَ الحَقِّينَ ، وأنفعَ العِلْقَيْنِ ،  
 ويرفعُهُ عن السُّمَّةِ بنقضِ المرائرِ ، وحلِّيةِ الجائرِ الغادرِ .

وسافر بعضُ أخوانه فَشَغِلَ عن وداعه فكتب إليه : ما أَخْرَنِي عن خِدْمَةِ  
 مولاي بالوداع أُنِّي متأخِّرٌ في حَلْبَةِ ولائه ، ولا عَارٍ من ملابس إِيَّاهُ وآلِئِهِ ، ولوددتُ  
 لو صحبتُ رِكَابَهُ السَّعِيدَ إلى الصَّعِيدِ ، وقطعتُ معه عَرْضَ المِهْمِ البعيدِ ، وَزَوَّدْتُ  
 من مجاورته قلباً معموراً بَوَدِّهِ ، ومن مشاهدته طَرْفًا لا صَبْرَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ . وإنما حَجَزَنِي  
 أَمْرَانِ كُلُّ مِنْهُمَا يَهْدُ العَذْرَ وَيُسْطُهُ ، [ويمحو]<sup>٢</sup> الذَنْبَ وَيَحِيطُهُ ، وهوشغلي في إنشاء  
 التقليدِ [العَلِيَّ]<sup>٣</sup> وتحريره ، وفعل ما أَمَرْتُ بِهِ الحَضْرَةُ السَّامِيَّةُ وتقريره ، ثم خوفي أن  
 أرى مولاي وقد حلَّ انْطِلَاقُهُ ، وأَسْمَعُ [أن قد حان فراقه] ، وَتَعَقَّ غَرَابُ بَيْنِهِ فَقَضَّ  
 أَضْلَعًا ، وَأَفَاضَ نفوساً وأدمعاً ، فَضَعَفْتُ عن مشاهدَةِ ذلك المَقَامِ ، وقصرت [عن  
 تحمل ذلك] الداءِ العُقَامِ ، وظَلَلْتُ أَثْثِدُ ، والدموعُ هُمُوعُ ، والفؤادُ مُصَدَّعُ :

وأخْرَنِي<sup>٤</sup> يوم انْطِلَاقِكَ أن أرى على جِمراتِ البينِ [قلبي يُلْذَعُ]  
 فؤاد إذا قِيلَ الفِراقُ تساقطتْ خُفُوقاً أواخي صَبْرُهُ تَتَقَطَّعُ

١ ص : مقصوفة ؛ والجبل المحصوف أو المحصف هو المحكم القتل .

٢ بياض في ص .

٣ ما يرد بين معنيين حتى آخر القطعة سببه عدم ظهور الكلمات في أواخر الأسطر ، في هذه الصفحة .

٤ ص : وأخبرني ، ولعلها أن تقرأ أيضاً « وأخزني »

٥ صبره : قراءة تقديرية ، وصورة الكلمة في الأصل تشبه « هزة » .

وإني صليبُ العودِ في كلِّ حادثٍ ولكنَّ أعوادي [لنأيكَ خِرْوَع]

وإذا استنقذَ البينُ هذه النوبة ، وخفقتْ بمشيئةِ الله رياحُ الأوبة ،  
وهبتُ وجهي للشحوب ، وجسمي للنَّصَبِ واللغوب ، وهتمتُ ثنايا الأرضِ إيصاعاً  
وإرقالاً ، وجعلتُ مسافةَ اللقاءِ لمسافةَ الوداعِ أميالا ، وأطلتُ شكرَ الزمانِ على ما  
يجدُّه لي من مسرَّةٍ قد خلَّعتُ بردها ، واستطلتُ عهدَها ، وأنشدتُ :

طربتُ وقد جاءَ البشيرُ بقرْبكم وذو الشوقِ عندَ أسمِ الحبيبِ طروبُ  
وقمتُ إليه راشفاً من ترابه ثرىً لك يجلو رَشْفُهُ ويطيب  
وما يَبْعُدُ ذلكَ في قدرةِ الله الذي يُخْرِجُ من الشجرِ الأخضرِ جذوةَ نار ، ويهبُ  
القمرَ كما لا بعدَ نقصٍ وسرار .

وله من أخرى/[١٨٤] يعاتبُ بعضَ القواد :

رأيتُ فلاناً<sup>٢</sup> عندَ نظرتِه لي بالأَمْسِ قد قَطَبَ حاجبَهُ ، وزعزَعَ مناكبَهُ ، وأوسعَ  
الغلامَ من [.. ..] ذيلَ كمه ؛ فقلتُ : ماله ؟ أنزِلَ إليه وحيً ، أم عُصِبَ به أمرُ  
ونهي ، أم حصلَ من الخلافةِ على وَعْد ، أم أنسى له الأجلُ مُدَّةَ العهد ، أم قلَّ  
عَقْلُهُ فعقَّ نفسه وظلمها ، وجهلَ مقاديرَ الأشياءِ وقيمها ، واعتقدَ أنَّ الدنيا طَوْعُ  
حكمه ، والقطرُ صائبُ فهمه ، أم رأى الملائكةَ المقرَّبينَ تتشَفَّعُ به ، والخورَ العينِ  
تشكولاً عَجَّ حَبَهُ ، وثارَ الجنةِ تدلتُ إلى يده ، ونارَ جهنمِ تَقْتَبِسُ من زنده ، والكوثرُ  
يبدُ من معينه ، والسمواتِ مطوياتٍ بيمينه ، والبراقُ قد أمْطِي لحضرته ، والفرقُ  
[...] قوَّته ، فأجبتُ بأنَّ شيطانَ ظنِّي مارد ، وتصوِّري فيه - أعزه الله - فاسد ، ولا  
حقيقةَ لشيءٍ مما توهمته ، وسددته من القولِ وأقمته ، فقلتُ : إذا لم يكن ذاك فما

١ الشق الأيمن من هذه الصفحة أكثره مطموس ، ولذلك تعذرت قراءة بعض العبارات ، كما أن بعض القراءات المثبتة  
مما لا أقطع بصحته .

٢ ص : فلان .

ذلك ؟ قيل : سَفَهُ في الرأي وَأَفَن ، وتغيَّر في الطينة وَعَفَن ، ظن أن الأحرارَ مِلْكُ عَهْدَتِهِ ، والعالمَ مجموعٌ في بُرْدَتِهِ ، فحين سمعتُ ذلك أَخَذْتَنِي لمولاي الحميمةُ ، وهزَّت رأسي الأريحيةُ وقلتُ : معاذَ الله ، إنَّ دونه في الحِصَاةِ<sup>١</sup> والكيسِ بطليموسُ ، وفي الحكمةِ ارسطاليس<sup>٢</sup> ، وإن الحكمةَ تُسْتَنْجَحُ من ظنِّه ، والغيتَ يرشعُ من شَنِّه ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه﴾ [البقرة : ٢٥٥] وإنه بحمدِ الله كما قيل :

خِرْقُ إذا أَفْضَى السَّاطُ به كَثُرَ العِثَارُ وطَبَّقَ الزَّلُّ  
وإذا السَّرِيرُ سَمَا بَقَعْدَتِهِ غَرِيَتْ بظَاهِرِ كَفِهِ القُبْلُ

فهنالك سكنتِ الألسنُ الهادرة ، ووقفتِ المَرَادَةُ<sup>٣</sup> الغادرة ، وعاد مَنْ حَضَرَ يُثْنِي على مولاي ويقرُّظُهُ ، ويحملُ من شكره ما يؤوده ويبهظه<sup>٤</sup> ، فإن كانت هذه الوكالةُ واقعةً منه بالوفاق ، فيجعلُ ثوابي عليها انحلالَ العقدةِ من جبينه ، وزوالَ التَّارِضِ من جفونه ، وخفضَ الإصبعِ من سلامه ، وتركَ النزوةَ على غلامه<sup>٥</sup> .

وله من أخرى في مثله :

أرى<sup>٦</sup> سلامَ سيدي قد تقاصرَ طويلُهُ ، وروضَ جَوْوٍ قد زاد ذبولُهُ ، وماءَ بشرِهِ  
قد غاضتْ بحورُهُ ، ونشاطَ لقائه قد استمرَّ فتوره ، وما عهدتُهُ - أعزَّه الله - تزدهيه  
الشبهةُ وتستخفُّهُ ، وتصدُّهُ عن كَرَمِ العهدِ وتكفُّهُ ، وينزلُ الميْنُ من سمعيهِ بالمكانِ  
المهيِّبِ ، ومن قلبه بالقابلِ المستجيبِ ، بل هو يَرْحُبُ إذا حَرَجَ المضيقِ ، ويرطبُ وقد  
عَصَبَ الرِّيقِ ، وتَمُرُّ به المُحْفِظَاتُ وهو راضٍ ، وتوقُظُهُ المغايِظُ وهو متغاضٍ .

١ الحِصَاةُ : العقل والرزاة .

٢ ص : ارطاليس

٣ ص : المَوَادَّةُ : والمرادة : العتو والتنرد .

٤ ص : وينهضه

٥ ص : أعلامه .

٦ ص : أي

إذا أمرته مرةً من حفاظه بسوءٍ نهاهُ خُلُقُهُ الباردُ العذبُ  
فما الذي أعاد فَلَقَهُ غاسقاً ، وصريحهُ ماذقاً ، فان يكُ عن مللٍ فؤادهُ ،  
وتشعبٍ ودادهُ :

فكم أخِرَ غيرهَ يومِي السَّـمَقْلُ عن أَمْسِي بهِ الذاهِبِ  
ملٌ فلم يعطفْ لِحَبِّ الصبا السَّـحانِي ولا حقَّ العِلا الواجبِ

واستقرَّت الوزارةُ لبعضِ أصحابه ثم توقف الأمرُ بعدُ فيها فكتبَ إليه :  
الحِيرةُ - أطال الله بقاءَ سيدنا - تجيءُ من غيرِ الأمرِ المختارِ ، [هي] مَجْبُوءَةٌ تحتِ  
أستارِ الأقدارِ ، فكم سببٍ اجتمعتُ فيه شوارِدُ الآمالِ ، ولبسَ ظاهِرُهُ مسحةً من  
الجمالِ ، كان المكرُ منظوماً في تاجه ، منظوياً في أثنائه وأدراجِه ، وآخرَ ظهَرٍ للناسِ  
بلونِ شاحبٍ ، ووجهٍ قاطِبٍ ، كان ضامناً لا بتسامِ الزمنِ ، وكافلاً بالأجلِ  
الأحْسَنِ ، وبهذا أدبُ تعالى عباده ، وقال في الكتابِ المكنون ﴿ وعسى أن تَكْرَهُوا  
شيئاً وهو خيرٌ لكم ، وعسى أن تُحِبُّوا شيئاً وهو شرٌّ لكم واللهُ يعلمُ وأنتم لا تعلمون ﴾  
( البقرة : ٢١٦ ) فلمح أبو عبادة هذا الأسلوبَ فقال في معناه ٢ :

والشيءُ مُنْعَهُ يكونُ بفوتِهِ ٣ أحظى ٤ من الشيء الذي تُعْطَاهُ  
وإذا تُصْفُحَتِ الأمورُ بعينِ البصيرةِ ، ونُظِرَتِ بالخواطرِ المستنيرةِ ، ونُفِذَتِ  
بالألبابِ الصِّيرْفِيَّةِ لا الواقِفيَّةِ ، عُلِمَ أنَّ هذه الرتبةَ زليقةُ الصراطِ ، سريعةُ  
الانحطاطِ ، يعلو الإنسانُ صهوتها ثم هو بعدُ راجلٌ ، ويتحلَّى بها وقتاً ثم هو مَسْلُوبٌ

١ ص : ملكه .

٢ ديوان البحري : ٢٤٠٣ وقبل البيت .

لهفأً وليس العيش ما تنسأه  
فما أرت لرجوت ما أخشاه

والعيش ما فارقه فذكرته  
ولو أنني أعطيت التجارب حقها

٣ ص : يمنعه يكون بقربه ، والتصويب عن الديوان .

٤ الديوان : أجدى .

عاطل ، وما لم يُوسَمَ بها فالخططُ تعتقبُهُ ، والمنازل ترتقبه ؛ أجل ، وهذه الدرجة كلها  
 خبرت الأقيام ، وقادت الأيام <sup>١</sup> ، غاضَ معينها ، وزاد حنينها ، فمنها الكمذ ، ومن  
 سيدنا الصيّد ، ومنها الكلفُ ، ومنه / [١٨٥] التيه والصلف ، حتى إذا نغلَ الأديم ،  
 ورُعِيَ الهشيم <sup>٢</sup> ، وتشاقت <sup>٣</sup> الخططُ ، وجار الحكمُ وقسطُ ، دُعِيَ سيدنا لشغبِ  
 المنصدع ، ووصلَ المنقطع ، وإيجاد الممتنع ، فهناك يقومُ بالأمر ، ويسهل الحزنُ  
 والوعر :

مُباركُ تطردُ اللاواءَ رؤيته طردَ الظلامَ فرندَ البلجةِ الواري<sup>٥</sup>  
 وزيرُ ملكٍ خلّت <sup>٦</sup> في عدلِ سيرته صحيفةُ الملكِ من إثمٍ وأوزار  
 يذبُ عنه وقد ريعت جوانبه برأيه المكتسي أو سيفه العاري  
 وكان يوماً المجيدُ بمجلسِ الأُنسِ ، ودَعَوْا بعضَ أصحابِ القلانس فلم يحضرُ  
 لأجلِ الغناءِ فكتب إليه : عجبتُ لمولاي كيف أسندَ في التخلّفِ إلى عذرِ هلْهال ،  
 وسلكَ طريقاً صعبةَ المجال ، وجعل المانعَ له من الحضورِ أمراً يقوي على الهموم ،  
 ويقوّتُ النفوسَ فكيف الجسوم ، ويمتزجُ بالقلبِ امتزاجُ تاموره ، ويُطْلِقُ شكائهم  
 بهجتهِ وسروره ، فان يكُ ذلكَ لدينٍ وثيق ، وخُلِقَ بالتقوى خليق ، فما بلغ مولاي  
 من حفظِ الشريعةِ إلى هذه الرتبة ، ولا وُضِعَ قِدرُهُ بعدُ على هذه الهضبة <sup>٧</sup> . وإنما هو

١ ص : الأنام .

٢ نغل الأديم : فسد الجلد ؛ ورعي الهشيم : مثل على اللجوء إلى غير ذي الكفاية لعدم وجود من هو كفؤ ، كما قال الشاعر :

ولكن البلاد اذا اقسعرت وصوّح نبتها رعي الهشيم

٣ ص : وساشت .

٤ ص : منازل .

٥ فيه قلب ، اذ حقه أن يكون طرد فرند البلجة الواري للظلام .

٦ ص : جلّت .

٧ كناية عن أنه لم يصبح بعد مشهوراً .



الآن يُحْكِمُ أَمْرًا ، ويصيد بها إذا تعَقَلَ عمراً<sup>١</sup> . وإن كان لخوفٍ<sup>٢</sup> من  
ثَقِيل ، وحذرٍ من غلول ، فما كان هناك إِلَّا مَنْ يَفْرُقُ السُّورَةَ<sup>٣</sup> ، ويستُرُّ العَوْرَةَ ،  
فإن حضر طُويَ هذا البساط ، وتوفَّرت للمسرة أقساط ، وإن تفادم وتغاتم ذلك<sup>٤</sup> عليه  
شرحُ أمورٍ قديمة ، وظهورُ أنباء مكتومة ، وجاءنا من حديثِ البستانِ الحيريِّ ما  
يَغُضُّ من الطيالسِ والقلانس ، ويُنْسِي يومَ الغبراء وداحس .

وله من أخرى في مثله :

لما هجر مولاي مجالسنا في الجامع وأوحَشَها<sup>٥</sup> ، وأطالَ إليه ظمًا النفوس  
وعَطَشَها ، وأخلى مكانَهُ من طلعتهِ التي تُطْلِعُ علينا من السرورِ ما غريب ، وتؤنسنا  
بغرائب الأتسِ والطَّرب ، وتصرفَ فكري في ما اقتضى ذلك فلم أعثرُ على أمرٍ  
عاذر ، ولا ظفرتُ بسببٍ ناصر ، ذهب وهمي إلى أنه استحدث ودوداً ، واستطرفَ  
[خِلاً] جديداً ، فتَرَكَ هذا الأنامَ حتى ينقَعُ أوامُهُ ، ويبردَ غرامه ، وحين تَوَتَ هذه  
الظنَّةُ في نفسي أنفَذْتُ فلاناً لاستيضاح الخبر ، فحكى أنه الفى مولاي في الطبقة  
الدهيشية<sup>(٩)</sup> فدَهِشَ لما رآه من مجلسٍ حسنٍ ، ومقامٍ صبورٍ وفَتَنٍ ، وأمورٍ بديعة ،  
وأحوالٍ وسيعة ، وفاكهةٍ لا مقطوعةٍ ولا ممنوعة ، وطبِيبٍ قد كَحَلَ بالسَّحْرِ لَحَظَاتِهِ ،  
وأطلقَ العقاربَ على وَجَنَاتِهِ ، ونظمَ السلوكَ في ثغره ، وأنبَتَ ثَمَرَ الصَّبَا في صدره ،  
يدير على مولاي كأساً :

إذا أَخَذَتْ أَطْرَافُهُ من بحورها رأيتَ اللجَيْنَ بالمدام يُدْهَبُ

١ ص : إذا لفعل ؛ ولعلّ معناه : إنه يدير خطةً لئيل منزلةً يصبح بها عمرو رغم دهائه دونه . ولفظة « يصيد » قد تقرأ  
« يصير » ، رغم وضوح الدال في الأصل .

٢ ص : للخوف .

٣ يعني يتجنب سورة السكر ، أي لا يعربد ؛ وفي ص : لهدف السرة .

٤ ص : أن تعادم وتغاتم وذلك ؛ والتفادم : التظاهر بالدماة ، والتغاتم : التظاهر بالفتمة أي العجمة .

٥ ص : وأوحشنا .

٦ ص : هذه الأيام .

كَأَنَّ بِخَدْيِهِ الَّذِي جَاءَ حَامِلًا      بِكَفِّهِ مِنْ نَاجُودِهَا [بَات] يُقْطَبُ

فطفقت متعجباً لما وصفه المخبر ، وحمدت [الله على صِدْقِ الحسِّ والتقدير ،  
وعذرت مولاي في التخلف عن الجامع ، واستيفاء التَّهْلَةِ من هذه المشارع ، وأوسعتُه  
ملاماً على التفرد بهذه الحسنة ، والفاحشة المتبينة ، دون الشيخ أبي الحسن ، الذي  
ينحاز في فعله الحسن ، ويضلُّ في أدنى ذلك السَّتنِ ، اللهم إلا أن يكونَ خاف أن  
يجري هذا الصديقُ على طاعةٍ شيطانيةٍ ، والبذاءِ على إخوانه ، والتدحرجِ عن  
موضعه ومكانه ، ليتأبطَ في الليلِ شراً ، ويسيرَ إلى حيث تسكنُ الغزلانُ سراً ، وقد  
قرت أعضاؤُهُم نوماً وسُكراً ؛ ومع هذا فأوثرُ من مولاي أن يُقبلَ على شأنِهِ ، ويخفضَ  
قليلاً من عِنانِهِ ، فإنَّ الجاهَ صدَّعُهُ لا يُجْبِرُ ، والملقي بيده إلى التهلكة لا يُعْذرُ ، وقد  
شبهنا عن هذه الحال ، فيحسنُ المتأب ، ويسمحُ بردُ الجوابِ .

وله من أخرى :

لو رآني مولاي وقد أُرْشِفْتُ الخمرة فوجدتها مرارةً تُذَمُّ ولا تُحْمَدُ ، وتشيرُ كامنَ  
الحزن والكَمَدِ ، وتصفحتُ الندامَ فعدمتُ منهم أنساً عن الناظر دونَ الحاطر ، وعدمِ  
تلك المحامد والمآثر . فأما الماءُ فالله يعلمُ أني اتجرَّعته ولا أكادُ أسيغُهُ شوقاً إلى تلك  
الخلال التي هي أنقى منه أديماً ، وأرقُّ نسيماً ، وأمسكُ للنفوسِ رَمَقاً ، وأكثرُ لذوي<sup>٢</sup>  
الحاجات تدفقاً :

خلائقُ : إِمَّا ماءُ كرمٍ<sup>٣</sup> ترقِرقا      أَغَادِي بِهِ أَوْ ماءُ مُزْنٍ تصفِّقا  
كَأَنَّ الصُّبَا جَرَّتْ عَلَيْهِ ذُبُوبُهَا      أَصِيلاً وَفَارَّ الْمَسْكُ عَنْهَا تَفْتَقَا

١ ص : نقل شيئاً من هذه الحال .. ويسمح برب الحراب .

٢ ص : ذوي .

٣ ص : إما ماؤكم .

٤ ص : موت .

وأما ارتياحي إلى الموالي السادة - حَسَّ الله مُدَدَّهم ، وكَثُرَ بساحة المكارم  
عَدَدَهُم - فارتياحٌ مَنْ رَحَلَ وتركَ قَلْبُهُ عندهم ، وإني وإياهم ليكما قال [الأول<sup>١</sup>] :  
لَمْ أَلْقَ بعدهمُ قوماً فأخبرهم إلاَّ يزيدهمُ حباً إليَّ همُ  
وعلى القاضي السيد منهم السلام [١٨٦] خصوصاً ، لا تبي أعلمُ عن صورة  
حاله في هذا الشهر ، واحتباس يده عن كأسٍ يجلبها ، وفمه عن قبلةٍ يَسْلُبُها ،  
وقَدَمِهِ من الحانة الخمرية ، وزيارة الغيد الحورية ، فاذا حُلَّتْ بمشيئة الله أنشوطَةُ هذا  
العِقال ، وأطلعَ الله سبحانه عليه هلالَ شوال ، فأَنَسَ وَسْطَ القوم ، وأخذَ بثأره من  
أيام الصوم ، فليذكرْ هناك صديقاً لم يَنْسَهُ وقد ضربَ البينَ رواقَهُ ، وأطالَ الفراقُ  
اعتياقه . وأوَمِّل من الله تعالى أن يسهِّلَ من قُرْبِ الدار ما يُعيدُ سِلْكَ المسَرَّةِ  
منظوماً ، والشملَ بحضرته السامية ملموماً ، فهي الحضرة : تهبُّ منها رياحُ العلاء ،  
وتحطُّ بها حقائبُ المدح والثناء ، وتُبدِعُ في إسداءِ المِنْعِ والآلاء .

والبيت الذي أنشده لزياد بن منقذ الحنظلي أخي المزار العدوي .  
قال ابن بسام<sup>٢</sup> : وأراه أوَّلَ من استثار معناه ، ومنه قول الآخر مما أنشده

١ سيذكر ابن بسام في مايلي أن قائل هذا البيت هو زياد بن منقذ الحنظلي أخو المزار العدوي ؛ ونسبه البغدادي في  
الجزاة ( ٢ : ٣٩٤ ) إلى المزار نفسه ، وروايته :

وما أصحاب من قوم فاذا كرههم  
ولا يزيدهم حباً إليَّ هم  
وزعم الحصري أن المزار هو نفسه زياد بن منقذ ، ونقل ذلك البغدادي عنه ( ٢ : ٣٩٥ ) ، وجاء في بعض أصول زهر  
الآداب أنه أخو المزار ، حسبما ذكر ابن بسام ، وروى البيت كما جاء في الذخيرة ( انظر زهر الآداب : ١٠٦٤ ) قال  
البغدادي ( ٢ : ٣٩٦ ) وزعم أبو تمام في الحماسة أن القصيدة التي منها البيت لزياد بن حمل بن سعيد بن عميرة  
( الحماسة رقم : ٥٧٧ ) وزعم الأصفهاني في الأغاني ( ١٠ : ٣٣٠ ) . والخالديان في شرح ديوان مسلم ابن الوليد  
أن هذه القصيدة للمزار بن سعيد الفقعسي ، والصواب أنها لزياد بن منقذ العدوي ، قاله ياقوت في معجم البلدان  
( مادة : صنعاء ) قلت : ما ذكره عن الحماسة ثابت عند التبريزي ، وفي شرح المروزقي : قال زياد بن حمل ،  
وقيل زياد بن منقذ ، وكذلك هو عند البكري ، في شرح الأمالي : ٧٠ ، وانظر العيني : ٢٥٧ وشرح شواهد  
المغني : ٤٩ وحاشية البكري : ٧٠ ؛ وكان من مناسبة القصيدة أن زياد بن منقذ رحل إلى صنعاء فلم يحمدها ،  
فقال ذلك الشعر يذمها ويتشوق إلى وطنه .

٢ يعتمد ابن بسام في أكثر هذا التعليق على زهر الآداب : ١٠٦٤ - ١٠٦٥ .

حبيب في حماسته ، ويزعم دعبل أن هذا الشعر له <sup>١</sup> :

ولما أبى إلا جماحاً فؤاده ولم يسأل عن ليلى بمالٍ ولا أهلٍ  
تسلى بأخرى غيرها فاذا التي تسلى بها تغري بليلى ولا تسلى  
وكان <sup>٢</sup> ابن عرارة <sup>٣</sup> السعدي مع سلم بن زياد بخراسان ، وكان له مكرماً ،  
فتركه وصحب غيره فلم يحمذ أمره ، فرجع إليه وقال <sup>٤</sup> :

عتبتُ على سلمٍ فلما فقدته وجربتُ أقواماً بكيتُ على سلمٍ  
رجعتُ إليه بعد تجريب غيره فكان كبيراً بعد طولٍ من السقم  
وأنشد المبرد <sup>٥</sup> :

أخ لي عاداه الزمان فأصبحتُ مذممةً فيما لديه المطالبُ  
متى ما تُدَوِّقهُ التجاربُ صاحباً من الناسِ تَرُدُّهُ إليك التجاربُ  
وأنشد أيضاً <sup>٦</sup> :

حياة أبي العباس <sup>٧</sup> زين لقمومٍ لكل امرئٍ قاسى الأمور وجرباً  
ونعتبُ أحياناً عليه ولو مضى لكننا على الباقي من الناسِ أعتبا

١ المحاسنة رقم : ٤٩٧ ( ١٢٩٢ ) في شرح المروزي ؛ وشرح المصنوع : ٢٤٩ والزهرة : ٣٤ وأما القالي ١ : ٢١٠  
والمحاسة البصرية : ٢ : ١٧٣ وديوان ابن النعمان : ٩٤ والآل في شرح الأمالي : ٥٠٢ ( للحسين بن مطير )  
وديوان دعبل ( تحقيق الأشر ) : ٣١٩ وديوان الحسين بن مطير ( جمع محسن غياض ) : ٧٠ وفي المصدرين  
الاخيرين تخريجات أخرى .

٢ القتل عن زهر الآداب : ١٠٦٤

٣ زهر الآداب : ابن أبي عرادة .

٤ هما في زهر الآداب ، والأول منهما في عيون الأخبار : ٤ ؛ لنهار بن تومعة ، واعتاب الكتاب ، ١٧١ ( دون نسبة )  
والمستطرف ١ : ٢٢٣ لابن عرارة ؛ وبهجة المجالس ١ : ٦٥٧ ( دون نسبة )

٥ زهر الآداب : ١٠٦٥ ونسبه للبحري ، ولم أجده في ديوانه .

٦ زهر الآداب : ١٠٦٥ والكامل ٤ : ١٢٦ والثاني في عيون الاخبار ٤ : ٤ والمقد ٣ : ٤٥٥ وبهجة المجالس : ٦٥٧

٧ الكامل : أبي العوام .

وقال مسلم بن الوليد<sup>١</sup> :

حيأتكَ يا ابن سعدانِ بن يحيى حياةً للمكارمِ والمعالي  
جلبتُ لك الثناءَ فكان عفواً ونفسُ الشكرِ مُطْلَقُهُ الْعُقَالِ  
ويُرجعني إليك وإن تناءت<sup>٢</sup> ديارِي عنكَ تجربةُ الرجالِ

ويتطرّفُ هذا المعنى أيضاً قولُ ابنِ الرقاع<sup>٣</sup> :

وإذا نظرتُ إلى أميري زادني كلفاً به نظري إلى الأُمراءِ

ومنه قول الرضي<sup>٤</sup> :

ما ساعدتني الليالي بعدَ بينكمْ إلا ذكرتُ ليالينا بذي سَلَمٍ  
ولا استجدّ فؤادي في الزمانِ هوى إلا ذكرت هوى أيامنا - القُدُمِ

ومن أخرى له عن الوزير الناصري<sup>٥</sup> إلى بعض القبائل : معلومٌ أنَّ الله تعالى قد يَأْذَنُ لِلنَّعَمِ إذا خُصَّتْ بالشكرِ أن تستدني البعيدَ القصي ، وتستأنسَ النافرَ الوحشي ، وإذا قُرِئَتْ بالكُفْرانِ يرحلُ منها القاطنُ ، وتستوحشُ المعاطنُ ؛ ووصل إليّ ما كان منكم من الانحرافِ عن الحضرةِ السامية والتظاهرِ بالخلافِ عليها ، فتحقّقْتُ أنَّ الشيطانَ قد أعملَ فيكمْ كَيْدَهُ ، واستنفذَ في إضلالكم قُوَّتَهُ وَأَيْدَهُ ، وأَوْضَعَ بكم في مراعي وَبِيَّةٍ ، ودبَّ إليكم من طريقٍ خَفِيَّةٍ ، فزَيَّنْ لَكُمْ غيرَ الحَسَنِ ، وأوطأكمُ الجانِبَ الأَخْشَنَ ، ووسمكم في أحياءِ العربِ بإخفار الذَّمِّ ،

١ زهر الآداب : ١٠٦٤ - ١٠٦٥ والكمال ٤ : ١٢٦ ديوان مسلم : ٣٣٦ والثالث في المستطرف ١ : ٢٣٣

٢ الكامل وزهر الآداب : وإن نأت بي

٣ البيت في الشعر والشعراء : ٥١٧ وقام المتن ، ٣٣٩ - ٣٤٠ وقد أورده ابن بسام في القسم الثاني من الذخيرة : ١١٦

٤ ديوان الرضي ٢ : ٢٧٥ وقد ذكر ابن بسام أبياتاً من هذه القصيدة ١ : ٢٣٦٥ ، ١٤٠ ، ٢٧٩

٥ الديوان : ما ساعفتني ... بينهم إلا بكيت

٦ لم يتوجه لي على وجه الدقة من هو الوزير الناصري ، وما يزيد الأمر تعقيداً أنه يذكر « اللواء الحمداني » في هذه الرسالة ، ولعله ناصر الدولة الحمداني الذي استولى على أكثر أمور مصر أيام المستنصر ، وقتل سنة ٤٦٥ .

وَكُفْرَانِ النَّعْمِ . وَأَقُولُ مَا يَجِبُ أَنْ يَفْهَمَ : أَلَمْ تَصِلُوا إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ فَتَعْرِفُوا بِهَا الْعَيْشَ الْوَحْشِيَّ ، وَتَحُلُّوا فِيهَا مَحَلَّ الْغَرِيبِ الْأَجْنَبِيِّ ، وَتَعِيشُوا عَيْشَ الْغُرَثَانِ الْخَمِيصِ ، وَتَخْطَفَكُمُ الْعَرَبُ تَخْطَفَ الْأَجْدَلُ لِلْقَنِيصِ ، فَجَمَعْتَ الْحَضْرَةَ شَتَيْتَكُمْ ، وَوَصَلْتَ مَبْتُوتَكُمْ ، فَلَيْتَ شِغْرِي مَا الَّذِي سَوَّلَتْهُ لَكُمْ أَوْهَامُكُمْ ، وَحَدَّثَتْكُمْ بِهِ أَحْلَامُكُمْ ؟! وَايْمُ اللَّهِ لَئِنْ انْقَلَبْتُمْ عَلَى الْجَنَابِ النَّاصِرِيِّ ، وَانْحَرَفْتُمْ عَنِ اللِّوَاءِ الْحِمْدَانِيِّ ، لِتَصِيحُنَّ أَكْلَةً لِلْعَرَبِ ، يَحْطُونُ أَعْلَامَكُمْ ، وَيُزْلِزِلُونَ أَقْدَامَكُمْ ، وَيَحْمُونَكُمْ وَرَوَدَ الْمَاءِ الْمَبَاحِ ، وَيَمْنَعُونَكُمْ حَلَاوَةَ النَّعْمِ الْمَرَّاحِ ، فَرَاغِعُوا حُلُومَكُمْ الْعَازِبَةَ ، وَتَجَافُوا عَنْ ذُنُوبِكُمُ اللَّازِبَةَ ، وَارْجِعُوا إِلَى مَنْ أَمَتَدَّ عَلَيْكُمْ ظِلُّهُ وَالزَّمَنُ هَجِيرٌ ، وَصَفَا لَكُمْ وَرْدُهُ وَالْعَيْشُ كَدِيرٌ ، فَلَوْ قَدْ فَارَقْتُمْ جَنَابَهُ الْفَسِيحَ لَتَفَرَقْتُمْ فِي الْأَرْضِ شَيْعَاءً ، وَنَبَتْ بِكُمْ مَقَرًّا وَمَضْجَعًا ، وَعَثَرْتُمْ عَثْرَةً لَا يَقَالُ لَهَا [لَعَا] . وَقَدْ قَلْتُ وَنَصَحْتُ ، وَبَيَّنْتُ وَأَوْضَحْتُ ، وَسَلَكْتُ مَسْلَكَ الْحَدِيبِ الشَّفِيقِ ، وَبَقِيَ أَنْ يَنْحَ اللَّهُ حُسْنَ التَّوْفِيقِ .

ومن أخرى :

مَا أَعْتَمَدُهُ سَيِّدُنَا بِالْأَمْسِ مَعَ عَبْدِهِ مِنَ الْإِكْرَامِ خَارِقٌ لِلْقَضِيَّةِ الْعَادِلَةِ<sup>١</sup> ، وَمَحْسُوبٌ فِي الْأَوْضَاعِ الْحَائِلَةِ ، وَذَلِكَ أَنْ كَانَ مِمَّا [لَا] يَرْفَعُ الصِّيتَ وَيُبْعِدُهُ ، وَيُعْلِي الْجَدَّ وَيُسْعِدُهُ ، وَيُشْجِي الْحَاسِدَ وَيُغِصُّهُ ، وَيَهْيِضُ جَنَاحَ الْعَدُوِّ/ [١٨٧] وَيَقْصُهُ ، فَانِ الرِّضَى بِهِ [يَعِد] أَفْصَحًا بِالْفَهْمِ الْقَلِيلِ<sup>٢</sup> ، وَنَكُوبًا عَنْ مَحَجَّةِ التَّحْصِيلِ ، وَمَا إِخَالُ سَيِّدُنَا يَرْضَى لِعَبْدِهِ بِالذُّخُولِ فِي هَذَا الْحَيِزِ ، وَالخُرُوجِ عَنْ سِمَةِ الْمُحَقِّقِ الْمُمَيِّزِ ، وَلَيْسَ يَجِبُ - وَإِنْ اشتهر بِالْعِلْمِ شَعْفُهُ ، وَزَادَ [عَلَى] ذَوِي الْأَدَابِ حُنُوهُ وَتَعَطُّفُهُ - أَنْ يَشِيْمَ لَهُمْ حَدَّهُ ، وَيَهْضُمَ عِلَاهُ وَجْهَهُ ، فَانِ اسْتِهَامُ بِحَبِّ الْمَآثِرِ

١ ص : وتصاموا عن ذنوبكم الكاذبة وراجعوا .

١ ص : فتقدموا

٢ ص : أفصاحا بالعيم اللليل .

٣ ص : العادية .

٥ ص : وجهه .

والمساعي ، وقويت منه في إكرام أوليائه الدواعي ، وأنشد عند قراءة هذا الفصل :

\* لقد جكت الملام لغير داع<sup>١</sup> \*

ثم تجاوزت همته النهج البعيد ، وفرع ذؤابة الطود المشيد ، واستحسن قول الوليد<sup>٢</sup> :

يُنْزِلُ أَهْلَ الآدَابِ مَنْزِلَةً الـ أَكْفَاءِ إِنْ نَاهَزُوهُ<sup>٣</sup> فِي أَدَبِهِ  
لَمْ يُزَيِّهِ عَنْهُمْ وَهُمْ سُوقُ فِي الْعَيْنِ وَطءُ الْمُلُوكِ فِي عَقْبِهِ  
فعبده يسأل أن يختصر عليه في الاكرام ، ويقف به دون ذلك المقام ، فاللمحة في  
البدْرِ تضيء السبيل ، والقطرة من الماء تبرّد الغليل .

ومن أخرى :

معلوم أن الزمان قد عادانا بعجابه<sup>٤</sup> ، ونهشنا بأنيابه ، وأدار علينا من صرُوف  
أحداثه كزوساً ، وجعل كل غريب لنا أنيساً ، ولما خرج عن حُكم العادة ، وسلكت  
في مولاي غير الجادة ، وأودعه عوارف يضيق عنها باع الكتاب ، وقذف إليه أقاصي  
خطوب الخطاب ، علمنا أنه قد أصاب رُشدَه ، وأوجب حمده ، وأطلع شمس النهار  
من مشرقها ، ووضع تاج الرياسة على مفرقها .

ومن أخرى :

خلّد الله أيام الحضرة الأفضلية<sup>٥</sup> ، ما فضلت الأسماء حروفاً ، وتقدّمت واو

١ ص : واع .

٢ ديوان البحري : ٢٤٣

٣ الديوان : شاركوه .

٤ ص : بعجابه

٥ يعني بالحضرة الأفضلية : الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجهمالي ، تولى الوزارة حين مرض والده سنة ٨٧ هـ زمن  
الامام المستنصر ، وظل على الوزارة في أيام المستعلي ثم الأمر إلى أن اغتيل سنة ٥٦٥ هـ ( الإشارة الى من نال  
الوزارة : ٥٧ - ٦٤ وابن خلدون ٤ : ٧٠ ) فان كان ابن أبي الشخباء قد توفي سنة ٤٨٦ هـ فهذه الرسالة مما أنشأه في  
الأفضل قبيل توليه الوزارة ، يهنيه بابلاله من مرض .

العطف معطوفاً ، ولزمت الأفعال اشتقاقاً وتصريفاً :

يُلَفَى عليها الحمدُ موقوفاً وفي عَرَصاتها سُئِمَ الملوكُ وقوفاً  
وتعيد سطوتها ساءَ عداتها كِسَفاً وبدَرَ سُعودِهِمْ مكسوفاً

ولَجَّ سمعَ العبد في هذه الساعة نَبأً جمَعَ عن أقبايعه ، وتصاممَ عن استماعه ،  
تعاشياً عن صُبْحِهِ المبين ، وتغليياً للشكِّ على اليقين ، وخوفاً على العزِّ الشامخ أن  
يُصْجَبَ شُموسُهُ ، والمجد [الباذخ] أن تَكُورَ شُموسُهُ ، والمحامدُ أن تُنْثَرَ كواكِبُهَا ،  
والمناقبُ أن تَتَزَلَّزَلَ مناكِبُهَا . ولما تلاه الخبرُ بما أَصَمَّتْ ناعقُهُ ، وكذَّبَ بارقُهُ ، ونطقَ  
بأنَّ الجسمَ الشريفَ قد التفعَّ شملةَ الإبلالِ ، وعاد مزاجُهُ الى الاعتدالِ ، أطال  
العبدُ في التَّزَبُّعِ تعفيرَ خَدَّه ، وبالع في شُكْرِ اللهِ وَحَمْدِهِ ، فيا لها نعمةً عَدَلَتْ بها  
أحكامُ الزمانِ الجائرة ، واهتدت ركائبُ الآمالِ الحائرة ، وأصبحَ الملكُ المستصيري  
سائلَ الغرة ، ضاحكَ الأسرة ، [والحضرة] قد تمكنت في خطابها ، وما نزعَتْ بُردَ  
شبابها ، وامتدَّتْ بعدَ القُلُوصِ أفياءُهَا ، وأضاءَتْ في ظُلُمَاتِ المخطوبِ آناؤُهَا :

|                                             |                                            |
|---------------------------------------------|--------------------------------------------|
| واللهُ أَكْرَمُ أنْ [يعذَّبَ مهجةً]         | غَذِيْتُ بِأَخْلَاطِ العِلا أَعْضَاؤُهَا   |
| فاذا طمَتَ جِسمَ المخطوبِ [عرامةً]          | [أرَبَى عَلَى] فَيُضِ الحياءُ حَبَاؤُهَا   |
| لو كان يُنْكَرُ مَلَكُهَا [رُتَبَ] العِلا   | أَحَدٌ لَكَانَ شَهْودُهَا أَعْدَاؤُهَا     |
| ثابتٌ بكِ الأَيَّامُ عن جهالاتِها           | وَتَوَقَّرْتُ مِنْ أَهْلِهَا سُفْهَاؤُهَا  |
| وبعدلِ حُكْمِكَ زَالَ عَنَّا ظَلْمُهَا      | وَبَنُورِ مَجْدِكَ أَشْرَقَتْ ظُلُمَاؤُهَا |
| نَارُ اعْتِزَامِكَ مَا يَبُوحُ - ذُكَاؤُهَا | وَسِمَاءُ عَرْكِكَ مَا تَغِيْبُ ذُكَاؤُهَا |
| وعِراصُ فَضْلِكَ لَمْ تَضُقْ أَرْجَاؤُهَا   | وَعَفَاةُ جَوْدِكَ مَا يَخِيبُ رَجَاؤُهَا  |

فالحمدُ لله الذي منح الأمة من نعمةٍ أصبحت النوائبُ فيها قد دَرَجَتْ أيامُها ،

١ هذا البيت والتالي له وردا في الخريدة : ١/١٥



وَهَدَّتْ من المخاوفِ أعلامها<sup>١</sup> ، والبخلُ قد هُدِمَ بنيانُهُ المَرصوص ، والكرمُ قد ريشَ جناحُهُ المقصوص . ولم يبقَ له سحاب إلا وهو يُغْرِقُ وَيَهْمَعُ ، ولا منادى إلا وهو يَلْبِي وَيَسْمَعُ<sup>٢</sup> :

|                                            |                                     |
|--------------------------------------------|-------------------------------------|
| يا ماجداً نَصَرَ الشريعةَ حيثُ لا          | بيضُ تُشام ولا ذوابلُ تُشْرَعُ      |
| والنَّصَبُ منصوبُ اللواءِ وشائعُ           | في أهله بُغْضُ الذي يتشيعُ          |
| عَمَّتْ عوارفُهُ <sup>٣</sup> فما من موضعٍ | إلا ونائلُهُ إليه مَوْضِعُ          |
| سائلُ به ودمُ الفوارسِ سائلُ               | يُسْقَاه ظمآنُ الترابِ فينقعُ       |
| واليومُ قد كتبتُ سَنابكُ خيلِهِ            | نَقْعاً جبينُ الأفقِ منه مُنْقَعُ   |
| فهنالك تلقى الصدرُ لا متضايقُ              | والرَّوْعُ لا نخب الضلوعِ مروْعُ    |
| والشَّمْسُ تهوى أنْ تقبلَ كَفَهُ           | فَتُذَادُ بالسُّمَرِ اللدانِ وتمنعُ |
| فاقنعُ بما ملكتُ يداك من العلا             | إن كنتَ بالشهبِ الثواقبِ تقنعُ      |

فأما حال العبد فعلى الحالة التي يؤملُ من الحضرة العلية كشفَ ضبابها ، وانتكاتِ أسبابها ، وكأنه من العبودية يقتضي ألا يُغَيِّبَهُ مَزْنُ مكارمها ، ولا تتجاوز عنه جفونُ مراحمها ، فيصبح وقد حَفَّتْ به الشدائدُ / [١٨٨] وضاعت عنه المصادرُ والمواردُ ،

|                                      |                                   |
|--------------------------------------|-----------------------------------|
| أتركني يا دهرُ في البؤسِ مفرداً      | ومالكُ رَقِي مُفَرِّدُ فيكَ واحدُ |
| إذا همَّ الأقوامُ شابتُ وأظلمتُ      | فهمَّائهُ يبيضُ الوجوه خرائدُ     |
| فيا قاضي الدِّينِ الذي قامَ حَافِظاً | حِماهُ وكلُّ واهنٍ العزمُ قاعدُ   |

١ ص : وصدت في ... عيانها .

٢ الأبيات ٣ - ٧ من هذه المقطوعة وردت في الخريدة : ١٥/أ - ١٥ ب

٣ الخريدة : مواهبه .

٤ الخريدة : نسجت

٥ ص : الحزن .

ومن سادَ أهلَ العصر طُراً وألقيتُ له في عِراضِ الفرقدين وسائد  
أناديك في نادٍ يحفُّ بي الرّدى وتنزلُ فيه النازلاتُ الشدائد  
تخاطبني فيه الخطوبُ فصيحةً ويُسهِرُ عيني ضيقُ العين باردُ  
يطارحني صوتاً ، سروري ناقصُ إذا هو غنانِي وهَمِّي زائدُ

وللحضرة العالية الأفضلية ، الرأيُ العالي في انتياش العبدِ من هذه الغمَاء ،  
وكأنَّ ما تهبُّ له من العناية زكاةً عما ملأها الله من رزق الزمان ، ومكَّنهُ لها من  
قواعد العزِّ والسلطان ، وتقرباً إليه جلَّ اسمه إذا انشقت [السماء] فكانت وردةً  
كالدهان .

قوله : فهناك تلقى الصّدْر .. البيت ، كقول المعتمد بن عباد<sup>١</sup> :

وأردتمْ تضيقَ صَدْرٍ لم يَضِيقُ والسُّمُرُ في ثُغْرِ الصُّدُورِ<sup>٢</sup> تَحْطُمُ

وقال المعتمد أيضاً في صفة [مجلس] ، من شعر قد تقدّم إنشاده<sup>٣</sup> :

هذي المدامُ وهذا النقلُ من جَسَدِي غنَّ لنفسِكَ أشعاري بألحاني

وله من أخرى :

أطال الله بقاءَ الحضرة السامية الصارمية<sup>٤</sup> ، ما عَظُمَ رجب في الإسلام ، وولجَ

الضياءُ في الظلام ، وَوُشِيَّتِ الطُّرُوسُ بأَسِنَّةِ الأَقلام :

تَرِدُ العُفَاةُ شرائعاً من جودها تُسِيخَتْ بهنَّ شرائعُ الإعدامِ

١ ديوان المعتمد : ٦٧ وقلائد العقيان : ١٦ والذخيرة ٢ : ٥١

٢ القلائد : النحور .

٣ لا أراه تقدّم في الذخيرة ، كما أنه ليس في ديوان المعتمد .

٤ يريد بالحضرة الصارمية : صارم الدولة بن معروف ، وقد أورد ياقوت ( ٩ : ١٧٥ ) رسالة أخرى من ابن أبي  
الشخباء إليه افتتحها بقوله : أطال الله بقاء الحضرة الصارمية ، يجزي القدر على حسب أهويتها ، ويمتد الظفر  
بعزائم ألويتها .. الخ .

وترى قلائدَ حَمْدِهَا وثنائها منظومةً بترائبِ الأيام  
وإذا عَصَتْ نُوبُ الزمانِ وخالفتْ وقفتْ لديكِ مواقفَ الخدام

إذ كانت أيامَ الحضرةِ العاليةِ شاهدةً لها بجودِ يريشُ أجنحةَ الكرامِ  
المقصودة<sup>١</sup> ، ويقومُ بفرائضِ المجدِ المنصوبة ، وحلمٍ تُطْلِقُ القدرةَ عنائه ،  
ويستعيرُ الجنانَ رُجَحَانَهُ ، ووفاءً يَعْلَمُ الدهرَ حفظَ العهودِ ، وينقلُ طَبْعَهُ إلى الخلقِ  
المحمودِ ، ورأيٍ يقطعُ والسيوفُ مُغَمَّدةً ، ويسري والعوذُ العتاقُ مقيدةً ، وبشرٍ  
يُخْجِلُ ضوءَ الشارقِ ، ويضيءُ في جبينها إضاءةَ البارقِ ، وجوداً تأمرُ مكارمهُ الزمانَ  
ليتنصرَ بالصارمِ ذي الفضائلِ ، لا الصارمِ ذي الحمايلِ ، وينتجعُ الأنواءُ المظفريةَ ،  
فِيهِتَّتِهَا لها بالشهرِ والسنةِ حفظاً للسنةِ المرتبةِ ، لا اعتماداً على القضيةِ المستوجبةِ ،  
والله تعالى يديمُ أيامَهَا الزاهرةَ ، دوامَ نعيمِها المتظاهرةِ ، فإنَّ ذلكَ يَرْوِيهِ القريبُ  
والشاطنُ<sup>٣</sup> ، ويتمثلُ به المقيمُ والظاعنُ :

|                                     |                                      |
|-------------------------------------|--------------------------------------|
| ومرَّتْ بكِ الأيامُ وهي كوافلُ      | بنيلِ الذي ترجوه منها ضوامنُ         |
| فيا صارماً أثنتَ عليه عُدائُهُ      | وأصدقُ مَنْ يُثْنِي العدوَّ المباینُ |
| وفتٌ بشروطِ الجودِ في المحلِ كَفُهُ | ومزنُ السحابِ الجودِ للأرضِ خائنُ    |
| يُضِيفُ إلى إنعامِهِ بشرَ وجهه      | كما جمعَ الحكمينِ في الحجِّ قارنُ    |
| ولولا الذي قدمْتُ من حسناته         | لما وُجِدْتُ للدَّهْرِ فينا محاسنُ   |
| فلا سرُّه ما بينَ عينيه ظاهرُ       | ولا حقدُهُ ما بينَ جنبيه كامنُ       |
| صفتُ لك من صفِّ السُّعودِ مواردُ    | وجادتُ عليك المُعْصِراتُ الهواتنُ    |
| تُقسِّمُ طولَ الدهرِ أمناً وخيفةً   | فمالكِ مرعوبُ [وعِرْضُكَ آمِنُ]      |

١ ص : المخصوصة .

٢ ص : ووجد

٣ الشاطن : البعيد النائي

وله من أخرى :

أطال الله بقاء الحضرة السّامية معمورةً بوقود السعادة ديارها ، مشـ[دودة  
الى] قَصْدِهَا أنساع العير وأكوأرها ، مفلولةً عنها أنيابُ الثوبِ وأظفارها ، ولا زال  
من مدّ الظلّ ولو شاء جعله ساكناً ، يدُّ عليها الظلّ ما سرى في الليل سفر ، وطلع  
في السّاء غفر<sup>٢</sup> ، وخرج عن أيدي الكرام وفر<sup>٣</sup> ، وأنس بالركبان مهمه قفر :

يَطْوِعُ لها العاصي من الخطبِ عِزَّةً وَيَدْخُلُ قَسراً تحت أحكامِها الدهرُ  
ولا زال يُعلي في الخليقة أمرها على كلِّ أمرٍ من له النهي والأمر

وفي فصلٍ منها :

يا صارماً حاز الثناء بأنعم لما انتَضَتْهُ يدُ الإمام تحقّقتْ  
لا تنقضي أوقاتهن فتتقضي متواهن عن كل جرم طرْفُهُ  
هذي البرية حُسن رأي المنتضي علقَتْ يداهُ بكلّ لدنٍ أَسْمَرُ  
فاذا رأى أكرومة لم يُغيض وتراه حين تضيقُ أثوابُ العلا  
يومَ اللقاء وكلّ عَضْبٍ أبيض يا عاشقَ العليا ومُبْغِضَ ماله  
متأيساً في السؤدد المتفضّض/ [١٨٩] لا تسألني عن زمانسي هل بدتْ  
نفسى فداؤك من محبٍ مبغض أنت الزمانُ فإنَّ وَجْدُكَ ساخِطاً  
لي منه صفحة مُقبِلٍ أو مُعرِضٍ كم قَوَّضْتَ يَنَّاكَ عَنَّا شدةً  
يسخطُ عليّ وإن رضيت فقد رضي ونهضت من ثقلِ المعالي بالذي  
لولاك بعدَ الله لم تتقوض [وبقيت شُهرًا<sup>٣</sup> كلَّ طرفٍ للعدا  
لوسيم يذُبُلُ بَعْضُهُ لم ينهض  
وتحلُّ هَضْبَ سعادةٍ [لم تُخَفِّضِ]

١ من قوله تعالى « ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ ولو شاء جعله ساكناً » ( الفرقان : ٤٥ )

٢ الغفر : منزل من منازل القمر ، ثلاثة أنجم صغار وهي من الميزان .

٣ بياض في ص .

[ وتقطف ١ ] من إناعام الحضرتين ثماراً ، وتعيدُ جَذْبَ<sup>٢</sup> الزمانِ ربيعاً ، وتُفيضُ على بني الآمالِ ربيعاً ، فقد وَفَّتْ لها حين خانتِ اليدُ بنانها ، وسُئِمَتِ الضلوعُ جَنَانها ، وصدحتُ بالكلمةِ العَلَوِيَّةِ على المنبر ، وسهامُ العدا تقع خلفاً وأماماً<sup>٣</sup> ، ورهجُ خيولهم يَسْحَبُ على الموت غماماً ، وكم لها من مقامٍ نتقَ قلوبَ العداةِ نتقاً ، وجمع قُطْرِي الرسالة فتقاً ورتقاً ، فلا قَلَصَ الله ظلّها عن هذا الثغر الذي يكادُ ترابُهُ بكرمها يورق ، ونبتُهُ بحسنها يُشْرِقُ .

ومن أخرى له :

شهرُ الصيامِ [ذو] فضلٍ مشهور ، ورتبته عُلّتْ<sup>٤</sup> جميعَ الأيامِ والشهور ، فما تُنتَهَكُ للشرع فيه حُرُماتٌ ، ولا تُسْمَعُ للأوتارِ نغماتٌ ، ولا تنطقُ باللغو أفواه ، ولا ترشفُ رُضَابُ الكؤوسِ شفاه ، وإذا اعتُبرتْ أوقاتُ الحضرةِ المنصورة ، وُجِدَ أكثرها على هذه الصفةِ المذكورة ، إلا أن الشهر اختصّه الله بشرفِ القضية ، وفرض صيامه على جميع البرية ، فلا زال على الحضرةِ العالية عائداً ، ولها للأعمال الصالحة شاهدٌ ؛ تطلعُ في لياليه الحسناتُ شمساً ، وتجمعُ بين الشفقِ والفلقِ تسبيحاً وتقديساً ، خاطرة<sup>٥</sup> في جلايب عزٍ يعتلقُ الدهرُ بأسبابه ، وكرمٍ يَغْرِقُ البحرُ في عبابه ، ومجدٍ تعشو النيراتُ إلى أنواره ، وتعتصمُ الملوكُ الخائفةُ بجواره ، وتترَبُّ بكارمها الأيدي التربة ، وتثبتُ بسعدها بروجهم المتقلّبة ، ويجدون ترابها في أفواههم عسلاً ، وفي أجفانهم كَحَلاً ، ويرون وظائفَ الثوبِ عنهم تُرفعُ ، وأنفَ الحوادثِ تُجَدِّعُ :

١ يبدو أنه وقع في هذه الصفحة تقطيع تداخلت فيه نهايتا سطرين ، مما أحدث خللاً واضطراباً في النصّ

٢ ص : تعيد أحذب .

٣ ص : وأما .

٤ ص : ونبتها .

٥ ص : على .

٦ ص : ناظرة .

قد ودَّ هذا الشهرُ أنْ هلاكَ  
 ألبسته تقوى وألبسَ حُلَّةً  
 وبرزتَ في جيشٍ تَغصُّ به الفلا  
 لحبِّ شكتُ كَفُ البسيطةِ ثِقْلُهُ  
 لا بدَّ تُعرَفُ بالعراقِ جِيادُهُ  
 وعلى مَطَاهَا دارعون سيوفُهُم  
 وتقيم شرعُ بني النبي بأرضِهِ  
 لم تراضَ معروفَ العوارفِ نفسهُ  
 وإذا تَمَتَّى المَالُ يُودَّعُ كَفُهُ  
 تركتُ سيوفك كلَّ خالِعٍ طاعةٍ

ومن أخرى :

لقد أسعد الرحمنُ مَنْ بات ثانياً  
 إذا ما الحيا جاركَ في حَلَبَةِ الندى  
 وما يتساوى قطُّ بحرٌ وجدولٌ  
 وأنت سماءُ الملكِ وابنك شمسُهُ  
 إذا لم تحطَ نظماً ونثراً بمدحِهِ  
 فككتُ إساري مُنعماً وتركتني

إليك عنائي رغبةً وثناءً  
 رمى فوق قودِيهِ قنَاعُ حياءِ  
 ولا كلُّ أعضاء الفتى بسواءٍ  
 وهل نُظِرَتْ شمسٌ بغير سماءِ  
 فما حيلةُ الكتابِ والشعراءِ  
 لآلائك الحسنَى من الأسراءِ

والذي جعلَ الأرضَ بساطاً ييسطُ قدرها في الآفاق ، ويجعلُ أيامها ينابيعَ  
 الارزاق ، حتى لا ينطق بسوى شكرها لسان ، ولا يُرى لغيرها على أحدٍ إحسان .

١ ص : بالفراق .

٢ الأيدع : صبغ أحمر .

٣ ص : يودَّع .

وفي فصل من أخرى :

وحضر قُلالان ، وعليه من نعمته آثار قد حَلَّتْ عَطَلَهُ ، وسَدَّتْ خَلَلَهُ ، وظهر في  
زِيٍّ يكْبِتُ كُلَّ عَذُولٍ وشامت ، وينطقُ بِالمِنَّةِ عنه وهو صامت ، وقد سِيرَ من ذلك ما  
سِيرَ غوراً ونجداً ، ونظم في ترائبِ الأيامِ منها عَقْداً ، ولا زالتُ منه لذوي الآدابِ  
قَاطِرَةٌ ، وعِراضُهُ بِلِطائِمِ الثناءِ عاطِرَةٌ ، يتغايَرُ النثرُ والنظمُ على مدائِحِهِ ، وتفيضُ  
على العافين غروبُ مواهِبِهِ ومنايحِهِ . ولما اعتزم العودَةَ إلى ذلك الظلِّ المديد ،  
والعيشِ الرغيد ، زَوَّدَتْهُ هذه الرقعةُ مستدعيًا له الزيادةَ من كرم العادة ، والحفظِ  
السَّيِّئَةِ المستفادَةِ .

ومن أخرى :

أُنَبِّتُ - أطل الله بقاءَ مولاي - بشيءٍ أنا فيه مكذَّبٌ ومصَدِّقٌ ، ومدافعٌ  
ومَحَقِّقٌ ، واحتجت بحكم ذلك الى مطالعته ، وعلم كنه حالته<sup>١</sup> ،

فالحِلُّ كالماءِ يُبْدي لي ضائِرَهُ مع الصفاءِ وَيُخْفِيها مع الكَدَرِ

عرفتُ أن هذا الراقصَ البغدادي قد رفض مودته خَلْفاً ، وسلك به من الخلافَةِ<sup>٢</sup>  
عسفاً ، فوصله وهجر ديوانَهُ ، وأرضاهُ وأسخطَ خِلانَهُ ، واستبدل فيه مصوناً من  
قدره ، واستدلَّ عَزِيزاً من تأتِيهِ وَبِرِّهِ ، وصار يهبُ النفسَ بلمسةٍ [من] إهابِهِ ، وجميعَ  
سَقَمِي النِيلِ برشفَةٍ من رضابه ، وينشدُ إذا تراكضت خيولُ اللهُو واللَّعبِ ، وغلظ  
عليه قولُ اللاحي المؤنب :

غَزالٌ تَمَتَّعتُ في قُرْبِهِ ونازعني الكاسَ حتى غَلَبَ  
إذا ما تَنَفَّسَ في نَوْمِهِ تَنَفَّسَ عن مِثْلِ ما قد شرب

١ كنه حالته : قراءة تفديرية ، إذ هذا الجانب من الصفحة قد طمس .

٢ الخلافَة هنا بمعنى الخلاف .

فيا ليلُ لَيْتَكَ لا تنقضي ويا صبحُ لَيْتَكَ لا تقترب

فوجدتُ والله من إشاعةِ هذه الحال ما يجدهُ الخائفُ غاب وابقه ، والسليمُ عَدِمَ طبيبه وراقبه ، خوفاً على جاه مولاي أن يميل ، وَيَشْنَعَ فيه القائلُ والقيـل ، فيصلَ إليَّ من المصابِ بذلك ما يُعْشي الناظر ، ويخْذلُ الناصر ، لاسيَّما والنسبُ حظه من الشرفِ الخطير ، وقسطُه من الإِعْظامِ والتوفير ، والصغيرُ يُعَدُّ به كثيراً ، والحِصاةُ تُحْسَبُ معه ثبيراً ، ولو كان مولاي مدً على هذه السقطة سَجْفاً ، وشرب ذلك العُقارَ مَرْجاً لا صِرْفاً ، لجاز أن تخفى القِصَّةُ ، وتُنْساغَ قليلاً هذه الغُصَّةُ ، فالعقلُ نعم الرقيب ، والليلُ نهارُ الأديب<sup>١</sup> . ويجبُ أن يتحقَّقَ مولايَ أني ما أطلقتُ هذه اللفظة إلا وقد حَصَرَ الكتَّان ، والتقتُ حلقتا البطان ، وسَمِعْتُ ما يُصِمْ الآذان .

وله من أخرى<sup>٢</sup> :

|                                |                                            |
|--------------------------------|--------------------------------------------|
| ما زال يختارُ الزمانُ ملوكه    | حتى أصابَ المصطفى المتخيراً                |
| قل للألى ساسوا الورى وتقدموا   | قُدماً هلموا شاهداً <sup>٣</sup> المتأخراً |
| تجدوه أوسعَ في السياسة منكم    | صدراً وأحمدَ في العواقبِ مُصدراً           |
| إن كان رأياً شاوروه أحنفاً     | أو كان بأساً نازلوه عنترا                  |
| قد صام والحسنات ملء كتابه      | وعلى مثالِ صيامِهِ قد أفطرا                |
| ولقد تخوَّفَكَ العدوُّ بجهدِهِ | لو كان يقدرُ أن يردَّ مقدراً               |

١ قوله « الليل نهار الأديب » فيه إشارة إلى قصة ليحيى البرمكي حين بلغه أن ابنه الفضل قد تشاغل بالذات عن النظر في أمور الرعية - وكان والياً بخراسان - فكتب إليه يلموه ، وضمن رسالته أبياتاً يقول فيها :

فكابد الليل بما تشتهي فانما الليل نهار الأديب

انظر ابن خلكان ٤ : ٢٨

٢ منها ثلاثة عشر بيتاً في الحريدة : ١٦ ب وأحد عشر في ابن خلكان ٢ : ٩٠ وقال ابن خلكان : وقد اقتضرت منها على هذا القدر خوفاً من التطويل .

٣ الحريدة : هلم فشاهدوا .

٤ الحريدة والوفيات : رأي ... بأس .



إِنَّ أَنْتَ لَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ ضُرّاً      جُرْداً بَعَثْتَ إِلَيْهِ كَيْداً مُضْمِراً  
 تَسْرِي وَمَا حَمَلْتَ رَجَالاً أَيْضاً      فِيهِ وَلَا أَدْرَعْتُ كِمَاءَ أَسْمَارِ  
 خَطَرُوا إِلَيْكَ فَخَاطَرُوا بِنَفُوسِهِمْ      وَأَمَرْتُ سَيْفَكَ فِيهِمْ أَنْ يَخْطُرَا  
 عَجَبُوا لِحِلْمِكَ أَنْ<sup>٢</sup> تَحُولَ سَطْوَةٌ      وَزَلَالِ خُلُقِكَ كَيْفَ عَادَ مَكْدَرَا  
 لَا تَعْجَبُوا مِنْ رِقَةٍ وَقَسَاوَةٍ      فَالِنَارِ تَقْدَحُ مِنْ قَضِيبِ أَخْضَرَا  
 فَلِذَاكَ عَدَّكَ حِينَ يَعْرِضُ عَارِضُ      وَسَطَى الْبَنَانِ وَعَدَّ غَيْرَكَ خَنْصَرَا  
 لَوْ رَامَ قُسْطَنْطِينَةُ لَا جَلْقاً<sup>٣</sup>      بِكَ لَمْ يَدْعُ فِي أَرْضِهَا مَتَنَصَرَا  
 وَلَقَدْ قَضَتْ أَيْ الْكِتَابِ لِكُلِّ مَنْ      نَصَرَ الشَّرِيعَةَ أَنْ يِعَانَ وَيَنْصَرَا

فلا برحتِ الحضرة - حرس الله أيامها - تفتقرُ عن مباسمها الحسان ، وتفتخرُ  
 بمناقبها قبائلُ غسان ، فلو شاهد أهلُ جفنةَ جفانها ، وأهلُ جبلةَ بنِ الأيهم  
 ضرابها وطعانها ، لعلموا<sup>١</sup> أَنَّ الله أتاح الساحةَ والبسالةَ ملكاً منهم يحفظُ ما ضيعةُ  
 الناسُ من عهودها ، ويسرِّحُ ما ذخروه من نقودها ، فما يزيدُ المدحُ مناقبهُ ضياءً ،  
 ولا مراتبهُ اعتلاءً ، وإنما هو في ذلك كالمسكِ يطيبُ بنفسه<sup>٧</sup> طبعاً ، ويزيدُ  
 المحارصُ<sup>٨</sup> تزوعاً ونشراً ، وإن أطال العبدُ في نشر فضائلها ومقوِّده ، واستخدمَ في  
 ذلك لسانه ويده ، فانما هو كمن يوقدُ في الشمسِ ذُبَالاً ، ويُهْدِي إلى الفراتِ نطافاً  
 أو شالاً ، والذي مدَّ الأرضَ وجعل فيها رواسي وأنهاراً ، يجعلُ أمداداً<sup>٩</sup> النعيمِ على

١ ص : ادعرت : والتصويب عن ابن خلكان ، وفي الخريدة : اعتقلت : وهو أدق .

٢ الخريدة : عجباً لحلمك إذ .

٣ ص : لا حلاً . ولم يرد هذا البيت في الخريدة

٤ ص : تعبر

٥ جفنة : الغسانيون .

٦ ص : لعلم

٧ ص : لنفسه .

٨ كذا في ص . ولعله : ويزيد في المجامس .

٩ ص : امتداد .

الحضرة مُعَدَّةٌ ، ووفودُ المواهبِ بساحاتها مُحَدَّقةٌ ، ويمتَعُ الدنيا بمحاسنها التي يتطامنُ لها ذوو الأبصار ، وتتأرجحُ تأرجحَ القطرِ في جميعِ الأفطار .

وله من أخرى :

فولجتُ منزلاً قد استعار من قلبِ العاشقِ حرّاً ورَهْجاً ، ومن أخلاقِ مالكٍ ضيقاً وحرَجاً<sup>١</sup> ، كأنما زَفَرْتُ فيه النار ، ونُقِطَ على جذرائه<sup>٢</sup> بالقار ، فجلستُ طويلاً إلى أن حضر الإخوان ، وقُدِّمَ الخوان ، فرأيتُ أرغفةً قد أُحْكِمَتْ في الصَّغرِ والإطاف ، ولم تتعوذْ قط من الأضياف ، قد مرَّت عليها أيام ، وعُيِّنَتْ بقولِ ابنِ بسَّام<sup>٣</sup> :

أتانا بخبزٍ له يابسٍ كمثلِ الدراهم في خِلْقَتِهِ  
إذا ما تنفَّستُ عندَ الخوانِ تطايرَ في البيتِ من خَفَّتِهِ

وثلاثة صحافٍ ، واسعةِ الأكناف ، بعيدة الأوساط من الأطراف ، قد جُعِلَ في قِراة كلِّ منها ما [لا يَدْفَعُ السَّعْبَ ، ولا تجدهُ<sup>٤</sup>] / [١٩١] اليدُ إلّا بالتَّعَبِ ، فجُلنا جَوْلَةً وعَيْنُهُ تطرفَ علينا شِمالاً ويميناً ، وتتفقَدُ منا حركةً وسكوناً ، وقمنا ولم نقاربِ الكفافَ ، وقد ظنَّ بنا الإسرافَ ، فحضرنا مجلسَ المعاقرة فأديرَتْ علينا قهوةٌ قد خُصَّتْ باللونِ الكدرِ ، وكثُرَتْ بالماءِ الحَضِرُ<sup>٥</sup> ،

كالْمُهْلِ تَغْلِي في البطونِ لو أنها يوماً تُعَدَّ لكافرٍ لم تحَرِّمَ  
فَحَسَوْنَا أَوَّلاً وثانياً ، وَكَرَعْنَا منها حمياً أنبياً ، وقلنا لعلَّ ما يحضر من الملهيات يُصْلِحُ فاسِدَها ، وينقِّحُ كاسِدَها ، ولم يكنْ بأسرعَ من أنْ افتتحتْ قَيْنَتُهُ يَحْرُمُ لها السباعُ ، وتُسَبِّلُ الصَّغَمَ الأسباعُ :

١ ص : . وحرِباً .

٢ ص : ولقط على جذرائه .

٣ هو علي بن بسام البغدادي ( ٣٠٢ أو ٣٠٣ ) وقد مرَّ ذكره في عدة مواطن من الذخيرة ، انظر مصادر ترجمته في

٤ القسم الأول : ١٤٢ ( الحاشية : ٣ )

٥ الحضر : يريد ماء فيه طحلب ، للمبالغة ، وإلا فقد تقرأ « الحضر » .

تُكْدِرُ صَفْوَ السَّراجِ فِي شَدْوِهَا وَتَنْفِرُ الْأَنْقَارُ مِنْ ضَرْبِهَا  
لَمْ تَكُنِ الْعَلْجَةُ مَطْبُوعَةً بَلْ كَانَ مَطْبُوعاً عَلَى قَلْبِهَا  
فَسَمِعْنَا وَلَأْمَرِ اللَّهِ سَبَلْمَنَا ؛ فَحِينَ جَرَّ الظَّلَامُ عَلَيْنَا الذَّيْلُ<sup>٢</sup> ، وَغَشَى النَّهَارُ  
الْلَّيْلُ ، زُفْتُ إِلَيْنَا خَرِيدَةً رَأْسُهَا مَقْطُوعٌ ، وَوَسْطُهَا مَشْغُوبٌ مَرْقُوعٌ<sup>٣</sup> ، قَدْ حَفِظْتُ  
عَنْ عَادِ عَهْدِهِ ، وَاسْتَعَارْتُ مِنْ يَأْجُوجَ قَدَّهُ ، تَبَصَّ كَعْيُونَ الْجَنَادِبِ ، وَتَضَيَّ فِي  
الْظُّلُمَاءِ كَنَارِ الْحَبَاحِبِ ، فَقَوَّضْنَا خِيَاماً ، وَسَكَرْنَا هَمًّا لَا مُدَاماً ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَّ  
مَوْلَايَ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ وَمَنَعَهُ ، وَحَمَى عَمَّا حَضَرْنَاهُ مُسْتَمَعَهُ .

وله من أخرى إلى نفيس الدولة يستدعيه :

أَنَا - أَدَامَ اللَّهُ تَمَكَّنَ مَوْلَايَ - كَالْمَاءِ تَتَفَرَّقُ أَجْزَاؤُهُ فَيَلْتَمِمْ ، وَكَعِرْقِ الْفَصَادِ  
تَمُرُّقُهُ الْمَبَاضِعُ ؛ فَيَلْتَحِمُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ - أَدَامَ اللَّهُ عَزَّهُ - ارْتَدَّ عَنْ شَرِيعَةِ الْوَدَادِ ، وَدَانَ فِي  
دِينِ الْمَحَافِظَةِ بِالْإِلْحَادِ ، وَاسْتَعْمَلَ [مِنْ] الْجَفْوَةِ مَا يَنْفِرُ الطَّرْفَ عَنْ هُجُوعِهِ ،  
وَيُوحِشُ الصَّدْرَ مِنْ صُحْبَةِ ضُلُوعِهِ ، فَقَسَوْتُ عَلَيْهِ أَيَّاماً ، وَأَوْسَعْتُهُ فِي النَّفْسِ  
مَلَاماً ، وَوَجَدْتُ طَعْمَ السَّلْوَةِ طَيِّباً ، وَالصَّبْرَ مِنَ الصَّبْرِ عَنْهُ ضَرْباً ، وَتَشَخَّصْتُ لِي  
أَخْلَاقُهُ مَرَّةً الْمَقَاطِفِ ، خَرَبَةَ الْمَكَاسِيرِ وَالْمَعَاطِفِ :

وَإِذَا أَقْبَقَ الْجَحْدُ وَاتَّعَمَلِ الْهَوَى وَأَتَى الْقَلْبُوبِ وَالْمَ تَرَى الْأَحْدَاقُ

فَمَا هُوَ [إِلَّا] أَنْ اجْتَمَعَتْ بِهِ الْيَوْمَ فِي الْمَجْلِسِ الْمَعْمُورِ حَتَّى هَبَّتْ عَلَيَّ رِيَا حُ  
صِفَاتِهِ فَطَبَّتْ تِلْكَ الْكَلُومَ ، وَجَدَّدَتْ تِلْكَ الرُّسُومَ ، وَأَرْتَنِي الْمُخْفَرُ مِنْ عَهْدِهِ مَخْفُوراً ،

١ ص : الْأَنْقَارُ .

٢ ص : جَرَى ... اللَّيْلُ .

٣ ص : مَشْغُوبٌ مَرْقُوعٌ .

٤ ص : الْمَضَابِغُ .

٥ ص : وَأَزْمَعْتَهُ .

والمُحْصَى من ذنوبِهِ منسيّاً مغفوراً ، فاستحال السلُّ شَوْقاً مَبْرَحاً ، والناضِرُ من المَعْتَبَةِ  
هشياً مُصَوِّحاً :

وما زال داعي الشوقِ حتى أَجَبْتُهُ بِمَطْرُوفَةٍ تَدْمَى لَوَاهِي الأَنَامِلِ

وَصَدَرَتْ هذه الرُّقْعَةُ وأنا أَوْدُ كَلْفاً ، لو كنتُ فيها أَلْفاً ، تفاؤلاً بَعْدَةِ رِياحِ  
الأُلْفَةِ ، وتسكيناً للقلب من نَزَوَاتِ الرَّجْفَةِ :

من التوفاء وفاءً لا يُغَيِّرُهُ مَرُّ الزمانِ بِإِعْرَاضٍ وإِقْبَالِ

وعندي الآن ذاك الصديقُ الذي يَخْطِفُ العقولَ ويُدْهِبُهَا ، ويُغَيِّرُ على  
الألبابِ وينتهبُهَا ، ويَحْطِمُ الرِّمَاحَ كِرَانُهُ ، ويؤْمَنُ في مضارِ المسرَّةِ خَوَانُهُ ، وليس  
والله تُتَصَوَّرُ لي الأَقْداحُ ، وتُلْتَمُ مرَاشِفُ الرَاحِ ، إلّا ومولايَ يحاسيني كَوُوسَهَا ،  
ويجهِّزُ إليَّ خَمِيسَهَا ؛ وأسألهُ أن تكونَ قِراءةُ هذه الرُّقْعَةِ وقد رَكَبَ سَمْتَ الطَّرِيقِ ،  
وقابلَ الأَمْرَ بالتحقيقِ .

وله من أخرى ، وقد قُبِضَ على الوزيرِ وقتَ الظَّهِيرِ ، وأُفْرِجَ عنه في العِشاءِ  
الآخِرَةِ :

من كَرَّمَ اللهُ وَجْزِيلَ إِسْعَافِهِ ، وَجَمِيلَ صُنْعِهِ وَالطَّافِيهِ ، أَنْ جُعِلَ سَيِّدُنَا كَالنُّجُومِ  
تَغِيْبُ ثم يَرْتَفِعُ في غَدٍ سَمَتْهَا ، أَوْ كَمَلِكَةِ الشَّطْرَنْجِ يُقالُ : قد فَاضَتْ ثم تَعِيشُ  
لَوَقْتَهَا ؛ وَقُضِيَ لِحَضْرَتِهِ بِأَنْ تَزَلَّ الخُطُوبُ عَنْهَا زَلِيلَ التُّرابِ عن مَتْنِ الصَّفَا ،  
وتتَحَامَاها النُّوَابِ [في هَبْوطِهَا] وطلوعِهَا ، منذ خَطَرَتِ الشَّمْسُ في الحِلَلِ الجَلَنَّارِيَةِ ،  
إلى أَنْ صَارَتْ في [الثِّيَابِ] السُّوسِيَّةِ . ونزلَ سَيِّدُنَا إلى دارِهِ بالسَّعْدِ المُصْجِبِ ، وفي

الموكب المتلاطم للجب ، وترك الوزارة تدعوا من زانتها وجمعتها ، لمن رقع هلهلها  
وسملها<sup>١</sup> ، وإن أكتأبت ليغديه ، وعبقت أعطافها بلطائف مجده :

يضوعُ ثراها بالندي فتخالها رياضاً وكانت قبلُ وهي صوانحُ  
صفا جوها بعد الكدورِ يعدلُه وطابت حشاياها الظاء القوامح<sup>٢</sup>

فالحمدُ لله على ما من من سرعة الإقالة ، وانقضاب تلك الحباله ، وتفضل به  
من حُسن الرعاية والكفالة ، ولا زالت مواهبه - جلّت آلاؤه - تقعُ عند سيدنا من  
وراء الاقتراح ، وتسخرُ له أعطاف الغدو والرواح .

وفي فصل من أخرى<sup>٣</sup> :

وصلت رقة مولاي والصبحُ قد سلَّ على الآفاق مقضبهُ ، وأزال بأنوار الغزالة  
غيبهُ ، فكانت بشهادة [الله]<sup>٤</sup>/[١٩٢] صُبِحَ الآداب ونهارها ، وثارَ البلاغة  
وأزهارها ، قد توشَّحت بضروبٍ من الفضل تعطيه<sup>٥</sup> قاصية المدى ، وتُجْريه<sup>٦</sup> في مضمار  
الأدب مُفرداً :

فكانَ روضُ الحزنِ تنشره الصبا ما ظلتُ من قرطاسيها أتصفحُ

فأما ما تضمنته من وصفي فقد صارت حضرته [السامية]<sup>٧</sup> تتسمحُ في الشهادة  
بذلك مع مناقشتها في هذه الطريقة ، وأنها لا تُوقعُ ألفاظها إلا في مواضع الحقيقة ،

١ كذا في ص ، ولعله « تدع »

٢ ص : وشملها .

٣ الظاء القوامح : قراءة تقديرية ، فالخط باهت كثيراً تصعب قراءته .

٤ أورد ياقوت ( ٩ : ١٥٧ ) هذه الرسالة وقال ان ابن أبي الشخياء كتب بها إلى أبي الفرج الموفقي جواباً عن رقة .

٥ الكلمة منظومة في الأصل ، واعتمدت في اثباتها على معجم ياقوت .

٦ ياقوت : تقصر .

٧ ياقوت : ويجري به .

٨ زيادة من ياقوت .

فإن كنت قد بهرجت عليها فلتراجع<sup>١</sup> في نقدها<sup>٢</sup> ، تجدني لا أستحق من ذلك الإسهاب فضلاً ، ولا أعدد لكلمة واحدة منكم أهلاً ؛ والله ينهضني لشكر هذا الإنعام الذي يقف عليه<sup>٣</sup> الثناء ويطلع ، ويحصر دونه البليغ المصنّع ؛

هيهات: تُعني الشمس كل مرامق ويعوق دون منالها العيوق

وفي فصل<sup>٥</sup> :

وأما الفصل الذي ذكر أنه ألفاه في رسائل الكتاب وهو : « وأما فلان فيحل في قومه محل العميد ، ويفرح بالضيوف فرح حنيفة بابن الوليد ، قدوره عمارة ، وعطسات جواريه أسدية ، تراهن أبداً يمشين في حلل الشباب ، ويهوين لو خلق الرجال خلق الضباب ، يتضوعن عن النشر العبقسي ، ويرتضعن مراضع ثعالة المجاشعي » . [ وما أمرت حضرته السامية من ذكر ما فيه عندي ، فقد تأملته طويلاً ، وعثر الخادم فيه بما أنا ذاكره ، راغباً في الرضى بما بلغت اليه المقدرة وتحليل ذلك بسجوف الصفح<sup>٧</sup> ] .

قوله : « فرح حنيفة بابن الوليد » أشار الى ما قتل خالد بن الوليد المخزومي من بني حنيفة ؛ وقوله : « قدوره عمارة » أشار الى قول الفرزدق<sup>٨</sup> :

١ ص وأصل ياقوت : فتراجع

٢ ص : بعدها .

٣ ياقوت : عنده

٤ ياقوت ، الخطيب .

٥ انظر ياقوت ٩ : ١٥٨ - ١٦٣

٦ ياقوت : الذي أودعه الرقعة الكريمة .

٧ هذه الزيادة من ياقوت ضرورية للربط ، وتوثيق نسبة الشرح إلى ابن أبي الشخباء لا إلى ابن بسام ، وفي إيراد هذه

الشروح يعتمد ابن بسام الإيجاز .

٨ ديوان الفرزدق ١ : ٣٢٦

لو أن قِذْرًا بَكَتْ من [طولٍ ما] حُسِستْ على الحفوف<sup>١</sup> بَكَتْ قِذْرُ ابنِ عَمَارٍ<sup>٢</sup>  
ما مَسَّها دَسَمٌ مذ فُضَّ مَعْدِنُها ولا رَأَتْ بعد نارَ القَيْنِ من نارِ -

وقوله : « عَطَسَاتُ جَوَارِيهِ أَسَدِيَّة » فأراد قولَ الأولِ في هجاء بني أسد :  
إذا أَسَدِيَّةٌ عَطَسَتْ فَنَكْهَها فان عُطِاسَها طَرَفُ الوِداقِ<sup>٣</sup>

وقوله : « يَهُودِيٌّ لَوْ خُلِقَ الرِّجَالُ خُلِقَ الضُّبَابُ » فذكر الجاحظُ أنَّ للضب  
أيرينَ وللضبِّ حِرَيْنٌ<sup>٤</sup> ، وأنشد قولَ النَمِيرِيِّ<sup>٥</sup> :

تَفَرَّقْتُمْ لَا زَلَمُ قِرْنٍ وَاحِدٍ تَفَرَّقَ أيرِ الضَّبِّ والأَصْلُ وَاحِدٌ  
وَأَنشَدَ قولَ القائلَةِ<sup>٦</sup> :

وَدَدْتُ بِأَنَّهُ ضَبٌّ وَأَنِّي ضُبَيْبَةٌ كُذِّبَتْ وَجَدْتُ خَلَاءَ

وَأَمَّا قوله : « يَتَضَوَّعَنَّ عَنِ النَشْرِ الْعَبْقَسِيُّ » فَإِنَّ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : هُوَ  
أَخْسَرُ صَفْقَةً مِنْ شَيْخٍ مَهْوَ<sup>٧</sup> ، وَمَهُوَ بَطْنٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَكَانَ مِنْ خَبْرِهِ أَنَّ إِيَادًا  
كَانَتْ أَفْسَى الْعَرَبِ ، فَوَفِدَ وَأَخَذَهُمْ إِلَى الْمَوْسَمِ بِسُوقِ عَكَازٍ ، وَمَعَهُ حُلَّةٌ نَفِيسَةٌ

١ على الحفوف : قلة من الدسم ؛ وفي ياقوت : عن الحقوق ( مع أن أصله : على )

٢ الديوان : ابن جبار ، وهذه الرواية يضطرب الاستدلال إذ يجب أن يقول « قدوره جبارية »

٣ البيت في الاغانى ١٢ : ١٨١ منسوب لكثير عزة ( ديوانه : ٣٨٩ ) وروايته : إذا ضمرية عطست .

٤ انظر الحيوان ٦ : ٧٢ وانظر أيضاً ٤ : ١٦٣ - ١٦٤

٥ ص : قول البحتري ؛ وأورده الجاحظ ( الحيوان ٦ : ٧٢ ) دون نسبة ؛ وإنما رواية الخبر كله عن أبي خالد النميري

لا البيت وحده ؛ وقال الجاحظ أن البيت مما أنشده الكسائي . وفي ياقوت ( ٩ : ١٦٦ ) وأنشد الأصمعي لابن درماء  
فيما رواه أبو خالد النميري .

٦ هي عند الجاحظ وياقوت حبي المدينة .

٧ المثل في الدرّة الفاخرة : ١٤٠ ( أحق من .. ) والعسكري ١ : ٣٨٨ والزنجشري ١ : ٨٢ وثبار القلوب : ١٠٦

واللسان ( فسا ) : واسم الشيخ عبد الله بن بيدة . وفي نقل ابن بسام إيجاز محَلٍّ : فإن الايادي نادى ألا إني رجل  
من اياد فمن ذا الذي يشتري عار الفسومني بيردي هذين فقام الشيخ العبدي فقال : هاتهما ، فأترز بأحدهما  
وارتدى بالآخر ، وحينئذ أشهد عليه الايادي من شهد الموسم بعكاظ .

فقال : يا معشرَ العربِ إني قد بعْتُ فسَاءَ إِيادٍ لوافِدِ عبدِ القيسِ بحلتي هذه ؛  
وافترقا راضيين ، وقد شهد عليهما أهلُ الموسم ، فصارت عبدُ القيسِ أفسى العربِ .  
وقيل لابن مناذر<sup>١</sup> : كيف الطريقُ إلى عبدِ القيسِ ؟ قال : شَمٌّ ومُرٌّ ،

فإنَّ عبدَ القيسِ من لؤمها تفسو فسَاءَ ريحُه يَعْْبَقُ  
من كان لا يدري لها منزلاً فقلْ له يمشي ويستنشق

وأما مراضع ثعالة فيقال : هو أعْطَشُ من ثعالة<sup>٢</sup> ، رجلٌ من بني مجاشع ، كان  
ضلَّ الطريقَ هو وابنُ عمِّ له ، فعطشا ، فالتقم كلُّ واحدٍ منهما أير صاحبه يشربُ  
بوله ، فلم يُغنيا عنهما شيئاً وماتا عطشاً ، فوجدا على تلك الحال ؛ ولذلك قال جرير  
يعيرُ بني دارم<sup>٣</sup> :

رَضَعْتُمْ ثَمَ بَالٍ عَلَى الْحَاكِمِ ثَعَالَةً حِينَ لَمْ تَجِدُوا شَرَابًا

وقيل : ثعالة : الثعلب ، في تفسير هذا الخبر عن ابن حبيب ، وخالفه ابن  
الأعرابي وحكى ما ذكرناه ، وأنشد أيضاً قول جرير<sup>٤</sup> :

مَا كَانَ يُنْكَرُ فِي عَزِيٍّ<sup>٥</sup> مجاشعٍ أَكَلُ الْخَزِيرِ وَلَا ارْتِضَاعُ الْفَيْشَلِ  
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى يَعْرِي بِمَوْتٍ وَلِدٍ فخر الدولة غريقاً<sup>٦</sup> :

١ هو محمد بن مناذر شاعر بصري مات في أيام المأمون ( الأغاني ١٨ : ١٠٣ والشعر والشعراء : ٧٤٧ وطبقات ابن  
المعثر : ١١٩ ومعجم الادباء ١٩ : ٥٥ )

٢ ورد المثل في الدرة الفاخرة : ٣٠٩ والعسكري ٢ : ٧٠ والميداني ٢ : ٤٩ والزنجشري ١ : ٢٤٨

٣ ديوان جرير : ٨١٨ وروايته « ثم سال »

٤ ديوان جرير : ٩٤١ والدرة : ٣٠٩ والنقائض : ٢٢٣ والمعاني الكبير : ٥٨٥ واللسان والتاج ( فشل )

٥ الديوان : ندي ؛ ص : عدي

٦ وردت هذه الرسالة في جمهرة الإسلام ، الورقة : ٦٨ وأنها في رثاء ولد كافسي الكفاة وبين النصين اختلاف ، كما ان  
الرسالة في الجمهرة اوفى مما هي في الذخيرة .



غيرُ يدعٍ من الزمان - أطل الله بقاء [حضرة]<sup>١</sup> سيدنا - أن تُنكَثَ حبالُهُ ،  
وتَصَرَّدَ نبأُهُ، وتراشَ في قصدِ الكرامِ سهامهُ [وترَهَفَ نصالُهُ] وتفَهَّقَ بالقَدَرِ فجأجُهُ ،  
وَيَمزَجُ<sup>٢</sup> بالسُّمِّ أَجَاجُهُ، ويُنَارُ في النفوسِ عجاجهُ<sup>٣</sup>، ولذلك عرفتِ النفوسُ مواقعَ نُكُورِ،  
وَأُنِسَتْ بغرائبٍ غَذِرِ ومكرهِ ، واطمأنتُ الضلوعُ وقد أصمتَ ضرائبه<sup>٤</sup> ، وهجعتُ  
العيونُ وقد استيقظتُ نوائبه ، فقلَّ ما يُرَاعُ رَوْعُ بما جناهُ ، وتجذَلُ نفسُ/[١٩٣] بما  
منحه وأقنائه . فإذا اصطلم [يوماً] أنفُ المجد [و]جدع ، [وفطر قلوب المكارم  
وصدع] ، وخرج عن العادة المألوفة فابتدع ، فهناك يحسنُ أن تُطْلَقَ بدمه الألسنُ ،  
ويجبُ أن يُلقَى بجيشِ اللومِ اللَّجِبِ .

ولما طرق الفادحُ بمن لا أسميه تفادياً<sup>٥</sup> من تحقيقِ الخبرِ بمصرعِهِ ، وصوناً له  
من مَوْرِدِ الحماهِ وَمَبْشَرِهِ ، رأيتُ<sup>٦</sup> المحامدَ ذاتِ نورِ خامد ، والمآثرَ ذاتَ عَقْدِ  
متناثر ، والقمرَ قد سئمَ هائلتهُ ، والصُّبْحَ قد خلع<sup>٧</sup> الليلُ عليه غِلاَّتَهُ ، وشاهدتُ  
الكتابةَ مقصورةَ المدود ، والبلاغةَ مخموشةَ الحدود<sup>٨</sup> والأدبَ قد اسودَّتْ سِيحَتُهُ ،  
واشتدَّتْ على الزمنِ<sup>٩</sup> وامتدتْ إحنته ، إذ طرق بما يتجاوزُ القدرَ ، ويُوحِشُ الأضالعَ  
من صحبةِ الصَّدْرِ .

١ زيادة من جمهرة الإسلام .

٢ الجمهرة : وتجذع ( اقرأ : وتجذع )

٣ قدمت هذه العبارة وقد تأخرت عن هذا الموضع في ص ، اعتاداً على جمهرة الإسلام وحفاظاً على تسلسل الاسجاع  
وكانت في الاصل : ويثار في قصص الكورس عجاجه .

٤ الجمهرة : وأنس بعرف .

٥ الجمهرة : صوائبه .

٦ الجمهرة : تباعداً .

٧ الجمهرة : رأى

٨ الجمهرة : ألقى .

٩ الجمهرة : شواهد البلاغة متصرمة المدود والكتابة مرسومة الحدود .

١٠ الجمهرة : على الدهر

شمسُ العلا عَرَبَتْ بِحَيْثُ تَرَى أَبْدَأُ غُرُوبَ الشَّمْسِ وَالبَدْرِ  
 مِنْ بَرِّهِ بِكَ أَنْ يُخْطَأَ لَهُ جَنَّ بِقَرَبِ عَطَائِكَ الْغَمْرِ  
 وَكَأَنَّمَا هُوَ دَرَّةٌ دُفِنَتْ فِي جَنْبِ مَا وَلَدَتْ مِنَ الْبَحْرِ  
 وَتَنَزَّهَتْ عَنْ أَنْ يَصَافِحَهَا سَمُكَ<sup>٣</sup> الصَّفِيحِ وَظِلْمَةِ الْقَبْرِ

فَتَعَالَى اللَّهُ كَيْفَ اسْتَرَدَّ ذَلِكَ الْبَدْرُ قَبْلَ تَمَامِهِ ، وَذَبَلَ ذَلِكَ الزُّهْرُ فِي كِهَامِهِ<sup>٤</sup> ،  
 قَبْلَ أَنْ تَشْرَفَ بِمَوَكِبِهِ الْأَعْلَامَ ، وَتَرَوَى مِنْ بَنَائِهِ الْأَقْلَامَ ، وَيَعْبَقَ دَسْتُ الْوَزَارَةِ  
 بِنَشْرِهِ ، وَيُنْشَرَّ رَمِيمُ السِّيَادَةِ بِطَيْهِ وَنَشْرِهِ ، وَابْتِاحَ<sup>٥</sup> لِلطُّرُوسِ مِنْ أَلْفَاظِهِ الدَّرِيَّةَ مَا  
 يَفْضَحُ<sup>٦</sup> الْعَقُودَ الدَّرِيَّةَ ، وَتُعَسِّسُ<sup>٧</sup> مَعَهُ اللَّيَالِي الْبَدْرِيَّةَ .

وَقَبْلَ يُرَى مِنْ جُودِهِ مَا رَأَيْتُهُ<sup>٨</sup> وَيَسْمَعُ فِيهِ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْعَذْلِ  
 هَذَا وَاللَّهُ هُوَ الْمَصَابُ الَّذِي تَسْتَعِزُّ فِيهِ الْحُلُومُ هَفَوَاتِهَا<sup>٩</sup> ، وَتَفَارِقُ لَهُ الْقُلُوبُ  
 سَوِيدَاوَاتِهَا ، وَتَسْتَخْفُ<sup>١٠</sup> النَّفُوسُ حَمَلَ الْأَوْزَارِ ، وَتَأْنِفُ الْعَيُونَ<sup>١١</sup> مِنْ لِقَائِهِ بِالْدموعِ  
 الْغَزَارِ ، حَتَّى تَجْعَلَ ذَلِكَ دَابَّهَا ، وَتَخْضَبَ<sup>١٢</sup> بِالنَّجِيعِ [أَهْدَابِهَا ، إِلَّا] أَنَّهُ نَزَلَ بِالْحَضْرَةِ<sup>١٣</sup>  
 مِمَّنْ شُدَّتْ بِالتَّقْوَى<sup>١٤</sup> مَرِيرَتُهُ ، وَتَسَاوَتْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عِلَانِيَتُهُ وَسِرِيرَتُهُ ، فَالْجَزَعُ لَا  
 يَصْبِحُ مَالَكَهُ ، وَالْخَطُوبُ لَا تَخْطُبُ تَهَالِكَهُ ، وَالنَّازِلُ يُطِيفُ مِنْهُ بِالْعَوْدِ الْبَازِلِ ، الَّذِي  
 يَتَحَقَّقُ أَنَّ الدُّنْيَا نَسِيمُهَا شَرَارٌ ، وَطَعْمُهَا مَرَارٌ ، وَالْمَقِيمُ فِيهَا مُوجِفٌ ، وَالرَّائِدُ مُنْتَبِتٌ  
 مُعْجِفٌ .

١ لم يرد هذا البيت في الجمهرة

٢ الجمهرة : ما وليت من النحر .

٣ الجمهرة : صم

٤ الجمهرة : قبل إكهامه .

٥ الجمهرة : وتنبه الطروس من الفاظه الدرية بما يفضح .. الخ

٦ الجمهرة : النفوس فواتها

٧ الجمهرة : الجفون

٨ الجمهرة : نزل من الحضرة العالية .

٩ الجمهرة : شذرت ( أو سورت ) من التقوى .

وذكرتُ بهذا الفصل ما أنشدته لبعضِ أهلِ عصري يصف غلاماً وسيماً [عامً  
فانحسر منه العزم ونجا]¹ بعد أن أشرف على الموت من جملة أبيات :

شجاني المقام الصَّعْبُ لما شهدتهُ      وقد ضاقتِ الأنفاسُ والنفْسُ تذهبُ  
وقد بهتت فيه اللواحظُ إذ رَتَتْ      إلى دَرَقٍ تطفوا [أواناً] وترسبُ  
كأنَّ خليجَ الماء كان مَجْرَةً      وأنت بها شمسُ تلوحُ وتغربُ  
كُسيتِ أصفرارِ الروضِ عند ذبوله      ولكن على الحالين مَرَاكُ أعجبُ  
عدا الماء من ماء الصبا فيكَ غيرَ      وما خلتُ أن الماء للماءِ يَغْضَبُ  
ستبقى بهذا النهرِ للناسِ عبرةً      مؤرَّخةً في الكتبِ تتلى وتكتبُ  
وتبنى على شاطي نجاتك كعبةً      يحجُّ لها بالحُبِّ مَنْ يتقربُ

وله من أخرى :

لدي³ - أطل الله بقاء مولاي الشيخ - نفسُ ترى النعمَ مع المهانةِ نقماً ،  
وتجدُ طَعْمَ العيشِ مع عَدَمِ الإنصافِ عُلْقاً ، ولو سُمَّتْها خروجاً عن هذا الأسلوب ،  
ونزولاً عن ذلك الظهرِ المركوب ، لرأتِ الخروجَ من الصدرِ أخْفَ عليها محملاً ،  
وأعذَبَ لديها مَنَهلاً :

\* لكل امرئٍ من دهره ما تعوداً \* .

وهذا بثٌ اقتضاه كثرةُ تعجَّبِ مولاي من انقطاعي عن الحضرة التي بأنوارِ  
مجدها تَوَضَّحْتُ ، وفي بحبوبةِ عزِّها دُرْتُ وَسَرَّحْتُ ، وما أطلق من الألفاظ التي لو  
حاسب لسائئُ عليها لَأَنِفَ من ذكرها ، واستغفر من إثمها وَيُوزِرُهَا ، وقبيحُ بمثله ممن

١ هذه القراءة بحسب المعنى لعدم وضوح الالفاظ في ص .

٢ هذا الشطر غير واضح في ص .

٣ ص : لسيدي

٤ صدر بيت للمتنبي ، عجزه : وعادة سيف الدولة الضرب في العدا .

أعطاه السؤدد مقادته ، وركب متن الشرف وجادته ، أن يأكل لحم أخيه حياً ، ويرى غيبة خُطّانهِ طعاماً مرياً ، ولو عرف أصل ذلك وفَرَعَهُ ، وناجت به الحقيقة لسانه وَسَمَعَهُ ، فكيف أن يُزري وهو لا يدري ، ويتكلم وهو لا يعلم ، ويستحسن قواريض من القريض تترك شمل المحامد مُفَرَّقاً ، وأديم الأعراض ممزقا . ولقد كنت مُزِعاً على فراق العادة ، واتباع قول ابن ميادة<sup>١</sup> : [١٩٤]

وَجِئْتُ لَهُمْ مِمَّا أَقُولُ قَصَائِدًا      تَخْبُ بِهَا صُهْبُ الْمَهَارَى وَجُؤُهَا

ورأيتُ أن أنبئه مولاي على ما أنكرته : أن يكون بين أمرين : إما أن يسأل عن السبب الموجب لبعدي عن تلك الحضرة ، أو يمسك عن الخوض في مالا تحيط به الخبرة ، فلعلهُ إذا علم الحقيقة مهدّ المَعذرة ، وبرّد لفحات اللوم المستعرة ، وتبين<sup>٢</sup> أنني ما ثنيتُ عناني عن هذا المورد إلا وقد ترنّنتُ مشارعهُ ، ولا زويتُ وجهي عن ذلك المنتجع إلا وقد ذوت مرابعهُ ؛ وبعد ذلك فبين أضلعي ولأُ تشبكتُ أواصرهُ والأنسَاب منقصمة ، ويشرق صباحهُ وأسرّة الشمس مُظْلِمَةً ، إذا حفّت به الحفاظ رقّ نسيمه ، وتساوى في الإخلاص حديثهُ وقديمه :

فان أنصَفْ فان يداً تولّت      كسوري تهتدي لمكان جبري  
وإن أحرَمَ قضاءَ العبدِ أرْجِعْ      إلى كَنَفَيْنِ من هجرٍ وصبر

١ من قصيدة له أورد أبو الفرج أبياتاً عديدة منها ( الأغاني ٢ : ٢٦٣ - ٢٦٤ ) وبطلها :

ألا حياء الأطلال طالَت سنينها      بحيث التقت ربد الجناح وعينها

إلا أن البيت لم يرد في الأغاني وانظر شعرا بن ميادة ( جمع الدليمي ) : ١٠١ ( رقم : ١٥٣ )

٢ ص : ويتبين .

انتهى

القسم الرابع من كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة وبكمال كمل جميع الديوان ، والحمد لله على ذلك كثيراً وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وسلم تسليماً . وذلك ضحوة يوم الأحد السابع من شهر ربيع الثاني سنة ست وعشرين ومائة وألف عرفنا الله خيرها ، ووقانا بمنه سوء كل ضير .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

والحمد لله رب العالمين

# فهارس الكتاب



## فهرس الأعلام

- ١ -

|                        |                               |
|------------------------|-------------------------------|
| ٥٤٢                    | ابن الأبار أبو جعفر           |
| انظر: الحصري أبو اسحاق | ابراهيم بن علي الحصري         |
| ( ٦٢٧ - ٦٦١ )          | ابن أبي الشخباء العسقلاني     |
| ٤٩٠                    | أحمد بن عجمان                 |
| انظر: المعري           | أحمد بن سلمان                 |
| ٦٤٩                    | الأخنف                        |
| ٤٨٨                    | الأخفش                        |
| ٦٠٥                    | ادريس بن اليان                |
| ٦٣١                    | ارسطاليس                      |
| ٤٨٤                    | أبو اسامة ( جنادة الهروي )    |
| انظر: الحصري           | أبو اسحاق الحصري              |
| انظر: الصابي           | ابو اسحاق الصابي              |
| ٤٨٥                    | الأسعر الجعفي                 |
| ٤٨٥                    | الأسعر المازني                |
| ٤٧٣                    | أشجع السلمي                   |
| ٥٨٢ ، ٥٦٨ ، ٤٩١        | الأصمعي ( عبد الملك بن قريب ) |
| ٦٥٧                    | ابن الأعرابي                  |
| ٤٨٥                    | الأعشى                        |
| ٦٤٣ ، ٦٤٠              | الأفضل بن أمير الجيوش         |



|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| ٥٣٢                         | الأكلحل تأييد الدولة        |
| ٥٥٢                         | أمامة ( في شعر )            |
| ٥٨٩ ، ٥٧٢ ، ٥١٦ ، ٤٩٢ ، ٤٨٩ | أمرؤ القيس ( الملك الضليل ) |
| ٤٧٤                         | أميمة ( في شعر )            |
| ٤٨٤                         | أمية بن أبي الصلت           |
| ٤٦٩                         | أيمن بن خريم                |

## - ب -

|                       |                              |
|-----------------------|------------------------------|
| ٦١١                   | باديس بن ميمون               |
| ٥٤٨ ، ٥٤٧             | باقل                         |
| ٥٨٥                   | البتول ( فاطمة )             |
| ٥٨٢ ، ٥٨١ ، ٥٦٢ ، ٤٧٣ | البحثري ( ابو عبادة الوليد ) |
| ٦٤٠ ، ٦٣٢ ، ٦٢٨       |                              |
| ٥٣٢ ، ٥٣١             | بديع ( غلام )                |
| ٥٩٨ ، ٥٨٥             | بديع الزمان الهمذاني         |
| ٦٥١                   | ابن بسام البغدادي            |
| ٤٩٦ ، ٤٨٤ ، ٤٧٠ ، ٤٦٨ | ابن بسام الشنتريني           |
| ٦٣٦ ، ٦١٢ ، ٥٣٠       |                              |
| ٦٣١                   | بطليموس                      |
| ٤٩٧                   | بقراط                        |
| ٦٠٦                   | أبو بكر الخالدي              |
| ٥٩٨ ، ٥٨٩ ، ٥٧٠       | أبو بكر الخوارزمي            |
| ٦٠٥ ، ٥٨٩             | بلقيس                        |
| ٦١٣                   | بلقين بن زيري                |
| ٥٣٠                   | ابن البواب الوزير            |

- ت -

|               |                                   |
|---------------|-----------------------------------|
| انظر : الأكحل | تأييد الدولة الأكحل               |
| ٦٣٧ . ٥٦٤     | أبو تمام ( حبيب بن أوس )          |
| ٥٩٨           | تميم بن المعز الصنهاجي            |
| ٥٧٦           | التنوشي القاضي                    |
| ٥٧٧           | التنوشي ابو علي ( الابن )         |
| ( ٥٤٩ - ٥٣٧ ) | التهامي ابو الحسن ( علي بن محمد ) |

- ث -

|                           |                |
|---------------------------|----------------|
| انظر : أبو منصور الثعالبي | لثعالبي        |
| ٦٥٧                       | لعالة المجاشعي |

- ج -

|                   |                         |
|-------------------|-------------------------|
| ٥٨٤ . ٥٨١ . ٥٦٦   | المحافظ ( غفرو بن بحر ) |
| ٦٥١               | جبلة بن الايهم          |
| ٥٣٥ . ٥٣٤         | جحدرا اللص              |
| ٤٨٤               | جران العود النميري      |
| ٥٨١               | الجرجاني ( القاضي )     |
| ٦١٤               | الجرجاني ( الوزير )     |
| ٥٦٠               | جرول ( الخطيئة )        |
| ٦٥٧               | جرير ( الشاعر )         |
| ٥٧٠ . ٥٤١         | جعفر الطيار             |
| انظر : ابن الأبار | أبو جعفر بن الأبار      |
| ( ٦٢٥ - ٦٢٧ )     | جلال الدولة بن عمار     |
| انظر : أبو أسامة  | جنادة بن محمد الهروي    |

- ح -

|                              |                                    |
|------------------------------|------------------------------------|
| ٥٤٨                          | حاتم الطائي                        |
| ٤٧٧ ، ٤٧٦                    | الحاكم الفاطمي                     |
| ٤٨٩                          | حبشية بن سلول                      |
| انظر : ابونمام               | حبيب بن اوس                        |
| ٦٥٧ ، ٤٩٠                    | ابن حبيب                           |
| ٥٣٥                          | الحجاج ( بن يوسف )                 |
| ٥٧٩                          | ابن الحجاج ( الشاعر )              |
| ٥٧٠ ، ٥٥٩                    | حسان بن ثابت                       |
| ٥٠٣                          | الحسن البصري                       |
| انظر : ذو السعادتين          | الحسن بن منصور الوزير              |
| انظر : الوزير المغربي        | الحسين بن علي المغربي              |
| ( ٥٨٤ - ٥٩٧ )                | الحصري ابواسحاق ( ابراهيم بن علي ) |
| انظر : جرول                  | الخطيئة                            |
| ٤٨٨ ، ٤٨٢                    | حفص (القاريء )                     |
| انظر : الأفضل بن أمير الجيوش | الحضرة الافضلية                    |
| ٤٨٩                          | حمزة بن بيض                        |
| ٥٣٤ ، ٤٦٩                    | ابو حية النميري                    |

- خ -

|                        |                |
|------------------------|----------------|
| ٦٥٦                    | خالد النميري   |
| ٦٥٥                    | خالد بن الوليد |
| انظر : ابو بكر الخالدي | الخالدي        |
| ٤٩١                    | خليد عيين      |

٥٣٠ ، ٥٣١

ابن خليفة المصري الحكيم

٤٨٥ ، ٥٦٨

الخليل بن أحمد

- د -

٤٩٠ ، ٥٨٥

ابن دريد

٥١١ ، ٦٣٧

دعبل بن علي الخزاعي

٥٨١

ابودلف الخزرجي

- ذ -

٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٦١ ، ٥٣٤

ذو الرمة

٤٩٩ ، ٥٠١

ذو السعادتين ( الحسين بن منصور )

- ر -

٥٨١

الرشيد ( هارون )

٥٢٩ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ،

ابن رشيق ، ابو علي المسيبي

( ٥٩٧ - ٦١٢ )

انظر: الشريف الرضي

الرضي

٦٣٨

ابن الرقاق العاملي

٥١١ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤٨ ،

ابن الرومي

٥٦٤ ، ٥٧١ ، ٥٧٥ ، ٥٨٨ ، ٥٩٥ ، ٦٠٤ ،

ريحانة

٤٨٩

- ز -

٤٨٩

الزبير بن باطا

٤٨٩

الزبير بن عبدالله بن الزبير

|     |                           |
|-----|---------------------------|
| ٤٨٩ | الزبير بن العوام          |
| ٥٩١ | الزعفراني أبو القاسم      |
| ٥٥٩ | زهير بن أبي سلمى          |
| ٥٨٩ | زياد ( النابغة الذبياني ) |
| ٦٣٦ | زياد بن منقذ الحنظلي      |
| ٥٦٨ | أبو زيد ( اللغوي )        |
| ٦١٣ | زيري بن مناد              |

- س -

|                       |                     |
|-----------------------|---------------------|
| ٤٩١                   | سبحاح               |
| ٥٤٨ ، ٥٤٧             | سحبان               |
| ٥٧٥                   | السري الرفاء        |
| ٦٣٨                   | ابن سعدان بن يحيى   |
| ٥٧٩                   | ابن سكرة الهاشمي    |
| ٤٧٦                   | ابن السكيت          |
| ٥٧٩ ، ٥٧٨             | السلامي ( الشاعر )  |
| ٦٣٧                   | سلم بن زياد         |
| ٥٢٣                   | سلمى ( في الشعر )   |
| ٥٣٥                   | سليمى ( في الشعر )  |
| ٦٠٥                   | سليان ( النبي )     |
| ٦١٢                   | سليان ( في الشعر )  |
| ٤٧٩                   | سليان بن الربيع     |
| ٥٨٩ ، ٤٨٨ ، ٤٨٣ ، ٤٨٢ | سيبويه              |
| ٥٧٢ ، ٥٧١ ، ٥٧٠       | سيف الدولة الحمداني |

## - ش -

|                       |                           |
|-----------------------|---------------------------|
| ٥٩٩ . ٥٩٨ . ٥٣٠       | ابن شرف ابو عبدالله       |
| ٥٥٥                   | أبو الشبل ( عاصم بن وهب ) |
| ٦٢٢                   | شبل الدولة                |
| ٥٠٣                   | الشريف ابو طاهر           |
| ٦٣٨ . ٥٨٠ . ٥٤٢ . ٥١٣ | الشريف الرضي              |
| ( ٤٧٥ - ٤٦٥ )         | الشريف المرتضى            |

## - ص -

|                             |                               |
|-----------------------------|-------------------------------|
| ٥٧٦ . ٥٧٢                   | الصابي ابواسحاق               |
| ٥٧٨ . ٥٧٦ . ٥٧٣ . ٥٧٢       | الصاحب بن عباد                |
| . ٥٨٠                       |                               |
| ٦٤٥ . ٦٤٤ . ٦٤٣ . ٦١٨       | صام الدولة ابن معروف          |
| ٦٠٥                         | ابن صارة الشنتريني            |
| ٥٧٠                         | الصديق ( ابو بكر )            |
| ٦٠٤ . ٦٠٢ . ٦٠١ . ٦٠٠ . ٥٩٩ | ابن الصفار الصقلي ابو عبدالله |
| ٤٨٩                         | صفية الباهلية                 |
| ٥٧٠                         | الصلتان العبدي                |
| ٦٠٠                         | الصنوبري                      |
| انظر : ابوتمام حبيب بن اوس  | الطائي                        |
| حاتم الطائي                 |                               |

## - ظ -

|     |                    |
|-----|--------------------|
| ٤٧١ | ظمياء ( في الشعر ) |
|-----|--------------------|

- ع -

|                           |                              |
|---------------------------|------------------------------|
| ٤٨٩                       | العاظم بن ثعلبة              |
| ٦١٠                       | عباد ( المعتضد )             |
| انظر : البحري             | أبو عبادة                    |
| ٥٤٥                       | ابن عبدالبر الشنتريني        |
| ٥٧٦ ، ٥٧٨                 | عبد العزيز بن يوسف           |
| ٥٤٨                       | ابن عبدالغفور أبو محمد       |
| انظر : ابن الصفار الصقلي  | أبو عبدالله بن الصفار الصقلي |
| انظر : أبو منصور الثعالبي | عبدالمملك بن اسماعيل         |
| انظر : الأصمعي            | عبدالمملك بن قريب            |
| ٤٨١                       | عبدالمملك بن مروان           |
| ( ٥١٥ - ٥٢٩ )             | عبد الوهاب بن نصر المالكي    |
| ٥٠٧                       | ابن عبدون أبو محمد           |
| ٥١١                       | عبدة ( في الشعر )            |
| ٤٦٩ ، ٤٧٠                 | أبو عبيد البكري              |
| ٥٦٨                       | أبو عبيد القاسم بن سلام      |
| ٥٦٠ ، ٥٦٣                 | عبيد بن الأبرص               |
| ٥٨٧                       | أبو العتاهية                 |
| ٤٨٣ ، ٥٥٥                 | العتبي                       |
| ٤٨٣                       | العجاج ( الراجز )            |
| ٦٣٧                       | ابن عروة السعدي              |
| ٦١٥                       | ابن العربي أبو بكر الفقيه    |
| ٥٣٥                       | عزة ( صاحبة كثير )           |
| ٥٤٧                       | أبو العشائر الحمداني         |
| ٥٧٣ ، ٥٧٥ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩     | عضد الدولة البويهري          |

|                             |                                     |
|-----------------------------|-------------------------------------|
| ٥٤١                         | عقيل بن ابي طالب                    |
| انظر: المعري                | ابو العلاء المعري                   |
| ٤٧٧ ، ٤٧٨                   | ابو علي البويهى ( بن سلطان الدولة ) |
| ٤٨٨                         | ابو علي الفارسي                     |
| انظر: القالي                | ابو علي البغدادى                    |
| ٤٧٩ ، ٥٠٥ ، ٥١٣ ، ٥٤٠ ، ٥٧٠ | علي بن ابي طالب ( حيدرة )           |
| انظر: التهامي ابو الحسن     | علي بن محمد التهامي                 |
| انظر: جلال الدولة ابن عمار  | ابن عمار                            |
| ٦٥٦                         | ابن عمار                            |
| ٤٨٧                         | عمر بن عبدالعزيز                    |
| ٥٦٨                         | ابو عمرو ( الراوية )                |
| ٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٦٠٨             | عمرو بن معد يكرب                    |
| ٥٧٣                         | ابن العميد ابو الفضل                |
| ٦٤٩                         | عنبرة                               |
| ٥١٣                         | عيسى ( المسيح )                     |
| ٥٨٥                         | عيسى بن هشام                        |

## - ف -

|               |                                     |
|---------------|-------------------------------------|
| ٥٧٧           | ابن فارس                            |
| ٥٨٥           | ابو الفتح الاسكندري                 |
| ٤٧٦ ، ٤٧٧     | ابو الفتوح ( الحسن بن جعفر العلوي ) |
| ( ٦١٨ - ٦١٥ ) | ابو الفتيان العسقلاني               |
| ٦٥٧           | فخر الدولة كافي الكفاة              |
| ٥٧١ ، ٥٧٢     | ابو فراس الحمداني                   |
| ٥٨٠           | ابو الفرج الاصفهاني                 |



|                 |                    |
|-----------------|--------------------|
| ٥٧٤             | ابو الفرج الببغا   |
| ٦٥٥             | الفرزدق            |
| انظر : الميكالي | ابو الفضل الميكالي |

### - ق -

|                 |                           |
|-----------------|---------------------------|
| ٦١١ ، ٥٨٩ ، ٥٢٥ | قارون                     |
| ( ٥٣٦ - ٥٢٩ )   | ابن قاضي ميطة             |
| ٥٩٧ ، ٤٦٩       | القالى ، ابو علي البغدادي |
| ٤٧٧             | قرواش                     |
| ٥٤٨             | قس بن ساعدة               |
| ٦٢٦             | قيس ( ليلى )              |

### - ك -

|                 |            |
|-----------------|------------|
| ٥٣٥             | كثير عزة   |
| ٥٨٩ ، ٥٦٨       | الكسائي    |
| ٥٨٩             | كسرى       |
| ٦٠٧ ، ٥٦٤ ، ٥١٢ | كشاجم      |
| ٦١٢             | ابن الكفاف |

### - ل -

|     |                   |
|-----|-------------------|
| ٥٦٣ | ليبد بن ربيعة     |
| ٥٤٧ | لقمان             |
| ٥٧٧ | ابن لنكك          |
| ٦٠٥ | ليلى ( قينة )     |
| ٦٢٦ | ليلى ( العامرية ) |

|                             |                                      |
|-----------------------------|--------------------------------------|
| ٥٤٨                         | مادر                                 |
| ٥٢٠                         | مالك بن أنس                          |
| ٦٣٧ ، ٥٥٦ ، ٤٩٢             | المبرد                               |
| ٥٧٢ ، ٥٦٤ ، ٥٤٧ ، ٥٤٢       | المتنبي أبو الطيب                    |
| ٥٧٣                         |                                      |
| انظر : ابن أبي الشخباء      | المجيد بن أبي الشخباء                |
| ٦١٦                         | ابن المحسن                           |
| ٤٩٢ ، ٤٩١ ، ٤٩٠ ، ٤٧٧       | محمد ( الرسول )                      |
| ٥٤١ ، ٥٢٠ ، ٥٠٥ ، ٤٩٣       |                                      |
| ٥٧٠ ، ٥٦٩ ، ٥٦٨ ، ٥٦١       |                                      |
| ٦٤٧ ، ٥٨٥                   |                                      |
| ٥٣٥                         | المدائني                             |
| ٦٣٦                         | المرار العدوي                        |
| انظر : الشريف المرتضى       | المرتضى                              |
| ٤٨٧                         | مزرد                                 |
| ٥٢٠                         | المستنصر بالله الفاطمي               |
| ٦٣٨                         | مسلم بن الوليد                       |
| ٥١٧                         | أبو المطرف المالقي                   |
| ٦٠٥ ، ٦٠٤ ، ٥٧١ ، ٥٦٦       | ابن المعتمر                          |
| ٦٤٣                         | المعتمد بن عباد                      |
| ٥٧٩                         | ابن معروف القاضي                     |
| ٦٢٥ ، ٥٤٨ ، ٥٤٦ ، ٥١٦ ، ٥١٠ | المعري أبو العلاء ( أحمد بن سليمان ) |
| ٦١٣                         | المعز الفاطمي ( معد بن اسباعيل )     |
| ٦١٣ ، ٦١١ ، ٥٩٨ ، ٥٣٠       | المعز بن باديس                       |

|                             |                              |
|-----------------------------|------------------------------|
| ٦١٤                         |                              |
| ٥٨١                         | ابن مقلة                     |
| انظر : امرؤ القيس           | الملك الضليل                 |
| ٦٥٧                         | ابن مناذر                    |
| ٦١٥                         | المنتصر بن خزرود             |
|                             | ابو منصور الثعالبي           |
| ( ٥٨٣ - ٥٦٠ ) ٥٢٩           | ( عبد الملك بن اسماعيل )     |
| ٥٧٧                         | منصور الفقيه                 |
| ٤٧٩                         | مذهب الدولة ( صاحب البطيحة ) |
| ٥٧٣                         | المهلي ( الوزير )            |
| ( ٥٦٠ - ٥٤٩ ) ٥١٤           | مهيار الديلمي                |
| ٦٠٥                         | موسى ( النبي )               |
| ٦٦١                         | ابن ميادة                    |
| ٦٠٧ . ٥٨٣ . ٥٨١ . ٥٦٦ . ٥٦٢ | الميكالي ( ابو الفضل )       |

## - ن -

|                 |                                     |
|-----------------|-------------------------------------|
| ٥٧٨             | ابن نباتة السعدي                    |
| ٤٧٨             | نحرير ( غلام الوزير المغربي )       |
| ٥٣٢ . ٥٣١       | نحرير ( غلام )                      |
| ٥٧٧             | نسيم ( غلام )                       |
| ٤٧٩ . ٤٧٨ . ٤٧٧ | نصر الدولة الكردي ( احمد بن مروان ) |
| ٤٩٠             | النطف                               |
| ٥٨٩             | النعمان اللخمي                      |
| ( ٦٢٥ - ٦١٨ )   | ابن نعمة بن خليل العسقلاني          |
| ٦٥٢             | نفيس الدولة                         |

النمرود  
 ابو نواس  
 نوح ( النبي )  
 ٦٠٦  
 ٥٣٥ . ٤٧٠  
 ٥٢٥

- ه -

هبة الله بن عيس الوزير  
 هرم بن سنان  
 هند ( في الشعر )  
 ٤٨٠ . ٤٧٩  
 ٥٥٩ . ٥٠٣  
 ٥٨٩ . ٥٤٨ . ٥٠٧

- و -

الواسياني ابو محمد  
 الواواء الدمشقي ابو الفرج  
 الوزير المغربي ( الحسين بن علي )  
 ٥٧٥  
 ٥٧٤ . ٥٥٢  
 ( ٥١٥ - ٤٧٥ ) ٥٣٧ .  
 ٥٥٧ . ٥٣٩  
 ٦٣٨  
 ٥٧٥  
 الوليد ابو عبادة  
 الوزير الناصري  
 ابن وكيع ابو محمد  
 انظر: البحري

- ي -

يحيى بن هذيل  
 يزيد ( بن الطثرية ؟ )  
 يونس ( النبي )  
 ٥٩٥  
 ٥٨٩  
 ٤٩٦

## فهرس القبائل والأمم والطوائف

### - أ -

|                 |              |
|-----------------|--------------|
| ٥٦٥ ، ٥١٤ ، ٤٧٩ | الأتراك      |
| ٦١٤             | الأثبيج      |
| ٥٤٩             | الاجايون     |
| ٥١٤             | الاسفهسلارية |
| ٦١٤             | الأعراب      |
| ٥٩٧             | الأغالبة     |
| ٤٩٢             | الانصار      |
| ٦٥٧ ، ٦٥٦ ، ٥٦٥ | إياد         |
| ٦٥٦             | أسد          |

### - ت -

الترك : انظر الأتراك .

### - ث -

٥٥٧ ثعل

### - ج -

٦٥٠ ، ٥٥٩ بنو جفنة

### - ح -

٥٧١ بنو حمدان  
٦٥٥ حنيفة

٦٧٨

- خ -

|           |       |
|-----------|-------|
| ٥٠٧       | خفاجة |
| ٦٢٠ ، ٥٥٥ | خندف  |

- د -

|     |          |
|-----|----------|
| ٦٥٧ | بنو دارم |
| ٥١٤ | الديلم   |

- ر -

|           |         |
|-----------|---------|
| ٦١٣       | الرافضة |
| ٥٩٩ ، ٥٧١ | الروم   |
| ٦١٤ ، ٥٣٩ | رياح    |

- ز -

|           |          |
|-----------|----------|
| ٦١٤ ، ٥٣٩ | زغبة     |
| ٦١٣ ، ٦١٢ | بنو زيري |

- ص -

|     |        |
|-----|--------|
| ٦١٣ | صنهاجة |
|-----|--------|

- ط -

|     |           |
|-----|-----------|
| ٥٨٠ | الطالبيون |
|-----|-----------|

- ع -

|           |     |
|-----------|-----|
| ٦٥٢ ، ٤٩٨ | عاد |
|-----------|-----|

|                                   |                   |
|-----------------------------------|-------------------|
| ٦١٤ . ٥٠٧ . ٥٠٦ .                 | بنو عامر          |
| ٦٥٧ . ٦٥٦                         | عبد القيس         |
| ٦٢٠                               | عبد مناف بن النضر |
| ٦١٣                               | العبيديون         |
| ٥٩٧                               | العجم             |
| ٦١٤                               | عديّ              |
| ٤٩٣ . ٤٩٠ . ٤٧٧ . ٤٧٠             | العرب             |
| ٥٨٤ . ٥٧١ . ٥٦٢ . ٥٦١ . ٥٣٧       |                   |
| ٦٥٧ . ٦٥٦ . ٦٣٩ . ٦٣٨ . ٦١٤ . ٥٩٧ |                   |
| ٥٨٥                               | بنو عليّ          |
| - ف -                             |                   |
| ٥١٤                               | الفرس             |
| - ق -                             |                   |
| ٥٤٩                               | قحطان             |
| ٥١٣                               | قريش              |
| ٤٧٥                               | قيس               |
| - ك -                             |                   |
| ٥٣٥                               | كعب بن عمرو       |
| - ل -                             |                   |
| ٥٣٥                               | بنو لهب           |

- م -

|     |           |
|-----|-----------|
| ٦٥٧ | بنو مجاشع |
| ٥٩٧ | المهالبة  |
| ٦٥٦ | مهور      |

- ه -

|                       |          |
|-----------------------|----------|
| ٦٢٠ ، ٥٧٠ ، ٥١٣ ، ٤٩٠ | بنو هاشم |
| ٥٣٩                   | هلال     |

- ي -

|     |       |
|-----|-------|
| ٦٥٢ | يأجوج |
|-----|-------|



## فهرس الأماكن

### - أ -

|           |          |
|-----------|----------|
| ٤٧٤       | الأهراق  |
| ٤٧١       | الابنواء |
| ٤٧٢       | الأيرق   |
| ٥٢٣       | أنال     |
| ٥٧٣       | أرجان    |
| ٥١٧       | أسعرد    |
| ٦١٠       | أشيلية   |
| ٥٧٣       | أصبهان   |
| ٦١٣ . ٥٩٧ | أفريقية  |

### - ب -

|                       |              |
|-----------------------|--------------|
| ٥٠٩                   | بابل         |
| ٥٦٥                   | البحر الأخضر |
| ٥٧٧                   | البصرة       |
| ٤٨٠ . ٤٧٩             | البيطحة      |
| ٥١٤ . ٥٠٥ . ٤٧٩ . ٤٧٧ | بغداد        |
| ٥٢٢ . ٥٢٠ . ٥١٦ . ٥١٥ |              |
| ٦١٣ . ٥٥٩ . ٥٢٧ . ٥٢٥ |              |

### - ت -

|     |       |
|-----|-------|
| ٥٠٥ | تكريت |
|-----|-------|

### - ث -

|     |      |
|-----|------|
| ٦٤٩ | ثبير |
|-----|------|

- ج -

|     |       |
|-----|-------|
| ٥٢٠ | الجب  |
| ٦٥٠ | جلق   |
| ٥٤٧ | جيحان |

- ح -

|                 |        |
|-----------------|--------|
| ٥٥٧ ، ٥٥٢ ، ٤٨١ | الحجاز |
| ٥٧٠             | حلب    |
| ٥٠٩             | حمص    |
| ٦١٤             | حيدران |

- خ -

|     |        |
|-----|--------|
| ٦٣٧ | خراسان |
| ٥٣٣ | الخيف  |

- د -

|     |      |
|-----|------|
| ٥٢٧ | دجلة |
| ٥٧٤ | دمشق |

- ر -

|     |        |
|-----|--------|
| ٤٧٧ | الرملة |
|-----|--------|

- ز -

|     |      |
|-----|------|
| ٤٧٢ | زرود |
|-----|------|

- س -

|     |        |
|-----|--------|
| ٦١٣ | سبته   |
| ٥٥٠ | سلع    |
| ٦٣٨ | ذو سلم |
| ٥٤٧ | سيحان  |

- ش -

|                       |       |
|-----------------------|-------|
| ٥٧٤ ، ٥٧٠ ، ٥٥٢ ، ٤٩٨ | الشام |
| ٤٦٧                   | شعب   |
| ٥٧٨                   | شيراز |

- ص -

|                       |                  |
|-----------------------|------------------|
| ٦١١ ، ٦٠٣             | صبرة             |
| ٥١١                   | الصراة           |
| ٦٢٩ ، ٦١٤             | الصعيد           |
| ٥٩٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٣ ، ٥٣٢ | صقيلية ( صقلية ) |
| ٦١٠ ، ٥٩٩             |                  |

- ع -

|                       |        |
|-----------------------|--------|
| ٥٠٩ ، ٤٩٨ ، ٤٧٧ ، ٤٦٥ | العراق |
| ٥٧٤ ، ٥٦٥ ، ٥٤٩ ، ٥٢٨ |        |
| ٥٧٩ ، ٥٧٨ ، ٥٧٧ ، ٥٧٦ |        |
| ٦٤٧                   |        |
| ٥٣٣                   | عرفات  |
| ٦٥٦                   | عكاظ   |

- غ -

|     |        |
|-----|--------|
| ٤٦٧ | الغمر  |
| ٤٧٢ | الغور  |
| ٤٧٢ | الغويز |

- ف -

|     |        |
|-----|--------|
| ٦٥١ | الفرات |
|-----|--------|

- ق -

|                           |           |
|---------------------------|-----------|
| ٦٥٠                       | قسطنطينية |
| ٤٦٧                       | القنان    |
| ٥٩٣ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ .   | القيروان  |
| ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠٣ .   |           |
| ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ( ٦١٢ - ٦١٥ ) |           |

- ك -

|           |        |
|-----------|--------|
| ٥١٢ ، ٥٢٢ | الكرخ  |
| ٤٧٧ ، ٤٧٩ | الكوفة |

- ل -

|     |        |
|-----|--------|
| ٤٧٤ | اللولى |
|-----|--------|

- م -

|     |         |
|-----|---------|
| ٥٩٧ | المسيلة |
|-----|---------|

|                         |              |
|-------------------------|--------------|
| ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٥١٢ ، ٥١٦ ، | مصر          |
| ٥٢٨ ، ٥٣٥ ، ٦١٣         |              |
| ٥١٦                     | معرة النعمان |
| ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٥٢٠         | مكة          |
| ٥٣٣                     | منى          |
| ٥٩٨ ، ٦١٤               | المهدية      |
| ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٩٧         | الموصل       |
| ٤٧٧ ، ٤٧٨               | ميفارقين     |

### - ن -

|                         |       |
|-------------------------|-------|
| ٤٧٢ ، ٥٢٢ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، | نجد   |
| ٥٥٠ ، ٦٠٨ ،             |       |
| ٦١١                     | نعمان |
| ٥٠٨ ، ٦٤٨               | النيل |

### - هـ -

|           |       |
|-----------|-------|
| ٥٤٨ ، ٥٦٥ | الهند |
|-----------|-------|

### - ي -

|     |       |
|-----|-------|
| ٦١١ | يبرين |
|-----|-------|

## فهرس الكتب المذكورة في المتن

|           |                                               |
|-----------|-----------------------------------------------|
| ٤٧٦       | اصلاح المنطق لابن السكيت                      |
| ٥٠٥       | الانجيل                                       |
| ٥٩٣ . ٥٢٩ | الانموذج لابن رشيق                            |
| ٥٩٩ . ٥٩٧ |                                               |
| ٥٩٧ . ٥٨٤ | زهر الآداب وثمر الألباب لأبي اسحاق الحصري     |
| ٥٩٩       | العمدة لابن رشيق                              |
| ٤٨٩       | غريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام          |
| ٥٧٧       | الفرج بعد الشدة للتوخي                        |
| ٥٦١       | فقه اللغة للثعالبي                            |
| ٤٨٨       | الكتاب لسبيويه                                |
| ٥٨٤       | المصون من الدواوين لأبي اسحاق الحصري          |
| ٤٧٦       | المنخل ( اختصار اصلاح المنطق ) للوزير المغربي |
|           | النور والنور ( نور الظرف ونور الطرف )         |
| ٥٨٤       | لابي اسحاق الحصري                             |
| ٥٨٦ . ٥٦٦ | يتيمة الدهر للثعالبي                          |

## فهرس القوافي

### - الألف المقصورة -

|     |               |        |     |
|-----|---------------|--------|-----|
| ٤٨٥ | الأسعر الجعفي | الكامل | وأى |
|-----|---------------|--------|-----|

### - الهمزة -

|     |                       |          |         |
|-----|-----------------------|----------|---------|
| ٦٥٦ | حبى المدينة           | الوافر   | خلاء    |
| ٦٤١ | —                     | الكامل   | أعضاؤها |
| ٦٤٧ | —                     | الطويل   | وشاء    |
| ٦٢١ | —                     | الطويل   | علائه   |
| ٦٣٨ | ابن الرقاع            | الكامل   | الأمرء  |
| ٦٢٨ | ابن أبى الشخباء       | الكامل   | لقائه   |
|     | عبد الوهاب المالكي او | الكامل   | سودائه  |
| ٥٢٤ | ابو الحسن التهامي     |          |         |
| ٥٤٣ | التهامي               | الكامل   | خبائه   |
| ٥٩٠ | ابن الرومي            | الخفيف   | الهباء  |
| ٥٣٢ | ابن قاضي ميلة         | المتقارب | البناء  |

### - ب -

|     |                |          |        |
|-----|----------------|----------|--------|
| ٥٣٧ | التهامي        | المتقارب | الحبيب |
| ٦٤٧ | —              | المتقارب | غلب    |
| ٦٠٩ | ابن رشيق       | الطويل   | ذنباً  |
| ٦٣٧ | —              | الطويل   | وجرباً |
| ٦٥٧ | جرير           | الوافر   | شرباً  |
| ٥٠٨ | الوزير المغربي | الوافر   | التهبا |

|     |                       |        |         |
|-----|-----------------------|--------|---------|
|     | ابن قاضي ميللة او     | الكامل | تهذيبا  |
| ٥٣١ | ابن رشيق              |        |         |
| ٦٠٤ | ابن المعتز            | الكامل | قلبا    |
| ٦٣٠ | —                     | الطويل | طروب    |
| ٥٤٦ | —                     | الطويل | حواجب   |
| ٦٣٧ | البحثري او غيره       | الطويل | المطالب |
| ٥٨٨ | ابن الرومي            | الطويل | غيبه    |
| ٦٣٤ | —                     | الطويل | يذهب    |
| ٦٦٠ | —                     | الطويل | تذهب    |
|     | عبد الوهاب المالكي او | الطويل | غرب     |
| ٥٢١ | ابو الفضل البغدادي    |        |         |
| ٦٣٢ | —                     | الطويل | العذب   |
| ٥٣٤ | —                     | الطويل | غرايبها |
| ٦٠٢ | ابن رشيق              | البسيط | مطلبه   |
| ٥٩٨ | ابن رشيق              | الوافر | الرقاب  |
| ٥٠٩ | الوزير المغربي        | الكامل | ويذيبه  |
| ٥١٢ | الوزير المغربي        | الطويل | القرب   |
| ٦٢٨ | البحثري               | الطويل | شربي    |
| ٤٦٩ | —                     | الطويل | ومغرب   |
| ٥٤٥ | ابن عبد البر الشنتري  | البسيط | لهب     |
| ٥٦٤ | ابن الرومي            | البسيط | عصب     |
| ٥٧٢ | المتنبي               | البسيط | بالغرب  |
| ٦٠٩ | ابن رشيق              | البسيط | يغري بي |
| ٥٩٢ | ابو اسحاق الحصري      | الكامل | وتعشّب  |
| ٦٠٩ | ابن رشيق              | الكامل | ذنب     |



|     |                    |             |        |
|-----|--------------------|-------------|--------|
| ٦٠٢ | ابن رشيق           | الكامل      | به     |
| ٦٠٣ | ابن رشيق           | الكامل      | قبايه  |
| ٦٠٦ | ابو بكر الخالدي    | الكامل      | بخضابه |
| ٦٢٥ | المعري             | الكامل      | رضابه  |
| ٥٠٩ | الوزير المغربي     | الكامل      | نائبها |
| ٥٢٥ | عبد الوهاب المالكي | مجزوء الرمل | غريب   |
| ٦٣٢ | —                  | السريع      | الذاهب |
| ٥١٩ | عبد الوهاب المالكي | السريع      | حبه    |
| ٦٥٢ | —                  | السريع      | ضربها  |
| ٥٢٥ | عبد الوهاب المالكي | المنسرح     | تكذيب  |
| ٦٤٠ | البحري             | المنسرح     | أدبه   |
| ٤٧٢ | المرتضى            | الخفيف      | باب    |
| ٤٧٦ | الرضي              | الخفيف      | وشعب   |
| ٥٧٠ | الصلتان العبدى     | المتقارب    | والنبي |

## - ت -

|     |                    |          |        |
|-----|--------------------|----------|--------|
| ٥١٢ | الوزير المغربي     | الطويل   | وألفته |
| ٥٩٣ | ابو اسحاق الحصري   | البسيط   | صفته   |
| ٦٠٧ | الميكالي او البستي | البسيط   | شفته   |
| ٥١٣ | الوزير المغربي     | السريع   | ملته   |
| ٦٥١ | ابن بسام البغدادي  | المتقارب | خلقته  |

## - ج -

|     |               |        |        |
|-----|---------------|--------|--------|
| ٤٩٢ | الراعي الكلبي | البسيط | أدراجي |
|-----|---------------|--------|--------|

## - ح -

|     |                    |          |         |
|-----|--------------------|----------|---------|
| ٥٣٨ | التهامي            | السريع   | راخ     |
| ٥٤٨ | ابن عبد الغفور     | الطويل   | الألحي  |
| ٥١١ | ابن الرومي         | البسيط   | قبحا    |
| ٥٤٨ | ابن الرومي         | البسيط   | رجحا    |
| ٥٣٩ | التهامي            | الكامل   | براحا   |
| ٥٥٠ | مهيار الديلمي      | الرملي   | مزاحا   |
| ٤٨٤ | جران العود         | الطويل   | الصرنقح |
| ٥٣٤ | ابو حية            | الطويل   | سنيح    |
| ٥٦٧ | كثير او غيره       | الطويل   | الاباطح |
| ٦٥٤ | —                  | الطويل   | صواتح   |
| ٦٥٤ | —                  | الكامل   | اتصفح   |
| ٥٢٨ | عبد الوهاب المالكي | الوافر   | الفصاح  |
| ٥٥١ | ابن هرمة           | المتقارب | المادح  |

## - د -

|     |                       |        |         |
|-----|-----------------------|--------|---------|
| ٥٢٣ | عبد الوهاب المالكي    | السريع | مستعاذ  |
|     | عبد الوهاب المالكي او | الطويل | نجدا    |
| ٥٢٢ | ابو الفضل البغدادي    |        |         |
| ٥٢٢ | عبد الوهاب المالكي    | الطويل | بعدا    |
| ٥٧٢ | المتنبي               | الطويل | منشدا   |
| ٥١٠ | الوزير المغربي        | الطويل | وأسده   |
| ٥١٢ | الوزير المغربي        | الوافر | والكمدا |
| ٤٨٦ | —                     | الرجز  | وفهدا   |
| ٥٩٦ | ابو اسحاق الحصري      | السريع | بدا     |

|     |                       |              |          |
|-----|-----------------------|--------------|----------|
| ٥٦٣ | —                     | المتقارب     | القُدودا |
| ٦٢٦ | قيس                   | الطويل       | وليدٌ    |
| ٥٤٢ | المتنبى               | الطويل       | راقِدٌ   |
| ٦٤٢ | —                     | الطويل       | واحد     |
| ٦٥٦ | —                     | الطويل       | واحد     |
|     | عبد الوهاب المالكي او | البيسط       | رقدوا    |
| ٥٢٤ | العباس بن الاحنف      |              |          |
| ٦٢٠ | —                     | البيسط       | عوائِدة  |
| ٥٩٥ | ابن هذيل او اللهاني   | المنسرح      | أجدٌ     |
| ٥٢٦ | عبد الوهاب المالكي    | مجزوء الرمل  | جدٌ      |
| ٥١٨ | عبد الوهاب المالكي    | الطويل       | بالحدٌ   |
| ٥٤٨ | التهامي               | الطويل       | هند      |
| ٦٠٣ | ابن رشيق              | الطويل       | والحدٌ   |
| ٦٢٢ | —                     | الطويل       | المنضد   |
| ٦٠٤ | ابن رشيق              | الطويل       | قدّه     |
| ٤٧١ | المرتضى               | الكامل       | الوادي   |
| ٦٢٢ | —                     | الكامل       | مدادي    |
| ٦١٢ | ابن رشيق              | مجزوء الكامل | جدّه     |
| ٤٧١ | المرتضى               | الهزج        | الوادي   |
| ٥٨٩ | —                     | السريع       | والجد    |
| ٦٠٨ | ابن رشيق              | السريع       | والحد    |
| ٥٩١ | الزعفراني             | الخفيف       | فؤادي    |

- ذ -

|        |        |                   |     |
|--------|--------|-------------------|-----|
| أذى    | الكامل | عبدالوهاب المالكي | ٥١٧ |
| الموذي | الكامل | ابن رشيق          | ٦٠٦ |

- ر -

|          |              |                   |     |
|----------|--------------|-------------------|-----|
| العذار   | السريع       | —                 | ٥٩٧ |
| الصبرا   | البسيط       | —                 | ٤٩٩ |
| والسفرا  | البسيط       | المعري            | ٥١٦ |
| سكرا     | مخلع البسيط  | ابو اسحاق الحصري  | ٥٩٣ |
| وترا     | الوافر       | ابو اسحاق الحصري  | ٥٩٤ |
| اقمارا   | الكامل       | —                 | ٦١٩ |
| المتخيرا | الكامل       | ابن ابي الشخباء   | ٦٤٩ |
| شرا      | مجزوء الكامل | ابن رشيق          | ٦٠٦ |
| ابتدار   | الرميل       | ابن قاضي ميلة     | ٥٣٢ |
| سترا     | الخفيف       | التهامي           | ٥٤١ |
| النسر    | الطويل       | ايمن بن خريم      | ٤٦٩ |
| النسر    | الطويل       | ابو نواس          | ٤٧٠ |
| الدهر    | الطويل       | ابن قاضي ميلة     | ٥٣٠ |
| خضر      | الطويل       | ذو الرمة          | ٥٣٤ |
| الذثر    | الطويل       | —                 | ٦٢٠ |
| الدهر    | الطويل       | —                 | ٦٤٥ |
| المتخير  | الطويل       | حسان بن ثابت      | ٥٧٠ |
| سائره    | الطويل       | —                 | ٥٠١ |
| ويطايظه  | الطويل       | كثير عزة          | ٥٣٥ |
| نفر      | البسيط       | عبدالوهاب المالكي | ٥٢٢ |

|     |                       |          |          |
|-----|-----------------------|----------|----------|
| ٥٢٦ | عبد الوهاب المالكي    | البسيط   | ينتشر    |
| ٥٣٠ | ابن قاضي ميعة         | البسيط   | الشجر    |
| ٥٣٦ | ابن قاضي ميعة         | الوافر   | الثمار   |
| ٥٣٦ | ابن قاضي ميعة         | الكامل   | وسوار    |
| ٥٢٢ | عبد الوهاب المالكي    | الكامل   | تخير     |
| ٥٢٦ | عبد الوهاب المالكي    | السريع   | الأمر    |
| ٥٣١ | ابن قاضي ميعة         | المتقارب | المبصر   |
| ٤٦٧ | المرتضى               | الطويل   | الغمر    |
|     | عبد الوهاب المالكي او | الطويل   | يسري     |
| ٥١٨ | الوزير المغربي        |          |          |
|     | عبد الوهاب المالكي او | الطويل   | الشزير   |
| ٥١٩ | ابو حفص الشطرنجي      |          |          |
| ٦٢٣ | —                     | الطويل   | المجري   |
| ٥٤٥ | التهامي               | الطويل   | تسري     |
| ٤٦٩ | ذو الرمة              | الطويل   | المياسري |
| ٥٥٥ | العتبي                | الطويل   | بالمحاجر |
| ٤٨٣ | العتبي                | الطويل   | أقصى     |
| ٥٠٧ | ابن عبدون             | البسيط   | بكافوز   |
| ٥٢٤ | عبد الوهاب المالكي    | البسيط   | البشر    |
| ٥٤٢ | التهامي               | البسيط   | والحضر   |
| ٥٤٦ | المعري                | البسيط   | بالأثر   |
| ٦٠٧ | كشاجم                 | البسيط   | الحجر    |
| ٦٤٨ | —                     | البسيط   | الكدر    |
| ٦٢٦ | —                     | البسيط   | والبصر   |
| ٥١٣ | الوزير المغربي        | البسيط   | النار    |

|     |                                          |          |          |
|-----|------------------------------------------|----------|----------|
| ٦٣٣ | —                                        | البسيط   | الواري   |
| ٦٥٦ | الفرزدق                                  | البسيط   | عمار     |
| ٥٣٦ | ابو نواس                                 | الوافر   | الجواري  |
| ٦٦١ | —                                        | الوافر   | جبيري    |
| ٥٠٠ | —                                        | الكامل   | المستبصر |
| ٥٤٤ | التهامي                                  | الكامل   | قرار     |
| ٦٥٩ | —                                        | الكامل   | واليدر   |
| ٦٠٩ | ابن رشيق                                 | الهزج    | ودينار   |
| ٥٩٢ | ابو اسحاق الحصري                         | السريع   | الشعر    |
| ٥٠٧ | الوزير المغربي                           | الخفيف   | السرور   |
| ٥٨٢ | الثعالبي                                 | الخفيف   | الأنير   |
| ٥٨٣ | الميكالي                                 | الخفيف   | وشذور    |
| ٤٦٦ | المرتضى                                  | المتقارب | الزائر   |
| ٥٢٣ | عبد الوهاب المالكي او<br>الوأواء الدمشقي | المتقارب | ناظري    |

### - ز -

|     |          |        |      |
|-----|----------|--------|------|
| ٥٠٣ | ابن رشيق | الطويل | عزيز |
|-----|----------|--------|------|

### - س -

|     |                    |         |         |
|-----|--------------------|---------|---------|
| ٥٠٩ | الوزير المغربي     | الكامل  | والانسا |
| ٦٠٦ | ابن رشيق           | السريع  | الكسا   |
| ٦٠٥ | ابن رشيق           | الخفيف  | بلقيسا  |
| ٥٣٠ | ابن شرف            | الطويل  | مغارس   |
| ٥٢٨ | عبد الوهاب المالكي | السريع  | نرجس    |
| ٥٠٨ | الوزير المغربي     | المنسرح | الشمس   |

|     |                       |        |         |
|-----|-----------------------|--------|---------|
| ٥٢١ | عبد الوهاب المالكي او | الطويل | اللمس   |
| ٥١٩ | ابو الفضل البغدادي    | البسيط | باس     |
| ٤٧٨ | عبد الوهاب المالكي    | السريع | بأمراسه |
|     | الوزير المغربي        |        |         |

- ش -

|     |          |        |     |
|-----|----------|--------|-----|
| ٦٠٣ | ابن رشيق | الخفيف | مشى |
|-----|----------|--------|-----|

- ص -

|     |                |        |       |
|-----|----------------|--------|-------|
| ٦٠٥ | ادريس بن اليان | الطويل | العصا |
|-----|----------------|--------|-------|

- ض -

|     |          |        |        |
|-----|----------|--------|--------|
| ٦٠٢ | ابن رشيق | السريع | الرياض |
| ٦١٦ | —        | الطويل | ومبضا  |
| ٦٤٥ | —        | الكامل | فتنقضي |

- ط -

|     |                      |        |      |
|-----|----------------------|--------|------|
| ٥٤٦ | —                    | الطويل | نقطا |
| ٥٤٧ | ابو العشائر الحمداني | الكامل | تنحط |

- ع -

|     |                    |         |        |
|-----|--------------------|---------|--------|
| ٥١٧ | عبد الوهاب المالكي | المنسرح | تقطع   |
| ٥٤٩ | التهامي            | المنسرح | الشاسع |
| ٦١٩ | —                  | الكامل  | وضجيجا |
| ٤٧٢ | المرتضى            | الخفيف  | هزيعا  |
| ٥٢٥ | عبد الوهاب المالكي | المنسرح | متسعة  |

|     |                    |             |          |
|-----|--------------------|-------------|----------|
| ٥٥٤ | مهيار الديلمي      | المتقارب    | والنسوعا |
| ٦٢٩ | ابن أبي الشخباء    | الطويل      | يلذع     |
| ٥٢٦ | عبد الوهاب المالكي | الطويل      | الأضالع  |
| ٥٦٨ | —                  | مخلع البسيط | البقاع   |
| ٥٦٢ | البحثري            | الوافر      | وارتفاع  |
| ٤٨٤ | أمية بن أبي الصلت  | الكامل      | أربع     |
| ٥٢١ | عبد الوهاب المالكي | الكامل      | مولع     |
| ٥٧٤ | —                  | الكامل      | تصرع     |
| ٦٤٢ | —                  | الكامل      | تشرع     |
| ٦٤٧ | —                  | الكامل      | يرفع     |
| ٦٠٧ | ابن رشيق           | مخلع البسيط | الوداع   |
| ٥٦٤ | أبو تمام           | الوافر      | الطباع   |
| ٤٦٦ | المرتضى            | الكامل      | معي      |
| ٥٨٢ | الثعالبي           | الكامل      | تجمع     |

## - ف -

|     |                    |             |         |
|-----|--------------------|-------------|---------|
| ٥٦٠ | —                  | البسيط      | فوق     |
| ٦٤٩ | —                  | الكامل      | وقوقا   |
| ٥٦٦ | عبد الوهاب المالكي | الطويل      | المضاعف |
| ٥٢٨ | عبد الوهاب المالكي | الطويل      | يهتف    |
| ٥٣٣ | ابن قاضي ميلة      | الطويل      | تعسف    |
| ٥٥٦ | مهيار الديلمي      | مجزوء الرجز | المدنف  |
| ٤٧٧ | الوزير المغربي     | الوافر      | والشفوف |



## - ق -

|     |                       |               |           |
|-----|-----------------------|---------------|-----------|
| ٦٠٩ | ابن رشيق              | مجزوءه الكامل | الحرقُ    |
| ٦١٠ | ابن رشيق              | مجزوءه الكامل | تصادقُ    |
| ٥٢٤ | عبد الوهاب المالكي    | الطويل        | تترقرا    |
| ٦٣٥ | —                     | الطويل        | تصفقا     |
| ٥٩٦ | —                     | الكامل        | خلوقا     |
| ٤٦٩ | ذو الرمة              | الطويل        | مطرقُ     |
| ٤٧٣ | المرتضى               | الطويل        | مشرقُ     |
| ٤٧٤ | المرتضى               | الطويل        | فالأبارقُ |
| ٦٥٥ | —                     | الكامل        | العويق    |
| ٦٥٢ | —                     | الكامل        | الأحداق   |
| ٦٥٧ | ابن مناذر             | السريع        | يعيقُ     |
| ٦٢٥ | —                     | المتقارب      | عاشقُ     |
| ٥٢٥ | عبد الوهاب المالكي    | البسيط        | والضيقِ   |
| ٥١٠ | —                     | الوافر        | الفراقِ   |
|     | عبد الوهاب المالكي او | الوافر        | العراقِ   |
| ٥٢٨ | الوزير المغربي        |               |           |
| ٦٥٦ | كثير او غيره          | الوافر        | الوداقِ   |
| ٥٢٣ | عبد الوهاب المالكي    | الوافر        | وضيقِ     |
| ٥٩٥ | ابن الرومي            | الكامل        | بالأحراق  |
| ٤٧٥ | المرتضى               | الخفيف        | الأخلاقِ  |
| ٦٠٠ | الصنوبري              | الخفيف        | التلاقي   |

## - ك -

|     |   |               |         |
|-----|---|---------------|---------|
| ٤٧٩ | — | مجزوءه الكامل | الشكوكُ |
|-----|---|---------------|---------|

|         |         |                |     |
|---------|---------|----------------|-----|
| هالكا   | الطويل  | ابن الرومي     | ٥٣٩ |
| بحيانكا | الطويل  | ابن رشيق       | ٦١١ |
| والضحكا | البسيط  | ابن رشيق       | ٦٠٤ |
| فبكي    | الكامل  | دعبل           | ٥١١ |
| خيالك   | الطويل  | المرتضى        | ٤٧٠ |
| الشك    | الرجز   | —              | ٤٨٣ |
| الفتك   | المنسرح | الوزير المغربي | ٥١٢ |

## - ل -

|         |        |                   |     |
|---------|--------|-------------------|-----|
| التفضلا | الطويل | عبدالوهاب المالكي | ٥٢٨ |
| رسوها   | الطويل | البحثري           | ٤٧٣ |
| نسالا   | الوافر | المعري            | ٥٤٦ |
| الزلا   | الوافر | المتنبي           | ٥٩٠ |
| نصولا   | الكامل | التهامي           | ٥٤٠ |
| كفيلا   | الكامل | الثعالبي          | ٥٨١ |
| نزلا    | الكامل | المرتضى           | ٤٧١ |
| أفعل    | الطويل | كعب بن زهير       | ٤٦٨ |
| أذيال   | الطويل | المعري            | ٥١١ |
| بأفل    | الطويل | المعري            | ٥٤٨ |
| الخرامل | الطويل | مزرد              | ٤٨٧ |
| أواصله  | الطويل | —                 | ٦٠١ |
| حبأله   | الطويل | —                 | ٦٢١ |
| رسوها   | الطويل | المرتضى           | ٤٧٢ |
| طويل    | الوافر | —                 | ٤٩٩ |
| ارتحال  | الوافر | الوزير المغربي    | ٥٠٩ |

|     |                    |          |           |
|-----|--------------------|----------|-----------|
| ٥٤٧ | —                  | الكامل   | طويل      |
| ٥٦٢ | —                  | الكامل   | لبخيل     |
| ٦٢٤ | ابن خليل العسقلاني | الكامل   | يكمل      |
| ٦٣١ | —                  | الكامل   | الزلل     |
| ٦٠٥ | ابن رشيق           | السريع   | قالوا     |
| ٦١٢ | ابن رشيق           | السريع   | القتلُ    |
| ٦٠٨ | ابن رشيق           | الخفيف   | يجملُ     |
| ٥٥٧ | مهيار الديلمي      | المتقارب | يثل       |
| ٥١٢ | كشاجم              | الطويل   | عالٍ      |
| ٥٢٣ | عبدالوهاب المالكي  | الطويل   | بأنالٍ    |
| ٦٣٧ | دعبل او غيره       | الطويل   | أهلٍ      |
| ٦٥٩ | —                  | الطويل   | العذلِ    |
| ٥٠٣ | —                  | الطويل   | المتناولِ |
| ٦٥٣ | —                  | الطويل   | الأناملِ  |
| ٦٠٦ | ابن رشيق           | البسيط   | الحجل     |
| ٥٨٧ | ابو العتاهية       | البسيط   | حالٍ      |
| ٦٥٣ | —                  | البسيط   | وإقبال    |
| ٦٣٨ | مسلم بن الوليد     | الوافر   | والمعالي  |
| ٥٦٩ | —                  | الكامل   | مرسل      |
| ٦٥٧ | جرير               | الكامل   | الفيشل    |
| ٥٥٥ | ابو الشبل          | الهزج    | الكهل     |
| ٦٢٠ | —                  | الرجز    | الوسائل   |
| ٥٥٤ | مهيار الديلمي      | الرمل    | العزالي   |
| ٦٠٧ | ابن رشيق           | السريع   | خالٍ      |
| ٥٢٧ | عبدالوهاب المالكي  | المنسرح  | آمالي     |

|     |        |        |          |
|-----|--------|--------|----------|
| ٤٨٥ | الأعشى | الخفيف | الغالي   |
| ٥٨٩ | —      | الخفيف | والمجهول |

- م -

|     |                    |             |         |
|-----|--------------------|-------------|---------|
| ٥٢٤ | عبد الوهاب المالكي | الوافر      | لديكم   |
| ٥٧٧ | —                  | الرميل      | نسيم    |
| ٤٨٩ | —                  | الطويل      | دما     |
| ٦٠١ | ابن رشيق           | مخلع البسيط | الجهاما |
| ٥٩٣ | ابو اسحاق الحصري   | الكامل      | نسبا    |
| ٥٥٢ | مهيّار الديلمي     | الرميل      | أماما   |
| ٦١٧ | —                  | المتقارب    | إماما   |
| ٥٢١ | عبد الوهاب المالكي | الطويل      | اليكم   |
| ٦٢٩ | —                  | الطويل      | أعلم    |
| ٦٣٦ | زياد بن منقذ       | البسيط      | هم      |
| ٥٨٥ | —                  | الكامل      | مؤدّم   |
| ٦٤٣ | المعتمد بن عباد    | الكامل      | تخطم    |
| ٦١٨ | —                  | الكامل      | قاتم    |
| ٥١٤ | الوزير المغربي     | الخفيف      | قدوم    |
| ٥٤٢ | الرضي              | الطويل      | بفدام   |
| ٦٠٥ | ابن المعتز         | الطويل      | الدراهم |
| ٦٣٧ | ابن عرارة السعدي   | الطويل      | سلم     |
| ٤٩٩ | —                  | البسيط      | أحلام   |
| ٥١٩ | عبد الوهاب المالكي | البسيط      | الندم   |
| ٥٢٦ | عبد الوهاب المالكي | البسيط      | تنم     |
| ٥٤١ | التهامي            | البسيط      | اللمم   |

|     |                    |        |         |
|-----|--------------------|--------|---------|
| ٥٩١ | —                  | البسيط | بالظلم  |
| ٥٩٢ | —                  | البسيط | وحم     |
| ٦٣٨ | الرضي              | البسيط | سلم     |
| ٤٦٨ | ذو الرمة           | الوافر | اللجام  |
| ٥٢٥ | عبد الوهاب المالكي | الوافر | سقيم    |
| ٥١٠ | —                  | الكامل | الظالم  |
| ٦٠٦ | ابن رشيق           | الكامل | الدم    |
| ٦٥١ | —                  | الكامل | تحرم    |
| ٦٤٣ | —                  | الكامل | الاعدام |
| ٤٧٣ | اشجع السلمي        | الخفيف | الظلام  |
| ٤٧٤ | المرتضى            | الخفيف | منامي   |

- ن -

|     |                 |        |         |
|-----|-----------------|--------|---------|
| ٥٥٦ | مهيّار الديلمي  | الرجز  | من      |
| ٦٠٥ | ابن صارة        | البسيط | تسعيناً |
| ٤٧٣ | المرتضى         | الوافر | العيونا |
| ٥٤٠ | ابن الرومي      | السريع | ظماناً  |
| ٦٤٤ | —               | الطويل | ضوامن   |
| ٦٦١ | ابن ميادة       | الطويل | وجوئها  |
| ٥٥٦ | —               | الطويل | وجبين   |
| ٦٠٤ | ابن الرومي      | الطويل | تداني   |
| ٦١٢ | صخر اخو الخنساء | الطويل | سنان    |
| ٥٤٧ | التهامي         | البسيط | بجيران  |
| ٦٤٣ | المعتمد بن عباد | البسيط | بالحاني |
| ٦١١ | ابن رشيق        | البسيط | مساكين  |

|     |                   |             |         |
|-----|-------------------|-------------|---------|
| ٥٢٥ | عبدالوهاب المالكي | مخلع البسيط | حسرتان  |
| ٤٨٥ | —                 | الوافر      | أرجوان  |
| ٥٣٤ | جحدر اللص         | الوافر      | تجاوبان |
| ٤٦٩ | ابو حية           | الوافر      | أمون    |
| ٥٥٤ | مهيار الديلمي     | الكامل      | الضيفان |
| ٥٧١ | ابن الرومي        | الكامل      | المران  |
| ٥٩٦ | —                 | الكامل      | وثمان   |
| ٥٦٤ | كشاجم             | الكامل      | العين   |
| ٦٠٧ | ابن رشيق          | السريع      | الحسن   |
| ٦٠٨ | ابن رشيق          | السريع      | سيفين   |
| ٤٧٤ | المرتضى           | المنسرح     | الوسن   |
| ٥٥٢ | الوآء الدمشقي     | المنسرح     | الدين   |

#### - ه -

|     |                |              |        |
|-----|----------------|--------------|--------|
| ٥٥٤ | مهيار الديلمي  | الرميل       | هواها  |
| ٦٣٢ | البحثري        | الكامل       | تعطاء  |
| ٦٠٨ | ابن رشيق       | السريع       | هو     |
| ٦١١ | ابن رشيق       | مخلع البسيط  | إليه   |
| ٥٠٨ | الوزير المغربي | مجموء الكامل | رايتيه |

#### - و -

|     |                           |              |        |
|-----|---------------------------|--------------|--------|
| ٥٢٨ | عبدالوهاب المالكي او غيره | مجزوء الكامل | الأخوه |
|-----|---------------------------|--------------|--------|

#### - ي -

|     |                   |        |       |
|-----|-------------------|--------|-------|
| ٥٢٧ | عبدالوهاب المالكي | الطويل | باليا |
| ٤٨٣ | العجاج            | الرجز  | حي    |

## مصادر التحقيق (١)

كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة ، القاهرة ، ١٩٣٠  
الابانة عن سرقات المتنبي للعميدي تحقيق ابراهيم الدسوقي البساطي ، القاهرة  
١٩٦١

ابن حمديس للسقا والمنشاوي ، القاهرة ، ١٩٢٠ .  
ابن حمديس للمستشرق فرانشيسكو جبرائيلي ( بالايطالية ) ، روما  
الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر ، تحقيق غلي محمد البجاوي ،  
القاهرة

أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، طهران ١٣٤٢  
الاشارة الى من نال الوزارة لابن الصيرفي تحقيق عبدالله مخلص ، مصر ١٩٢٤  
أنساب الاشراف للبلاذري ( ١/٤ ) تحقيق كستر ، القدس ١٩٧٢  
الإيجاز والاعجاز للثعالبي ( ضمن خمس رسائل ) ط . الجواب ١٣٠١  
البحر المحيط لأبي حيان الجبائي ( ج ٢ ) مصر ، ١٣٢٩  
بغية الطلب لابن العديم ( صورة عن نسخة خطية بمكتبة الجامعة الاميركية في  
بيروت )

تاريخ المسيحي ( ج ٤٠ ) نسخة الاسكوريال  
تبصير المنتبه لابن حجر العسقلاني تحقيق البجاوي والنجار ، مصر ١٩٦٤  
البيان في شرح ديوان المتنبي للعكبري ، القاهرة ١٩٣٦  
التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبدالله محمد تحقيق محمد بن شريفه  
( الرباط )

الثعالبي ناقدأ وأديباً لمحمود عبدالله الجادر ، بغداد ١٩٧٦  
جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام بمدينة فاس لابن القاضي ( الرباط  
( ١٩٧٣ )

---

(١) لا يرد هنا إلا المصادر التي لم تذكر في المجلدين الثاني والثالث .

الخزينة للعماد الاصفهاني ( مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس رقم ٣٣٢٨ )  
دراسات في الأدب الاندلسي لاحسان عباس ووداد القاضي والبير مطلق ( الدار  
العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ) ١٩٧٦

الدرجات الرفيعة لعلي خان بن أحمد بن محمد الحسيني ، النجف ١٩٦٢  
الدرة المضية لابن أبيك الدواداري ( ج ٦ من كنز الدرر ) تحقيق صلاح  
المنجد القاهرة ١٩٦١

دمية القصر للباخرزي ( ط . حلب )  
ديوان ابن المعتز ( ١ - ٣ ) تحقيق الدكتور يونس احمد السامرائي ، بغداد  
١٩٧٧ - ١٩٧٨ .

ديوان ابن هرمة تحقيق محمد جبار المعيد ، النجف ١٩٦٩  
ديوان أمية بن أبي الصلت جمع وتحقيق عبدالحفيظ السطلي ، دمشق ١٩٧٤  
ديوان الحسين بن مطير جمع الدكتور محسن غياض ، بغداد ١٩٧١  
ديوان دعبل بن علي الخزاعي تحقيق محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٦٢  
ديوان دعبل بن علي الخزاعي تحقيق عبدالكريم الاشتر ، دمشق ١٩٦٤  
ديوان الشريف المرتضى ( ١ - ٣ ) تحقيق رشيد الصفار ، القاهرة ١٩٥٨  
ديوان المزرد بن ضرار تحقيق خليل ابراهيم العطية ، بغداد ١٩٦٢  
ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ، بيروت ١٩٠٨  
رسالة اعلام الكلام لابن شرف ( في سلسلة الرسائل النادرة ) القاهرة ١٩٢٦  
رسالة الاعلام الكلام لابن شرف تحقيق وترجمة شارل بلا ، الجزائر ١٩٥٣  
رسالة الغفران لابي العلاء المعري تحقيق بنت الشاطئ ، القاهرة ( الطبعة  
الثانية )

رسائل ابي العلاء المعري تحقيق مرجوليوث ، اكسفورد ١٨٩٨

رسائل البلغاء جمع محمد كرد علي ، القاهرة ١٩٤٦

رجال النجاشي طهران

روضات الجنات للخوانساري ، طهران ١٣٦٧



ريحانة الالبا للخفاجي ( ج ٢ ) تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة ١٩٦٧  
سحر البلاغة للثعالبي ، وقف على طبعه احمد عبيد ، دمشق .

شرح ديوان زهير ، دار الكتب المصرية ١٩٤٤

شرح العكبري = انظر التبيان

شرح المصنوع به على غير اهله لابن عبدالكافي ، القاهرة ١٩١٣

شرح المقامات للشريشي ( ج ٥ ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة

١٩٧٦

شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ( ط مصر ، ١٣٢٩ )

شعر ابن اللبانة جمع محمد مجيد السعيد ، الموصل ١٩٧٧

شعر ابن ميادة جمع محمد نايف الدليمي ، الموصل ١٩٦٨

شعر عروة بن حزام جمع ابراهيم السامرائي واحد مطلوب بمجلة كلية الآداب -

العدد الرابع ، بغداد ١٩٦١

صبح الأعشى للقلقشندي ( ج ١٤ )

صوان الحكمة المنسوب لابي سليمان المنطقي تحقيق عبدالرحمن بدوي ، طهران

١٩٧٤

طبقات الفقهاء للشيرازي تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٠

طيف الخيال للشريف المرتضى تحقيق الصيرفي والاياري ، القاهرة ١٩٦٢

العرب في صقلية لاحسان عباس ، بيروت ١٩٧٤

عيار الشعر لابن طباطبا العلوي تحقيق زغلول سلام وطه الحاجري ، القاهرة

١٩٥٦

عيون التواريخ لابن شاکر الکتبي ( ج ١٢ ) تحقيق فيصل السامر ونبييلة

عواد ، بغداد ١٩٧٧

عيون التواريخ لابن شاکر الکتبي ( مخطوطة الفاتح رقم : ٤٤٤١ )

غرر الخصائص الواضحة للوطواط ، القاهرة ١٢٩٢

فقه اللغة للثعالبي تحقيق السقا والاياري وشلبي ، القاهرة ١٩٣٨

- الكشاف في التفسير للزمخشري ( ج ١ ، ٢ ) ط . مصر . ١٩٦٦
- مجالس ابي العباس ثعلب تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة
- مذكرات الامير عبدالله تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٥
- مرآة الجنان لابي محمد اليافعي ، حيدر أباد الدكن ١٣٣٧ - ١٣٣٩
- المرقية العليا للنباهي تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٨
- المستطرف للأبشيحي ، مصر ، القاهرة ١٩٥٢
- معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي ، القاهرة ، ١٩٤٧
- معجم الفاظ الحديث لفنسنك وآخرين ، لندن ١٩٣٦ - ١٩٦٩
- مفاتيح العلوم للخوارزمي ( ط . مصر )
- المقترح في جوامع الملح ( نسخة جامعة برنستون )
- المكتبة الصقلية جمع أماري ، ليسيا ١٨٥٧
- المنازل والديار لاسامة بن منقذ ، موسكو ١٩٦١
- منتهى الطلب لابن ميون ( النسخة الاستانبولية )
- التتف من شعر ابن رشيق وابن شرف لعبد العزيز الميمني ، القاهرة ١٣٤٣
- الهفوات النادرة للصابي تحقيق صالح الاشر ، دمشق ١٩٦٧
- الوحشيات لابي تمام ، تحقيق عبدالعزيز الميمني ، القاهرة ١٩٦٣
- الورقة لابن الجراح تحقيق عبدالوهاب عزام وعبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٥٣

## محتويات الكتاب

|     |                                                           |
|-----|-----------------------------------------------------------|
| ٤٦٥ | فصل في ذكر الشريف أبي القاسم المرتضى ذي المجدين علم الهدى |
| ٤٦٦ | جملة من شعره - في وصف الطيف                               |
| ٤٧٥ | فصل في ذكر الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي        |
| ٤٧٩ | فصل من رسائله                                             |
| ٤٩٦ | فصول من سائر ترسيله                                       |
| ٥٠٧ | جملة من شعره في أوصاف شتى                                 |
| ٥١٥ | فصل في ذكر الفقيه الحافظ عبد الوهاب بن نصر المالكي        |
| ٥٢٩ | فصل في ذكر الأديب أبي عبد الله بن قاضي ميعة               |
| ٥٣٧ | فصل في ذكر أبي الحسن علي بن محمد التهامي                  |
| ٥٤٧ | ومن سائر شعره في أوصاف مختلفة                             |
| ٥٤٩ | فصل في ذكر مهيار الديلمي وذكر جملة من شعره                |
| ٥٥٠ | جملة من شعره في أوصاف مختلفة                              |
| ٥٦٠ | فصل في ذكر أبي منصور عبد الملك بن أسماعيل الثعالبي        |
| ٥٦١ | فصول من كلامه في صدر كتابه فقه اللغة                      |
| ٥٦٨ | من كلامه في صدر كتاب اليتيمة                              |
| ٥٨١ | جملة من شعره                                              |
| ٥٨٤ | فصل في ذكر الشيخ أبي اسحاق إبراهيم بن علي الحصري          |
| ٥٨٥ | فصول من كلامه اندرجت في تواليفه                           |
| ٥٩٣ | جملة من شعره                                              |
| ٥٩٧ | فصل في ذكر الأديب أبي علي بن رشيق المسيلي                 |
| ٥٩٩ | جملة من أخباره مع ما يتخللها من أشعاره                    |
| ٦٠٥ | ما أخرجه من سائر مقطوعاته                                 |
| ٦١٢ | ذكر الخبر عن خراب القيروان                                |

|     |                                        |
|-----|----------------------------------------|
| ٦١٥ | فصل في ذكر الشيخ ابي الفتيان العسقلاني |
| ٦١٨ | في ذكر القاضي ابي محمد بن نعمة بن خليل |
| ٦٢٥ | القاضي جلال الدولة بن عمار             |
| ٦٢٧ | [المجيد بن ابي الشخباء العسقلاني]      |

## ٧٠٩ - ٦٦٥

## فهارس الكتاب

|     |                              |
|-----|------------------------------|
| ٦٦٥ | فهرس الاعلام                 |
| ٦٧٨ | فهرس القبائل والامم والطوائف |
| ٦٨٢ | فهرس الاماكن                 |
| ٦٨٧ | فهرس الكتب المذكورة في المتن |
| ٦٨٨ | فهرس القوافي                 |
| ٦٨٨ | فهرس القوافي                 |
| ٧٠٤ | مصادر التحقيق                |
| ٧٠٨ | فهرس المحتويات               |

بعونه تعالى  
نجز طبع هذا الجزء من الذخيرة  
على مطابع بيروت كومبيوتر برس  
هاتف : ٣١٣٥٣٠ . ص.ب : ٢٠٣  
في آذار (مارس) ١٩٧٩